الجزء الاول — المجلد الثالث عشر



١٣١٥

مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران

« تصدر في كل شهر عربي مرة »

لمنشئها

السيد محمد رشيد رضا

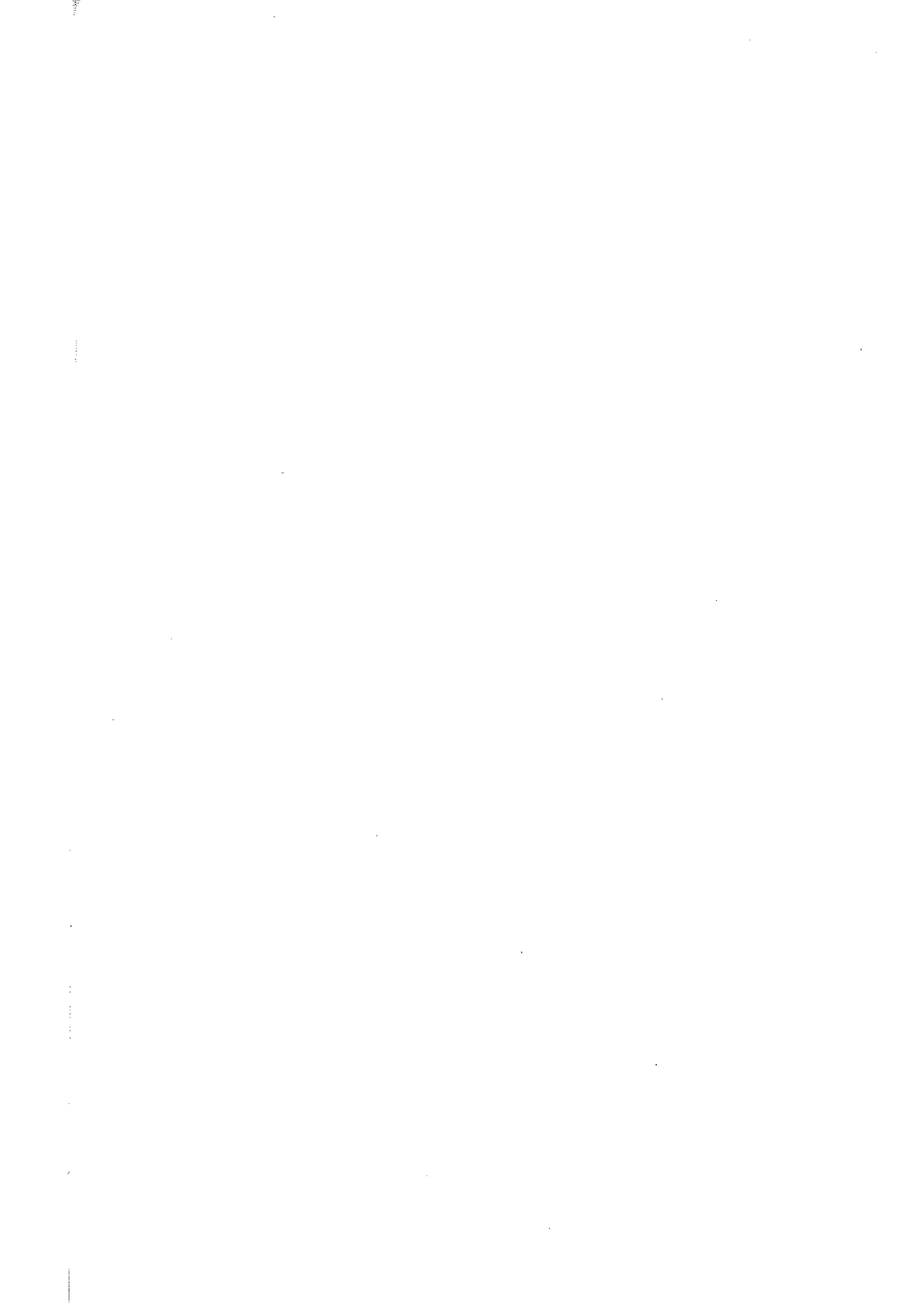
عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافي « المنار بمصر »

مصر — الخميس سلخ المحرم سنة ١٣٢٨ — ١٠ فبراير (شباط) سنة ١٢٨٥ ه ١٩١٠ م

قيمة الاشتراك عن سنة ستون قرشاً صحيحاً في مصر والسودان وفي المملكة العثمانية ثلاثة ريالات ونصف وفي الخارج ٢٠ فرنكا و١٧ شلناً في الهند و٨ روابل في روسيا والدفع سلفا

الطبعة الاولى

طبع بمطبعة المنار بشارع درب الجماميز بمصر



فاتحة السنة الثالثة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعلنا أمة التوحيد ، وجعل ديننا دين التوحيد ، وسياستنا سياسة التوحيد ، وأعز من استقاموا منا على التوحيد، وأذل من انحرف عن محجة التوحيد ، ليعيدنا كما بدأنا الى التوحيد، انه هو يبدئ ويعيد * وهو الغفور الودود * ذو العرش المجيد * فعال لما يريد *

والصلاة والسلام على محمد خاتم أنبيائه ورسله ، وصفوته من خلقه ، الذي بعثه بتوحيد الالوهية ، ليحرر الخلق من رق العبودية، للعوالم السماوية أو الارضية ، وبتوحيد الربوبية ، ليعتقهم من رق التقاليد الدينية ، التي ألحقها رؤساء الاديان بالشرائع الالهية، وبتوحيد السياسة ليكون الشعوب والقبائل أمة واحدة ، تضمها شريعة عادلة واحدة ، وتتعارف بلغة واحدة، ليطلقهم من قيود الحكومة الشخصية الجائرة، ويفكهم من أغلال العصبية الجنسية الخاسرة فاهتدى بكتابه العقلاء المستقلون ، وضل به السفهاء المقلدون، فعز باتباعه المؤمنون، وذل باعراضهم المعرضون ، وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد* ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي؟ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد *

وبعد فقد تم للمنار اثنى عشر عاما ، كان له منها اثني عشر سفرا كبيرا فهي في هذه الامة كنقباء بني اسرائيل ، تجوب الاقطار داعية الى ذلك التوحيد ، مذكرة آخرها بما صلح به أولها ، وانها كالمطر ربما كان الخير الكثير في آخرها ، وقد وعدها الله تعالى بالاستخلاف في الارض ، واظهار دينها على الدين كله ، فلا يمذر في الاسلام اليائسون ، ومن يقنط من رحمة ربه الا القوم الضالون * وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد *

بدا الاسلام غريبا وسيعود كما بدا ،[١] ومن تمام التشبيه أن يكون على غربته شديد القوى ، فيوحد بهداية القرآن المتعددين ، ويجمع بارشاده المتفرقين ، فيعلمهم الكتاب والحكمة ، ويزكيهم باتباع السنة ، ويعيد اليهم ما فقدوا من استقلال العقل والارادة ، فيخرجون من جحر الابتداع والتقليد ، ويظهرون في حلتي المجد الطارف والتليد ، أفعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد *

صادفت الدعوة مقاومة من قوم وارتياحا من آخرين ، كما بينا ذلك في فواتح ما سبق من السنين ، ومن اكبر الآيات المبشرات ، بأننا في اقبال حياة لا في ادبار ممات ، أن الورقات الخضراء ، في شجرة الامة الجرداء ،[٢] تزداد خضرة في كثرة ، لا سقوطا ولا صفرة ، فيا لها من شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، حفظت حياتها على طول العهد بانقطاع الماء ، فكانت بها وقد أصابها الوابل فآتت أكلها ضعفين ، وأوتي أهلها أجرهم مرتين ، قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ، وهل تربص

---

(١) اشارة الى حديث مسلم الذي يحتج به اليائسون وهو حجة عليهم (٢) اشارة الى قول الاستاذ الامام: انا أرى في هذه الشجرة الجرداء ورقات خضرا ... أي ان الحياة القديمة هي مبدأ حياة جديدة

بأنفسنا الا ما وعدنا من سعادة الدارين « قل ان ربي يقذف بالحق علاّم الغيوب * قل جاء الحق وما يُبدى الباطل وما يُعيد »

قد تمهد طريق الاصلاح ، ونادى مؤذنه حيّ على الفلاح ، فسمعه العربي والتركي والفارسي والهندي والتتري والصيني والملاوي والزنجي ، الحضري منهم والبدوي ، فأقبل كثير من المرضين ، وعرف كثير من المنكرين ، ونطق كثير من الساكتين ، ودعا كثير من المثبطين ، وادعى كثير من الكاذبين ، فان كان قد آن لمن تمهد لهم الطريق ان يقولوا ، فقد آن للممهدين ان يسيروا ، ولمن قالوا من قبل ان يفعلوا ، وهُدُوا إلى الطّيّب من القول وهُدُوا إلى صراط الحميد *

هذا ما أعد الله له الأمة ، بعد ان طال عليها أمد الغمة ، رأى أهل البصيرة من عقلائها ما أصابها من الادواء ، وشعروا بشدة الحاجة الى الدواء كان مرضها واحدا ، فكان شعورهم كذلك واحدا ، ذلك بأن الاسلام قد جعلها أمة واحدة في صحتها ، وواحدة في مرضها ، لم يقو على توحيده إياها اختلاف المذاهب واللغات ، ولا تباعد الجهات وتعدد الحكومات ، فكما كانت صحتها بالاهتداء بكتابه وسنته ، كان مرضها بالاعراض عن هدايته ، التي جمعت بين حقوق الروح وحقوق الجسد ، واستقلال العقل والارادة في العلم والعمل ، ورابطتي الاخوة والفضل والبر والعدل بين جميع الملل والنحل ،[1] وانما العلاج ان يرجعوا من دينهم الى خير ما فقدوا ، ويأخذوا لمصلحة دنياهم أحسن ما وجدوا ، وكذلك فعل المنعم عليهم ، الذين كانوهم

[1] كتبنا في المنار من قبل مقالة في جنسية الاسلام بينا فيها ان الاسلام جاء برابطتين اجتماعيتين احداهما دنيوية اجتماعية وهي تربط جميع من يعيشون في داره ويخضعون لسلطانه بشريعة العدل والمساواة والبر والاحسان مهما اختلفت أديانهم . والثانية روحانية تربط الآخذين بعقائده وآدابه بأخوة أخرى

التأسي والاهتداء بهم « لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد »

لقد رحضت النوازل هذه الأمة رحضا، ثم مخضتها النوائب مخضاء وقد آن ان تخرج زبدها محضا، فقد ظهرت نقطه من زمن بعيد، وكثرت ذراته من عهد قريب، ولم يبق الا أن ينجذب بعضها الى بعض، وتتكون في جانب من الزق، هنالك يظهر خير الاسلام، ويعرف فضله في جميع الأنام، وان ذلك لواقع ماله من دافع، انهم يرونه بعيدا، ونراه قريبا، سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد *

فالمنار يذكر مريدي الاصلاح في هذا العام، بوجوب التعاون على الاستفادة من هذا الاستعداد العام، فبادروا الى اغتنام فرص الزمان، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان، وماذلك الا ان تجتمعوا على حقكم، وتتعارفوا أنتم ومن يشعر شعوركم ويرى رأيكم، وتوحدوا طريق التربية والتعليم، في الجمع بين علوم الدنيا والدين، قبل ان يغلبكم على الامة أهل التربية المادية المضطربة، والتعاليم التقليدية المذبذبة، الذين تحولوا عن التقاليد الاسلامية، الى التقاليد الافرنجية الصورية، فهم يدحرجون الامة من تقليد الى تقليد، ويقذفون بالغيب من مكان بعيد، ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد *

لقد وقف سلفنا العقار والاراضي الواسعة، وبذلوا الدثور والاموال الكثيرة، على معاهد العلم كالمدارس والمكاتب، ومعاهد التربية والارشاد كالرباطات والتكايا والزوايا، وها نحن أولاء نرى الخلف، قد انشأوا يحيون

سنة السلف ، فهم يبذلون الاموال الكثيرة للاعمال العلمية والخيرية ، والاحزاب والجمعيات السياسية ، أفحسبتم أن الامة تسخو في نهضتها على الحظوظ والمنافع العاجلة ، وتبخل على الاصلاح الاسلامي الجامع بين سعادة الدنيا والآخرة ؟ تلك اذاً كرة خاسرة ، وانا لمردودون في الحافرة ، كلا اننا أمة قد كمنت فيها وما فارقتها الحياة ، وان الاسلام نائم في قلوب العامة فيحتاج الى الايقاظ ، وقد كثرت صيحات الموقظين ، الا أنهم لا يزالون متفرقين ومختلفين ، وقد أذّن اليوم بينهم مؤذن التوحيد ، وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد « لقد كنتَ في غفلةٍ من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرُك اليوم حديد »

ان المجتمعين أجدر بالفلاح من المتفرقين ، وان المتفقين أحق بالنجاح من المختلفين ، وان المستقلين أولى بالثبات من المقلدين ، وان الثابتين أقوى في الجلاد من المتزلزلين ، على أننا لا نجالد أعداء الاصلاح بسيف ولا سنان ، وانما نجادلهم بالحجة والبرهان ، ونحاكمهم الى السنة والقرآن ، ونصبر على ما آذونا ، ونحسن اليهم وان أساؤا الينا ، ولكن لا نترك أمر الامة في التربية والتعليم ، يتنازعه التفرنج الحديث والجمود القديم ، فليهم دون ذلك ما يشاؤن ، وليعملوا على مكانتهم انا عاملون ، ولينتظروا انا منتظرون ، من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد

يا أهل القرآن : ان القرآن كان حجة لكم ، فصار اليوم حجة عليكم ، أخبركم الله فيه أن الارض يرثها عباده الصالحون ، وان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وان حقا عليه نصر المؤمنين ، وانه وعد الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض ، وقال « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » ، وبيّن ذلك بقوله « ما على المحسنين من سبيل » انما السبيل

على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض» ، فما بال الناس يرثون أرضكم، ويخلفونكم في ملككم ، وأنتم لا ترثون أرضاه بل لا تحفظون ارثاه، وما بالهم يسلكون كل سبيل الافتيات عليكم ، وما بالكم تخربون بيوتكم بأيديهم وأيديكم، كيف ذهبت عزتكم ،وكيف خضدت شوكتكم ،وكيف كنتم تأخذون فتحمدون ،فصرتم تعطون فتذمون ،هل رضيتم بأن تكونوا من الظالمين الباغين ،بعد ان كنتم خير العادلين المحسنين،أليس منكم رجل رشيد، اترضون ان تكونوا ممن نزل فيهم «بأسهم بينهم شديد» ألا تتدبرون قوله تعالى «وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد»

يا أهل القرآن : «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر»، وجعلكم الله أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس من أفرط منهم ومن فرّط ، ولكنكم غيرتم ما بأنفسكم، فغير الله ما بكم، فتنبه الوثنيون وأنتم غافلون ، واجتمع اليهود وأنتم متفرقون ، وسبق النصارى وأنتم متخلفون، وها أنتم أولاء تستيقظون ،فان سرتم الهوينا فالناس مجدُّون، وان كنتم لا تزالون تختلفون فهم يتفقون، فلا يفرقن بينكم جنس ولا نسب، ولا لغة ولا مذهب ، ولا سياسة ولا مشرب ،فان تفرقتم فهي القاضية، فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية، اعتبروا بتأريخ من قبلكم، وبأحوال الامم في عصركم ، وتدبروا القرآن، وما بيّنه من سنن الله في نوع الانسان، فقد آن الاوان، واستدار الزمان، واتصل القريب بالبعيد، وامتاز الغوي من الرشيد، ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

منشيء المنار ومحرره

محمد رشيد رضا الحسيني



الانتقاد على المنار

نعيد الاقتراح على العلماء المخلصين بأن يكتبوا الينا بانتقاد مايرونه منتقدا في المنار من مسائل الدين وغيرها عملا بما أوجب الله تعالى من التواصي بالحق والتعاون على الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر

ولكننا نشترط ان تكون الكتابة مختصرة بقدر الامكان وان تذكر المسألة المنتقدة و يبين المكان الذي نشرت فيه بأن يقال هي في جزء كذا من مجلد كذا واذا ذكر عدد الصفحة يمكن ان يستغني عن عدد الجزء وان لايحتج علينا في المسائل الدينية بأقوال بعض العلماء بل بالكتاب والسنة وكذا الاجماع والقياس فيما هما حجة فيه وأن لايكون في الكلام استطراد الى مسائل أخرى لاتفيد في بيان المراد من الانتقاد . فمن خالف شيئا من هذه الشروط فلنا الخيار في نشر مايكتبه وتركه أو نشر ملخصه ولو بالمعنى لانه لايمكن أن نشغل كثيرا من صفحات المنار بالجدل والقيل والقال

انتقاد احمد بدوي افندي

وليعتبر القراء ذلك بانتقاد احمد بدوي افندي النقاش علينا وعلى جميع المسلمين في مسألة القضاء والقدر انتقادا مبهما على غير شرطنا فقد نشرنا كلامه على علاته وأجبنا عنه فانتقل الى الانتقاد علينا وعلى سائر المسلمين في عقيدة القسمة (فريق في الجنة وفريق في السعير) وفي علم الله تعالى بأعمال الناس قبل وقوعها فنشرنا كلامه على علاته ايضا وأجبنا عنه . فأرسل الينا ردا آخر يزيد على ثلاثين ورقة أرسلها الى ادارة المنار وأرسلتها الادارة الينا في القسطنطينية فقرأنا جملا من مواضع منها فاذا هي مملوءة بالتناقض والسفسطة والاغلاط اللغوية حتى في بديهيات النحو . وقد لامنا كثير من القراء على مانشرنا له من قبل فماذا يقولون اذا نشرنا له هذه الرسالة الطويلة العريضة وما وعد بارساله بعدها لتوضيح مسائلها ؟ ؟

يقول احمد بدوي افندي اننا غلطناه فيما كتبناه عن انكاره لعلم الله بجزئيات أعمال الناس كلها قبل وقوعها وجاء بفقرات من رسالة يحتج بها علينا في ذلك ثم انه اهاننا بفقرات كثيرة وعيرنا بتقليد الغزالي كما عيرنا من قبل بتقليد ابن تيمية! فليقل في ذلك ماشاء سامحه الله تعالى ونحن نتمنى لو يكون مصيبا ونكون مخطئين فيما فهمناه من كلامه وللقراء حكمهم في ذلك .

قد انطبع في ذهن احمد بدوي افندي مسائل في فلسفة الدين مخالفة لما فهمه المسلمون وما جروا عليه من الصدر الاول الى اليوم وهو يريد بثها في المنار والمناضلة عنها فيه على كونه عاجزا عن بيانها وعن فهم ما يرد عليها لضعفه في اللغة العربية وعلى اعجابه بها بحيث لا يطيق قبول شيء يخالفها فنحن لا ننشر له بعد الذي نشرناه شيئا منها لاسباب (منها) ان المنار لم ينشأ لنشر فلسفة الافراد الشاذة التي تهوش بعض الاذهان ولا تنفع أحدا لما فيها من البطلان في بعض المسائل والسفسطة والخطأ في العبارة (ومنها) عدم الرجاء في ارجاع صاحبها عن خطأه لاعجابه برأيه وكونه لا يفهم مايوجه اليه من الكلام العربي الصحيح فهما تاما، وأوضح الآيات على ذلك انه فهم من قراءة المنار في الزمن الطويل ان منشيء المنار مقلد لبعض العلماء كالغزالي (وهذا ماجزم به في رسالته الاخيرة التي لم ننشرها) وانه مع ذلك يدعو الناس الى تقليد نفسه !!! (ومنها) اضاعة كثير من صفحات المنار فيما نعتقد انه يضر ولا ينفع . فلاحمد بدوي افندي ان ينشر فلسفته في مجلة ينشئها أو كتب ورسائل ينشرها أو يبحث عن مجلة غير المنار

هذا واننا بعد هذا كله نحترم استقلال الرجل بفهمه ونعذره من بعض الوجوه على ماتراه مخطئا به ونقول إنه يجوز ان تكون تخطئتنا له في بعض المسائل لضعف عبارته وكونها لا تؤدي مقصده ولكننا نجزم بأنه على استعداده للفلسفة الدينية قد أخطأ ويخطيء كثيرا في فهم القرآن وفي النظر والاستدلال ولعله لو أتقن اللغة العربية واطلع على كتب التفسير والحديث وترك الاعجاب برأيه يجيء منه خير كثير والله الموفق

* * *

« آدم ابو البشر »

جاءنا من السيد محمد البشير النيفر المدرس بجامع الزيتونة في (تونس) ما يأتي

« بسم الله الرحمن الرحيم »

فضيلة العلامة الحكيم السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الزاهر أقامنا الله وإياه على الطريقة المثلى

انا نقرأ في فاتحة كل مجلد من ناركم وخاتمته الدعوة الى انتقاد ما يهم انتقاده من مسائل الدين أو السياسة وذلك « والحمد لله » من أمتن البينات على طهارة نيتكم وكنا نود لو يرزقنا الله سعة في الوقت حتى نكتب اليكم في شأن ما أشكل علينا من مسائل قليلة جاءت في التفسير وغيره احياء لشعيرة من شعائر الدين أماتها الجهل بأصوله . وقد رأينا في باب التفسير من العدد السابع من مجلد هذه السنة (سنة ١٣٢٧) رأيا في أبوة آدم البشر لا يرتضيه القرآن فيما نرى فبادرنا الى الكتابة اليكم في ذلك ونحن في يقين من نزاهة ضميركم عن التعصب والله الموفق

قلتم ان للاستاذ الامام رأيين في تفسير آية « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها » احدهما أن ليس المراد بالنفس الواحدة آدم لا بالنص ولا بالظاهر . ثانيهما أنه ليس في القرآن نص أصولي قاطع ينطق بابوة آدم للبشر اجمعين . ويظهر لي من جنابكم الرضا عما ذهب اليه « تغمده الله برحمته » ولكن العبد أشكل عليه الرأيان لما سأبين

أما الاول فلأن حمل النفس الواحدة على اصل من اصول العرب لا يرضى به التعبير بالناس والروايات المستفيضة في مدنية السورة تقعد في طريق من يحمل الناس على اهل مكة فالظاهر الحمل على العموم . وليست الآية الكريمة كآية الاعراف « هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها »

الآية لوجهين الاول ان سورة النساء مدنية وسورة الاعراف مكية ثانيهما ان في حمل آية الاعراف على العموم مسًّا لمقام النبوة فما أبعد ما بين الآيتين .

وأما الثاني فلأن القرآن الشريف والسنة السنية ناطقان بابوة آدم للبشر اجمعين واخراج ما جاء في ذلك عن ظاهره رعيا لمذهب داروين يشبه أن يكون من تفسير القرآن بالرأي الذي كان يشنؤه الامام « رحمه الله » وجريتم « حفظكم الله » على طريقته في ذلك

نداء القرآن للناس ببني آدم في مقام الوصية باخذ الحذر من وسوسة ابليس وفتنته ومقام التشريع العام ظاهر في أن المكلفين عن بكرة ابيهم ابناء آدم عليه السلام وما نقلتموه عن الاستاذ الامام في تأويل ذلك بعيد كما يتجلى لفضيلتكم بقليل من التدبر وأية نكتة في توجيه الخطاب الى بني آدم اذا كان التكليف يشملهم وغيرهم ؟

أما السنة السنية فمن أظهر ما ورد في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « كلكم من آدم وآدم من تراب » وما جاء في حديث الاسراء من الاسودة عن يمين آدم وشماله وأنها نسم بنيه أفكانت ارواح غير الآدميين في مقر آخر ام كانت في ذلك المقر ولكن لم يهتم بها آدم عليه السلام ولا النبي صلى الله عليه وسلم « اذ لم يسأل عنها » لأنها ليس لها في الآخرة مقام معلوم . وأصرح من ذلك وهذا حديث الشفاعة « يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيأتون آدم فيقولون انت ابو الناس » الحديث . وفي سعة علمكم بالسنة ما يغني العبد عن حشر اكثر من هذا

ان لم تكن الآيات والاحاديث نصوصا قاطعة في الموضوع فهي ظاهرة فيه والظواهر اذا اجتمعت أفادت القطع كما يقول الاصوليون ولو ذهب ذاهب الى أنها لا تفيد اكثر من الظن كان للقائل بابوة آدم للناس اجمعين ان يسأله عن الوجه في إيثار ذلك الظني على هذا الظني فان كان الوجه عنده درء ما عساه أن يرد على القرآن من شبهات العلماء القائلين بذلك فالذين لا يؤمنون بالغيب أكثر من اولئك عددا واقوى شبها فهل نؤول الآيات الواردة في عالم الغيب بما لا يكدر مشربهم وينقض مذهبهم ؟

أما قولكم حفظكم الله تعالى « ان المسألة علمية لا دينية ـ وقولكم ـ ان المتبادر من

النفس بقطع النظر عن الروايات والتقاليد المسلمات هي تلك الحقيقة الجامعة التي يعبر عنها بالانسانية ـ أو قريب من هذه العبارات » فالعبد فيما نظر

أما الاول فلأن ما بين دفتي المصحف دين لاشيء منه يجاز مخالفته وهل يأذن الدين لاحد ان يذهب الى مالا يصادق عليه القرآن في تكون الجنين باسم علمية هذا البحث أم هل يأذن لاحد أن يقول بما ينقضه القرآن في تاريخ فرعون باسم ان المسألة تاريخية ؟

وأما الثاني فلأن تلك الحقيقة الجامعة التي يعبر عنها بالانسانية أو البشرية أمر اعتباري لا يصح ان يكون منشأ الخلق والايجاد هذا ما يتسع له الوقت من البحث وفيما آتى الله فضيلتكم من البسطة في العلم والاستقامة في الرأي ما يغني عن التذكير بأقل من هذا والسلام عليكم أولا وآخرا . وكتب في ٢٧ رمضان عام ١٣٢٧

(المنار) نشكر لأخينا في الله انتقاده وتذكيره وغيرته على الدين والعلم ونجلي ما ألم به من المسائل بما يأتي :

(١) ان الاستاذ الامام لم ينف كون آدم أبا البشر كلهم ولا قال ان القرآن ينبغي أن يؤول ليوافق دارون أو غيره ولا قال انه قد ثبت رأي الذين ينفون كون آدم أبا لجميع البشر ثبوتا قطعيا حتى نؤول لاجله كما صرحنا بذلك في تفسير الآية ولم يتكلم أيضا في تحقيق المسألة في نفسها (مسألة أبوة آدم) وانما قصارى رأيه انه اذا ثبت ما يقولون لم يكن ذلك مخالفا للقرآن فيكون شبهة على الاسلام ونحتاج الى التأويل فعلى هذا يكون فهمه رحمه الله للآية ليس من تفسير القرآن بالرأي سواء كان فهمه صوابا أم خطأ لانه لم يحاول ان يرجع القرآن الى رأي رآه أو وافق عليه غيره وانما فهم الآية وأمثالها فهما لا يرد عليه اعتراض ولا مجال معه للطعن في القرآن في هذه المسألة

(٢) قلتم انه ظهر لكم اني راض عما ذهب اليه قلتم هذا بعد نقل المسألتين فعلم منه انكم فهمتم اني راض عنهما كلتيهما وقد رأيتم في كلامي الجواب عما استدل به من تنكير ما بثه من النفس الواحدة من رجال ونساء وتفسير النفس الواحدة بغير ما فسرها به رحمه الله تعالى وغير ذلك ، وفيه الوعد بتحقيق مسألة ما يفيده مجموع آيات القرآن المنزلة في خلق الانسان عند تفسير ما ورد من ذلك في سورة الحجر أو سورة المؤمنين ،

فعلم من هذا الوعد اننا لمانبين رأينا فيما يدل عليه مجموع القرآن في خلق الانسان وانما كلامنا محصور في تفسير تلك الآية بحسب ما فهمه الاستاذ الامام وما فهمه هذا العاجز من تلاميذه المستقلين الذين لايقلدونه تقليدا في شيء ما وما كان يرضى ان يقلده أحد في شيء و إنما كان يحث على الاستقلال . و بعد هذا كله أقول ان ما استظهرتموه صحيح في الجملة وسترون وجهه فيما يلي هذا من الوجوه والمسائل

(٣) ذكرتم ان للاشكال عندكم مثارين: فأما المثار الاول وهو كون السورة مدنية لايجوز ان يراد بالناس فيها أهل مكة فالخطب فيه سهل فانكم قد رأيتم اننا اعتمدنا كون السورة مدنية وكون الخطاب فيها ليس لأهل مكة خاصة ولكن هذا لايقضي كون القول بهذا شاذا فانه معزو الى امام المفسرين ومعولهم وهو ابن عباس (رض) وعبر الرازي عن مقابله بالاصح ومقابل الاصح هو الصحيح ، فان لم يكن الخطاب لاهل مكة جاز ان يكون للعرب عامة ولا يقعد في طريق هذا كون السورة مدنية ولا كون الاسلام دينا عاما كما انه لايقعد في طريق غيره من الخطاب الذي وجه الى العرب أو إلى بعض الاقوام أو الاشخاص فان عموم الاحكام الشرعية معتبر فيما كان مورده خاصا ولو شخصيا مالم يقم دليل على الخصوصية. مثال ذلك في العرب قوله تعالى (٩: ١٢٨ لقد جاءكم رسول من أنفسكم) فان تفسير انفسكم بالعرب لاينفي كون الرسالة عامة لجميع البشر ، ومثاله في الامور الشخصية ماورد في الافتاء عقب استفتاء بعض المؤمنين وأسئلتهم المعبر عنها بمثل يسألونك و يستفتونك كما هو مكرر في سورة البقرة وسورة النساء وكان يكون المخاطب بالجواب هو السائل والحكم عام بالاجماع . على اننا لم نجعل كون الخطاب لاهل مكة هو العمدة في الاستدلال على مافسرنا به النفس الواحدة ولا كونه للعرب وسيأتي مزيد بيان لهذه المسألة

(٤) وأما المثار الثاني للاشكال وهو ماورد من الكتاب والسنة في أبوة آدم لجميع البشر فهو على تقدير تسليمه فيهما مما لايقتضي كون النفس الواحدة في الآية الاولى من سورة النساء هي آدم اذ يجوز ان يثبت ذلك في آيات غيرها وأحاديث ولايكون هو المراد منها ولم يقل الاستاذ الامام ولا قلنا ان هذه الاية تنفي كونه أبا لجميع البشر .

ولكم ان تحتجوا بذلك على قوله رحمه الله إنه ليس في القرآن نص أصولي قاطع على أبوة آدم لجميع البشر وستعلمون مافيه

(٥) انكم قد ذكرتم ان حمل آية الاعراف على العموم لا يصح لأنه يمس مقام النبوة فاذا امتنع هناك أن يكون المراد بالنفس الواحدة آدم فلم لا يجوز ان يمتنع هنا وهو ليس متبادراً من اللفظ العربي بمجرد ذاته حتى نقول انا أولنا آية الاعراف لتطابق القول بعصمة الانبياء ولا حاجة الى تأويل آية النساء. فالصواب ان عدم حمل النفس الواحدة على آدم في الآيتين ليس تأويلا لهما لان لفظ النفس ليس مرادفا لكلمة آدم يوضح ذلك الوجه الآتي

(٦) ان مايرد في تفسير مبهمات القرآن لايجعل اللفظ المبهم نصا ولاظاهراً في المعنى الذي فسر به في الحديث ولا في القرآن نفسه ان وجد ولكننا نقبل ذلك التفسير اذا صح عندنا ، مثال ذلك أن يصح في حديث ان المراد بقوله تعالى (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) هو فلان بن فلان فانا نقبل هذا التفسير على الرأس والعين ولكننا لا نقول ان لفظ رجل في الآية هو نص أو ظاهر في ذلك الرجل المعين لان العربي الذي لاعلم له بذلك الحديث لايفهم هذا المعنى من اللفظ ، ولم يرد في الكتاب ولا في الحديث تفسير للنفس في آية النساء بآدم ألبتة فكيف نقول ان ماورد في ذلك يجعلها نصا أو ظاهرا وهو لم يرد تفسيرا لها ؟ وهذا هو مرادنا مما قلناه في (ص ٨٦ ج ٤ م ١٢) ان الذين فسروا النفس الواحدة بآدم لم يأخذوا ذلك من نص الآية ولا من ظاهرها بل من المسألة المسلمة عندهم وهي ان آدم أبو البشر

(٧) استدل صديقنا المنتقد على كون جميع الناس من بني آدم بنداء الله تعالى في القرآن لبني آدم في مقام الوصية بالحذر من فتنة الشيطان ووجه الاستدلال عنده أنه اذا لم يكن المراد ببني آدم جميع المكلفين لا يكون في توجيه الخطاب اليهم نكتة. ويمكن أن يجاب بأن نكتة ذلك في الآية التي أشار اليها هي إقامة الحجة عليهم بما كان من عاقبة وسوسته لابيهم والعبرة في ذلك لسائر المكلفين الذين لا يعتقدون انهم من ذرية آدم كأهل الصين هي ان الشيطان يردي من اطاعه فيجب أن يجتنبوا

طاعته كما يجب ان يجتنبها أبناء آدم . ونظير ذلك اعتبار المسلم بمثل قوله تعالى «ياأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل » فيعلم انه لايكون على شيء يعتد به من الاسلام حتى يقيم القرآن . وقد أشارت عائشة الى هذا المعنى في حديث لعن أهل الكتاب الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فقالت «يحذر ماصنعوا » وقد بينا آنفا ان توجيه الخطاب في القرآن الى قوم أو أناس معينين لاينافي عموم التكليف فاذا فرضنا ان بني آدم هم العرب ومن كان يساكنهم من أهل الكتاب وان الخطاب في مثل تلك الآية خاص بهم لوجود النبي بينهم فلا يمنع ذلك ان يعتبر بالموعظة التي في الخطاب من يدخل في الاسلام من غيرهم . ومن ذلك خطاب الانصار بقوله تعالى « ٣ : ١٠٣ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » وهي هداية لجميع المسلمين أيضا كما قبلها و بعدها

(٨) بعد هذا يمكن ان يقال اذا كان في البشر ألوف الالوف لايعتقدون أنهم أبناء آدم ولم يسمعوا باسم آدم فما هي نكتة خطابهم ودعوتهم الى الاسلام بنسبتهم الى آدم والمأثور المعقول ان يخاطب الناس بما يعرفون وأن يحمل حديث العاقل للقوم على مايعهدون في مثل النداء فان أراد إعلامهم بشيء مخالف لما يعتقدون جاء به بصيغة الخبر المؤكد كما هي سنة القرآن المطابقة لقوانين البلاغة العليا ويشيرون الى هذا في أول كتب المعاني وفي صحيح البخاري من حديث علي موقوفا «حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون يكذب الله ورسوله؟ » وفي مقدمة صحيح مسلم عن ابن مسعود «ماأنت بمحدث قوما حديثا لاتبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة» . وورد في الضعاف المتعددة الطرق عن ابن عباس مرفوعا «أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم» وهذا الوجه أي كون كثير من البشر لايعرفون آدم ولا يعتقدون أبوته لهم هو العمدة في جزم الاستاذ الامام بعدم حمل آية أول النساء على هذه المسألة المشهورة عند العبرانيين والعرب مع كون لفظها ليس نصا ولا ظاهرا فيها من حيث لفظها وقد أجاز ان يطبق كل قوم اعتقادهم عليها

(٩) ان ماأوردتموه من الاحاديث ليس نصا أصوليا في المسألة فان المخاطبين بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « كلكم من آدم » لم يكن فيهم أحد من الصينيين ولا من هنود

أمريكا ولا من أهل ملقا ولكن الحديث يكون هداية لهؤلاء بعد دخولهم في الاسلام على الطريقة التي أشرنا اليها في بعض المسائل السابقة . وكذلك حديث الاسودة التي رآها النبي (ص) عن يمين آدم وشماله لا تدل على كونه أبا لجميع البشر . ولا يعارض هذا كونه (ص) لم يذكر انه رأى هنالك أو في مكان آخر نسم قوم آخرين من البشر كما أن ذكره لبعض الانبياء في ذلك الحديث لا يمنع ان يكون هنالك أو في مكان آخر أنبياء آخرون فالحديث لم يرد في بيان مقر جميع أرواح البشر والانبياء ولا دليل فيه على كون ما رآه يكون دائما حيث رأى فقد ورد في مقر الارواح أحاديث أخرى والظاهر ان ما رآه صلى الله عليه وآله وسلم في تلك الليلة قد مثل له حيث رآه لاجل ان يراه والله أعلم حيث يكون في سائر الاوقات ، وقد مثلت له (ص) الجنة في عرض الحائط وهي هي التي عرضها كعرض السماء والارض . وكذلك يقال في حديث الشفاعة فان تحدث ولد آدم بالذهاب اليه هو كتحدث اتباع كل نبي ذكر في الحديث بالذهاب اليه ولا ينافي ذلك ان يكون في البشر أقوام آخرون لا يتحدثون بالذهاب الى أحد أو يتحدثون بالذهاب الى أنبيائهم لرجائهم فيهم « وان من أمة الا خلا فيها نذير »

(١٠) اذا فرضنا ان هذه الاحاديث تدل وحدها أو مع غيرها على كون آدم عليه السلام أبا لجميع من وجد في الارض من البشر بالنص أو بالظاهر فلا يقتضي ان يكون ذلك تفسيرا للقرآن اذا لم يكن لفظه نصا ولا ظاهرا في ذلك والاستاذ الامام لم يتعرض لما ورد من الاحاديث في المسألة وانما اكتفى ببيان كون ما يعتقده كثير من البشر في أصلهم ومنشئهم لا حجة فيه على القرآن إن صح ولا وجه لأن يكون حائلا دون إيمانهم به ولم يتعرض لمثل هذا في الاحاديث

(١١) نحن نعتقد ان اسلوب القرآن في الاجمال والابهام والاطلاق والعموم هو من أقوى وجوه الاعجاز فيه واسباب تعاليه عن تطرق الريب اليه وتحويم الشبهات حوله وليس هذا الاسلوب بالصناعة التي يقدر عليها البشر فاننا نرى أعلم العلماء منهم في علم أو فن يؤلف فيه كتابا فلا يمر عليه الا زمن قليل حتى يظهر له وافيره الاختلاف والخطأ فيه وقد مر ثلاثة عشر قرنا ونيف ولم نظفر في هذا القرآن

الذي جاء به النبي الامي الناشيء في الاميين خطأ ولا اختلاف (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) والاحاديث ليس لها هذه المزية في الاعجاز وكثير منها منقول بالمعنى ومنها ما كان يقوله النبي (ص) عن اجتهاد لا عن وحي ولا سيما المتعلق منها بأمور العالم دون امور الدين . أفيصعب على بعض المسلمين إظهار هذه المزية لكتاب الله في بعض المسائل على غير الوجه المشهور عندهم وان لم ينقض ذلك المشهور في نفسه !! وكان ينبغي للمنتقد أن يذكر ماعنده من الجواب لمن يوقنون بأن البشر من عدة اصول كما عنينا في (ص ٤٨٨ م ١٢)

(١٢) يقول المنتقد ان شبهات الذين لا يؤمنون بالغيب على الآيات الواردة في عالم الغيب أقوى من شبهات الذين ينكرون كون آدم أبا لجميع البشر أو يعتقدون ان لهم عدة آباء فهل نؤوّل آيات عالم الغيب بما لا يكدر مشربهم ولا ينقض مذهبهم ؟ ونقول ان هذه الدعوى ممنوعة فالذين لا يؤمنون بالغيب لا يوردون شبهات على عالم الغيب وانما هم قوم تابعون لحسهم يقولون اننا لا نؤمن الا بما نراه أونحس به وهم يعلمون ان عدم الاحساس بالشيء أو عدم العلم به لا يقتضي عدمه في نفسه ومن تقوم عنده الحجة منهم على الوحي والنبوة لا يرى اخبار عالم الغيب مانعة من ايمانه وما كنت أظن ان هذا يخفى على المنتقد الفاضل ولعله سرى اليه من بعض المارقين الذين كفروا بالله ورسله تقليدا لبعض الافرنج اذ يسمعهم أو يسمع عنهم انكار الملائكة والجن فليسألهم عن دليل هذا الانكار هل يجد عندهم دليلا او شبهة ؟ لا لا ! وانما يقولون انه لم يثبت عندنا بالحس ولا بالدليل العلمي ! ، ونحن المؤمنين نقول مثل ذلك ونزيد انه ثبت عندنا بخبر الصادق الذي هو اصدق ممن تثقون بخبرهم اذا قالوا لكم ان في الكون كذا كذا من الغرائب الطبيعية

(١٣) أذكر المنتقد بمسألة لا ينبغي أن ينساها المستقل في العلم الذي يعنيه أن يفهم القرآن فهما صحيحا وقد صرحنا بها في المنار من قبل وهي ان الاصطلاحات الشرعية والفنية الحادثة بعد نزول القرآن والروايات والتقاليد المشهورة في تفسيره - هذان الامران هما اللذان يحولان كثيرا دون فهم القرآن باتمطيه عبارته الفصحى

ويتبادر من أسلوبه الاعلى فيجب أن يكون القرآن فوق الاصطلاحات والمسلمات كلها وأن يستعان على فهمه بالروايات الصحيحة التي لا تخل بما يتبادر من عبارته وأسلوبه البليغ وحكمة كونه هداية لجميع البشر في كل زمان ومكان وانا نرى كثيرا من المفسرين يخطئون عند غفلتهم عن هذه القاعدة ويخالفون الروايات المأثورة عن السلف عند تنبههم لها اذا رأوا الرواية مخالفة لما يقتضيه الاسلوب العربي بحسب فهمهم ومن ذلك ما ستراه في تفسير الجزء الثاني عن ابن جرير شيخ المفسرين الاولين

(١٤) أما انتقاده نفعنا الله بغيرته على العلم والدين قولنا ان المسألة علمية لا دينية فانني أجيبه عنه بالايجاز وان لم أتذكر انني قلت هذا في تفسير الآية ولا أجد وقتا للمراجعة فأقول ان ما يذكر في القرآن من أمور الخلق وعجائبه وأسراره لا يراد به شرح أحوال المخلوقات وبيان ما هي عليه في الواقع تفصيلا لان هذا ليس من مقاصد الدين وانما يذكر على انه من الآيات على قدرة الله وعلمه وحكمته في خلقه ورحمته بعباده، ومن المنبهات للانتفاع بما في هذه المخلوقات والشكر عليها، ولذلك يستعمل فيها المجاز والظواهر المتعارفة بين الناس وتحديد المسائل العلمية لا يكون بمثل هذا كقوله تعالى «وجدها تغرب في عين حمئة» فلا يراد به أن ذا القرنين وجد الشمس تنزل من السماء فتغرب في عين حمئة من عيون الارض. ومع هذا كله لا يكون خبر القرآن الا صادقا ولكننا لا نعرف ان أحدا من علماء المسلمين عني كعنايتنا وعناية شيخنا الاستاذ الامام بالدعوة الى الاهتداء بالقرآن كله وصرف معظم عنايتهم الى ما كثر الارشاد اليه في آياته كالبحث في خلق السموات والارض وما فيهما من البحار والأنهار والجبال والنبات والدواب وغير ذلك وكالسير في الارض والاعتبار بسنن الله في أحوال الامم بعد معرفة تاريخها، فانا نرى علماء المذاهب الدينية فينا قد أهملوا أكثر ما أرشد اليه القرآن وجعلوا الدين كله أو جله محصورا في الاحكام العملية التي لم يعن القرآن بها وهي أقل ما ورد فيه ولا سيما الاحكام الدنيوية كالبيوع والشركات والمخاصمات فلا يقال لمثلنا ان كل ما في القرآن دين وإن الدين لا يأذن لأحد أن يقول قولا لا يصادق

عليه القرآن فنحن الذين ندعو دائما الى جعل حكم القرآن فوق كل حكم وهديه فوق كل هدي وخبره فوق كل خبر وانما يقال ذلك لغيرنا من علماء المسلمين الذين قالوا حتى في الاحكام التي هي عندهم جل الدين ما لم يصادق عليه القرآن كقولهم ان مدة الحمل تكون في الواقع المعتبر شرعا اكثر مما حدده القرآن من مدة الحمل والفصال جميعا وقد رأى صديقنا المنتقد ما كتبناه في ذلك بالجزء الاخير من المجلد الماضي . فاذا جاز ان يعتمد أئمة الفقه منا على قول بعض النساء اللواتي من مظنة الخطأ والكذب فيما لا يصادق عليه القرآن وقد نطق بغيره بناء على ان ما نطق به يحمل على الغالب المعروف عند جمهور الناس فلم لا يجوز عند اتباعهم ان يعتمد على قول جمهور العلماء الباحثين المدققين في مسألة علمية لم يرد في القرآن نص فيها وإنما ذكرت مبهمة في سياق مقصد من مقاصده كحث الناس على ان يتقوا الله في ذوي أرحامهم والضعفاء منهم لانهم من أصل واحد أو جنس واحد وعبر عن ذلك بالنفس الواحدة ولكنه لم يبين حقيقة تلك النفس . على اننا لم نحمل الآية ولا غيرها من الآيات على ماقاله أولئك العلماء الباحثون في أصول البشر وخلقهم ولكننا اخترنا ان ندع ماأبهمه القرآن على إبهامه (ص ٤٨٦م١٢) وهو تنكير تلك النفس وعدم تعيينها أو فهمها مما يتبادر من اللفظ العربي بصرف النظر عما وراءه من الروايات والتقاليد المسلمات التي ليست بنص عن المعصوم في تفسيرها (ص٤٨٨ م١٢)

(١٥) وأما انتقاده الاخير على قولنا في تفسير النفس المتبادر من اللفظ فقد بناه على ذكر لفظ الانسانية في عرض كلامنا وتفسيره إياه بالمعنى المشهور بين العامة ناسيا ما فسرناه به وما عبرنا به في أول العبارة عنه من قولنا هو الماهية أو الحقيقة التي بها كان انسانا . ونعني بذلك الروح الانسانية التي اتحدت بالجسد فصار مجموعهما حيوانا ناطقا لولاها لم تكن هذه المواد الترابية التي تكوّن منها جسد الانسان خلقا آخر حيا ناميا متحركا . فهل يقول ان هذه الحقيقة الانسانية أمر اعتباري ؟؟ كلا إنها خلق وجودي مستقل

(١٦) بعد ان طبع تفسير تلك الآية في المنار نقحناه وزدنا فيه فوائد

اثبتاها في نسخة التفسير التي تطبع على حدتها منها ان لبعض الباحثين من المسلمين المصريين رأيين آخرين في النفس الواحدة أحدهما انها الانثى ولذلك وردت مؤنثة في كل آية وصرح بتذكير زوجها الذي خلق منها في بعض الآيات وثانيهما انها كانت جامعة لاعضاء الذكورة والانوثة وذكروا لذلك نظائر أثبتها العلم الحديث . فيراجع هذا في (ص ٣٣١ ج ٤) من التفسير وسيصدر بعد زمن قليل

هذا ما سمح لنا به الوقت من ايضاح المسائل المتعلقة بهذا الانتقاد وصفوة القول ان ما أوردناه في التفسير لا ينفي القول بابوة آدم لجميع البشر وقد وعدنا هنالك بتحرير هذه المسألة في موضع آخر من التفسير

قضاء الفرد وقضاء الجماعة

﴿ في الاسلام (*) ﴾

أيها السادة

كلمتي اليوم في قضاء الفرد وقضاء الجماعة في الاسلام وحيثما قلت قضاء الجماعة فانما أريد مدلوله العام أي القضاء والافتاء والتشريع أو التفريع

تعلمون ان كفالة العدل الذي هو مناط الراحة والسعادة في كل مجتمع انما هو القانون أو الشريعة التي تصان بها الحقوق وترد المظالم ويعاقب المجرمون المجترئون على انتهاك حرمة الراحة والامن في الهيئة الاجتماعية وهذه القوانين اما أن تكون وضعية أو شرعية وقد عرفها ابن خلدون بقوله :

«اذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء وأكابر الدولة وبصرائها كانت سياسية عقلية واذا كانت مفروضة من الله بشارع يقررها ويشرعها كانت سياسية دينية»

وتعلمون ان الفقه الاسلامي وأريد به قسم المعاملات لا العبادات هو قانون المسلمين الشرعي ومناط الاحكام التي يفصل بها في المنازعات والخصومات التي تقع بين الناس

أقول القانون الشرعي تجوزاً اذ أن أحكام الشريعة الاسلامية وقانونها الجامع انما هو الكتاب والسنة وهما الاصل أما الفقه فانما يسمونه شرعاً باعتبار ان مأخذه من الكتاب والسنة وعمل الصحابة والاجماع والقياس فاذا انطبق عليه تعريف ابن خلدون فانما ينطبق عليه من هذه الجهة أي ان تلك القوانين لها أصل في الشرع لا انها هي بعينها المفروضة من الله

وبما ان أساس التفريع أو التشريع عند الفقهاء هذه الاصول الخمسة فقد سموا

(*) خطبة لرفيق بك العظم المؤرخ المشهور القاها على طلاب مدرسة القضاء الشرعي بمصر

الاحكام الفقهية شرعا وخالفهم في ذلك كثير من أئمة العلم والمحدثين فقالوا كل حكم لا يستند الى دليل او لا يعرف دليله من الكتاب أو السنة فليس بشرع

وليس من غرضي في هذا البحث الحكم بين الفريقين و إنما الغرض منه تقديم مقدمة تساعدنا على الانتقال الى النظر نظرا صحيحا في سير القضاء وتاريخه وكيف كان القضاء والافتاء في الاسلام وما هو ضمان العدالة فيهما وما منزلة قضاء الفرد وقضاء الجماعة من الصواب والخطأ ونستطرد من ثم الى ما تخلل التشريع والقضاء من الشؤون التي لا يخلو بيانها من فائدة وإن كنت لا أستطيع من البيان غير جهد المقل

علمنا ان أساس الشرع وأصله في الاسلام هما الكتاب والسنة بمعنى أن الاحكام الدينية أي العبادات والقوانين الدنيوية او السياسية كما يسميها ابن خلدون وهي أحكام المعاملات والعقوبات التي وردت في الاصلين المذكورين قد قررها الشارع الاعظم صلى الله عليه وسلم فصارت شرعا وهذا الشرع لا يدخل تحت مدلول قضاء الجماعة المراد به جعل قوة التشريع لا في يد واحد بل جماعة الا من حيث لزوم فهمه على وجوهه التي ارادها الشارع أي إن تفهم الحكم من هذا الاصل وتقريره هو الذي يلزم ان يناط بالجماعة دون الفرد تفاديا من الخطأ والاثم

وتعلمون بالضرورة أن الاحكام التي شرعها لنا الشارع كانت تشرع تدريجا فكلما عرضت له حادثة أو سئل عن حكم شرع له شرعا حتى كان من ذلك في الكتاب والسنة نحو ست مئة وخمسين حكما أو تزيد اعتبرها أئمة الفقه بعد ذلك اساسا للتشريع فوضعوا لنا كتب الفقه التي كانت في الممالك الاسلامية ولم تزل في بعضها مدار الاحكام الشرعية في المعاملات والعقوبات وما يتبعها من قضاء المظالم والحسبة وسياسة الرعية وغير ذلك الى اليوم

و يبدأ تدوين الاحكام الفقهية من أواخر العصر الاول واوائل الثاني فالتشريع إذاً له في الاسلام تاريخان: تاريخ تقرير أصول الشريعة والعمل بهذه الاصول، وتاريخ التفريع أو الفقه والعمل به . يتخلل ذلك أيضا تاريخان : تاريخ حفظ الشريعة في الصدور ، وتاريخ قيدها في الدفاتر والسطور

* * *

ولبيان ذلك وبيان كيف كان يقضي الصحابة والتابعون أقول :

علمنا ان اساس الاحكام ومدارها ومعوّل القضاء في الصدر الأول كان على الكتاب والسنة أما الكتاب الكريم فقد كتب متفرقا في عهد النبوة في خلافة ابي بكر كما هو معروف مشهور . وأما السنة السنية فقد بقيت محفوظة في الصدور الى اواخر عهد التابعين او كتب منها في غضون هذه المدة شيء يسير

فكان القضاء في عهد الخلفاء الراشدين ملازما للافتاء بالضرورة لان القضاء كان الى الخليفة وهو لا يحفظ الاحكام التي وردت عن الشارع كلها بل كان كثير من الصحابة يحفظ كل واحد منهم شيئا منها فاستفتاؤهم في معرفة الحكم ضروري واليكم ماروي عن قضاء ابي بكر وعمر

اخرج البغوي عن ميمون بن مهران قال : كان ابو بكر اذا ورد عليه الخصوم نظر في كتاب الله فان وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به وان لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله في ذلك الامر سنة قضى بها فان اعياه خرج فسأل المسلمين وقال اتاني كذا وكذا فهل علمتم ان رسول الله قضى في ذلك بقضاء فربما اجتمع عليه النفر كلهم يذكر من رسول الله فيه قضاء . فيقول ابو بكر الحمد الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا . فان اعياه ان يجد فيه سنة عن رسول الله جمع رؤس الناس وخيارهم فاستشارهم فان اجمع رأيهم على امر قضى به وكان عمر يفعل ذلك فان اعياه ان يجد في القرآن والسنة نظر هل كان فيه لابي بكر قضاء فان وجد ابا بكر قضى فيه بقضاء قضى به والا دعا رؤس المسلمين فاذا اجتمعوا على امر قضى به

هذه رواية البغوي عن قضاء أبي بكر وعمر ومنها يتضح أن القضاء في عهدهما قضاء الجماعة وعليه يقاس قضاء من بعدهما من الخلفاء الراشدين في الدور الاول لتأريخ القضاء في الاسلام أي الى العهد الذي بدأ فيه التدوين والعمل بالفروع بدليل انه كان في كل مصر من الامصار الاسلامية نفر من الصحابة ثم التابعين يسمون الفقهاء لحفظهم الاحكام وتفقههم في الدين وكانوا يستشارون في النوازل عند القضاء فيها لانهم حفاظ الشريعة والراوون للاخبار الصحيحة فلا مندوحة عن الرجوع اليهم في القضاء

ومن الفقهاء الكبار في الصحابة علي بن أبي طالب وعبدالله بن عباس وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وزيد بن ثابت وابو سعيد الخدري وانس بن مالك ومعاذ بن جبل ومن في طبقتهم ممن يحفظ عن رسول الله قليلا او كثيرا

وقال ابن القيم ان عدد من حفظت عنهم الفتوى من الصحابة مئة ونيف وثلاثون نفسا ما بين رجل وامرأة . وكان اكثر هؤلاء موزعين في الامصار بالضرورة وهم شورى القضاء حيثما وجد منهم جماعة يستشارون كما أثبت ذلك التاريخ

وتلي هؤلاء طبقة أخرى من أصحابهم وهم التابعون صارت اليهم الفتوى في الامصار فكان في المدينة سعيد بن المسيَّب وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وخارجة بن زيد الى غير هؤلاء . وتليهم طبقة أخرى منهم محمد بن شهاب الزهري المشهور وأضرابه وطبقة أخرى فيهم الامام مالك بن انس صاحب المذهب في المدينة وكان من المفتين في مكة عطاء بن أبي رَباح وطاووس بن كيسان ومجاهد بن جبر وغيرهم وتليهم طبقة ثم طبقة الى قيام الامام محمد بن ادريس الشافعي صاحب المذهب في مكة

وكان من المفتين في البصرة عمرو بن سلمة الجرمي وأبو مريم الحنفي والحسن البصري وغيرهم وتليهم طبقة فطبقة وعلى هذا تقاس بقية الامصار كالكوفة ومصر والشام وغيرها وكلها كان فيها العدد الجم من التابعين وتابعي التابعين يستشارون في الاحكام ويتناقلون الشريعة حفظا في الصدور الى أن دونت في السطور

اذا أضفنا الى هذا ان رسول الله شرع لهم الاجتهاد عند عدم وجود النص وان أبا بكر وعمر كانا لا يجتهدان في مسألة الا اذا جمعا رؤوس الناس وخيارهم لاستشارتهم وحكمنا ان بقية الخلفاء الراشدين كانوا كذلك وقسنا على ورعهم ورع من بعدهم من التابعين وتابعيهم واتباعهم سَنَن من قبلهم خوفا من تبعة التفرد بالرأي واعتصامهم بالشورى مع اهل العلم والحديث بدليل ما رواه عن قضاء الجماعة في عصرهم ابن عبدالبر في جامع بيان العلم عن المسيب بن أبي رافع الاسدي المتوفى سنة ١٠٥ قال : كان اذا جاء الشيء من القضاء ليس في الكتاب ولا السنة سمي

صوا في الامراء فيرفعه اليهم فجمع له اهل العلم فما اجتمع عليه رأيهم فهو الحق

اذا أضفنا هذا كله الى ما سبق بيانه نتج لنا منه أن القضاء في العصر الاول كان قائما بالشورى أو هو قضاء الجماعة الذي فيه كفالة الحقوق وتحري العدل والحق وهو خير من قضاء الفرد وأبقى لسعادة الامة وأضمن لبقاء الدول بلاريب

ليس المراد بقضاء الجماعة هو قضاء هيئة مؤلفة من اكثر من واحد فقط كما قد يتبادر الى الذهن بل هي بالمعنى المشترك ايضا جعل قوة التشريع القضائي مصونة عن رأي الافراد وتفردهم بالتشريع منوطة بالجماعة تثبتا من الحكم واطمئنانا للدليل واعتمادا على ما هو الاصلح عند الجماعة اذا تعذر وجود النص

ان مراعاة الاصلح قاعدة من أهم قواعد الشرع الاسلامي التي يدفع بها الحرج وتدرأ المفاسد عن المجتمع حتى لقد كان كبار الصحابة يراعون قاعدة الاصلح عند الضرورة مع وجود النص كما يأتي بيانه بعد ويتنازعون على المسألة الواحدة يجيء بها النص من عدة روايات أو يحتاج الى التفهم الدقيق تثبتا من الحكم ورغبة بمحض الخير للامة والعدل بين المتقاضين وبذلا للجهد في بيان الحقيقة للمستفتين وقد قال ابن القيم : تنازع الصحابة في كثير من الاحكام ولكن لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الاسماء والصفات والافعال - أي المسائل التي تتعلق بالايمان

قلنا إن المراد بقضاء الجماعة قوة التشريع القضائي في حيز جماعة لا فرد لان ذلك اسلم وابعد عن الخطأ واضمن للعدل وسببه ان الاحكام التي يرجع فيها الى الرأي والاجتهاد او القياس عند تعذر وجود النص او عند لزوم ترجيح رواية من الروايات تحتاج إلى شروط قلما تتوفر في الفرد الواحد وإن توفرت له فربما لا يتيسر له تحري المصلحة وتطبيق الحكم عليها من كل وجه بحيث لا يخالفه فيه غيره ممن هو في طبقته من اهل العلم

اعتبروا ذلك في أئمة المذاهب المجتهدين فانه مع بذل كل واحد منهم في تقرير فروع المذهب واصوله منتهى الجهد في تحري صحيح الآثار والاخبار وتتبع اصول الشريعة فقد اختلفوا في كثير من المسائل واختلف أتباعهم بعد ذلك اختلافهم ايضا فكان من ذلك انقسام القضاء الاسلامي على نفسه حتى وجد في

بعض العصور اربعة" قضاة لاربعة" مذاهب في مصر واحد من الامصار الاسلامية"
هذا فضلا عن اختلاف فقهاء كل مذهب أيضا في المسألة الواحدة حتى أصيب
الافتاء بما أصيب به القضاء من التشتت والانقسام واضطرب أمر العدالة أيما اضطراب
مع ان الاصل لهذه المذاهب واحد وهو الدين الاسلامي المبين

لهذه العلة الخطرة كان الصحابة الكرام لا يستنكفون عند الاستفتاء من أحدهم أن
يحيل بعضهم على بعض أو يستشير بعضهم بعضا في تقرير الحكم كما ثبت ذلك في
كتب السنة خوف الوقوع في خطأ يجر الى مظلمة أو اثم ولا سيما فيما يحتاج إلى الاجتهاد
ما لم يستشر خاصة المسلمين

***

قلت فيما سبق ان الشارع الاعظم صلى الله عليه وسلم شرع لنا مراعاة المصلحة
ولو مع وجود النص واقتدى به الصحابة الكرام في العمل بهذه القاعدة وبيانا
لهذا أقول :

لما كانت الشرائع مبنية على درء المفاسد وجلب المصالح والشريعة الاسلامية
أحرى الشرائع برعاية هذين الامرين فقد سن الشارع ايقاف العمل بالنص مراعاة
للمصلحة ولكن عند الضرورة القصوى وثبوت المصلحة ولزومها على وجه لا يقبل
الشك في أن المصلحة التي تترتب على العدول عن النص اكبر من المصلحة التي
تترتب على العمل به واستن بسنته صحابته والخلفاء الراشدون من بعده فكان ذلك
شرعا أيضا فيه تيسير عظيم على المسلمين واليكم الدليل :

في حديث لابي داود أن رسول الله نهى أن تقطع الايدي في الغزو . وانتم
تعلمون أن القطع حدٌّ من حدود الله لم يستثن النص القرآني منه الغزاة لكن النبي
نهى عن اقامته في حال مخصوصة خشية أن ينشأ عنه مضرة وهي لحاق صاحبه بالعدو
وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم عدة اخبار أخرى من هذا القبيل لا محل لذكرها
هنا وهي مبسوطة في كتب الحديث

وقد استنَّ الصحابة بسنته وأوقفوا الحدود في أحوال مخصوصة تدعو اليها
الضرورة

جاء في كثير من كتب الاخبار ان عمر كتب الى الناس ألا لا يجلدن امير جيش ولا سرّية ولا رجل من المسلمين حدا وهو غاز حتى يقطع الدرب لئلا تلحقه حمية الكفار

وروى ابن القيم في إعلام الموقعين عن ابن حاطب بن أبي بلتعة ان غِلمة لابيه سرقوا ناقة لرجل من مزينة فأتى بهم عمر فأقروا فأرسل الى عبد الرحمن بن حاطب فجاء فقال له ان غلمان حاطب سرقوا ناقة رجل من مزينة وأقروا على انفسهم فقال عمر يا كثير بن الصلت اذهب فاقطع ايديهم فلما ولى بهم ردهم عمر ثم قال أما والله لولا اني اعلم انكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى ان احدهم لو اكل ماحرم الله عليه حل له لقطعت ايديهم وأيم الله إن لم افعل لاغرمنك غرامة توجعك ثم قال يامزني بكم اريدت منك ناقتك ؟ قال بأربع مئة قال عمر (اي لعبد الرحمن) اذهب فأعطه ثمان مئة

وغير هذا فقد أسقط عمر الحد في عام المجاعة للضرورة وتجاوز ابو بكر عن خالد بن الوليد في حادثة مالك بن نويرة اذ قتله دون تثبت من اسلامه كما تجاوز عنه رسول الله قبل ذلك بما صنعه ببني جذيمة لما أرسله داعيا لا محاربا فذهب اليهم وحاربهم وقتل وسبي منهم فبرئ رسول الله من عمله الى الله ولم يؤاخذه به وماذلك الا لحسن بلاء خالد في الحروب وخدمته العظيمة في الاسلام

وكذلك أسقط سعد بن أبي وقاص الحد عن أبي محجن في حرب القادسية في خبر مشهور طويل لامحل لذكره هنا وقال والله لا أضرب اليوم رجلا أبلى المسلمين ما أبلاهم

والشواهد على هذا من أعمال النبي وأصحابه كثيرة لا يتسع لها مقام الخطابة ولعل هذه القاعدة سوغت بعد لبعض الحكومات الاسلامية التجاوز عن الحدود والعقوبات البدنية كالسن بالسن والعين بالعين واستبدلت بها العقوبات الادبية كالحبس والتغريم مثلا لضرورة تغير الزمان أو لفشو المنكرات فشوا لم ينجع في تأديب مرتكبها الا حبس حريتهم في السجون أو غير ذلك من الدواعي والاسباب الزمانية ليس فيما ذكر غض من مقام الشريعة أو مس لاصولها المقدسة مادام من أصولها

وقواعدها أيضا العدول عن النص عند ثبوت المصلحة أو درء المفسدة بأقل ضرراً منها والشريعة كما تعلمون مبنية على المصلحة وقد سبق الله تعالى رسوله والائمة من بعده الى تقرير قاعدة مراعاة الاصلح وهو مايسمونه النسخ وما هو بنسخ وانما هو تقرير حكم اقتضته مصلحة زمان وحال غير حكم آخر في زمان تقدمه وأحوال اقتضته كحكم جهاد المشركين من العرب في مبدأ امر الدعوة لحمايتها وحماية المسلمين من اعدائهم واعدائها وفيه الاذن بقتالهم حتى يقولوا لا إلٓه الا الله ثم تقرير حكم آخر بعده أي بعد ان انتشرت الدعوة وقوي جماعة المسلمين وصاروا في مأمن من غائلة الضعف وهو حكم الدعوة بالتي هي احسن كما في قوله تعالى (أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) وقوله (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وقوله (افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) الى غير ذلك من الآيات الكثيرة

وكحكم النهي عن الصلاة في حال السكر في قوله تعالى (لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون) وكان هذا في احوال اقتضته ثم جاء حكم التحريم بتاتا في أحوال اقتضته ايضا

و بالجملة فان ملخص ماتلوته عليكم ينحصر كله في المقدمات الآتية :

(الاولى) ان القضاء في العصر الاول كان مرجعه نصوص الشريعة أي اصولها التي قررها الشارع واجتهاد الصحابة والتابعين فيما لم يرد به نص

(الثانية) ان الاحكام التي جاءت عن الشارع لم يكن في استطاعة فرد واحد حفظها او يتعذر على الواحد الاحاطة بها فاحتيج في القضاء الى استشارة حفاظها

(الثالثة) ان الصحابة كانوا قد يختلفون في المسألة الواحدة اما في تطبيق النص او مسوغ الحكم اذا كان اجتهاديا تثبتا من وضع الشيء في محله جهد الامكان

(الرابعة) انهم كانوا يعدلون عن النص عند الضرورة الداعية وفي احوال مخصوصة تدعو اليها المصلحة التي بني عليها الشرع اقتداء بالشارع

(الخامسة) ان ورعهم وتقواهم وخوفهم من الوقوع في الاثم كل هذا كان يدعوهم الى عدم الانفراد بالحكم ومشاركة خيار المسلمين وعلمائهم في تطبيق الاحكام اذا كانت اجتهادية على القياس الصحيح او الرأي السالم من خطأ الفرد

هذه المقدمات تنتج نتيجتين مهمتين احداهما أن القضاء في الاسلام كان قضاء الجماعة لاقضاء الفرد على نحو ماسبقت الاشارة اليه كثيرا

والثانية أن الشريعة الاسلامية بما تقرر فيها من قاعدتي الاجتهاد ورعاية الاصلح كانت من الشرائع التي توافق كل زمان ومكان وتجيز لكل ضرورة حكما يوافق مقتضى المصلحة والحال وان خالف النص مع اعتبار هذه القاعدة شرعا أيضا خلافا لما يتقوله عليها المتقولون من أنها شريعة ضيقة توافق زمانا غير زماننا هذا ومكانا غير مكان الامم الراقية لهذا العهد فهي اذا صلحت لاهل ذلك العصر لاتصلح لعصر تسير شرائعه مع مقتضيات المدنية الحديثة وحاجاتها سيرا تدريجيا في كل مايقتضيه ترقي المجتمعات . ومنشأ قولهم هذا الجهل بحقيقة الشريعة الاسلامية وعدم الوقوف على أصولها وقواعدها وكلياتها يساعدهم على ذلك مايرونه من تعصب بعض علماء الشريعة المقلدين لما جاء في كتب الفروع دون الاصول وردهم لكل مالم يرد فيها من أسباب التيسير وان ورد في أصول الشريعة وكلياتها مع ان في كتب الفروع من الاحكام التي لاتستند الى دليل قطعي مالا يعد ومبناها الاجتهاد أو الرأي والقياس ومع هذا فانهم يفضلون العمل بهذه الاحكام على الرجوع الى أصل الشريعة مهما كان فيها من التقليد والتضييق على أنفسهم والامة ومهما ترتب على ذلك من التهم الباطلة التي يرمينا بها الباحثون في طبائع الاجتماع

وحجة هؤلاء العلماء في هذا سد الذريعة أو خوف انتشار دعوى الاجتهاد اذا فتح بابه وتطرق الفساد الى الشريعة وهي حجة معقولة ومسلمة لايخالفهم فيها عاقل لكن فيما لو صارت قوة التشريع أو الاجتهاد الى الافراد وأطلق العنان لكل قائل أن يقول هذا حكم الله ورسوله ولكل حاكم أن يحكم بما يرى ويقول

ومعاذ الله أن يريد هذه الفوضى للشريعة الاسلامية عاقل قط وانما المراد أن ينظر في المسائل التي يقتضيها تغير الزمان وتجدد المصالح والحاجات على شرط عدم الوقوع في ذلك المحذور الذي يخشاه العلماء وذلك بأن تناط قوة التشريع أو الاجتهاد على المسائل الطارئة في كل عصر بجماعة من أهل العلم الواقفين على دقائق الكتاب

والسنة والعارفين بحاجات الامة ليقرروا لها الاحكام الموافقة لمقتضى الحال ثم تنال هذه الاحكام تصديق أهل الحل والعقد فتصبح قانونا رسميا يتحتم العمل به في الحكومة الاسلامية التي هي في حاجة اليه لايعدل عنه الى غيره من أقوال الفقهاء والعلماء وان مجتهدين فتضبط بهذا قوانين الشريعة ويؤمن عليها من تطرق الفساد ثم يكون من ذلك ان تحدد هذه القوانين تحديدا يغني عن الرجوع الى كتب الفقه التي تختلف في المسألة الواحدة اختلافا كثيرا يؤدي في كثير من الاحيان الى التهويش على القضاء ويكفي ان تكون تلك الكتب شروحا لقوانين الشريعة المعمول بها يومئذ يرجع اليها عند الضرورة والحاجة الى تفسير نصوص ذلك القانون كما هو الشأن في مجلة الاحكام العدلية المعول عليها في محاكم الدولة العثمانية دون غيرها ولهذا البحث تتمة سآتي عليها في الكلام على القضاء في دوره الثاني وها أنا ذا متكلم فيه :

* * *

قلت فيما سبق إن القضاء في الاسلام له دوران دور العمل بالاصول ودور العمل بالفروع وانما اخترت هذا التقسيم لاختصار الطريق أو اختصار البحث خوفا من تعب القارىء والسامع مع ان أدواره بعد دور التشريع الاول كثيرة جدا اذا اعتبرنا تقسيمه الى طبقات المفتين والمحدثين من الصحابة والتابعين ثم الائمة المجتهدين ومن بعدهم من طبقات الفقهاء والمقلدين من اتباع كل مذهب نعتبر ذلك بما قسموا اليه طبقات الحنفية مثلا فقد قالوا انهم ينقسمون الى ست طبقات : الطبقة الاولى طبقة المجتهدين في المذهب كأبي يوسف ومحمد وغيرهما من أصحاب أبي حنيفة القادرين على استخراج الاحكام من القواعد التي قررها الامام .

والثانية طبقة المجتهدين في المسائل التي لا رواية فيها عن صاحب المذهب كالخصاف والطحاوي والسرخسي والحلواني والبزدوي وغيرهم وهم لايقدرون على مخالفة امامهم في الفروع والاصول لكنهم يستنبطون الاحكام التي لا رواية فيها على حسب الاصول

والثالثة طبقة اصحاب التخريج القادرين على تفصيل قول مجمل وتكميل قول محتمل من دون قدرة على الاجتهاد

والرابعة طبقة أصحاب الترجيح كالقدوري وصاحب الهداية القادرين على تفضيل بعض الروايات على بعض بحسن الدراية

والخامسة طبقة المقلدين القادرين على التمييز بين القوي والضعيف والمرجح والسخيف كاصحاب المتون الاربعة المعتبرة

والسادسة من دونهم الذين لا يفرقون بين الغث والسمين والشمال واليمين

فلو تتبعنا الكلام على هذه الطبقات والادوار التي مرت على الشريعة بالتفصيل لاحتاج ذلك الى كتاب مطول ورجل اعظم رسوخا مني في العلم و وقوفا على تأريخ القضاء لذا حصرت الكلام على القضاء من الوجهة الاجمالية في دورين واذ قد مضى الكلام على الدور الاول فها أنا ذا أتكلم على الدور الثاني على قدر مايمكنني من الاختصار

***

لما اتسعت دائرة الفتح وانتشر الاسلام في الممالك القاصية وتفرق حفاظ الشريعة ورواتها في الانحاء مع اتساع دائرة القضاء بازدياد وسائل الحضارة واستبحار العمران وتجدد الحوادث التي يقتضيها تشعب المعاملات وحال الامم الداخلة في الاسلام من غير العرب وخيف لهذا من تشتت أحكام الشريعة ودخول الفوضى في القضاء والافتاء احتيج بالضرورة الى أمرين مهمين : الاول تدوين الشريعة في الكتب . والثاني وضع قواعد للتفريع عن اصول الشريعة لتطبيق الحوادث التي تحدث في احكام المعاملات على قوانين الشرع . وأول من تنبه للحاجة الى هذين الامرين على ما أظن عمر بن عبد العزيز الخليفة العادل الاموي وسدا للحاجة الاولى أمر الزهري من جلة التابعين وحفاظهم بتدوين الحديث في دفاتر وتوزيعها على الامصار في أواخر القرن الاول ففعل كما هو مشهور معروف

أما الحاجة الثانية فقد شعر بها ولكن سدها بعده الائمة المجتهدون بدليل ماروي

عن الامام مالك بن أنس انه قال قال عمر بن عبد العزيز : يحدث للناس من الاقضية بقدر ما يحدث لهم من الفجور

أدرك هذا عمر بن عبد العزيز وأدركه الائمة المجتهدون من بعده مالك والشافعي وأبو حنيفة واحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المذاهب التي لم يبق لها أتباع لهذا العهد كداود الظاهري وغيره وكأئمة الشيعة الذين يعمل بمذاهبهم الى اليوم زيد بن علي وجعفر الصادق وغيرهم فلم يكتفوا بتدوين السنة في الدفاتر والكتب بل رأوا الحاجة تدعو الى البيان والتفصيل والتفريع والترتيب فعمدوا الى النظر في أصول الشريعة من الكتاب والسنة فاستخرجوا منها الاحكام ووسعوها ورتبوها ودونوها كل على أصول مذهبه وقواعده وأصول الاجتهاد المعروفة في كتب الاصول مما لا يسعني بسطه الآن وكلكم أعرف مني به فضبطوا بذلك قوانين الشرع بما بلغه اجتهادهم وأدى اليه جهدهم فكانت كتب كل مذهب شرعا يعمل به أتباعه الى اليوم

ولسنا بصدد اطراء هذا العمل الجليل الذي قام به أولئك الائمة الكبار وحسب هذا العمل أو هذه الخدمة التي خدموا بها الامة والشرع انها تصون منزلة الافتاء والقضاء عن متناول كل من ادعى أن عنده مسكة من العلم بالدين والوقوف على السنة هذا لو أحسن العلماء بعد العمل بقوانين الفقه

ثم قد انتقد كثير من أئمة السلف ماصار اليه الحال بعد وضع كتب المذاهب من ترك أصول الشريعة والذهاب مع التقليد البحت لكن لم يكن هذا الانتقاد موجها الى الائمة المجتهدين الا فيما أخطأ فيه اجتهادهم وانما كان جل الانتقاد موجها الى من جاء بعدهم من الفقهاء والمقلدين لتنزيلهم كلام الأئمة منزلة اصول الشريعة والعمل بأقوالهم ماأصاب منها وما أخطأ بلا بحث في الدليل مع أن الأئمة انفسهم نهوا عن العمل بقول من أقوالهم دون معرفة دليله من أصول الشريعة كما تعلمون

أراد الائمة المجتهدون أن تكون طريقتهم في التفريع مهيعا يسير فيه العلماء في قياس الحوادث بعضها على بعض وردها الى اصولها عند تجدد الحوادث سدا لحاجة المتقاضين . وأطالوا في الاستقصاء والبيان والتفريع كي لا يدعوا وجها تهجم كل أمرىء

على أصول الشريعة من الكتاب والسنة ليقي بعلم و بغير علم فيصير القضاء الى الفوضى والتشتت بعد انقراض طبقة حفاظ الشريعة من التابعين وتابعي التابعين واتساع دائرة الاسلام اتساعا يفتقر معه المسلمون الى قوانين قريبة التناول من الفهم . لكن أساء من جاء بعدهم من اتباعهم من العلماء فهم الغاية فألقوا بأنفسهم في نفس الخطر الذي أراد اتقاءه الائمة المجتهدون اذ ساروا في سبيلين متباينين سبيل التضييق على أنفسهم الى مالا يبلغ بهم أدنى الحد وسبيل التوسع الى مايتجاوز كل حد !

حرموا في الاول على أنفسهم الاجتهاد ولو في المسائل التي تدعو اليها الضرورة والمصلحة العامة التي هي من قواعد ومقاصد الشرع الاسلامي فكان من ذلك ان أحرجوا الامة والجأوا بعض الحكومات الاسلامية لهذا العهد الى العمل ببعض القوانين المقررة عند الامم الاوربية خصوصا الجنائية والتجارية

وتوسعوا في الثاني حتى ملأوا بطون الكتب بالحواشي والشروح يؤتى فيها بعدة أقوال في المسألة الواحدة ولو تافهة أو من قبيل تقدير المستحيل وكل هذه الاقوال تعتبر شرعا أو شريعة وتركوا العمل بالصحيح منها أو الاصح أو المفتى به أو المعول عليه الى رأي القضاة فكان من ذلك ان اطلقوا لقضاء الفرد العنان بلا شرط ولا قيد فوقعوا وأوقعونا فيما أراد دفعه الائمة المجتهدون وحرم المسلمون من قضاء الجماعة الذي هو كفيل بالعدل وذلك منذ انقضاء العصر الاول الى اليوم

نعم إن اختلاف الاقوال في المسألة الواحدة وكثرة الحواشي والشروح على القوانين والشرائع موجودة عند كل أمة فالقانون الفرنسي مثلا له شراح من المتشرعين وأشهرهم دالوز وكار بانتيه وسيريه وغيرهم كثيرون الا أن القضاء عند تلك الامم لما كان بيد الجماعة وقوة التشريع ليست من حق فرد من الافراد بل من حق الامة ونوابها فدستور العمل عندهم ماأجمعت على وضعه قوة التشريع وصادقت على قبوله الحكومة فصار قانونا للقضاء لا يعدل عنه الى تلك الحواشي والشروح وآراء المتشرعين و يصار اليها الا لتفسير مبهم أو تطبيق الحوادث بعضها على بعض

لشريعة المسلمين أصول وكليات كما قلنا في صدر الكلام تعتبر أساسا للتشريع ومع أن أحكامها مسلمة فقد كان العمل بها في عهد الصحابة بالشورى بين المتفقهين

منهم هذا فيما نص منها على مايرد عليهم من النوازل فما بالكم فيما أحتاج الى الاجتهاد والتشريع بالقياس على تلك الاصول أو الاستنباط منها وقد سمعتم فيما مر أنهم كانوا لا يحكمون حكما الا بعد استشارة خيار الامة وعلمائهم واقرارهم جميعا على ذلك الحكم حتى اعتبر بعض الائمة المجتهدين بعض احكام الصحابة لقوتها شرعا أو أصلا من الاصول التي يبني عليها التفريع سموه عمل الصحابة أو اجماعهم كما سبقت الاشارة اليه وكما ترون ذلك في كتب الاصول

اذا كان اجماع الصحابة على مسألة شرطا في صحتها واعتبارها شرعا يلزمنا العمل به فقد لزم من هذا أمران :

الاول ان اجماع الجماعة على تقرير حكم في مسألة شرط في صحة ذلك الحكم واعتباره شرعا لزمنا العمل به وهو ماتفعله الامم الاوربية في تقنين قوانينها لهذا العهد وقد وجد له اصل في الشرع الاسلامي فتركناه وأصبحنا نغبط الامم الاوربية وقوانينها أو قضاء الجماعة عندها لهذا اليوم

والامر الثاني أن كل اقوال الفقهاء واختلافاتهم الواردة في كتب الفروع ليست بشرع الا من حيث اشتمالها على أحكام يرد بعضها الى أصول الشريعة إلا أنه غير متوفر فيها شرط التشريع الذي مر . وإناطة ترجيح قول دون آخر من حيث قربه من الاصل بشخص واحد لا يكسب هذا القول أو الحكم قوة التشريع ليسمى شرعا أو قانونا وجب العمل به الا اذا اتفق عليه وقرره جمهور من المشرعين أو المرجحين وهذا ما أردته من وجوب بقاء الاجتهاد لكن لا ليتناوله من شاء فيما شاء ! كلا بل ليناط بجماعة من علماء المسلمين تقرير الاحكام التى تدعو اليها المصلحة وتتجدد بتجدد الزمان

ولذا فان اجتهاد الجماعة كما انه لازم في الاصول فهو لازم في الفروع أيضا وذلك لجمع اقوال الفقهاء على اختلاف مذاهبهم ما أصاب من تلك الاقوال محجة الصواب والمصلحة ووافق اصول الشريعة من الكتاب والسنة والاجماع والقياس الصحيح في كتاب بعينه يعتبر قانونا في المعاملات مجمعا عليه من العلماء ليعرف منه كل مسلم ماله من الحقوق وماعليه لا تتقاذفه أقوال الفقهاء من خلاف لآخر ومن قول

لتقيضه فتصير به الى اهواء القضاة والمفتين يحكمون بما ترجح لديهم وبما يشتهون

وليس اختلاف المذاهب بمانع من أن يحكم للشافعي أو عليه بقول الحنفية أو المالكي بقول الشافعية مثلا اذ كل أتباع المذاهب أبناء دين واحد وكل أقوال كتب الفقهاء مأخذها واحد وهو الشرع والواقع يثبت أن أحكام المعاملات كانت في أكثر الممالك الاسلامية ولم تزل الى اليوم جارية في القضاء على مذهب الدولة الحاكمة وربما كان اكثر الرعية من أتباع مذهب غير مذهبها

ومع هذا فليس ثمة نكير من العلماء على أهل الدولة فلا سبيل لهم الى النكير على القائلين بلزوم جمع الاقوال الموافقة لمقتضى المصلحة والعصر من كتب المذاهب وجعلها قانونا جامعا في المعاملات للمسلمين بل هذا خير وسيلة لاصلاح القضاء وبما اغتفرت الفقهاء ماضي تفريقهم وحدة الامة باسم التعصب للمذهب وكانت خاتمة اضطراب نظام القضاء في الاسلام

ليس اضطراب حبل القضاء في الاسلام بجديد وليس الظلم والعسف الذي لاقاه المسلمون من حكامهم الظالمين وحكوماتهم الجائرة الا نتيجة تركهم على ضعف القضاء خصوصا ما يتعلق منه بولاية المظالم لا لنقص في الدين أو الشريعة بل لنقص في طرق التقنين والتنفيذ

إن الدين الذي ينزل على الظالمين صواعق الانذار ويقرن الظلم بالشرك بالله تعالى ويأمر باقامة ميزان العدل ويريد سعادة المجتمع الذي يدين به ما كان ظالما ولن يكون وانما المسلمون أنفسهم يظلمون

وبما يطالبني كلكم أيها السادة بدليل على قولي ان اضطراب نظام القضاء وما نشأ عنه من الجور ليس بجديد في الاسلام وهذا الطلب من حقكم بعد هذا الكلام واليكم دليلا واحدا اكتفي به عن أدلة لو أحصيت لكانت كتابا ليس كالكتب مما تقرؤن

تعلمون أن أحفل العصور الاسلامية بالعلماء والمفتين والفقهاء والمتشرعين وأرقاها في سلم المدنية الاسلامية عصر هارون الرشيد العباسي اذ الشريعة في إبان

زهوها والتفريع في مبدأ مجده والأئمة المجتهدون هم القائمون بالتشريع والى كتبهم ترجع الفتوى

في ذلك العصر الزاهر بمجد الاسلام وأمجاده العظام يرى أبو يوسف صاحب أبي حنيفة من ضعف القضاء وتسلط عمال الجور واضطراب نظام ولاية المظالم ما يلجئه الى وضع كتاب الخراج لامير المؤمنين هارون الرشيد وليس فيه الا آية أو حديث أو مثال من قضاء الصحابة أي كلام من أصول تلك الشريعة الطاهرة يذكره فيه بالرجوع الى قضاء الله ورسوله واصحابه أو قضاء الجماعة المتين قائلا : ارجع يا أمير المؤمنين الى هذه الاصول في سياسة الرعية وجباية الخراج وتوزيع الفيء ، اقعد يا أمير المؤمنين بنفسك للمظالم وإنصاف المحكوم من الحاكم ، ادرك الزراع فقد كاد يهلكهم الظلم فقد بلغني عن عمالك انهم يقيمون اهل الخراج في الشمس ويضربونهم الضرب الشديد وانهم يفعلون بهم ويفعلون مما لا يحل لهم بوجه من الوجوه !.

هكذا كان الحال في عصر الرشيد وأئمة الشريعة أحياء يرزقون فما بالكم بما جاء بعده من العصور التي صار فيها التشريع الى عدد لا يحصى من المخرجين والمرجحين والفقهاء والمفتين وكلهم يقول قولي أو قول فلان هو شريعة الله المفتى بها والمعول عليها وما هو الا تفكك نظام القضاء وتشتت قوة الجماعة فلا حول ولا قوة إلا بالله !

والنتيجة أيها السادة أن ضمان العدالة الوحيد انما هو قضاء الجماعة لا قضاء الفرد وأعني ان التشريع وحده غير كفيل بالعدل في القضاء إلا اذا أنيط كلاهما بالجماعة بالوضع والتنفيذ . ولا تظنوا ان هذا «المطربش» الواقف أمامكم يريد شيئا جديدا في الدين أو قلبا لكيان الاحكام مع انه ليس من علماء الدين ولا أئمته المجتهدين

كلا فليس قضاء الجماعة بجديد في الاسلام بل هو من عصر الصحابة وهم واضعو أساسه المتين في الدور الاول للقضاء في الاسلام

أما الدور الثاني فالذي أذكره أن دولتين من دول الاسلام تنبهتا اليه وحولتا

عليه اولاهما دولة الامويين في الاندلس التي جعلت في القرن الثالث دارا في قرطبة لشورى القضاء اعضاؤها من جلة العلماء يرجع اليهم في تقرير الاحكام

والحق أقول اني لم أظفر بكثير بيان عن هذه الشورى لكن مارأيته عنها في ثنايا الكتب التأريخية يكفي للدلالة عليها فقد ورد ذكرها في نفح الطيب في ترجمة بعض العلماء كقوله كان فلان مشاورا وطلب فلان الى الشورى فأبى ونقل الي ثقة عن كتاب من الاسف انه غير موجود بين يدي بل هو في مكتبة دمشق وهو كتاب الاحكام للقرطبي وردفيه ذكرهذه الشورى بقوله: ان الشورى خالفت الامام مالكا في عدة أحكام أخذت فيها بقول أبي القاسم

وفي هذا دليل كاف على انه كان لديهم سلطة في التشريع وان الدولة الاموية ثمة كانت مسددة الاعمال حتى قبيل وهنها وسقوطها حريصة على اجراء قوانين العدل بين رعيتها

أما الدولة الثانية التي تنبهت الى مثل ماتنبه اليه الامويون فهي الدولة العثمانية لهذا العهد فانها جمعت من علماء الامة وفقهائها الموثوق بفضلهم وعلمهم جماعة سمتهم جمعية المجلة وذلك من بضع وثلاثين سنة انتخبوا من كتب المذهب الحنفي قانونا جامعا لاحكام المدنية وهو المعروف بمجلة الاحكام العدلية وأقر على العمل به أهل الحل والعقد فصار مرجع القضاء في المحاكم الى اليوم وستجتمع هذه الجمعية أيضا لادخال بعض الزيادة والتحرير عليه مما مست اليه الحاجة ولو بأخذه من غير المذهب الحنفي

هذا مجمل تأريخ القضاء في الاسلام وما تخلله من الشؤون بسطته لديكم مع رجائي ان تصفحوا عن كل خطأ بدر مني أو تردوه ولو سمح الوقت لاتيت على شيء كثير من كيفية تقسيم ولاية القضاء وترتيبها ومحاسن الفقه الاسلامي وما انتقد عليه وانه لو أحسن العلماء العمل به لكان لنا منه قانون جامع لا حسن قوانين الامم المدنية وربما أعود الى هذا البحث في فرصة أخرى ان شاء الله

﴿ تصنيف كتب في الكلام ملائمة لحاجة العصر ﴾

توحيد المذاهب الاسلامية

﴿ اصلاح نظام التعليم في المدارس الدينية ﴾

ألقى أستاذنا الفاضل موسى كاظم افندي العضو في مجلس الاعيان ، والاستاذ في مدرستي الحقوق والقضاة — محاضرة في هذه الموضوعات الثلاثة ، فضبطها عنه حضرة الاديب حسين أشرف بك أديب صاحب مجلة «صراط مستقيم» التركية ، فرأيت أن أترجمها لقراء مجلة المنار النافعة بما يأتي :

كان الراسخون في العلم من أهل الصدر الاول للاسلام يكتفون بظاهر المعنى الذي دل عليه الكتاب والسنة ، ويرجعون الى صاحب الرسالة في كل ما يشتبهون به من المسائل على عهده . ولهذا لم تضطرهم الحاجة الى وضع المصنفات ومراجعة الاسفار

ثم ظهر الاختلاف على عهد التابعين ، فرأوا أن يدونوا الكتب احتفاظا بوحدة الدين من وقوع التفرقة ، وبعدا بها عن مزالق الانشقاق وفقدان القوة — اذا تشتت آراء ذوي الرأي ، واختلفت أنظار أهل النظر ، وهنالك الطامة الكبرى ، والخسران العظيم

فأخذوا يدونون العلم ، وأكثر مادونوا كان في علم الكلام ، لانه هو منشأ الخلاف ، فكان لذلك فائدة عظيمة

على أن الفلسفة لم تكن قد دخلت بادىء بدء في المصنفات الاولى ، لان الامة لم تكن قد عانتها بعد ، بل كانوا يبرهنون على مذاهبهم بنص من الكتاب

والسنة ، وهي طريقة علماء السلف ، ولم يكن ذلك العصر في حاجة الى أكثر من ذلك

ثم انتقلت علوم الفلسفة الى العربية ، فتشعبت الآراء طرائق ومذاهب ، وعرف أبناء هذه اللغة لاول مرة ماهية مذهب « الفلاسفة المشائين » وآراء « الفلاسفة الطبيعيين » ، وأخذوا يدخلون فيها ، ويقولون بقول أصحابها على قلة عددهم ، لولا أن المشائين تغلبوا على الطبيعيين من حيث اقبال الطالبين على كتبهم ، حتى اضطر علماء الدين الى مناهضتهم جميعا ، وانقاص ما لهم من السلطة والنفوذ في قلوب الدارسين والمفكرين ، ومن الردود على المشائين والاشراقيين تألف علم الكلام ممتزجا بالفلسفة كما اقتضت الحاجة . لان علماء الكلام كانوا يدرسون كتب الفلاسفة أولا ، ثم يردون عليها ، الى أن كسدت سوق « الفلسفة الاشراقية » ، وكثر انتقاد اقوال المشائين فدالت دولتها ، وانقرضت سلطتها ، ولم يبق لها ولي ولا نصير

لم تكد تلقي هذه الحرب أوزارها ، حتى كان لعلماء الكلام من ظهور « الماديين » في هذا العصر ميدان آخر للنضال والكفاح ، فبهؤلاء يجب أن نشتغل اليوم كما كان اسلافنا يشتغلون بالطبيعيين والمشائين والاشراقيين بالامس

ورب قائل يقول : كيف يجوز لنا أن نزيد من عندنا في علم الكلام ما لم ينص عليه من قبلنا؟ أوليس من الواجب علينا ان نتبع الاولين في ما قالوه، ونسلك السبيل الذي انتهجوه ؟

فنجيبه بأن الفلاسفة الذين عني السابقون من المتكلمين بتزييف أقوالهم لم يبق في زماننا من يذهب الى صحة نحلهم ، واذا كانت براهين اسلافنا سلاحا قاطعا لتلك المزاعم ، فأين من يحارب لنصده بها ، وهذا الميدان خال منهم على حين نرى جهة أخرى غاصة بأعداء آخرين لا يعمل فيهم ذلك السلاح ، أو هو لا يقابل الاسلحة التي يستعملونها ، والحاجة ماسة إلى اختراع سلاح آخر يصلح أن نقابلهم به .

لا يوجد اليوم علماء معروفون يقولون إن العالم ثلاث عشرة طبقة كرية الاولى تراب والثانية ماء والثالثة هواء والرابعة نار والافلاك بعد ذلك تسعة متواليات بعضها فوق

بعض وانها أزلية أبدية في نوعها وفي جنسها ، وهي بهذا الاعتبار قديمة .

فاذا قلنا للفلاسفة اليوم : انكم كنتم تزعمون قبل عصور أن الارض وما عليها قديم ولدينا حجج تدحض مدعاكم وتبرهن على حدوث الارض وماعليها، أجابونا قائلين : كلا نحن لا نقول بقدم الارض ، بل نذهب إلى ماتذهبون اليه من أنها حادثة .

ومن منهم يصغي الينا إذا قلنا له : إنك تقول برأي بطليموس من أن الافلاك تسعة متداخلة أزلية أبدية . وهو يرى « أن هذا الفضاء لانهائي ، ولا نهاية لما فيه من الاجرام ، وهي حادثة من حيث صورها ، ولا قديم فيها إلا اجزاؤها الفردة » وربما سخر منا عندما نبرهن له على فساد مالا يعتقد صحته .

فمن الواجب علينا إذاً اصلاح الدروس الكلامية وفقا لحاجة هذا العصر وأهله ، ووضع مصنفات جديدة في دحض مذاهب هذه الازمان . وأن نعلم أن الدين لا يناضل عنه اليوم بسلاح الامس ، لما بين العدوين من البون الشاسع والفرق العظيم .

كان المشاؤن يعترفون بوجود الله تعالى وأنه العلة الاولى ، وواجب الوجود ، ولكنهم كانوا يقولون : هو فاعل مضطر ، لا فاعل مختار . أما الماديون في هذه الايام فلا تقنعهم براهيننا على ذلك لانهم لا يسلمون بوجود الله سبحانه . وكان الحكماء يقولون : ان الله واحد حقيقي . وباطل وصفه بتلك الصفات المتعددة لانها تنافي الوحدة . فهو قائم بذاته ، عالم بذاته ، قادر بذاته ، مريد بذاته ، والعلم عين الذات ، والقدرة عين الذات ، إلى غير ذلك من الصفات الاخرى ، وبهذا قالت المعتزلة .

أما الماديون فهم يضحكون منا إذا برهنا لهم على أن الله عالم بعلمه ، قدير بقدرته مريد بارادته : لاننا متخالفون معهم من حيث المبدأ الذي يجب علينا ان نقربهم الينا فيه بوضع كتب حديثة تصلح لاقناعهم ، ولا يتسنى لنا ذلك إلا بدرس فنونهم ، والزامهم بأقوالهم وآرائهم .

***

وبعد فان الاسلام قد مني باختلافات ذهبت بأهله مذاهب كثيرة باد أكثرها وبقي بعضها ، فالشافعية والحنبلية والمالكية يخالفوننا نحن معشر الحنفية بالفروع وإن

كانوا كلهم أهل سنة . فمن الواجب علينا ان لا ننزل هذا الاختلاف بمنزلة الخصومة فنعد الشافعي خصما لنا ، بل الصواب أن نرى لنا مالنا ، ويرون لهم مالهم . وربما كان الحق في جانب أحد الطرفين مرة ، وفي الجانب الآخر تارة أخرى . لان المسألة مسألة اجتهاد ، والاجتهاد يبنى على الادلة الظنية التي يستدل بها كلا الطرفين ولا فرق في ذلك بينهما . ولذلك نصوا على ان الاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد .

كانت هذه الحال مدعاة التفرقة وانشقاق القوة ، ومباينة لما أمر الله به من الاعتصام بحبل الاتحاد والاجتماع ، وما أشد ضرر التخاصم في المذاهب والفروع ؟...

وفي الاسلام اليوم غير هذه المذاهب مذهب آخر وهو مذهب الشيعة ، والعداوة بينهم وبين السنيين شديدة ، وفي نظري ان هذا العداء أمر منكر يجب إزالته ليتسنى للمسلمين أن يتحدوا وإلا التهمهم الغرب قبل مرور نصف عصر ، وكانت القاضية على المسلمين اجمعين .

اجل ! يجب علينا أن نعتصم جميعا بحبل الله ، ونتحد مع كل قائل بوحدة الله ، ونبوة رسول الله ، ونحاول بعد ذلك تقويم الاود ، وإرجاع المنحرفة إلى أصلها ، ومجادلة أهل المذاهب الاخرى لا كما يجادل العدو العدو ، بل بالتي هي أحسن ، وذلك بأن يجتمع العلماء من كل فريق ، ويقول بعضهم لبعض : تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم نتجنب ماتقوم الحجة على بطلانه ، ونعمل بما تبرهن الادلة على صحته . وفي يد كلا الفريقين كتاب الله يؤمنان به وبمن أنزله وبمن نزل عليه . وبهذا ينجو المسلمون مما منوا به من التفرقة والانشقاق ، وأنا الكفيل بأن المسلم لا يلبث أن يذعن للحق ولو مهما بعد عنه .

واني أقص عليكم هنا تفاصيل مناظرة دارت بيني وبين أحد علماء الشيعة وكان متعصبا وعلى مكانة من الجد في وقت واحد . فبادرته أنا سائلا :

— أين هو موضع النزاع بيننا وبينكم ، وفيم ترتابون من عقيدتنا ؟ فأجابني :

— الخلافة هي موضع النزاع . . . قلت له :

— إن هذه المسألة في رأيي ليست مما يستحق النزاع . قال :

— كلا بل هي ذات شأن عظيم لا ينكر فهي التي قضت على الاسلام ،

وشتت شمل المسلمين ، وقلبت بالدين رأسا على عقب . . . إن الخليفة بعد النبي كان يجب أن يكون عليا . فأجبته :

— تلك دعوى لا نسلم بها مالم يقم على صحتها برهان ساطع ، فما هو برهانكم على ذلك ؟

وهاهنا عدد اشياء كثيرة كانت كلها واهية في نظري . و بعد أن أصغيت إليه كثيرا قلت له :

— ليس كل هذا مما يتألف منه دليل واحد ، لان ماقلته لا يفيد إلا الظن ، و إن الظن لايغني من الحق شيئا . أنت سردت على مسامعي قضية هي من المطالب اليقينية ، وأنى لمثلها من مسائل الاعتقاد أن يبرهن عليه بشيء من الظن الذي ربما كان مقنعا في مسائل الفروع

فترك صاحبنا هذه السبيل وانتهج منهجا آخر تكلم فيه اكثر مما تكلم من قبل ولكن هذا أيضا كان واهيا . فقلت له حينئذ :

إني أدعي انه لم يؤثر عن النبي قول يستدل به على تعيين خليفة باسمه ، و برهاني على ذلك أنه لو كان ثمة قول صريح في هذا الباب لما اختلف الصحابة في ذلك الامر ، وهم على ما هم عليه من التمسك بسنته ، والخنوع لطاعته

أجل ! لم يصرح النبي بذلك لان المهاجرين والانصار وقع بينهما على الخلافة اختلاف كان من نتيجته أن قال الانصار : « منا أمير ومنكم أمير » فدحض الصديق ماطلبوا بحديث « الائمة من قريش » فأجابوه : إذاً لم يبق بيننا مدعاة للخلاف بعد هذا . ومن ذلك تعلم أنه ليس ثمة صراحة قولية يستدل بها على تعيين خليفة بشخصه ، وإنما هم رجحوا الصديق لتوليه الصلاة بالناس في مرض النبي ولم يرجحوا عليا ، وهذا ما أداهم اليه اجتهادهم .

وكان أبو بكر قد سمى عمر لولاية العهد قبل وفاته ، فلم يبق مجال للنزاع

وجعلها عمر شورى من بعده ، فوقع الاختيار على عثمان

ثم تولى منصب الخلافة من بعدهم علي

هذا كل ما في الامر ، فأين ما تذكره من أن هذه المسألة هي التي قضت

على الاسلام ، وقلبت الدين رأساً على عقب . . . هل سلك ابو بكر غير منهج الرسول ؟ كلا . انه لم يفعل ذلك باعترافكم . وهكذا فعل عمر ، وهو الذي افتتح الاقطار ، وعلى يده دخلتم في الاسلام ، وأصبح المسلمون يحكمون بلاداً فيها متمليون من النفوس . ومع كل ما كان له من النصر ، وللاسلام من المجد ، بقي في آخرته كما كان في أولاه يضن على قدميه بحذائين يخرج ثمنهما من بيت المال ! فما هو معنى « القضاء على الاسلام » حينئذ ؟

وهنا سكت صاحبنا ولم يفه ببنت شفة ، فواصلت كلامي قائلا : نحن نقدس هؤلاء لانهم لم يحيدوا عن خطة النبي قيد أنملة ، ومن الواجب على كل من في قلبه ذرة من ايمان أن ينظر اليهم بالنظر الذي ننظر به اليهم . فأجابني :

ان علياً كان على سعة من العلم والفضل ، وواقفاً على سر الكتاب . قلت له :

ذلك مما لا ريب فيه . قال :

فلماذا اذاً لم يجعلوه خليفة ؟ أجبته :

انت الآن تخرج عن الصدد . فقد عدلت عن زعمك الاول من أن الاسلام قد قضي عليه ، ورحت تقول الآن : كان الاولى تولية علي لانه كان أعلم وأفضل . فقال لي :

انك يا أخي لا تدع لي مجالا للافصاح عن رأيي . انني أقول : ان علياً واقف على سر الكتاب ولو كان اول خليفة في الاسلام لخدمه خدمات جلى ، ولتعالى الدين اكثر مما شهدنا . قلت له :

أنت غيرت دعواك . ومع ذلك فاني أقول لك : كان من الواجب عليه اذا كان الامر كذلك أن يبين تصوراته في اعلاء شأن الاسلام لمن تولى أمر الخلافة من قبله . وفي كل حال انه صار خليفة بعد ذلك ، وكان في وسعه أن يقوم بالخدمات التي تذكرها

وبعد أن أفضت البحث في هذا الباب أذعن مناظري للحق ورجع الى انصافه ثم قال :

الحق أقول ان هذه المسألة مسألة سياسية ، لا مسألة دين ، وما هي الا وسيلة جعلت في القديم لاحداث التفرقة بين فريق وفريق

فترى من هذا أنه مهما كان بين المسلم والمسلم من الاختلاف ، يرجع احدهما الى الحق بعد ظهوره له ، لان المسلم منصف على كل حال

ويا ليت شعري كيف يجوز لنا أن نجعل الاختلاف في المذهب سببا للعداوة ونحن كلنا مسلمون ، في حين أن من المحظور على المسلم أن يجعل العداوة في قلبه حتى لغير المسلمين . حقا إن هذه حال قد سئمتها النفوس ، وتعجت منها مضار ، أزف الوقت الذي يجدر بنا فيه أن نقلع عن هذه البغضاء الشائنة ، ونؤسس فيما بيننا و بين جميع الفرق المسلمة وغير المسلمة وحدة صحيحة ، فيكون الاتحاد شعارنا في كل أين وآن . لان بالاتحاد نجاتنا ، و بالاعراض عنه اضمحلالا

فمن الواجب علينا أن نضع كتبا في علم الكلام مؤسسة على مبادئ عدة . كأن ندرس مذاهب الفلاسفة المعاصرين ، ونجادل اصحابها ولكن « بالتي هي أحسن » فبهذا يزول الخلاف ، وتلك كانت خطة النبي (ص) في جداله

***

نحن نفكر اليوم في أمر اصلاح المدارس الدينية ، وحسبنا انكم تقدرون هذا الاصلاح حق قدره . (الطلبة : تلك حقيقة ناصعة فنرجوكم أن تثابروا على الاصلاح) انكم إذا كنتم على غير رأينا في لزوم هذا الاصلاح ، فليس في وسعنا ان نأتي بعمل ، أما اذا عرفتم وجوبه ، فهو أهم الاصلاحات في نظرنا .

يجب أن ندخل على نظام المدارس القديم خمسة من الفنون الحديثة أو أكثر وأن نعدل ذلك النظام تعديلا هاما ، فنبطل تدريس الحواشي والتقريرات بتة ، ونعلم الطالبين المتون فقط ، ولكن تعليما حقيقيا ، ونتوسع كثيرا في درس اللغة والادبيات .

ترى ما هي الحواشي والتقريرات ؟ هي انتقادات قواعد لغة لا نعرفها بعد . وأحرنا أن ندرس تلك اللغة نفسها قبل أن نقرأ انتقاد قواعدها .

ولعل قائلاً منكم يقول : نحن لا ندرس لغة العرب ، بل ندرس كتبا انشئت بلغة العرب ، وكان خيرا لنا لو ترجم القرآن الى التركية ، فندرسه بلغتنا ، كما يدرس العرب القرآن واليهود التوراة بلغتهم (!!!) .

فأجيب هذا القائل : إن ترجمة القرآن متوقفة على معرفة اللغة العربية معرفة تامة ،

وهذا ماندعو اليه الطلبة والعلماء ونريد منهم أن يكونوا ذوي وقوف تام على هذه اللغة ، ولا يكون هذا الا بدرس المتون أولا ، والتوسع بالادبيات بعد ذلك جهد المستطاع . ولا بأس إذا رجع التلميذ بنفسه الى بعض الشروح عند مسيس الحاجة

ولست أدري كيف أعرض الطلبة قبلنا عن المتون وتعلقوا بهذه الشروح حتى اذا أتموها شرعوا بقراءة الحاشية فحاشية غيرها ثم بالتقريرات فتقريرات أخرى . وبعد أن يصرف الطالب أكثر من خمس سنين على هذا المنوال في كتاب واحد تمتحنه فيه فلا تجده على شيء !! ولا يقدر أن يفهم معنى سطر واحد من الشعر العربي . ذلك لانه يبدد وقته بمناقشة ماقاله العصام وما نبه اليه عبد الغفور ، و بوجه التفهم من قوله (فافهم) عند ماتعرض مسألة من المسائل .

فكروا ياهؤلاء قليلا : يجتهد عالم بتلخيص القواعد في متن يسهل به على الطلبة سبيل الوقوف على أصول أحد العلوم ، فيجيء غيره ينتقد ما كتبه ـ وهو حر فيما يعمل ـ ثم يجيء آخر فينتقد الانتقاد !

نحن لا نعترض عليهم لانتقادهم ، فليبدوا رأيهم في مسائل العلم ، والانتقاد في الحقيقة فلسفة العلوم . ولكن الذي استغرب به هو تسابق الشيوخ إلى هذه الحواشي والتقريرات مما تجادل به العصام وعبد الغفور ، يجعلونها كتبا مدرسية يقرأونها على الطلبة قبل أن يدرسوا أصول العلم نفسه ! .

اعترضوا علي ما أقول إذا كان لكم اعتراض !

نعم ! إن هذه الحواشي ليست مما يقرأ قبل درس قواعد اللغة ، وإنها مع ذلك لم تؤلف عبثا ، فان أصحابها لاحظوا من تأليفها تربية قوة المناقشة والانتقاد في نفوس الطلبة فصنفوها . وماعلينا الا أن نستعملها في الموضع الذي وضعوها له . ولقد كان من تحريفنا الاشياء عن مواضعها أننا ظللنا جاهلين اللغة العربية ، وإذا عرض لنا بيت من الشعر ، وقفنا أمامه باهتين ، ننتظر من عبد الغفور ومن العصام إمدادا فلا نرى من معين ! ثم نسعى لفهم البيت من كتب اللغة فيخفق سعينا لاننا لم ندرس الادبيات العربية .

وغاية الامر أن اصلاح المدارس يتوقف على درس متون العربية وكتب اللغة

والادب . ثم يلتفت الطالب الى الفقه والتفسير والحديث ، تلك العلوم التي أهملناها ، لان الحواشي والتقريرات استغرقت منا كل وقت .

أتمنى من الطلبة كلهم أن يجتمعوا في مكان واحد ، ويفكروا فيما يحوجهم لاصلاح مدارسهم ، ويستجلبوا برنامجات المدارس الدينية في مصر ، فان المدارس الدينية في ذلك القطر قد أصلح نظامها ، فأثمر التعليم فيها ثمرات شهية . وبعد الاطلاع على تلك البرناميجات يضعون لانفسهم برنامجا يوافق حالهم وحال العصر معا . ويكفل لهم التقدم في اللغة العربية ، ثم يبحثون في أي الفنون الحديثة أكثر لزوما لهم .

أما أمر معاشكم فنحن نكفله لكم . لان لكم أوقافا كثيرة جداً استولت عليها الايدي ، وهي تغل لكل واحد منكم ثلاثة جنيهات مشاهرة ، لو كان عددكم خمسة آلاف طالب . وعدا ذلك فان الامة لاتنساكم . وماعليكم إلا أن تبرهنوا على كفاءتكم

ثم إنكم في حاجة إلى تعلم لغة أجنبية ، وليس في هذا ما يخالف الدين ، لانه ليس للدين لغة خاصة به

هذه اللغة العربية بنت ستة آلاف سنة ، والدين الاسلامي لم يكن إلا منذ ألف عام وزيادة . وهؤلاء مسلمو كريد لايعرفون العربية ولا التركية ، ولغتهم لغة يونان ، فهل كان ذلك مانعا لاسلامهم . ونحن أنفسنا لغتنا التركية ، فهل نتركها لانها ليست لغة القرآن التي انزل بها . وهل اليهود من العرب مسلمون لان لغتهم عربية ؟ كلا . واذا كانت العربية لسان الدين ولايجوز للمسلم أن يتكلم بغيرها ، فنحن آثمون لاننا لم نترك التركية . وهذا مالايسلم به عقل ولم يرد به نص .

فالتركية من هذا القبيل لافرق بينها وبين الفرنسية والانكليزية ، لان هذه اللغات الثلاث كلها غير العربية ، وعدا ذلك فنحن ندرس في جوامعنا باللغة التركية ، فلماذا لاندرس بالفرنسية أيضا ؟ ولماذا لانتعلم في مدارسنا لغة أجنبية ؟ فاذا قلتم : إن التركية لغة أمة اسلامية . اجيبكم : ان في الصين تركا أكثر من عددنا وهم كلهم مشركون

فتبين من هذا أن اللغة شيء والدين شيء آخر ، وما التعصب في هذا الباب إلا الجهل الذي يسخر من صاحبه الناس اجمعون . محب الدين الخطيب بالقاهرة

(المنار) بعث الي ادارة المجلة بهذه المقالة المترجمة وانا في الآستانة لارى

رأيي في نشرها فلما قرأتها رجحت المقتضي على المانع وأذنت بنشرها ، أما المانع فهو انه قد سبق لنا في المنار بيان هذه المسائل الثلاث الاساسية التي بنيت عليها محاضرة الكاظم « تصنيف كتب في العقائد ملائمة لحال هذا العصر ، وتوحيد المذاهب الاسلامية واصلاح التعليم في المدارس الدينية » بل هي من مقاصد المنار التي أبدينا وأعدنا القول فيها كثيراً ، وكررناه تكريراً ، فقراء المنار لا يستفيدون بنشر ترجمة هذه المحاضرة شيئاً جديداً في هذه المسائل التي طرقت مسامعهم وجالت في مباحثها أبصارهم وعلم أكثرهم ما لقي شيخنا الاستاذ الامام من العناء في محاولة إصلاح التعليم في الازهر والمدارس التابعة له . وأما المقتضي فهو ما يستفيده قارئ هذه المقالة من تشابه علل المسلمين وأمراضهم بل وحدتها ومن اتفاق آراء العقلاء وطلاب الاصلاح لها على اختلاف اللغات وتباعد الافكار ، فموسى كاظم افندي من علماء الآستانة قام يطالب في عهد الحرية ما سبقه اليه اخوانه من عقلاء العلماء في مصر والهند من غير تواطؤ بينه وبينهم ولا اطلاع منه على أقوالهم وأعمالهم ، فالمسلمون أمة واحدة مرضهم واحد وعلاجهم واحد وأطباؤهم هم العلماء والعقلاء العارفون بحال العصر الذين يصدق عليهم تعريف الفقيه في أقوال أحد أئمتهم « هو المقبل على شانه العارف بأهل زمانه »

قد احسن الكاظم في حثه طلاب الترك على تعلم أدبيات اللغة العربية لان اللغة نفسها إنما تعرف بأدبياتها لا بفلسفة فنونها الصناعية وفي حثه إياهم على تعلم بعض لغات العلوم الدنيوية وحجته في هذه المسألة أقرب الى القبول من حجة من يدعو امثال طلاب الازهر الى تعلم الفرنسية والانكليزية لانه لا فرق بين التركية والفرنسية في نظر الدين وأما العربية فهي لغة الاسلام لا يمكن ان يفهم الاسلام حق فهمه و يكون من علمائه الا من يكون متقناً لها وترجمة القرآن ترجمة تقوم مقام الاصل العربي وتغني عنه في الفهم والاستنباط والهداية هي متعذرة كما بينا ذلك من قبل ، ويحتاج في فهم الاسلام الى فهم السنة ومعرفة طرق روايتها الخ الخ ولم يعط الكاظم هذه المسألة حقها من البيان والتحقيق وهي لم تكن موضوع محاضرته وإنما جاءت بالعرض ، وقد عرفت الرجل هنا وأرجو ان يكون من خير انصاري على ما أسعى اليه من الخير للمسلمين الذي يدخل فيه موضوع محاضرته

﴿ رسالة جمع النفائس ، لتحسين المدارس ﴾

يقول الذين أرسلوا الينا هذه الرسالة ان السيد عثمان بن عبدالله بن عقيل كتبها ليقاوم بها نهضة المسلمين الحديثة لانشاء المدارس وطلبوا منا ان نبين لهم رأينا فيها كما ذكرنا ذلك في الجزء الحادي عشر . وقد تصفحنا معظم الرسالة فظهر لنا ان كاتبها قد كتب ما يعتقد انه النافع كما هو ظننا في سائر مكتوباته وانه لم يقصد تثبيط المسلمين عما هو نافع لهم ارضاء للحكام أو لغير الحكام ولكن الذين فهموا منها تثبيط المسلمين عما ينفعهم معذورون ولا يسوغ لنا ان نقول انهم متحاملون ،

الرسالة مؤلفة من ثلاثة فصول أولها في العلم والتعليم والمدرسة و بذل المال لهذا الامر ونتيجة العلم وقد جاء في ذلك بفوائد ونصائح لا بأس بها وان كان فيما استدل به احاديث ضعاف لا يحتج بمثلها ولا نطيل في ذلك لما جرى عليه المؤلفون من التساهل في ايراد مثل هذه الاحاديث في فضائل الاعمال ولا سيما الغزالي رحمه الله تعالى ورأيته يذكر في هذا الفصل كغيره السلف الصالح ويحث على اتباعه و يعد من ذلك قراءة رسائل وكتب احمد بن زين وسالم بن سمير وعبدالله بن علوي الحداد وغيرهم ممن ليسوا من سلف الامة وهم أهل القرون الثلاثة على المشهور فكأنه يعد المتأخرين من أهل حضرموت وغيرهم من السلف ولا أدري ماهي مزيتهم على علماء هذا العصر في الهند ومصر وتونس . وعندي انه لا يعتد برأيه في الكتب النافعة ولا في طريقة التدريس . والفصل الثاني عشرة اسطر في الاتفاق على العمل و بذل المال له ولا بأس به

واما الفصل الثالث فهو الذي يثبط همة من تلقاه بالقبول على علاته لانه ينفر المسلمين من كل ما عليه الاجانب في علومهم وأعمالهم الدنيوية التي بها صاروا اقوى وأعز من المسلمين حتى ان دولة صغيرة في شمال أوربا تستولي على أكثر من ثلاثين ألف ألف مسلم في جنوب آسيا وتتصرف فيهم تصرف السيد في عبيده الضعفاء ولو عملت الدولة العثمانية بمثل هذه الآراء لاستولى عليها الاجانب من زمن بعيد ولم تبق للمسلمين حكومة مستقلة

ومن بلايا تناقض هؤلاء المقلدين انهم يحرمون الاستدلال بالكتاب والسنة على من أهم أهل له و يبيحونه لانفسهم مع اعترافهم بأنه ليسوا من أهله ومن ذلك استدلالهم بحديث ابن عمر «من تشبه بقوم فهو منهم » على تحريم كل شيء نافع سبقتنا اليه أوربا ، والحديث لايدل على ذلك على ان سنده ضعيف عند رواته وهم احمد وأبو داود والطبراني في الكبير ، وتصحيح ابن حبان له لا يعتد به لتساهله في التصحيح ومعناه ان من تكلف ان يكون شبيها بقوم فان التكليف يصير خلقا بعد تكرار العمل فيصير بذلك من القوم فيما تشبه بهم فيه فان تشبه بهم في الكسب من أمور الصناعة صار صانعا مثلهم وإن تشبه بهم في الاعمال الحربية صار كواحد منهم في ذلك ، وان تشبه بهم في كل شيء صار مثلهم في كل شيء ولكنه اذا تشبه بهم في بعض الازياء او العادات لا يصير منهم في أمور الصناعة أو الحرب أو الدين واذا تشبه بهم في أعمال الدين فقط لا يصير منهم في السياسة أو الادارة ولا في الصناعة والزراعة . فالمسلمون في العراق موافقون لمسلمي مصر في الدين لا متشبهون وهم ليسوا مثلهم في اتقان الزراعة فمن الجهل الفاضح ان يقال ان من تشبه بآخر في شيء يصير مثله في غيره ، ويتفرع على هذا اننا نحن المسلمين إذا تشبهنا بالافرنج في الامور الحربية والسياسية والصحية وطرق الكسب فاننا لا نكون معدودين منهم في دينهم وان في بلادنا من هم موافقون لهم في دينهم وكثير من عاداتهم وهم مع ذلك ليسوا مثلهم ولا يعدون منهم في الامور السياسية والحربية مثلا .

وقد ثبت في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم لبس الجبة الرومية والطيالسة الكسروية (من لباس المجوس) . ولما أخبره سلمان الفارسي (رض) ان المجوس يحفرون الخنادق حول بلادهم اذا هاجمها العدو أعجبه ذلك وأمر بحفر الخندق حول المدينة في غزوة الاحزاب وعمل فيه بنفسه بأبي هو وأمي صلى الله عليه وآله وسلم . فبهذا البيان يظهر خطأ السيد عثمان بن عقيل في منعه أن يكون في مدارس المسلمين شيء ما يشبه ما في مدارس الاجانب وخطأ ما أطالت به مجلة « دين ومعيشت » الروسية في بعض المسائل التي جعلت تكأتها فيها حديث « من تشبه بقوم فهو منهم » وهذه المدارس النظامية في مصر والآستانة والشام على طراز

المدارس الاجنبية ولم ينكر ذلك أحد من العلماء في هذه البلاد وما أظن أن السيد عثمان يعد نفسه في طبقة علماء الازهر

وقد أورد السيد عثمان في هذا المقام حديثا آخر وهو « من أحب قوما حشر معهم » وهذا الحديث أورده الحاكم في المستدرك بلا سند فلا يحتج به ولو كان الرجل عالما بالحديث لاورد ما صح بمعناه وهو حديث أنس عند الشيخين « المرء مع من أحب » وفي المعنى حديث « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » رواه أبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة وهو ضعيف ولكن حسنه الترمذي وأورده ابن الجوزي في الموضوعات . والمراد بالحب هنا ما يحمل المحب أن يتقرب الى من يحبه ويطيعه ويقتدي به ، وما كل نوع من أنواع الحب يحمل على ذلك وقد أباح تعالى للمسلم أن يتزوج باليهودية والنصرانية والزوج يحب زوجه فلو كان معنى الحديث ان كل محب يكون مع من أحبه في الدنيا والآخرة لاستلزمت اباحة نكاح الكتابية كفر المسلم الذي يتمتع بهذا المباح ولاستلزم ذلك الترجيح بلا مرجح فيما اذا أحب كل من هذين الزوجين الآخر كما هو الغالب وهو محال . وأبلغ من ذلك ان الله تعالى قال في خطاب المؤمنين مع اليهود الذين كانوا أشد الناس عداوة لهم (٣ : ١١٩ ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم) فراجع تفسير الآية في ص٨٨ ج ٤ تفسير من القرآن الحكيم

ومع هذا كله نقول ان الذين ينظمون مدارسهم على طريقة الاوربيين ويتعلمون علومهم لا يقتضي ذلك أن يحبوهم بل نرى من المتعلمين في أوربا من هم أشد تعصبا من غيرهم وقد ذكرت هذا لبعض العثمانيين هنا (في الآستانة) فقال والمتعلمون منا على الطريقة الاوربية كذلك . فالسيد عثمان ليس مختبرا ولا عارفا بهذه المسائل وقد علمت ان الحديثين اللذين أوردهما لا يدلان على مراده إن قلنا بأنه يحتج بهما، وما كتبه ضار جدا وان أراد به النفع بحسب اجتهاده وما هو بأهل للاجتهاد سامحه الله تعالى

ومن تهافته انه بعد أن استدل بالحديثين على ما لا يدلان عليه لقلة بضاعته في العربية على كونها بضاعة مزجاة ـ شرع يحذر ترك قراءة كتب السلف الصالحين والاستعاضة

عنها بقراءة كتب التأريخ والجرائد ، وذكر من مضارها انها تورث العقائد الفاسدة ودعوى الاجتهاد والاخذ من الكتاب والسنة . واذا جاز لمثله أن يأخذ من الكتاب والسنة فعلى من يمتنع ذلك ؟ واني أنقل شيئاً من كلامه بنصه لئلا يتوهم بعض قراء المنار انا نرد على عالم مؤلف أخطأ فكبرنا خطأه أو بالغنا في استهجانه . انه حصر عيوب المكاتب والمدارس في ثلاثة أشياء وذكر الاولين منها وهما في المعنى أمر واحد هو التشبه بالاجانب ثم قال ما نصه وصورة رسمه :

« والثالث من تلك الفواقر والخسائر ترك قراءة الكتب التي يقرءونها السلف الصالحون التي يكتسبون منها العلوم النافعة وخشية الله والاعمال الصالحة وتبديل تلك الكتب بكتب التواريخ المختلقة والجرائد المعتقة التي يورث في اللسان القلقة وفي القلب العقايد الفاسدة وفي الدين التساهل وتتبع الرخص بل تورث دعوى الاجتهاد المشبه بخرط القتاد وذم التقليد بلا تقييد ودعوى استقلال الاخذ من السنة والقرآن مخالفة لما عليه المفسرون الاعيان فماهي الا كراكبة الاتان تظن انها تسابق الفرسان ومضادا لسيرة السلف الصالحين بل استخفافا بهم بأنواع التنقيص وعنادا بالمكابرة والمغالطة بالادلة الساقطة » اه

ولا يحسبن القارئ أننا اخترنا هذه العبارة اختيارا لركاكتها وكثرة غلطها ووضوح دلالتها على تجرد صاحبها من الفنون العربية كلها بل جميع عباراته كذلك وهو مع هذا يستنبط الاحكام من الآيات والاحاديث فيحرم على الناس ما أحل الله لهم ويحل لهم ماحرم الله عليهم ولا سيما القول في الدين بغير علم ثم ينكر على العلماء الراسخين مثل هذا الاستدلال ! !

هذا — وانا ننصح لأولئك الابرار الاخيار الذين ينشئون المدارس أن لا يلتفتوا الى هذه الرسالة ولا الى شيء من رسائل هذا الرجل وليختاروا لمدارسهم المعلمين الاكفاء الذين يجمعون لهم بين علم الدين وما يلزم لهم من علوم الدنيا وان يكون لسان حالهم ومقالهم هو لسان القائلين « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب »

الفصل الخامس عشر (*)

(بيت خديجة بعد الزواج)

وبدأت السيدة «خديجة» بعد هذا القران السعيد تزداد معرفة بهذا الجوهر الكريم الذي أتاحه الله اليها فألقت الى يد هذا الامين بكل ما تملك ولم يرعها أن الكرم المستحكم في سجاياه سيحمله على اخراج نصيب كبير من هذا المال الى الضعيف والعائل فان سيدتنا لم تكن — مع تدبيرها — بالشحيحة الحافظة على المال الفاني بل كانت قد خلقت لتكون مساعدة على الجود ، وهل بعد معرفتها بهذا الكفؤ الشريف ترى لنفسها معه أمراً نافذاً في أمره ، أو رأياً يغاير رأيه ، وهي تلك العاقلة الحكيمة المستعدة ان تزداد كمالا كلما أشرق لها من سماء الفيض الالهي نور منه

وأصبح هذا البيت مثابة للمضطرين وأمنا ، فقصدته الايامى ، وشبعت فيه اليتامى ، وخففت فيه أحمال كثيرين ممن حنيت ظهورهم بكثرة الآل ، وقلة المال .

كانت تلك البلاد احيانا تصاب بعسر بل كل بلاد العالم لا تسلم من العسر على الدوام فمساعدة الموسرين في زمن العسر للمعسرين أمر تقضي به الانسانية ولكن قليل من الناس من يكون لهم حظ بالتغلب على شياطين

*) تابع لما في (ص٥٤٩م١١) من سيرة السيدة خديجة ، وقد كان كاتب هذه السيرة السيد عبد الحميد الزهراوي اضطر الى ارجاء الكتابة لاعماله السياسية الكثيرة في مجلس الامة

الشكوك والاوهام التي تنهى عن الانفاق خشية الاملاق أما سيدتنا فكانت ترى إنفاق زوجها ومساعدته للمعسرين وأخذه بيد العائلين من جملة المزايا العالية التي قرَّت بها عينها

وفي احدى الازمات كانت ملائكة الرحمة تحوم في ذلك البيت حول أحد الصبيان وتطوف في آفاق نفسه لتطهرها من كل شر حتى لا يخرج من هذا البيت الا وهو امام للناس في الخير والصلاح

وكان هو لاهيا عما أعِدَّ له، وعابثا بمثل مايعبث به أترابه، ولم يكن هذا الصبي يتيما بل كان أبوه حيا ولكن أبناء السعادة، أبناء المجد الابدي، ابناء المجد السرمدي، تستأثر العناية الازلية بكفالتهم وتربيتهم بصورة خاصة وظاهرة يراها من استعدت بصائرهم للاطلاع الجيد

لم يكن أبو هذا الصبي ليسمح وهو حي أن يتربى كالايتام في غير بيته لأنه هو ذلك الشهم الشهير والشريف الخطير «أبو طالب» ولكن اشتداد الازمة في احدى السنين اضطره ان يقبل رجاء أخيه «العباس» وابن أخيه «محمد الامين» بأن يأخذ كل واحد منهما ولداً من أولاده تخفيفا عنه فكان هذا الاسعد الذي أخذه الامين هو عليًّا الذي صار الامام أبا الائمة، وبدر سماء السيادة في الأمة

كانت تربية عليّ في البيت من جملة المكتوب للسيدة «خديجة» من حسن الحظ فان الغيب كان يعده لأمر جليل له علاقة بهذا البيت

لعله لم يخطر في بال أهل هذا البيت اذ ذاك أن هذا الصبي الذي يدرج أمامهم فيسرون به سيكون الواسطة الوحيدة لحفظ نسلهم، ومن أين كانت

تعرف السيدة «خديجة» أنه لا يعيش لها من الذكور ولد وأن هذا الصبي الصغير قد أعده الغيب ختنا كريما وبعلا صالحا لبنتها الصغيرة، وكيف تعلم أنه لا يتسلسل لها عقب الا من تلك الكريمة «فاطمة الزهراء» وأنّى يخطر في بالها أنها انما كانت تربي هي وزوجها جدا لعترة تتصل بهذا البيت سيعدها العالم من أشرف العتر وستبقى مباركة في الارض دهوراً طويلة عالية المنار، عظيمة الشأن

نعم كل ذلك لم يخطر في البال اذ ذاك ولم يكن الذي في القلب الا القيام بالواجب الذي يقضي به التضامن

نعم! نعم! كل ذلك لم يخطر في البال ولا نوى سيد هذا البيت مكافأة عمه على تربيته التي سبقت له فان بين ذوي القربى لا توجد المكافأة بل يوجد التضامن ولكن كان هذا البيت المملوء نعما يتقاضى وجود نفوس كثيرة تشاركه في تلك النعم لأن لأهله نفوسا لا تعرف الاستئثار، بل تراه من العار والشنار، لا سيما اذا بئس الجار

وقد استفاد من مادة هذا البيت كثيرون كما أشرنا اليه أما علي فانما خصصناه بالذكر ليعرف من عرفه أو سمع بمناقبه العالية وفضائله الزاكية كيف كان هذا البيت السعيد مسعداً للارواح، كما كان مسعدا للاشباح، وليعرف القاريء بسهولة أن البيت الذي أخذ ابن أبي طالب آدابه فيه منذ كان صبيا قد كان مهدا لأكرم الآداب وأعلاها فان عليًّا المرتضى هو من عرفه العالم كله، هو ذلك الامام الاكبر الخليق ان يكون مثال القدس وزكاء النفس، هو مجمع المعالي وملتقى الاسرار العظمى ومظهر الولاية الكبرى

فما أكرم هذا البيت السعيد وما أعظم بركاته! قد رأينا الامين يجد فيه

مجالا للتخفيف عن المثقلين ، والتنفيس عن المكروبين ، وفيه وجد القصاد صدورا رحبة ، وأيدي مبسوطة، ولديه خيّم الوجود والسخاء، كما خيّم العدل والوفاء ، ومنه اشرقت الآداب العالية ، والتربية الكاملة ، وماذا نرى من بركات هذا البيت بعد ذلك يا ترى؟

الفصل السادس عشر

(العمل الروحي)

أشرفنا الآن على بحر كثيرة لججه ، صعبة مسالكه ، وصلنا الى ساحل هذا البحر ولا بد من جوزه ، وأ كثر السفن لا يوثق بها في غمراته ، ولا بسو ثوب الهداية رأس مالهم الدعوى ، وما حيلة الحائرين غير الرجوع الى الله في الجهر والنجوى

ههنا نبأ جليل تحار العقول المستقلة بفهمه ، وتشتاق أن تقف على روحه وحده ورسمه ، هنا قد بلغنا من سيرة هذه السيدة الجليلة أن بعلها كان من دأبه أن يتعبد بعض الاوقات في غار من جبل قرب مكة اسمه «حراء» فما هو هذا التعبد وكيف هو ، وما الذي ساق نفسه اليه ، وأي دين فرضه عليه ؟

هذا هو النبأ العظيم الذي تمسك بنا العقول المستقلة اذ تسمه ولا تدعنا نجوزه الى غيره من غير أن نوضحه ، واذا أخذنا بايضاحه نخشى أن نبعد بالقاريء عن سياق السيرة ، ولكن يقوي عزمنا على هذا الايضاح ظننا بأن الراوي الذي يشرح كل دقيقة فيما يمر به من حكايته قد يفيد القراء أ كثر ممن يسرد الاخبار سردا

ان الاديان كلها رسمت أهلا اسمها عبادات ولكن بعل السيدة

«خديجة » لم يكن تابعا اذ ذاك لدين لأن دين قومه كانت عبادته عبارة عن تمجيد بعض الاحجار التي هي عندهم تماثيل أشخاص مقدسين ولم يكن هو قد تعود هذه العبادة التي لهم

العبادة التي عرفت في الاديان كلها هي بحسب الظاهر أعمال وحركات يرسمها رؤساء الدين من أنبياء وغيرهم، أما لبها فأشواق روحية تقوم في نفس العابد أمام معبوده ويصح أن نسميها عملا روحيا حينئذ

كان بعل هذه السيدة يأتي في غار حراء بعمل روحي تتوجه فيه روحه تلقاء باريء السموات والارض ومشرف مكة وسائق قوس العرب اذ ذاك اليها، ولم يكن مقيما أعمالا رسمية

ان البحث عن سبب تسمية تلك الاعمال الرسمية عبادة في لغتنا يكلف به مشرح اللغة ، والبحث عن اسباب اختيار الاقوام السالفين هذه الصور والاعمال المخصوصة تحت اسم العبادة يكلف به مشرح التأريخ ، أما البحث عن الاشواق الروحية أو التعبد المحمدي في « حراء » فمكلف به كاتب سيرة السيدة « خديجة »

العبارة لا تشفي الصدر في تجلية هذه المعاني ولكن شدة ارتباط هذا الموضوع بهذه السيرة داعية الى السير في هذا البحر العظيم

قد سمعنا في سيرة زوج هذه السيدة أن روحه كانت من أعلى الارواح ونحن نؤمن بهذا ولكن اذا نحن لم نتعرف بالروح ولو قليلا فماذا يكون معنى ايماننا بهذا ؟ لا جرم أن تعرفنا بالروح ضروري في هذه المقامات وهو أمر يشتهيه كل امرىء لأن كل واحد منا تخطر في باله هذه المسألة :

ما نحن ؟

هذا سؤال قد علم الذين بعد نظرهم في ماضي البشر أنه من جملة فضل الله عليهم وهو أساس ما يسمى في لغتنا دينا وديانة وملة وأحد الاصول والاسباب في ترقي هذا النوع الانساني وتكمله

هذا سؤال تحيط به محارة طال وقوف العقل فيها . ههنا مرسى سفينة العقل الذي يحاول معرفة نفسه ومنها يبتدىء مجراه لأجل ادراك هذا الجوهر

مواقف الباحثين كادت تتساوى أمام صعوبة هذا السؤال، اذلا براهين عقلية قطعية في نفي شيء أو اثبات شيء في جوابه ، ولكن اذا عزت هذه البراهين لا يعدم عشاق هذا المطلوب آيات كثيرة في الوجودات ومن فضل الله على اهل هذه الصورة البشرية جعل قلوبهم مستعدة لقبول ما تأتي به هذه الآيات من ضياء ولا يحرمه الا قليل تؤمن فيهم الطيرة لاسباب محسوسة وغير محسوسة

هذه الوجودات قدمت آيات ، فاذا حالت دونها الحجب لج العقل في محارات أو عمايات ، واذا بدت لا يحجبها حاجب نهج في هدايات

انها لمن تأمل مراتب وصفوف ، ولكل وجود قوة ، ولكل قوة أثر ، واختلاف القوى وآثارها ، هو على مقدار أشكال الوجودات وصورها وحيزها، ولما رزق الانسان هذا النطق الواسع وضع أسماء لكل ما لاح له من وجود وظن المسكين أنه بوضع الاسماء أحاط بالحقائق وهي لم تزده عنها الا بعدا

الانسان بعض هذه الوجودات وفيه قوى تحتاج حسب عادته الى

أسماء فالروح للانسان اسم للقوة العظمى التي فيه ، اسم لما يكون به الانسان مستقلا متميزا بقول أنا ويقال عنه هو وان عفا أثره

آمن الناس بهذا الاسم متفقين ولكن فيما يدل عليه قد اشتد تباينهم وحار نظرهم في ادراك حقائق هذه القوى التي في الانسان وفي كيفية علاقتها بهذا الجسم البشري الذي متى برحته أصبح لا فرق بينه وبين كثير من صنوف الجمادات والذي يزيد حيرتهم شدة تسامي بعض الارواح كروح من سعدت بقربه سيدتنا صاحبة هذه السيرة

بحثت كالباحثين ، وحرت كالحائرين ، ثم وجدت كالواجدين ، فما ألذها على القلب من حيرة عقباها بلوغ الغاية والحمد لله رب العالمين

اليك حديث نفسي بشأنها : أفقت اليوم من النوم ونصل حسي وشعوري من غلافه ، كما نصل هذا الفجر من غمده ، فوجدتني كأني وليد هذه الساعة ، لاني قبل هذه اللحظة لم أكن أرى هذه الاكوان ، ولم احسن بما فيها من الاصوات والألوان ، ولم أكن أشعر بلاغاني ومؤلماتي ، فكأني كنت غير هذا الموجود الجديد ،

أين كانت لذتي برؤية هذه القبة ، وأنسي بما على هذا البساط ، وأنى كان ابتهاجي بزواهر هذه الزرقاء ، وزواخر هذه الغبراء . . . ومن حولي الآن أغاني طيور ، ورقص غصون ، وأريج زهور ، وبدائع نقوش ، وترتيب صنوف ، وحركات نور ، وتجليات سكون ، وفي أنا آثار انفعال من كل هذا قد تحرك بها ما اسمه فكري ثم تحرك بها ما اسمه لساني فسمعتني أقول « سبحانك ربنا ما خلقت هذا باطلا »

سبحانك يا فاطر يا باريء يا مصور ولك الحمد ! أنا متذكر الآن أني

أبصرت هذه المرائي ، وسمعت هذه الامالي أمس لما بزغ الفجر بزوغه هذا فأين ذهب ابصاري وسمعي بين ذينك الابصار والسمع اللذين كانا أمس وبين هذين الابصار والسمع اللذين اتياني الآن وأنا متذكر أن هذا الامر وقع لي مرارا كثيرة ألوفا من المرات فما هذا الاحتجاب ثم الظهور، وأين كان الاحساس محتجبا قبل ان عرفته أول مرة ؟

رباه ! من اسائل عن هذا ..؟ ان هذه الصوامت التي من حولي لا تجيب ! لعلها لا تسمعني ، أو لعلي لا أسمعها ، أو لعلها لا ذكر لها في هذه المسائل، وكيف أصبر على جهلي بشيء يتعلق بي ، كيف لا أبحث عن أصل احساسي وعن احتجابه ! ألا يهمني أن أعرف هل أمره كأمر هذه الشجيرات يتحات ورقها ثم يعود ثم تيبس مرة واحدة فتصير حطبا ثم رمادا؟ أم أمره كأمر هذه الشمس يظهر نورها على جهة ثم يغيب عنها ثم يعود اليها وهو لا يزول أبدا؟ كيف أقنع للنفس الانسانية بحالة هذه الشجيرات وهي لها من الخواص والآثار ما ليس لشيء غيرها في هذه الارض. كلا سأسائل ثم كلا سأسائل !

رفعت رأسي الى السماء فألفيت بواهر ولا مجيب ، وأهويت به الى الارض فألفيت بواهر ولا مجيب !

فضاء أمامي ، لا أعرف له ساحلا وحدا ، تارة يفيض نوراه، وأخرى يحتجب بالظلمات، أراني وأرضي محمولين فيه ولا أعرف من هذا المتن العظيم الا اسماء وضعوها له لا تشرح كنها ولا تؤذن بدلالة كافية

تتلاعب فيه النسمات لعلها ناسية أن الامر جده وما هو بالهزل واللعب، وتتناغى فيه الاصوات كأنها تحسب أن في كل موجود دماغا يأخذ بحظ منها ولعل حسابها خائب !

بيني وبين كل ماهو محمول في الفضاء مثلي علاقة قد عرفتها بهذا النور البازغ ، فهل بزغ هذا النور لا عرفها أم لتعرفني وهل كانت لي أم كنت لها أم كنا جميعاً لهذا النور أم كان هو لنا ؟ ولكني أعرف بانوارنه لولاك لما عرفت شيئاً

سلام عليك ايها النور ! يا حاملا نعمة المعرفة الينا ، وشكراً لمن تسبح ايها النور بجلاله ، وتهدينا الى آيات جماله

بالنور عرفت ما عرفت ولكن لست ادري كيف عرفت ، قد نقشت السموات والارض على عظمتها في لوح لا يكاد يحس في دماغي ، فهذا اليم الذي يموج الآن أمام غرفتي اصبح لاشيء عندي على اتساعه لانه محدود وهذه الشمس العظيمة التي بدأت تبزغ هذه الساعة قد غدت صغيرة في عيني لانني احطت بها ، وهذه الارض التي اراها كسريرلي قد تلاشت في نظري اذ وجدتها هي وكل بحورها ذرة طافية في ذلك اليم الذي لا ساحل له ، ادركت في هذه الساعة أن هذه الأشياء كلها مهما عظم حجمها فهي كالصفر بالنسبة الى ما لا يتناهى ، فعلمت ان ليس فيما أحاط به حسي ما يدفع عن فكري عطشته

راقني جمال هذه الكائنات ثم حيرني منها انها كلها مسخرة لنا وما نحن لها بمسخرين فهل نحن على صغر حجمنا اكرم معنى منها ؟

تركت حيرتي ههنا والتفت الى هذه الشجيرات التي اراها تزين كراسي الانس وسألتها فلم تجب او لم افهم حفيفها ، وانثنيت الى هذه اليمامات الراقصة باعناقها فسألتها فلم تجب او لم افهم هديلها ، لكنني استأنست بهذه وتلك اكثر من استئناسي بالمتحجرات لاشوق يخالط منها الجنان ، ولا حركة لها الا على يد الانسان ، وطال أنسي بهذه الخضر

المترنحات ، والورق المتفنيات ، حتى كدت أفقه حديثها ، وأفسر تبيانها ، هذه ذكرتني بمعنى الحياة وأعادتني الى نفسي وهي ضالتي المنشودة وبها الهدى الى ما أنشده

لم أجد غير نفسي يجيبني عن نفسي بعد أن ساح حسّي وفكري في هذه العوالم المحدودة .. أيّاها ناجيت ، وكلامها وعيت ، فهي التي حدثتني أني لست الا ذرة صغيرة جداً سابحة في هذا الفلك ، وفي هذه الذرة الصغيرة ذرات كثيرة كل واحدة منها بالنسبة الى الذرة الجامعة هي كواحد من ألوف ألوف الالوف ، وفي كل واحدة توجد الحياة ولكن ليست كلها مركزاً للحياة لاننا نجد أن ألوف ألوف ألوف من هذه اذا أفسد وضعها لا تزول الحياة ولكن هناك بعض ذرات اذا أفسد وضعها تزول الحياة كلها من جميع هذه الذرات التي يتكون من مجموعها الجسم فهذه الذرات القليلة التي هذا شأنها هي مركز الحياة

أعظم مجالي الحياة في نظري هو الادراك الفكري وهو قائم في ذرات قليلة لا يحاط بها

أدهشني هذا الموقف الذي وصلت اليه ، وهذا المرأى الذي وقفت عليه ، حيرني من هذه الذرات أن تسع صور السموات والارض وصور أعمال البشر منذ كانوا الى اليوم ، وحيرني منها أن هذه النتائج العظيمة التي تصدر عنها انما تصدر اذا كانت بوضعها المخصوص وما أسرع زوال هذه النتائج اذا اختل وضع الذرات

رأيت هذا الامر العجيب ولكن لا مستقر للفكر عند هذا المرأى اذ قصاراه

أني عرفت شيئا صغيراً جداً يسع أشياء لاتحصى مع أني انما أبغي أن أعرف ماهو ذلك الشيء ، الصغير مبناه جداً جداً العظيم معناه جداً جداً ؟ ماهو ذلك الشيء الذي بوجوده على حالة مخصوصة يكون هذا الجسم متحركا حساسا يحيط بالسموات والارض وبتغيره يغدو هذا الجسم ترابا صامتا صاراً تحت الاقدام ؟ ماهي تلك الحالة المخصوصة ؟ وما هو تغيرها وكيف نظامها ؟ هل هو في احاطته تلك تابع لهذا النظام أم النظام تابع له ؟ هل هو يحتاج الى هذا النظام بعينه أم يستطيع ان يؤلف نظاما آخر متى تغير نظامه هذا؟ وان كان تابعا لهذا النظام بعينه فهل وجدت هذه الصبغة تتزول بأسرع من لمح البصر بالنسبة الى عمر غيرها على مايخال وجودها من الاحتجابات ؟؟

عبارات بعد عبارات ، ولكن تلوح خلالها آيات ، اذ قد ملأ نا رب الوجود أمثالا ، وأتاحت لنا معرفتنا بالامثال أن حقائق الاشياء محتجبة والظاهر انما هو آثارها: فهذا النور الذي يملأ الفضاء لانعلم كنهه ، وهذه الشمس وما حولها لا ندري كيف قامت ، قصارانا أنا عرفنا سبحها في هذا الفضاء لايسندها عمد ، ولا يعتريها سكون ، وهي مع ذلك سائرة بنظام ، ودائرة باحكام ، لاتخرج عن مستقراتها ، ولا تحيد عن مجاريها ، ولكن ماهو ذلك السر الذي قامت به هذا المقام ؟ سموا شيئا من ذلك بالجاذبية فهل هذه التسمية دالة على الكنه والحقيقة ؟

إن قصارى مانعرفه من هذه المركبات أنها قابلة للتحلل فاذا حللناها انتهينا الى عناصر قليل عددها لاتحول ولا تحلل هي الامهات ثم هي تنتهي الى أم واحدة لانعرف من أمرها شيئا !

المشاهدة هي أكبر وسائط معارفنا ، ولكن الة هذه المشاهدة عاجزة

عن أن ترينا الاشياء كما هي، ولو اقتصر الامر عليها لكانت علومنا بهذه الكوائن خطأً من أولها الى آخرها

هذه الشمس التي نحن وأرضنا في نظامها الكبير أقل من حبة رمل في جبل عظيم ـ ليست أمام المشاهدة الخصوصية لكل واحد منا الا كمصباح بسيط يشتعل ساعات وينطفىء ساعات، وما هي الا بحجم كرة مما يلعب بها اللاعبون !

على هذه النسبة من الخطأ نرى كل شيء أقل من حجمه وعلى خلاف وضعه ، فقد نرى واحداً وهو متعدد ، وبسيطا وهو متركب ، وساكنا وهو متحرك ، وصغيرا وهو كبير ، حتى نصل الى ما هو صغير جدا فلا نراه البتة كما دلتنا التجارب بعد أن اهتدينا للآلات الصناعية التي تساعد بواصرنا الطبيعية ايما مساعدة .. بهذه الآلات استطعنا أن نرى أنواعا من الحيوانات كانت خافية على الابصار دهورا دهارير . ولعلنا سنهتدي الى ما يرينا أصغر من تلك الصغائر . ونحن في مثل هذه الهدايات العظيمة التي جاءتنا هدية من الفاطر على يد التجارب لا نجد ما يمنعنا من الظن بأننا مهما استعنا بالآلات نبقى في مشاهداتنا بعيدين عن كشف الاشياء كما هي وتبقى أشياء كثيرة خافية على ابصارنا وآلاتنا مهما بلغنا بها

فما اكرمك ياعيني عليّ ! أنتِ أنت كنت سبب ارشادي الى حقيقتي اذ لم تريها لاني عرفت بالتجربة انك مسكينة عاجزة لا ترين كل شيء ولا ترين شيئا مما ترينه على وضعه وحقيقته فاضطررت ان أقيس وجودي على وجود غيري !.. لا جرم ان لي حقيقة مستترة عنك وراء وجودي الجسمي الذي تشاهدينه كما ان وراء النور حقائق مستترة ولا جرم ان حقيقتي هي سبب وجودي كما ان الحقائق المستترة وراء النور هي سبب وجوده

ان الحقيقة العظمى التي هي باطنة من وراء الاشياء كلها ، وظاهرة عليها كلها هي حقيقة واجب الوجود ، حقيقة من لا بد لوجودنا من وجوده ، ولا بد لتشكلنا وتنوعنا من فيض تخصيصه وجوده . . هي حقيقة من له الحياة الازلية الابدية لان الحياة التي نعرفها منه صدرت ، وله العلم الازلي الابدي لان العلوم التي نفهمها من فضله أتت ، وله الارادة الازلية الابدية لان الارادة التي نجدها من لدنه أهديت ، وله القدرة التامة الشاملة لان القدرة من عنده نشأت . . هي حقيقة من لا مثال له في كمال وجوده ، وعنه صدرت امثلة الكمال في الوجودات الظاهرة . . هي حقيقة البارىء المصور الذي برأ حقيقة مثال كامل حيّ سميع بصير مريد وجعل حجابه هذا الهيكل البشري

أصبحت لا أرتاب في أن الحقيقة العظمى هي التي تهدينا بآثارها وبامداداتها الى كل شيء مما نعرفه ، ولكن لشدة ظهورها الذي قد يعادل البطون ربما تخفى ، فاذ نطلب معرفة النفس تظهر آياتها العظمى فسبحان الله من عرف ربه فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه فقد عرف ربه

عرفت الآن من امر نفسي أو روحي أنها لا يعرف كنهها ولم يزدني جهلي بكنهها الا ايمانا بحقيقتها الجليلة المستقلة عن الجسد لانني لم أعرف من أمر كل جزء من اجزاء الجسد الا مشابهته لهذه الجمادات التي أمامي وليس فيما أمامي شيء يجمع فيه ما تجمعه هذه الروح . وقد حاولت كما يفعله بعضهم أن انسب هذه الخواص الى المجموع المركب من هذه المواد على نظام خاص فلم يسلس له فكري بل جمح عنه كثيراً لتذكره النظام الشمسي وذهابه الى انه انما قام بما يسمونه الجاذبية ولم تقم هي به

فما نفسنا او روحنا الا جاذبية النوع وكهربائية الخصائص والمزايا ، وهي هي مؤلفة الهيأكل وناظمتها . لا بدع في ذلك فالكوائن كلها من اصل لا يرى ولم تنفصل عنه ولا يكون الاصل تابعا للفرع ولا ضرورة لتغير الاصل اذا تغير الفرع . ولا يصعب فهم هذا على من عرف كيف يتجسد ما لا يرى فيصير مما يرى ، وكيف يتلطف ما يرى فيصير مما لا يرى . الصناعة بهذا ضمينة ، والتجربة فيه هادية امينة ، ولا يصعب ايضا على من عرف آيات النفس التي تظهر في بعض الاشخاص لتعلم بها ان لها شؤونا غريبة جدا فوق المعهود منها والمألوف من دخولها في قيد الحس ، سبحان الله كم لها من انطلاق منه يظهر معه ان لا حاجة لها بهذه الآلات العضلية والعظمية والعصبية

نحن شاهدنا من هذا كثيرا ، وشاهد مثلنا خلق لا يحصون ، والباحثون المحققون شاهدوا ايضا او نقل اليهم ثقات كثيرون مجموعهم يدفع عن نفوسهم الريب وما علمنا انهم وجدوا لهذا الامتياز الفائق اسبابا جلية ! غاية ما صنعوا انهم وضعوا لبعض هذه الامور اسماء وظن القاصرون أن هذه الاسماء تحل الاشكال ، وتحكي حقيقة الحال !

وسمعنا سماعا لا يستطيع الريب معه البقاء أن اشخاصا يشفون امراضا معضلة بغير علاج ولم يقل لنا علماء الابدان في تعليل هذا الامر الا انه شفاء بالوهم فياعجبا ما هو هذا الوهم الشافي ولماذا لا يشفى بالوهم كل شخص ؟!

حالة المنوم تنويما مغنطيسيا هي من الادلة الصريحة في هذا الباب على شدة غرابة امر هذا الموجود الصغير الكبير واستعداده لخرق الحجب الكثيفة ، وقد القيود الحسية ، وعمله الاعمال العظيمة من غير حركة بيديها او واسطة يأتيها !

* * *

هذا حديث نفسي وخلاصة ماظهر لي أن الروح خلق مستقل ذو ظهورات فائقة ، واحتجابات محيرة ، هو اقسام كثيرة ، نصيبنا منه عظيم ، وارتقاء نوعنا لولاه عدم ، هو الحي السميع البصير المريد المستعد للظهور والاجتنان ، المصنوع آية كبرى دالة على جامع الاكوان

وظهر لي ان خصائص الروح الشوق ، ولو قلت ان الروح هو الخلق ذوالشوق لما وجدت هذا غريبا في تعريفها . ولكل روح شوق يناسبها وعلى نسبة شوقها تكون رتبتها وصفها في عالمها الذي هي منه ، وفي عالم المثال والعيان الذي دفعها اليه شوقها الى الظهور

***

كانت روح هذا السيد بعل سيدتنا «خديجة» من اعلى الارواح ، وكان شوقها ازكي شوق واقدسه ، كانت عظيمة الشوق الى رؤية فاطرها ولكن هل الفاطر عز وجل يُرى ؟ لعلها حارت زمنا في هذا الامر ، ولعلها قالت لو كان يُرى لكان محدودا وكيف يدخل في حد من برأ الحدود ! ولعلها عادت الى زيادة التبصر فقالت هل الرؤية مخصوصة بهذه الباصرة ؟ وهل يشترط أن يكون المرئي متشخصا ، أليس القصد من الرؤية العلم ، ألا يمكن العلم بالناظر مع انه غير متشخص ؟

هذا ما كانت تحوم حوله هذه الروح العلوية التي كان مظهرها وبيتها الصوري في بيت «خديجة» ومطافها ومطارها ملكوت الحق ، ملكوت الوجود الاعلى

ولعلها يئست من ان تجد فيما حولها ما يروي اوارها من معرفة فاطرها الذي اشتد شوقها اليه بل لعلها غلب عليها ذلك الشوق حتى اصبحت

زاهدة في كل رؤية وكل سمع لانها تريد أن ترى وتسمع الذي اليه طارت شوقا ولذلك رأينا «محمدا» (صلى الله عليه وسلم) قد حببت اليه الخلوة والانفراد ولاسيما اذ شارف الاربعين من سنيه وكان لغار «حراء» الحظ من هذه الروح الهائمة على حبيبها وطبيب شوقها

من ذا الذي يعلم غير الله ما كان يقوله هذا المنقطع في ذلك الغار ولكن يصح لنا ان نظن بأنه كان يساقط الدموع ويناجي المقصود المطلوب بقوله : رباه ! رباه ! كيف الوصول الى حضراتك؟ كيف السبيل الى مشاهدات تجلياتك ؟ اليك أيها المولى من مزيد حبي قيامي وقعودي، وركوعي وسجودي ، ومن مزيد شوقي ذرف دموعي، وفرط ولوعي، رحماك رحماك ياربي! كبد تذوب وعين تسيل، وفكر يتدله ، وانت انت مطلوبي وانت انت ذو الكرم والجود !

***

على هذا المثال كانت حاله ، وهذا هو العمل الروحي الذي شغل به باله ، وقد فهم القريبون من فهم الروح مقدار فوائد هذه النجوى القدسية وأما البعيدون عن هذا الشوق فيعجبون وينكرون ، وليتهم يتذكرون عن الناس وتدلهاتهم بهذه المتغيرات من صور وأشكال لاتتوقف الحياة عليها، ولا يجدون الطمأنينة لديها ، هذه الحن والتدلهات أقضي بالعجب لعمر الحق لو كانوا يعقلون . وأما ابتعاد روح عن المحسوسات في سبيل الاقتراب من حضرة من لاتدركه الابصار فسمي وراءه مبتغى جليل .

العمل الذي فيه لذة لامضرة على الغير فيها لا ينكره عقل، ولا ارباب الاعمال الروحية لذات لا يستبدلون بها كل لذات المفتونين بالمحسوسات

فعسى أن يتذكر العقل المستقل هذا المعنى فلا يكبر عليه أن يفهم أقل الحكم في الاعمال الروحية وهي لذة أربابها وانتعاشهم وتفتح بصائرهم لرؤية المعالي كما هي فلا يحزنهم شيء بعد في نيلها ولا تقف هممهم أمام حزن في طريقها

كانت السيدة « خديجة » شديدة الفهم وعظيمة الثقة ببركات هذا العمل الروحي فساعدت عليه ولم تلم صاحبه ولا عتبته، كانت عظيمة الايمان بالقوة العظمى ، والحقيقة الكبرى ، فلم تر بأسا بل لم تر الا الخير بتوجه وجه زوجها الكريم تلقاء سوانح الامدادات الفائضة من لدن ذلك الملكوت الذي لا حد له.. كانت قد عرفت أن هذا الغار في «حراء» الفارغ من كل مشتهى حسي كان حريا أن يكون مثابة لهذا الشبح الشريف الحامل قلبا قد فرغ من كل شيء غير الوله بالمعالي القدسية ، والشوق الى الحضرات الربانية. فكانت تبارك على هذا الغار الفارغ وتسأل الله أن يملأه معالي وبركات وقد أجاب الله تعالى كرمه سؤلها وكتب « حراء » في الصف الاول بين الاماكن التي تتوج بتمجيد الناس وتحياتهم ومحامدهم . وكم قد ترجمت قرائح الشعراء عن احتراماتهم وتكريماتهم لهذا الغار أو لهذا المطلع الذي فاق بدره البدور ، قال قائل منهم :

سلامٌ عليك حراء الشهير ... أمطلع ذاك الضياء العظيم
سلامُ فؤاد ذكور شكور ... بقدر الذي قد صحبت عليم

* *

لأنت يتيمة عقد الوطن ... فقيك أضاء السراج المنير
بذكراك يلقي الفؤاد السكن ... فذكراك ذكرى عطاء كبير

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

﴿ مصر الجمعة سلخ صفر ١٣٢٨ – ١١ مارس (آذار) ١٢٨٥ه ١٩١٠م ﴾

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ الكشف الطبي على الموتى وتأخير الدفن ﴾

(س ١) من صاحب الامضاء الرمزي بالجبل الاسود

الى حضرة الاستاذ الفاضل والفيلسوف الكامل السيد محمد رشيد رضا

في هذه الايام صدر الامر من نظارتنا (الجبل الاسود) : اذا مات انسان ان لا يدفن قبل أربعة وعشرين ساعة مسلما كان أو غيره ومن أراد دفنه ينبغي أن يأتي

بحكم (دوقتور) يجري المعاينة للجنازة ذكراً كان أو انثى (وهذا لايجوز لنسائنا) والا فالسجن من يوم الى عشرة أيام أو الجزاء في حق النقدي من خمسة الى مئة كورون في أول مرة

فنحن المسلمين مضطرون من هذا الامر لأن نعتقد أن تأخير الجنازة ٢٤ ساعة لايجوز شرعا فانا على قدم الخروج والهجرة من بلادنا وترك أوطاننا بسبب ذلك

فأرجو من حضرتكم ان تبينوا رأيكم العلي في أسرع وقت يمكنكم الجواب لازلتم هادين مهديين خادمين للشريعة المطهرة المحمدية

ح . ح

(ج) قد سبق لنا الافتاء في هذه المسألة (ص ٣٥٨ م ١٠) فليراجعه السائل على ان الظاهر من السؤال انه يعلم ان السنة تقضي بتعجيل الدفن بعد تحقق الموت فاذا كان هنالك ارتياب في الموت وجب تأخير الدفن الى ان يتحقق الموت والشرع لايمنع الاستعانة بالطبيب على ذلك واذا جاز كشف الطبيب على المرأة المريضة اذا لم يوجد امرأة طبيبة تغني عنه فانه يجوز أيضا ان يكشف على المرأة الميتة لأجل العلم بتحقق الموت اذا كان هنالك أدنى ارتياب فيه لئلاتكون مغمى عليها فتدفن ثم يزول الاغماء بعد الدفن فتموت أشنع ميتة وقد وقع مثل هذا كثيرا ولولاه لما عنيت الحكومات التي ارتقى فيها علم الطب وكثرت فيها التجارب بالكشف على الموتى وتأخير دفنهم . وهب ان بعض المسلمين علم أن ميته قد توفاه الله حتما بحيث صار تأخير دفنه عدة ساعات مخالفا للسنة فهل إكراه الحكومة إياه على هذا التأخير لأجل المصلحة التي تعتقدها لا لأجل مصادرته في دينه يوجب عليه الهجرة مطلقا وإن كان يترتب عليها إضاعة ماله وذهاب شيء من عقاره وترك ذلك لغير المسلمين كما هو الغالب فيمن يهاجرون الآن من مثل الجبل الاسود ؟ المسألة فيها نظر . فان لم يكن في الهجرة ضرر على المهاجرين من مثل تلك البلاد فليهاجروا الى البلاد العثمانية فان فيها أرضا واسعة تحتاج الى مثلهم والدولة تعتز بهم ويسهل عليهم إقامة دينهم في بلادها الآن ولم يكن يسهل في زمن الاستبداد اذ كان المسلم مضطهدا أكثر من غير المسلم. وإنما أريد بهذا القيد ان لايستفزهم الغيظ من الكشف الطبي فيحملهم على ترك ارضهم وعقارهم أو بيعها بثمن بخس لأجل التعجيل بالهجرة

قد يدرك المتاني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

* * *

﴿ غروب الشمس والافطار ﴾

(س ٢) من صاحب الامضاء في (سنغافوره)

الى معلم النوع المنير حضرة الاستاذ السيد محمد رشيد رضا متع الله المسلمين بحياته

سيدي : اختلف أهل طرفنا فيما اذا غربت الشمس رأى العين في البحر فأفطر من بالساحل وصلى المغرب ثم صعد في منطاد (بالون) الى علو بعيد ورأى الشمس من ثم بيضاء نقية لم تغرب هل يبطل صومه ؟ وبغروبها في نظره تجب عليه الصلاة ثانيا للمغرب ؟ ولو كان لم يصل العصر فصلاها حينئذ في منطاده هل تقع اداء أم قضاء ؟ وفيما اذا كان على الساحل بناء شامخ كبرج « ايفل » بفرنسا أو بنايات نيويورك فان الشمس ترى من اعلاها بعد تحقق الغروب عند من هو بالحضيض فهل لكل حكم أم حكمها واحد ؟ أم يختلف الحال فقبل وجود تلك العلالي نحكم بالغروب بمجرد اختفاء قرص الشمس تحت الافق في نظر من بالساحل وبعد وجودها لا نحكم بالغروب الا بعد اختفاء قرص الشمس عن نظر من يكون باعلا تلك القنن ؟ واذا كان بقطر واحد ساحل غربي يجاوره جبل عال كجبال هملايا فهل يتحد وقت الغروب عند من بالساحل ومن بالقنن أم يختلف ويكون اختلاف العلو كاختلاف المطالع وهل لذلك من ضابط ؟ افيدونا بما ترونه الصواب محمد بن سالم الكلالي

(ج) المعتبر في غروب الشمس شرعا هو ان يغيب قرصها تحت الافق ويذهب شعاعها عن جدران المباني والجبال ولكل أحد حكمه بحسب مايشاهده في ذلك ومن أفطر وصلى المغرب بعد غروبها ثم ارتفع في المنطاد فرآها لا يفسد صوم يومه ذاك ولا تجب عليه اعادة المغرب فيما يظهر لنا لانه لا يكلف في يوم واحد تكرار فريضة واحدة وقد مضت الاولى على الصحة فلا يؤثر في صحتها مايطرأ بعدها وقريب من ذلك الشك في الصلاة قبل السلام يؤثر ويترتب عليه حكمه وبعده لا حكم له لان الصلاة انتهت على الصحة . واذا فاتته صلاة العصر بغير عذر يكون عاصيا ولا يرفع عنه

المعصية رؤية الشمس في المنطاد بل تجب عليه التوبة وان حسبت له صلاتها في المنطاد أداء كما ان الذي يفطر يوما من أثناء رمضان ثم يسافر الى بلد تختلف مطالعه عن مطالع بلده فيجد أهله قد صاموا بعد أهل بلده بيوم وأكملوا عدة رمضان ثلاثين يوما فوافقهم وصام الحادي والثلاثين فكان هو الثلاثين له

* * *

﴿ عدة الوفاة ﴾

(س ٣) من صاحب الامضاء في (حماة : سورية)

الاستاذ الشيخ رشيد رضا صاحب المنار الاسلامي المنير أمتع الله بعلومه المسلمين

نظرا لعلمنا انكم وقفتم حياتكم على خدمة الدين وتمحيص الحقائق وحل المعضلات جئت بالسؤال الآتي ارجو منكم جوابه على صفحات المنار الاغر ولكم الفضل

امرأة كانت تحيض ثم انقطع حيضها وبعد شهرين من انقطاعه توفي زوجها ومضى عليها بعد وفاته سبع سنين ولم تحض وهي الآن لا تزال فتية وتريد أن تتزوج والمشايخ يمنعونها من الزواج بحجة الاستبراء قائلين لها لا يصح أن تتزوجي إلا بعد أن تبلغي سن اليأس فهل يجوز في الدين الحنيفي أن تبقى هذه الفتاة المسكينة بحسرة النكاح مدة عمرها وهي لم تأت ذنبا . وإذا كان ما افتاها المشايخ بصحيحها فما هي الحكمة التي يترجح بها جانب الظلم على كفة العدالة في هذه المسألة؟ افتونا مأجورين ولكم الفضل .

احمد جمال

(ج) عدة من يموت عنها زوجها اربعة اشهر وعشر ليال بنص القرآن فان كانت حاملا فعدتها أن تضع حملها بالنص ايضا وتقدم بيان ذلك في تفسير سورة البقرة وقد مضى على المرأة المسئول عنها الزمن الذي علم فيه انها لم تكن حاملا منه على جميع اقوال الفقهاء في اكثر مدة الحمل فلا مانع يمنع من زواجها على ذلك والحكم لله العلي الكبير

***

﴿ طريقة الشاذلية ﴾

(س ٤) من احد علماء سرنديب (سيلان — Ceylan)

ما قولكم ياعلماءنا الاعلام شيد الله بكم مباني الاسلام :

إن بعض اقوام يذ كرون الله بالرقص والتواجد و يسمون هذه طريقة شاذلية فهل هذا القول صحيح أم لا ؟ افتونا مأجورين

(ج) انا رأينا كما رأيتم اقواما يأتون ما ذكرتم وا كثر مما ذكرتم من البدع وينسبون انفسهم الى الشيخ ابي الحسن الشاذلي ولو رآهم ابو الحسن لتبرأ منهم . وقد سبق لنا في المنار انكار هذه البدع مرارا كثيرة ونشرنا في مجلد السنة الماضية (ص ٢٧٣ م ١٢) فتوى لطائفة من علماء الازهر في الانكار الشديد على ذلك فلتراجع

***

﴿ عذاب القبر ﴾

(س ٥) من الشيخ حسن أبو احمد مأذون الشرع بنقيطه (المنصورة)

في مطرية المنزلة خلاف بين طائفتين في عذاب القبر هل هو ثابت بصريح القرآن والسنة الصحيحة أم لا ؟ ارجو التكرم بايفاء هذا الموضوع حقه من غير احالة على اعداد مضت لأني وعدتهم بذلك وعرفتهم بقولك الفصل ولكم الفضل

(ج) قد سبق لنا بيان هذه المسألة في المنار ونقول الآن انها لم يصرح بها في القرآن ولكن ورد فيها احاديث صحيحة مشهورة وليراجع ما كتبناه من قبل (ص ٩٤٦ م ٥) و (ص ٢٥٦ م ٨)

***

(الائمة الاربعة ومقلدوهم واجتهاد العامي)

(س ٦) من صاحب الامضاء الرمزي في سورا كارتا (جاوه)

حضرة سيدي الاستاذ الكامل السيد محمد رشيد رضا المحترم حفظه الله تعالى آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته و بعد فاني أقدم الى سعادتكم سؤالا خطر ببالي وليس يجيبني غيركم عنه وهو هذا :

ماقولكم رضي الله عنكم في الأئمة الاربعة ومقلديهم من عصرهم الى هذا الزمان هل مادونوه في كتبهم وتبعهم عليه اتباعهم هل أخذوه عن الكتاب والسنة أم من تلقاء أنفسهم وهل مقلدوهم في الاحكام الشرعية على هدى أو في ضلال؟ وهل الائمة المتأخرون مثل ابن حجر المكي ومن هم في طبقته دونوا كتب الفقه على ماجاء به الكتاب والسنة أومخالف لها؟ فان كانوا وضعوها على خلاف السنة والكتاب فالمطلوب من فضلكم بيان مايخالف الكتاب والسنة لاجل أن نجتنبه ونعمل بما يوافق الكتاب والسنة ونعلم بخطأهم لان كتبهم معتبرة في الاحكام الشرعية ويحكمون بما قرروه فيها في المحاكم الاسلامية

افيدوني بالجواب الشافي لاني رجل عامي اخذتني الحيرة لما وقفت على السؤال الذي ورد اليكم من بتاوى وجوابكم عنه في الجزء الثامن من المجلد ١٢ سنة ١٣٢٧ صفحة ٦١٤ من المنار فلهذا رفعت اليكم هذا السؤال أرجو من فضلكم الجواب الشافي ولكم من الله الاجر والثواب ولا تقدموا عذراً في ذلك وهذا سؤال آخر ملحق بما تقدم

ماقولكم في العامي المقلد هل يجوز له الاجتهاد المطلق ويترك مذهب امامه أم لا؟ وكيف يبلغ رتبة الاجتهاد من لا يعرف قواعد مذهب امامه ؛ افيدوني مأجورين

س . ب . ر

(ج) كان الأئمة الاربعة رحمهم الله تعالى على هدى من ربهم يتبعون مافهموه من كتاب الله عز وجل وهدي نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وما أجمع عليه سلف الامة الصالحون من علماء الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، ومالم يجدوا فيه نقلا يتبع قاسوه على نظيره مما ورد من آية أو حديث فهم مجتهدون مأجورون على ماأصابوا فيه مرتين وعلى ماأخطأوا فيه مرة واحدة كما ورد في الحديث ومن حذا من أتباعهم حذوهم هذا وجرى على طريقتهم في اتباع الكتاب والسنة واجماع سلف الامة

كمحمد بن الحسن من اصحاب ابي حنيفة والمزني من اصحاب الشافعي (مثلا) فهم مثلهم على هدى من ربهم

وأما المتأخرون كابن حجر المكي فهم ليسوا من الائمة الذين ينظرون في الكتاب والسنة ابتداء ويقدمون مايفهمون منهما على قول كل أحد ورأيه وإنما هم ينظرون في كتب السابقين من أهل المذهب الذي انتموا اليه ويأخذون مؤلفاتهم منها إما بتلخيص واختصار وإما ببسط وإيضاح كل بحسب فهمه وقدرته على الكتابة وما في كونه فيها من الادلة منقول من تلك الكتب ايضا فالواحد منهم لايتحرى في المسألة كل ماورد في الكتاب والسنة وهدي السلف فيأخذ بالراجح بل منهم من يظهر له الدليل على خلاف مذهبه فلا يكتبه في كتابه بل ربما تمحل في الرد على من أخذ بذلك الدليل الراجح من أهل المذاهب الاخرى انتصارا لمذهبه !! بل يفعل هذا من هم في طبقة أعلى من طبقة ابن حجر كالنووي فانه في كتبه الفقهية يستدل على صحة المسائل التي يعلم أنها مرجوحة من مسائل المذهب اذا وزنت بميزان الكتاب والسنة وقد يصرح هو نفسه بذلك في غير كتب الفقه كما يقول النووي رحمه الله تعالى في شرحه لصحيح مسلم أحيانا: الاصح من حيث الدليل كذا ومن حيث المذهب كذا ! وقد يقول في بعض مسائل المذهب انه لايقوم عليها دليل ومن ذلك - ان لم أكن واهما فيما أتذكره وأنا بعيد عن الكتب - مسألة الغسل من نجاسة الخنزير سبع مرات إحداهن بالتراب . وقد نقل الغزالي عن بعض الفقهاء الذين وصلوا الى مرتبة الاجتهاد المطلق انهم كانوا يفتون على مذهب الأئمة الذين اشتهروا بالانتماء اليهم ويعملون بخلاف ماأفتوا به ويعتذرون عن ذلك بأن السائل انما سألهم عن الحكم في مذهب الامام فأجابوه عما سأله من باب الامانة في النقل وانه لو سألهم عن مذهبهم لأفتوه به !!

تلك الكتب التقليدية لايقال إنها وضعت على أصل الكتاب والسنة كما يقال في مثل كتاب (الام) للامام الشافعي رضي الله عنه لانها وان كان الغرض منها بيان أحكام مذهبه لم تؤخذ من الكتاب والسنة مباشرة ولم يلتزم مؤلفوها ذلك لانهم يعتقدون في أنفسهم انهم ليسوا أهلا للاخذ من الكتاب والسنة ، ولا يقال انها وضعت على خلاف الكتاب والسنة لانه لم يقصد بها ذلك الخلاف . ومطالبتنا ببيان

مافيها من مخالفة الكتاب والسنة لأجل ان يحتفي من الاعنات فان من يريد ترك تقليد تلك الكتب واتباع الكتاب والسنة مباشرة لايحتاج الى قراءتها على طولها وصعوبتها وبيان مايوافق الكتاب والسنة منها ومالا يوافقه بل الاولى والاسهل له ان يقرأ الكتاب والسنة ابتداء ويعمل بهما . فان كان لايفهمهما بنفسه ويقول أريد أن أستعين على فهمهما بكلام العلماء قال له اقرأ التفسير وشرح الحديث ولا سيما تفاسير السلف كابن جرير ومثل شرح الشوكاني لاحاديث الاحكام وكتاب الهدي النبوي لابن القيم واستعن بها على ذلك فان اختلف المفسرون والشارحون فاعمل بما يظهر لك انه الحق من كلام المختلفين ، ومن لايريد ترك تقليدها فلا يسمع لك فيها قولا وان اقمت له عليه ألف دليل

وأما العامي المقلد فلا يجوز له ان يتصدى للاجتهاد المطلق مادام عاميا ليس له من العلم مايؤهله لذلك بل عليه ان يستفتي في المسائل التي يجهل حكمها أهل العلم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فتى رووا له في المسألة نصا صحيحا وجب عليه العمل به فان لم يفهم النص استعان بهم على فهمه . وان العوام الذين يسألون في الوقائع التي تعرض لهم عن قول مثل ابن حجر فيها لايفهمون أقوالهم بل يعتمدون على المفتي في إفهامهم إياها فاذا كانوا محتاجين المفتي في كل حال فلماذا يستعينون به على فهم قول مقلد قد تبع في كتبه أمثاله ولا يستعينون به على فهم كلام الله تعالى وسنة رسوله (ص) وحديثه؟ الجواب عن هذا السؤال سهل على المقلدين مشهور بينهم يقولون إنه لايوجد في هذه العصور من يقدر على فهم الكتاب والسنة بنفسه وانما قدر على ذلك في القرون الاولى أفراد معدودون وفهم كلام هؤلاء افراد دونهم وهكذا كان أهل كل عصر يفهمون كلام من قبلهم مباشرة فيجب على المتأخر أن يأخذ بكلام مثل الباجوري الذي اخذ من مثل الرملي وابن حجر اللذين اخذا من مثل الشيخ زكريا الذي اخذ عن مثل النووي الذي اخذ عن مثل الغزالي - الى ان يصلوا الى الشافعي !! . ويجيبهم أهل السنة بأن كلام الله ورسوله أفصح الكلام فهو أسهله فهماً وان الأئمة المجتهدين حرموا الاخذ بكلامهم من غير معرفة مأخذه من الكتاب والسنة ، وبغير ذلك مما بيناه في محاورات المصلح والمقلد وفي مواضع أخرى

من المنار وهي تبلغ مئات من الصفحات فلا يمكن تلخيصها في هذا الجواب ، والله الهادي والموفق للصواب

***

﴿ أسئلة من سنغافوره ﴾

(س ٧ و ٨ و ٩) من س . س . ي . في سنغافوره

سيدنا الرشيد المرشد صاحب المنار الاغر أفدنا أدامك الله نفعا للانام

(١) ما حكم مجلة طوالع الملوك وما حكم الاعلان عنها والفات الناس الى ترهاتها وهل ذلك من خدمة الدين والوطن ولماذا سكت عنها وعن ما يقال فيها علماء مصر؟ ألقولهم بنفعها أم لعدم اكتراثهم بما يتعلق بالدين والمصالح العامة أم لجهلهم بحالها ؟!

(٢) بينوا لنا حال الشيخ ابن حجر الهيتمي ومنزلته في العلوم ومنزلة كتبه فاني رأيتها كثيرة التعقيد وعباراتها سيئة التركيب وكثير منها يسهل على طالب العلم المتوسط الحال أن يجمع ما حوته من المعاني في أقصر منها وأسلس واوضح و يظهر لي انه شديد التعصب للصوفية يتعسف في تأويل طامات بعضهم ثم هو يذم و يسب شيخ الاسلام ابن تيمية وينبزه بتكفير المسلمين ولعل من كفره ابن حجر في كتابه « الاعلام بقواطع الاسلام » أضعاف من كفره ابن تيمية و يظهر لي ايضا انه سامحه الله يتعصب ضد اهل البيت مع تظاهره بحبهم و يتأول لاعدائهم بما هو بديهي البطلان او قريب منه حتى خلت انه مقلد محض وآل حضرموت يقدسونه

(٣) إن سيدي له إلمام ومعرفة باحوال الصوفية فما هي حقيقة التجزي الذي يزعمونه وهل له شاهد او دليل عن صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم وهل عرفه الصدر الاول ام لا ؟

حكم مجلة طوالع الملوك والترغيب فيها بالاعلان

(المنار) جاءتنا هذه الاسئلة في العام الماضي فلم ننشرها بل قدمنا عليها بعض

ما عندنا من الاسئلة الكثيرة عملا بتقديم الاهم على المهم وقد اعاد السائل علينا اسئلته من عهد قريب وألح في طلب الجواب فنقول : اما مجلة طوالع الملوك فاننا لم نقرأها لنرى ما فيها فلا نرسل المنار الى صاحبها ولا هو يرسلها الينا ومن البديهي اننا لا نشتريها ولكننا سمعنا بعض من اطلع عليها من اهل الفضل يقولون انها مجلة عرافة وكهانة وتنجيم وروحانيات وطلسمات ، ورأينا في بعض الجرائد وصفا لها بنحو من ذلك في باب الاعلان ولا عجب فان الجرائد لا تتنزه عن الكسب باعلان المنكرات وترويجها كترغيب الناس في الخمور ورقص النساء المتهتكات و بعض ضروب القمار فاذا صح ماسمعناه من وصف هذه المجلة فحكم قراءتها كحكم قراءة الكتب المشتملة على مثل ماتشتمل عليه وهو يختلف باختلاف قصد القارىء فان كان يقرأها ليأخذ بأقوالها و يعمل بما فيها مما يحظره الشرع فقراءته إياها محظورة حظرا شديدا وقد بينا من قبل بعض ما قاله العلماء في هذا الباب وممن شدد فيه ابن حجر الهيتمي في الفتاوى الحديثية . ويقرب أن يكون تصديق ما فيها من الاخبار عما وقع او سيقع كتصديق العرافين والكهان وفي حديث مسلم « من اتى عرافا فسأله وهو يصدقه فقد كفر بما انزل على محمد » صلى الله عليه وآله وسلم ، وان كان يقرأها ليعرف ما فيها و يحذر الناس مما فيه من مخالفة الشرع فهو مثاب على قراءتها ، ولا يخفى حكم سائر المقاصد

وسكوت علماء مصرعنها يحتمل ان يكون سببه عدم الاطلاع عليها لأنه قلما يوجد فيهم من له عناية بالوقوف على امثال هذه المطبوعات ، ولكن هذا الاحتمال بعيد والغالب أن يكون قد اطلع عليها بعضهم دون بعض ، فيوشك أن يكون منهم من اطلع على جزء أو أجزاء لم يستنكر منها شيئا ، وأن يكون المستنكر لبعض ما فيها قد نهي عن قراءتها أو عن نشرها بالقول دون الكتابة في الجرائد ، وأن يكون منهم من لم ينه صاحبها عن نشرها ولا الناس عن قراءتها مع اعتقاده بطلان ما فيها وتحريم نشره وتصديقه لان المنكرات قد كثرت وألف العلماء وغيرهم ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا قليلا منهم ، ولا سيما الانكار بالكتابة والنشر في الجرائد . ولكن هذا الذنب لا يصح اسناده الى علماء مصر كافة لما ذكرناه من الاحتمال والغالب في المسألة

ابن حجر الهيتمي وكتبه

وأما ابن حجر الهيتمي فحاله في العلم قد بيناها في الفتوى السادسة من هذا الجزء فهو مقلد لفقهاء الشافعية في مرتبة الذين يرجحون بعض اقوالهم على بعض وكتبه من أحسن كتب متأخريهم ولكنها لا تبلغ كتب النووي في انسجامها وسلامة عبارتها ، ولا كتب الماوردي في أسلوبها وبلاغتها ، ولا كتب الغزالي في بسطها وفصاحتها ، ومع هذا نرى السائل قد بالغ في مدحها إذ ادعى انه يسهل على طالب العلم المتوسط الحال جمع ما حوته من المعاني في كتب اخصر منها واسلس واوضح ، وقد بينا رأينا فيما شنع به على شيخ الاسلام ابن تيمية في (ص ٦٢٢ م ١٢) فليراجعه السائل ، ثم إنه يتعصب للصوفية لانه تربى من صغره على الخضوع والتسليم للمنتسبين الى التصوف والمعروفين بالصلاح والتأويل لهم فيما يخالفون فيه الفقه الذي هو عنده فوق كل علم لقوله في فتاويه : إن اقوال الفقهاء اذا تعارضت مع اقوال المفسرين او المحدثين فالمرجح الذي يجب العمل به هو ما يقوله الفقهاء !! ولكن لا يظهر لي ما ظهر للسائل من تعصبه على آل البيت وإن تأول لاعدائهم كما قال ، ولكنه مقلد كما خال ، ومن شأن الذين يضعون الكتب في المسائل الجزئية أن يتمحلوا ويتعسفوا ويأتوا بالضعيف واللغو الذي لا يفيد المراد ولا يؤيد المقصود ، فهذا أحد سببين في تهافت ابن حجر في كتابه (تطهير اللسان والجنان) الذي يشير اليه السائل ، والسبب الثاني هو الانتصار لقوم على قوم ومن كان كذلك لا يظهر له الحق في المسائل كما هو لانه لا ينظر اليها من كل جانب بل يوجه كل قواه المدركة الى البحث عما يوافق غرضه من تأييد رأي وتفنيد آخر فيكبر الاول ويصغر الثاني ان هو أدركه ، وتقديس اهل حضرموت له سببه انهم مقلدون لعلماء الشافعية وقد جعلوا كتبه عمدتهم في المذهب كما اشتهرت كتب الشمس الرملي من اهل طبقته في مصر

التجزي عند الصوفية واصطلاحاتهم

لا نكتب في المنار شيئا من حقيقة التجزي الا اذا علمنا ان في الناس من يفهمونه فهما ضارا في الدين ونرجو هدايتهم بالمنار ولكننا نقول انه ليس من الامور الدينية وانما هو من قبيل الاصطلاحات الفنية وهكذا نقول في اكثر اصطلاحات الصوفية كالفرق والجمع والسكر والصحو . فالقوم قد استعاروا لانفسهم ألفاظا من اللغة أخرجوها عما وضعت لاجله وعبروا بها عن أذواقهم ومعارفهم كما فعل غيرهم من أهل الفنون اللغوية والشرعية والعقلية والطبيعية فلا يشترط في إباحة ذلك لهم أن يكون كل مايقولون به قد نطق به الشرع من قبل . وغاية ماينكر عليهم في ذلك أمران أحدهما ان يجعلوا بعض عرفهم واصطلاحهم من الدين والشرع بغير دليل شرعي وثانيهما ان يكون في ذلك ماثبت بالدليل انه مخالف للكتاب والسنة الثابتة بلا نزاع وذلك انهم فلاسفة يدينون بالاسلام ، مع الاجتهاد والاستقلال ، إذ الصوفي الحقيقي لا يكون مقلدا الا في بداية سلوكه فانه حينئذ يقلد استاذه ومربيه دون غيره

* * *

﴿ تزيين شعر الرأس والزي الاوربي ﴾

(س ١٠ و ١١) من صاحب الامضاء في (تلمسان ـ الجزائر)

حضرة الاستاذ الحكيم الشيخ المعظم سيدي السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته تعمكم وتعم جميع دائرتكم

ثم أطلب من فضلكم فتواكم في العدد الآتي في مجلتكم عن تزيين شعر الرأس واللحية مثل الاوربيين أيجوز شرعا أم لا ؟ وكذلك اللباس الاوربي أيجوز أم لا ؟ أرجوكم الايضاح عن هذين السؤالين ولكم جزيل الفضل والمعروف والسلام

حرره تلميذكم مصطفى الباجي

(ج) ورد في السنة طلب تزيين شعر الرأس واللحية بالمشط والدهن والطيب وفي الشمائل النبوية الشريفة أحاديث في فرق النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لشعره وسدله له * فمن زين شعره من المسلمين فليقصد بذلك اتباع السنة السنية سواء وافق ما عليه الاوربيين ام خالفهم ولا يبالي باقوال الجاهلين الذين يخوضون في عرض كل من يفعل شيئا يوافق ما عليه الافرنج وان كان من المحاسن التي سبق الاسلام الى طلبها وعمل النبي (ص) والسلف الصالح (رض) بها فاننا لا نترك محاسن دين الفطرة اذا اخذ بها غيرنا بل نسر باتباع الناس لآداب ديننا وفضائله وان لم يدينوا به وفي ذلك فوائد كثيرة ليس هذا المقام بمحل لشرحها . وأما من يقصد بتزيين شعره تقليد الافرنج فهو وضيع ضعيف العقل والنفس لانه مقلد لمن يراهم لحسته أشرف منه وأكمل . وهكذا شأن كل تقليد فان من يثق بمعرفته الحق أو الفضيلة أو الادب الصحيح لا يقلد في شيء من ذلك غيره تقليدا * فالتقليد هو شأن الاطفال مع الكبار والاستقلال هو شأن العقلاء المستقلين والعاقل انما يعمل ما يعتقد انه الاولى بالدليل العقلي في الامور العقلية والدليل الشرعي في الامور الشرعية وهكذا . والجاهلون يتمسكون بالعادات ويجعلونها دينا ينكرون على مخالفهم فيها

وأما المسألة الثانية فيعلم حكمها مما تقدم فمن المعلوم ان الاسلام لم يحرم على أهله زيا ويفرض عليهم زيا آخر بل ترك الازياء لاختيارهم وفي السنة السنية مايدل على ذلك فقد ثبت في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبس الجبة الرومية من أزياء الروم والطيالسة الكسروية من أزياء المجوس ولم يقصد تقليد القوم وانما جيء بذلك فلبسه . وانما نهى عمر (رض) جيشه في بلاد الفرس عن زي الاعاجم لئلا يغرهم ما غنموه من اللباس النفيس فيتمتعوا بنعمته و يغلب عليهم الترف فيضعفوا عن الجهاد وحفظ البلاد ولذلك أمرهم في كتابه ذاك الى القائد عتبة بن فرقد بان يخشوشنوا ويتمعددوا و يداوموا على التمرن على رمي السهام و يبرزوا للشمس فقال عليكم بالشمس فانها حمام العرب ولهذا اختلفت أزياء المسلمين في مشارق الارض ومغاربها وخليفة المسلمين واكبر امرائهم يلبسون زي الافرنج في هذا العصر لاستحسانه

* * *

﴿ الرضاعة من كتابية – لبس البرنيطة ﴾

﴿ حديث « من تشبه بقوم » – الزنار و « اربطة الرقبة » ﴾

(س ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥) من صاحب الامضاء الرمزي في (سمبس برنيو الغربيه – جاوه)

(١) هل يثبت الحرمة رضاع بين الكافر والمسلم مع مراعاة الشروط المدونة في كتب الفقه ؟ كما لو رضع مسلم لكافرة او كافر لمسلمة

(٢) هل يجوز لمسلم لبس البرنيطة (القبعة) لحاجة كالاتقاء من الشمس أو لغيرها ؟

(٣) ما حكم التشبه بالافرنج في الملبس وغيره بحيث لايمكن التميز بعلامة ما . فهل يجوز ام لا ؟ لان ذلك مما عمت وطمت به البلوى خصوصا عند الطبقة العليا فانهم يلبسون البرنيطة فوق الكوفية المعتادة لهم

فمن الناس من قال انه حرام وحجته قوله عليه السلام « من تشبه بقوم فهو منهم » . وبعضهم قال انه جائز لا بأس به وحجته انه لم يرد في كتاب الله ولا في سنن رسله وانبيائه أمر لأمتهم باتباع ملابسهم او تغييرها بزي معلوم او نهي عن ذلك بل ربما ورد أن بعض الصحابة لبس شيئا من ملابس الكفار في الصدر الاول للاسلام ولم ينكره احد من الصحابة

(٤) الزنار « أربطة الرقبة » فالمشهور من بعض الافاضل المتقدمين ان لبسه حرام باتفاق ولكن المشاهد في عصرنا هذا شيوع استعماله في مسلمي الدنيا . هل هو حرام أم لا ؟ بينوا لنا رأيكم ورأي علماء مصر المصري ليسكت المرج والمرج فلكم منا جزيل الشكر والامتنان .   م . ب . ج . م . ع

(ج) اما الجواب عن الاول فنعم فمن رضع من كتابية حرم عليه ان يتزوج احدا من اصولها أوفروعها وقد رأيتم التفصيل في احكام الرضاعة في تفسير هذا الجزء واما الاسئلة الثلاثة الاخر فمناها واحد وتعرفون حكمها من الفتويين العاشرة والحادية عشرة في هذا الجزء ومما كتبناه عن حديث « من تشبه بقوم فهو منهم » في الجزء الماضي . ولكن الزنار غير « ربطة الرقبة » التي فسرتموه بها وماذكر منه في كتب الفقه يراد به زنار الرهبان والقسيسين الذي هو من تقاليدهم الدينية ولا يجوز للمسلم ان يتبع تقاليد دين من الاديان بل يتبع في الدين كتاب الله وسنة رسوله (ص) وأما الازياء والعادات التي ليست من اديانهم فهي التي يتبع الناس فيها مصالحهم ان لم تخالف نصا شرعيا . ولا نص في تحريم ازياء المخالفين لنا في الدين التي هي من العادات لما علمت من لبس النبي (ص) لبعض ازياء الروم والمجوس

***

﴿ الكلام وقت خطبة الجمعة ﴾

(س ١٦) من صاحب الامضاء الرمزي في (سمبس برنيو)

حضرة العالم العلامة سعد الملة وفخر الامة سيدي الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر متعني الله بشريف وجوده آمين .

بعد اهديكم أطيب التحية والاحترام أرجو ان تفيدوني بالاجابة عن هذه الاسئلة واشكركم سلفا ، إنه قد جرت عادة في بعض بلاد جاوه يقرأ المؤذن او المرقي عند صعود الخطيب على المنبر لقراءة الخطبة آية: إن الله وملائكته الآية او شيئا من الاحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم « اذا قلت لصاحبك والامام يخطب يوم الجمعة أنصت فقد لغوت » أه الجامع الصغير فهل يسن ذلك ام لا ؟ ومما قاله (المؤذن او المرقي) روي عن ابي هريره (رض) أن يوم الجمعة سيد الايام وحج الفقراء وعيد المساكين والخطبة فيها مكان الركعتين . فاذا صعد الخطيب على المنبر فلا يتكلمن أحدكم ومن يتكلم فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له اه فهل صح أن

هذا الحديث رواه ابو هريرة (رض) او غيره ، أو هو من اقوال العلماء ؟ وفي اي كتاب يذكر ؟ هذا والمرجو لسيدي من فضيلتكم ان تجيبوني وا كون ذاكرًا لكم جميل الذكر وحسن الثناء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .　　م . ب

(ج) هذه العادة معروفة في مصر وسورية أيضا وما هي بسنة مأثورة تتبع وانما هي عادة كما ذكرتم والحديث الاول متفق عليه في الصحيحين ولا بأس بذكره قبل الخطبة بقصد النصيحة والتذكير ولكن لاينبغي ان يداوم عليه بكيفية مخصوصة توهم أن تلاوته سنة مأثورة واما الحديث الثاني « يوم الجمعة سيد الايام » الخ فلا يصح وأوله ذكر في بعض كتب الموضوعات

***

﴿ اباحة الغناء ﴾

(س ١٧ و ١٨) من صاحب الامضاء في روسيا

سيدي متع الله الانام بطول بقائكم وانفعهم بأفيد كلامكم ، ان لي مسألتين نشتاق الى بيانهما ونحتاج الى ايضاحهما أرجو توضيحهما في احد اجزاء مجلة المنار ولكم الاجر إن شاء الله

(١) قال في التفسيرات الاحمدية في تفسير الآيات المتعلقة للاحكام في سورة لقمان : ومن الحجج الدالة على اباحته (اي التغني) ما ذكر في العوارف فمن الآيات ما ذكر في العوارف قوله تعالى (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) وقوله (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) وقوله تعالى (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) الآية ومن الاحاديث ماقال اخبرنا الشيخ الطاهر بن ابي الفضل عن ابيه الحافظ المقدسي قال اخبرنا ابو بكر القاسم الحسن بن محمد الحرافي قال حدثنا ابو محمد عبد الله بن يوسف قال حدثنا أبو بكر بن وثاب قال حدثنا عمر بن الخطاب (رض) قال حدثنا الاوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة ان ابا بكر دخل عليها وعندها جاريتان

تغنيان وتضربان بدفين ورسول الله متسجٍ بثوبه فانتهرهما ابو بكر فكشف رسول الله عن وجهه وقال « دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد » وسقط هنا في البين حديثان اسقطتهما قصدا وفيه ايضا قال اخبرنا ابو زرعه طاهر عن والده ابي الفضل الحافظ المقدسي قال أخبرنا ابو منصور محمد بن عبد الملك المظفري السرخسي قال اخبرنا ابو علي فضل بن منصور بن نصر الكاغذي السمرقندي اجازة قال حدثنا الهشيم بن كليب قال حدثنا ابو بكر عمار بن اسحاق قال حدثنا سعد بن عامر عن شعبة عن عبد العزيز بن صهيب عن انس رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انزل جبرائيل عليه السلام فقال يا رسول الله ان فقراء امتك يدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمس مئة فرح رسول الله عليه السلام فقال: أفيكم من ينشدنا ؟ قال بدوي نعم أنا يارسول الله، قال: هات، فانشد البدوي

قد لسعت حية الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا راق

ان الحبيب الذي شغفت به فعنده رقيتي وترياقي

فتواجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتواجد الاصحاب معه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فلما فرغوا اوي كل احد منهم مكانه قال معاوية بن ابي سفيان ما احسن لعبكم يارسول الله ! فقال: يامعاوية ليس بكريم من لم يهتز عند سماع ذكر الحبيب، ثم قسم رداءه رسول الله صلى الله عليه وسلم على من حاضرهم باربع مئة قطعة، وهذا الحديث اوردناه مسندا كما سمعناه ووجدناه اه ارجوكم ان تفيدوني عن هذه الآيات التي ذكرت هل هي دالة على ما ادعاه وما وجه الدلالة ونحن لا نصلح ولا نفهم وجه دلالته عليه وما الاحاديث التي أوردها وسردها هل هي معتبرة ومأخوذة عند المحدثين ام من الخرافات التي انشدها واحدثها المخترعون؟؟ افيدوني ياسيدي ولكم الاجر ان شاء الله

(٢) ولودفع الى الفقير من مال حرام شيئا يرجو الثواب يكفر ولو علم الفقير بذلك الحرام فدعا للمعطي كفر (خادمي شرح الطريقة في الجلد الاول في النوع الثالث من الكفر المحكم منه ٤٤٥ في نسختنا)

أقول من المقرر في كتب الفقهاء والفتاوى كالمحيط وابن عابدين وغيرهما ان

من كان عنده مال خبيث حرام كالمظالم وكربح المغصوب والامانة والمبيع بيعا فاسدا يجب التصدق به ، فيكون مأمورا بالتصدق فمن أتى بالمأمور به كيف يكون كافرا ؟ وايضا الداعي انما يدعو لمن أتى بالمأمور به فكيف يكون كافرا بالدعاء له ؟ بينوا ياسيدي توجروا　　الامام الديني أحسن بن شاه احمد الكاتبي

(ج) ليس في القرآن شيء يدل على التغني وصاحب العوارف إنما يستدل بما ذكر من الآيات على السماع المعروف عندهم وهو يكون سماع قرآن وسماع شعر أو غناء لأجل تحريك شعور النفس من خشوع او حزن او وجد لا على مطلق التغني والاستدلال بالآيات على سماع الشعر او الغناء تكلف مردود واما الحديثان فاولهما وهو حديث عائشة صحيح لا نزاع فيه وثانيهما وهو حديث سماع النبي (ص) وتواجده موضوع لا نزاع في كذبه تزونه في كثير من كتب الموضوعات والمشهورات على ألسنة العامة . وقد بينا احاديث اباحة السماع وحظره بالتفصيل في أول المجلد العاشر

وأما ما ذكره الخادمي من كفر من يتصدق بالمال الحرام وكفر من يدعو له فهو تشديد ظاهر البطلان لا حاجة الى الاطالة في بيانه وسنكتب في المكفرات شيئا نافعا ان شاء الله

***

﴿ علم الهيئة والسنة النبوية ﴾

(س ١٩) من احد المشتركين في دمشق الشام

الى حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ محمد افندي رشيد رضا متعنا الله بطول بقاه

لدينا كتاب مخطوط عنوانه «هيئة الاسلام وحكمة اهل الايمان» لمؤلفه ابراهيم القرماني الآمدي افتتحه بمقدمة قال فيها بعد البسملة والحمدلة ما ملخصه :

« لما طالعت كتاب الهيئة على اعتقاد اهل السنة والجماعة للمولى العلامة أبي الفضل جلال الدين السيوطي وجدت مباني مباحثها مطابقا لمضمون الاحاديث والآثار

موافقا لمفهوم كلام التابعين الاخيار انتخبت منه ومن الكتب المعتبرة نحو تفسير الامام أبي الليث السمرقندي وتفسير الامام القرطبي وتفسير الامام البغدادي وتفسير الامام الثعلبي والقشيري وعثمان الداري وابن الجوزي وابن أبي طالب المكي وابن كثير والكرماني والوسيط والسمرقندي والصنهاجي والسمرقندي والفتاوى الكبرى والشفا وشرح العقائد التفتازاني ما هو لازم اعتقاده مرتبا على ابواب وفصول »

ثم يلي ذلك كلام في تقديم الكتاب الى السلطان محمد خان ابن السلطان ابراهيم العثماني ثم ابواب الكتاب وفصوله وهي بوجه الاختصار : في عدد السماوات والارضين . في المسافة بين كل اثنتين منها . في الثخن والكثافة . في مادة السماء في العرش والكرسي واللوح والقلم. بعض عجائب السماء . مكان الجنة والنار. مستقر الارواح . مستقر الشمس بعد الغروب . جبل قاف. كون الارض بسيطة. بيان بعض عجائب الارض . بيان الصخرة المذكورة في القرآن. أحوال الشمس والقمر. الخسوف والهلال والليل والنهار والكواكب . الرياح والامطار والقوس والرعد والبرق والصاعقة . الخ الخ ويلي ذلك أحاديث يستشهد بها المؤلف على ماتضمنه الباب أو الفصل وأكثر هذه الاحاديث اذا لم نقل كلها لاينطبق على الحقيقة ونحن لعدم تضلعنا من علم الحديث لانعلم مكانها من الصحة ولذلك ننقل هنا شيئا منها لتقفوا عليه قال تحت عنوان أحوال الشمس مانصه : قال العلامة السيوطي أخرج الديلمي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الشمس والقمر وجوههما الى العرش وقفاهما إلى الناس» وأخرج الطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابي امامة الباهلي قال قال رسول الله (ص) «وكل بالشمس سبعة أملاك يرمونها بالثلج كل يوم ولولا ذلك ماأصابت شيئا الا احرقته» . وقال في الكلام على الرعد: أخرج احمد والترمذي عن ابن عباس ان اليهود قالوا يارسول الله اخبرنا عن الرعد ماهو؟ قال « ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله » قالوا فما الصوت الذي نسمعه؟ قال « زجره حتى ينتهي الى حيث أمره » قالوا صدقت

والكتاب كله على هذا النمط وقد بلغني ان هذا الكتاب ترجم الى اللغة التركية وطبع في الآستانة منذ عشرين سنة تحت اسم (هيئت اسلاميان) فضلّ به كثيرون

من تلامذة المكاتب وغيرهم لانه مخالف لما تلقوه من المبادي المقررة في علم الهيئة والاحداث الجوية التي لايشكون فيها لقيام الادلة عندهم عليها فما قولكم رحمكم الله في هذا الكتاب وامثاله؟ تكرموا بالجواب ولكم الاجر والثواب

(ج) اكثر ماورد في هذا الباب من الاحاديث يدخل في باب الموضوعات المكذوبة قطعا أو الواهيات التي تقرب منها وسنبين ذلك في مقال خاص بعد إلقاء عصا التسيار والاستقرار في مقام العمل ان شاء الله تعالى

* * *

﴿ حركة الارض ودورانها ﴾
« والاستدلال على ذلك من القرآن »

(س ٢٠) من الشيخ عبد القادر نور الله معلم مدرسة (باناس) الابتدائية

سألنا عن دليل حركة الارض ودورانها وعن استدلال بعض الناس على ذلك بقوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) وقد سبق لنا بحث طويل في هذه المسألة فليراجعه السائل في (ص ٢٦٠ م ٧) اذ لا سبيل الى إعادته والادلة العلمية في ذلك مبسوطة في كتب الجغرافية ومن يرى الآية التي أشار اليها دالة على دوران الارض برد على من يقول ان المراد بها حركتها عند خراب العالم بقيام الساعة بقوله تعالى بعد ما تقدم آنفا «صنع الله الذي اتقن كل شيء» واتقان الصنع يناسب الانشاء والتكوين لا ضدهما . وهناك آيات أخرى ذكرناها في الموضع المشار اليه

وسألنا أيضا عن مسألة مشكلة في كتاب (تنبيه الافهام) لرفيق بك العظم وسنجيب عنها عند ما يتيسر لنا مراجعة ذلك الكتاب بعد انتهاء سفرنا

المشورة (*)

قضت سنة الله في خلقه ان سلطة شرع الاحكام وتصريف الاوامر والزواجر لا تستقل وحدها بردع الخليقة وقيادتهم الى سابلة العدالة فكثير من الناس من يجري مع اهوائه بغير عنان ولا يدخل بأعماله الاختيارية تحت مراقبة العقل على الدوام ألا ترى الى جملة من احكام الشريعة كيف بنيت على رعاية الوازع الطبيعي وتغلبه على الوازع الشرعي كرد شهادة العدو على عدوه وعدم قبول شهادة الرجل لابنه أو لابيه واقراره في حال مرضه لصديق ملاطف أو وارث قريب. فلا بد اذًا من سلطة أخرى لتنفيذ تلك الاحكام المشروعة بالوسائل المؤثرة وان كره المبطلون كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رسالة القضاء لابي موسى الاشعري: وانفذ اذا تبين لك، فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له. وتسمى هذه السلطة بالسلطة القضائية وكان زمامها في عهد نزول الوحي بيد النبي صلى الله عليه وسلم يتولى الحكومة على الجاني ويباشر فصل النوازل بنفسه من غير ان يدور في حسبان مسلم مطالبته باعادة النظر في القضية أو استئنافها لدى غيره وما كانوا يرون قضاءه الا حكما مسمطا يتلقونه بأذن واعية وصدر رحيب لعلمهم يقينا كعمود الصبح انه حكم الله الذي لا يقابل بغير التسليم قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وقال تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم) وان تعجب فلا عجب لهذا فان الوازع الشرعي قد يتمكن من النفوس الفاضلة الى ان يصير بمنزلة الطبعي أو اقوى داعيا، وسهل انقياد العرب على ما كانوا عليه من الانفة وصعوبة المراس وانصاعوا الى قانون الشريعة مجملا ومفصلا من جهة ان الدين مسدود من وجدانات القلوب فالانقياد لاحكامه من قبيل الانقياد الى ما يدعو اليه الوجدان وليست

(*) ألقاها الشيخ محمد الخضر بن الحسين من العلماء المدرسين بجامع الزيتونة بتونس في مسامرة « الحرية في الاسلام »

الشرائع الوضعية بهذه الدرجة فان الناس انما يساقون اليها بسوط القهر والغلبة ويحترمونها اتقاء للادب والعقوبة ولا يتلقونها بداعية من انفسهم الا اذا أدركوا منها وجه المصلحة على التفصيل

وانما ورد من فصل قضائه صلى الله عليه وسلم قدر يسير بالنسبة الى مدة حياته لما كانت عليه حالة المسلمين يومئذ من الاستقامة والتئام العواطف القاضية بأن تكون معاملاتهم خالية من الدسائس خالصة من المشاكل وهكذا ماساد الادب وانتشرت الفضيلة بين أمة الا اتبعوا شرعة الانصاف من عند انفسهم والتحفوا برداء الصدق والامانة بمجرد بث النصيحة والموعظة الحسنة فيخفت ضجيج الضارعين وصخب المبطلين ولا تكاد تسمع لهما في اجواف المحاكم حسيسا . وضم صلى الله عليه وسلم الى السلطة القضائية فيما يخص الحق المدني سلطة التنفيذ فيما يختص بحقوق الامم كاشهار الحرب وإبرام الصلح وتلافي أمر الهجوم ولم يكن مع يقينه باستماتة اصحابه في طاعته وتفاني مهجهم في محبته لينفرد عنهم بتدابير هذه السلطة بل يطرحها على بساط المحاورة ويجاذبهم اطرافها على وجه الاستشارة عملا بقوله تعالى (وشاورهم في الامر) وقد يترجح بعض الآراء بوحي سماوي كما نزل قوله تعالى (وما كان لنبي أن يكون له اسرى حتى يثخن في الارض) مؤيداً لرأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أسارى بدر

اذن له صلى الله عليه وسلم بالاستشارة وهو غني عنها بما يأتيه من وحي السماء تطييبا لنفوس اصحابه وتقريرا لسنة المشاورة للامة من بعده . اخرج البيهقي في الشعب بسند حسن عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اما ان الله ورسوله لغنيان عنها (اي المشورة) ولكن جعلها الله رحمة لامتي فمن استشار منهم لم يعدم رشدا ومن تركها لم يعدم غيا »

وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه من العلم بقوانين الشريعة والخبرة بوجوه السياسة في منزلة لا تطاولها سماء ومع هذا لا يبرم حكما في حادثة الا بعد ان تتداولها آراء جماعة من الصحابة واذا نقل له احدهم نصا صريحا ينطبق

على الحادثة قال : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا .

وعهد بأمر الخلافة الى عمر بن الخطاب بعد استشارة جماعة من المهاجرين والانصار مثل عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان واسيد بن حضير وسعيد بن زيد وغيرهم وانما لم يبق الامر شورى بينهم كما صنع الخليفة الثاني او يتركه لآراء المسلمين عامة كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم اعتمادا على ما تفرسه في عمر من الكفاءة والمقدرة وحذرا من أن يتنازعها ذوو الاهلية فتثور ثائرة الفتنة ويرتخي حبل الاخوة في ايدي المسلمين

ونحا عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الجادة شبرا بشبر وذراعا بذراع قال من خطبة ارسلها في هذا الغرض : كذلك يحق على المسلمين ان يكونوا وامرهم شورى بينهم وبين ذوي الرأي منهم — ثم قال — ومن قام بهذا الامر فانه تبع لاولى رأيهم ما رأوا لهم ورضوا به لهم . وهذا ايماء الى الحكم النيابي ويدل له من كتاب الله قوله تعالى (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وضع الاسلام اساسه وبنى عليه الخلفاء سياستهم ثم انتقض بناؤه في دولة بني مروان ومذ شعرت الامم الآخذة بمذاهب الحرية بانه الضربة القاضية على السلطة الشخصية طفقوا يهرعون الى اقامة حكوماتهم على قاعدته المتينة

واخذ عمر بقاعدة الشورى في أمر الخلافة من بعده ففوض امرها الى ستة من كبراء الصحابة ليختاروا رجلا منهم وقال لهم : ويحضركم عبد الله بن عمر مشيرا وليس له من الامر شيء ! وضمه عبد الله بن عمر الى الستة وتشريكه لهم في الرأي وارد على ما ينبغي في مجالس الشورى من جعل نظامها مؤلفا من العدد الفرد ليمكنهم ترجيح جانب الاكثر عند الاختلاف ويلوح الى هذا بطرف خفي قوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم) فذكر العدد الفرد صراحة والاقتصار عليه دون الزوج في ضمنه اشارة الى ما ينبغي مراعاته في المجالس المؤلفة للمناجاة

هذا هو الاصل في الشورى وقد تؤلف من عدد زوج ويعتبر احد افراد

اللجنة بمنزلة رجلين اثنين ويسمى رئيسا لما فيرجح به الجانب الذي ينحاز اليه عند التساوي والدليل على صحته شرعا قول عمر بن الخطاب لأبي طلحة الانصاري: ان الله قد اعز بكم الانصار فاختر خمسين رجلا من الانصار وكن مع هؤلاء حتى يختاروا رجلا منهم - ثم قال له - وان رضي ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا فحكموا عبد الله بن عمر فان لم يرضوا بعبد الله فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف

والمشورة سنة متبعة عند بعض الامم من قديم الزمان وردت في قصة بلقيس حين دعاها وقومها رسول الله سليمان عليه السلام ان لا يعلوا عليه ويأتوه مسلمين قال الله تعالى (قالت يا أيها الملأ افتوني في امري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون * قالوا نحن اولو قوة وأولو بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين * قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) ووردت الشورى في قصة موسى عليه السلام مع فرعون وملائه قال الله تعالى (وقال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم * يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون * قالوا ارجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين) وكأن قاعدة الشورى بين فرعون وملائه لم تطرد على اساس صحيح بدليل ماسام به بني اسرائيل من العذاب المبين

وقطع مجلس الشورى عند فرعون رأيه وابرم في النازلة حكمه لأنه فوض اليهم ذلك بقوله « فماذا تامرون » وليس له من الامر شيء سوى تنفيذ اعمالهم والعمل بما يشيرون بخلاف مجلس الشورى عند ملكة سبأ فلم يزيدوا على ان عرضوا عليها رأيهم بطريق التلويح حين « قالوا نحن اولو قوة وأولو بأس شديد » يشيرون الى اختيار الحرب ثم اوكلوا الامر اليها بقولهم « والامر اليك فانظري ماذا تأمرين » لأنها لم تفوض اليهم الحكم في القضية وانما طلبت منهم ان يصرحوا بآرائهم ويبوحوا بافكارهم فقط بدليل قولها « ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون » اي إلا بمحضركم وقولها « افتوني في امري » أي اذكروا ماتستصوبون فيه ولأنها زيفت رأيهم واشعرتهم بأنها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان عليه السلام حدودهم فيسرع الى افساد ما يصادمه من اموالهم وعماراتهم فقالت « ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها »

لا تكون قاعدة الشورى من نواصر الحرية واعوانها الا اذا وضع حجرها

الاول على قصد الحنان والرأفة بالرعية واما المشاركة في الرأي وحدها ولا سيما رأي من لا يطاع فلا تكفي في قطع دابر الاستبداد

وام فوائد المشورة تخليص الحق من احتمالات الآراء وذهب الحكماء من الادباء في تصوير هذا المغزى وتمثيله في النفوس الى مذاهب شتى قال بعضهم :

اذا عنَّ أمر فاستشر فيه صاحبا وان كنت ذا رأي تشير على الصحب
فاني رأيت العين تجهل نفسها وتدرك ما قد حل في موضع الشهب

وقال غيره :

اقرن برأيك رأي غيرك واستشر فالحق لا يخفى على الاثنين
والمرء مرآة تريه وجهه ويرى قفاه بجمع مرآتين

وقال آخر :

الرأي كالليل مسودٌّ جوانبه والليل لا ينجلي الا بمصباح
فاضمم مصابيح آراء الرجال الى مصباح رأيك تزدد ضوء مصباح

ولا يدخل في وهم امرىء سمع قولهم (انما العاجز من لا يستبد) ان اقتداءه بسنة الشورى يشعر الناس بعجزه وحاجته اليهم فتسقط جلالته من أعينهم ويفوته الفخر بالاستغناء عنهم فان الناصح الامين لا تجده يجعل الفخار محورا يدير عليه سياسته فيلقي له بالا وانما يبني اعماله على مصالح يجلبها او مفاسد يدرؤها ومن كان يريد التمجيد والثناء فعنه بعدم الانفراد بالرأي أفخر لذكره وأشرف لسياسته من وصفه بصفة الاستبداد قال تعالى في الثناء على الانصار (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم) اي لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه وروي ان هذا دأبهم من قبل الاسلام ولعله هذا هو الوجه في مخالفة اسلوب الوصف به لما قبله وما بعده حيث اورد في جملة اسمية للدلالة على الثبوت والاستمرار

ومن فوائدها استطلاع افكار الرجال ومعرفة مقاديرها فان الرأي يمثل لك عقل صاحبه كما تمثل لك المرآة صورة شخصه اذا استقبلها

الاسلام في البلاد المسيحية (*

كان المسلمون في الازمنة الغابرة لا يقصدون البلاد المسيحية الا للفتح والاستيلاء عليها . وكان يندر جدا من يقصدها لغير هذا الغرض . والسبب في ذلك أن حوائج المسلمين الدينية والاجتماعية والاقتصادية كانت لاتقضي على مايرام في غير بلادهم ولذلك كان القاطنون في الديار المسيحية من المسلمين أندر من الكبريت الاحمر مع وجود ملايين من المسيحيين في البلاد الاسلامية

إن كثيرا من المسلمين أجلوا في العصور الماضية عن اوطانهم الى البلاد المسيحية جزاء لمطالبتهم بالاستقلال : من ذلك ان حكومة هولاندا اجلت في القرن السادس عشر من آسيا الشرقية (من جزائر جاوه و بورنيو وصوماترة) عدة آلاف من المسلمين المنتمين لجنس « ملايو » الى كابلانده في جنوب إفريقية . وفي ذلك العصر نفسه أرغمت الحكومة البولونية كثيرا من التتر على المهاجرة الى بولونيا . فبقايا هؤلاء وان أضاعوا قوميتهم بمعناها الاوربي أي وان نسوا لغتهم الاصلية واستبدلوا بها لغة البلاد التي استوطنوها فانهم لايزالون يحتفظون بدينهم و يتمسكون به شديد التمسك

واما اختلاط المسلمين بالمسيحيين بحسن اختيارهم وارادتهم فقد بدأ منذ زمن غير بعيد . ففي بادئ الامر اخذ الطلاب المسلمون يقصدون أمريكا وانكلترة وفرنسا بقصد التعلم بمدارسها العالية . ثم اضطرت بعض الاحوال السياسية والاقتصادية المسلمين أن يغادروا بلادهم ويهاجروا الى أوربا افواجا . فكان هذا الاختلاط هو السبب الرئيسي لانتشار الاسلام في الممالك الغربية

ويوجد الآن في المانيا رجل يسعى سعيا متواصلا الى نشر الاسلام فيها ألا وهو محمد عادل بك « اشميتس ـ دورمولين » . وكان من امره أنه قضى عشرين عاما مهندسا في الشرق ثم انتحل الاسلام وتزوج فتاة مسلمة من أسرة كبيرة . فلما

*) ترجمها بالعربية من جريدة (وقت) الناشئة صبغةالله افندي بيكبولاط من نوابغ الطلاب القازانيين بالازهر وهي منقولة من جريدة (وبرلاند اوندماير) النمسية

عاد الى وطنه « المانيا » طفق يدأب على نشر الاسلام بين أهل وطنه والدفاع عنه وعن المسلمين فألف في ذلك مؤلفات عديدة من اشهرها « الاسلام » « في الحرم » « الاستانة – بلدة الاسلام » وقد اثبت عادل بك في مؤلفاته هذه ان الاسلام قريب جدا من النصرانية الحقيقية وان ما عليه العالم المسيحي الآن من التقاليد والعادات مفسدة كبيرة ومدعاة الى الشهوات البهيمية والفقر المدقع وغير ذلك من المصائب والامراض الاجتماعية

ومن مشهوري الذين يجدون في نشر الاسلام في أوربا غير عادل بك عمر وشيدبك وقرينته مادام «يلينا فولاو» في مدينة مونخين

وقد أسست في فرنسا في هذه الايام الاخيرة جمعية « الاخوة الاسلامية » ومن أعضائها الآنسة الفرنسية «عزيزة روشه لرون »التي انتحلت الاسلام منذ أربعة أشهر . وهي تخدم في هذه الجمعية من غير ملل ولا ضجر، وقد أنشأت هذه الآنسة مجلة سمتها « النظر الى الشرق »مبدؤها تفهيم الاسلام للفرنسيين ومعاونة المسلمين على ارتقائهم وحضارتهم

وأما البلاد الانكليزية فان انتشار الاسلام فيها أظهر وكلمته أعلى . وتوجد فيها الآن جمعيات عديدة أشهرها «الاخوة الاسلامية » و « الهلال » و «اتحاد الاسلام» اسسها المهاجرون اليها من مستملكات انكلترة والذين انتحلوا الاسلام من الانكليز انفسهم . وقد شيد باجتهاد هؤلاء جوامع فخمة في لندره وليفربول وغيرهما من المدن الانكليزية واسست دواوين وملاجئ للايتام وكتاتيب لتعليم الصبيان وانشئت عدة من الجرائد والمجلات .

وأعظم الجمعيات المتقدمة الذكر جمعية « اتحاد الاسلام » وهي تعد مركزا لجميع مسلمي إنكلترة . ومن أهم مقاصدها معاونة المسلمين في ترقية شؤونهم الاقتصادية وتهذيب أخلاقهم وترقية العلوم والمعارف في العالم الاسلامي . وهي تتخذ التدابير اللازمة لمنع المعلومات الكاذبة عن المسلمين والاسلام في بلاد الغرب .

ومن أشهر أعضائها العاملين ، محمد عبدالله المأمون السهروردي المحامي الشهير وهو هندي الاصل . وقد ألف هذا الرجل مع حداثة سنه مؤلفات عديدة في الاسلام

باللغة الانكليزية منها « احاديث محمد » ، « اساس الحقوق الاسلامية » ، «شكسبير وأدبيات الشرق » ، «لا اكراه في الاسلام »وغيرها. وهو يصدر الآن مجلة تبحث في شؤون الاسلام والمسلمين.

ويمكنني ان اعد من الذين انتحلوا الاسلام وهم ينتسبون الى الدوائر الكبيرة هؤلاء: لورد استينلي عبد الهادي باركنيسون من اعضاء مجلس اعيان انكلترة، مازوريا المحامي الشهير ، براو نينغ ، كاليت شالدراك ، وغيرهم. ومن النساء : مادام ولباست من مشهورات عالمات الموسيقى، ومادام شلورنيت الرسامة ، ومسس بيبس، وغيرهن. ومن أشهر هؤلاء النساء مادام « كويليام» التي انتحلت الاسلام هي وأبناؤها و بناتها جميعا ، وقد عين احد ابنائها وهو احمد كويليام معتمدا سياسيا للدولة العلية في ليفربول والآخر وهو عبد الله كويليام شيخ الاسلام في انكلترة وهو ينشيء الآن جريدة ومجلة اسبوعية وله مؤلفات عديدة اشهرها «الدين الاسلامي» «التعصب والمتعصبون» وغيرهما

وهل كان يدور في خلد احد ان الاسلام تخفق اعلامه في ربوع امريكا؟ مع انه ليس فيها بأقل انتشارا منه في أوروبا وان شيخ الاسلام في تلك البلاد «محمد اسكندر روفيل ووب» يدأب دائما في توسيع نطاق الاسلام هناك ويبذل نفسه ونفيسه في هذا الشأن .وهو يرمي في خطبه ومحاضراته ومؤلفاته الى غرض واحد وهو تفهيم الاسلام للامريكيين وتعريفهم سيرة محمد (ص) . وجريدته المسماة « ته مسلم وورلد » في غاية الرواج والانتشار

وقد اخذ مسلمو نيويورك في تشييد جامع فخم جدا في الايام الاخيرة وليس امر الاسلام في اوستراليا مما يستهان به فقد أخذ في تشييد جامع ثان في مدينة « آدیلائید »

وخلاصة القول : ان الامر الذي كنا نعده من قبيل المستحيل من قبل صار من اقرب الممكنات ، والذين كانوا يزعمون ان الاسلام لا يصلح أن يوضع في ميدان الحياة اخذوا يتمسكون به ويقدمون النفس والنفيس في الذود عنه ونشره بين الانام

فهذه الامور هي اكبر برهان وأعظم دليل على ان الاسلام اكبر مساعد للحياة وأن له قابلية عظيمة للانتشار

آثار علمية ادبية

المطلقة (*

بدت كالشمس يحضنها الغروب — فتاة راع نضرتها الشحوب
منزهة عن الفحشاء خود — من الخفرات آنسة عروب
نوار تستجد بها المعالي — وتبلى دون عفتها العيوب
صفا ماء الشباب بوجنتيها — فحامت حول روقه القلوب
ولكنّ الشوائب أدركته — فعاد وصفوه كدر مشوب
ذوى منها الجمال الغض وجدا — وكاد يجف ناعمه الرطيب
أصابت من شبيبتها الليالي — ولم يدرك ذوائبها المشيب
وقد خلب العقول لها جبين — تلوح على أسرّته النكوب
الا ان الجمال اذا علاه — نقاب الحزن منظره عجيب

٭٭٭

حليلة طيب الاعراق زالت — به عنها وعنه بها الكروب
رعى ورعت فلم ترَ قط منه — ولم يرَ قط منها ما يريب
توثق حبل ودهما حضورا — ولم ينكث توثقه المغيب

*) قصيدة للشيخ معروف الرصافي الشاعر العراقي الشهير يتصرفيها لمذهب الامام ابن القيم في كتابه « اغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان »

فغاضب زوجها الخلطاء يوما ... بأمر للخلاف به نشوب
فاقسم بالطلاق لهم يمينا ... وتلك اليمين خطأ وحوب
وطلقها على جهل ثلاثا ... كذلك يجهل الرجل الغضوب
وافتى بالطلاق طلاق بت ... ذوو فتيا تعصبهم عصيب
فبانت عنه لم تأت الدنايا ... ولم يلحق بها الذام المعيب
فظلت وهي باكية تنادي ... بصوت منه ترتجف القلوب :
لماذا يا نجيب صرمت حبلي ... وهل أذنبت عندك يا نجيب ؟
ومالك قد جفوت جفاء قال ... وصرت اذا دعوتك لا تجيب!
ابن ذنبي الي فدتك نفسي ... فاني عنه بعدئذ أتوب !
أما عاهدتني بالله ان لا ... يفرق بيننا الا شعوب ؟
لئن فارقتني وصددت عني ... فقلبي لا يفارقه الوجيب
وما ادماء ترتع حول روض ... ويرتع خلفها رشأ ربيب
فالفتت اليه الجيد حتى ... تخطفه بآزمتيه ذيب
فراحت من تحرقها عليه ... بداء مالها فيه طبيب
تشم الارض تطلب منه ريحا ... وتحب والبغام هو النحيب
وتمزع في الفلاة لغير وجه ... وآونة لمصرعه تؤوب
باجزع من فؤادي يوم قالوا ... برغم منك فارقك الحبيب

***

فأطرق رأسه خجلا وأغضى ... وقال ودمع عينيه سكوب :
نجيبة ! أقصري عني فاني ... كفاني من لظى الندم اللهيب
وما والله هجرك باختياري ... ولكن هكذا جرت الخطوب

فليس يزول حبك من فؤادي وليس العيش دونك لي يطيب
ولا أسلو هواك وكيف أسلو هوى كالروح فيَّ له دبيب
سلي عني الكواكب وهي تسري بجنح الليل تطلع أو تغيب
فكم غالبتها بهواك سهدا ونجم القطب مظّلم رقيب
خذي من نور (رنتجن) شعاعا به للعين تنكشف الغيوب
والقيه بصدري وانظريني ترَي قلبي عليك به ندوب!
وما المكبول القيَ في خضمٍ به الامواج تصعد أو تصوب
فراح يغطه التيار غطا الى أن تم فيه له الرسوب
بأهلكَ يابنة الامجاد مني اذا أنا لم يعد بك لي نصيب!

***

ألا قل في الطلاق لموقعيه بما في الشرع ليس له وجوب
غلوتم في ديانتكم غلوا يضيق ببعضه الشرع الرحيب
أراد الله تيسيرا وانتم من التعسير عندكم ضروب
وقد حلت بأمتكم كروب لكم فيهن لالهم الذنوب
وهى حبل الزواج ورق حتى يكاد اذا نفخت له يذوب
كخيط من لعاب الشمس أدلت به في الجو هاجرة حلوب
يمزقه من الافواه نفث ويقطعه من النسم الهبوب
فدى (ابن القيم) الفقهاء كم قد دعاهم للصواب فلم يجيبوا
ففي (اعلامه) للناس رشد ومزدجر لمن هو مستريب
نحا فيما أتاه طريق علم نحاها شيخه الحبر الاريب
وبيَّن حكم دين الله لكن من الغالين لم تعيه القلوب
لعلَّ الله يحدث بعد أمرا لنا فيخيب منهم من يخيب

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ غرائب الاغتراب ، ونزهة الالباب ﴾

تأليف السيد محمود افندي الآلوسي الحسيني ـ صفحاته ٤٥١
طبع بمطبعة الشابندر ببغداد سنة ١٣٢٧

لا نرى حاجة لتعريف قراء المنار بالمؤلف الجليل ، وهو صاحب تفسير روح المعاني الشهير، الذي يندر من لم يستفد منه من ممارسي العلوم الاسلامية ـ وللمؤلف كثير من المصنفات كانت ظلمات الاستبداد الحالكة مانعة من انبلاج نورها، حتى اذا اشرقت شمس الدستور عقد العزم آل الالوسي الفضلاء على نشر تلك الآثار ومنها كتاب غرائب الاغتراب ـ

الكتاب هو مجموع محاضرات ادبية ، وفقرات وصفية ، ومقالات في التراجم ومناظرات في علم الكلام والفقه والتصوف ، كتبها المؤلف فيما رأى ومن رأى في رحلته من بغداد الى القسطنطينية

تصفحنا صفحات من الكتاب فتمثلت لنا روح المؤلف تقية طيبة كأرواح أسلافنا الاولين: نزّاعة الى الحق، وثابة على الباطل، لا تطغي أنصار ذلك بزخرف القول ، ولا تداهن ارباب هذا بقول الزور. أما اسلوب الكتاب او الكاتب فقد طبع على غرار اهل القرون الوسطى : سجع تحتف به الصنعة البديعية ، ولكن يخال قارئه أنه لا تعمّل فيه ولا تكلف ، وقد يغلو من يستنكر هذا النمط من الانشاء فان لكل عصر اسلوبا، وانما الكلم الطيب البليغ هو ما ادّى المراد بدون تعسف ولا تكلف ، ولا ضير على قائله بعد هذا سواء اكان مترسلا ام جانحا للسجع ـ قلت هذا لاني ارى اكثر ادباء عصرنا يستنكرون السجع كبراء حتى لا يعدأن تكون

أذواقهم صارت تمجه في مثل كلام امام البلاغة جدنا المرتضى عليه السلام! وهذا من غرائب انتكاس الطباع ومرض الأذواق!

***

﴿ الفَرْق بين الفِرَق ﴾

« تأليف الامام ابي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي من اهل القرن الخامس »
وقد وقف على طبعه وضبطه وتعليق حواشيه محمد بك بدر المتخرج في جامعة (بن . المانيا)
صفحاته ٣٥٤ طبع بمطبعة المعارف بمصر ويباع بها وبمكتبة المنار بعشرين قرشا صحيحا

لقد سررنا سرورا عظيما بنشر هذا الكتاب، لا لأن الامة محتاجة الى الاطلاع على آثار اسلافنا العاملين، بل لأن واحداً من سراة ابنائها اهل الثراء اختار ان تكون حياته حافلة بالعلم والعمل، هازئا بسير اترابه المنقطعين الى اللهو والترف، فبعد أن ابتعد عن أسرته وخلطائه اعواما قضاها ينتاب فيها دور العلوم بأوربا عاد وهو صحيح العزيمة على ان يعمل بما علم و « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم »

وغرض المؤلف من كتابه بيان مذاهب الفرق الثلاث والسبعين التي ورد ذكرها في الحديث، وقد افاض في ذلك كثيرا فذكر فرقاً مزقتها عوادي الايام، ولولا ذكر مثل المؤلف لها لما عرف اهل هذا العصر أنها وجدت في هذه الدنيا، لأنها لم تترك أثارة من علم ولا نبأة من حالها

والكتاب مفيد في بابه، بليغ في اسلوبه، قوي الحجة، وطبعه في غاية الجودة، ومن حسناته فهرسان للاعلام والكنى وضعهما له ناشر الكتاب، ورتبهما على حروف المعجم، وقد كتب له مقدمة متينة التركيب بليغة الاسلوب فنثني عليه اطيب الثناء

***

﴿ اغاثة اللهفان، في حكم طلاق الغضبان ﴾

تأليف الامام شيخ الاسلام ابي عبدالله محمد بن ابي بكر الشهير بابن قيم الجوزية
وقد عني بتصحيحه وتخريج احاديثه وتعليق حواشيه الشيخ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي
صفحاته ٤٨ طبع بمطبعة المنار بمصر ويباع بمكتبة المنار بثلاثة قروش صحيحة

الطلاق من ضرورات الاجتماع التي لابدّ منها، ولا مندوحة عنها، وقد اعترف

كثيرون من عقلاء الفرنجة والامريكان بذلك ، بل ان بلاد امريكا اصبح الطلاق فيها اكثر شيوعا منه في سائر البلاد الاسلامية ، والسبب في ذلك تفريطهم وافراطهم ، فقد احكموا في الاول عقدة النكاح إحكاماً ، صيروا به حلها جناية وآثاما؛ وقد بالغوا في الثاني في حلها حتى صارت اوهى من بيت العنكبوت !

اما المسلمون فيرون الطلاق رخصة من الرخص التي يصار اليها عند الاضطرار كما ارشدهم الى ذلك دينهم ، وهكذا يكون شأن الامة الوسط : لاتفريط ولا افراط وهذه هي الخطة التي تحوم حولها القلوب ، وتهفو اليها النفوس ، لان تحريم الطلاق تحريما قطعيا من الحرج الذي لايطاق ولا تستقيم معه حال الاجتماع ، واباحته اباحة عامة من دون شرط ولا قيد من العبث المخل المفسد لنظام الاسر والبيوتات

ولقد يظن كثيرون من الفرنجة والمتفرنجين الذين ينظرون الى الاسلام بعيون حُول ان الطلاق يقع بالكلمة تقذفها بادرة غضب فتصبح عقدة النكاح المحكمة منفككة محلولة ، وتمسي الزوج التي لم تجن ذنبا اجنبية غير حليلة ، ويرون ان ذلك ليس مما يلتئم مع الحكمة ، او يتفق مع المصلحة ، وقد يكونون معذورين في هذا القول الذي يتفق مع اقوال كثير من الفقهاء ، ولو انهم اطلعوا على الكتاب الذي نقرظه اليوم لآبوا معترفين للاسلام بأنه دين المدنية والفضيلة والعمران

استهل الامام المؤلف كتابه بالحديث الشريف « لا طلاق ولا عتاق في اغلاق » ثم بين معنى الاغلاق او الغلاق من كلام الأئمة وان معناه الغضب او من معانيه ثم طفق المؤلف يدلي بالحجة تلو الحجة ويأتي بالدليل بعد الدليل من الكتاب والسنة والمأثور عن أئمة السلف الناطقة كلها بعدم وقوع طلاق الغضبان ، وأفاض المؤلف في ذلك أيما افاضة شأنه في كل الموضوعات التي كتب فيها ، ونصب ميزان التعارض والترجيح ، فأظهر أثابه الله الرغوة من اللبن الصريح . قال في استدلاله من السنة على أن طلاق الغضبان لا يقع :

« فأما دلالة السنة فمن وجوه[1] احدها حديث عائشة المتقدم وهو قوله «لا طلاق ولا عتاق في اغلاق» وقد اختلف في الاغلاق فقال أهل الحجاز هو الاكراه، وقال أهل العراق هو الغضب، وقالت طائفة هو جمع الثلاث بكلمة واحدة، حكى الاقوال الثلاثة صاحب كتاب مطالع الانوار، وكأن الذي فسره بجمع الثلاث أخذه من التغليق وهو ان المطلق غلّق طلاقه كما يغلق صاحب الدين ماعليه، وهو من غلّق الباب فكأنه أغلق على نفسه باب الرحمة بجمعه الثلاث فلم يجعل له الشارع ذلك ولم يملكه اياه رحمة به، انما ملكه طلاقا يملك فيه الرجعة بعد الدخول وحجر عليه في وقته ووضعه وقدره فلم يملكه اياه في وقت الحيض ولا في وقت طهر جامعها فيه، ولم يملكه ان يبينها بغير عوض بعد الدخول فيكون قد غير صفة الكلام وهذا عند الجمهور، فلو قال لها: أنت طالق طلقة لا رجعة لي فيها أو طلقة بائنة لغا ذلك وثبتت له الرجعة، وكذلك لم يملكه جمع الثلاث في مرة واحدة بل حجر عليه في هذا وهذا وكان ذلك من حجة من لم يوقع الطلاق

(١) ذكر من وجوه دلالة السنة ثلاثة وبقي رابع وهو «الاعمال بالنية» الذي استدل به البخاري على عدم وقوع طلاق الغضبان كما تقدم نقل عبارته وكلام ابن حجر في شرحها وقد أشار اليه في الوجه التاسع الآتي (ووجه خامس) وهو حديث ابن عباس مرفوعا «لا يمين في غضب» اخرجه ابن جرير والدارقطني كما حكيناه قبل (ووجه سادس) وهو حديث «كل طلاق جائز إلا طلاق المعتوه والمغلوب على عقله» رواه الترمذي عن ابي هريرة مرفوعا وقال غريب ضعيف، والمغلوب على عقله وإن فسر بالسكران إلا أنه يتناول الغضبان أيضا بل هو اولى كما ستراه للمصنف موضحا في الوجه الثاني من ترجمة (فصل واما آثار الصحابة)

المحرم ولا الثلاث بكلمة واحدة[1] لانه طلاق محجور على صاحبه شرعا وحجر الشارع يمنع نفوذ التصرف وصحته كما يمنع نفوذ التصرف في العقود المالية فهذه حجة من أكثر من ثلاثين حجة ذكروها على كلام وقوع الطلاق المحجور على المطلق فيه »

والمقصود هاهنا ان هؤلاء فسروا الاغلاق بجمع الثلاث لكونه أغلق على نفسه باب الرحمة الذي لم يغلقه الله عليه الا في المرة الثالثة (وأما الآخرون) فقالوا الاغلاق مأخوذ من اغلاق الباب وهو ارتاجه واطباقه فالامر المغلق ضد الامر المنفرج والذي أغلق عليه الامر ضد الذي فرج له وفتح عليه فالمكره[2] الذي اكره على امر ان لم يفعله والا حصل له من الضرر ما أكره عليه ـ قد أغلق عليه باب القصد والارادة لما أكره عليه فالاغلاق في حقه بمعنى اغلاق ابواب القصد والارادة له فلم يكن قلبه منفتحا لارادة القول والفعل الذي أكره عليه ولا لاختيارهما فليس مطلق[3] الارادة والاختيار بحيث إن شاء طلق وان شاء لم يطلق وان شاء تكلم وان شاء لم يتكلم بل اغلق عليه باب الارادة الا للذي قد أكره عليه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا يقل احدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ولكن ليعزم المسألة فان الله لا مكره له[4] » فبين النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا يفعل الا اذا شاء

---

(١) يرى الواقف على كتاب زاد المعاد واغاثة اللهفان الكبرى واعلام الموقعين ادلة ذلك وحججها سابغة الذيل واسعة الاطراف فمن أراد التوسع فعليه بمراجعتها وكلها للامام المؤلف مطبوعة بحمده تعالى متداولة (٢) مبتدأ خبره قد أغلق عليه الخ
(٣) خبر ليس (٤) رواه البخاري عن أبي هريرة

بخلاف المكره الذي يفعل مالا يشاؤه فانه لايقال يفعل مايشاء الا اذا كان مطلق الدواعي وهو المختار ، واما من الزم بفعل معين فلا ، ولهذا يقال : المكره غير مختار ويجعل قسيم المختار لا قسما منه ، ومن سماه مختارا فانه يعني ان له ارادة واختيارا بالقصد الثاني فانه يريد الخلاص من الشر ولا خلاص له الا بفعل ما أكره عليه فصار مريدا له بالقصد الثاني لا بالقصد الاول

والغضبان الذي يمنعه الغضب من معرفة مايقول وقصده فهذا من اعظم الاغلاق وهو في هذا الحال بمنزلة المبرسم والمجنون والسكران بل اسوء حالا من السكران لان السكران لا يقتل نفسه ولا يلقي ولده من علو والغضبان يفعل ذلك ، وهذا لايتوجه فيه نزاع انه لا يقع طلاقه والحديث يتناول هذا القسم قطعا

وحينئذ فنقول الغضب ثلاثة اقسام[١] (احدها) ان يحصل للانسان مبادئه واوائله بحيث لا يتغير عليه عقله ولا ذهنه ويعلم مايقول ويقصده فهذا لااشكال في وقوع طلاقه وعتقه وصحة عقوده ولا سيما اذا وقع منه ذلك بعد تردد فكره

(القسم الثاني) ان يبلغ به الغضب نهايته بحيث ينغلق عليه باب العلم

(١) بهذا التقسيم يرد على ابن المرابط حيث قال : الاغلاق حرج النفس وليس كل من وقع له فارق عقله ولو جاز عدم وقوع طلاق الغضبان لكان لكل أحد أن يقول فيما جناه كنت غضبانا ، نقله الحافظ في فتح الباري ووجه الرد أن الغضب ليس على اطلاقه كما فهمه والمرء يدين في ذلك كما حققه المؤلف في الوجه الحادي عشر والرابع عشر ومواضع أخر

والارادة فلا يعلم مايقول ولا يريده فهذا لا يتوجه خلاف في عدم وقوع طلاقه كما تقدم والغضب غول العقل فاذا اغتال الغضب عقله حتى لم يعلم مايقول فلا ريب انه لا ينفذ شيء من أقواله في هذه الحالة فان أقوال المكلف انما تنفذ مع علم القائل بصدورها منه ومعناها وارادته للتكلم بها (فالاول) يخرج النائم والمجنون والمبرسم والسكران وهذا الغضبان (والثاني) يخرج من تكلم باللفظ وهو لا يعلم معناه البتة فانه لا يلزم مقتضاه (والثالث) يخرج من تكلم به مكرها وان كان عالما بمعناه

(القسم الثالث) من توسط في الغضبان(؟) بين المرتبتين فتعدى مبادئه ولم ينته الى آخره بحيث صار كالمجنون فهذا موضع الخلاف ومحل النظر والادلة الشرعية تدل على عدم نفوذ طلاقه وعتقه وعقوده التي يعتبر فيها الاختيار والرضا وهو فرع من الاغلاق كما فسره به الائمة وقد ذكرنا دلالة الكتاب على ذلك من وجوه

(وأما دلالة السنة) فمن وجوه (احدها) حديث عائشة وقد تقدم ذكر وجه دلالته

(الثاني) مارواه احمد والحاكم في مستدركه من حديث عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا نذر في غضب وكفارته كفارة يمين»[1] وهو حديث صحيح وله طرق ، وجه الاستدلال به أنه صلى الله عليه وسلم ألغى وجوب الوفاء بالنذر اذا كان في حال الغضب

(١) رواه النسائي عن عمران ورواه الامام احمد واهل السنن عن عائشة بلفظ : لا نذر في معصية . الخ

مع أن الله سبحانه وتعالى أثنى على الموفين بالنذور وأمر النبي صلى الله عليه وسلم الناذر لطاعة الله بالوفاء بنذره وقال «من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه» [١] فاذا كان النذر الذي أثنى الله على من أوفى به وأمر رسوله بالوفاء بما كان منه طاعة قد أثّر الغضب في انعقاده لكون الغضبان لم يقصده وانما حمله على بيانه الغضب فالطلاق بطريق الاولى والاحرى (فان قيل) فكيف رتب عليه كفارة اليمين (قيل) ترتب الكفارة عليه لا يدل على ترتب موجبه ومقتضاه عليه والكفارة لا تستلزم التكليف ولهذا تجب في مال الصبي والمجنون اذا قتلا صيدا أو غيره وتجب على قاتل الصيد ناسيا أو مخطئا وتجب على من وطيء في نهار رمضان ناسيا عند الاكثرين فلا يلزم من ترتب الكفارة اعتبار كلام الغضبان ، وهذا هو الذي يسميه الشافعي نذر الغلق ، ومنصوصه عدم وجوب الوفاء به اذا حلف به بل يخير بينه وبين الكفارة وحكي له قول آخر بتعين الكفارة عينا ، وقول آخر بتعين الوفاء به اذا حنث كما يلزمه الطلاق والعتاق وهذا قول مالك واشهر الروايتين عن ابي حنيفة

(الثالث) ما ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان [٢] »ولولا ان الغضب يؤثر في قصده وعلمه لم ينهه عن الحكم حال الغضب ، وقد اختلف الفقهاء في صحة حكم الحاكم في حال غضبه على ثلاثة أقوال سنذكرها بعدُ ان شاء الله . »

(١) رواه الامام احمد والبخاري واهل السنن عن عائشة

(٢) قال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير متفق عليه من حديث ابي بكرة

والكتاب كله على هذا النمط من الايضاح والتبيان، وقوة الدليل والبرهان، وفي آخره قصيدة عنوانها « المطلقة » للشيخ معروف الرصافي الشاعر العراقي المشهور قالها انتصاراً لمذهب الامام، وقد نشرناها في غير هذا المكان من هذا الجزء

* * *

﴿ فهرس مقتنيات دار الآثار العربية ﴾

« ولمعة في تاريخ فن المعمار وسائر الفنون الصناعية بمصر »

تأليف مكس هرتس بك ناظر دار الآثار العربية، وترجمه بالعربية علي بك بهجت وكيل دار الآثار العربية . صفحاته ٣٣١ بالقطع الصغير ورسومه ٦٣ طبع بالمطبعة الاميرية بمصر

دار الآثار العربية هي القسم الادنى من البناء المشمخر في باب الخلق، والقسم الاعلى خاص بدار الكتب، وهاتان الداران انشئتا حديثا في مصراي منذ ثلاثين سنة ونيف، ولا نريد بهذا البناء الجديد الذي نقلت اليه الآثار من عهد غير بعيد بل نريد المحتويات والآثار، ويسوءنا ان دار الآثار العربية لم تنشأ الا بعد أن عبثت ايدي الاجانب بأ كثر تلك الآثار، ونقلوها الى بلادهم من هذه الديار، ولولا أن المهندس سلمان المشهور رغب الى الخديو اسماعيل باشا بجمعها وانشاء دار لها وتحقيق هذا لرغبته لضاعت البقية الباقية من الآثار العربيـة التي نراها اليوم فالفضل في ذلك للطالب والمجيب

وقد اهدي الينا « فهرس مقتنيات دار الآثار العربية » فألفيناه مرتبا ترتيباً جميلا، مزينا بالرسوم الكثيرة، افتتحه المؤلف بكلام عن انشاء دار الآثار حقيرة وارتقائها في زمن قصير، ثم تفاءل بما سيكون لها من الشأن العظيم، ثم أتى بخلاصة تاريخية للدول الاسلامية في مصر وما كانت عليه الصناعات في ايامها وذكر أن فن المعمار كان له المقام الاول في تلك الازمان . قال « لان البنايات الفخيمة (؟) التي تروقنا اليوم فضلا عن أنها تحدثنا بأزمان انقضت هي من آثارها تشهد ان العمارة كانت الفن الاجل عند العرب وانها بلغت لديهم مالم تبلغه عند الامم الغربية » ويلي ذلك الكلام عن الآثار الموجودة وبيان انواعها وتأريخها وغير ذلك من الفوائد فنثني على المؤلف والمترجم ثناء كثيرا

* * *

﴿ مجلة النور ﴾

خفت صوت الموسوس المغرور أحمد ميرزا غلام الذي سمى نفسه بالمسيح حينا من الزمن قلنا فيه لعله تاب الى رشده ، او رجع الى عقله ، فعلم ان السخافات ليست مما يدوم الخداع فيها ، ثم حملت إلينا الانباء انه قضى نحبه ، ولقي ربه ، فقلنا لقد استراح وأراح ، وما كنا نخال انه استخلف من بعده واحدا من ضعفاء العقول الذين استهواهم حتى حمل الينا بريد الهند كتابا هذه طرته « مجلة النور — الى علماء العرب والشام والبغداد (؟) والعراق والخراسان (؟) لتجري انهار الايقان والعرفان في زروع الايمان !! » وهذا الكتاب الذي ينشره خليفة ذلك الموسوس المغرور من وحي مستخلفه يعرف القاري ما فيه من الخلط والخطأ والسلطة من طرته التي في اوله وقد نقلناها بنصها . وفي الكتاب كثير من النفاق والدهان للانكليز شأن ذلك المسيح الكذوب في كل كتبه ، وقد كان يفعل هذا حتى لا يصده الانكليز عن دعوته ، ولا يحملوه عن نبذ الاحتفاظ بسخافته ، فما هذه النبوة التي يحتف بها النفاق والدهان ، وتعلو بالخلط والهذيان !!

***

امام غزالي

رسالة باللغة التترية ذات ٩٦ صفحة كتبها رضاء الدين افندي بن فخر الدين من جلة علماء روسيا النافعين ، وهي ترجمة حافلة للامام الغزالي رحمه الله تعالى ، وقد اثبت على صفحتها الاولى هذه الفقرة الحكيمة للامام الغزالي « استحقر من لا يحسد ولا يقذف ، واستصغر من بالكفر او الضلال لا يُعرف ، فاي داع اكمل واعقل من سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وقد قالوا انه مجنون من المجانين ، واي كلام أجل واصدق من كلام رب العالمين وقد قالوا انه اساطير الاولين ، واياك أن تشتغل بخصامهم ، وتطمع في إفحامهم ، فتطمع في غير مطمع ، وتصوت في غير مسمع . »

والرسالة تباع بمكتبة الشرق بأورنبورغ

الاسلام ومستر سكوت

رسالة صفحاتها ٧٧ بالقطع الصغير . تأليف الشيخ علي احمد الجرجاوي طبعها مؤلفها بمصر وجعل ثمنها ثلاثة قروش . وقد كتبها رداً على مزاعم افتحارية المستر سكوت في الدين الاسلامي في كتاب له كان يقرأ دروساً في مدارس الحكومة المصرية ؛ ثم قررت نظارة المعارف منع تدريسه اذ نبهتها الصحف الى ذلك . وليس بعجيب ان يلزم المسلمون بدراسة كتاب معظمه مطاعن في دينهم مادام المستر دانلوب راسخ القدم في نظارة المعارف ، بل العجيب كيف تمكن سعد باشا زغلول رجل المقدرة والعمل من القيام بالاصلاحات العظيمة في المعارف ومستر دانلوب مسيطر على كل ما يراد عمله فيها !

حياة اللغة العربية

مسامرة للشيخ السيد محمد الخضر بن الحسين من علماء جامع الزيتونة العاملين الناهضين الذي يرى له القراء في (ص ١٢٠) من هذا الجزء قطعة من مسامرته (الحرية في الاسلام) وقد قسم مسامرته هذه الى اقسام منها « تأثير اللغة في الهيأة الاجتماعية ، اطوار اللغة العربية ، تعدد اساليبها ، طريق اختصارها ، اتساع وضعها ، الى غير ذلك . وهي في ست وخمسين صفحة مطبوعة على ورق جيد ، ويسرنا كثيراً أن نرى من اخواننا علماء تونس هذه النهضة العالية فهي خير ما يبعث النفوس على التفكير ، ويستفزها الى العمل ، ويسوءنا ان لا يضارعهم في ذلك الازهريون ، وسننشر في المنار فصلا او فصولا منها

مفاسد شهادة الزور

كراسة صغيرة الحجم ، كبيرة الفائدة والنفع ، جمع فيها كاتبها صديقنا الشيخ احمد عمر المحمصاني الآيات والاحاديث الناطقة بقبح شهادة الزور وكونها من اكبر الكبائر ، ونقل اقوال ائمة الصحابة وجمهرة من الفقهاء فيها ، ثم عقد فصلا لبيان اضرار شهادة الزور في الشاهد نفسه وفي الهيئة الاجتماعية ، وكل ذلك صريح في استنكارها

واستكبارها ، ولو نقلتها الجرائد العربية لافادت أحسن فائدة ، وأثرت في كثير من القلوب القاسية

مفردات انكليزية وعربية

اهدانا عبده افندي عبد ناظر مدرسة الاتحاد الوطني ببولاق نسخة من هذه الرسالة ورسالة اخرى في التعريفات الانكليزية وكلتاهما تأليف وهبه افندي عبد الله المدرس بمدرسة الاتحاد الوطني واهدانا مصورا (خريطة) للقطر المصري من رسم وهبه افندي ، والرسالتان جيدتا الطبع ، سهلتا المنال والوضع ، والمصور دقيق الرسم حسن التلوين فنثني على المهدي والمؤلف

مملكة جهنم

الكونت لاون تولستوي من مشهوري فلاسفة هذا العصر الذين كتبوا وافادوا ، ويمتاز تولستوي على كثير من الفلاسفة بكونه عمليا لا نظريا فقط ، وروح فلسفة تولستوي هي الرجوع بالناس الى سذاجة الفطرة ، وترغيبهم بالهدوء والأنى بل اسرف في ذلك حتى حث على احتمال الاهانة والاستخذاء للشر ، ومبادئ الرجل قريبة من مبادئ بعض متصوفة الاسلام . وقد ترجم له في هذه الآونة سليم أفندي قبعين الضليع في اللغة الروسية والشهير بنقل آثاره الى العربية ـ قصة اسمها مملكة جهنم ، وجعل ثمنها اربعة قروش صحيحة وياحبذا لو اتيحت لنا مطالعتها لنكتب رأينا فيها

الجامعة

عاد فرح افندي انطون من امريكا الى هذه الديار واصدر مجلته منذ ثلاثة اشهر ، وقد جاءنا الجزء الاول والثاني من سنتها السابعة فألفيناهما حافلين بالمقالات النافعة ، والبحث المفيد ، مطبوعين طبعا نظيفا على ورق جيد ، وعدد صفحات كل جزء منها ٦٥ وقيمة اشتراكها ٦٠ قرشا صحيحا في مصر . فنرحب بالجامعة في حياتها الجديدة

الهداية

اصدر الشيخ عبد العزيز جاويش مجلة بهذا الاسم وجعل شعارها هذه الفقرة

« مجلة دينية علمية ادبية اجتماعية » وقد قال بعد ان ذكر الموضوعات التي تبحث فيها المجلة « هذه هي ابواب الهداية وقد يستغرق مانمده لمدة ابواب ما كان معدا من الفراغ لباب أو اكثر ، على اننا سنجد في الاغلب جزءا من باب منها وسنصدرها شهرية في هذه السنة » وقد تصفحنا الجزأين اللذين صدرا منها فاذا هما حاويان لاكثر الموضوعات الموعود بها فنرجو للهداية انتشارا وشيوعا ، وصفحات الجزء من اجزائها ٧٢ وقيمة اشتراكها ستون قرشا صحيحا في مصر

النبراس ، المنتقد ، العرفان

حمل الينا بريد سورية هذه المجلات الثلاث فاذا بهن قد خطون خطوات واسعة في الارتقاء بعد دخولهن في العام الثاني من حياتهن : فموضوعات نافعة ، وادبيات رائعة ، وطبع جميل ، وورق صقيل . فنرحب بهن ونرجو لهن فلاحا ونجاحا

الكائنات

مجلة ذات ١٦ صفحة بالقطع الكبير لمنشئها « الارشمندريت باسيليوس » وموضوع المجلة ديني تاريخي وتحتوي على رسوم لكثير من القسيسين وقيمة اشتراكها ٨٠ قرشا صحيحا في مصر

الفرائد

« مجلة علمية أدبية اجتماعية روائية » يصدرها في سان باولو (البرازيل) ابراهيم افندي شحاده فرح . تصفحنا الجزء الاول منها فاذا فيه مقالات مختصرة مفيدة فنرحب بهذه المجلة ونرجو لها حياة طيبة

الاستاذ

مجلة يصدرها في بونس ايرس (الارجنتين) يوسف افندي خوري . جاءنا الجزء الاول منها يحتوي على فصول عمرانية ونبذ سياسية فسررنا سرورا عظيما بهذه المجلة كما سررنا بمجلة الفرائد ، وصدور المجلات في الامة سواء في بلادها أو في دار هجرتها من أكبر دلائل حياتها العلمية ، فنثني أطيب الثناء على اخواننا المهاجرين الذين يتوفرون على احياء لغتهم الشريفة في تلك الاصقاع النائية

العلم

جريدة يومية سياسية مديرها اسماعيل بك حافظ وقد جعلها رئيس الحزب الوطني لسان حال حزبه بعد أن تنصل من جريدة اللواء ونفض يده منها . صدر منها الى وقت كتابة هذه السطور بضعة أعداد قرأناها فإذا هي على نمط الجرائد الاخرى الا ان لهجتها أشد، وعسى أن تكون أكثر توفيقا لخدمة العامة من اللواء فيما مضى وقيمة اشتراكها ١٨٠ قرشا صحيحا في القطر المصري

المناظر

عاد صاحب هذه الجريدة العاقلة صديقنا نعوم افندي لبكي من البرازيل الى بلاده سورية واصدر في بيروت جريدته التي كان يصدرها هنالك ، اصدرها بثماني صفحات مملوءة بالفوائد، ممتازة بالبحث النافع « والمناظر في نظرنا من أمثل الجرائد ان لم يكن امثلها ، يشارك غيره في كل ماتقوم به الجرائد ' ويمتاز بصراحته ورويته وإنصافه » وبدل اشتراكه في الخارج عشرون فرنكا ، فنحث كل شغوف بقراءة الجرائد علي الاشتراك فيه

العرب

جريدة عربية اسبوعية اصدرها في القسطنطينية محمد عبدالله افندي مبعوث ازمير' قرأنا مقدمتها فألفيناها محكمة الانشاء، غالية الاطراء' وقد قال صاحبها إنه أنشأها لخدمة العرب! ورأيناه يقول فيها « فنحن اذا اردنا أن نعين حقوق العرب بالنظر الى هذه الحقائق الراهنة قلنا ان حق العرب هو ايقاظ المسلمين وارشادهم » ويقول معرضا فيمن يطالبون بحقوقهم السياسية من العرب في بلاد الدولة « هذا وإني لا أشك في عربية بعض المدعين الذين يظنون حقوق العرب عبارة عن وجود عضو منهم أو عضوين في الوزارة العثمانية وتوجيه بعض المناصب الى رجال منهم » فكأن عبدالله افندي يرى أنه ليس للعرب حقوق سياسية بتة!! بل أن حقوقهم لاتتعدى ان يكون منهم واعظون ومرشدون ! فلتحمد العرب هذا الخادم الناصح فقد اشرع لهم طريق النجاح والفلاح !!! وليترنموا بقوله « ان العرب هم الحاكمون وان الترك هم الخادمون » فانه من لحن القول ولذيذ الاحلام !. حسين وصفي رضا

باب الأخبار والآراء

رحلة صاحب المنار الى القسطنطينية

(٢)

ذكرت في النبذة الاولى التي كتبتها لتنشر في (ج ١١ م ١٢) فنشرت في (ج ١٢ ص ٩٥٦) انني رحلت الى عاصمة الدولة للسعي في أمرين عظيمين : إنشاء معهد علمي اسلامي ، وحسن التفاهم بين عنصري الدولة الاكبرين العرب والترك ، وأشرت الى ماصادفته من الارتياح للعملين كليهما عند وزارة حسين حلمي باشا ولكن استقالت تلك الوزارة قبل ان يتم على يدها ماوعدتني به من المساعدة على إنشاء المعهد العلمي الاسلامي والعناية باللغة العربية وأهلها . وكنت أظن ان وزارة ابراهيم حقي باشا تنجز ما كانت عزمت عليه وزارة حسين حلمي باشا لوجود بعض أعضاء الوزارة الاولى في الثانية فكنت أراجع بعض هؤلاء الاعضاء فأسمع كلاما حسنا ووعودا جميلة وعناية شخصية بالدعوة الى الطعام والسمر كما لقيت من الصدر الاول ولكن طال الامر على ذلك فرأيت أن أرفع أمر المساعدة على إنشاء المعهد الاسلامي لتخريج المرشدين الى الصدر الاعظم رئيس هذه الوزارة ففعلت ووجدت ان عنايته بالمشروع ليست دون عناية سلفه بل أعظم . ثم قال لي ان ما كان من السعي على عهد الوزارة السابقة قد ذهب بذهابها وانه ينظر في ذلك من جديد ولكنه ما أرجأ ولا سوف بعد ذلك بل أحالني على شيخ الاسلام وناظر المعارف ووعدني وعدا جازما بتنفيذ مايتفقان معي عليه وكنت قد مهدت السبيل الى ذلك امام هذين الركنين العظيمين

لعلوم الدين والدنيا في الدولة فلما لقيتهما بعد ان عهد إلي وإليهما الصدر الاعظم بالمذاكرة شرحت المشروع لكل منهما فصادفت منهما منتهى الاصغاء والارتياح

كنت ذكرت المشروع لمولانا شيخ الاسلام بالاجمال فاهتم به وقال لابد لنا من تخصيص ليلة للبحث التفصيلي فيه ثم انه دعاني الى الطعام والسمر عنده قبل ان يعهد اليه الصدر الأعظم بالبحث معي في المشروع ثم تكلما في ذلك واتفق أن قابلت الصدر يوم موعد دعوة الشيخ فأخبرني بما عهد اليه ــ وذكر ذلك بلفظ الرجاء ــ وكان الشيخ قد دعا في تلك الليلة خالص افندي وكيل الدرس في المشيخة ليشاركنا في البحث . والمراد بوكيل الدرس مدير المدارس الدينية الذي ينظر في شئونها بالوكالة عن شيخ الاسلام الذي هو الرئيس العام لهذا القسم ولغيره من اقسام باب المشيخة . وقد كان سبق لي الاجتماع بوكيل الدرس اكثر من مرة فرأيته في مقدمة علماء الترك علما وفضلا وهمة ومروءة وسعة اطلاع في الآداب العربية بل لم أر في علماء العاصمة مثله في هذا ولما لقيته للمرة الاولى قال لي بعد التحية والثناء في حضرته الغاصة بالعلماء : لانقول في مناركم كما قال ابو الطيب المتنبي

على لاحب لايهتدي بمناره

بل نقول ان مناركم يهتدي به العالم الاسلامي كله . وقد ذكرت الآن ماتفضل به مولانا شيخ الاسلام عند مالقيته أول مرة في المنار، قال رفع الله منار العلم والدين على يده ولسانه : إنني أتمنى لو كان كل احد يعرف العربية ليقرأ المنار . ولسان الشيخ حفظه الله قد صقل اللغة العربية باقامته زمنا طويلا في بلاد اليمن ، وقد استنسخ منها كتبا نفيسة في العلوم الشرعية واللغة والتأريخ والادب لايوجد لها نظير في الآستانة ولا في مصر فضلا عما دونهما من الامصار، وله عناية عظيمة بنفائس الكتب فهو قد انفرد باطلاع لم يشاركه فيه احد ممن نعرف من علماء هذه البلاد ولا علماء مصر والشام

كان بدء سمرنا بالفكاهات الادبية ثم انتقلنا الى البحث في المشروع فشرحت لها ولمن حضر السامر وسائله ومقاصده ، ومقدماته ونتائجه ، فرأيت الوجوه تندى تهللا، والاسارير تبرق بشرا وسرورا، ووافقني الشيخان حياهما الله تعالى، وزادهما إنصافا وكمالا ، على كل رأي رأيته ، وكل اقتراح اقترحته ، حتى خروج مدرسة « دار

العلم والارشاد، من دائرة المدارس التي تحت رياستهما بحيث لا تكون تحت ادارتهما ولا مراقبتهما ، على أننا لا نستغني في ذلك عن الاستضاءة برأيهما المنير، والاستفادة من علمهما الغزير، ولكن بصفاتهما الشخصية لا مكانتهما الرسمية، ومن ثم وعدتهما باطلاع خالص افندي على نظام المدرسة الاداري وترتيب الدروس التي تقرأ فيها وعلى قانون الجمعية أيضا

وقد حدثني خالص افندي انه كان منذ سنين سمع من بعض فضلاء مسلمي روسية اني عازم على إنشاء هذه المدرسة الاسلامية العليا في مصر فسر بذلك سرورا عظيما ولما سافر الى الحجاز في آخر زمن الاستبداد عرّج على مصر واراد أن يزورني متنكرا ليتحدث معي في ذلك ولكنه بصر عن جنب بعين من عيون عبد الحميد « السلطان المخلوع » يتبعه أينما سار فكان هذا هو المانع له من الزيارة فهذه آية من آيات اغتباط هذا الاستاذ بهذا المشروع الذي هو خدمة عامة للاسلام والمسلمين تقوي رجاءنا في دوام مساعدته الثمينة له . واذكر له على سبيل الاستطراد خلقين آخرين من أعلا الاخلاق ولا سيما العلماء وهما الإنصاف والشكر وآيتهما اني زرته مرة فرأيته ساخطا على ناظر الاوقاف خليل حماده باشا لتأخير اصلاح بعض المدارس التي يريد تنفيذ النظام الجديد للمدارس الدينية فيها ، فقلت له ان هذا الناظر محب للاصلاح ولا يرضيه هذ التأخير وانا ذاهب الآن لمراجعته في ذلك وأضمن على همته ان يأمر في الحال بانجاز العمل . وقمت من حضرته فركبت مركبة اوصلتني الى نظارة الاوقاف وذاكرت ذلك الناظر الحازم في ذلك فأمر من ساعته بالاسراع بانجاز إصلاح تلك المدارس وبلغ المشيخة ذلك . واني لم أر خالص افندي بعد ذلك في مكان إلا وكان يشكر لي ذلك ويحدث به الناس قائلا ان فلانا قد ساعدني في مسألة المدارس مساعدة عظيمة ... وذكر هذا لمولانا شيخ الاسلام وغيره . فما أثمن وأجل مساعدة من كان متخلقا بهذه الاخلاق ومتصفا بهذه الآداب !

وممن اطلع على حقيقة المشروع من أركان المشيخة الاسلامية الشيخان الجليلان ومن اصحاب الدرجة العليا في علماء العاصمة ولا سيما علم المنقول محمود أسعد

افندي ناظر الدفتر الخاقاني واسماعيل حقي افندي المناسترلي وموسى كاظم افندي كلاهما من الاعيان والمدرسين في المكاتب العالية — كل واحد من هؤلاء الاساطين قد اقرّ المشروع بل أعجب به كل الاعجاب فهو يعد من خير الاعوان والمساعدين عليه فان مشروعا دينيا كهذا المشروع لايمكن تنفيذه في عاصمة السلطنة والخلافة اذا كان رؤساء العلماء وأساطينهم معارضين له او غير راضين عنه

هؤلاء هم العلماء الاعلام الذين اسعدني التوفيق بلقائهم ومذاكرتهم في المشروع وصادفت عندهم من العناية والقبول فوق ما كنت اظن وا كثرهم قد كلم ولاة الامور ورغبهم في إنفاذه في الوزارة السابقة والوزارة الحاضرة

وممن ساعدني في هذا العمل بجد و إخلاص الصديقان الفاضلان احمد نعيم بك بابان مدير المكاتب الرشدية بنظارة المعارف ويوسف ضياء بك في قلم الترجمة بنظارة الخارجية فهذا كان الترجمان بيني و بين الصدر الاعظم وغيره من الوزراء وله سعي آخر يشكر وان لم يذكر . واما احمد نعيم بك فساعدته لا تقدر قيمتها ، ولايستغنى عنها بسواها ، وان ما يرجى منه في المستقبل من المساعدة على التأسيس لأجلّ وا كبر مما كان في الماضي من المساعدة على التمهيد، فأسأل الله عز وجل ان يكافيء بكرمه وجوده جميع المساعدين ، و يوفقنا جميعا لخدمة الملة والدولة والدين ،

ما له حيلة سوى حيلة العا جز إما توسل أو دعاء

واني ابشر قراء المنار في جميع ارجاء العالم الاسلامي بانه سيشرع في شهر ربيع الاول ، الذي ولد فيه المصلح الاعظم صلى الله عليه وسلم ، بتأسيس مدرسة (دار العلم والارشاد) العالية التي يتربى فيها المرشدون الذين يقفون نفوسهم على خدمة الدين من الطريق الذي يجمع بينه و بين العلم والمدنية الصحيحة و يدفع عنه الشبهات بحيث يجمع المسلمون بين حقوق الروح والجسد وحسنتي الدنيا والآخرة وربما ننشر في الجزء الآتي نظام هذه المدرسة العليا . واسرع الآن بذكر شيء منه :

يتربى ويتعلم في هذه المدرسة طائفة من الطلاب على نفقة المدرسة فهي تنفق عليهم لايكلفون طعاما ولا شرابا ، ولا لباسا ولا كتابا ، ومما يشترط فيهم أن يكون لهم المام باللغة العربية والنحو والفقه ، وأن تكون سيرتهم حسنة في أخلاقهم

وآدابهم وعباداتهم . وسيكون من الشدة في المحافظة على الاخلاق والفضائل في المدرسة ان الكذب يكون موجبا للطرد منها . ويشترط فيها أيضا حفظ القرآن ولكن يتسامح في هذا الشرط الآن ويكون للمدرسة سنة تمهيدية لحفظ القرآن وبعض العلوم والفنون التي تقرأ في المدارس الابتدائية . وادارة المدرسة هي التي تختار هذا القسم الداخلي من طلاب المدرسة وتفضل بعضهم على بعض بالامتحان

اللغة العربية في البلاد العثمانية

وأما مسألة العناية باللغة العربية وتقوية الرابطة بين الترك والعرب التي سعيت لها سعيا منذ قدمت دار السلطنة فقد بلغني من الثقات أن رئيس الوزارة الحاضرة ابراهيم حقي باشا يقدرها قدرها، ووعد بأن يهتم بها واني لم اوفق الى مذاكرته في ذلك بنفسي ولكنني ذاكرت غيره من أولي الشأن

وقد ذكرت جريدة العرب التي نشرت حديثا في العاصمة انه تقرر ان تكون اللغة العربية رسمية في الدولة كاللغة العثمانية بحيث يكون للدولة لغتان رسميتان وسمعت أكثر من واحد من الناس هنا يقولون ان هذا صحيح واستدل عليه بعضهم بوضع مبلغ من المال في ميزانية المعارف للسنة المالية القادمة لمعلمين للعربية وهو لا يدل عليه واني متتبع لهذه المسألة وواقف على أطوارها فقد كانت النظارة تذاكرت في توظيف عشرة معلمين ثم في خمسة عشر معلماً للغة العربية ثم استقر الرأي على خمسة فقط سيعهد اليهم تعليم اللغة نفسها على اسهل الطرق الحديثة لصنفين من الناس احدهما بعض المرشحين للتعليم في المدارس وثانيهما بعض عمال الحكومة الذين يراد ارسالهم الى البلاد العربية لان الحكومة اقتنعت بأن من لا يعرف لغة قوم لا يستطيع ان يقيم العدل او النظام فيهم واكثر المرشحين لاعمالها من الترك الذين لا يعرفون العربية فهي تريد أن تعلم هذه اللغة لمن تريد ان ترسلهم الى البلاد العربية . نعم ان في تعليم هذه اللغة لطائفة من المرشحين للتعليم في نظارة المعارف تمهيدا لتعليمها على وجهها وقد كان تعليمها مقررا رسميا من زمن الاستبداد ولكنه لم يكن ينفذ بل كان ولا يزال يعهد الى من لا علم لهم بهذه اللغة أن يكونوا مدرسين لها في مكاتب الدولة حتى في البلاد العربية فترى المعلم التركي او الارمني يعلم النحو العربي لابناء العرب باللغة التركية !!!

المدارس الدينية في الاستانة

تألفت في العام الماضي لجنة من العلماء للنظر والبحث في إصلاح التعليم في المدارس الدينية الاسلامية وقد رغب اليَّ الصدر الاعظم للوزارة الماضية أن أكون عضوا فيها وقال انه يكلم شيخ الاسلام في ذلك فاعتذرت لاسباب منها انني لم اكن اريد المكث في الآستانة اكثر من شهر . وقد أتمت هذه اللجنة عملها بهمة خالص افندي وكيل الدرس وكان من الاصلاح الجديد التوسع في اللغة العربية وفنونها وزيادة الفنون الرياضية والحكمة الطبيعية والتاريخ وتقويم البلدان . وقد سر أهل الآستانة سرورا عظيما بهذا الاصلاح . وقد احتفل بالشروع في هذا الاصلاح احتفالا حضره الصدر الاعظم وشيخ الاسلام وكثير من العلماء والوزراء والاعيان والمبعوثين فنسأل الله تعالى ان يوفق لانفاذه على وجهه المؤدي الى احياء علوم الدين والدنيا

الاسطول العثماني (*)

بالذي اجراك ياريح الخزامى	بلغي (البوسفور) عن (مصر) السلاما
واجمعي من كل روض زهرة	واجعليها لتحايانا كماما
وانشري رياك في ذاك الحمى	والثمي الارض اذا جئت (الاماما)
ملك للشرق في ايامه	همة الغرب نهوضا واعتزاما
أيها القائم بالامر لقد	قمت في الناس فأحسنت القياما
جرد الرأي فكم رأي اذا	سلّ في غمد النهى فلّ الحساما
وابعث (الاسطول) ترمي دونه	قوة الله وراء وأماما
يكلأ الشرق ويرعى بقعة	رفع الله بها (البيت الحراما)
وثغوراً هنَّ أبهى منظرا	من ثغور الغيد يبدين ابتساما
خصها الله بأفق مشرق	ضم في اللألاء (مصرا) و (الشآما)
حيّ يامشرق أسطول الاولى	ضربوا الدهر بسوط فاستقاما

(*) انشدنا محمد حافظ افندي ابراهيم لنفسه هذه القصيدة في الليلة الموسيقية التي احييت برعاية رؤف باشا المعتمد العثماني هنا ورياسة الامير محمد علي حليم ليخصص ريعها للاسطول العثماني

ملكوا البر فلما لم يسع   مجدهم نالوا من البحر المراما
بجوار منشآت كالدمى   اينما سارت صبا البحر وهاما
كلما أوفت على أمواجه   سجد الموج خشوعا واحتشاما
كان بالبحر اليها ظمأ   وعجيب يشتكي البحر الأواما
فهي في السلم جوار تجتلى   تبهر العين رواء ونظاما
وهي في الحرب قضاء سابح   يدع الحصن تلالا ورجاما
ما نجوم الرجم من ابراجها   اثر عفريت من الجن ترامى
من مراميها بأنكى موقعا   لا ولا أقوى مراسا وعراما
وهي بركان اذا ما هاجها   هائج الشر عداء وخصاما
جبل النار لقد رعت الورى   أنت في حاليك لا ترعى ذماما
أنت في البر بلاء فاذا   ركب البحر غدا موتا زؤاما
فاتقوا الطود مكينا راسيا   واتقوا الطود اذا ما الطود عاما
حملت حربا فكانت حقبة   نذرا للموت يجتاح الأناما
خافها العالم حتى أصبحت   وسلا تحمل أمنا وسلاما

***

بعث المشرق من مرقده   بعد حين ، جل من يحيي العظاما
ايها الشرقي شمر لا تنم   وانفض العجز فان المجد قاما
وامتط العزم جوادا للعلى   واجعل الحكمة للعزم زماما
واذا حاولت في الافق منى   فاركب البرق ولا ترض الغماما
لا تضق ذرعا بما قال العدى   رب ذي لب عن الحق تعامى
سابق الغربي واسبق واعتصم   بالمروءات و بالبأس اعتصاما
جانب الأطماع وانهج نهجه   واجعل الرحمة والتقوى لزاما
طلبوا من علمهم أن يعجزوا   قادر الموت وأن يثنوا الحماما
وأرادوا منه أن يرفعهم   فوق هام الشهب في الغيب مقاما
« قتل الانسان ما أكفره »   طاول الخالق في الكون وسامى
أحرج الغيب الى أن بزه   سره بزا ولم يخش انتقاما

قوة الرحمن زيدينا قوى وافيضي في بني الشرق الوئاما
افرغي من كل صدر حقده املأ التأريخ والدنيا كلاما
اسأل الله الذي الهمنا خدمة الاوطان شيخا وغلاما
ان ارى في البحر والبر لنا في الوغى انداد(توجو) و (أوياما)

﴿ كتاب النصائح الكافية ، لمن يتولى معاوية ﴾

يلح علينا المتناظرون والمتمادون في هذا الكتاب من اهل سنغافوره وجاوه بأن نبدي رأينا فيه ويقولون في كتبهم الينا إنهم ينتظرون ذلك عاجلا . وظن بعضهم أن ما كتب عنه على غلاف المجلة لنا وانه رأي غير صريح فطلبوا ماهو أصرح منه

وجوابنا للجميع أننا لم نجد فراغا نقرأ فيه الكتاب لنبدي رأينا فيه وأننا قد سافرنا إلى دار السلطنة في أواخر رمضان لأجل خدمة الاسلام بما هو اجل وانفع من قراءة ذلك الكتاب وشغلنا بذلك عن كل شيء إلا كتابة مالا بد منه للمنار وان ذلك التقريظ أو الاعلان ليس لنا وانما هو كسائر الاعلانات التي تنشر على غلاف المجلة يكتبها مدير مكتبة المنار واننا ننصح للمختلفين أن يتقوا العداء واتباع الاهواء لاجل اختلاف الآراء ، فتعادي المسلمين ذنب اكبر وأضر من جرح معاوية وتعديله وكنا تنسمنا أن سيكون لهذا التأليف فتنة عند ما أعلن المؤلف عزمه عليه بعد أن وقع الخلاف هنالك بينه وبين آخرين في لعن معاوية واستفتينا في المسألة فأفتينا بعدم اللعن ، فان المؤلف يومئذ كتب الينا يقول انه مخالف لنا فيما أفتينا به وانه سيبين رأيه في كتاب حافل يؤلفه ويطبعه . وأتذكر أني كتبت اليه ان من رأيي أن لا يفعل ولكنني ما عاديته ولا أعاديه لانه خالفني في هذه المسألة وهو لا يعاديني كذلك . وهذا هو الواجب على كل مسلم فقد نهينا عن التحاسد والتباغض والتدابر وامرنا أن نكون اخوانا ، ولم يشترط المرشد الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الاوامر والنواهي أن نكون متفقين في كل مسألة لان هذا من المحال . فاتقوا الله أيها المسلمون في انفسكم وليعذر بعضكم من يخالفه وان جادله فليجادله بالتي هي احسن ولا يجعله اقل من اهل الكتاب الذين نهينا أن نجادلهم الا بالتي هي أحسن الا اذا ظلموا بالحرب والقتال ، ولا كلام لنا مع اهل السفه والطيش والضلال .

﴿ الى مشتركي المنار ﴾

كلمة شكوى

لقد رأينا من مطل كثير من المشتركين في السنين الاخيرة عجبا ! وان كان قولنا يشمل كل بلد فيه مشتركون للمنار فانه موجه بنوع خاص الى مشتركي القطر التونسي الا قليلا منهم، والى معظم مشتركي الجزائر . هؤلاء واولئك نكتب لهم في المجلة التذكير تلو التذكير فلا يبالون ولا يتذكرون ! حتى اننا في الآونة الاخيرة وضعنا لهم فقرة دائمة على غلاف المجلة ! وكتبنا لهم كتابات خاصة فيها بيان لما عليهم فلم يحقق أحد منهم لنا أملا ! وما كنا نحسب أن قارئا يقرأ المنار وكله عظات ونذر وحث على التأسي بأسلافنا الكرام بأعمالهم يسهل عليه ان يكون من أهل اللي والمطل والاعراض عن التذكير بأداء الحقوق !

اننا نعيذ أهل هذين القطرين أن يكونوا متعمدين لهذا السكوت الطويل الذي لم نستطع له تأويلا، وحاشاهم أن يكونوا ممن يأكلون أموال الناس بالباطل وفيهم العلماء والقضاة والمحامون وكبار موظفي الحكومة وهؤلاء هم عنوان ارتقاء الامة وانموذج المجد فيها، وانه ليسهل علينا ان نتلمس لهم في كل يوم عذرا دون أن نرميهم برجمات الظنون، فعسى أن يكونوا عند حسن ظننا بهم وأن تكون هذه الفقرة أخرى كلمات الشكوى منهم وأن يكون ما بعدها أولى كلمات الشكر لهم !

واننا لنأسف أن يصبح مشتركو روسيا من يشتكى منهم وهم الذين لم يذكروا في الماضي الا بالشكر والثناء ! فلقد مرت سنين ثلاث وكثيرون منهم لم يبعثوا الى ادارة المجلة بما عليهم ! هؤلاء هم الذين كنا نباهي بهم ونعد مسارعتهم الى اداء الحقوق عنوانا على احتفاظهم بكثير من الفضائل الاسلامية وانه ليعز علينا أن يتزلزل اعتقادنا فيهم فاننا بتنا في حيرة من امرهم ولا سيما بعد أن كتبنا لهم تذكيرا في جريدة « وقت » التي تصدر في اورنبورغ مرتين فلم يزد ذلك اكثرهم الا اعراضا وتصامما !

وكذلك كانت الحال مع مشتركي جنوبي إفريقية والبرازيل والصين و بلاد فارس وفريق من مشتركي جاوة والهند وسنغافورة فقد كتبنا اليهم مذكرين مبينين لهم ما عليهم فلم تنفع الذكرى الا الاقلين منهم!

ثم ما بال مشتركي السودان ارتضوا لأنفسهم في العهد الاخير ما كنا نجلهم عنه ؟ فقد كانوا من أفضل المشتركين وفاء ، وأحسنهم اداء ، حتى اننا في السنين الماضية ما كنا نبعث لأحد منهم بتذكير خاص ، بل كان من عادهم المبادرة الى الارسال في اول شهر من شهور السنة ، وكنا نعد من جملة الشواغل الكثيرة في المحرم التوقيع على حوالات مشتركي السودان ! ولكنهم في هذا العام وفي العام الماضي خالفوا سنتهم المحمودة ، فبعثنا اليهم بمكتوبات خاصة مطالبين لهم بما عليهم فلم يستجب لنا الا القليلون !

اما مشتركو مصر فما زلنا نحمدهم على اعتدالهم فقد كانوا ولا يزالون على وتيرة واحدة : يتذكرون اذا ذكروا ، ويعطون اذا طولبوا ، ولكننا نشكو من بعضهم ومن أهل الأقاليم ولا سيما مشتركي الوجه القبلي ومديريتي البحيرة والشرقية ومحافظات دمياط والسويس وبورسعيد، فقد مرت سنوات وهم لم يؤدوا الى المجلة حقا ! فعسى ان يكون لهم اسوة حسنة بأهل العاصمتين مصر والاسكندرية

واما مشتركو سورية وفلسطين فهم من احسن الناس وفاء ، واننا نشكر لوكلاء مدنهما الكثلة ، فانهم قد خدموا المنار أجل خدمة ، وعسى أن يكون مشتركو بيروت وطرابلس الشام وحصن الاكراد و بغداد وجبل عامل ادوا ما عليهم للوكلاء ، ومن ليس لديهم وكلاء فليبعثوا الينا بما عليهم مباشرة فنكون لهم من الشاكرين

هذا وان في كل ما ذكرناه من البلاد ناسا سباقين إلى الخيرات يبعثون بقيمة الاشتراك كل سنة قبل دخولها ، فإلى هؤلاء نوجه عاطر الثناء ، ونخصهم بالتقريظ والاطراء

حسين وصفي رضا

(التأريخ الهجري الشمسي) طبعت الكراسة الاولى من هذا الجزء وبقي فيها هذا التأريخ على ما كان عليه خطأ لأن سنة ١٢٨٥ تصرمت ودخلت سنة ١٢٨٦

الفصل السابع عشر (*)

(بين روح وروح)
أو
(بدء الوحي)

في « حِراء » حدثت الحادثة الاولى من التأريخ الجديد الذي سنرى فيه بعل السيدة « خديجة » فائقا فواقا عظيما مدهشا : وهذه الحادثة العظمى التي هي مبدأ هذا التأريخ هي أن روح محمد (صلى الله عليه وسلم) اجتمع هناك في « حِراء » بروح غير بشري وأبلغه هذا الروح الغريب رسالة شأنها عظيم

نحن في الفصل السابق ذكرنا من أمر الروح ما فيه كفاية ، ذكرنا فيه ما لعل القارىء ينشرح به صدره الى القول بوجود موجودات ذات حياة على أنواع شتى ولا يشترط في بعضها أن تكون لها أشباح كالأشباح البشرية . وهذا قد سبقنا البشر كلهم الى القول به ولم يشذ عنه الا قليل وهم كلهم قائلون ان بين الروح الذي هو انسان وبين الارواح الاخرى اتصالات ، فأنا كاتب هذه السطور لست بمبتدع خبرا ليس له مثال بذكر هذه الحادثة التي قد يراها غريبة من يحبون التباعد عن الروحيات ،

*) تابع لما نشر في (ص ٦٤ م ١٣) من سيرة السيدة خديجة

ومن يؤمنون بها احيانا ويكفرون بها أحيانا من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون

هذه حادثة عظيمة في السيرة التي نحن آخذون بتحريرها ، ونحن مقتنعون بوقوعها ، ولا يدعونا الى استماع هواجس المنكر الا الحرص على القيام بحسن المرافقة . فان كان المنكر ينكر عالم الروح من حيث هو فالحق أنّ حيلتنا البيانية معه قليلة ، ولكني اظن أنّ محادثتنا اياه بهذه المسألة في الفصل السابق قد تجديه . وان كان ينكر الملاقة بين الروح الذي هو الانسان والأرواح الأخرى فليس لنا ما نتوسط به الى ابلاغه هذا المشهد غير نفسه ، فليرجع اليها كثيراً وليدقق في حديثها جيدا . وان كان ينكر صدق محمد (صلى الله عليه وسلم) في تحديثه بهذه الحادثة مع أنه لا ينكر وقوع مثلها لغيره فالخطب في مذاكرته سهل

كان «محمد» صادقا شديد الحرص على الصدق واشتهر منذ حداثته بلقب «الامين» ، قد عرفنا صدقه كما عرف الناس شجاعة أناس من الشجعان ، وكرم أفراد من الكرماء ، وعلم جماعة من العلماء ، وكما عرف بنو اسرائيل صدق الانسان موسى الذي كان قد سمع الكلام الالهي ، وظهرت له الارواح العلوية ، وكما عرف النصارى صدق الانسان عيسى الذي كان روحا من الله ، وكما عرفوا صدق تلاميذه وأنصاره الذين حكوا حكايته وبثوا بشارته

هذا الصادق الامين رجع ذات يوم من حراء منتقع اللون ، مرتجف الصدر ، يعلوه اضطراب الوجل الحائر ، وخشوع المخبت الصابر ، فما وقع نظر السيدة «خديجة» عليه حتى عرفت أن أمراً عظيما قد ألمّ به .

تخفق لأول وهلة قلبها ، وساءلت بسرعة البرق نفسها : ماذا أصاب حبيبي؟ ماخطب ذلك القلب الذي لاتفزعه الرجال ، ولاتجزعه الاهوال؟ ما بال ذلك الصدر المبسوط تثنيه الرجفات ، وما بال ذلك الطرف القرير تكاد تبادره العبرات ؟ رباه ! رباه ! ماذا اصاب حبيبي ؟ قل لي أيها الحبيب ما ذا أصابك ؟ حنانيك قل لي ! قل لي !

— دثروني . دثروني

— لاصبر لي عن معرفة الامر الآن فقصه عليّ

— بينا أنا في حراء اذ جاءني روح فقال لي اقرأ قلت له «ما أنا بقارئ» فأخذني وغطني غطة (*) وقال لي « اقرأ » قلت « ما أنا بقارئ » ثم غطني الثانية وقال لي اقرأ فقلت « ما أنا بقارئ » . قال لي : « اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الاكرم * الذي علم بالقلم * علم الانسان مالم يعلم * »

— ألم تسأله من أنت ، ومن جاء بك ، وماذا تريد مني؟

— سمعته يقول أنا جبريل جئت ابلغك رسالة ربك

***

هذه هي الاولى من الكلمات التي سمعها محمد (صلى الله عليه وسلم) من ذلك الروح الذي ظهر له باسم جبريل وهو من النوع المسمى ملائكة والآن قد فتح لصاحب « حراء » بابان : باب حيرة جديدة وباب هدى ، فأما الحيرة فظاهرة يكاد يراها كل من سمع هذه الحادثة فان ظهور الارواح غير البشرية لافراد النوع الانساني ليس من المألوف ، فاذا صادف أحد

---

*) ضمني بشدة وضغط

الافراد شيئا من هذا القبيل لا يقوى طبعه البشري لأول وهلة على تحمل مواجهته والانس به · كل واحد منا يعرف هذا من مفاجأة الامور التي لم تكن تخطر في باله مع أنها من الامور التي تقع كثيراً فكيف الحال بالامور التي وقوعها نادر الى حد أن بعض الناس لا يصدق بوقوعها

انه ليخيل الينا أن صاحب «حراء» قد دهش لما سمع صوت ذلك الروح يناديه «اقرأ»، يخيل الينا أنه قال في نفسه : رباه ماهذا الذي اسمع؟ رباه ليس ههنا من بشر فهل يتكلم غير البشر؟ رباه ماذا يراد بي؟ اني أعلم أني في يقظة لا في منام، واني اسمع كلاما لا ريب فيه، واني أحس بضاغط يضغطني ولا عهد لي بمثل هذا من قبل! · رباه ان هذا أمر يدهش فكن اللهم عوني، وخذ بيدي، وثبت فؤادي، وقوّني على مواجهته اذا عاودني .

ثم انه ليخيل الينا أن المفاجأ بذلك الروح هكذا كان يتناجى في نفسه ويناجي ربه بمثل هذه الكلمات وهو ذاهب الى خديجة فلما لقيها قال «دثروني دثروني» · واختصر لها الحديث اختصاراً

دثرته «خديجة» وجعل العرق يتصبب منه . وقد عاوده الروح بعد ذلك . وقال له «يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر * »

***

ان من يفاجأ بمثل هذا جدير بالحيرة وهذا ما أشرنا اليه هنا ولكن مع هذه المفاجأة قد أونس باسم ربه فكان هذا الاسم الجليل حريًّا ان يكون دواء شافيا من تلك الحيرة وكافيا أن يفتح باب الهدى والطمأنينة

الروح «جبريل» يقول له أنا من عند ربك ، جئت أبلغك رسالته ، جئت ألقي عليك وحيا من عنده ، وفي هذا الوحي الذي جاءه به مفتاح لتلك المغالق التي اشرنا اليها آنفا التي كانت تقف أمامه دائما . في هذا الوحي مبدأ ارشاد وتعريف له بربه خالق الانسان ، في هذا الوحي اهابة بفكره لتناول معارف عليا ، وتعاليم عظمى ، في حقائق الوجود

كانت الحيرة تردفها الحيرة . وأما هذه الحيرة فان الهدى يردفها لأن العناية الالهية ظهرت أتم ظهور ، والعطاء الرباني سلّم جليا لتلك اليد التي كانت مرفوعة في « حراء » تلقاء السماء

وكان أول معراج عرج بصاحب هذه اليد عليه الى تلك الحضرات القدسية هو اعلامه علم اليقين بأرواح عالية تتكلم هي غير الارواح الانسانية الحالة في هذه الصور البشرية وذلك بجعل واحد من هذه الارواح واسطة بينه وبين مفيض الحياة والعلم والارادة

هذه عناية كبيرة جدا لم يروالتاريخ وقوع مثلها الا لقليلين : منهم النبي ابراهيم ، والنبي موسى ، والنبي عيسى (عليهم السلام)

يقول له الروح «جبريل» «اقرأ باسم ربك الذي خلق ه خلق الانسان من علق » فهذا القول العربي الجليل يصور له من النشأة المادية في خلق الانسان صورة يتجلى فيها عظيم قدرة البارىء المصور ، وعظيم ضعف هذه الصورة البشرية لولا روح الله الممد لها

يقول له الروح « جبريل» « اقرأ وربك الاكرم ه الذي علم بالقلم ه علم الانسان ما لم يعلم » وهذا القول المجيد يصور له من النشأة الروحية في كون الانسان صورة يدهش الالباب فيها عظيم صنع الله في ترقية

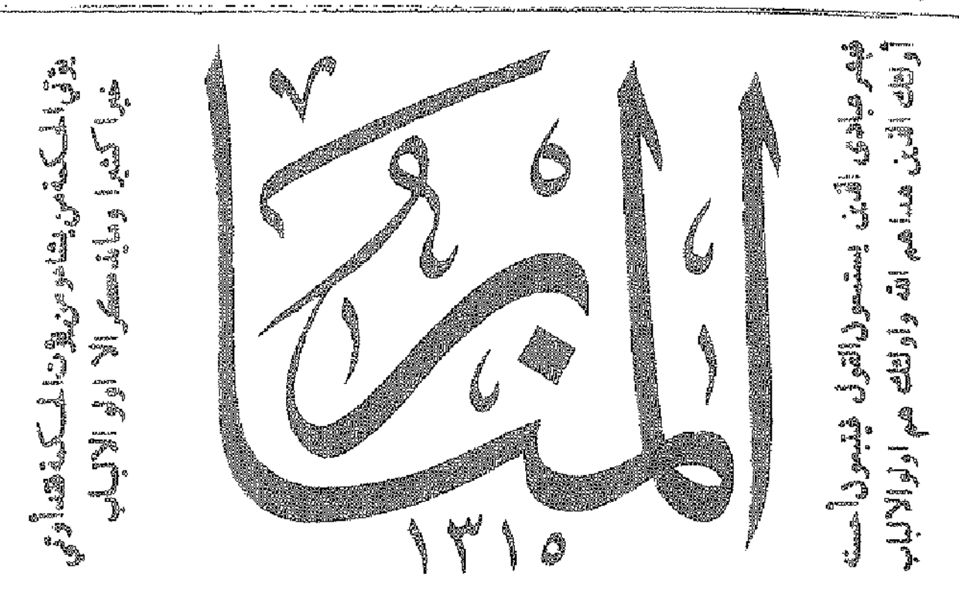
الانسان بواسطة قصبة لا يؤبه لها لدى النظر . ثم بواسطة قصبة نعني بها القلم كان الرقي العظيم العقلي لهذا الكائن الذي خصت العناية الازلية نوعه بمزيد خصائص

وغريب في الامر أن المواجه بهذا الخطاب لم يكن من ارباب اليراعة بل كان أميا لا يعرف القراءة ولا الخط بالقلم فما معنى أن يكون أول وحي يوحي اليه هو الامر بالقراءة والتنويه بالقلم

لا بدع . لا بدع . ان معنى ذلك هو تكرم الله عز وجل على البشر باعطائهم آية أخرى يفقهون بها أنه قادر أن يعلم من لدنه بغير ما عرفوا من الوسائط من شاء ما شاء إذا شاء . وأن يجعل غير القارىء قارئا ولكن يقرئه بالروح صحفا ربانية قد أنزلها الله على قلوب البشر بأساليب شتى أجلها وأعلاها هذا الاسلوب

⁂

ما أجل هذه العناية وما أجدر «خديجة» بالسرور الذي ليس فوقه بها ولكن هل عرفت هـذا السر الرباني تماما ؟ نعم كان قلبها القوي خليقا أن لا يفزع أمام هذه الحادثة التي هي غريبة في ظاهرها بيد أنها كانت محتاجة أن تطرق تفسير هذا السر وهذا المظهر الجديد من أبوابه



﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر الاحد ٣٠ ربيع الاول ١٣٢٨ — ١٠ ابريل (نيسان) ١٢٨٦ ه ١٩١٠ م ﴾

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ العمل بخبر التلفون والتلغراف في الصوم والفطر ﴾

(س ٢١) من السيد محمد بن الخوجه رئيس قلم المحاسبة بالوزارة في (تونس)

سيدي الاخ الكريم والعلامة الجليل

حدث عندنا تناقض بسبب هلال الفطر (في رمضان الماضي) فان بعض البلاد التونسية افطروا يوم الخميس الموافق لرابع عشر اكتوبر وحيث تأخر وورود صك الرؤية على

قاضي الحاضرة الى ما بعد عصر الخميس فان الاعلان بالفطر لاهالي مدينة تونس لم يقع الا مع غروب الشمس بحيث أنهم صاموا يوم العيد كله لان القواعد الشرعية التي عليها عمل فقهاء تونس لم تجوز للمسلمين بهذه البلاد ان يعتمدوا ما يبلغهم من مشاهدة هلالي الصوم والفطر على طريق التلغراف او التلفون لان التلغراف بيد غير المسلمين والتلفون يرد عليه «ان الصوت يشبه الصوت» كما ان «الخط يشبه الخط» ومن اجل هذا طلبنا لطائفة ان يلتمسوا لنا من وجوه الفقه ما يساعد على العمل بالتلغراف لا سيما وان الرية في التبليغ تنتفي اذا جعلنا الاشعار بالرؤية في اطراف المملكة لا تكون الا بالطريقة الرسمية اي بواسطة تلغراف يرد من الحكومة المحلية اي الجهة التي شوهد فيها الهلال الى مركز الحكومة بتونس وان يكون المخاطب بالتلغراف مأموراً مسلماً كما ان المخاطب به من المسلمين

وعسى ان فضيلتكم تتوفق للتأمل في هذه المسألة العويصة وتنشر لقراء المنار ما يعينهم على الاهتداء لحل عقالها سواء كان ذلك بتونس او بالبلاد الاخرى

(ج) ارسل هذا السؤال الى مصر ومنها الينا في القسطنطينية والخطب عندنا في المسألة سهل لولا ان اكثر المسلمين صاروا لا يحبون السهولة واليسر في الدين وهو من اصول الاسلام بنص الكتاب والسنة فالعمدة في الشرع على ما يحصل به التصديق والاطمئنان من الاخبار او العلامات التي تدل على ثبوت اول الشهور وكل من التلغراف والتلفون طريق من طرق التصديق والاطمئنان وقد بينا ذلك في المنار غير مرة وقد اطلعنا في هذه الايام على فتوى في المسألة لشيخ الازهر وهو اكبر علماء المالكية واشهرهم بمصر وا كثر أهل تونس من المالكية فنحن نورد لهم الفتوى بنصها وهي :

« صاحب الفضيلة مولانا الاكبر شيخ الجامع الازهر حفظه الله

« اتشرف بان أقدم لكم دام النفع بعلمكم فيما يسأل عنه أهل السودان المالكيون وهو انه قد جرت العادة عندهم في هذه السنين ان يرسل اليهم بواسطة التلغراف من الديوان الخديوي باسم بعض رؤسائه انه قد ثبت شرعا ان اول رمضان يوم كذا وربما لم ير أحد منهم الهلال مع الصحو فنهم من يعتمد على التلغراف و يصبح صائما ومنهم من يزعم ان الصوم منوط برؤية الهلال فيصبح مفطرا واذا مضى بعد

وصول الخبر اليهم ثلاثون يوما وربما لايرى احد منهم هلال شوال ليلة احدى وثلاثين مع الصحو ولا يأتيهم فيها خبر بالتلغراف عما ثبت شرعا بمصر وايضا وربما كان حكم الحاكم المخالف بثبوت الصوم مبنيا على شهادة عدل واحد أو كان حكمه بالصوم مبنيا على رؤية عدلين واذا لم ير هلال شوال ليلة احدى وثلاثين مع الصحو لايرى تكذيبهما بل يرى تكميل العدد ثلاثين بعد رؤيتهما هلال رمضان وكذلك حكمه بثبوت الصوم بناء على تمام شعبان الذي ثبت أوله برؤية عدلين ولم ير غيرهما هلال رمضان ليلة احدى وثلاثين من منذ (؟) رؤيتهما هلال شعبان وكل ذلك مخالف للمذهب المالكي فاذا يصنع أهل السودان في صومهم وافطارهم حتى يكون عملهم موافقا للشرع والحال كما ذكر في السودان افيدونا مأجورين

كاتبه الفقير اليه

ابو القاسم احمد هاشم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

« الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين قد نص فقهاؤنا على ان يكون الصوم عند الحاكم وان لم يحكم بالفعل وحكمه بالثبوت كل منهما يوجب الصوم على كل من نقل اليه سواء نقل بعدلين أو جماعة مستفيضة ولو كان الناقل عدلا واحدا لان هذا من الخبر الصادق لا الشهادة ولو كان المنقول اليهم ممن يعتنون بأمر الهلال

« ونصوا ايضا على الاكتفاء في الثبوت بالامارات التي جرت العادة بها في اشهاد الثبوت كتعليق القناديل الموقدة على المنائر حيث جرت العادة انها لاتوقد الا بعد الثبوت الشرعي وكضرب المدافع كما هي العادة عندنا بمصر ومن هذا القبيل ارسال الخبر في السلك التلغرافي بل هو في زماننا أدل وأقوى وعليه اعتمدت الملوك والحكام في تبليغ احكامهم ومخاطباتهم واقتى العلماء بكفايته في ذلك وهو في ايامنا هذه لا يرسل الا باذن الحاكم الشرعي باشهار حكمه في جميع الجهات فهو كرسول ارسله لتبليغ حكمه فيجب الصوم على كل من بلغه من أول رمضان كما يجب الفطر على من بلغه به ثبوت رؤية هلال شوال ومن خالف بعد بلوغه بصوم وافطار فهو مخالف الحق

والصواب الذي افتى به العلماء. ولا عبرة باختلاف المطالع على ماهو المذهب إلا أن يبعد جدا كخراسان من الاندلس فان كل قوم يعملون بما عندهم لايجري عليهم حكم الآخرين كما حكى ابن عبد البر الاتفاق عليه . واحتمال ان الحاكم المخالف بني الحكم على روئية شاهد واحد في الغيم نادر جدا .وعلى فرض من حصوله وتحقيقه ففي المذهب قولان في لزوم الصوم وعدم لزومه يجوز العمل بكل منهما أو تقليد مذهب الحاكم والعمل عليه

« وأما البناء على تمام العدد من ابتداء روئية العدلين ولولم ير الهلال ليلة احدى وثلاثين مع الصحو لكون المخالف لايرى التكذيب فان كان قد حكم بالفطر لزم الافطار وان كان لم يحكم الا بثبوت الصوم بروئية العدلين فليس ذلك حكما بالافطار الا ان يحكم حين الروئية بموجب لزوم الصوم فيجب العمل به في الافطار وايضا كما يجب العمل بكمال العدد ان كانت ليلة احدى وثلاثين مغيمة .ومثل ذلك حكم بالصوم بكمال شعبان الذي ثبت أوله بروئية عدلين ولم ير غيرهما هلال رمضان ليلة احدى وثلاثين مع الصحو لكونه لايرى التكذيب فيجب به الصوم قطعا أو كان قد حكم بموجب ثبوت أول شعبان حين حكمه بثبوته فانه يتضمن الحكم باعتبار تمام العدد من ابتداء الروئية

« وأما مسألة عدم روئية هلال شوال مع الصحو ليلة احدى وثلاثين مع عدم ورود خبر من مصر اليهم فانهم يصومون يوم الحادي والثلاثين احتياطاً للخروج من العبادة . والفرض عدم الروئية مع الصحو فان كان غيم اكتفوا بكمال العدد واذا جاءهم خبر الافطار اثناء النهار افطروا ولهم ان يقلدوا الحاكم في مذهبه ويعملوا على الكمال دون التكذيب ويعملوا على روئيتهم ان تباعد جدا كما سبق عن ابن عبد البر حكاية اتفاق اهل المذهب عليه والذي اراه ان الايسر في مثل هذه الامور تقليد مذهب الحاكم المخالف او اعتبار البعد جدا ان تحقق والله تعالى اعلى وأعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . »

الفقير اليه تعالى
شيخ الجامع الازهر
سلم البشري

* * *

﴿ رسالة النبي الى الناس كافة ﴾

(س ٢٢) من صاحب الامضاء في (فاقوس)

حضرة الفاضل الاديب من شاع صيته في حل المشكلات صاحب الدراية التامة الشيخ رشيد افندي رضا لازال مصدرا لفك المعضلات

مما ينهى لفضيلتكم انه حصل في ناحية فاقوس البحث بين طائفة ممن يعتنون في البحث عن امور الدين وتجولوا في مسألة التبليغ وهل دعوة نبينا عليه السلام بلغت الى كافة الاقاليم التي من ضمنها قارة امريكا ام لا ؟ وهل هذا الاسم كان لتلك القارة قديما او حدث فيما بعد ؟

فقال بعض الحاضرين ان دعوة نبينا بلغت كافة الأمم مستندا الى قوله تعالى له (وما ارسلناك الا كافة للناس) فعموم هذه الآية يشمل امريكا وغيرها من كافة الاقاليم

وحيث انه عليه السلام مرسل لكافة الناس فيجب عليه تبليغ العموم ولاشك انه عالم بكافة المرسل اليهم وان بعدت جهاتهم

وقال البعض الآخر ان امريكا اكتشفت حديثا وانه لم يوجد تاريخ من التواريخ يدل على ان احدا من الصحابة ذهب الى تلك الاقطار لتبليغ الدعوة وان عدم اكتشاف القارة المذكورة في زمن المصطفى لاينافي كون النبي صلى الله عليه وسلم ارسل للناس كافة لأن حكمها كحكم من كان في جبل ولم تبلغه الدعوة في زمن المصطفى و بلغته بعد وفاته فيكون ممن دخل في حكم الآية الشريفة

ولفقتا بأن فضيلتكم ممن يعتني بمثل هذه الامور نطلب كشف هذا الأمر وتوضيحه على وجه تام ولكم مزيد الشكر . علي محمد الصواف

الكاتب بمحكمة فاقوس

(ج) ليس الأمر بالمشكل الذي يحتاج الى الايضاح فان بعثة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم الى الناس كافة أمر مجمع عليهم معلوم من ديننا بالضرورة ومن المعلوم

بالضرورة عقلا مؤيدا بالنقل ان تبليغ الدعوة للعرب كان بالتدريج وهم قومه وأهل لغته وسكان بلاده فهل يمكن ان يكون مكلفا ان يبلغ البشر كلهم دعوته دفعة واحدة ثم انه بلغ من يقرب من بلاده كالروم والفرس والقبط وما ارسل بلاغا الى أهل الهند والصين ولا اهل اوربا وغيرهم من الامم التي كانت معروفة حتى يقع الاشكال في أهل امريكا التي لم تكن معروفة وقد امره الله تعالى ان يقول (واوحي اليّ هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ) فكل من بلغه القرآن فقد بلغته الدعوة ويجب على المسلمين دعوة من لم يتسع عمر النبي (ص) لدعوتهم وكذلك فعل السلف الصالحون وقصر الخلف الطالحون

***

﴿ طريقة الشاذلية الدرقاوية ﴾

(س ٢٣) من السيد مصطفى منصور في (السلمية : دسوق)

حضرة الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فأرجوك أن تفيدنا عن الفتوى الآتية :

انتشر عندنا وفي انحاء البلاد طريق من طرق الصوفية وسمي طريقة الشاذلية الدرقاوية نسبة الى مولاي العربي الدرقاوي وهذه الطريقة من شعائرها الاجتماع صباحاً ومساء على تلاوة الاوراد والاذكار الا ان من اعمالهم في حال الذكر من قيام التأوه بقولهم (آه آه) معتقدين ان هذه الكلمة اسم من اسماء الله تعالى

وقد رفع هذا السؤال الى حضرة الشيخ عبد العزيز جاويش فانكر ذلك في لواء يوم ١٥ ذي القعدة سنة ١٣٢٧ قائلا بأنه ليس من أسماء الله تعالى ولم يرد في كتاب ولا في سنة صحيحة واسماء الله توقيفية وليس لله الا الاسماء الحسنى وسفه رأي القائلين بانه من اسماء الله

فرد عليه احد شيوخ تلك الطريقة الاستاذ الشيخ محمود حجاري بقوله انه من اسماء الله تعالى مستندا في ذلك على حديث وارد في الجامع الصغير في حرف الدال (خ) للبخاري و (ت) للترمذي عن أبي هريرة قال الشارح العزيزي وكذا رواه

مسلم (دعوه) أي المريض (يئن) اي يقول (آه) (فان الانين اسم من اسماء الله تعالى يستريح اليه العليل) وسبب هذا الحديث كما في الكبير عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندنا مريض يئن فقلنا له اسكت فقال (دعوه) الخ رواه الرافعي في تاريخ قزوين عن عائشة وهذا الحديث مرتبته الحسن كما قال بذلك سيدي محمد السعراني الشهير بالواعظ ومستندا في ذلك ايضا بما كتبه الباجوري والامير كلاهما على جوهرة اللقاني عند قوله « حتى الانين في المرض كما نقل » وقال وأما دعوى الشيخ جاويش بان ليس لله الا الاسماء الحسنى فمردود باجماع المسلمين على ان لله اسماء كثيرة غيرها منها الرب وهو وارد في القرآن في مواضع كثيرة ومنها مليك وهو وارد في القرآن عند قوله تعالى (عند مليك مقتدر) ومنها الحنان والمنان وستار وسيد وكلها ثابتة بالسنة وما يوخذ من حديث «إن لله تسعا وتسعين اسماء» لايفيد الحصر وحيث اننا في حاجة الى بيان ما عليه هذه الطائفة فنلتمس منكم الفتوى الشرعية في ذلك جعلكم الله منارا للحق ونبراسا للهدى

(ج) ظهرت الطريقة الدرقاوية في أوائل هذا القرن في بلاد سورية اخذها خلق كثير عن شيخ مغربي كان في عكا اسمه الشيخ علي نور الدين فقامت عليه وعليهم قيامة العلماء ونسبوا اليهم القول بالحلول والاتحاد وبعض المنكرات العملية كالجمع بين النساء والرجال بل قيل ان بعضهم مرقوا من الدين وصاروا إباحيين وجعلوا شيخهم علي نور الدين اليشرطي مثار هذه الضلالات كلها ولكنني رأيت بعض الشيوخ الصالحين يثني على شيخهم ويقول انه بريء من كل ماخالفوا الشرع فيه ومن هؤلاء المبرئين له شيخنا الشيخ محمد القاوقجي الشهير وقد نشر هذه الطريقة في طرابلس الشام الشيخ نجيب الحنار أحد علمائها المشهورين فلم نر من تلاميذه من الفسق ولم نسمع عنه أو عنهم القول بالحلول والاتحاد فالظاهر أن هذه الطريقة كغيرها من الطرائق المشهورة يتبع تأثيرها حال المشايخ الذين يتصدون لنشرها فان كانوا جاهلين ضالين أضلوا العامة بها وإن كانوا على علم وهدى فعوامن ينتمي اليهم

بقدر ما يصل اليه علمهم واخلاصهم. وقلما تسلم طريقة في هذا العصر من البدع، و بعض الشر أهون من بعض، والشيوخ هم العمدة . والذكر بالاسماء المفردة لم يرد في الشرع الامر به ولا العمل كما بينا ذلك من قبل، على أن الخطب فيه سهل

* * *

﴿ الوصية المنامية المكذوبة ﴾

(س ٢٤) من صاحب الامضاء في (دمشق الشام)

حضرة الاستاذ الكامل «السيد رشيد رضا» رافع «منار الحقيقة في الاسلام» رعاك الله

ماقول الاستاذ الرشيد ؟ في الشيخ احمد الداعي نفسه :- خادم الحرم الشريف - وما يذيعه في انحاء البلاد الاسلامية في كل سنة منذ بضع سنين غير قليلة - من الرسائل التي يدعي بها كل مرة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم من الرؤى الشبيهة بالوحي !! وعنها يروي الوصايا الجمة التي يرى فيها المطلع عليها من الانباء المبين وقوعها من زمن مخصوص ! والمغيب أمرها عن الخلق ! واسقاطه فروضا من الدين عن كاتب وصيته أو مستأجرها وغفر ذنوبه و و و . . ! واتيانه على لعن من لم يصدقها ويؤمن بها !! الى غير ذلك من الفظائع باسم الدين كما يتضح لكم ذلك في رسالته هذه الاخيرة التي بعثنا بها اليكم : افيدونا ذلك أدامكم الله نجما للهداية ورجما لارباب الغواية وسيفا قاطعا لرقاب المبتدعين وكهفا للمستهدين والسلام عليكم

ياسين قضماني

(ج) أتذكر انني رأيت في صغري وصية مثل هذه الوصية ارسلت الى والدي رحمه الله تعالى وقد سألت بعض الحجازيين هنا في (القسطنطينية) عن الشيخ احمد الذي ينشر هذه الوصية منذ عشرات من السنين فلم يعرفه أحد ويجوز ان يكون مفتجر الوصية الاولى قد مات وان الذين ينشرونها في هذه السنين قد أعجبهم ذلك فهم يعيدونه بتصرف فيه معزو الى اسم الشيخ احمد . وهذه الوصية ينطبق بعضها

على الشرع دون بعضها الآخر وعندنا من كتاب الله وصحيح احاديث رسوله صلى الله عليه وآله وسلم مايغني عن وصايا الرؤى إن صدق الرائي فيها فكيف اذا قام الدليل على عدم صدقه كدعي هذه الرؤيا التي تشهد مخالفة بعض مافيها للثابت من الشرع وغلط ألفاظها على براءة الرسول (ص) منها

* * *

﴿ الكبريت المسوكر ﴾

(س ٢٥) من صاحب الامضاء في (فوه)

سيدي حضرة العلامة الفاضل السيد محمد رشيد رضا الحسيني صاحب مجلة المنار الغراء

بعد السلام والتحية نبدي لفضيلتكم انه الآن حصل خلاف بين بعض علماء بندر فوه بخصوص مسألة الكبريت ولا سيما المسوكر فمنهم من قال بنجاسته وان الحامل لشيء منه لاتصح صلاته ومنهم من قال بطهارته وقد انضم لكل من هؤلاء احزاب وضاعت الحقيقة بين الطرفين . نلتمس الافادة ولسيادتكم من الأمة الاسلامية مزيد الشكر والثناء .　　امين صندوق جمعية الاصلاح بفوه

محمد عبد الحميد

(ج) بينا غير مرة في المنار ان النجس هو الشيء القذر الشديد القذارة والذي يؤخذ من مجموع كلام فقهاء المذاهب أن الشيء المتنجس يطهر بما يزيل القذارة كالماء والنار والشمس والدبغ والاستحالة . وكل ماقالوه في ذلك حق ومجموعه هو حكم الشرع في طهارة المتنجس وان كان بعضهم لايعترف بما يخالفه به الآخر ولا يلتفت الى دليله فيه لانه مقلد . والكبريت ليس قذرا في نفسه ولا نعلم ان فيه شيئا من الاقذار النجسة . وسمعت بعض الناس يقول انه نجس لان فيه شيئا من مادة السبيرتو او الكحول وقد بينا من قبل في المنار (ص ٥٠٠ و٨٢١ و٨٦٦ م٤) ان الكحول او السبيرتو لا يقوم دليل على نجاسته . والحاصل ان الاصل في الاشياء الطهارة لاسيا اذا كانت لا قذارة فيها

ولم يقم في الكبريت دليل ينقض هذا الاصل فلماذا نضيق على المسلمين ونوقعهم في الحرج بما لا يزيدهم صلاحا في نفوسهم ولا نظافة في ابدانهم مع علمنا بأن الشرع ما حثنا على الطهارة وأمرنا باجتناب النجاسة إلا لأجل ان يكون المؤمن دائما نظيفا ومن زعم انه كلفنا ذلك لاجل إعناتنا وإحراجنا فكتاب الله حكم بيننا وبينه قال تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون)

باب المقالات

اصلاح الخط العربي

مزية الخط العربي الكبرى التي يمتاز بها على الخط الافرنجي وغيره هي الاختصار فالكلمة الافرنجية تأخذ من مساحة الصحيفة مثل ما تأخذه الكلمة العربية مرتين اومرات كما ترى في اسم (محمد) ويرسم هكذا بحروف الطبع عندهم (Mohammad) ولكن في الخط العربي نقصا لاتشفع له هذه المزية ولا أضعافها من المزايا لووجدت وهو ان معرفته لاتكفي لصحة قراءته بل يحتاج عارفه الى عدة علوم وفنون وحفظ الكثير من المفردات والفروق لأجل ان يصحح قراءته فكلمة «ملك» على صغرها تقرأ على وجوه كثيرة

مَلَكَ مَلِكٌ مَلْكٌ مَلْكٍ مَلِكٌ مُلْكٌ مُلْكٌ مِلْكٍ مِلْكٌ مِلْكٍ مَلَّكَ مُلِّكَ مَلَّكْ مُلْكٌ مَلَكٍ مُلُكٌ مُلُكٍ وهذه الصيغ كلها معان وتقرأ على وجوه أخرى ليس لها كلها معان مستعملة في هذه اللغة لأن الميم فيها ثلاثة اوجه الفتح والضم والكسر واللام فيها هذه الثلاثة مع التخفيف ومع التشديد وفيها السكون والكاف فيها الوجوه الثلاثة مع التنوين والتشديد وعدمهما فيحصل من ضرب وجوه الميم وهي ثلاثة في وجوه اللام وهي سبعة ٢١ صورة

تضرب في وجوه الكاف وهي ١٢ يحصل ٢٥٢ ولك ان تضيف اليها السكون مع التشديد وعدمه فتلك ستة تضربها في ٢١ يحصل لك ١٢٦ فالمجموع زهاء ٤٠٠ صورة ! . ويكفي في الخلل ان تشتبه الكلمة بوجهين فقط كالمنتخب بكسر الخاء وفتحها بأن لايخطر في بال قارئها ضبط آخر لها

ترتب على هذا الخط مفاسد كثيرة اهمها جعل اللغة العربية وعلومها عسرة التحصيل وكتبها عرضة للغلط والتحريف وكون قرائها كثيري الغلط واللحن حتى انه لا يكاد يوجد الآن في علمائها من يقرأ بدون لحن ولا غلط قط فما بالك بغير العلماء!. ولولا هذا العيب في خطنا لكان أكثر العامة الذين يتعلمون القراءة والكتابة قويي اللسان بهذه اللغة وان لم يتعلموا النحو والصرف ويكثروا المراجعة في المعاجم ولكانت ملكتها قوية فيهم وفهمها يسيرا عليهم فكيف كان يكون شأن العلماء منهم؟

وفي هذا الخط عيب آخر ضارٌّ وهو تشابه حروفها الذي كان سبب كثرة التصحيف والتحريف في كتبها حتى انك ترى الالوف من أسفارها المكتوبة في القرون الخالية لايوثق بها او لا يستفاد المراد منها او يحتاج فيها الى المراجعة وإطالة النظر ليعرف الاصل الصحيح منها

قد اهتدى بعض الأذكياء من أوائلنا الى هذين العيبين في خطنا فوضعوا النقط للتفرقة بين الحروف المتشابهة وكانت تكتب من غير نقط ، ووضعوا الشكل لأجل ضبط الكلمات لتكون القراءة صحيحة لا لحن فيها ولا غلط ، ولكن هذين العلاجين لم يشفيا العلة، ولم يرويا الغلة . فاما النقط فمع التزام أكثر المتقدمين وجميع المتأخرين له يكثر التصحيف في مخطوطاتهم فان نقطة الفاء اذا جاءت كبيرة ولو بغير تعمد تقرأ قافا ونقطتي القاف اذا كتبتا صغيرتين او ذهب جزء منهما بسببٍ ما قرىء القاف فاء ، ويقال مثل ذلك في الباء مع الياء والتاء مع النون . وكثيرا ما يؤخر الكاتب النقطة عن مكانها من الحرف او يقدمها قليلا فتشتبه الكلمة بكلمة اخرى ولاسيا في الحروف التي تكون في أول الكلمة او وسطها نبرة دقيقة وهي الباء والتاء والثاء والنون والياء فكلمة يبني من البناء تصير بتقديم وتأخير قليل لنقطتي النون والباء «ينبي» من الإنباء . وبمثل ذلك تشتبه الانباء بالابناء وعلى ذلك فقس

واما الشكل فيحصل فيه مثل هذا التقديم والتأخير الذي يكون في النقط لدقته وقرب الحروف بعضها من بعض فيترتب على ذلك الخطأ القطعي او الاشتباه وكلاهما شر . وهو مع ذلك عسير كأن الكاتب يكتب الكلمة مرتين مرة بحروف كبيرة ومرة بحروف دقيقة جدا ولذلك تركه الناس في غير المصاحف الاقليلا . وهو يعسر في الطبع كما يعسر في الخط ولذلك تكون أجرة طبع المشكول مضاعفة ، وأدوات الشكل يسرع اليها الكسر في المطابع لدقتها فيفسد الشكل او يزول في اثناء الطبع ، وقلما تجد نساخا يضبط لك شكل كتاب ينسخه لك فيجيء صحيحا، واندر من ذلك من يستطيع ان يشكل كتابا لم يكن مشكولا فان هذا عمل لايقدر عليه الا المتمكنون من فنون اللغة كلها مع التمكن من العلم الذي يتضمنه ذلك الكتاب وفهم كلامه بالقرائن والاستعانة على ذلك بمراجعة كتب اللغة وغيرها

اذا أصلح الخط العربي بكتابته مضبوطا غير متشابه الحروف يكون ذلك مزيدا في أعمار العرب والمسلمين الذين يكتبون بحروفهم لانهم يتعلمون في أقل من نصف المدة التي يتعلمون فيها الآن ، ومزيدا في ثروتهم لانهم لاينفقون حينئذ على التعليم ونسخ الكتب وطبعها الا بعض ماينفقونه الآن ، ويكون سببا لسرعة ارتقائهم في العلوم والفنون والمدنية لان هذا يتوقف على سهولة التعليم وتعميمه . و بذلك تنتشر اللغة العربية بين المسلمين من الاعاجم بسرعة عظيمة فيقوى فيهم الاسلام نفسه فتمي به آدابهم وفضائلهم ويأمنون من نزغات الالحاد التي تدخل عليهم الآن من كل باب من أبواب التعليم على منهاج الافرنج فتحل روابطهم الاجتماعية وتفسد آدابهم الملية فيفشو فيهم الفسق والخيانة اذ لايكون لهم همٌّ الا في الاستكثار من المال لاجل التمتع بلذات الدنيا التي ليس وراءها حياة عندهم .

إن المسلم الذي لايفهم القرآن فهما صحيحا ولا يعرف السيرة النبوية معرفة حقيقية يسهل تحويله عن الاسلام بالتعليم الافرنجي وان كان من العرب الذين فسدت ملكتهم العربية كأهل بلادنا كلهم فكيف اذا كان أعجميا !؟ كنت في مجلس فرأيت أحد الضباط الشبان يحادث طبيبا صديقا لي بجانبه فكان مما قاله له انه يعجب أن يراه متدينا مع تلقيه للعلوم العالية واصل هذا الدين وأساسه القرآن ؛ (قال) وهو كتاب لم

أو مثله كتابا ركيكا مصلطا يسرع الملل الى قارئه !!! قال لي الطبيب يقول هذا وهو لا يفرق بين الاسم والفعل في العربية ولا يفهم آية فهما صحيحا ! فقلت له ان هذا أحد السببين في ملاله من القرآن ، والسبب الثاني هو كفره المادي التقليدي الذي حبب اليه الشهوات والانطلاق من قيود التقوى وكرّه اليه الايمان والعمل الصالح ، ومثل هذا القول لا يصدر عن عربي مؤمن ولا كافر فهما كان حظ العربي من اللغة ضعيفا يفهم في الجملة علوّ القرآن على سائر الكلام . قال الدكتور شبلي شميل وهو فيلسوف مادي مشهور في النبي صلى الله عليه وآله وسلم

إني وان أكُ قد كفرت بدينه　　هل أكفرنَّ بمحكم الآيات

أو ما حوت في ناصع الالفاظ من　　حِكم روادع للهوى وعظات

وشرائع لو أنهم عقلوا بها　　ما قيدوا العمران بالعادات

وأثبت الاستاذ جبر ضومط معلم البلاغة في المدرسة الكلية الامريكانية ببيروت في كتابه (الخواطر الحسان في المعاني والبيان) ان القرآن معجز ببلاغته وأسلوبه ، وما يؤثر عن مشركي العرب البلغاء في ذلك مشهور لا محل لشرحه هنا وانما نقول ان اشهر وَصْف وُصف به القرآن هو كونه لا تمل تلاوته «ولا يخلقه عند أهل التلاوة كثرة الترديد » ويظن بعض الناس ان اعتقاد حقيته والاجر على تلاوته هو السبب في عدم الملل فانا نعتقد حقية الاحاديث الصحيحة والاجر في مدارستها ولكننا اذا قرأنا صحيح البخاري كما نقرأ القرآن دائما على تمادي الايام والسنين نمل من قراءته ولا نستطيع أن نواظب عليها مع النشاط واللذة كما نواظب على تلاوة القرآن . والسبب الحقيقي لعدم الملل من تلاوة القرآن هو أسلوبه الغريب في مزج الحكم والاحكام والقصص والامثال والعظات والبينات ووصف محاسن المخلوقات وسنن الله في الاقوام والالهيات وأصول الايمان - مزج كل هذه العلوم بعضها ببعض في جميع السور في عبارات بليغة عالية مؤثرة كما بينت ذلك في العقيدة التي وضعتها للمتوسطين من طلاب العلوم والفنون وانما اطلت في هذا الاستطراد لانبه على أن الجهل بالعربية وعدم فهم القرآن هو الذي يمهد طريق الالحاد ومنه يعلم خطأ الذين

يقولون بترجمة القرآن كحميد الله افندي من علماء الترك وصاحب جريدة العرب التي يبث فيها هذا الفكر ليقنع به قراءها وماهم بالذين يقتنعون

ونعود الى اصل الموضوع فنقول ان اذكياء المسلمين من العرب والترك وأذكياء نصارى العرب من السوريين قد فكروا في مسألة إصلاح الخط العربي في أواخر القرن الماضي وأتذكر ان شيخنا الجسر رحمه الله تعالى قد أطلعني في ايام الطلب على حروف رسمها بعض الاذكياء قد جعل الشكل فيها متصلا بالحرف فيكون للحرف عدة أشكال مع حفظ صورته الاصلية ولم يكن هذا مرضيا لمن اطلع عليه من الباحثين . وبحثت مجلة المقتطف في هذه المسألة فكان من رأي الباحثين فيها ان يكتب العرب لغتهم بالحروف اللاتينية التي يكتب بها الافرنج واستحسن اصحاب المجلة هذا الرأي ان لم تكن ذاكرتي مخطئة — ولكن لم يستحسنه ولن يستحسنه المسلمون . وقد تصدى بعض الافرنج كالانكليزي ويلمور الذي كان قاضيا في مصر لترويج هذا الأمر والاقناع باختيار اللغة العامية على اللغة الفصيحة ويرى المطلعون على المجلد الاول من المنار مقالاً طويلا منشورا في موضعين (ص ١٠١ و ١٢٠) في مقاومة هذا الرأي عنوانه (صدمة جديدة على اللغة العربية) سببه ان بعض الدعاة الى إقناع العرب باختيار الحروف اللاتينية قد نشر مع بعض الجرائد اليومية بمصر منشورا يدعو فيه الى كتابة اللغة العامية بهذه الحروف وعين جوائز مالية لمن يفعل ذلك . ومن البديهي ان غرض هؤلاء الدعاة هدم اللغة العربية والاسلام جميعا وما ذلك بالامر المستطاع ولو أنفقوا في سبيله جميع مافي اوربا من الذهب

واخترع جميل افندي الزهاوي من اذكياء بغداد خطا جديدا هو أمثل من الخط العربي ومن الخط الافرنجي وعرضه على الناس في مجلة المقتطف فلم يحفل به أحد لان المسلمين هم اصحاب الشأن في هذا الامر ولا يرضون بأن يتغير الخط الذي هو من مقوماتهم الملية وقد كتبت به مصاحفهم وأسفار سلفهم ولاسيما اذا كان التغيير بالانتقال الى خط أعدائهم السياسيين الذين يريدون إزالة سلطانهم من الارض وجعلهم أجراء مسخرين لخدمتهم وهم الافرنج

ذاكرت احمد مختار باشا الغازي في هذه المسألة بمصر منذ سنين فكان مما

قال لي انا فكرنا في هذه المسألة من قبل وتذاكرت انا وناظر المعارف وغيره من كبار رجال الدولة في وجوب إصلاح خطنا ليقرأه صحيحا كل قارئ، فان ضرر هذا الخط علينا عظيم ولا سيما في العسكرية فاننا نرسل الضباط من اركان الحرب لمعرفة بعض المواقع وضبط اسماء معاهدها وطرقها وقراها فيكتبون لنا اسماء لا نقرأها صحيحة وقد يكون الغلط والاشتباه فيها سببا للفشل في الحرب اذا وقعت فيها فكان من رأيي أن تكون نظارة الحربية أول من يستعمل الخط المضبوط في جغرافيتها فذلك لا يؤثر في التعليم الديني والادبي ولا يهيج علينا المتعصبين من العلماء لكل قديم . ولكن لم يكد ينتشر بين الناس خبر مذاكرتنا في ذلك حتى لغط به الناس وعدوه جناية على الاسلام وبلغني ان بعضهم قال نحن لا نعتب على فلان باشا وفلان باشا اذا قالوا مثل هذا القول لقلة مبالاتهم بالدين ولكن نعتب على احمد مختار باشا (او قال مختار بك لانه لم يكن يومئذ باشا) الذي كنا نظن انه مسلم متدين . ثم قال لي بهذه المناسبة

« ان الاصلاح لا يمكن ان يأتي من تحت الطربوش بل لابد أن يكون من تحت العمامة فاذا لم يوجد في علماء المسلمين من يقوم بالاصلاح فلا يصلح حالهم حتى ان الخليفة الذي هو امام المسلمين ورئيسهم الديني لا يمكنه وقد خرج من الهيئة العلمية الدينية ان يأتي باصلاح جديد للمسلمين مالم يفته في ذلك شيخ الاسلام »

هذا _ واني في السنة الماضية قد رغبت الى المفكرين في الاصلاح اللغوي من اعضاء نادي دار العلوم بمصر ان يبحثوا في هذه المسألة وأن يراجعوا فيها انواع الخط الكوفي وغيره من الخطوط الاسلامية القديمة ويختاروا منها حروفا لا يشتبه بعضها ببعض ولو بالتلفيق وان يبحثوا ايضا في طريقة كتابتها مضبوطة بغير هذا الشكل الدقيق العسر . وكان بعض المفكرين من الفرس وغيرهم رأى ان تكتب الحروف العربية المشهورة الآن مقطعة ويجعل الالف بعد الحرف المفتوح

والواو بعد الحرف المضموم والياء بعد الحرف المكسور وان يكتب الحرف المشدد مرتين كما هو الاصل فيه ولذلك يسميه الصرفيون مضاعفا ورأيت كتابا مطبوعا على هذه الطريقة ولكن فيها اشكالات ومعايب ولم يرضها اكثر المطلعين عليها

ولما جئت القسطنطينية في العام الماضي عرفت فيها الطبيب اسماعيل حقي افندي الميلاسلي فرأيته مهتما بهذه المسألة أشد الاهتمام وقد وضع فيها كراسة لإصلاح هذا الخط على ان يكتب حروفا مقطعة ويكتب بجانب كل حرف من حروف الكلمة حرفا لضبط حركته يقرب من حروف العلة لانه يرسم بتغيير ما فيها وزاد حروفا جديدة لضبط الخط التركي لأن في اللغة التركية من الاصوات ما لا مثل له في العربية. وهو يوزع هذه الكراسة على من يرجو منهم العناية بهذا الاصلاح جزاه الله خيرا ولكن هذا الخط يحتاج الى تعليم جديد ولا ينطبق على القديم من كل وجه وفيه علل أخرى فلا أرى ان الجمهور يقبله كما هو

ورأيت هنا (في القسطنطينية) أيضا بحثا وجدالا بين الارنوءط في المفاضلة بين الحروف العربية والحروف اللاتينية فكان بعضهم يرجح الحروف اللاتينية لأن لغتهم تتأدى بها أداء صحيحا لان حروفهم وأصواتهم عين حروفها وأصواتها ولأنها هي الاصل المستعمل عندهم. وخالفهم الاكثرون محتجين بأن تلك الحروف تبعدهم عن الاسلام والحروف العربية تقربهم منه وقد نفذ رأي الاكثرين بعد ان انتصر لهم اكثر المبعوثين منهم وصدر أمر الحكومة باعتماد الحروف العربية في تعليمهم وكانوا يتعلمون لغتهم في بعض مدارس الحكومة بالحروف اللاتينية. وقد ذاكرت اسماعيل كمال بك اشهر مبعوثيهم في هذه المسألة وقلت له اذا ترجح عندكم استعمال الحروف العربية فيحسن أن تستعملوها على طريقة إصلاحية اذ لا صعوبة في ذلك عندكم كما يصعب على ان من ألفوا الطريقة القديمة التي يكثر خطأها وتحريفها. فقال انه لا يمكن ان يكون بدء هذا الاصلاح من شعب اسلامي صغير بل يجب ان يبدأ بمثل هذا العرب انفسهم وسائر المسلمين يتبعونهم فيه

هذا ملخص ما أتذكره الآن من شعب هذه المسألة المهمة وان لي رأيا في هذا الاصلاح كنت أريد ارجاءه الى الوقت الذي يسهل فيه إيضاحه و يرجى قبوله

ولكن قويت الداعية الى التنويه به الآن وسأوضحه في فرصة أخرى بعد سبك الحروف على الوضع الذي يتضح به

أرى انه يمكن اصلاح هذا الخط إصلاحا يحافظ فيه على أشكال الحروف المعهودة وشكولها المعروفة أومايقرب منها ولا يحتاج فيه الى تعليم جديد للمتعلمين ولا الى ابطال كتب السابقين ويؤمن فيه مع ذلك من الاشتباه والتحريف والتصحيف والغلط الكثير من غير إضاعة لما فيه من مزية الاختصار بالمرة وليبدأ هذا الاصلاح بالطبع فهو من مسهلاته مع قلة النفقة . وانا نشير الى ذلك بالايجاز ثم نشرحه عند مايتيسر لنا سبك حروف جديدة له عند عودتنا الى مصر الا أن يفهمه ابراهيم بك رمزي صاحب مسبك التمدن بمصر أو بعض ذوي العناية هنا فيعجلوا بسبك الحروف له فيكونوا من السابقين الى الاصلاح الذي نحمده لهم ونشكرهم عليه

أرى ان تكون الحروف متفرقة فهذا شرط لايتم الاصلاح بدونه ولكن الحروف التي تتصل بغيرها تكتب على حدتها بالصورة التي تكون عليها اذا كانت في أول الكلمة الا ماأشتبه بغيره منها وكان المميز له النقط فقط فيترك على وضعه المفرد من غير تغيير او بتغيير قليل لايخفى به على أحد ولا يحتاج معه الى تعليم جديد ولايكتفى بالتمييز بالنقط .وذلك ان تكون الباء دائما هكذا (ب) والتاء مثلها ولكن نبرتها أو سنها تكون من الاسفل كما ترسم في خط الثلث (ت) والثاء والنون والياء هكذا دائما (ث ، ن ، ي) والجيم هكذا (ج) والحاء مثلها ولكن يلتقي الطرفان الايسران منها اللذان كضلعي الزاوية او تجعل كثاث هكذا (ح) وأما الخاء المعجمة فتكون هكذا (خ) بزيادة نبرة من الطرف الايسر . ويفرق بين الدال والذال بجعل أحدهما على الصورة التي يكتبه بها المغاربة اي بزيادة شنخوب فيكون قريبا من الكاف الصغيرة في أول الكلمة ولايشتبه بذلك على احد . ويفرق بين الراء والزاي كما يفرق بينهما في قاعدة الثلث (ر ، ز) وبين السين والشين كذلك بجعلهما هكذا (س ، ش) ـ وبين الصاد والضاد هكذا (ص ، ض) وبين الطاء والظاء بجعل عمود احداهما معقوفا كما يرسم في الخط الديواني ـ وبين العين والغين بجعل احداهما ذات شنخوب كما ترسم في

الخط الثلث أحيانا - و بين الفاء والقاف هكذا (ﻓ ، ق) ولا بأس بجعل نقطة الفاء من الاسفل ونقطة واحدة للقاف من الاعلى كما يكتب المغاربة . وتكتب سائر الحروف هكذا (ک ، ل ، م ، ن ، ه ، ة ، و) والرسم الثاني للهاء يختص بالمشتركة بين التاء والهاء. وهمزة الوصل تكتب ألفا بغير علامة أو بالعلامة المشهورة هكذا (ٱ) وهمزة القطع هكذا (أ) والممدودة هكذا (آ) وأما ألف المد فيبقى على صورته (ا) إن جعلنا همزة الوصل ذات علامة والا جعلناه هكذا (ا) وواو المد يكون هكذا (و) وياء المد هكذا (ـــي)

هذا ما نكتبه الآن في وصف هذا الضرب على اصلاح الحروف بالاختصار ونرجئ التفصيل و بيان الجزئيات الى ان تسبك الحروف على الوضع الذي أشرنا اليه

وأما الشكل الذي يضبط به الكلام وهو الاهم فيمكن ان يستغنى فيه عن علامة الفتح لانه هو الاكثر ويوضع للرفع والكسر هذه الاداة المعروفة في طباعتنا الآن (،) ويفرق بينهما بكيفية وضعها هكذا (و ـ ،) واذا كان الحرف منونا توضع مزدوجة هكذا (وو ـ ،،) والحرف المفتوح المنون يوضع له علامة أخرى إما العلامة المشهورة وإما غيرها كعلامة التعجب المشهورة في المطبوعات المصرية مكررة مرتين فقط (!!) وعلامة السكون المعهودة في شكلنا تجعل كبيرة وتبقى على حالها . واما الحرف المشدد فاما أن نبقي له علامته المشهورة مع تكبيرها قليلا واما ان نكتبه مرتين كما هو الاصل فيه

هذا ما أعرضه الآن موجزا مجملا على نادي دار العلوم بمصر وعلى محبي الاصلاح من العلماء وأصحاب الجرائد والمطابع والسابك ليبحثوا فيه ولهم ان يختاروا بعض الاشكال والشكول على بعض ولكن لا ينبغي أن يطول السكوت على هذا الخلل العظيم والله الموفق

اطوار اللغة العربية (*

لم يأت الباحثون عن مبدأ اللغة في ادلتهم بما تطمئن اليه النفوس ويحل منها محل القطع او الظن القريب منه، على ان اختلافهم في تعيين الواضع هل هو الله تعالى اوالبشرمما لاتترتب عليه فائدة في العمل تقتضي العناية بترجيح احدالمذهبين ومن ثم صحح المحققون ان ادخال هذه المسألة في علم الاصول من الفضول، وزعم بعضهم ان قلب الالفاظ التي يؤدي تغييرها الى فساد في احكام الشريعة كتسمية الثوب فرسا والفرس ثوبا يرجع حكمه الى اصل ذلك الخلاف فيمتنع القلب على القول بان اللغة كلها وقعت بتعليم من الله ويجوز على القول بانها وضعت باصطلاح البشر وليس هذا البناء بمستقيم فان مجرد اسناد الوضع الى الله تعالى وان ثبت بالحجة القاطعة لايقتضي الوقوف عند حد ما ورد منه والامساك عن تغييره باصطلاح جديد

واقصى ماثبت في التأريخ ان هذه اللغة كانت في قبائل من ولد سام بن نوح عليه السلام وهم عاد وثمود وجرهم الاولى وو بار وغيرها وقدانقرضت اجيال هؤلاء الا بقايا متفرقين في القبائل ولا يصح شيء مما يروى عنهم من الشعر، وقد انكر العارفون على من كتب في السيرة أشعارا كثيرة ونسبها الى عاد وثمود . ثم انتقلت الى بني قحطان وكانوا يتكلمون باللسان الكلداني لسان اهل العراق الاصليين واول من انعدل لسانه الى العربية يعرب بن قحطان و بعد ان نشأت منها الحميرية لغة اهل اليمن انتقلت الى اولاد اسماعيل عليه السلام بالحجاز، ولم تكن لغة اسماعيل عربية بل كان عبرانيا على لسان ابيه ابراهيم عليه السلام، ثم انخرط في شعوب العرب بمجاورتهم ومصاهرته لجرهم الثانية حين نزل بمكة فنطق بلسانهم وورثه عنه اولاده فأخذوا يصوغون الكلام بعضه من بعض و يضعون الاسماء بحسب ما يحدث من

*) بقلم الشيخ محمد الخضر بن الحسين من العلماء المدرسين بجامع الزيتونه بتونس في مسامرته « حياة اللغة العربية »

المعاني الى ان ظهرت اللغة في كامل حسنها و بيانها وصار لها شأن عظيم وتأثير بليغ

ويدلك على عنايتهم بامر الفصاحة ما وصل الينا من نتائج افكارهم و بدائع خطبهم وقصائدهم في سوق عكاظ وسوق مجنة اذ يفدون عليها في موسم الحج ويقيمون في عكاظ ثلاثين يوما وفي مجنة سبعة ايام يتناشدون ماوضعوه من الشعر ويتفاخرون بجودة صناعة الكلام وعند احتفالهم يضربون قبة للشاعر العظيم في وقته كالنابغة الذبياني ويعرضون عليه منتخبات اشعارهم ، وكان بعضهم يهدد بعضا بنظم الهجاء وتسييره في ذينك الموضعين قال امية بن خلف يهدد حسان رضي الله عنه

ألا من مبلغ حسان عني ... مغلغلة تدب الى عكاظ

وقال حسان في جوابه

اتاني عن امية زور قول ... وما هو في المغيب بذي حفاظ

سأنشر ان بقيت له كلاما ... ينشر في المجنة مع عكاظ

ومن شواهد هذا ان الحارث بن حلزه اليشكري كان شاعرا حكيما ولكنه ابتلي بوضح (برص) ومن اجله كان عمرو بن هند ملك الحيرة يكره النظر اليه و يأبى ان يستمع الى خطابه الا من وراء ستارة فدخل عليه يوما وانشد بين يديه قصيدته المعدودة في المعلقات

آذنتنا ببينها اسماء ... رب ثاو يمل منه الثواء

وتعرض فيها الى شيء من الصلح بين بكر وتغلب فبهرت عمرا براعة نظمها واستولت على لبه بسحر بيانها فأخذته هزة وارتياح ولم يتمالك ان امر برفع الستار ما بينهما

واقتضت عناية العرب لذلك العهد بالابداع في القول والتنافس في مقام الفصاحة أن ظهرت معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم في بلاغة ما انزل عليه من القرآن ، كما جاء عيسى عليه السلام يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله لما ارسل الى قوم توفرت عندهم العناية بعلم الطب ، وكما بعث موسى عليه السلام الى امة انتهى السحر فيها الى غاية فاتاهم في مقام المعجزة بابدع ما يكون في قلب الاعيان و إراءتها في غير صورتها الاولى

ثم ارتقت اللغة في صدر الاسلام الى طورها الاعلى ودخلت في ام دور يحق علينا ان نسميه عصر شبابها فنمت عروقها واثمرت غصونها بالوان مختلفة من الاساليب

ومن مآثر هذه الحياة الراقية ان كان كلام الناشئين في الاسلام من العرب احلى نسقا واصفى ديباجة من كلام الجاهلية في شعرهم وخطبهم ومحاوراتهم

والاسباب التي ارتقت بها اللغة حتى بلغت اشدها واخذت زخرفها امور ثلاثة :

أحدها ما جاء به القرآن الحكيم من صورة النظم البديع والتصرف في لسان العرب على وجه يملك العقول فانه جرى في أسلوبه على منهاج يخالف الاساليب المعتادة للفصحاء قاطبة وان لم يخرج عما تقتضيه قوانين اللغة واتفق كبرا ؤهم على اصابته في وضع كل كلمة وحرف موضعه اللائق به وان تفاضل الناس في الاحساس بلطف بيانه تفاضلهم بسلامة الذوق وجودة القريحة

ومن النحاة من يحكم على بعض استعمالات يرد عليها القرآن بعدم القياس عليها كما قصروا حذف حرف المصدر ورفع المضارع بعده على السماع بعد ان أوردوا في مثاله قوله تعالى «ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا» الآية . ولا أدري كيف يتفق لهم هذا مع علمهم بأنه صاحب البلاغة التي ليس وراءها مطلع ، وإنا لنعلم قولهم في أصول العربية أن ماقل في السماع ان كان مقبولا في القياس صح القياس عليه وان وجد ما يعارضه في القياس يوقف على السماع فنسلم لهم اجراء هذه القاعدة في كلام العرب لاحتمال ان تزيغ السنتهم عن القصد فيحرفون الكلمة عن اصل استعمالها غلطا ولا نسلم لهم تحكيمها في كتاب الله الذي أخرس بفصاحته لسان كل منطيق

ثانيها ما تفجر في اقوال الرسول صلى الله عليه وسلم من ينابيع الفصاحة وما جاء في حديثه من الرقة والمتانة والابانة عن الغرض بدون تكلف: روي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قال لقد طفت في احياء العرب فما رأيت احدا أفصح منك يارسول الله؟ قال« ومايمنعني وانا قرشي وارضعت في بني سعد و بنو سعد أفصح قبيلة في العرب بعد قريش »

وانما اغفى علماء اللسان النظر عن الاستشهاد بالحديث لان رواته لم يجمعوا عنايتهم على ضبط الفاظه كما كانوا يتثبتون في نقله على المعنى ولو تحقق أهل العربية

من رواية حديث بلفظه كالاحاديث المقولة للاستشهاد على فصاحته صلى الله عليه وسلم لاستندوا اليه في وضع احكامها يقينا

ثالثها ما افاضه الاسلام على عقولهم بواسطة القرآن والحديث من العلوم السامية وبما نتج عن تعارف الشعوب والقبائل والتئام بعضها ببعض من الافكار ومطارحة الآراء ومعلوم ان اتساع العقول وامتلاءها بالمعارف مما يرقي مداركها ويزيد في تهذيب المعيشة فتقذف بالمعاني المبتكرة وتبرزها في اساليب مستحدثة فان كثرة المعاني ودقتها تبعث على التفنن في العبارة والتأنق في سياقها ويوضح لكم هذا ان الناشئين في الحواضر نجدهم في الغالب اوسع غاية في اجتلاب المعاني الفائقة واهدى الى العبارات الحسنة ممن يعادلهم في جودة القريحة وفصاحة المنطق بفطرته لاشتمال المدن على معان شتى ينتزع الذهن منها هيئات غريبة لاطريق لتصورها الا المشاهدة

ولما فارقت العرب الحجاز لابلاغ دعوة الاسلام وبث تعاليمه بين الامم اقتضت مخالطتهم لمن يحسن لغتهم ضعف ملكاتها على السنتهم ودخول التغيير عليها في مبانيها واساليبها وحركات اعرابها وابتدأ التحريف يسري الى اللغة في عهد الخليفة الرابع علي بن ابي طالب رضي الله عنه فاشار على أبي الاسود الدؤلي بوضع علم النحو ولم يزل ائمة العربية يحوطونها باستنباط القواعد حتى ضربوا عليها بسياج يقيها عادية الفساد ويحول بينها وبين غوائل الضياع والاضمحلال وحين انتشرت المخالطة وتفشي داء اللحن امسك العلماء عن الاستشهاد بكلام معاصريهم من العرب ويعدون اول المحدثين الذين لا يستشهد باقوالهم بشار بن برد المتوفى سنة ١٦٧ واحتج سيبويه بشيء من شعر بشار بدون اعتماد عليه وانما اراد مصانعته وكف اذايته حيث هجاه لتركه الاحتجاج بشعره كما استشهد ابوعلي الفارسي في كتاب الايضاح بقول ابي تمام

من كان مرعى عزمه وهمومه   روض الاماني لم يزل مهزولا

وليس من عادتهم الاستشهاد بشعر أبي تمام لان عضد الدولة كان يعجب بهذا البيت وينشده كثيرا

واستشهد صاحب الكشاف عند قوله تعالى (واذا اظلم عليهم قاموا) ببيت من شعر ابي تمام وقال وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من

علماء العربية فاجعل مايقوله بمنزلة ما يرويه . فيؤخذ من صريحه انه يرى صحة الاحتجاج بكلام المحدث اذا كان من ائمة اللغة وليس مذهبه هذا بسديد وقياس ما يقوله ابو تمام على مايرويه غير صحيح فان التكلم بالعربية الصحيحة لعهد ابي تمام ناشيء عن ملكة تستفاد من تعلم صناعتها ومدارسة قوانينها فعلى فرض ان لا تفوته معرفة بعضها قد يذهل عن ملاحظة تلك القوانين فلا يأمن ان يزل به لسانه في خطأ مبين . وابو تمام نفسه صدرت عنه ابيات كثيرة خرج فيها عن مقاييس العربية قال ابن الاثير لم اجد احداً من الشعراء المفلقين سلم من الغلط فاما ان يكون لحن لحنا يدل على جهله بواقع الاعراب واما ان يكون اخطأ في تصريف الكلمة ولا اعني بالشعراء من تقدم زمانه كالمتنبي ومن كان قبله كالبحتري ومن تقدمه كأبي تمام ومن سبقه كأبي نواس

اما العربي القح فإنه يطلق العبارة بدون كلفة في اختيار الفاظها او ترتيب وضعها فتقع صحيحة في مبانيها مستقيمة في اعرابها ولا يكاد يلحن في اعراب كلمة اويزيلها عن موضعها اذا ترك لسانه وسجيته ومن ثم كان قرض الشعر كالخطابة علي الارتجال والبديهة شائعا عند العرب نادرا في عصر المولدين، ولايعترض هذا بان كثيرا من العرب يطيل المدة في عمل القصيدة كما فعل زهير في حولياته لأنه يستوفيها في امد قريب ويتمها على شرط الصحة ولكنه لا يخرجها للناس اذا فرغ من عملها الا بعد التروي واعادة النظر في تقويم معانيها وحسن النسق في بنائها واحكام قوافيها لا ليخلصها من اللحن ويطبق عليها اصول العربية كما هو شأن المحدثين

ثم نشأ بهذا التحريف الذي طرأ على اللغة مرض آخر انجر اليها بسبب من اسباب حسنها هو ان مسلم بن الوليد وابا تمام امعنا النظر في اشعار الفصحاء وخطبهم وحسروا اللثام عن وجه بيانها فابصروا فيها محاسن من فنون البديع كالاستعارة والجناس والتورية فشغفوا بها وثابروا على ايرادها في منظوماتهم توفيرا لحسنها واستزادة من التأنق فيها فكان الناس يقولون ان اول من افسد الشعر مسلم بن الوليد وسمع اعرابي قصيدة ابي تمام التي يقول في طالعها :

« طال الجمع اراك غير حميد »

فقال ان في هذه القصيدة اشياء افهمها واشياء لا افهمها فاما ان يكون قائلها اشعر من جميع الناس واما ان يكون جميع الناس اشعر منه . وما تعاصى فهمها على الاعرابي الا لكونه سمع شعرا حشي بوجوه من البديع خرجت به عن الاسلوب المألوف فثقل تأليفه وبعد عن الافهام تناوله

واتبع طريقهما كثير من الادباء وربما انتهى بهم الاعجاب بمحاسن البديع الى مخالفة قانون العربية وتغيير بنية الكلمة من اجلها كقول بعضهم

انظر الي بعين مولى لم يزل يولي الندى وتلاف قبل تلافي

فكأنه زاد في مصدر تلف الفا ليتم له الجناس مع قوله تلاف ولا نعرف في كتب اللغة من ذكر التلاف مصدرا لتلف وانما يوردون في مصدره التلف بدون الف

ولم تقف سيئة الاكثار من البديع عند حد الشعر بل تعدى وباؤها الى النثر ايضا فطفق كثير من الكتاب يملأون رسائلهم بوجوه التحسين: الاستعارة والجناس ونحوهما ، واجتهدوا ان لا يفوتهم الشعراء بواحد منها حتى اذا ما تلقيت صحيفة من هذا القبيل والقيت فيها نظرك ليطوف عليها بالمطالعة ادركته عند كل فقرة حبسة والتوت امامه طرق فهمها وان كانت معاني مفرداتها جلية فتحس به كيف ينتقل من كلمة الى اخرى بخطوات ضيقة كأنما حمل على قيد من حديد ، واكثر هؤلاء يهملون النظر الى جانب المعنى والمحافظة عن اقامته واستيفائه وهذا ما بعث الشيخ عبد القاهر الجرجاني حين قام ينادي بابسط عبارة ان الالفاظ خدم للمعاني وان المعاني مالكة سياسة الالفاظ ، وأقام الحجة في كتابيه دلائل الاعجاز واسرار البلاغة(*) على ان مزية الفصاحة انما استحقتها الالفاظ ووصفت بها من جهة معانيها وازال كل شبهة عرضت لمن اعتقد انها مزية استحقها اللفظ بنفسه

وادرك غالب المحررين اليوم ان تتبع هذه المحسنات ومواصلة العمل بها في نظم الكلام يلدها سيئات تشمئز منها قلوب الذين يستمعون القول فيتبعون

(*) يباع كل واحد منهما بعشرين قرشا صحيحا بادارة المنار واجرة البريد ثلاثة

احسنه بيانا فاقلعوا عن الاكثار منها لاسيما في خطابات الجمهور وزهدوا فيها الا ما سمح به الخاطر عفوا ورمته الطبيعة بدون كلفة ظاهرة

وكانت اللغة في خلال الاعصر الماضية تعلو وتضعف وتنتشر في انحاء المعمورة على حسب كرم الدولة وعناية رجالها بالفنون الادبية فارتفع ذكرها حين كان الامير سيف الدولة يباحث ابا علي الفارسي في غوامض علم النحو وينقد شعر ابي الطيب المتنبي بذوق لطيف ويجازيه وغيره من الشعراء بغير حساب

وارتقى شأنها يوم قام القاضي منذر بن سعيد في مجلس الملك الناصر لدين الله عند احتفاله برسول ملك الروم في قصر قرطبة وشرع يخطب من حيث وقف ابو علي البغدادي واقتطع به القول فوصل منذر افتتاح ابي علي بكلام عجيب واطال النفس في خطبة مرتجلة فخرج الناس يتحدثون ببديهته المعجزة وارتواء لسانه من اللغة الفصحى ولا مرية في ان كرم الدولة باعث على ارتقاء حال اللغة عند من التفت الى التأريخ واقام الوزن بين الشعراء الناشئين في زمن اجواد العرب وملوك آل جفنة وملوك لخم كزهير والنابغة وبين من تقدمهم من الشعراء

باب الانتقاد على المنار

﴿ السائل والمسئول — كلمة مولى ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة الشيخ المكرم ناصر السنة وقامع البدعة العالم العامل السيد محمد رشيد رضا المحترم ادام الله بقاءه آمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد قرأت في المنار الاغر لازالت راياته منشورة ، وآياته ظاهرة منصورة ، فيها (ص ٨١٤ جزء ١١ من المجلد ١٢) سؤالا اورد

من محمد علي افندي من موظفي كرك يافا ذكر فيه انه قد اطلع على كتاب يدعى صيانة الانسان عن وساوس ابن دحلان قال فرأيته فسر كلمة مولى بما معناه : ان كلمة مولى مشتقة من اسم الجلالة فلا يجوز والحالة هذه اطلاقها على بني الانسان كأن يقال مثلا مولانا فلان فكل انسان قالها لانسان غيره يشرك بالله . الى آخر السؤال فاجبتم على هذا السؤال بقولكم : الجواب قد غلا صاحب ذلك الكتاب في قوله الذي نقلتموه غلوا كبيرا وأخطأ خطأ ظاهرا الى آخر الجواب ، وحيث ان الداعي لتحريري هذا هو التنبيه لا طلب التخطئة فأرجوكم ان تسمحوا لي من حيث اني أنبه على غلط السؤال والجواب ليتبين وجه الصواب ، فأقول :

من الواجب ان يتنبه المسئول لمورد السؤال فلا يعتمد نقل السائل اذا كان يعزو الى كتاب معين سواء كان حكى اللفظ او المعنى كهذا السائل الذي لا يفهم منهما شيئا ان لم يكن عنده سوء قصد فحيث ان موضوع الكتاب المسمى بصيانة الانسان رد على ما افتراه دحلان على الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الكذب والبهت في رسالته التي سماها بالدرر السنية في الرد على الوهابية فقد اقام الله تعالى لرد باطله ذلك العالم الجليل صاحب صيانة الانسان الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السندي حتى زيف مالفقه من الزور والبهتان وابدى عوراته لكل انسان فجزاه الله عن نصرة الحق واهله خير الجزاء وهذا ما قاله دحلان مما وقع في صفحة ٥١١ من الكتاب المذكور « ويزعم ان من قال لاحدنا مولانا وسيدنا فهو كافر الى آخر ماهذى به » فهذا جواب صاحب صيانة الانسان ننقله بالحرف الواحد قال في صفحة ٥١٣

« واما مسألة قولنا لأحدنا مولانا وسيدنا فنذكر ماورد في الباب ، منها ما اخرجه مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لايقولن احدكم عبدي فكلكم عبيد الله ولكن ليقل فتاي ولا يقول العبد ربي ولكن ليقل سيدي - وفي رواية له - ولا يقل العبد لسيده مولاي . وزاد في حديث ابي معاوية : فان مولاكم الله عز وجل - وفي رواية له - ولا يقل احدكم ربي وليقل سيدي ومولاي ولا يقل احدكم عبدي أمتي وليقل فتاي فتاتي غلامي . واخرج هذا الحديث ابو داود ايضا وأخرج ابو داود عن مطرف قال قال ابي انطلقت

في وفد بني عامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا انت سيدنا فقال : السيد الله . قلنا وأفضلنا فضلاً واعظمنا طولاً قال : قولوا بقولكم او بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان . واخرج ابو داود عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لاتقولوا للمنافق سيد فانه ان يك سيدا فقد اسخطتم ربكم عز وجل. » انتهى

فقد علم من تلك الاحاديث ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن اطلاق لفظ السيد والمولى على احدنا ورخص فيهما أيضا ووجه التوفيق بأن للسيد والمولى معاني فالنهي باعتبار بعض المعاني والرخصة باعتبار البعض الآخر ، قال في النهاية في مادة السود : السيد يطلق على الرب والمالك والشريف والفاضل والكريم والحليم ومتحمل اذى قومه والزوج والرئيس والمقدم. انتهى وقال في مادة الولي: وهو اسم يقع على جماعة كثيرة فهو الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر والعبد والمعتق والمنعم عليه . انتهى

فالنهي عن اطلاق لفظ السيد والمولى على غيرالله محمول على السيد والمولى بمعنى الرب ، والرخصة محمولة عليهما بمعنى آخر من سائر المعاني فان ثبت ان الشيخ قد منع من إطلاق لفظ السيد والمولى على غيرالله فمراده السيد والمولى بمعنى الرب ، واما بالمعنى الآخر فكيف يتصور ان يمنع الشيخ منه فانه عقد بابا في كتاب التوحيدبهذا العنوان باب (لايقول عبدي وأمتي) واورد فيه حديث ابي هريرة المروي في مسلم الذي تقدم ذكره آنفا وفيه هذا اللفظ : وليقل سيدي ومولاي. فهذا اللفظ صريح في جواز اطلاق لفظ السيد والمولى على غير الله بالمعنى الآخر ، انتهى المقصود منه .

وله تتمة ساق المصنف فيها احاديث كثيرة في جواز اطلاق السيد والمولى على غير الله بمعنى غير الرب يطول ذكرها قال في آخرها : فعلم من ههنا ان اطلاق السيد والمولى بمعنى غير الرب على الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين لا وجه للمنع منه ، فانظر حفظك الله من أين فهم السائل ان صاحب الكتاب فسر كلمة مولى بأنها مشتقة من اسم الجلالة الى آخر ماذكره حينئذ تعلم ان السؤال والجواب ، قد حادا عن

طريق الصواب ، وختام كتابي تقديم ازكى سلامي ولائق احترامي ودمتم محروسين

دمشق الشام كاتبه

فوزان بن سابق

(المنار) لا نسلم للكاتب قوله انه يجب على المسئول ان لا يعتمد على قول السائل فكلام الناس وقولهم يحمل على الصدق مالم يتبين كذبه او يدل عليه شيء واذا كان الجواب مبنيا على السؤال وكان حقا على تقدير كون السؤال في محله فلا لوم على المجيب اذا كان السؤال غير منطبق على الواقعة . وكان النبي (ص) يجيب بل يحكم للناس بحسب الظواهر كما هو معلوم

آثار علمية ادبية

الى الامة العربية

هو الليل يغري بي الاسى فيطول	ويرخي وما غير الهموم سدول
أبيت به لا الغاربات طوالع	عليّ ولا للطالعات أفول
وينشر فيه الصمت لبدا مضاعفا	فتطويه مني رنة وعويل
ولي فيه دمع يلذع الخد حره	وحزن كما امتدَّ الظلام طويل
بكيت على كل ابن اروع ماجد	له نسب في الا كرمين جليل
يليح من الضيم المذل بغرة	لها البدر ترب والنجوم قبيل
من العرب اما عرضه فموفر	مصون واما جسمه فهزيل
له سلف عزّوا فبزّوا نباهة	ولم تعتورهم فترة وخمول
وساروا بنهج المكرمات تقلهم	قلائص من سعي همم وخيول
وكانوا اذا ما أظلم الدهر اشرقت	به غرر من مجدهم وحجول

أولئك قوم قد ذوى روض مجدهم … فلم تسر فيه نسمة وقبول

وقد أعطشته السحب حتى لقد علت … على الزهر منه صفرة وذبول

رعى الله من أهل الفصاحة معشرا … لهم كان فوق الفرقدين مقيل

ترامى بهم ريب الزمان كأنما … له عندهم دون الانام ذحول

فأمست من العمران خلوا بلادهم … فهنّ حزون قفرة وسهول

وعادت مغاني العلم فيها دوارسا … تجرّ بها للرامسات ذيول

وقوضت الايام بنيان مجدها … فربع المعالي بينهن محول

* * *

نظرت الى عرض البلاد وطولها … فما راق لي عرض هناك وطول

ولم تبد لي فيها معاهد عزها … ولكن رسوم رثة وطلول

نظرت اليها من خلال ذوارف … من الدمع طرفي بينهن كليل

فكنت كراءٍ من وراء زجاجة … بعينيه كيما يستبين ضئيل

ولم اتبين ماهناك من علا … لكثرة ماقد دب فيه نحول

هنالك حنيت الظهر كالقوس رابطا … بكفي على قلب يكاد يزول

واوسعت صدري للكآبة فاغتدت … بارجائه تحت الضلوع تجول

وارسلت دمع العين فانهل جاريا … له بين اطلال الديار مسيل

أأمنع عيني أن تجود بدمعها … على وطني؟ اني اذًا لبخيل!

فان تعجبوا أن سال دمعي لأجله … فان دمي من اجله سيسيل!

وما عشت اني قد تناسيت عهده … ولكن صبري في الخطوب جميل

وان امرأً قد اثقل الهمّ قلبه … كمثلي ولم يلق الردى لجهول

أفي الحق ان انسى بلادي سلوة … ومالي عنها في البلاد بديل

أقول لقومي قول حيران جازع … تهيج به اشجانه فيقول:

متى ينجلي ياقوم صبح ظلامكم … وتذهب عنكم غفلة وذهول

وينطق بالمجد المؤثل سعيكم … فيسكت عنكم لائم وعذول؟

تريدون للعليا سبيلا وهل لكم … اليها وانتم جاهلون سبيل!

اناشدكم ابن المدارس انها على الكون فيكم والحياة دليل؟
وابن الغنيُّ المرتجى في بلادكم يجود على تشييدها ويطول!
بلاد بها جهل وفقر كلاهما اكول شروب للحياة قتول
اجل انكم انتم كثير عديدكم ولكن كثير الجاهلين قليل
ولو ان فيكم وحدة عصبية لهان عليكم المرام وصول
ولكن اذا مستنهض قام بينكم تلقاه منكم بالعناد جهول!
واي فريق قام للحق صده فريق طلوب للمحال خذول!
وان كان فيكم مصلحون فواحد فصول والف في مداه قؤول!
على ان لي فيكم رجاء وان اكن الى اليأس احيانا اكاد أميل
ألستم من القوم الاولى كان علمهم به كل جهل في الانام قتيل
لهم همم ليس الظباة تفلها وان كان منها في الظباة فلول
الا نهضة علمية عربية فتنعش ارواح بها وعقول
ويشجع رعديد ويهتز صاغر وينشط للسعي الحثيث كسول
فان لم تقم بعد الاناة عزائم فعتبي عليكم والملام فضول!

معروف الرصافي

رعاية الاطفال

شبحا أرى أم ذاك طيف خيال ؟ لا ! بل فتاة بالعراء حيالي
أمست بمدرجة الخطوب فما لها راع هناك وما لها من وال
حسرى تكاد تميد فحمة ليلها ناراً بأنات زكين طوال
ما خطبها عجبا وما خطبي بها مالي أشاطرها الوجيعة مالي!
دانيتها ولصوتها في مسمعي وقع النبال عطفن اثر نبال
وسألتها: من أنت؟ وهي كأنها رسم على طلل من الاطلال!

فتململت جزعا وقالت: حامل　　لم تدر طعم الغمض منذ ليال
قد مات والدها وماتت أمها　　ومضى الحمام بعمها والخال،
والى هنا حبس الحياء لسانها　　وجرى البكاء بدمعها الهطال
فعلمت ما تخفي الفتاة وانما　　يحنو على أمثالها أمثالي
ووقفت أنظرها كأني عابد　　في هيكل يرنو الى تمثال
ورأيت آيات الجمال تكفلت　　بزوالهن فوادح الاثقال
لا شيء افعل في النفوس كقامة　　هيفاء روّعها الأسى بهزال
أو غادة كانت تريك اذا بدت　　شمس النهار فأصبحت كالآل
قالت انهضي، قالت اينهض ميت　　من قبره ويسير شنٌّ بالي؟
فحملت هيكل عظمها وكأنني　　حملت حين حملت عود خلال!
وطفقت أنتهب الخطى متيمما　　بالليل دار رعاية الاطفال
أمشي واحمل بائسين فطارق　　باب الحياة ومؤذن بزوال
أبكيهما وكأنما أنا ثالث　　لهما من الاشفاق والاعوال
وطرقت باب الدار لا متهيبا　　أحدا ولا مترقبا لسؤال
طرق المسافر آب من اسفاره　　أو طرق رب الدار غير مبال
واذا بأصوات تصيح: ألا افتحوا　　دقات مرضى مدلجين عجال
واذا بأيد طاهرات عودت　　صنع الجميل تطوعت في الحال
جاءت يسابق في المبرة بعضها　　بعضا لوجه الله لا للمال
فتناولت بالرفق ما أنا حامل　　كالأم تكلأ طفلها وتوالي
واذا الطبيب مشمر واذا بها　　فوق الوسائد في مكان عال
جاؤوا بانواع الدواء وطوّفوا　　بسرير ضيفهم كبعض الآل
وجثا الطبيب يجس نبضا خافتا　　ويرود مكمن دائها القتال
لم يدر حين دنا ليبلو قلبها　　دقات قلب أم دبيب نمال
ودعتها وتركتها في أهلها　　وخرجت منشرحا رخيّ البال

وعجزت عن شكر الذين تجردوا للباقيات وصالح الاعمال
لم يخجلوها بالسؤال عن اسمها تلك المروءة والشعور العالي
خير الصنائع في الأنام صنيعة تنبو بحاملها عن الاذلال
واذا النوال أتى ولم يهرق له ماء الوجوه فذاك خير نوال
من جاد من بعد السؤال فانه وهو الجواد يعد في البخال

***

لله درهم فكم من بائس جم الوجيعة سيء الاحوال
ترمي به الدنيا فمن جوع الى عري الى سقم الى اقلال
عين مسهدة وقلب واجف نفس مروعة وجيب خال
لم يدر ناظره اعريانا يرى ام كاسيا في تلكم الاسمال
فكأن ناحل جسمه في ثوبه خلف الخروق يطل من غربال !
يابرد فاحمل قد ظفرت باعزل ياحر تلك فريسة المقتال !
ياعين سحي ياقلوب تفطري يانفس رقي يامروءة والي
لولاهم قضي عليه شقاؤه وخلا الجبال لخاطف الآجال
لولاهم كان الردى وقفا على نفس الفقير ثقيلة الاحمال
لله در الساهرين على الألى سهروا من الاوجاع والاوجال
القائمين بخير ما جاءت به مدنية الاديان والاجيال
أهل اليتيم وكهفه وحماته وربيع أهل البؤس والامحال

***

لاتمهلوا في الصالحات فانكم لاتجهلون عواقب الاهمال
إني أرى فقراءكم في حاجة — لو تعلمون — لقائل فعال
فتسابقوا الخيرات فهي امامكم ميدان سبق للجواد النال
والمحسنون لهم على احسانهم يوم الاثابة عشرة الامثال
وجزاء رب المحسنين يجل عن عد وعن وزن وعن مكيال

محمد حافظ ابراهيم

باب الاخبار والآراء

﴿ العرب والترك ﴾

قد علم قراء المنار ان السعي في حسن التفاهم بين العرب والترك قد كان أحد القصدين الجليلين من رحلتنا الى دار السلطنة في آخر الخريف حيث يعود المصريون منها ومن سائر البلاد التي يصطافون فيها لقضاء فصل الشتاء بمصر التي لا يفضل شتاءها شتاء ، وعلموا أيضا انه كان من السعي زيارتنا لصاحب جريدة (إقدام) ومعاتبته على ما كتب في شأن العرب وعرض مقالات عليه في حسن التفاهم بين العنصرين اللذين هما قوام الدولة العثمانية ووعده بنشرها ولكن اكثرهم لا يعلمون أن صاحب إقدام نشر ثلاثا من تلك المقالات وامتنع عن نشر ثلاث: نشر المقدمات وامتنع عن نشر المقصد الذي فيه بيان أسباب سوء التفاهم وطرق تداركها وتلافيها ومنها مسألة تنقيح اللغة التركية وحذف الالفاظ العربية منها وما سمع عن جريدة إقدام من سوء التعبير فيها . قال في بيان سبب امتناعه عن نشر المقالة الرابعة إن هذه أمور ملية تتعلق بنا (أي بالترك) فليس له حق في البحث فيها !!

وقد استمر على نغماته الجنسية بقلمه وقلم اعوانه حتى نشر مقالة من مقالات عن اليمن بامضاء (خليل حامد) وهو امضاء مستعار لأحد الضباط هنا وقد جاء في هذه المقالة من الطعن في العرب انهم - في زعم الكاتب - بمقتضى طبيعتهم يبيعون بالمال كل شيء حتى أعراضهم !! . . وقد قامت لهذه العبارة قيامة العرب الذين هنا حتى ان بعض الشبان استفزتهم حمية الغيرة على العرض التي لايدانى العرب فيها شعب من شعوب الارض فدفعتهم عند قراءة هذه العبارة والدم العربي يتبيغ في أجسامهم الى إدارة جريدة إقدام وإهانة صاحبها وتحقيره على نشر هذه السفاهة حتى قيل انهم بصقوا في وجهه ولا عجب فصاحب الغيرة على العرض قد يقتل من يطعن في عرضه عند ما يفاجئه ذلك

والقوانين تعذر من تدفعه الحدة العارضة للدفاع عن عرضه اذا أطاعها من فوره ولا يعد هذا الدفاع منكرا قبيحا كسائر أنواع الاهانات الا من لم يعرف للغيرة على العرض معنى

نحن لانقول ان الاعتداء أو الافتيات على الحكومة في القصاص أمر حسن مشروع وانما نقول و يقول العقلاء كافة ان فرقا عظيما بين اعتداء مبتدأ لايدفع اليه الطمع و بين مؤاخذة فورية لم توطن عليها النفس

وكيف يستنكر من فتيان العرب مثل هذه الغيرة التي لا رأي لهم فيها ولا روية وقد اضطربت لهذا الطعن اعصاب الكهول والشيوخ من المبعوثين كغيرهم حتى أن بعضهم اصابه الصداع ولم يستطع في ذلك المساء تناول الطعام وذهب وفد منهم الى الصدر الاعظم وكان في مجلس الوكلاء فأرسلوا اليه فخرج اليهم ووعدهم هو وناظر العدلية بتدارك الأمر وإحالة أحمد جودت بك مدير إقدام على ديوان الحرب العرفي لتعطيل جريدته ثم محاكمته في العدلية وقد حكم الديوان بتعطيل جريدة إقدام الى أجل غير مسمى ولكنه لم يلبث أن أصدرها وكتب فوق كلمة اسمها كلمة (يكي) اي جديدة او الجديدة ، وناهيك بهذا من عقوبة !! وحكم عليه أيضا بمئة ليرة غرامة غرمها . وقد علم ديوان الحرب ان الناس صاروا يسخرون من تعطيل الجرائد لأن من عطلت جريدته صار يصدرها باضافة لفظ (يكي) اليها فقرر أنه لايجوز لمن يحكم هو بالغاء جريدته ان يصدر جريدة ما الا باذن منه ولكن هذا القرار لم ينفذ على جريدة إقدام !

وقد كتب احمد بك جودت مدير إقدام عند ماعطلت جريدته مقالة نشرها في جريدة (طنين) اعتذر فيها عن نفسه ولكن كان عذرا أقبح من ذنب فانه نفث فيها سموم التغاير والتدابر بين العرب والترك بايهامه القارئين لها ان العرب يتهمونه بأنه مندفع لعداوة العرب بجنسيته التركية ويرون أن الترك اعداء العرب وانتقل من هذه الدسيسة الى الامتنان على العرب بفضل الترك عليهم وذكر من هذا الفضل ما يعلم هو انه في غير محله فالظاهر انه يريد بذلك ان يقوم كتاب العرب للرد عليه وإنكار ماقاله مخالفا للتاريخ ليتسنى له ولامثاله حينئذ ان يوسعوا الخرق ويقولوا ان

العرب يحقرون الترك · ونحن لم نسمع أحدا من العرب يقول ان مدير إقدام يذم العرب باغراء الترك أو رضاهم

ادعى صاحب (إقدام) في مقالته هذه ان جريدته هذه ليست جريدة عنصرية ولا ترجح الترك على غيرهم من العثمانيين وان جميع الاجناس يعترفون له بذلك · والمشهور خلاف ذلك وانه ماوجدت جريدة تركية أساءت الى العرب أو أغضبتهم كما أغضبتهم جريدة إقدام فهي أشهر الجرائد في التعصب الجنسي ولاجل هذا التعصب لم تنشر مقالاتنا التي طالبنا فيها بانصاف العرب وحسن التفاهم بينهم و بين إخوانهم الترك والا فما هو عذره ولماذا أخلفنا وعده ؟

قال بعد تلك المقدمة التي مدح بها نفسه و برأها كما شاء « فالقول بأن التركية هي التي دفعت جريدة إقدام لكتابة تلك الفقرة هو اتهام للترك كلهم » فانظر الى هذه النتيجة الخاطئة من تلك المقدمات الباطلة ،

ثم قال « نعم ان الترك فدوا في اليمن وغيرها مئات الالوف من أولادهم فهذا الفداء ليس لأجل ان يفترقوا عن العرب بل بالعكس يقتضي محبة الاتحاد معهم !! والتاريخ يشهد لنا بأن الذي خلص جزيرة العرب من استعمار الاجانب لها في أيام الصليبيين انما هي دماء الترك وذلك خدمة للاسلام ، والعرب لا تنسى ذلك الى يوم القيامة !

« ونقدر أن نقول بعبارة عامة ان الترك بذلوا أرواحهم في سبيل العرب ! ؟ بناء على ذلك كيف يكون الترك خصماء للعرب وسالكين سبيل الحاكمية العنصرية ؟ فهل هذه التهم هي مكافأة على الدماء التي أراقها الترك في سبيل العرب ؟؟ وهل بعد هذا يكون القول بأن صاحب إقدام عدو للعرب موافقا المنطق ؟ » اه

الترك أخوة العرب في الدين وفي تكوين هذه الدولة التي هي تراث الاسلام في الحكم والسلطان فاذا قلنا ان صاحب إقدام جنى على التاريخ بزعمه ان الترك انقذوا جزيرة العرب من الصليبيين لانكون بابطال الباطل ناكثين للفتل الذي جعلنا مع الترك أمة واحدة· وكل من يعرف التاريخ يعلم ان جزيرة العرب كانت

طول الزمان في امان من الافرنج وأما ماأخذوه من سواحل سورية فقد انقذه منهم المسلمون كافة لاالترك خاصة .

واذا قلنا ان سوء سياسة الدولة في سفك دماء العرب في اليمن لايعدمنة للترك على العرب لانكون مخلين بحقوق هذه الاخوّة لا لأن الدماء التي سفكت هناك بأمر قواد الترك وحكامهم هي دماء العثمانيين من الترك والعرب والارناؤط والكرد بل لأن سفكها كان من جهل أولئك القواد بالسياسة وحسن الادارة وقد خربت بلاد العرب ولم تعمر بلاد الترك على ان البلاد كلها مشتركة لان الامة واحدة

كان من فضل الاسلام ان الترك بعد ان تشرفوا به لم يكونوا يعملون لأجل عنصرهم ولا لأجل عنصر العرب ، وإنما يعملون لأجله كما أخذوا عن اساتذتهم العرب حتى قام أمثال صاحب إقدام من متفرنجي هذا العصر يصخون الآذان كل يوم بما يثير العصبية الجنسية ويضعف الرابطة الاسلامية وهم يجنون على دولتهم من حيث يدرون أو من حيث لا يدرون ويخشى ان يعلموا سائر العناصر العصبية الجنسية وقد ظهرت بوادر ذلك وهو اكبر خطر على هذه الدولة فنسأل الله تعالى ان ينقذها من شرور هؤلاء الأشرار بمنه وكرمه

ثم ان صاحب إقدام اورد بعد بيان هـذه المنن التي في رقاب العرب للترك موازنة بين مانشره عن ذهول (كما ادعى) من الطعن في أعراض العرب ماضيهم وحاضرهم وآتيهم و بين إهانة بعض طلاب العرب له في ادارة جريدته وزعمه انهم اهانوا عند ذلك الامة التركية كلها اهانة لم يسمع بأن ملة من الملل اهينت بمثلها ولم يقع من عنصر من العناصر العثمانية اهانة لعنصر آخر بمثل ذلك !! وكبر هذه الدعوى وهوّل فيهـا ماشاء واشار بالنقط هكذا . . . . الى ان ما طواه من ذلك وأغضى عنه هو فوق ما قاله تصريحا وتلويحا . ولو كان يحب الاتحاد والاتفاق بين العنصرين كما ادعى في هذه المقالة لما نشر خبر هذه الاهانة المزعومة بين الترك في جريدة هي أوسع من جريدته انتشارا ، لان ذلك يوغر صدور من يصدقون هذه الدعوى من الترك فتنفرج مسافة الخلاف . فمقالته هذه شر من مقالة (خليل حامد) وأضر وأدهى وأمر ، ولا يظهر لنا علة لنشر هذه الدعوى والتهويل بها غير تعمد القاء الشقاق

بين الاختين الشقيقتين : الترك والعرب • فان ادعى انه يريد بذلك تربية المعتدين عليه قال له كان يكفي في ذلك ان تذكر ماوقع للمحكمة العرفية او المدلية من غير ان تنفث في جريدة طذين سموم التفرق والخلاف ، وما انت بالمقصر في الشكوى وتعقب الدعوى

ثم انه بعد إثارة هذه الفتن ، وايقاد نار الشقاق والاحن ، أخذ يسخر من العرب بطريقة اخرى غير الامتنان عليهم بمدائح اليمن وتخريبها في عصور الاستبداد التي نرجوان يبدلنا الله تعالى بها عصر العمران والنور في ظل الدستور تلك الطريقة هي استدلاله على اخلاصه وحبه إرضاء العرب بدليلين هما من أغرب ضروب الاستدلال التي لم يبين مثلها في باب السفسطة من علم المنطق (أحدهما) انه قال لناظر الداخلية عند مابلغه خبر تعطيل جريدة «إقدام» ان عنده رخصة باسم «يكي اقدام» ولكنه لايصدرها لأجل ان يرضى العرب وتطمئن نفوسهم لحسن نيته • قال لأن تعطيل الجريدة لايقصد به ورقة مخصوصة او اسم مخصوص وانما الغرض منه إبطال هذه الادارة او تخريبها وأنا أتحمل هذه الخسارة لأجل ان تطمئن قلوب العرب وترضى خواطرهم ! ! — وذكر ان ناظر الداخلية قد أعجب بهذه الاريحية وسر وشكر وانه يظن ان سائر الوكلاء مثله في ذلك

لو صدق في قوله لناظر الداخلية ولم يصدر جريدته باسم «يكي إقدام» لما شك أحد من العرب • في صدقه بما ذكر من السبب ، وهو ابتغاء رضاهم واستمالتهم ولكنه قال هذا القول ولم يلبث ان خالفه وأصدر الجريدة فظهر انه قال ذلك ليسخر من العرب وينبه الغافل منهم الى ان حكم ديوان الحرب بابطال جريدته لم يكن عقوبة ولا خسارة وإنما كان عبارة عن زيادة كلمة (يكي) في الجريدة !!!

وأما الدليل الثاني فهو انه كان عزم على اصدار جريدة عربية واستحضر أشهر شعراء العرب وأكبرهم من بغداد لأجل تحريرها وكلمه كلاما حسنا ثم لم يصدرها. وهذا الدليل أغرب من الدليل الاول وان كان يشابهه ويقابله في كون كل منهما عبارة عن وعد وعد به وأخلف وقول قاله ولم يصدق فيه • ويختلفان على تقدير الصدق في القولين والوفاء بالوعدين اذلو وفى بالاول لكان دليلا على حبه لترضية كما قال وان لم يكن دليلا على التأليف بين العنصرين • ولو وفى بالثاني لما كان مجرد الوفاء

به دليلا على حب العرب ولا على التأليف بينهم و بين إخوانهم الترك بل كان يجوز ان تكون جريدته العربية أشد تنفيرا للعرب من جريدته التركية فالعرب يعتقدون الآن بأن جريدته متعصبة هاضمة لحقوقهم مهينة لهم ويقل من يراها منهم أو يعلم بما ينشر فيها فلو نشر جريدة عربية وقال فيها انه يجب على الترك تطهير لسانهم من الالفاظ العربية ، أو نشر فيها تلك المقالات عن السنوسية ، أو مقالات (خليل حامد) أو غير ذلك مما ينشر أحيانا في إقدام من العبارات التي ترمي الى العصبية الجنسية ، لما كانت الا شر آلات التحليل لهذا الجسم الواحد الذي يحيا بروح واحد وإن كان مركبا من عنصرين يسمى احدهما العرب والآخر الترك

لما ظهرت في العام الماضي أسباب سوء التفاهم بين العرب والترك كان من أقواها ماينشر في جريدة إقدام واشتهر ذلك في سورية ومصر ولكثرة على سماعي هذا من الكثيرين لم أكن أسيء الظن بصاحب « إقدام » ولذلك سعيت اليه وأحببت ان انشر في جريدته ماأريد ان أكتبه من المقالات لازالة سوء التفاهم وتأكيد الوفاق والاتحاد بين العنصرين ولكنه أخلف فيما وعدني به من كل ما اكتبه كما تقدم فساء ظني فيه وأكد سوء الظن مقالته التي نشرها في طنين وما فيها من موقظات الفتنة التي أشرنا اليها

كدنا ننجح في سعينا ونزيل تلك الاسباب التي احدثت سوء التفاهم بما كتبناه من المقالات هنا وفي المنار ومن المكتوبات الخاصة للادباء والفضلاء في البلاد العربية فجاءت هذه الحادثة المشئومة فاعادت المسألة جذعة وكان صاحب إقدام عذيقها المرجب وجذيلها المحكك ولم تنته شرورها الى الآن فديوان الحرب العرفي لايزال يطلب الافراد والثبات من طلاب العرب ورجالاتهم للتحقيق في مسألة اهانة صاحب إقدام لأنه البسها ثوب التعصب الجنسي

ان المقالة الاخيرة المتضمنة للطعن في اعراض العرب قد طير البرق خبرها الى المدن العربية الكبرى وخاضت فيها الجرائد وكان لها من سوء التأثير فوق ما يظن أولياء الامور هنا فاذا كانت نتيجتها هنا ان يعاقب كثير من الطلاب بالحبس

اوغير الحبس او يتوسل بها الى اقفال « المنتدى الادبي » الذي يجتمع فيه جمهور اولئك الطلاب للمدارسة والمذاكرة وتعلم اللغات القومية والأجنبية ليمنعوا من أسباب الترقي كما يظن المتطيرون من الناس ويكتفي من معاقبة صاحب إقدام باضافة لفظ « ديكي » الى جريدته فلا يعلم الا الله ماذا يكون لذلك من سوء التأثير عند الامة العربية وعند كل المخلصين لهذه الدولة

مع هذا كله أكرر في المنار وغير المنار وما قلته للعرب في هذه الديار انه لايجوز لنا بحال من الاحوال ان نجعل ذنب الافراد ذنباً للامة أو أن تنسى ان الشعب التركي الخالص المتدين يحب العرب حب عبادة وان العرب يحبونه حب الاخوة الخالصة . ويجب ان نتقي الانفعال من كلام بعض المتفرنجين الفاسقين أو الملحدين الذين يحركون العصبية الجنسية ليوقعوا الشقاق بين العنصرين فان حدث مايحرك الانفعال طبعا فيجب ان نتقي فيما نقول وما نكتب كل مايبعد أحد العنصرين عن الآخر ونجعل انتقادنا على أشخاص المفسدين المفرقين فان التفرق والتعادي بين الترك والعرب يجلب الخطر عليهما معا وعلى الدولة وان جهل المتعصبون ، وتجاهل المفسدون ،

* * *

﴿ اليمن ودماء العثمانيين المهدورة فيه ﴾

اننا بعد أن كتبنا تلك العجالة في الرد على صاحب جريدة « إقدام » وتخطئته في التفرقة بين الترك والعرب وتوسله الى ذلك بالافتراء على التأريخ في مسألة الحرب الصليبية والمخاتلة في مسألة اليمن أينا ان نرجع الى التأريخ فنقتبس منه قبسا يضيء سبيل الحق فيما أشرنا اليه هناك من كون الدماء التي سفكت في اليمن لم تكن دماء الترك وحدهم ولم يكن فيها شيء لمصلحة العرب لانها خربت بلادهم ولم تعمرها وبدئت بالعدو والظلم والتخريب واستمرت على ذلك الى اليوم، ولا لمصلحة الترك لأنهم لم يستفيدوا في مقابلة تلك الدماء التي سفكوها والاموال التي انفقوها من خزانة الدولة فائدة

مادية ولا معنوية كما نوه بذلك مجلس المبعوثين في احدى جلسات الشهر الماضي اذ قال عبدالحميد افندي الزهراوي مبعوث حماه : لوعصرنا تراب اليمن لقطر دماء عثمانيا فماذا استفدنا من ذلك ؟ ؟

ويظن بعض الناس ان معظم هذه الدماء سفكت في عهد السلطان عبدالحميد الذي انتهى اليه الاستبداد في هذه الدولة وأقله في زمن السلطان عبد العزيز قبله. وقد ذكرت هذه المسألة هنا فقال بعض الناس انها بنت نصف قرن قلت بل هي بنت أربعة قرون ثم رجعت الى التاريخ فجئت منه بالشهيد الآتي

جاء في (كتاب البرق اليماني في الفتح العثماني) اي فتح اليمن لقطب الدين الحنفي المكي الذي قال في مقدمته انه خدم به سدة السلطان سليم بن السلطان سليمان . (وفي مكتبة كوبريلي زاده محمد باشا نسخة منه كتب في طرته بالذهب انها اهديت الى خزانة كتب الصدر الاعظم محمد باشا في عصره)

ان ابتداء التصدي لفتح اليمن كان في عهد السلطان سليمان (القانوني) فانه لما بلغ السلطان استيلاء الافرنج من البرتغال على بلاد الهند أمر باعداد اسطول في مصر وتجهيز عسكر فيه لمحاربتهم وجعل قائد هذا العسكر بيكلار بكي مصر سليمان باشا الخادم وهو احد مماليك السلطان سليم خان بن بايزيد خان الذي « لم يتعلم من اخلاق سيده غير الفتك » ولم يستقر في باله مما شاهده منه غير اراقة الدماء والسفك » فاحتال قبل سفره بالاسطول على الامير جانم الجزاوي الذي كان من اعظم الناصحين في خدمة السلطنة وأمر بذبحه فقطعت رقبته بسيفه وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله ! ثم قطع رقبة ولده يوسف امير الحج وانما قتلهما بعد ان كتب الى السلطان بأنه شم من الامير رائحة العصيان ويخشى ان يطيعه العسكر لاحسانه اليهم فكتب اليه السلطان « ادفع شرهما » ونسي السلطان ان هذا الامير هو الذي كان سبب اصلاح المملكة عند عصيان أحمد باشا وانه لم يوافقه على العصيان . ثم أمر الباشا بسلخ الوالد والولد وحشوهما تبنا وتعليقهما على باب زويله !! (*)

(*) هو المعروف الآن ببوابة المتولي بمصر

(قال المؤلف) « ثم ان سليمان باشا بعد قتله لجانم الحمزاوي تملح ايضا بصلب الامير داود بن عمر أمير الصعيد من غير جرم أتاه ، ولا ذنب سواه ، غير كثرة أمواله ، و بذل يده وسعة حاله ، فطمع الباشا سليمان ، فطلبه الى الديوان ، فلما جاء أخذ هداياه أولا ، ثم عاتبه لقصد قتله معللا ، فقال ترسل الينا قمحا غير نظيف ؟ فقال أنا ماجئت الا بقمح مثل الجوهر اللطيف ، فأمر به الى باب زويله وعلق في عنقه منديلا فيه قليل قمح وصلبه هناك وأحاط بجميع أمواله وخزائنه ، وظفر بكنوزه ودفائنه ، وقتله وهو مظلوم ، وعند الله تجتمع الخصوم ، وكان احسن امراء الصعيد كثير البر والصدقات ، محبا للخيرات والحسنات ، يحسن كل عام الى كل واحد من علماء جامع الازهر ، والمشايخ المسلكين في ذلك القطر الازهر ، بالخمسمئة من الذهب فما دونها » الخ ماذكر من فضائله وفواضله

ثم سافر سليمان باشا الى جده ومنها الى عدن « وكان صاحبها يومئذ عامر بن داود بقية بني طاهر ملوك اليمن سابقا . . . فلما بلغه وصول سليمان باشا للغزو في سبيل الله ، وقطع مجادرة الافرنج عن الاضرار بعباد الله ، فتح له باب عدن ، وأمر أن تزين ، وجمع له من البلاد ما أراد من الازواد ، وتوجه هو ووزيره بالسلام عليه الى الغراب (نوع من المراكب) الذي هو فيه فبمجرد ان رأى سليمان باشا باب عدن قد فتح أمر عسكره بدخول عدن وأخذها فلما وصل اليه عامر ألبسه ومن معه خلعا ثم أمر بصلبهم على الصاري في الغراب الذي هو فيه ونهب العسكر داره ثم شرعوا في نهب البلد » وعد البلد من فتوحاته وأقام فيها نائبا وكتب على بابها انه فتحها سنة ٩٤٥

ثم ذكر المؤلف وصول خبر غدر الباشا الى أهل الهند فنفر منه الناس وكانوا استعدوا لنصره وجمع العسكر له ثم كادوا له حتى رجع عنهم الى اليمن قال « وكان سليمان باشا خوّارا خوافا لم يعهد منه شجاعة ولا إقدام وإنما كان يفتك بمن وقع في يده مأسورا مربوطا ، فركبه من ذلك (أي مما بلغوه اياه كيدا له وإيهاما وليس هذا محل شرحه) خوف عظيم وتفرقت عساكره وصاروا يخدمون خوانين الهند طمعا في كثرة العلوفة »

ثم ذكر خبر وصوله بمن بقي معه من العساكر الى « غزة » وغدره بصاحب اليمن قال « وأرسل الى الناخود احمد بخلعة ومرسوم فيه الامان وأن يكون نائبا عن السلطنة بمملكة اليمن كما كان وان يصل بنفسه يدوس البساط ، ويحصل له كال الشرف والانبساط ، فلما وصل اليه المرسوم استشار أخصاءه فكلهم أشار عليه بعدم المواجهة وقالوا له انه لم يكن عنده شيء من الخيل ونحن عندنا سبع مئة حصان فان قاتلنا قاتلناه ، وان رضي منا بالاطاعة أطعناه ، فلم يستصوب هذا الرأي وركب اليه للاقاته هو وخاصة عبيده وكانوا نحو الخمس مئة ووصل اليه طائعا لابسا خلعته هو وولده وولد اسكندر رموز وهما صبيان دون المراهقة وقدم اليه من هدايا اليمن ماقدر عليه. فلما دخل عليه أمر بقتله في الحال وذلك في ثامن شوال سنة خمس وأربعين وتسع مئة. فتشتت عبيده فنادى فيهم مناد من أراد من العبيد السود العلوفة السلطانية عند الوزير فليأت ! فاجتمعوا بأسرهم ودخل معهم من ليس منهم طمعا في العلوفة وأدخلوا حوشا كبيرا له باب واحد وصاروا يخرجونهم اثنين اثنين ويكتب اسمهما الكاتب بحضوره ويبرز بهما الى خارج الباب فيرمي رقابهما ولم يشعر بهما أحد منهم ممن داخل الحوش ولم يعلموا مايفعل بهما عند الباب الى أن قتل الجميع !! »

ثم ذكر عوده وحجه وما فعل في الحرم من الالحاد والظلم والنهب والسلب من أهل عرفات الحجاج ومن أميري الحج الشامي والمصري ثم عودته الى مصر وافتخاره امام الوزير لطفي باشا زوج أخت السلطان سليمان بفتوحاته لعدن واليمن وانتصاره ولا ندري على اي الاعداء انتصر وما كان صاحبا عدن واليمن الا فرحين به مستأمنين له من غير ضعف ولا خوف . ثم قال المؤلف رحمه الله مانصه وهو الحكمة البالغة والعبرة المؤثرة :

« ولو نظروا في حقيقة الحال ، وتدبروا ماسيؤول اليه في المآل ، علموا انهم كانوا في غنى عن هذا العنا ، وتيقنوا أنه جرّ اليهم محنا وإحنا، ولقد سمعت المرحوم محمد حلبي المقتول دفتر دار مصر يفاوض المرحوم داود باشا في حدود سنة ثلاث وخمسين وتسع مئة فقال : مارأينا مسبكاً مثل اليمن لعسكرنا كلما جهزنا اليه عسكرا ذاب ذوبان الملح ولايعود منهم الا الفرد النادر ولقد راجعنا الدفاتر في ديوان مصر

من زمن ابراهيم باشا الى الآن فرأينا قد جهز من مصر الى اليمن في هذه المدة ثمانون ألفاً من العسكر لم يبق منهم في اليمن ما يكمل سبعة آلاف نفر» اه كلامه

(قال المؤلف) قلت وقد تجهز بعد ذلك الى هذا الزمان أضعاف ما ذكره محمد بك رحمه الله تعالى وهلمّ جرا الى آخر الزمان . وهذا سر إلهي لا يعلم حقيقته الا الله تعالى . والذي يلوح للخاطر أن سبب نقصان بركتهم ، وتقهقر عددهم ، ما يرتكبونه من ظلم العباد ، وما يتصاعد من المظلومين من الأدعية التي تصدر عن قلوب منكسرة ليس لها ناصر الا الله تعالى ، والله سبحانه يلهم حكامنا وامراءنا العدل والانصاف ، ويعدل بهم عن الجور والاعتساف ، انه مجيب الدعوات ، ومقيل العثرات ، اه

(المنار) إن أعجب ما في هذه النبذة التي اقتبسناها من هذا التأريخ قوله « وهلم جرا الى آخر الزمان » فلله درّ المؤرخين إن أشعة بصائرهم لتخترق حجب القرون ، فتبصر ما وراءها وتخبر بمضمرات الغيوب ، فقد صدقت حوادث هذه القرون الاربعة قول الرجل وما أراه الا كان يعتقد بعلة خفية لهذا الخذلان في تلك البقعة لهذه الدولة التي كانت في تلك الايام أقوى دول الارض ولعلها هي ما أشار اليه في مقدمة الكتاب من الاحاديث الصحيحة الواردة في اليمن الناطقة بأن الايمان يماني والحكمة يمانية وأن نفس الرحمن يأتي من جهة اليمن على ان الرجل كان متعصبا للدولة على الزيدية مفتخرا بما كان يحصل لها من الانتصار ، متألما مما كان يحدث لها من الانكسار ، ذاما للزيدية مشنعا عليهم بالبدعة ، مادحا للدولة وعسكرها بنصر السنة ، ولم تكن عنده نعرة جنسية عربية فان الاسلام نزع من قلوب العرب هذه العصبية الجاهلية فلم تعد اليهم حتى اليوم بل نرى المؤلف يذم عرب اليمن احيانا مع التعبير عنهم بالعرب ، ويمدح الترك معبرا عنهم بالترك ، ويبتهج بنصرهم ويدعو لهم وهذا شأن العرب الى اليوم في كل البلاد يفرحون بنصر الدولة على عرب اليمن وان ظلمت هنالك العباد ، وخربت البلاد ، حتى انهم كانوا يقولون في السلطان عبد الحميد

لا أزال الإله دولته الغرا (م) وان كان قد طغى وتجبر

وقد قرأنا في جريدة الاصلاح التي تصدر في سنغافوره كتابة من عهد قريب لبعض عرب حضرموت يتمنون فيها ان تعجل الدولة باحتلال بلادهم والاستيلاء عليها . ولكن متعصبي فروق امثال صاحب جريدة إقدام مجدون في التفريق فهم الذين يصدون بأقوالهم وأفعالهم الى العرب عصبية الجنس الا اذا تدارك رجال السياسة هذا عاجلا كما نصحنا لهم أمس حين جئنا العاصمة ، ولما يستبينوا النصح في ضحى الغد

اتقوا الله ياساسة الدولة وانزعوا هذا الوسواس من صدوركم، اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم ، اتقوا الله فانكم تقولون اننا في حاجة الى المساواة والاتحاد مع جميع العناصر العثمانية ،وكيف يكون الاتحاد اذا لم يكن قبل كل شيء بين العرب والترك؟ اتقوا فنحن في أشد الحاجة الى الاعتصام بالاخوة الاسلامية مع جميع المسلمين والاخوة العثمانية مع جميع العثمانيين ، فلا يهدمنّ السفهاء مايبنيه الحكماء ، فان الهدم أسهل وأسرع من البناء ، والسلام على من اتبع الهدى ، ورجح العقل على الهوى

* * *

﴿ دار العلم والارشاد ﴾

رجوت في النبذة الثانية من رحلتي أن أنشر في الجزء الثالث من المنار نظام مدرسة « دار العلم والارشاد » بناء على الرجاء في الشروع بالعمل فيه ربيع الأول . وقد حدث بعد أن كتبت ما كتبت ما أيأسني من مساعدة الحكومة بعد وعدها القطعي او كاد . ثم عادت المياه الى مجاريها والمرجو من فضل الله تعالى ان يكون الشروع في شهر ربيع الآخر وقد تمت المقدمات في ربيع الاول والله الموفق وهو المستعان

﴿ تصحيح ﴾ سقط من (ص ١٤٧ ج ٢ م ١٣) سطر كامل موضعه قبل السطر الاخير ونذكر نصه ليكتب بالقلم وهو :

« اسعد أفندي أمين الفتوى ومصطفى افندي اودوشلي مستشار المشيخة »

الفصل الثامن عشر (*

(عظم المِنّة باتساع المنّة)

كان محمد (صلى الله عليه وسلم) قوي القلب جداً تدل على ذلك سيرته كلها من أولها الى آخرها . ولكن مهما قوي قلب أمام الحوادث المعتاد وقوع أمثالها بين الناس فلا يدل ذلك على انه لا تأخذه روعة أمام صوت غير بشري ، يهيب به الى أمر غير حسي . لذلك لا ينبغي أن نستغرب الروعة التي أخذت لأول وهلة ذلك القلب القوي العظيم فانه دعي من لدن الحق بواسطة الروح الى وظيفة تنوء بحملها المنن ، ويجب بحسب حدودها قلب السُّنن

إني لعمر الحق لا غرابة في روعة تنقض الظهر ، اذا حدثت لمن نودي هذا النداء بهذا الامر ، وبديهي احتياج هذا المأمور الى شرح الصدر ، والتأييد ورفع القدر ، ولا بدع اذا ضمن له كل تأييد من أراد أن يكون قلبه محلاً لتنزلات وحيه الأعلى

ثم ألمت الروعة بقلب صاحب « حراء » لما نزل عليه الروح بما نزل به عليه وقد صرح لخديجة بذلك وقال لها « لقد خشيت على نفسي » ولكن التأييد حافٌّ به ، والايناس صافٌّ من حوله ، وناهيك أن في منزله

*) تابع للنشر في (ص ١٥٥ م ١٣) من سيرة السيدة خديجة

الذي اليه يثوب روحا شريفا كأن الله قد أوجده خاصة لتأييده وشرح صدره بادىء بدء هو روح السيدة « خديجة »

لم تكن هذه السيدة أقوى مُنّةً من بعلها الكريم ولكن هو واجهته روائع الجلال مواجهة ، فأخذته بين حيرة وشوق وخشية تعجز عن القيام بالوظيفة . وأما هي فسمعت بالامر سماعاً ، ووجدت للتفكر فيه مجالاً ، ولإيناس الرفيق مقالا

ولو بُدهت امرأة بما بُدهت به هذه السيدة من هذا النبأ العظيم وكان ينقصها ماحلاّها الله به من الفطنة وبعد الادراك وسلامة الفطرة وما أعطاها من قوة التميز في وزن الامور ومعرفة مقاييسها لتراخت مفاصلها ووهت قوتها أمام هذا الحادث الغريب . ولكن العناية الازلية التي لها اليد في اظهار هذا المظهر الاعلى قد أتمت العمل من أوله الى آخره ونسقته على أحسن منوال فلا بدع بما نراه في هذه السيدة من الصفات التي تساعد على استقبال أمور عظيمة لانها خلقت لتكون زوجة لذلك الرجل الذي سيأتيه أعظم الامور ويأتي به

تفكرت «خديجة» في هذا الامر وأخذت تسائل نفسها بنفسها وللامل ههنا وجه وللخوف وجه : فالامل يقول لها ان الامين لصادق وان روحه لزكية قوية لاسلطان لروح الشر عليها والروح الذي جاءه انما بلّغه باسم ربه أنه اصطفاه رسولا والله على هذا قدير ، وباختصاص من شاء بما شاء جدير ، وأي شيء يمنع رب العالمين اذا أراد أن يتكرم على هذا البيت بانزال وحيه فيه فيغدو بعد الآن مشرقا لاتضاهيه المشارق ، يفيض النور على القبائل والشعوب ، انت اللهم على هذا قادر اذا أردت

ولا مانع لما أعطيت ! والوجل يقول لها ماهذه الحال التي أخذت حبيب قلبي فراعته ، اني لأخشى ان يكون أمراً جسمانيا بحتا كما قد يعرض للأفراد ، اني لأخاف أن يصبح هدفا لرمي الاضداد . ولكن سرعان ماغلب الأمل على الوجل ، والمُنّة على الضعف ، ووشكان ماتبدّت لها وجوه الادلة على أن ما أتى بها الكريم هو بريد خير عظيم ، ومقدمة فلاح عميم ، وكانت أدلتها على ذلك عقلية ونقلية تقدمت العقلية منها على الثانية

الفصل التاسع عشر

(الأدلة العقلية)

لما قال « محمد » (صلى الله عليه وسلم) لخديجة « لقد خشيت على نفسي » قالت له « كلا والله مايخزيك الله أبدا . انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، وتصدق الحديث ، وتؤدي الامانة »

ان هذا الكلام الذي صدر منها على الفور هو نتيجة معرفة سابقة ، هو نتيجة تفكر جميل قد أعطى الثمرة سريعا ، هذا الكلام الوجيز يؤلف استدلالا عقليا من أعظم الاستدلالات فانه قد أتى ساذجا نظيفا لاغبار عليه من التكلف ، ولا شيء منه بواقف أمام الذهن ، هو قياس باهر النتيجة ، مطوي بعض الحواشي ، ومن أبدع الاقيسة نظما ، ومن أجلها وقعا ، بيد أن الافهام كدأبها في التفاوت ، وعلى سنتها في التخالف ، لا

يستغني كثير منها عن تشريح هذا القياس لتطلع على قلبه وأعضائه واحدا واحدا . فحينئذ يلوح لها انطواء الافادات الغزيرة ، في هذه الكلمات الوجيزة ، وتعلم من قريب أن الحكمة بيد الله يؤتيها من يشاء

(١)

يخرج من كلام هذه السيدة أن النوع الانساني محل لعظيم تجليات رب الانواع كلها . ولذلك يحب كل ما يؤدي الى تسامي هذا النوع ويخلق الاسباب لذلك ويأخذ بيدها لتتغلب على ما اظهره بحكمته التي لا نعلمها من أضدادها

(٢)

ويخرج من كلامها ان الله عز وجل مطلع على اعمالنا ومجاز عليها وأنه يحب منا أعمالا ويكره أخرى وأن الذي يحبه منا على حسب فكرها هو الاستقامة ومساعدة بعضنا لبعض ولا سيما مساعدة الضعفاء

(٣)

ويخرج منه أن من يفعل الخير لا يأتيه الا الخير . والخير الذي نعبر عنه بهذا اللفظ قد جاء في عبارة السيدة بتفصيل اعمال كلها من باب مساعدة الانسان للانسان فهذه المساعدة في نظرها كل خير أو هي كل الخير فهل يكافىء الله فاعل الخير بغير الخير ؟ ان هذا لا يكون على حسب فكرها

(٤)

ونتيجة قياسها أو أقيستها ان هذه رسالة ربانية فيها الخير لا الضير وأن الله عز وجل سيتفضل بتأييد هذا المأمور في حمل هذه الامانة على ثقلها وصعوبة تأديتها لقوم ينكرونها ولا يعرفونها

الفصل العشرون

(شرح حكمة السيدة خديجة)

ان محيط جلال الله الذي ليس له حد لا تبلغ سفن العبارات شيئا من سواحل التعريف به حق التعريف . وانما هي لتستمين النفس على بث حبها له عز وجل وتمجيدها اياه ، وليزداد شوق النفوس الى الكمال ، وتعبدها لذلك الجلال ، لقد عزت صفات واجب الوجود عن أن ترسمها اللغات ، كما عزت ذاته عن أن تحدها الجهات ، وان حقيقته لهي فوق المجاز والاستعارات

لكن الانسان خلق عظيم الشوق الى تصور ربه ، وغير صبور عن الاشارة الى وصفه ، وليت شعري أنى يبلغ الواصفون صفة من كنهه محتجب في خزائن الغيب الاعظم ؟

لقد قد صبر الانسان في هذا الامر من قديم الازمان وأقدم على وصف ربه فلم يجد غير الاستعارة حيلة فوصفه بما يتصف به الانسان نفسه ولذلك وقع تناقض كثير في أوصاف الواصفين لأن رب العالمين غير حادث ولا تشبهه الحوادث تعالى عن ذلك علوا كبيرا

ولقد ظهر بين البشر رجال منهم أتمهم الارواح وكلمتهم من عند الله فأيد كلام الله بواسطة الروح مادرج عليه الناس من الاستعارة فأصبح هذا الامر عاما لافرق بين الناس فيه الا فيما اختلفت فيه عباراتهم .

والافكار المستقلة تؤدي الى قبول هذا الاسلوب أيضا لان التفاهم في هذه الابواب لا يستغنى عنه ولا يمكن الا بالعبارة

• • •

الى الله سبحانه يرجع كل شيء . فهو أنشأ الانسان على هذا المثال ، وهو علمه ماقد عرفه الى الآن . وخلاصة ماعرفناه من ظواهر التكوين أن البارىء المصور عز وجل لما أراد أن يكون هذا الانسان مميزا عليما أظهر الاشياء أمامه مبنية على التضاد ، وجعل تميز الاشياء بأضدادها ، وأودع فيه ضدين جعل عليهما مدار سيرته كلها في حياته هما الاستحسان وضده . وجعل مع الاستحسان الشوق والحب ، ومع ضده النفرة والبغض . واقتضى ناموس التضاد الذي عليه مدار تمييز الانسان أن تختلف أفرادهذا النوع في الاستحسان وضده فكثرت أسباب تخالفهم فنشأ بينهم الضدان المسمى أحدهما خيرا والآخر شرا . واحتاجوا الى جواذب تجذب الخير ودوافع تدفع الشر فرجعت كل معارفهم الى معرفة هذه الجواذب والدوافع . ومن نمي منهم علمه بها وساء عمله على موجب هذا العلم سموه حكيما

وهل جائز أن يكون بعض افراد الانسان حكيما والبارىء غير حكيم ؟ كلا ، ثم كلا . بل ليست حكمة الانسان الا من الله ، والله هو العليم الحكيم .

ثم بيد أننا فقه معنى حكمة الانسان لاننا نميزها بضدها وليس لعلم الله وعمله وارادته جل جلاله من ضد

انظر تجدنا نعرف الاسرار في كل دقيقة من الدقائق التي يؤلف الانسان منها شكلا من الاشكال لان الانسان انما يصنع مايصنع للاحتياج والاستفادة وأما الذي اراد ظهور الاشياء بهذا التنوع فلم يرد هذا لحاجة اوجدوى تعود عليه . ثم انظر تجد أننا نسمي ما يصنعه الانسان لالفائدة عبثا ولا نسمي عمل المستغني عن الفائدة عبثا مع اننا لانرى فائدة في عمله لاله لاستغنائه وتقدسه ، ولا للمصنوع من معدن ونبات وحيوان وغيرها

فاذا أمعنت النظر يظهر لك أننا لا نستطيع أن نعلم ماهي حكمة الله في ظهور الاشياء على ماهي عليه ولكن قصر هذا العلم لم يمنعنا عن القول بأن له حكمة في كل شيء . وتعلم من هذا وضوح عجز العبارة في كشف خدور هذه الحقائق مع عدم الاستغناء عنها

ثم اذا رجعنا النظر الى علاقة هذه الظاهرات بالانسان يبدو لنا أمر يحمل على مزيد التفكر والتذكر ذلك أن كل شيء منها يفيد الانسان حكمة اذا تصدى لقراءته على صفحات الاعتبار ، ان الانسان ليرى اذا تأمل نظاماً بديعاً في هذه الظاهرات ويرى له نصيباً في كل شيء منها

فمن هذا الوجه قد يصح لنا القول بأن من جملة حكم الله تعالى في هذه الظاهرات تجلي آلائه وكرمه بجعل علاقة النفع والانتفاع بين هذه الانواع والصنوف التي لا تحصى وبين هذا الكائن الصغير الجرم

هذه العلاقة ظاهرة يكاد يراها كل من تأمل في استفادتنا معشر البشر من كل هذه الظاهرات . أما عبو الحكمة فيعمقون نظرهم ويتلمسون الاسرار في تشكلاتها وتألفاتها على هذه الوجوه والاوضاع . ولو فرضنا أنها جاءت على غير هذه الوجوه لتوجهت انظارهم الى استجلاء فوائدها ثمة أيضاً لأنها كلها من الله ، وما من الله لا يكون عبثاً بل يستفيد منه الانسان حكمة أو شيئاً آخر فكأن الانسان أكرم من كل هذه الظاهرات وكأنه هو المقصود بأن تنكشف له الحكم والاسرار الربانية

هذا هو الاساس الذي أقيمت عليه قواعد حكمة الانسان وهو مبدأ سيره لمعرفة حكمة الله الحكيم الاعلى جل وتقدست اسماؤه

***

حكمة الانسان في الحقيقة هـدية ربانية يختص بها مرجع الاشياء من أراد اظهاره سليم الفطرة ، حاد الفكرة ؛ فهو يكون كثير الذكر ، قليل النسيان ، والكائنات كلها عبر ، وتعليم لمن تذكر . وليست حكمة الانسان تلقينا يقدم له كل مرة ، ويؤتاه كل احد في كتاب يكتب ، او خطاب يخطب ، لكن مع أنه لم يكن أحد مستعداً أن ينال الحكمة نجد الحكمة ذات بركة شاملة تزور بيوت غير الحكماء ايضا فتملأها فوائد كثيرة من غير أن يشعر أربابها بحركتها وحركة حاملي لوائها

* * *

كانت السيدة « خديجة » ذات نصيب من هذه الهدية العليا الربانية هدية الحكمة ، وقد رأى القارىء آنفا شيئا من حكمتها وجميل تفكرها وتذكرها ونحن في هذا نشرح ذلك الاجمال، ونزيد المقام حظا من ذلك الجمال :

(١) فهي رأت ان النوع الانساني محل لعظيم تجليات رب الانواع وأنه سبحانه يحب كل ما يؤدي الى تسامي هذا النوع . وحق ما رأت فان اظهار هذا النوع على هذا المثال هو أوضح ضياء يرى به المدلج أن الله سبحانه أحب أن يعرف فاقتضت ارادته ظهور هذا النوع مستعدا للمعرفة وعظيم الشوق اليها . والانسان في ظهوره جسما وروحا وتفاوت أفراده بالارواح تفاوتا عظيما قد أصبح دون ريب من أكبر الآيات في هذا الباب على ذلك الشأن العظيم من المراد الالهي ، وأضحى مجمع أسرار وكنز حقائق لا يماري فيها الا من جعل النسيان بينهم وبين الملكوت الاعظم حجابا

ومن المشاهد أن البارى عز وجل يخلق الاسباب المساعدة على ترقي هذا النوع ويأخذ بيدها لتتغلب على ما أظهره بحكمته التي لا نعلمها

من أضدادها . انا قد شاهدنا ماجرى ويجري من الدفاع والجدال بين جواذب الانسان الى حنادس الجهل ، وجواذبه الى مشارق العلم، فوجدنا الغلبة للثانية على الاولى، وحسبك ان الانسان بعد ان كان كسائر الحيوان لا يفقه غير حاجته الى عشب يسد به ألم جوعته، وماء يرد به ألم عطشته ، أصبح يعرف الغوامض من أمور الكواكب ، ويحسب من حركاتها ما هو أقل من لمح البصر حتى تسنى له بذلك ان يعرف متى يكون الخسوف والكسوف ، دع عنك معرفته بما فوق الثرى وما تحته، ودع عنك توصله الى استخدام الروح الساري في هذه الظاهرات الدنيا نعني به الكهرباء ودع عنك استفادته من الارواح العليا . واتيانه بواسطتها بالانباء البعيدة والمحجوبة

(٢) ورأت السيدة «خديجة» أن الباري، عز وجل مطلع على أعمالنا ومجازٍ عليها وأنه يحب منا أعمالا ويكره أخرى . . . ومن تذكر ماحررناه في مقدمة هذا الفصل يعرف أن مثل هذا التعبير يقصد به تصوير معانٍ من كمال الله تعالى فهو سبحانه محيط بالموجودات كلها وقد جعل لها سننا من جلتها أن جعل أفراد النوع الانساني محتاجين الى ارشاد بعضهم لبعض ومعاونة بعضهم لبعض ولا تنس أن الله سبحانه قضى بالتضاد ليميز به الانسان فما قرب من سننه محبوب عنده، وما بعد عنها مكروه لديه . هيهات ! هيهات أن نعرف ماهي محبته سبحانه وكراهيته لانه سبحانه لاضد له ، ولكن هذا العجز لا يثنينا عن الاعتقاد بأنه يحب ماينفعنا ويكره ما يضرنا كما هو مقتضى حكمته ورحمته بحسب اعماننا وانما خلق الضارّ والمكروه مع النافع والمحبوب ليتم ناموس التضاد الذي قضت به حكمته

ومن أمعن النظر بكل ما سلف هنا يتبين له أن في مقدمة المحبوب لديه مساعدة بعضنا لبعض ولا سيما مساعدة القوي للضعيف. ومن رزق هذا الروح لا يكون الا سليم الفطرة ، طيب القلب ، غير متهيج لنقص حظ ، ولا متعال بزيادة نصيب ، فلا يكون الا محبوبا تأتيه المساعدة من قبل عالم الغيب وعالم الحس والشهادة

(٣) على هذا ترى هذه السيدة أن الله سبحانه لا يكافئ فاعل الخير بغير الخير في هذه الحياة ، وأهل الملل يقولون هذا القول باعتبار ما يلقى المرء في الحياة الثانية التي انما تكون لنيل الجزاء وأما في هذه الحياة فمنهم من يذهب هذا المذهب الذي ذكرناه ومنهم من يقول ان فاعل الخير يبتلى في هذه الحياة بالشرور

ونحن لا ينبغي ان ننسى أن مذهب هذه السيدة مشوق لفعل الخير لان المجازاة عليه في هذه الحياة والحياة الاخرى مما يزيد محبيه حبا فيه . واليه أذهب ، وبه أثق ، ولا عبرة بمن يشذ عن قاعدة هذا المذهب ممن ظاهرهم الخير والله أعلم بسرائرهم

هذا بعض تفصيل لما جاء مجملا في حكمة السيدة «خديجة» ولم نسوغ الزيادة على هذا المقدار خشية تعب الرفيق القارىء ومنه يعلم رفيقنا أن هذه الاستدلالات العقلية كافية لمن كان له قلب سليم كقلب سيدتنا أن يعرف معرفة تدفع الريب أن الروح الذي وافق معدن الخير محمداً (صلى الله عليه وسلم) إن هو الا روح خير وسلام ، وفلاح ونعمة واكرام ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

﴿مصر الاثنين سلخ ربيع الآخر ١٣٢٨ – ٩ مايو (ايار) ١٢٨٦هـ ١٩١٠م﴾

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ الاتحاد الشامل والتعليم الشامل ﴾

« أيهما يتوقف على الآخر »

(س ٢٦) من الشيخ كرامه يلدرم صاحب جريدة الاصلاح بسنغافوره

ماقول مولانا المرشد ادام الله فضله :

فيما قاله السيد محمد بن هاشم من انه لا علم شاملا لافراد الامة الا باتحادها وتعاونها في جمع المال لبذله في سبيل تحصيله

وفيما قاله السيد حسن بن شهاب من انه لا اتحاد شاملا لافراد امة ما لم يتعلموا فيجب نبذ الدعوة الى الاتحاد والاقتصار على الدعوة الى التعليم فقط .

وقد تداول الكتابة هذان الرجلان في هذا الموضوع كما ترون باعداد الاصلاح المرسلة اليكم فنلفت نظركم العالي اليها وعلى الخصوص العدد ٤٣ من الاصلاح وهو الذي كتب بعد الاطلاع على ما في الصفحة ٨١٧ من المجلد ١٢ من المنار فنرجوكم نشر ما هو الصواب ادام الله بقاءكم .

محبكم صاحب الاصلاح في سنغافوره

(ج) وصلت الينا اعداد الاصلاح ونحن في القسطنطينية واتفق ان العدد ٤٣١ لم يكن فيها بل وضع بدله عدد آخر ولا شك ان ذلك كان خطأ فلم نطلع على شيء مما كتب المتناظران واظن جدالهما كان في الآراء النظرية

والذي اراه ان الدعوة الى العلم لا تعارض الدعوة الى الاتحاد والدعوة الى الاتحاد لا تعارض الدعوة الى العلم بل يمكن الجمع بينهما . ثم ان الاتحاد العام الشامل لجميع افراد الامة غاية لا تكاد تدرك الا ان يسمى تمني دفع الشر المطلق او البديهي والضروري كالوباء وجلب الخير المطلق كالصحة والغنى اتحادا ، وانما يراد بالاتحاد الذي يبحث عليه السياسيون ان تكون الامة متعاونة على المصلحة العامة بأن يكون الجمهور الاكبر منها متفقا على تلك المصلحة مساعدا عليه بدون مقاومة تحبط العمل او تعرقله وتثبط عنه . وهذا الاتحاد لا يتوقف على شمول التعليم الذي يراد به عند الاطلاق في كل امة ما يلقن في مدارسها عادة . ولكن التعليم اذا انتشر وكثر على طريقة واحدة مع التربية على طريقة واحدة يكون أقوى أسباب الاتحاد . ولنورد بعض الامثلة التي يتضح بها المراد

التعليم المنتشر الآن في البلاد العثمانية هو المانع الاعظم للعثمانيين من الاتحاد لاختلاف طرقه ولو كان عاما شاملا لكان اليأس من اتحادهم اشد وأقوى لاختلاف طرقه ومقاصد الناشرين له . وان التعليم في فرنسا عام يكاد يشمل الافراد كلهم وهم غير متفقين على الحكومة الجمهورية بل يؤيدها السواد الاعظم

ان اهل الولايات المتحدة هم اعرق الامم في الاتحاد ولم يكن التعليم شاملا لجميع أفرادهم عند ماقاموا بدعوة الاتحاد وأيدوها بالسيف والنار في الحرب الاهلية المشهورة . وان قبائل المرتة في الهند من أشد الناس اتحادا والتعليم ليس غالبا فيهم . إن دولة الروسية قد احتلت بلاد الفرس ولا شك ان السواد الاعظم منهم كارهون لهذا الاحتلال ويودون لو أمكنهم مقاومته واكثرهم غير متعلمين ، وربما كان المتعلمون من البابية راضين بهذا الاحتلال ومؤيدين له لظنهم ان دعوتهم تكون في ظل الدولة الروسية أشد حرية واكثر انتشارا وقد يقال أن هؤلاء قد خرجوا من الامة بخروجهم من الاسلام

ان الاتحاد الجرماني لم يحصل الا بعد انتشار التعليم الذي أعدأمراءهم وعقلاءهم له اذ علموا ان به عزتهم ومنعتهم وارتقاءهم ولكن التعليم لم يكن شاملا لافرادهم

هذه أمثلة واقعية يتضح بها الامر وأظن ان المتناظرين لو تأملا فيها أو في مثلها ولم يجعلا كلامهما نظريا فقط لاتفقا من أول وهلة ولاسيما اذا كانا قد حررا موضع النزاع كما نبهنا هما الى ذلك في جوابنا الاول الوجيز. ثم إنني اذكر بعض الامثلة لتصوير اتحاد يمكن ان يحصل في أمة قبل تعميم التعليم فيها ، وتعليم عام يمكن ان يحصل بدون اتحاد سابق عليه ، مع الجزم بأن الاتحاد على شيء بالقصد لايمكن الا بعد علم المتحدين بأن مصلحتهم في ذلك الشيء، كما اشرت الى ذلك في جوابي الاول وهذا ليس موضعا للنزاع

يمكن ان يؤلف أغنياء الحضرميين في جاوه وسنغافوره جمعية خيرية لجمع المال وانشاء المدارس في بلادهم لتعليم الفقراء مجانا والاغنياء بالاجرة التي يستعان بها على توسيع دائرة التعليم الذي يثمر الاتحاد ويمكن ان يتم لهم ذلك وان ينجحوا فيه نجاحا يفضي الى تعميم التعليم هنالك من غير ان يتحد أهل البلاد كلهم عليه، ولكن لابد من اتحاد الذين يجمعون المال وينشئون المدارس على ذلك وهو لايكون الا اذا علموا ان هذا التعليم الذي يريدونه هو الذي يحيي بلادهم ويسعدها في دينها ودنياها ، فاذا اختلفوا في ذلك كأن قام بعض العقلاء العارفين بأحوال الامم وسنن الله تعالى في ترقيها وتدليها يحثونهم على الجمع في تعليم قومهم بين علوم لغتنا وديننا وبين العلوم الدنيوية التي لا نرتقي في ديننا ودنيانا بدونها كالرياضيات والكونيات التي منها علم الزراعة والمعادن ومبادي الصناعة التي يمكننا بعد تعلمها ان نحيي ارض بلادنا ونستخرج معادنها ، وكعلوم التجارة والاقتصاد والتأريخ وتقويم البلدان — فقام في وجه هؤلاء المصلحين مثل الشيخ عثمان بن عقيل عدو الاصلاح المبين فقال لا حاجة لكم أيها الحضرميون أو أيها المسلمون بشيء من العلم الرائج عند الكفار — وان ملكت به دولة صغيرة كهولندة وهي في اقصى الشمال مملكة اسلامية عظيمة في الجنوب استعبدت فيها اكثر من ثلاثين ألف ألف مسلم — وإنما يجب عليكم ان تتعلموا ماأعلمه أنا فقط من علم الدين والعربية — وان كانت عربية مملوءة بالاغلاط

النحوية واللغوية في المفردات والاساليب ولا يميز بين الصحيح والموضوع من الاحاديث !! فاذا اختلف اغنياء الحضرميين في جاوه فتبع بعضهم عثمان بن عقيل اقرارا برسالته التي تحارب هولندة بمثلها المسلمين حربا معنوية وتصدهم عن الترقي وتبع آخرون دعاة الاصلاح فربما لا يتم هؤلاء نشر التعليم النافع لعدم استطاعتهم القيام به مع عدم الاتحاد والتعاون بينهم وبين الآخرين

ويمكن ايضا أن تتألف جمعية من الحضرميين العارفين بأحوال بلادهم وبسنن الاجتماع واخلاق الامم وشئونها فتضع قانونا يجمع كلمة السادة الشرفاء والأمراء على المصالح والمنافع التي تحفظ نفوذهم وتنفع بلادهم وتسعى في إقناعهم بتنفيذه بينهم فيكون ذلك اتحادا على ترقية البلاد يمكن ان يكون وسيلة لتعميم التعليم ، فان قيل ان العمل بهذا القانون متعذر او متعسر لان اولئك الشرفاء والزعماء لا يقتنعون بما يراد إقناعهم به لعدم العلم الاجتماعي الذي يفقه صاحبه طرق حفظ المصالح العامة ودرء المفاسد العامة فلابد من هذا العلم قبل الدعوة الى الاتحاد ، نقول وان العلم الاجتماعي الذي يثمر الاتحاد لاتجاب الدعوة اليه مادام أهل النفوذ الروحي كعثمان بن عقيل يقولون انه ضار مخالف للدين ، ويصدقه اكثر الناس لانهم جاهلون »

لعل كل واحد من المتناظرين حصر فكره في صعوبة احد هذين الطرفين دون الآخر في إصلاح حال أهل بلاده (حضرموت) فكيف اذا فكر كل منهما في إصلاح البلاد العربية العثمانية بالفعل والتي نود ان تكون عثمانية (كبلادهما) وأراد أن يسعى في توحيد التعليم وتعميمه في حضرموت واليمن والحجاز ونجد وسورية والعراق أو أن يدعو اليه او الى الاتحاد عليه وعلى تعزيز الدولة ورفعة شأنها به ، ألا يتمثل أمام كل منهما من الصعوبات والعقبات ما يرى معه إصلاح حضرموت وحدها امرا ميسورا ؟ اذ ليس فيها من اختلاف المذاهب الذي هو بلاء المسلمين الأكبر مثل مافي سائر البلاد العربية كما انه ليس فيها من الاستعداد الحربي مثل ما يوجد في اليمن ونجد والعراق ولا من اختلاف التربية والتعليم مثل ما يوجد في سورية والعراق على مافيهما من الاديان والمذاهب

ثم كيف بهما اذا فكرا في أمر التعليم والاتحاد في البلاد العثمانية كافة على

مافيها من اختلاف الاجناس والعناصر ، الى اختلاف الاديان والسياسات والمذاهب او اذا فكرنا في اتحاد المسلمين كافة من وقوع اكثرهم تحت سلطة الاجانب ، ؟؟ أيقول احدهما لا يمكن نشر التعليم فيمن ذكر الا بعد الاتحاد العام الشامل ، او لايمكن هذا الاتحاد إلا بعد العلم العام الشامل ، فيلزم من مجموع قولها الدور الحقيقي وأن كلا من الامرين متعذر لاينال ، والدعوة اليه من لغو الكلام ؟

الصواب ما قلناه في أول الجواب من عدم التعارض بين الدعوتين فيجب الجمع بينهما والسعي اليهما وكل خطوة في العلم تكون عونا على الاتحاد وكل خطوة الى الاتحاد تكون عونا على العلم ، فكل منهما يمد الآخر ويستمد منه ، وقد تكون الدعوة الى الاتحاد أقوى تأثيرا واقرب نفعا في الامم التي سلبت استقلالها كله أو بعضه والأمم التي يهددها الاجانب بهذا السلب بالقول أوالفعل ، فاذاقلت للفارسيين وقد تغلغلت الجيوش الروسية في بلادهم عليكم بالدعوة الى العلم فقط وبعد ان يصير عاما شاملا لافرادكم تتحدون على مدافعة الاحتلال الاجنبي لا يكون كلامك موثرا ولا مفيدا لانهم يقولون اذا لم نتحد منذ الآن على المدافعة والمقاومة لايتم لنا التعليم لان الاجانب يمنعوننا منه كما يمنعون اخواننا في بلادهم فيجب ان نسعى الى الامرين جميعا ويكون سعينا الى الاتحاد في المرتبة الاولى

هذاما عنّ لنا أن نوضح به هذه المسألة ولعل ماحققناه يكون هو الحكم الفصل بين المتناظرين وان لم نطلع على كلامهما فتكون نتيجة اختلافهما الاتفاق ، وعاقبة افتراقهما التلاق ،

باب التربية والتعليم

المرأة المصرية والمرأة الغربية (*

المولودة — دور الطفولية — المراهقة (الملابس والازياء) الخطبة والزواج
الاقتصاد المالي والمنزلي — العمل البيتي — الأخلاق والعادات — دور الامومة

بسم الله الرحمن الرحيم

أيتها السيدات

اذا كان لفئة ما ان تجتمع وتبحث في شؤونها فلا أحق منا نحن نساء مصر وفتياتها ان نكون تلك الفئة فانا على درجة من التأخر تؤلم نفس المفكر فيها وترجع بالوطن خطوات واسعات عن سبيل التقدم . من دلائل تأخرنا ان اكثرنا أخذ يقلد المرأة الغربية بغير نظر الى موافقة عاداتها للشرع الاسلامي والآداب الشرقية وبعضنا الآخر ظل على تقاليده القديمة سواء كانت صحيحة أو فاسدة . فما هذا الجمود بمستحسن ولا ذاك الاندفاع بممدوح . واني شارحة الآن عادات المرأتين في كل أدوار حياتهما مقارنة احداهما بالاخرى مستخلصة زبدتيهما لنعمل بها

(١) الدور الاول المولودة

إن حالنا الآن عند تبشير إحدانا بالانثى شديد المشابهة جدا لحال الجاهلية

---

*) نشرنا في (ص٣٥٣م١٢) من المنار خطبة لاحدى فضليات النساء المسلمات المشهورة بمقالاتها المفيدة في شؤون النساء والبيوت وهي التي توقع على مكتوباتها في الجريدة (باحثة بالبادية) واليوم ننشر لها هذه الخطبة النفيسة التي خطبت بها كثيرات من النساء في الجامعة المصرية في ٥ ربيع الآخر سنة ١٣٢٨

الاولى ولم أرنا قصصنا عنهم شيئا في ذلك الا الوأد قال الله تعالى (واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودّاً وهو كظيم ٭ يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون) . وان الانقباض الذي تظهره عند مستهل الانثى يؤثر في الطفلة خنوعاً للذلة وركوناً الى الضعة فتشب الفتاة واجدة الفرق العظيم بينها و بين أخيها فتعتقد في نفسها انها أحط شأناً وأدنى مرتبة فلا تطلب من المعالي ما يطلبه اخوها ولا تنبسط نفسها الى ما يرفع شأنها وجنسها وتضع نفسها حيث تضعها . وليت شعري لم نكره ولادة الانثى وهي نصف الانسان وامه وزوجه وابنته ؟ الا يصح ان تكون الفتاة نافعة كالفتى ؟ ألا يرجع الفضل في تدبير عيش الرجل لها ؟ ألم تكن في كثير من الاحيان سبب سعادته وموضع أمله ؟ وكيف نهمل تعاليم ديننا الحنيف في هذه المسألة ويتبعها اكثر الغربيين فان أممهم ولاسيا الشمالية منها يتساوى عندها الذكر والانثى وقد يملكون عليهم فتاة فيهم من يفضلها علما وتجربة وحذقا . يبرر الشرقيون ومن حذا حذوهم جزعهم هذا بأن الذكر يحفظ اسم (العائلة) ويرث مالها ولقبها . ولكن كم من والد مات ذكره بموته وان العمل وحده عليه حياة الذكر أو فناؤه . هل رفع الله الانبياء عليهم السلام درجات على الناس بأعمالهم أم بأبنائهم ؟ ومنهم من لم يتزوج قط ومنهم من عقه أبناؤه . أم كان أبو العلاء المعري أبا ذرية أحيت اسمه وهو الذي يعد الزواج والذرية جناية ؟ وهل يغني الولد عن الابوين شيئا اذا كان لايخفف حشرجة الموت ؟ فالبنت والصبي سيان وكلاهما قرة عين الوالد في حياته ولا يدري ماذا يفعلان بعد مماته . وهل اذا ورث الفتى ثروة بددها بعد حافظا على أسرته ام اذا ولد لاحدهم ذكور ضمن لهم الحياة مخلدين (؟)

٢ ـ الدور الثاني دور الطفولية

في هذا الدور نميز الصبي عن البنت في امور شتى مع ان الغربيين لا يفرقون البتة بينهما فضلا عن انهم يوفونهما حقهما من التربية والعناية ونحن اذا فضلنا الذكر قليلا فلا نزال مقصرين نحو العناية به فما بالك بالانثى ؟ ترضع المرأة الغربية طفلها بنفسها وتنظفه الابهم الا فئة العاملات اللاتي يضطرهن الفقر الى الاشتغال في المصانع

والحوانيت وترك اطفالهن في مربى الاطفال بالاجرة . أما نحن فنعد ارضاع أطفالنا عيبا لا يغتفره لنا ادعاء الغنى أو الغنى نفسه ونهمل أمر نظافتهم للخدم ونكل تربيتهم وتربينهم اليهم وهم من تعلمن من فساد الذوق والجهل القبيح فيشب أطفالنا أشبه أخلاقا بهم ونجد بيننا و بينهم جفاء وصلة منقطعة ، وكيف تعرف الام طباع طفلها وهي لاتمرضها بنفسها ؟ ولومرت الامهات يوما بالمراضع جالسات على حافة الطرق ليراقبن حالتهن الاخلاقية لما تأخرن لحظة عن حماية اطفالهن من جيش المراضع الهازم لمكارم الاخلاق

أما عنايتنا بصحة أطفالنا فليست با كثر من عنايتنا باخلاقهم فبينا المرأة الغربية تغذي طفلها غذاء خفيفا سريع الهضم وتحفظ عليه من هجمات البرد والحر تريننا نطعمه أثقل الغذاء ونبادر باعطائه اللحم وما يتعسر هضمه فتختل معدة الطفل ويصاب بالاسهال والنزلات المعوية وقد يفضي به سوء الحالة الى الموت أخيرا ولا نكترث بنظافته لئلا يحسد ونتركه يلعب به القيضان القر والحر فلا يلبث ان يمرض ولا علاج له عندنا الا الرُّقى والتمائم تثقل بها حمائله واذا بكى متوجعا نظن بكاءه جوعا فنلقمه الغذاء فوق الغذاء الى ان يلقى حتفه . هنالك تتهم أمه صاحبتها أو قريبتها بأنها حسدته وتركت فيه سهما من عينيها فتبغضها وتتشاءم من رؤيتها ! . واذا ابتدأ الطفل يتكلم ويمشي فأول ماينطق به عندنا لغة الآ باء والاجداد ومن الغريب اننا نجعل ذلك منه موضوع ضحك واستحسان فيظن انه مصيب في قوله فيتمادى في الا كثار منه واذا مشى فاننا نحجر عليه الا ان يمشي وسط الحجرات المزدحمة بالاثاث والاواني فاذا لم يكسر شيئا فانه يتهشم بصدمة أو بوقوع واذا تأخر في الخطو قليلا نساعده عليه بالمشاة (المشاية) وهي علة تشويه كبيرة لا نشعر بها فان عظام الطفل اللينة باجهادها على المشي حين لاقدرة لها تلتوي فيشب الطفل أعوج الساقين منحني السلسلة الفقرية أو الصدر كذلك لا نلتفت لموضع سرير الطفل وتأثير النور في عينيه فيكثر فينا الحول والعمى فما أعظم الفرق بين طفلنا الشاحب اللون البذيء اللسان و بين الطفل الغربي الصحيح البدن بالاعتناء ! ما أجمله حين يذهب في الصباح والمساء ليقبل والديه وحين يستغفر ايًّا كان لاقل هفوة و يشكر لا بداء الجميل ! واذا حرم

تلك القبلة الوالدية لهفوة أتاها فلا تسل عن حزنه وبكائه الى ان يتوب . بمثل هذا تعلم المرأة الغربية طفلها — ورضى الوالدين اعظم نعمة للاولاد — وتربي فيه الضمير الحي والاعتراف بالشكر لمن وجب له فلا تصغر نفسه بالضرب كما نعود نحن اطفالنا . ما المراد من ضرب الطفل ؟ المراد هو نهيه عن اتيان شيء لا نستحسنه لا ايذاء جسمه بانواع التعذيب البدني ، وفي طرق التأديب النفسية مايكفل تلك الغاية بغير الشتم والضرب اللذين يضعفان همة الطفل ويخفضان من عزته صغيرا ويزيدان تحكمه واستبداده كبيرا

وبقدر مانعطي الطفل حرية في البذاءة والاتلاف نحرمها عليه في الرياضة المفيدة لنمائه فنمنعه الجري والتنزه ومشاهدة المناظر الطبيعية الجميلة مع ان الطفل الغربي يعد عضوا مهما في البيت كسائر أعضائه من أب وأم فيذهب به الى بلاد بعيدة لاستنشاق الهواء واجتلاء المناظر ويفرد له أدوات خاصة لنومه ولعبه وسائر لوازمه ويعامل بالاكرام ويعوّد الاستقلال من نعومة اظفاره الى أن يترعرع . واذا لحن في كلامه بادرت أمه بتصحيح خطإه والنطق أمامه نطقا صحيحا حتى يحاكيها فيه . اما أطفالنا البائسون فاننا نلثغ لهم لترضيهم ونكلمهم بلغتهم المضطربة بدل تعليمهم لغتنا العامية لا الفصحى !

نحن نبادر بارسال أولادنا المدارس وهم صغار لايدركون ماهية العلم ولا يألفون حجر حريتهم فيضايقهم المعلمون بتدريسهم الممل الغير الجذاب ، ويلزمون أعضاءهم المخلوقة للحركة بالسكون التام فيتربى في الطفل نفور من المدرسة والدرس فتجبره أمه على الذهاب للمدرسة فيزيده الاجبار نفوراً ، وقد يكون خطؤنا في ارسال أولادنا صغارا جدا للمدرسة ومضايقة المعلمين لهم بأساليبهم العقيمة ماينقص من استعداد الطفل لتلقي العلم ويفسد عليه ملكاته . أما الطفل الغربي فهو أسعد حظا اذ تعلمه أمه في البيت طرق الملاحظة والمشاهدة وتلقنه فوائد الاشياء والاسرار البسيطة لما يحيط به من نبات وحيوان ومطر وغيره ، وتعلمه الاحسان والشفقة بما تفعله امامه من ضرر وبهماء وكذلك تعلمه القراءة والكتابة الاولية بأسلوب مشوق ولا ترسله المدرسة الا وفيه ميل اليها واستعداد لما سيلقى عليه بها . وقد جربت ضرر ارسال الاولاد

المدرسة صغارا في نفسي وفي اخوتي وفيمن شاهدته من التلميذات فاني ظللت حوالي الثلاث سنين لا أفقه معنى للمدرسة ولا أكاد أفهم الغرض من ارسالي اليها ، وكذلك شاهدت النابغات من التلميذات هن اللاتي أرسلن المدرسة في سن الثامنة أو العاشرة أما المرسلات صغيرات فأكثرهن لم يستفدن شيئا غير ضعف البنية وخسارة ما أنفق عليهن . اذا كان ولا بد من ارسال الاطفال المدرسة صغارا فيجب أن يجعل لهم فرقة مخصوصة كفرقة بستان الاطفال (Kinder garten) التي تلقى اليها الدروس مزيجا من التعليم والرياضة ويراعى فيها مدارك الطفل وتمرن حواسه وأعضاؤه بغير اجبار يخافه أو تكرار يمله . ولو كانت الامهات معتنيات بأطفالهن تمام العناية فان مثل تلك الفرقة كان يجب أن تكون في كل بيت أنعم الله عليه بنعمة الاولاد .

التربية عندنا احدى طريقتين : اما القسوة أو التدليل وكلاهما ضار . فالقسوة ترهق الطفل وتعلمه الذل ، والتدليل يطوح به في مهواة الغرور . فمن دلائل قسوتنا تخويفنا الاطفال وتصوير صور مخيفة لهم من الظلمة وملء أذهانهم بترهات لا أصل لها (كالبعبع والمزيرة الخ) وضربهم عند مخالفتهم لنا . ومن تدليلنا اياهم أن نعلمهم الانانية ونعطيهم ما يشتهون عند بكائهم بعد منعهم اياه قبل البكاء فيتعلمون من ذلك ان الصياح ميسر العسير ومقرب البعيد فلا يتأخرون عن البكاء عند أي شيء تمنعه عنهم وقد رأيت كثيرا ان طفلا ينصح أخاه أو أخته الاصغر منه سنا بأن يبكي حتى يأخذ كيت وكيت مما كان منع عنه . أما الافرنج فطريقتهم في تربية الاطفال خير من طريقتنا اضعافا فيعاقبون الطفل الذي يبكي لطلب شيء بالحرمان منه فيعلم ان البكاء لا يجدي ويطلبه بالطرق المشروعة وان منع منه فلا يعود يتشبث به . ويعدون في المنزل ما تمس اليه حاجة الاولاد من الحلاوى واللعب خوفا عليهم من قذارة ما في الاسواق واقتصاداً للمال والزمن .

٣ ــ الدور الثالث دور المراهقة

هذا هو الدور الذي تتجلى فيه صفات الفتاة حسنة كانت أو سيئة وان كانت الاخيرة فمن الصعب تغييرها . في هذا الدور يهتم الاهلون بارسال أولادهم الذكور المدرسة ولا يهتمون كثيرا بتثقيف عقل الفتاة على انهم قد أخذوا يقلدون الغربيين

أخيرا في تعليم الفتاة وانما لم يجيء التقليد نافعا لنا ولا محكا في ذاته . فالفتاة الغربية تتعلم العلوم الى ان تحصل منها على درجة عالية أو درجة محمودة . أما فتاتنا المصرية فلا تكاد تقرأ وتتعلم قشورا بسيطة من العلم حتى تستغني بها عن الاستمرار في الاستفادة فهي لا تقلد الغربية في العلم النافع وانما تقلدها باستماتة في تعلم (البيانو) والرقص !! ولا أدري لماذا أخذت البيوت الشرقية تبطل العود والقانون وتتعلم (البيانو) مع ان الاولين فضلا عن كونهما شرقيين فانهما ألطف صوتا وأشجى نغمة وأقل جلبة وأرخص ثمنا وأخف حملا . ان (البيانو) لازم جدا في الغرب لتحية الجموع في المراقص والكنائس لأنه بنغماته العالية يسمع الى مكان بعيد أما في بيوت المسلمين حيث لا مراقص ولا كنائس فلا أجده من الضرورة بالدرجة التي يتهافت عليها فتياتنا . ثم ان تعلم الموسيقى من الكماليات المدوحة ويقولون انها مهذبة للطباع مرققة للشعور ولكن ألم يكن الاولى تعلمها على الآلات الشرقية التي لا ضوضاء لها اذ هي بذلك أدعى للحشمة فلا يتعدى صوتها البيت الذي هي به .

لو سلمنا بضرورة تقليد الغربية في تعليم (البيانو) لوجب علينا كما أن نتبعها أيضا في تعلمه من حيث هو فن واتقانه لا ان تقتصر الفتاة على قدر لا تناسب بين نغماته حتى ان سليم الذوق مع عدم تلقيه دروسا في (البيانو) يمكنه نقد ذلك الضرب على صماخ الاذن لا على (البيانو) فان أذنه تنبو عنه لسماجته

ماذا تقرأ الفتيات في سن المراهقة ؟ لا يقرأن الا الروايات الغرامية وهن في ذلك الوقت قابلات لشدة الانفعالات النفسية فيتأثرن بحوادث العشق والهرب وتنطبع في ذاكرتهن اشعار وجمل غرامية مما يقرأن وتمر أمامهن صور تلك الحوادث كالصور المتحركة فلا تعدم أن تلقي أثرا في عقولهن اللينة . ان الآباء ملومون في هذه الحالة لعدم اختيارهم كتبا نافعة تقرأها فتياتهم . لماذا لا يختارون لهن مثل كتاب التربية الاستقلالية (١ وفيه أمور نافعة جدا في تربية الاطفال ومعاملة الازواج أو مثل كتاب كليله ودمنة (٢ أو كتب تراجم المشهورين من رجال ونساء فان في قراءة سير المشهورين

---

١) يباع بعشرين قرشا صحيحا بادارة المنار وأجرة البريد قرشان ونصف قرش
٢) يباع بعشرة قروش بادارة المنار واجرة البريد قرش ونصف قرش

مايبعث .. على ان يقتدي بهم أو مثل كتب آداب اللغة وغيرها مما يلذ ويفيد في آن واحد . هذا اذا وجدت الفتاة من كتب الفلسفة والعلم مايستعصي عليها فهمه أو ماتضجر من الاستمرار على قراءته لجده الخالص وجفافه . ماذا تفعل الفتاة في سن الرابعة عشرة أو السادسة عشرة وهي ممتلئة الذهن بحوادث «روميووجوليت» والفاظ « فاتني وحبيبتي » الخ ؟ انها تتمنى أن تسمع مثلها وتكون مرموقة بنفس تلك العين لأن سنها كانت أخصب مراعي ابليس . هذا من جهة القراءة

أما الحرية فان الفتاة المصرية الاولى كانت محجوراعليها الدرجة الحبس والفتاة الغربية لها مطلق الحرية ان تغدو وتروح وحدها وتسافر من بلد الى آخر قاص بغير رقابة أهلها وهذا من الخرق في الرأي وأخاف أن تغرنا زخارفه فنعمل به لأن كثيرات من فتياتنا المتعلمات يحسبن ان الدرجة التي وصلن اليها تكفي لاعطائهن مطلق الحرية يغدون ويرحن وحيدات . وان حوادث الفتيات المحزنة كثيرة جدا في أوربا لان الفتيات الطائشات لصفاء نيتهن يصدقن كل مدع لهن بالغرام وتساعدهن حريتهن المطلقة على مسايرة الفتيان ثم لايلبث الرجال ان ينفضوا من حولهن و يتركونهن بين اليأس والعار وهما امران احلاهما مر !

ومن رأيي ان تمنع الفتاة في سن المراهقة هذه من الاختلاط بالشبان . وحاشا ان امس بكلامي هذا شرف الفتيات وانما احب أن انبه الى شيء طبيعي والعاقل من اتعظ بغيره . ويكفي تجنبنا لمثل هذا الاختلاط المعيب ان أهله ذاتهم هم اول الشاكين له . والفتاة في هذه السن ككل انسان تطلب الحرية ويجب ان تتروض وتخرج وهذان لا أمنعها منهما وانما انصح للامهات ان يراقبن وللآباء ان يراقبوهن مراقبة تخفى عليهن لان المراقبة ان كانت ظاهرة قد تضع في نفس الفتاة انها يجب ان تراقب وأنها ضعيفة عن الذود عن نفسها واذا تملك منها هذا الشعور كان و بالا عليها واذلالا لها . ثم اذا ثبتت للوالدين مقدرتها على حسن السير فلا بأس من إباحة الحرية لها في زيارة صاحباتها وأرى ان الحرية المطلقة والحجر المطلق كلاهما ضار فكما ان الاولى تسهل سبل الفساد لمن تريدها كذلك الأخرى تخلق في الفتاة ميلا لأن ترى كل شيء ويعلمها طرق الغش والكذب فيكون قد جنى اهلها عليها جنايتين !

ان صلاح الفتاة مترتب دائما على تربيتها الاولى فان فسدت فقد يكون قليل من الحرية افضل من الحجر البات لانه لاينفع ولا تعدم الفتاة منفذا الاغراضها فتتعلم بذلك السرقة والخداع وقد تكون بعيدة عنهما من قبل

أفضل طريقة لتربية البنات هي ان يرين قبل البلوغ كل شيء تصح مشاهدته بمعنى ان البنت في سن العاشرة والثانية عشرة يجب ان يريها والدها الصور المتحركة والتمثيل والالعاب المختلفة والحوانيت الكبيرة والمتنزهات والآثار ويركبها السيارة ويريها المحفلات وغير ذلك حتى تلم على قدر الامكان بكل شيء حسن أوعجيب فتستنير من جهة ولا تظل بلهاء ككثيرات من فتياتنا وحتى تكون امتلأت نفسها من الصغر فلا تجد فيها فراغا فيما بعد لطلب المزيد من المشاهدات فاذا عرض لها التنزه في حياتها المستقبلة فلا بأس به وان لم يعرض فلا تأسف كثيرا لفواته

المدارس — تعجبني جدا طريقة مدارس (الفرير) في نقل الفتيات صباحا ومساء في مركباتها الخاصة حتى لايختلط بين السابلة وحتى يأمن عليهن أهلهن وكذلك يوفرن وقت من سيعطل نفسه ليستصحبه الى المدرسة ذهابا وايابا فحبذا لو اشترت نظارة المعارف أو استأجرت مثل تلك العربات لنقل التلميذات الى مدارسها في الغدو والرواح ويكون لكل قسم من أقسام البلد واحدة او اثنتان حسب كثرة التلميذات وقلتهن فان التعليم في مدارسها ارقى بكثير من التعليم في المدارس الاخرى وخصوصا في اللغة العربية التي هي لغتنا ويجب ان نتعلمها جيدا وكذلك تراعى فيها آداب البلد وعاداته ودينه أفضل مما تراعى في تلك المدارس الاجنبية التي لم تفتح الا لنشر مذهب من المذاهب الدينية أولكسب أصحابها فقط

بعض أضداد تعليم الفتيات يرون ان تظل الفتاة جاهلة خير لها من ان تتعلم لان التعلم يوسع عليها حيل الاختلاط الذي لاتبرره العادة ولا يسمح به أولياؤها وهي نظرية فاسدة لان التربية الصحيحة تحول دون ذلك فالفتاة الكاملة تجد من عفتها وقدوة أهلها وآداب نفسها مايحفظها من سوء الاحدوثة وتعلم ان سمعة الفتاة كالزجاج الصافي يتلوث من أقل الاشياء واذا انكسر فلا يجبر. اما الفاسدة فتميل اذا وجدت مسربا سواء كانت عالمة او جاهلة وغاية الامر أن الجاهلة اسرع شططا وأدنى الى

أن تشهر بنفسها وقلما تعرف نتيجة تصرفها السيء الا بعد وقوعها في سوء مغبته

الملابس والازياء – الملابس الشرقية اخف مؤنة وأيسر كلفة واشدملاءمة لجونا الحار وصيفنا المحرق من الملابس الافرنجية فهي جلباب يلبس مرة واحدة فوق الملابس اللاصقة بالجسوم . وعندالخروج تلبس فوقه الملاءة . اما الملابس الافرنجية فانها متعددة القطع مضاعفة التركيب عسرة اللبس والنزع فمن مشد يخنق الخاصرة ويحشر الكبد والطحال ويدلي الاحشاء ويمنع الجلد من التنفس الطبيعي اللازم له، ومن بنيقة (ياقة) منشاة كالورق المقوى لا تستطيع المرأة فيها لفت رقبتها ولا الانثناء لقضاء أي عمل فتظل مشرئبة العنق لا عن صيد مشدودة لا عن وثاق ، ومن صدار (chemisette) لاصق بالابطين ضاغط على الكتفين أو مفرج الفتحة (décolte) معرض القفا والنحر بل الصدر والظهر الى الحر والقر واختلاف درجات الجو وجلب النزلات الصدرية ومن مرط (Jupe) ضيق الاعلى غير محكم الازرار واسع الاسفل طويل الذيل كأن لابسته من ذوات الاذناب تثير عند مشيتها الجراثيم وتضايق الرئتين والخياشيم ومن قبعة شاسعة الارجاء مدججة بالدبابيس مثقلة بالطيور وريشها والغصون وازهارها وثمارها مدبجة بالاربطة الحريرية، ومن أمشاط (بنايغ) في أجزاء (الفستان) يضيع في ربطها وحلها الزمن سدى فضلا عن تعدد الملابس لتعدد الأغراض فحلة للصباح وأخرى للمساء وثالثة للخروج وأخرى للرقص وغيرها للاستقبال وهلم جرا . وان الزمن الذي يضيع كل يوم في اللبس والخلع لو صرف في عمل نافع لأتى بالفائدة وأراح من العناء .

على ان لنساء الافرنج حسنة واحدة في ملابسهن مفقودة عندنا وهي البساطة عند الخروج للنزهة أو لقضاء شغل فتلبس المرأة ثوبا قصيرا كي لا يعوقها عن المشي اما نحن فنرتدي أحسن طرفنا في الخارج ونظل في الذيول نجرها . على ان الاوربيات احق منا بتفنن الازياء وشدة التأنق فيها لانهن بَرِزات اما نحن فأكثر ما يرانا جدران المنازل وان خرجنا فتحت الازار او في العربات واذاً فلا لزوم لاتباع (المودة) بشغف زائد لانها تفقر وتعل . وان كان الغنيات حق التمتع

بصرف مالهن ولو فيما لا يجدي الانسانية كالازياء فليس للمتوسطات حق اقتار بعولتهن أو آبائهن جريا وراء المودة المتقلبة .

تخرج بعض نسائنا عن حدود الأدب والشرع زعما باتباع (المودة) ولكن هناك فرقا كبيرا بين (المودة) والخلاعة فان لبست المرأة آخر الازياء في بيتها فما عليها في ذلك من حرج ولكن اذا أظهرت زينتها للمارة وظلت تتلكأ وتضحك فتلك هي الخلاعة الشائنة ولم تجيء في مجلات الأزياء (كالبرتال والفوغ) وغيرهما ولا في أي كتاب قرأتها .

لاحظت شيئا غريبا في الفتيات وهو أن الفتاة التي تتبرج وتتأنق مغالية في اظهار محاسنها وغناها تريد بذلك ان يعجب بها الخاطبون والخاطبات هي التي تتأخر دائما في الزواج وان تزوجت فبرجل أقل مما كان ينتظر لمثلها وهو عقاب طبيعي للمتبرجات لأن الرجل مهما أعجبه شكل الخليعة وكلامها فهو لا يود ان يقتنيها لنفسه اعتقادا أن ما أعجبه منها ظاهر لغيره ايضا ولو فطنت الفتيات الى ان أول شرط يشترطه الرجل في امرأته خاصة هو الحشمة والترفع عن البهرجة لما تأخرن لحظة عن الاقلاع عما زعمنه يقربهن في أعين الراغبين في الزواج وهو في الحقيقة يبعدهن وينفر الرجال منهن . لست بذلك ادعو النساء الى التقشف او البعد عن الزينة فليس لي ان احرم ما حلل الله ولأن في الزينة للمرأة بعض السعادة ولزوجها كذلك ولكن غرضي الاعتدال في الزينة الى عدم الخروج عن المعروف .

٤ — الدور الرابع الخطبة والزواج

تستعجل الفتيات كثيرا في انتظار هذا الدور ولو علمن مصاعبه ومتاعبه لما تعجلنه واظن أن مايشوقهن اليه هو الزخارف والحلل الجديدة ومايقام للعروس من معالم الزينة ومايتقاطر عليها من التهاني والهدايا ولكنهن لايدرين التبعة الكبرى التي تتحملها المرأة بزواجها وما قد يصيبها من الآلام النفسية في عيشتها الجديدة ، وشتان بين الفتاة تنام ملء عينيها ولا تسأل الا عن نفسها ويسعى أبوها وأهلها في ارضائها وجلب ما تشتهيه لها من ملابس وغيرها وبين الزوجة تنتظر بعلها الى ما بعد نصف الليل

وتبكر قبل بزوغ الشمس لتجهيز طعامه وتنظيم ملابسه وتظل يومها تشتغل في بيتها أو تلاحظ الخدم وعليها ان ترضيه وترضيهم وتخطب ود اهله وتقوم بتربية أولاده وهي بين كثرة العمل وتنوع التبعة تحاسب حسابا عسيرا على اقل هفوة (*) وربما وجدت منه سكيرا فظا أو أحمق ، وأدهى من ذلك ان يتحفها بضرة شرعية او غير شرعية تأتي على ما بقي من رونق جمالها وسعادتها

لا وسيلة للزواج عندنا الا الخطبة ولكن بأعين الاهل والجيران والخاطبات وقد تحسن في أعينهن من لا تحسن في عين الخاطب لاختلاف الاذواق والمشارب فيتزوج الرجل على مجرد أوصاف قيلت له فيصور منها شكلا في مخيلته عسى لا يطابق العروس الحقيقية أصلا لسوء تعبير الخاطبات وتحريفهن . وكذلك الفتاة تكاد لا تعلم من خاطبها شيئا الا اسمه وماله المبالغ في تقديره لترغيبها هي وأهلها فيه . فاذا حان وقت المقابلة يكاد العروسان يصابان بالبكم والغشيان لفرط اندهاش احدهما من الآخر . وبعد المعاشرة قليلا قد يتفقان وربما لا يتفقان وهذه المخاطرة نتيجة اعتقادنا المقلوب في القضاء والقدر . نعم ان القضاء والقدر لا تجدي مغالبتهما ولكن لا يصح اتخاذهما وسيلة للاهمال في جلب المنفعة أو درء الضرر فان هذه المسألة مسألة اختيار محض للعقل ان يحكم فيها وحده فاذا أحسن الاختيار حسنت عاقبته وان قصر او أهمل ساءت العقبى . على ان اسفار النساء عن وجوههن لم تجمع الائمة على تحريمه فضلا عن انهم كلهم يجوزونه عند الخطبة تحاشيا من وقوع الاختلاف ودعوى الغش فيما بعد

أما الافرنج فخشية أن يصابوا بما أصيب به أغلب أهل الشرق من الخطبة

(*) في كلام الخطيبة مواضع للنقد لم نتعرض لها لان كلامها بالاجمال صحيح ومفيد ولكننا لم نرد هنا من تنبيهها الى خطأ بين وهو تهويلها بتكاليف الزواج وذكر اشياء تافهة عدتها من المرغبات فيه معرضة عن ذكر السائق الفطري اليه وهو شعور كل فرد من أفراد الجنسين بأن نفسه نزاعة الى السكون الى نفس أخرى تكمل بها اما تلك الزخارف الكاذبة فقد تكون من المرغبات لمن لم يضرب بسهم في التربية ولا سيما لبنات الطبقة الدنيا اللائي كن محرومات في بيوت آبائهن من مثلها والخطيبة الاديبة انما ارادت ذم التعجل بالزواج فجاء كلامها صريحا بالتنفير من الزواج نفسه وهو غير المراد حتما .

العمياء وما يترتب عليها من الشقاء المستمر أجمعوا رأيهم على ان يتراءى العروسان قبل الخطبة مرارا ويتقابلا تكرارا ولكنهم أفرطوا في الأمر كما فرطنا نحن فيه وكلا طرفي كل الامور ذميم . لم يكتفوا بأن يرى الخاطب مخطوبته عدة مرات بل شرطوا أن يكون الزواج بعد الرضى او الميل المتبادل بينهما ولأجل أن يحصلوا على قلب الخاطب قبل أن يعرف من هو يحرضون بناتهم على غشيان المتنزهات والمراقص ومجتمعات الفتيان لعل الواحدة منهن تخلب فتى من الموجودين هناك بالاتفاق وقد تذهب المقابلة بعد المقابلة سدى فتعرض لغيره ويتعرض لغيرها الى أن تجد بعد طول مدة التخير فتى يكاشفها بعزم الاقتران فتظن انها وجدت ضالتها المنشودة فتعلن أهلها ويتردد الخاطب عليها في البيت وغير البيت وربما تمضي الشهور أو السنون ثم ينفض الفتى عن الفتاة بدعوى ان الاختبار لم يؤد الى المرام وان القلوب لم تأتلف واذا كان أصل الفكرة وجوب الاختبار الطويل فيما يتعلق بالاخلاق والتأكد من الحالة الصحية كان العدول بعد الاختبار أمرا غير مستقبح وانما يكون الاستقباح بعد الاعلان القطعي وهو لبس الخاتم عندهم ولا شك ان التساهل الى هذا الحد فيه مافيه من العيوب مما لايخفى على الناقد البصير

والحق ان هذه المسألة من المعضلات الاجتماعية فلا الاسترسال في الاختبار بمأمون العواقب ولا الاحتجاب على الخاطب بمفيد بل ربما كان مؤخرا الفتاة عن الزواج في الاوان المناسب وربما كان في الحي الواحد فتيان وفتيات كل منهم يبغي الزواج ولا يعلم الفتيان بوجود الفتيات لاحتجابهن الاحتجاب الشديد ولعدم التعارف بين البيوت . ولا خلاص من هذه العقدة الا باتباع سنة السلف من العرب في صدر الاسلام من مباشرة الفتاة خدمة الضيوف ومقابلة زائري أهلها لاستطلاع قصدهم والخروج فيما نرى ان كانت بها المساعدة في بعض الاعمال ، ويجب على الفتيان في مثل هذه الحال أن لايظهروا غرضهم امام الفتيات أو يتعرضوا لهن بالخطبة فان ذلك مغاير للذوق والادب ومودٍ لخجل الفتيات وازوائهن وراء الحجب . وينبغي ان تعوّد الفتيات هذا الامر من صغرهن حتى لا يستغربنه عند الكبر ويحسن بشئونه . وهذه الطريقة متبعة فيما نرى في القرى والبوادي المصرية فحبذا لو اقتدى

بهم أهل المدن ، وانما يشترط في الاخيرة أن يكون خروج الفتاة مع أبيها أو أخيها أو أحد محارمها .وعلى كل حال فالشيء الذي لا بد من منعه هو انفراد الفتى بالفتاة وطول المحادثة في غير ضرورة لما في ذلك من مخالفة الشرع واثارة التهم

هذا ما قال في الخطبة. أما الزواج فطريقتنا فيه مختلفة أيضا فالمرأة الغربية تدفع الصداق (الدوت) وقد يكون من جراء ذلك في بعض الاحوال ان تصير الزوجة سيدة الرجل الآمرة الناهية والمرأة الشرقية كانت لا تدفع شيئا ويدفع الرجل الصداق فيأخذه أهلها لأنفسهم ولا يشترون لمخامته شيئا و بذلك يعتبر الرجل نفسه سيدها لا حق لها في معارضته . وهاتان الطريقتان بغير نظر الى غثهما أو تفضيل احداهما على الاخرى واضحتان في أن دافع الصداق هو المنفرد بالسيادة في البيت . أما طريقتنا الآن فهي معتلة ولذلك فالسيادة متنازع عليها بين الزوجين المصريين . يدفع الرجل الصداق فتأتي له المرأة بما يساوي ضعفه أو ضعفيه أو أكثر فهو بما أنفق يظن انه السيد وهي بما أنفقت تظن كذلك فيتنازعان على الرآسة !

ما لنا ولهذا التكليف الثقيل والبيت باسم الرجل لا باسم زوجه فان أعجبه أن يفرش بيته حصيرا فليكن وان راقه ان يموه سقوفه وجدرانه بماء الذهب فليفعل وان أحب ان يجعله جنات عدن تجري من تحتها الانهار فحبذا رأيه . وليس للزوج وأهله ان ينتظروا شيئا من العروس فهي وشأنها في مالها . ان حوادث الطلاق فيها عظات كثيرة لو انتبهنا لها فكثيرا ما يتنازع الزوجان على الاثاث كل يدعي انه له واذا كان في الرجل مروءة وتركه لمطلقته فانها تزحم به بيت اهلها و يظل مكدسا يرتع فيه العث والجرذان فتجد مرعى خصيبا فاذا تزوجت المرأة ثانية وجدت اكثره تالفا او طال عليه القدم مع ما يستلزمه نقل الاثاث وترتيبه كل مرة من النفقات والتعب . واذا لمت الغنية مرة على هذا التدبير فاني ألوم الفقيرة المدعية مرارا . فكم من بيوت خربت وارض بيعت أو رهنت لا لسبب سوى تجهيز عروس لا يلبث فرشها البهي ان يحول لونه او يتمزق بعد سنين قلائل فتكلف زوجها بتجديده او يبقى خرقا . سمعت عن أب له ثلاث بنات جهزهن واحدة بعد أخرى جهازا كان موضوع الحديث عند معارفه وكان له مئة فدان من أجود الاطيان بعيش بريعها عيش

الرخاء فباع ثلاثين لتجهيز الفتاة الاولى وومن ثلاثين للثانية والباقي الأخيرة ولما حان ميعاد الوفاء لم يف واذا بالدائنين أتوا على ماورثه وهو كل ما يملك وحجزوا على بيته أيضا !! فبالله الا يعد هذا الرجل قصير النظر اخرق ؟ وهل اغناء ثلاث بناته وقد اصبح بعدها ذليلا ؟ من الجنون بل ومن القساوة ان تجتهد الفتاة في تخريب بيت والديها لتزيين بيت زوجها ، ولماذا تقلد كل سيدة من هي أغنى منها ، وهل يعد التوسط في الغنى أو الفقر عيبا ؟؟

إن الاوربية لاترمي مالها كما تفعل في أوانٍ لاتستعملها وفي خرق تبلى بعد زمن قصير بل تستثمر ذلك المال فتنميه وتحفظه للعوز وذخرا لأولادها بعدها وتنفق منه على الجمعيات الخيرية والمدارس فتحيي البائسين وتحيا بحسناتها فهي ابرع منا بمراحل في طرق الاقتصاد

الاقتصاد المالي والمنزلي

لاتكتفي المرأة الغربية بتنمية مالها فقط بل تعمل ميزانية مضبوطة لواردات بيتها ونفقاته فلا تخرج عن حد الاعتدال في النفقات ولا تصرف درهما في غير موضعه وتفحص مشترياتها بنفسها كي تتأكد من جودتها واستحقاقها لما تباع به وتهتم برفو الثياب وتصليحها وتعمل من كل قديم جديدا وقد تغير شكل الثوب الواحد وزينته مرارا فيبين جديدا . نعم ان فينا تلقاء ذلك كرما ولكن يجب ان لا يكون الكرم اهمالا ، فقد تقع بقعة صغيرة على جلباب من الحرير الغالي الثمن فاذا اهملناه لم يصلح للبس واذا أعطيناه لخادمة اولامرأة فقيرة فقد ينفعها ثوب من القماش الرخيص (الشيت) أكثر من ذلك الثوب الجميل وبهذه الحالة يكون كرمنا غير مجدٍ فلو اجتهدنا في ازالة تلك البقعة او تمويهها بشيء من الزينة (الكلفة) وجدنا على تلك الفقيرة بثوب رخيص لكان انفع لها ولنا

إن تربية الغربية مؤسسة على المنابة والملاحظة . أما نحن فقلما ننتبه اليهما ، تقتصد المرأة الغربية من مالها بما تطوره من براعتها وعملها فهي تخيط انفسها ولزوجها ولأولادها وتكوي ثيابهم . اما نحن فالبيوت المتوسطة كلها تكوي في السوق وتخيط

كل شيء حتى التافه عند الخياطات!! بعشرين قرشا يمكن المرأة الغربية ان تحضر طعاما لبيتها وتجعله لذيذا ومشتهى لكثرة الجوارس (السلطة) والحلوى. أما العشرون قرشا عندنا فتعمل بها المرأة طعاما ولكن غير منوع ولا مشتهى

ان الافرنج رجالا ونساء يعرفون كيف يجذبون الانظار ويجعلون الشيء المتوسط في الحسن جميلا. قد رأينا بضاعتهم وهي اقل متانة من بضاعتنا الشرقية ولكنهم يضعونها في حوانيت واسعة منارة بالكهرباء ويرصونها داخل ألواح من الزجاج فتجذب المارة ثم هم يختارون لتجارتهم محلا من المدينة يكثر فيه الغادون والرائحون أما تجارنا فهم بمعزل عن ذلك الفن، قد يكون دكانهم في مكان غير مطروق كثيرا ويهملون في عرض بضاعتهم والاعلان عنها فتبور. مثل تجارنا في حوانيتهم كمثلنا في بيوتنا فينا من الذكاء والقدرة ما يمكننا من جعل بيوتنا جنة ولكن قلة العناية هي التي تؤخرنا وتعوقنا

العمل — أما العمل البيتي أو الخارجي فانا يجب أن نعترف للمرأة الغربية بسبقها فيهما وان كانت غنياتنا وأغلب غنياتهم لا يكترثن الا بالملاهي والازياء ولكن المتوسطات هناك لا يأنفن من مزاولة الطبخ والكي والترتيب كما تأنفه متوسطاتنا وفقيراتهن يعملن ما يقوم بأودهن وأود أسرهن. أما فقيراتنا فاما ان يتسولن أو يشتغلن بعمل قليل الكسب والشواهد كثيرة على ذلك وأقربها وهو ما نعرفه كلنا ان الخياطات المصريات لا نكاد نجد بينهن واحدة يمكنها تفصيل الثياب وخياطتها جيدا وهن لعدم اتقانهن العمل يكتفين بأجرة قليلة مع ما يتكبدنه من التعب وانفاق العافية فتأخذ الواحدة خمسة قروش أو عشرة أجرة الثوب في حين ان الافرنجية تطلب جنيهين على الاقل مقابل تعبها فقط. وكذلك الطبيبات منا يكتفين بدروس قليلة من التمريض ولا ينظرن لمثيلاتهن الاجنبيات اللاتي برعن في الطب ونلن نفس شهادات الرجال. والمربيات والخدم المصريون لا يفقهون معنى التربية واغلب الخادمات لا يصلحن فنضطر ان نجلب هؤلاء من الافرنج

يقولون الحاجة ام العمل، فما بالنا نكسل ونقصر ونحن في شديد الحاجة لأمثال هؤلاء الخياطات والطبيبات والمعلمات وغيرهن!! من فروض الكفاية ان يكون كل

هؤلاء مصريات في مصر فيمنعن بعض مالها من التسرب فيجيوب الاجانب ومن سا كانت ينظرن . لقد اصبحت كلمة مصرية في أفواه الاجانب عنوانا على الكسل وعدم القدرة فهلا يبعث فينا ذلك التعيير روح النشاط وحب العمل؟ هلا حا كيناهن فيما تفوقن فيه علينا من العلم والعمل؟ أم هل تكفي محاكاتنا لهن في الزي والتصنع ان نصبح مثلهن؟. انهن أسسن الجمعيات وادرن المستشفيات والملاجيء وقمن يشتغلن بكل فن حتى انهن يطلبن مشاركة الرجال في الانتخاب لحكم بلادهن وما ذلك الانتيجة العلم والتربية على حب العمل

من حب العمل عندهن الرياضة في ساعة الفراغ فترين انهن يشتغلن حتى وهن يطلبن الراحة . أما نحن فنكسل ونطلب الراحة في ساعات العمل. ألم تسمعن بجمعية الصليب الاحمر وكيف تخاطر النساء فيها بحياتهن لمداواة الجرحى والتقاطهم ونار الحرب تستعر؟؟. ليس يخفي الهم ويضمد الجراح كالمرأة الآسية . ان النساء المنخرطات في سلك تلك الجمعية يعرضن انفسهن للهلاك وتكبد مشاق السفر وتحمل البرد القارس الى درجة الجليد بين سهول منشوريا وحزونها وفي الاقاليم الاستوائية التي يذيب حرها اللافح رأس الضب . وقد كان نساء العرب يفعلن نفس هذا العمل الشريف في الحرب ويزدن عليه تشجيع المجاهدين وتغذية الجياد قال عمرو بن كلثوم في معلقته

يقتن جيادنا ويقلن لستم بعولتنا اذا لم تمنعونا

وقد كانت مخاطرتهن هذه تثير الشجاعة في الرجال وتحملهم على الاقدام بدليل قوله

اذا لم نحمهن فلا بقينا بخير بعدهن ولا حيينا

وقوله في موضع آخر من القصيدة

وما منع الظعائن مثل ضرب ترى منه السواعد كالقلينا

الاخلاق — لاأدري أتفضل المرأة الغربية في معرض الاخلاق أم تفضلنا فهي أ كثر منا شجاعة في اقتحام الخطوب وان كانت لاتقل عنا جزعا عند المصائب ونحن لا ينقصنا ذكاء كذكائها وإنما ينقصنا عزم وثبات كعزمها وثباتها . وهي تعمل

نعيش ونحن نتكل اما على آبائنا أو أزواجنا فلا نعمل شيئا وهذا الاتكال معيب في نفسه فضلا عما تخلفه تقلبات الايام من تخطئته فلو تعلمت كل فتاة ولا سيما من لا رزق لها كيف تكسب عيشها شريفة مستقلة لما رأينا البائسات تموج بهن الطرقات والبيضات بعد سابغ عز وسابق نعمة ينتظرن احسان الاخ أو أحد الاقارب وقد تكون امرأته سيئة الخلق فيملان عشرتها أو يكون لهن من الاولاد ماينوء بتربيتهم ذلك الاخ أو القريب ، والمرأة الغربية تعتني بكل شيء حتى التافه ونحن بما ركب في طبعنا من المسالمة نميل الى الاهمال والكسل ، وأراها أسلم منها قلبا وأقل خداعا بالطبع ولعدم الاختلاط بالرجال أيضا فانها لتجوالها في الخارج تعلم كيف ترضي هذا وذاك لتظهر فاتنة جذابة والحاجة تعلمها الاحتيال على العيش فهي تطلبه بكل الوسائل الممكنة ، وهي أنشط ولا شك منا وأثبت على العمل الا اننا أكثر قناعة وأرضى بالقليل

بقية العادات - للخرافات سلطان كبير على المرأة الغربية وان كان بعضنا يظن انها معصومة من الخطأ فنحن وهي سيان في التفاؤل والتشاؤم وتصديق العرافات والمنجمين والمشعوذين والاعتقاد بحلول العفاريت والخوف من الظلمة ، وعندنا الزار وهو أبو الخرافات ومفسد البيوت وهي لاتعتقد به وان كانت تصاب بأعراضه العصبية ، فلماذا اختارتنا العفاريت مسكنا لها؟ واذا فرضنا المستحيل وصدقنا القائلين بتقمص الارواح فلماذا لاتلجأ الينا روح أرسطو وابن رشد وابي العلاء وغيرهم من الفلاسفة والمصلحين؟ أم قضي علينا حتى في الكذب والترهات ان نكون دائما متأخرات فلا يلبسنا الا (الشيخة رمانة وسفينة ويوسف مدلم) وغيرهم ممن لا يطلبون الا الخلاخيل والمصوغات والسيوف المذهبة؟ الا اننا لم نبرع في حيلة ما الا هذه تخاف المرأة أن تطلب ملابس وحليا فيرفض زوجها الطلب فتعمد الى ادعاء العفاريت والجن لتهديده ، أعرف كثيرات ادعين (الزار) فرفض طلبهن وبعضهن ضربن لأجله فلم يعدن اليه ، فياليت شعري اذا كانت العفاريت جبناء الى هذا الحد فلماذا لا يستعمل الرجال العصي وهي كثيرة وان كنت لا أوافق على ضرب الرجل المرأة بحال من

الاحوال وانما هي تصر ان العفريت هو الذي يتكلم بلسانها و يشعر باعضائها وانما أعارته ظاهرها ولا أعلم الى أين ذهبت هي واذن فليضرب العفريت فهو الذي يتألم ولا يصيبها شيء كما تزعم في غير الضرب! ولعل المتحضرات الحديثات يدعين قريبا ان الملائكة تقمصت بأجسامهن لأنهن أحكم تصرفا وأحسن اختيارا. وأظن عفاريت الارض نفدت بكثرة الطلبات فليصرفن همهن الى السماء كما صرفه مخترعو الطيارات لما ضاقت بهم فجاج الارض. وحينئذ يأمن من ركوب الضأن والابل فيمتطين المخترعات الحديثة وان كانت لاتزال خطرة فلاتيهن علينا البارونة دي لاروش بما نبغ عندنا مثلها كثيرات وان كان باعثهن (مودة الزار) لا العلم.

لا أعلم عند الافرنجية عادة تساوي الزار في القبح الا محاضرة الرجال في الرقص وما يتبع تلك العادة من التهتك والتصنع والميل عن جادة الصواب وما ينشأ عن حريتها المطلقة بلا قيد ولا وازع من الضرر البليغ والاخلال بالشرف ، وادهى من ذلك ان ينتشر بينهن مذهب حرية الاعتقاد (Libre Penseur) وهو مذهب من لا يصدق بالله ولا باليوم الآخر فيزعمن أنهن يجتنبن الرذائل بمحض ارادتهن وتربيتهن ولكن هل اذا منعت الفضيلة امرأة عن اتيان مالا يرضي فهل يصح ان تطبق هذه النظرية على كل امرأة ؟ ألم يكن الايمان بالله وترقب ثوابه وعقابه مانعين لكثير من الناس عن الانتحار والكفر ؟ الاساء ما يحكمون

ان النفس امارة بالسوء وقد تقدم على كثير من الموبقات لولا الضمير الحي وهو ثمرة الوازع الديني افلا يعقلون؟ وارانا لا نتمسك شديدا بديننا الحنيف وهي بدعة وعدوى اتتنا من الغرب فهلا تفكرنا قليلا فيما ينفعنا وما يضرنا قبل الاقدام على التقليد أو كلما رأينا انسانا يفعل شيئا حاكيناه وان كان في ذلك هلاكنا وخسارة ديننا ودنيانا معا !؟

المآتم - بينا الافرنجية ورجالنا أيضا يجتهدون في التلهي والتعزي عن المصيبة نجدنا بالعكس: نعقد الاجتماعات لنبكي ونستأجر المعددات لتزيد نار الاسى في قلوبنا وماذا يجدي الحزن وهو لا يرد ميتا ولا يعيد مفقودا ؟ قال ابو العلاء

غير مجد في ملتي واعتقادي   نوح باك ولا ترنم شاد

وان من لوازم الاسلام ان يصبر المرء عند المات ويترك مافات لما هو آت والعاقل من يصرف همه اذ لاغبطة في العيش مع البؤس وان العمر الا أيام تنقضي فلماذا لانجعلها سعيدة بقدر ما نستطيع ؟

المسرات ـ واننا في جلب المسرات لمقصرات نحو انفسنا ومن هم في ذمتنا من الاهل والاولاد وحبذا لو اتبعنا طريقة المرأة الغربية في ذلك فانها تعقد الاجتماعات وتوالي السمر وتدعو اعضاء الاسرة الواحدة واصدقاءها لتناول الشاي أو الطعام أو التنزه معا فيتجاذبون اطراف الحديث ويبدي كل منهم رأياً او حكاية لاتخلو من فائدة أو فكاهة ويتعاطون لعبات مختلفة لتنشيط اذهانهم وابدانهم ويتبادل المجتمعون الدعوة كل بدوره فيتراءى أعضاء الاسرة الواحدة وأصدقاؤها كل يوم تقريبا فيتفون همهم ويأنس بعضهم ببعض فيظلون في وئام ووفاق

الخدم ـ المرأة المصرية لاتقدر نفسها قدرها وطالما رأيت سيدة تضاحك الخادمات وتكاشفهن بأسرارها فلايتأخرن عن اذاعتها في البيوت الاخرى وهذا من الخطل في الرأي • يجب ان يعامل الخدم بالرأفة ولكن لاتتعدى تلك الرأفة حدودها • ألم تستغربن مرة من أن خدمنا لا يشتغلون عندنا نصف ما يشتغلون في البيوت الافرنجية ومع ذلك نراهم هناك انشط وأهدأ خلقا مما اذا كانوا في بيوتنا • السبب بين وهو ان المرأة الافرنجية تحفظ هيبتها فيخشاها الخدم وهي لا تخالطهم الا عند الامر والنهي ولا تحط من شأنها بمسامرتهم ومضاحكتهم وتفرض عليهم شغلهم وتريه لهم أول مرة ثم تتركهم وشأنهم فيعرفون واجباتهم •

٥ ــ الدور الخامس دور الامومة

هذا الدور مرتبط بدور الطفولية ارتباطا تاما حتى يكاد يندمج أحدهما في الآخر وعليه فكل ماقلته هناك أقوله هنا

النتيجة

والنتيجة ان المرأة الغربية سبقتنا بمراحل في العلم والعمل مع اننا لا نقل عنها ذكاء وكل ما لا يستحيل طبعا فهو ممكن بالمعالجة واتخاذ الجد مطية اليه مهماصعب

الطريق واستعصى فاذا تدرعنا بثبات العزم وقوة الارادة فاننا نصل الى ما وصلت اليه من نور العلم ورفعة المقام ولا يثبطنا قول القائلين « ان الشرق شرق والغرب غرب » فان التاريخ أعدل حكم وهو حافل بذكر الشرقيات اللاتي نلن من بعد الصيت ووفرة العلم منالا كبيرا ايام كانت الغربيات لا ذكر لهن فاقرأن تواريخ نساء العرب في الشرق والغرب تجدن نادر الذكاء وجزل الشعر ومتين الاسلوب وما يشهد لهن بعلو الكعب في العلم والعمل

ان الضعيف اذا لم يرزق قوة التمييز خيل اليه ان كل ما يأتيه القوي حسن . ذلك مثلنا امام المرأة الغربية فهل تردن أن نثبت للملأ خمولنا وخلونا من التمييز أم تردن أن نعمل على حفظ قوميتنا وتقوية روح الاستقلال فينا وفي الاجيال القادمة من أولادنا ؟ اذا أردنا أن نكون أمة بالمعنى الصحيح تحتم علينا ان لا نقتبس من المدنية الاوروبية الا الضروري النافع بعد تمصيره حتى يكون ملائما لعاداتنا وطبيعة بلادنا . نقتبس منها العلم والنشاط والثبات وحب العمل ، نقتبس منها أساليب التعليم والتربية وما يرقينا حتى نبدل من ضعفنا قوة وانما لا يجوز في عرف الشرف والاستقلال ان نندمج في الغرب ونلاشي ما بقي لنا من القوة الضعيفة امام قوته المكتسبة الهائلة

وفي الختام لا يسعني أيتها السيدات الا ان اشكر لكن حسن اصغائكن وتأييدكن اياي بالحضور وآمل ان نسمع ونعي ولا اخالكن الا عازمات على ترك جمودنا القديم وعلى العمل معا لرفع شأننا وشأن هذا الوطن والله أسأل أن يوفقنا ويهدينا سواء السبيل

العمران العربي (*

﴿ وصف دار الخلافة أو القصر الحسني ﴾

« حين وفد رسول ملك الروم على الخليفة »

حدثني ابو الحسين هلال بن المحسن قال كانت دار الخلافة التي على شاطيء دجلة تحت نهر مُعَلّى قديمًا للحسن بن سهل ويسمى (١) القصر الحسني فلما توفي صارت لبوران بنته فاستنزلها المعتضد بالله عنها فاستنظرته أيامًا في تفريغها وتسليمها ثم رمّتها وعمّرتها وجصّصتها وبيّضتها وفرشتها بأجلّ الفرش وأحسنه وعلّقت اصناف الستور على أبوابها وملأت خزائنها بكل ما يخدم الخلفاء به ورتّبت فيها من الخدم والجواري ما تدعو الحاجة اليه · فلما فرغت من ذلك انتقلت وراسلته بالانتقال، فانتقل المعتضد الى الدار ووجدها استكثره واستحسنه ثم استضاف المعتضد بالله الى الدار مما جاورها كل ما وسّعها به وكبّرها وعمل عليها سورًا جمعها به وحصّنها وقام المكتفي بالله بعده ببناء التاج على دجلة وعمل وراءه من القباب والمجالس ما تناهى في توسعته وتعليته، ووافى المقتدر بالله فزاد في ذلك وأوفى مما انشأه واستحدثه وكان الميدان والثريا وحير (٢) الوحوش متصلا بالدار (٣) كذا ذكر لي

---

*) ننشر تحت هذا العنوان آثارات من التأريخ تذكيرًا لخلف بسؤدد السلف، ورجاء ان يبعث التذكير على العمل. واننا نبدأ بوصف القصر الحسني نقلا عن نسخة خطية من تأريخ مدينة السلام للخطيب موجودة في مكتبة مصطفى باشا الكوبرلي بالقسطنطينية مقابلين ذلك على نسخة G. Salmon المطبوعة بباريس سنة ١٩٠٤ وهي التي اخذها عن نسخة خطية في مكتبة لندره مشيرين الى اختلاف النسختين في الهوامش ومفسرين بعض الكلمات الغريبة

(١) وسمي (٢) وحير. والحير هو البستان ولكن الحير هنا لا معنى لها (٣) في نسخة سالمون بعد كلمة بالدار « قال الشيخ الحافظ »

هلال بن المحسن أن بوران سلمت الدار الى المعتضد وذلك غير صحيح لأن بوران لم تعش الى وقت المعتضد وذكر محمد بن احمد بن مهدي الاسكافي في تأريخه انها ماتت في سنة احدى وسبعين ومئتين وقد بلغت ثمانين سنة ويشبه أن تكون سلمت الدار الى المعتمد على الله والله اعلم .

حدثني القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال حدثني أبو الفتح احمد بن علي بن هرون المنجم قال حدثني ابي قال قال ابو القاسم علي بن محمد الجوّاري (١) في بعض أيام المقتدر بالله وقد جرى حديثه وعظم أمره وكثرة الخدم في داره قد اشتملت الجريدة الى هذا الوقت على احد عشر ألف خادم خصي وكذا من صقلبي ورومي واسود وقال هذا جنس واحد ممن تضمه (٢) الدار فدع الآن الغلمان الحجرية وهم الوف كثيرة والحواشي من الفحول . وقال أيضا حدثني أبو الفتح عن ابيه وعمه عن أبيهما ابي القاسم علي بن يحيى أنه كانت عدة كل نوبة من نوب الفراشين في دار المتوكل على الله أربعة آلاف فراش، قالا فذهب علينا أن نسأله كم نوبة (٣) كانوا . حدثني هلال بن المحسن قال حدثني ابو نصر خواشاذة خازن عضد الدولة قال طفت دار الخلافة عامرها وخرابها وحرمها (٤) وما يجاورها ويتاخمها فكان ذلك مثل مدينة شيراز . قال هلال وسمعت هذا القول من جماعة آخرين عارفين خبيرين،

ولقد ورد رسول لصاحب الروم في أيام المقتدر بالله ففرشت الدار بالفروش الجميلة وزينت بالآلات الجليلة ورتب الحجاب وخلفاؤهم والحواشي على طبقاتهم على أبوابها ودهاليزها وممراتها ومخترقاتها وصحونها ومجالسها ووقف (٥) الجند صفين بالثياب الحسنة وتحتهم الدواب بمراكب الذهب والفضة وبين ايديهم الجنائب على مثل هذه الصورة وقد اظهروا العدد الكثير (٦) والاسلحة المختلفة فكانوا من أعلى باب الشماسية الى قريب من دار الخلافة وبعدهم الغلمان الحجرية والخدم الخواص الدارية والبرانية الى حضرة الخليفة بالبزة الرائقة والسيوف

(١) الخوارزمي (٢) تضمنه (٣) نوب (٤) وحريمها (٥) ووقفت (٦) الكثيرة

والمناطق الحلاة واسواق الجانب الشرقي وشوارعه وسطوحه ومسالكه مملوءة بالعامة النظّار (١) وقد اُكتري كل دكان وغرفة مشرفة بدراهم كثيرة وفي دجلة الشذاءات والطيارات والذباذب والزلالات والسمريات (٢) بأفضل زينة وأحسن ترتيب وتعبئة وسار الرسول ومن معه من المواكب الى ان وصلوا الى الدار ودخل الرسول فمر به (٣) على دار نصر القشوري الحاجب ورأى صفقا (٤) كثيرا ومنظرا عظيما فظن أنه الخليفة وتداخلت له هيبة وروعة حتى قيل له انه الحاجب وحمل من بعد ذلك الى الدار التي كانت برسم الوزير وفيها مجلس ابي الحسن علي بن محمد (٥) الفرات يومئذ فرأى اكثر مما رآه النصر الحاجب ولم يشك في انه الخليفة حتى قيل له هذا الوزير وأجلس بين دجلة والبساتين في مجلس قد علقت ستوره واختيرت فروشه ونصبت فيه الدسوت وأحاط به الخدم بالاعمدة والسيوف ثم استدعي بعد ان طيف به في الدار الى حضرة المقتدر بالله وقد جلس وأولاده من جانبيه فشاهد من الأمر ما هاله ثم انصرف الى دار قد اعدت له

حدثني (٦) الوزير أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن المُسْلِمَة قال حدثني أمير المؤمنين القائم بأمر الله قال حدثني امير المؤمنين القادر بالله قال حدثتني جدتي ام ابي اسحاق بن المقتدر بالله أن رسول ملك الروم لما وصل الى تكريت أمر امير المؤمنين المقتدر بالله باحتباسه هناك شهرين ولما وصل الى بغداد نزل (٧) دار صاعد ومكث شهرين لا يؤذن له في الوصول حتى فرغ المقتدر بالله من تزيين قصره وترتيب آلته ثم صف العسكر من دار صاعد الى دار الخلافة وكان عدد الجيش مئة وستين ألف فارس وراجل، فسار الرسول بينهم الى أن بلغ الدار، ثم أدخل في أزج (٨) تحت الارض فسار فيه حتى قبل بين يدي المقتدر بالله وأدى رسالة صاحبه ثم رسم أن يطاف به في كل الدار وليس فيها من العسكر أحد ألبتة وانما فيها

(١) النظارة. والنظارة هم القوم ينظرون الى الشيء واما النظار فلا معنى لها هنا (٢) كل هذه ضروب من الزوارق والسفن (٣) بمرته (٤) صمنا والصقف ما يلبس تحت الدروع واما الصفق فلا يتضح لها معنى هنا (٥) بن (٦) وحدثني (٧) انزل (٨) في كتب اللغة انه بيت مستطيل وهو اخص من النفق ويسمى بالفرنسية Tunnel

الخدم والحجاب والغلمان السودان وكان عدد الخدم اذ ذاك سبعة آلاف خادم منهم أربعة آلاف بيض وثلاثة آلاف سود وعدد الحجاب سبع مئة حاجب وعدد الغلمان السودان غير الخدم أربعة آلاف غلام قد جعلوا على سطوح الدار والعلالي وفتحت الخزائن والآلات فيها مرتبة كما يفعل بخزائن العرائس وقد علقت الستور ونظم جوهر الخلافة في قلابات (١) على درج غشيت بالديباج الاسود .

مطلب دار الشجرة

ولما دخل الرسول الى دار الشجرة ورآها كثر تعجبه فيها (٢) وكانت شجرة من الفضة وزنها خمس مئة الف درهم عليها اطيار مصوغة من الفضة تصفر بحركات قد جعلت لها فكان تعجب الرسول من ذلك اكثر من تعجبه من جميع ماشاهده . قال لي هلال بن المحسن (٣) ووجدت من شرح ذلك ماذكر كاتبه أنه نقله من خط القاضي ابي الحسين بن أم شيبان الهاشمي وذكر أبو الحسين انه نقله من خط الامير وأحسبه الامير ابا محمد الحسن بن عيسى ابن المقتدر بالله قال كان عدد ما علق في قصور أمير المؤمنين المقتدر بالله من الستور الديباج المذهبة بالطرور (٤) المذهبة الجليلة المصورة بالجامات والفيلة والخيل والجمال والسباع والطرور (٥) والستور الكبار البصنائية (٦) والارمنية والواسطية والبهنسية السواذج والمنقوشة والدبيقية المطرزة ثمانية وثلاثين ألف ستر منها الستور الديباج المذهبة المقدم وصفها اثنى عشر ألفا وخمس مئة ستر وعدد البسط والنخاخ (٧) الجهرمية والدارابجردية والدورقية في الممرات والصحون التي وطيء عليها القواد ورسل صاحب الروم من حد باب العامة الحديد (٨) الى حضرة المقتدر بالله سوى ما في المقاصير والمجالس من الانماط الطبري والدبيقي التي لحقها النظر (٩) دون الدوس اثنان وعشرون ألف قطعة وادخل رسل صاحب الروم من دهليز باب العامة الاعظم الى الدار المعروفة بخان الخيل وهي دار اكثرها اروقة بأساطين

(١) قلابات وليس لكلتيهما معنى ظاهر (٢) منها (٣) الكاتب (٤) بالطرز
(٥) والطيور، وهذا الصحيح ولا معنى للطرر هنا (٦) البصنائية « نسبة الى قرية صنعية بالاهواز » (٧) الصواب الانخاخ وهي البسط (٨) الجديد (٩) تحتها النظر

رخام وكان فيها من الجانب الايمن خمس مئة فرس عليها خمس مئة مركب ذهبا وفضة بغير أغشية ومن الجانب الايسر خمس مئة فرس عليها الجلال الديباج بالبراقع الطوال وكل فرس في يد شاكري بالبزة الجميلة ثم ادخلوا من هذه الدار الى الممرات والدهاليز المتصلة بحير الوحش وكان في هذه الدار من أصناف الوحش التي أخرجنا اليها من الحير قطعان تقرب من الناس وتشممهم (١) وتأكل من ايديهم ثم أخرجوا الى دار فيها اربعة فيلة مزينة بالديباج والوشي على كل فيل ثمانية نفر من السند والزواقين بالنار فهال الرسل امرها ثم اخرجوا الى دار فيها مئة سبع: خمسون يمنة وخمسون يسرة كل سبع منها في يد سباع وفي رؤوسها وأعناقها السلاسل والحديد ٠

ثم اخرجوا الى الجوسق المحدث وهي دار بين بساتين (٢) في وسطها بركة رصاص قلعي حواليها نهر رصاص قلعي احسن من الفضة المجلوة ، طول البركة ثلاثون ذراعا في عشرين ذراعا ٠ فيها اربعة طيارات لطاف بمجالس (٣) مذهبة مزينة بالديبقي المطرز وأغشيتها ديبقي مذهب وحوالي هذه البركة بستان بميادين فيه نخل قيل ان عدده اربع مئة نخلة وطول كل واحدة خمس أذرع قد لبس جميعها ساجا منقوشا من اصلها الى حد الجُمَّارة (٤) بحلق من شبة مذهبة وجميع النخل حامل بغرائب البسر الذي اكثره خلال لم يتغير ، وفي جوانب البستان اترج حامل ودستنبو (٥) ومقفم وغير ذلك ثم اخرجوا من هذه الدار الى دار الشجرة وفيها شجرة في وسط بركة كبيرة مدورة فيها ماء صاف والشجرة ثمانية عشر غصنا لكل غصن منها ساحات كثيرة عليها الطيور والعصافير من كل نوع مذهبة ومفضضة واكثر قضبان الشجرة فضة و بعضها مذهب وهي تتمايل في اوقات ولها ورق مختلف الالوان يتحرك كما تحرك الريح ورق الشجر وكل من هذه الطيور يصفر ويهدر وفي جانب الدار يمنة البركة تماثيل خمسة عشر فارسا على خمسة عشر فارسا قد ألبسوا الديباج

---

(١) وتتشممهم (٢) بستانين (٣) كذا : بمجالس ، ساقطة (٤) الجمارة شحمة النخلة (٥) نوع من الفاكهة والكلمة فارسية

وغيره وفي أيديهم مطارد على رماح يدورون على خط واحد في التاورد خببا وتقريبا (١) وفي الجانب الايسر مثل ذلك ،

ثم ادخلوا الى القصر المعروف بالفردوس فكان فيه من الفرش والآلات ما لا يحصى ولا يحصر كثرة ، وفي دهاليز الفردوس عشرة آلاف جوشن (٢) مذهبة معلقة ثم اخرجوا منه الى ممر طوله ثلاث مئة ذراع قد علق من جانبيه نحو عشرة آلاف درقة وخوذة و بيضة ودرع وزردية وجعبة محلاة وقسي ، وقد أقيم نحو الفي خادم بيضا وسودا (٣) صفين يمنة ويسرة ثم اخرجوا بعد ان طيف بهم ثلاثة وعشرين قصرا الى الصحن التسعيني وفيه الغلمان الحجرية بالسلاح الكامل والبزة الحسنة والهيئة الرائعة وفي ايديهم الشروخ والطبرزينات (٤) والاعمدة ثم مروا بصفاف من عليه السواد من خلفاء الحجاب والجند والرجالة واصاغر (٥) القواد ودخلوا دار السلام وكانت عدة كثير من الخدم الصقالبة (٦) في سائر القصور يسقون الناس الماء المبرد بالثلج والاشربة والفقاع ومنهم من كان يطوف مع الرسل فلطول المشي بهم ما (٧) جلسوا واستراحوا في سبعة مواضع واستسقوا الماء فسقوا

وكان أبو عمر عدي بن احمد بن عبد الباقي الطرسوسي صاحب السلطان ورئيس الثغور الشامية معهم في كل ذلك وعليه قباء اسود وسيف ومنطقة ووصلوا الى المقتدر بالله وهو جالس في التاج مما يلي دجلة بعد ان لبس بالثياب الدبيقية المطرزة بالذهب على سرير آبنوس قد فرش بالدبيقي المطرز بالذهب وعلى رأسه الطويل ومن يمنة السرير تسعة عقود مثل السبح معلقة ومن يسرته تسعة (٨) اخرى من افخر الجواهر واعظمها قيمة غالبة الضوء على ضوء النهار و بين يديه خمسة من ولده ثلاثة يمنة واثنان يسرة ومثل الرسول وترجمانه بين يدي المقتدر

---

(١) في نسخة سالمون بدلا : في التاورد خببا وتقريبا « هذه الجملة » فيظن ان كل واحد الى صاحبه قاصد » (٢) الجوشن هو الدرع (٣) في نسخة : بيض وسود واختار سالمون النصب (٤) الشروخ هي النصول . والطبرزينات واحدها طبرزين فأس من السلاح ويسمى ايضاً طبراً كما في بلاد الشام (٥) واصاغر (٦) والصقالبة (٧) حرف « ما » ساقط وهو الصواب (٨) سبعة

بالله فكفر له وقال الرسول لمؤنس الخادم ونصر القشوري وكانا يترجمان عن المقتدر لولا اني لا آمن ان يطالب صاحبكم بتقبيل البساط لقبلته ولكنني فلت مالا يطالب رسولكم بمثله لأن التكفير من رسم شريعتنا ووقفا ساعة وكانا شابا وشيخا فالشاب الرسول المقدم والشيخ الترجمان وقد كان ملك الروم عقد الامر في الرسالة للشيخ متى حدث بالشاب حدث الموت، وناوله المقتدر بالله من يده جواب ملك الروم وكان ضخما كبيرا فتناوله وقبله اعظاما له واخرجا من باب الخاصة الى دجلة واقعدا وسائر أصحابهما في شذا من الشذاوات الخاصة وصاعدا الى حيث انزلا فيه من الدار المعروفة بصاعد وحمل اليهما خمسون بدرة ورقا في كل بدرة خمسة آلاف درهم وخلع على ابي عمر عدي الخلع السلطانية وحمل على فرس وركب على الظهر وكان ذلك في سنة خمس وثلاث مئة

تقريظ المطبوعات الجديدة

« تدبير صحة الحامل والنفساء والطفل أثناء العامين الاولين »

الفه بالفرنسية الدكتور ادم الاخصائي بفن الولادة وامراض النساء وترجمه بالعربية الدكتور فرا . صفحاته ٢٢٧ وعدد رسومه ٧٤ وقد طبع بمطبعة المعارف بمصر ويباع بمكتبة المعارف ومكتبة المنار بعشرة قروش صحيحة

من افضل محاسن المدنية الحديثة توزيع العلوم والاعمال وهو مايصح أن يطلق عليه في اللغة العربية الاخصاء فان المرء اذا انقطع لممارسة فن واحد من فنون العلم برع في ذلك الفن وأحصى وأمكنه أن ينفع وينتفع، وما كانت الاختراعات والاكتشافات في الماضي والحاضر الاّ بنت الاخصاء ، وان الارتقاء العظيم الذي وصل اليه الطب بفروعه ولا سيما فن الجراحة لم يكن لولا الاخصاء فهو سبب كبير من اسباب عظمة مدنية هذا العصر ، وما من أحد ينكر أن الطب هو ملاك العلوم العملية وتاج

مفرقها ناهيك بعلم تتوقف عليه حياة الجسوم التي بحياتها تكون حياة الأرواح ، ومن ذا الذي ينكر مقاومة الطب للأمراض الوافدة كالجدري والهيضة (الكوليرا) والطاعون وغيرها كالسل ونحوه ؟ حتى أصبحت مدينة القاهرة مرتاحة من ذينك المرضين الفاتكين اللذين كانا ينتابانها ناوبةوهما الهيضة والطاعون، مع أن القاهرة ليس فيها من العناية بالوسائل الصحية عشر معشار ما في باريس وغيرها من مدائن أوربا وأمريكا تلك البلاد التي بلغ من الاحتياطات الصحية فيها أنه أصبح من المحظور على الناس أن يلفظوا بصاقهم على الارض حذرا من جراثيم مرض قتال فيه يستنشقها العاقل السليم !!

ألا بارك الله في هذا العصر وبنيه العاملين النافعين فان تكاليف الحياة بفضلهم اصبحت خفيفة الحمل على من كانوا مثقلين بها ، وان من انبل اعمالهم وانفعها هذه الكتب التي ينشرونها هديا للناس وارشادا ، وامامي الآن كتاب من أجل تلك الكتب وانفعها لقومي وهو كتاب تدبير صحة الحامل والنفساء والطفل

هذا الكتاب يجب ان يدخل كل دار من دورنا بل كل بيت وكل كوخ إن أمكن ليكون قيد نظر كل امرأة تحمل وتلد ، ليكون لها مرشدا يهديها الى الطريقة المثلى في تدبير معيشتها ، والعناية بصحتها وصحة جنينها وطفلها ، فتسلم من ويلات الحمل والنفاس الكثيرة ، وتقي طفلها مصارع الادواء الوبيلة ، وتربيه على الاصول الصحية ومن ليست بقارئة أفهمها زوجها ما يجب عليها فالخطب سهل والأمر يسير غير عسير والكتاب سهل العبارة حسن الطبع

* * *

﴿ ديوان الرصافي ﴾

نظمه معروف افندي الرصافي الشاعر البغدادي الشهير ، وعني بترتيبه وتبويبه والوقوف على طبعه الشيخ محي الدين الخياط ، وعني بتفسير الفاظه الشيخ مصطفى الغلاييني منشيء مجلة النبراس صفحاته ٢٢٥ وعدد قصائده وقطعه ٩١ طبع بالمطبعة الاهلية ببيروت ويباع بمكتبة المنار بتسعة قروش صحيحة واجرة البريد قرش

معروف افندي الرصافي شاعر سليقي مطبوع ، قدير على التبسط في مناحي

الكلام وأساليب النظم ، ولو ان حظه من الصنعة ، وازى حظه من القدرة ، لقل في هذا العصر مضارعوه ، وقد امتزجت في شعره تطرية الحضارة بمسحة البداوة فكثر التفاوت في شعره، وليس التفاوت مما يزري بالشاعر فاننا لم نعرف شاعراً من الماضين او الحاضرين لاتفاوت في شعره

والرصافي طريقة خاصة به في النظم وهي ابداع الغرض في قصة محكية اوحكاية مروية وقد تفرد في هذا النمط من النظم حتى اصبح شعره فيه لا يطاول اسلوبا ونحيً، ومن جيد شعره في ذلك قصيدته « ام اليتيم » و « ابو دلامة والمستقبل » قال في الاولى يصف شقاء ام اليتيم (ص ١٠٨)

كأن نجوم الليل عند ارتجافها ... تشير الى ذاك الأنين المجمجم
فما خفقان القلب الا اجلها ... وما الشهب الا ادمع النجم ترتمي
لقد تركتني موجع القلب ساهرا ... اخا مدمع جار ورأس مهوَّم
ارى فحمة الظلماء عند انينها ... فأعجب منها كيف لم تتضرم

وقال في الثانية يستنكر الحروب (ص ١٤٦)

قضت المطامع ان نطيل جدالا ... وأبين الأ باطلاً ومحالا
في كل يوم للمطامع ثورة ... باسم السياسة تستجيش قتالا
ماضرَّ من ساسوا البلاد لو انهم ... كانوا على طلب الوفاق عيالا
أمن السياسة ان يقتل بعضنا ... بعضا ليدرك غيرنا الآمالا
لادرَّ درُّ اولي السياسة انهم ... قتلوا الرجال وبتموا الاطفال
غرسوا المطامع واغتدوا يسقونها ... بدم هريق على الثرى سيالا
نثروا الدماء على البطاح شقائقا ... وتوهموها الروضة المحلالا

والموضوعات التي في ديوان الرصافي كلها شريفة تتناول جميع شئون الاجتماع والعمران ، ومن أحسن قصائده موضوعا ، وانبلها مقصدا ، واصفاها ديباجة ، واحكمها اسلوبا تائيته الشهيرة التي عنوانها التربية والامهات (راجع ص ١٣٣ م ١٢ من المنار) وبائيته التي انتصر فيها لمذهب اهل السنة في كون طلاق الغضبان لا يقع ، وعنوانها المطلقة (راجع ص ١٢٨ من هذا المجلد) وغير ذلك من القصائد النافعة التي كان بها شعر

الرصافي ممتازا جديرا بأن يعد من وسائل النهضة في البلاد العربية

وقد جعل الديوان صديقنا الشيخ محيي الدين الخياط اربعة أقسام: الكونيات الاجتماعيات ، التاريخيات ، الوصفيات ، وقد أحسن في الترتيب والتبويب وكتب له مقدمة وصف فيها الشعر بكلام شعري ، ثم قسم الشعراء الى أطوار ، ووازن بين الرصافي وشعراء عصره ، فكانت آراؤه آراء البصير بالفن ، القدير في الشعر

ولقد آلمنا أننا عثرنا على أغلاط مطبعية كنا نتمنى ان لاتقع في هذا الديوان النفيس ، ويا ليت صديقنا منشيء النبراس أتم تفسير جميع المفردات الغريبة في الديوان

* * *

﴿ ديوان المصري ﴾

ناظمه عبد الحليم حلمي افندي المصري . عدد صفحاته ١٣٥ بالقطع الصغير وعدد قصائده ٧٨ وبضع قطع . طبع بمطبعة النظام بمصر ويباع بعشرة قروش صحيحة بالمكتبات الشهيرة

نظم عبد الحليم حلمي افندي المصري الشعر بالأمس وهو تلميذ حزور فكنا نقرأ له الابيات فنستحسن شعره ونحمد اسلوبه ، متأملين أن نرى منه في المستقبل شاعرا مجيدا ، وأصدر اليوم الجزء الاول من ديوانه وهو شارخ طرير ، فكان به معدودا من شعراء العصر المشهورين ، ولا اعرف شاوخا قبله في عصرنا بلغ مبلغه من الشعر ، ولئن كانت ديباجة شعره اليوم لم يتم صفاؤها وكان سبكه غير محكم الرصانة فان قلق خاطر الشباب شفيع له بذلك

ولقد اعجبت من أخلاق هذا الشاعر أنه لم يصب بداء الشعراء « الغرور والعنجهية » فقد كتب فقرة مختصرة شعرية الاسلوب جعلها مقدمة لديوانه تدل على ذلك قال فيها « الى تالة الشعر وقراء العربية من مشارق الارض الى مغاربها ازف شباب شعري وشعر شبابي بقدر ماتزودت من الادب ، ونشرت من برود العرب ، حتى اذا امتد حبل العمر ، واشتد أزر الشعر ، كان الفرق بين شعر الطفولة وشعر الكهولة مرآة للناظرين ، ودرسا للمبتدئين » وأعجبني منه انه لم يقلد غيره من الذين يكتبون مقدمات لدواوينهم يعرّفون بها الشعر ويتصنعون في ذلك ويتمحلون ، حتى جعلوا

الشعر بتعريفاتهم من النظريات التي لاشأن للاذواق فيها ، ومن يتوهم انه بوصفه الشعر يزيد من عرفه روحه بصيرة فيه ، او يقربه من أرواح جاهليه ، فهو لايعرف من الشعر الا أنه قانون صناعي نظري ! ! ! على أن المصري قد نشر لغيره مقدمة من نوع تلك المقدمات الموصوفة !

ومن جيد شعر المصري قصيدته النونية التي عنوانها «خلع عبد الحميد» (ص ٦٣) وقصيدته التي عنوانها «السنة الهجرية» (ص ٤٩) الا انه لم يحسن التخلص في هذه من موضوع الى موضوع ، وهذا من عيوب الشعر . قال من قصيدته الاولى مخاطباً عبد الحميد :

شاهدت حولك اسواراً تفيض دماً　　كأنما قد بناها بالدم الباني
مدججات اذا قيل القتال سعت　　مقرونة السير بنياناً لبنيان
تظلها ساريات فطرها عجب　　من انسر وشواهين وعقبان
لم تبسم الناس في (تموز) من جذل　　الا وقد عبسوا في شهر (نيسان)
نبا بك الملك واستعصت قيادته　　عليك فانزل فانت الراقد الهاني

ولم أر قولاً ابلغ في وصف سفّاح من قوله «اسوار تفيض دماً» ولو أن في المنار متسعاً لنشرت لهذا الشاعر مختارات كثيرة ، وعسى ان يتجنب المدح في شعره ولا سيما مدح الملوك والامراء ، فان العصور التي ظلم فيها الشعر بالاماديح قد طواها الدهر

* * *

﴿ ديوان الاثر ﴾

ناظمه رشيد افندي معوبم اللبناني . عدد صفحاته ١٢٠ بالقطع الوسط طبع بمطبعة الهلال بمصر

عرف رشيد افندي معوبم من مشهوري شعراء لبنان بشغفه الزائد في قرض الشعر ، وهيامه في شعابه وفجاجه ، وتحليقه في اجوائه وفضائه ، حتى اصبح صبًّا به مغرماً ، ومن عرف أن الشاعر لا يزال في مقتبل العمر وريعان الشباب ، وهو مع ذلك قد اصدر من شعره اربعة اجزاء ضرب فيها بكل سهم ، وطرق كل موضوع استيقن ان الشاعر انما احرز شهرته وهو بها جدير

وقد أهدى الينا ديوان (الآثر) الذي اصدره في هذه الآونة فألفيناه حافلا بالقصائد والمراثي والاماديح والغزل والنسيب والتشبيب والحنين الى مصر اذ كان مفارقاً لها ، ناهيك بشعر يخاطب قائله اسماعيل باشا صبري حكيم الشعراء بهذين البيتين كما روت جريدة الاهرام

قل يارشيد الشعر أفديك قل يا شاعر المشرق والمغرب
شعرك هذا كله طيب اجدت فيه يا أبا الطيب

ومن جيد شعره قصيدته (ص ٦٣) التي يقول منها

وكم لغات تريد الناس تحفظها حتى يكون لهم باب ليكتسبوا
وهل سوى لغة الأعراب تؤنسنا وهل لآذاننا من غيرها طرب
والله حين جرت في مسمعي نعشت روحي واشجت كعود فوقه ضربوا
ياطول شوقي لوادي النيل اسمعها فيه ويا حر شوقي حين يلتهب
وطول شوقي لسوريا متى صدحت فيها ومالت سروراً تحتها القضب

والديوان كله على هذا النسق

الجامعة المصرية

اصدرت الجامعة المصرية تقريرها السنوي الثاني وقد المت فيه بخلاصة اعمالها واحوالها وذكر نفقاتها وحركة العلم فيها ، وفي كل ما ذكر دليل بين على تقدمها وارتقائها زادها الله تقدماً وارتقاء

ومما جاء في هذا التقرير ان ريع الجامعة بلغ في السنة الماضية ٧٦٦٥ جنيهاً ونفقتها ٩٠٠٠ جنيه فسد العجز من المال المقتصد سنة ٩٠٨ وهو ٢٣٠٠ جنيه ، وان الهبات المالية التي تبرع بها أهل الاريحية والسخاء بلغت ٢٧٠٠ جنيه ، وان عدد طلابها كان الى منتصف فبراير الماضي ٤٠٣ ما بين ذكران وأناث الى غير ذلك من الدلائل على توقلها في مراتب النجاح ، ولكنها لا تزال في حاجة كبرى الى بذر الاموال ليتسنى لها مضارعة الجامعات الكبرى في أوربا وأمريكا ، وليس بكثير على أهل الثراء في هذه البلاد ان يقيموا لابنائهم جامعة تغنيهم عن انتياب الجامعات في البلاد الاخرى

لاسيما وان اقالمهم واضرابهم في تلك البلاد قد قام أفراد منهم بتأسيس كثير من الجامعات !

وقد اصدرت الجامعة ايضا تقريرا عن مكتبتها ومحتوياتها والهدايا التي أهديت اليها وهو مطبوع باللغة الفرنسية . كتب الله النجاح والفلاح لهذه الجامعة ولطلابها

رسالة في ادب اللغة وملكة الذوق

رسالة لابراهيم افندي نسيم الكاتب الاول لمشيخة الجامع الاحمدي ألقاها محاضرة في نادي موظفي الحكومة بالاسكندرية وقد ألم فيها بأصل التدوين وتاريخه وحكى الاقوال في أصل الخطوط ووضع العلوم وفند مزاعم القائلين بأن التدوين في الاسلام لم يكن الا في القرنين الثاني والثالث قال في ذلك : « اما ان العلوم الاسلامية لم تدون الا في القرنين الثاني والثالث للهجرة فمردود بما ثبت من شيوع الكتابة بين الصحابة وما كان من اتخاذ النبي (ص) لزيد بن ثابت ومعاوية وغيرهما يكتبون مايمليه عليهم من رسائل الدعوة الى معاصريه من الملوك » والرسالة جيدة الطبع ذات ٤٨ صفحة بالقطع الصغير حاوية لكثير من الفوائد الادبية والتأريخية وثمنها مع أجرة البريد ١٥ مليما وتطلب من مكتبة المنار

مقدمة السبرمان

كراسة تقع في ٢٩ صفحة بالقطع الصغير تأليف «سلامه موسى» وكلمة السبرمان (Ueber mensch) المانية معناها الانسان الاسمى وضعها الفيلسوف نيتش الالماني وأرادبها أنه لابد من ايجاد انسان آخر أعلى همة وأرقى شأنا من الانسان الحاضر ، ويرى هذا الفيلسوف ان الذرائع التي تمكن من ايجاد السبرمان انما تكون بمحو الضعفاء وتنمية قوة الاقوياء لأن الضعيف في رأيه لا يستحق الحياة !! وقد رأينا مؤلف هذه الرسالة يتحمس لآراء نيتش وبليك وشوبنهور وغيرهم من ارباب الفلسفة الشاذة التي روحها وملاكها حمل الناس على التفلت من جميع القيود الدينية والادبية وتقوية الحياة الحيوانية فيهم بحيث يكونون متسلطين جبابرة أقوياء ، بدل ان يكونوا عادلين مهذبين رحماء !! وكان لقل

هذا المؤلف الجديد أن يريد أهل الشرق على التمسك بتلك المبادىء الشاذة لو أنه رأى لها أثرا قائما بتلك البلاد التي نبت فيها أولئك الفلاسفة أنفسهم

يظهر كل يوم في بلاد الفرنجة كثيرون بأفكار جديدة منها المفيد ومنها السخيف ولكن الناس هنالك على بصيرة وعقل فهم يتناولون كل نافع وينبذون كل ضار غالباً، ولكن هذا لايمنع ان يكون لكل ناعق متبعون، ولكل قائل مصدقون، فان الشذوذ واختلاف المناحي كان ولا يزال دأب البشر، ولكن المتفرنجين منا يريدون تعميم مايرون لهم في كل بقعة من بلاد الشرق، ناصبين أنفسهم من انفسهم منصب المصلحين النافعين، وانما هم من المقلدين المساكين، الذين لم تقو عقولهم على تمييز الغث من السمين. ولقائل أن يقول لو أن فلسفة نيتش كان معمولاً بها قبل ان يكتبها فماذا كان يكون حظه منها وهو لم يكن الا جالس بيته يفكر في نظرياته وخيالاته، ولم يكن من أولئك الجبابرة العتاة، الذين لا يستحق غيرهم في نظره الحياة! بل لنفرض ان تلك الشريعة الوحشية غفلت عنه ولكنها أبادت من حوله من الضعفاء الذين يهيئون له طعامه وشرابه، وينظفون له مأواه وثيابه، فماذا كان يكون شأنه؟؟

يجب ان لانسير وراء خواطر نفوسنا، وجواذب شعورنا، بل ان نحكم العقل والروية في كل شيء، وهذا مانتصح به لمؤلف هذه الرسالة!

درس روح الاسلام

كراسة باللغة الفرنسية وضعها الدكتور احمد الشريف من خيرة شبان تونس المستنيرين ردا على مزاعم افتحارية لرجل من جهلة الفرنسيس اسمه موسيو بواجه (M. Boigey) كتبها في احدى المجلات الفرنسية بعنوان (بحث اجتماعي في الاسلام - او - درس روح الاسلام) وقد جاء فيها بسخافات دلت على مبلغ جهله وعوته، وشدة تعصبه وفرط بلادته، وماذا عسى أن يقال في بواجه الذي زعم في بحثه هذا أن الاسلام او نبي الاسلام (ص) الذي يسميه هذا المتأدب بالآداب المسيحية بجمّال مكة يقول في القرآن « إن الذي يركب البحر مرتين لا يكون مؤمنا » !!! ولست أدري من أي قرآن اتى هذا المجهول بهذه الآية؟ لعلها من وحي التعصب الذي يلتهب بين ضلوعه

وغريب ان يتصدى مثل هذا الرجل للكتابة عن الاسلام وهو على هذه الحال من الجهل وقصر النظر ، ولكن التعصب يسوق الى اقتحام كل لجة ، وتوقل كل ربوة ، وأغرب من ذلك ان تحفل المجلات بمثل وساوس بواجه ومفترياته ، الا اذا كان اصحابها موافقين له في آرائه ومروياته .

المصون المنيعة

حمل الينا بريد سورية رسالة بهذا الاسم لم يكتب عليها اسم مؤلفها ! وقد نظرنا نظرة اجمالية في هذه الرسالة فاذا جدل بتمحل ، ومراء ظاهر ، وخطأ في الاستدلال ، وانه ليؤلمنا أن يمنى المسلمون بمثل كاتب هذه الرسالة المتعصب الى رأي بعينه ، والتحيز الى فئة دون فئة ، مما يجعل مثارا للخلاف والتنازع بين المسلمين ، وقد أشار منشيء المنار الى هذه الرسالة وكاتبها فيما كتبه تعليقا على رسالة البحرين في باب البدع والخرافات من هذا الجزء

سر كلومبير

قصة مترجمة بالعربية بقلم الدكتور محمد افندي عبدالحميد حكيم اسبتالية قليوب . لم يسمح لنا الوقت بقراءة شيء منها ولكن مانعهده في مترجمها من الاعتدال في الرأي وتوخي النفع يرجح لنا ان قصته التي اختار ترجمتها حاوية للفائدة والفكاهة

الروايات الجديدة

اصدر نقولا افندي رزق الله مدير ادارة جريدتي الاهرام والبيراميد مجلة قصصية بهذا الاسم ، وجعل قيمة اشتراكها ٦٠ قرشا في مصر والسودان و ٢٢ فرنكا في الخارج ويصدر منها في السنة ٢٠ جزءا . جاءنا الجزء الاول منها واسمه لويس السابع عشر فاذا هو كتاب يقع في ٢٢٤ صفحة بالقطع الصغير جيد الورق والطبع وله ملحق يحتوي على قصة مختصرة ونبذة شعرية ونثرية ونحن وان كنا لم نتمكن من قراءة هذا الجزء فاننا نعرف من صاحب هذه المجلة كاتبا بارعا في الترجمة ، حسن الاختيار للقصص المفيدة ، وعسى ان يكون هذا الجزء منها

اللطائف الاهلية

مجلة قصصية اهدانا نشرها صديقنا محمد افندي جمال صاحب المكتبة الاهلية

بيروت اجزاء منها منعنا ضيق الوقت من النظر فيها وقد جعل قيمة اشتراكها ريالا في بيروت وستة فرنكات في الخارج ، وهي قيمة زهيدة جدا لا سيما وصفحات الجزء زهاء مئة ، فعسى ان يتوفر ناشرها على نشر المفيد النافع

عدل القضاء

قصة ذات ٤٧ صفحة بالقطع الصغير تأليف محمد افندي حافظ وتباع بمحل الشيخ احمد علي المليجي الكتبي بجهة الازهر

الهيئة والاسلام

جاءنا فهرس طويل لكتاب بهذا الاسم لمؤلفه « السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني » من علماء النجف . وسنبدي رأينا في الكتاب بعد صدوره

الزهور

« مجلة ادبية فنية علمية » لصاحبها ومديرها انطون افندي الجميل المحرر بجريدة الاهرام . جاءنا منها جزءان تصفحناهما فألفيناهما حافلين بالمقالات الادبية ، والطرائف الشعرية ، عبقي الشذى ، رشيقي الاسلوب بيني المنحى

ومن مقاصد صاحب هذه المجلة جعلها صلة بين ادباء الاقطار العربية ، واننا نتمنى ان يوفق الى ما انتدب له وان كان تحقيقه عسيرا فيما نرى ، وقد رأينا صاحب الزهور اكثر من الوعود التي لا مطمع في انجازها ومن ذلك نشره اسماء اثنين وثلاثين كاتبا وشاعرا واعدا بأنهم سيكتبون فيها ونرجح انهم ليسوا بفاعلين !

ولا يضير الزهور ان يكون اسمها لم يرد في اللغة فان شيوع استعماله قد جعله مقبولا ، وقيمة اشتراكها ٤٠ قرشا صحيحا في مصر و ١٥ فرنكا في الخارج فنرحب بها ونرجو لها الرواج

جامعة المنقول والمعقول

« مجلة تحتوي على تمام ما بني عليه الاسلام ، وكمال ما يتقوى به اللسان والاقلام في اثني عشر علما عربية مفصلا مميزة عن بعضها » هذا ما كتب تحت اسم هذه المجلة الغريبة في موضوعها ثم ذكر صاحبها « كمال الدين العراقي » بيان تلك العلوم

في ابيات من الشعر وهي العلوم المتداولة في الازهر . جاءنا الجزء الاول منها منذ اربعة أشهر ولعل صاحبها لم يصدر سواه وخير له ان يفعل اذا لم يكن فعل

البيان

لاتزال هذه المجلة العربية الوحيدة في البلاد الهندية تصدر حافلة بالفوائد والبحث النافع بهمة صاحبيها الشيخ عبدالله العمادي والسيد سليمان وهي الآن في سنتها الثامنة وقيمة اشتراكها ١٢ شلنا وعنوانها (Lakno- India) فنرجو ان يكون الاقبال عليها عظيما

الحضارة

« جريدة عربية يومية سياسية فنية أدبية » اصدرها في الآستانة صديقنا السيد عبد الحميد افندي الزهراوي مبعوث حماه المعروف عند قراء المنار بمقالاته الفلسفية ومباحثه الاجتماعية ، وشاكر افندي الحنبلي قائمقام القنيطرة قبلا . وان جريدة يتولى تحريرها السيد الزهراوي صاحب القلب الجرئ في الذود عن الحق ، والقلم الصريح في تبيين واجبات الحاكمين وحقوق المحكومين لهم لجديرة بأن يقتنيها كل من يهمه شأن الدولة وحال الأمة

وقد كتب لها مدير سياستها السيد الزهراوي مقدمة فلسفية بليغة سهلة ألم فيها بحاجات البلاد وما يجب للتقريب بين العناصر والسعي لجعلها غير كثيرة التفاوت في الارتقاء وقال في خاتمتها مبينا منهاج الجريدة :

« انا ندعو الى اقامة ميزان العدل في هذه الحكومة ، ونقاوم مانراه حيفا أو نصرا للحيف بقدر ماتساعدنا عليه القوانين ، وندعو الى بث روح التعارف والتعاطف بين الشعوب العثمانية ، ونزيدهم من الاخبار والافكار كل ماهو نافع في اعتقادنا ، ونقاوم روح كل شقاق وتفرقة من أي جهة هب ، وفي أي بلاد دب ، وندعو الى كل مايقوي هذه الدولة ومن ذلك تقوية عواطف الشعوب المسلمة نحوها معتقدين أن تقوية هذه العواطف تنفع العثماني اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا كيف كانت نحلته مسلما كان أو غير مسلم »

وقيمة اشتراكها ستون قرشا في البلاد العثمانية وعشرون فرنكا في الخارج

وعنوانها (الاستانة : ادارة جريدة الحضارة في جادة نور عثمانية عدد ٣٧) فنحث قراء المنار على الاشتراك فيها

مرشد الامة

« جريدة علمية سياسية قضائية تجارية تصدر يوم الجمعة من كل اسبوع - مدير الجريدة ومحررها المسئول سليمان الجادودي » وهي تصدر في مدينة تونس. جاءتنا اعداد من هذه الجريدة فاستحسنا مسلكها ، وحمدنا منهاجها ، وسررنا بغيرتها وقيمة اشتراكها ١٢ فرنكا في الخارج فعسى ان يكون الاقبال عليها عظيما

الانتقاد

«جريدة عربية تركية سياسية هزلية فكاهية » صدرت في الاستانة لصاحب امتيازها ومحررها « عبد الرزاق » ومديرها ومحررها العربي « محمود بك زكي » وقيمة اشتراكها ٢٥ فرنكا في الخارج

الاخاء

نشرة صغيرة يصدرها جبران افندي مسوح في كل اسبوع مرة بحماه ، ويظهر أن صاحب الجريدة عازم على جعل جريدته مسرحا لخطراته ، وميدانا لقيد شوارد افكاره ؛ وقيمة اشتراكها ريال ونصف

الوطن

قرظنا في (ص٩٥٣ م ١٢) من المنار جريدة الاصلاح التي تصدر في سنغافوره وابدينا سرورنا بها والآن يسوءنا جدا ان نذكر خبر صدور هذه الجريدة (الوطن) المكتوبة باقلام المراء والجدل ، والمملوءة بالتعريض الذي لا يلتئم مع الدين والادب ، فننصح لكتاب هذه الجريدة ان لا يسترسلوا لهوى النفس ، وان لا ينبذوا حكم العقل ، والسلام على أهل الانصاف والسلام

حسين وصفي رضا

البدع والخرافات والتقاليد والعادات عند الشيعة

« رسالة من البحرين »

بسم الله الرحمن الرحيم

أستاذنا ووالدنا حضرة فيلسوف الاسلام جعلني الله فداك ، ورزقني برك واقاك فينا الطوف في البلاد وانظر ما حل بالمسلمين من عالم سوء يضلهم بالبدع والخرافات ، أو متفرنج يقول انبذوا الدين فليس الا ترهات ، اسائل عن منار الاسلام كل غاد ورائح ، كأني أم الحوار على فصيلها تحن ، أو الهيام على ندى الماء تئن ، فلم أجد لها أثرا في مشرق خليج فارس وجزائره حتى عرجت على مغربه ونزلت البحرين فوجدت ضالتي فو الذي فلق الحبة اني لأشد فرحا به من الغواص حين يجد الدر ، تشرفت بقراءة الجزء الاول فاتحة السنة الحادية عشرة حتى وقفت على كلمة عن العراق وأهله لعالم غيور (ص ٤٥)

ولما كنت جبت العراق وعرفت أهله سنيهم وشيعيهم ، حاضرهم و باديهم ، أحببت اني أطلع والدي على شيء عرفته منهم حتى يعلم الوالد جعلني الله فداه انما عده الكاتب بلاء نازلا من مذهب الشيعة ووعاظهم هو كما ذكر الكاتب حفظه الله بلاء نازل وصاعقة محرقة ليس على مذهب السنة فقط بل على مذهب الشيعة نفسه ، وانا اذكر ما يبثه الوعاظ في أهل القرى والا كواخ وما يعلمونهم من تقرير علمائهم جالا وتأليفاتهم

حتى يعلم فيلسوف الاسلام ان الوعاظ لايعلمونهم الفرائض وأحكام الحلال والحرام أو مسألة الخلافة التي هي عند أهل السنة من فروع الدين وعند الشيعة من أصوله ثم اذكر اعتقادات الشيعة في القرن الرابع نقلا من كتبهم المؤلفة في ذلك العصر لعل أحد قراء المنار من علماء الشيعة يقف على هذا الفصل فيتنبه ويسعى في اصلاح ملته وان كان من المظنون انه لايوجد في إيران والعراق من علماء الشيعة من له الملم بالاصلاح الديني

* * *

سبب اجتماع علماء العجم في النجف وكربلاء

كان محل ومأوى علماء الشيعة في أواخر سلطنة بني العباس الحلة في العراق وفيها يتخرج مجتهدوهم ثم ينتشرون في بلاد العجم إما للدعوة أو لالتماس دولة تأويهم وتنصرهم ، لالرفع التقيد عنهم فقط بل لحصد أهل السنة ، يدلك على ذلك حين قدم هلاكو خان الى قوهستين قاصدا بغداد وفد عليه يوسف الحلي والد ابن المطهر الشهير عندهم بالعلامة . وكربلاء اذ ذاك قرية صغيرة والنجف لا يبلغ سكنته عدد الاصابع وانما هو عبارة عن رباط يسكنه الزوار أو يلجأ اليه الدراويش والزهاد كما فعل الطوسي ، والغالب في بلاد ايران ذلك الوقت مذهب اهل السنة الا مدينة قم وكاشان وبعض بلاد طبرستان فانها كانت تسكنها الشيعة

ظهرت دولة الصفوية في القرن التاسع وابادت السنيين من إيران الا بقايا منهم بعيدين عن مقر السلطنة مثل كوهستان جيلان المسماة بطالش وفيها من السنيين حالا زهاء ١٥ ألف نسمة ، وبر فارس وبنادره مثل لنجه وبندر عباس فيها من السنيين ٥٠ الف نسمة وأيالة كردستان الايرانية اجمع ومقر حكومتها (سنندج) وأهلها كلهم سنيون وكذا بلوجستان الايرانية أهلها كلهم سنيون ، و بادية جرجان من التركمان كلهم سنيون . فمكان علماء الشيعة من سائر الاقطار ينتقلون الى مقر السلطنة اصفهان وفيها تتخرج مجتهدوهم كما فعل بهاء الدين العاملي والكركي واضرابهم وقد تقام الصفوية بالاحتفاء والترحيب فشيدوا لهم المدارس العظيمة والمساجد الفخمة وآثارهم

باقية الى الآن مع ان اكثرها قد خربه ظل السلطان نجل ناصر الدين شاه حين كان واليا على اصفهان، حدثني بعض علمائهم انه كان يوجد في اصفهان في ذلك العصر اربع مئة مدرسة

لعل القاريء اذا رأى قولي مقر السلطنة اصفهان يظن اني جاهل بتأريخ الصفوية لا يعلم من أن أوائل دولة الصفوية كان مقر سلطنتهم قزوين فانهم حين اقامتهم في قزوين كانوا لا همَّ لهم الا الفتح او بناء التكايا ليتخرج فيها الدراويش ويبقونهم في البلاد لمدح علي واولاده، وسب . . . .

ضعفت الدولة الصفوية فاستولى عليها العلماء بحيث لم يكن يقدر احدهم ان يتصرف في شي بدون اجازة العلماء فقلَّ وثوق عامة الايرانيين بعلمائهم لما عهدوا من العلماء الأول من التقشف والزهد ورأوا من هولاء الترف والبذخ واستدرار الدراهم والدنانير بأي وجه كان، فمن ذلك الحين شرع طلابهم بالمهاجرة الى كربلاء لا للتحصيل ثم الرجوع كما يفعل علماؤهم حالا بل لتحصيل الدرس والمجاورة هنالك ومن روساتهم الاردبيلي

قدم الافغان وفعلوا مافعلوا، ثم ظهر نادر شاه ونفى العلماء والطلاب وتصرف في الاوقاف اجمع فهاجروا الى كربلاء فصار بجمع كبير له شهرة عند أهل إيران في ذلك الوقت ورئيسهم الآغا البهبهاني الشهير في أوائل سلطة القاجار ثم انتقل الى النجف ثم الى سر من رأى (سامرّا) في اوائل هذا القرن ثم عاد الى النجف فكان هؤلاء يكتبون لهم الرسائل التقليدية ويبعثون تلاميذهم بها الى ايران لرواجها والشيعة يبعثون الى علمائهم ومقلديهم الدراهم بقصد الخمس والزكاة وشيء يسمونه رد المظالم وما هو رد المظالم؟ اذا ذهب حاكم مثلا الى ولاية ومص دم أهلها ثم عزل واراد ان يذهب لزيارة احد ائمتهم او الى مكة اعطى المجتهد جزءا من ألف جزء وطهر له ماله!! وقد شاهدت علاء الدولة في كرمان شاه بقومسين اهدى لابن الحاج ميرزا حسين خليل مايبلغ ألف ريال مجيدي فأحل له ماملك وهو يملك اربعة ملايين من الفرنكات وأمثال ذلك كثير

فاذا وصلت هذه الدنانير الى المجتهد فلا بد من تفريق بعضها على طلبته والمتخرجين عليه حتى اذا ذهبوا الى ايران روجوا رسالته

قد قلت ان عامة اهل ايران قل وثوقهم بعلماء ايران اجمع فانحصر تقليدهم في علماء العراق وكانت الرسائل تخرج اليهم منه فكان علماء العجم بعد تحصيلهم العلوم العقلية يذهبون اليه أفواجا اما للمجاورة او لطلب الرزق او للاقامة مدة ثم الرجوع الى ايران بالاجازة (٭ وهو يتعهد بترويج رسالة الشيخ وايصال الحقوق اليه ، والشيخ يتعهد بالكتابة الى الشاه والحكام في التوصية به ، وهؤلاء الذين تخرجوا في العراق واختاروا الرجوع الى ايران لا هم لهم الا معارضة الدولة وأخذ الرشى من الحكام والولاة او تكفيرهم وشكواهم على مجتهدي العراق ولما لم يكن للناس اعتقاد فيهم لما يرونه من أفعالهم فهم لا يبالون بجمع الدنيا من أي وجه أتت ، وهذا الشيخ تقي الاصفهاني هو واخوته وانجاله تبلغ غلتهم في كل يوم عشرة آلاف فرنك او مايقرب منه وطالما أهل ايران اذا ذهبوا الى العراق لزيارة مشهدي علي والحسين وأولادهم ، ورأوا من علماء هذه البلاد الانزواء وعدم التردد الا لصلاة الجماعة والزيارة والدرس واذا خرجوا من بيوتهم متلثمين جاعلا واحدهم عباءته على رأسه وسبحته في يده وقد شاهدوا من علماء ايران ركوب العربات واتخاذ الحدائق والجنات وكثرة التزوج حتى أن أحدهم ليبلغ زواجه حد المئة من النساء - ازدادوا محبة لهم ورغبوا في حمل الدراهم اليهم وحسبوا أفعالهم من الزهد والتدين ولم يعلموا المساكين ان هؤلاء مثل أولئك الا أن عادات وأخلاق أهل البلاد تختلف ولو انتقل علماء العراق الى ايران لفعلوا كما شاهدنا

وقد شاهدت علماء العراق يمشون خدام قبر علي واولاده الى خان قين لاستقبال الزوار من العجم والترك والالقاء اليهم بان فلانا هو الاعلم الاتقى ، وبالجملة فاظن الكاتب حفظه الله لم يخالط الشيعة في العراق ولم يباشرهم فظن أن هذا المجمع العلمي يُرسل منه رسلاً للدعوة ، أو رأى ان اكثر قرى العراق شيعة فظن أنه من فضل

٭) كأنه انغرس في اذهان دهماء ايران انه لايمكن الاجتهاد الا بعد شرب ماء الفرات

علمائهم وانهم يرسلون الدعاة حالا ولو قال من سنين خلت لأمكن تسليمه مع أن التأريخ يأبى ذلك فانه قبل ارغام الرعية عبدالحميد على المساواة لم يتمكن الشيعة من بناء المساجد والنداء فيها بولاية علي، بعلم ذلك كل عراقي دع ارسال دعاة منهم الى البادية، وأظن أن الفضل في ذلك عائد الى الصفوية ومن في زمنهم من العلماء كالاردبيلي ، وهجمات دولة الصفوية على العراق وقتلهم علماء أهل السنة والزام العامة بالتشيع او القتل معروف مشهور، لذلك فانك لاتجد من أهل بادية العراق أعني بادية غربي الفرات من فيه رائحة التشيع اللهم الا قليلا من العرب لايبلغ عدد فرسانهم المئتين يدعون بالخزاعل واناسا من الشطين يدعون بشمر الجرباء ، واريد بقولي بادية اهل العراق أهل الخف والحافر الذين لهم قدرة على النجعة ولهذا سلموا من ضغط الصفوية والزامهم لهم بالتشيع

تأتي منحدرا من الشام على ضفاف الفرات قاصدا العراق فترى عرب عنزة كالجراد المنتشر الى اواسط العراق ثم ترى شمر على افخاذهم عبده فسنجاره حتى تنتهي الى نصف الفرات الآخر فترى عرب المنتفك وعرب الظفر الى قرب البصرة، ثم تنحدر فترى مطير الدوشان فحريب دار، ثم تنحدر من الكويت فترى العجمان المناصير آل مرة بني هاجر وعربا لايحصيهم الاخالقهم. فهذه القبائل من العرب الذين عدد تهم معاملتهم مع أهل النجف وكربلاء فزبالاء سوق الشيوخ والسماوة الحبيسة فبغداد منحدرا الى البصرة ثم الزبير والكويت فالحساء والقطيف وقطر وليس يوجد فيهم شيعي ولا قدرة له على اظهار مذهبه عندهم مع ان اكثر بيعهم وشرائهم مع الشيعة واكثر اهل البلاد التي يقتاتون منها شيعة ولاسيما العراق

وقد قلت الوعاظ ولم أقل الدعاة لان هؤلاء لايذهبون للدعوة وليسوا اهلا لذلك لانهم لايعرفون معنى دينهم فضلا عن ان يدعوا اليه ولم يذهبوا الى بادية السنة ابدا اللهم الا للبيع والشراء كما ذكرت ، وعند ذكر الوعاظ لابأس بالاشارة الى شيء من ذكر عزاء الحسين عند الشيعة

مستند الشيعة على استحباب اقامة عزاء الحسين خبر يروونه عن دعبل الشاعر انه وفد على علي بن موسى فصادف وفوده ايام المحرم فقال له علي اتلُ

علينا من مراثيك لجدنا واحضر نساءه وراء الستر . . . ولا يوجد في كتب الشيعة المروية عن أئمتهم مايدل على اقامة العزاء المعروف عندهم وفي كتب متأخريهم بل لم يذكروا عن علمائهم الاقدمين شيئا من ذلك حتى في زمن آل بويه زمن حريتهم ولا يوجد لهم تأليف في ذلك سوى مصادر عربية موضوعة يعلم من تصفحها ذلك ، وأول من الف في ذلك ملاحسين الكاشفي الف كتابا سماه روضة المحبين بالفارسية والعربية في القرن التاسع فكان ملا العجمي يقرأ منه فصلا فيبكي الحاضرون ولا يعرف انهم يقرؤنه بعد الصلاة أوفي سائر السنة مثل الشيعة حالا اللهم الا في سابع المحرم الى العاشر والعجم يسمون قراء عزاء الحسين «روضه خان» ومعناه قارىء الروضة وشيعة العراق يدعونه قارئا نسبة الى الكتاب المعروف

و يظهر ان عزاء الحسين المعروف حالا عند الشيعة لم يكن يعرف قبل الصفوية اللهم الا جلسات خفيفة ، فدولة الصفوية رتبت الجلوس في العشر المحرم كلها كما احدثت دولة آل بويه قبلهم والديالمة الجلوس في اليوم العاشر ، والشيعة حالا زادوا في الطنبور نغمة المحرم صفر جمادى الاولى رمضان لا يبعد ان يقال ثلث السنة اسواقهم مغلقة ، و بيوتهم بالشمع محرقة ، لا يبين السواد واظنه حدث في أواخر ايام دولة الصفوية على زمن عالمهم المجلسي

ذكرت قبلاً ان اهل الخف والحافر من بادية العراق لا يوجد فيهم رائحة التشيع ، ثم إن الشاويه والبقارة أهل بيوت القصب والاكواخ الذين لاقدرة لهم على النجعة كلهم شيعيون الا القليل . يذهب الى هؤلاء القارىء اوالواعظ او الروضه خان لطلب الرزق لا للدعوة كما يظن الكاتب ثم يجمعهم و ينصب منبرا أو يعلو فوقه وذلك في ايام المحرم وصفر و يعلمهم معالم دينهم الحالي وهو ذكر فضل أهل البيت عليهم السلام وأن الدنيا خلقت لاجلهم وان كربلاء افضل من مكة وأن زيارة الحسين افضل من الحج وان القرآن الذي في ايدينا ليس بالقرآن الذي انزل على محمد وانما امرنا بقراءة هذا تعبدا والا فقرآننا عند صاحب الزمان اذا ظهر يخرج به و يحرق هذا !!! ثم يعلمونهم هذا الرجز المشهور عند الشيعة بـ (ناد علي)

ناد عليا مظهر العجائب تجده عونا لك في النوائب

ويذكرون لهم في فضل هذه الاستغاثة احاديث عن أهل البيت حاشاهم عن ذلك، وانها تدفع الهم والغم وتجلب الرزق، ووعاظ العجم يقولون على المنابر « ناد علي بدرنماز (١) ثم يعلمونهم قذف الصحابة والبراءة منهم وانهم ارتدوا إلا أربعة وانهم ضربوا فاطمة حتى اسقطت حملا يدعى بمحسن وان موتهامن ضرب الصحابة برأهم الله مما قالوا وأن ام كلثوم التي تزوجها الخليفة عمر ليست بنت علي وانما هي بنت من الجن وشيء يتعب القراء ويضحك العجائز !!! ثم يعرجون على قتل الحسين وانهم ذهبوا بنسائه حاسرات وان من بكى على الحسين لاتصيبه النار ابدا ولو فعل مافعل وان من دفن عند الحسين يحشر معه ولهذا ترى هؤلاء المساكين ينقلون موتاهم من مسيرة ايام متنة والعجم ينقلون موتاهم من مسيرة ٤٠٠ فرسخ ويذكرون لهم في ذلك كله اخبارا اغلبها منقول من كتاب قيس ابن سليم الهلالي!!! (٢)

وأما الصلاة وأحكام الدين فلا أثر لها عند هؤلاء المساكين اصلا، نعم الشرك بالله والغلو في أهل البيت فانك لو حلفت لاحدهم بالله الف مرة لم يرض واذا حلفت بالعباس بن علي ارتعدت فرائصه بعد الرضى والتسليم ! ولعل القارئ يحملني في كلامي على المغالاة فان شاء فليذهب أو ليسأل عما يفعل عند قبر الحسين في يوم عرفة فانه لايسمع الا: ارزقني احلني اغنني!! أو ليطلب كتاب تحفة الزائر أو زاد المعاد (٣) وهما تأليف عالمهم الشهير بالمجلسي فانه يرى العجب العجاب

أما أهل الخف والحافر ففيهم من الاخلاق الحسنة مايطرب العرب والعربية مثل الاخلاص لله بالتوحيد وصدق اللهجة والامانة والعفاف وكرم النفس والاخلاق الحسنة، أما الصلاة والصوم فلا يجبرون عليهما احداً كما يفعل في بادية نجد ولكنهم اذا نزلوا خطوا مسجدا عند بيت الشيخ ، والشيخ لابد ان يكون عنده كاتب له من

---

(١) بدرنماز : ابو الصلاة كما تقول العرب لاصل الشيء أمه فالعجم تنسبه الى الاب

(٢) كتاب قيس يزعمون انه الف في القرن الاول وان قيسا صاحب الكتاب صحب خمسة أو ستة من أئمتهم ، والمتقدمون من علماء الشيعة يقولون انه موضوع لاأصل له ، والمتأخرون منهم يقولون بصحته، ومن أراد ذلك فلينظر الى كتب رجالهم مثل كتب ميرزا محمد وغيرها المطبوعة في طهران وتبريز

(٣) كلا الكتابين طبعا في طهران وتبريز واصفهان وبمبي

اهل الحاضرة يقرىء اولاده القرآن ويعلمهم الكتابة ويقيم صلاة الجماعة ويجري عقود الزواج ، واهل البادية يسمونه الخطيب ويسمونه في بادية اهل نجد مطوّع او بالفتح واظن الفضل في ذلك كله عليهم لاهل جزيرة العرب

اعتقاد الفرقة الامامية في القرن الرابع نقلا من كتب علماء ذلك العصر (*)

قال الشيخ محمد بن بابويه القمي الشهير عندهم بالصدوق صاحب كتاب (من لايحضره الفقيه) في رسالته المطبوعة في طهران «باب الاعتقاد في القرآن: إنه كلام الله ووحيه وتنزيله وقوله وكتابه وإنه لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليم ، وانه القصص الحق وما هو بالهزل ، وان الله تبارك وتعالى محدثه ومنزله وربه وحافظه والمتكلم به « باب الاعتقاد في مبلغ القرآن: اعتقادنا ان القرآن الذي انزل على محمد (ص) هو مابين الدفتين وهو بأيدي الناس ليس بأكثر من ذلك ومبلغ سوره عند الناس مئة وأربعة عشر سورة ، وعندنا الضحى والم نشرح سورة واحدة ، والم تر ولإيلاف سورة واحدة ، ومن نسب الينا انا نقول اكثر من ذلك فهو كاذب — الى ان قال : باب الاعتقاد في نفي الغلو والتفويض — اعتقادنا في الغلاة والمفوضة انهم كفار بالله جل اسمه وانهم شر من اليهود والنصارى والمجوس والقدرية والحرورية ومن جميع اهل البدع والاهواء المضلة وانه ما صغر الله جل جلاله تصغيرهم بشيء كما قال تعالى (ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون « ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا من دون الله ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون) — الى ان قال :

وكان الرضا يقول في دعائه : اللهم اني أبرأ اليك من الحول والقوة ولا حول ولاقوة الابك ، اللهم اني أبرأ اليك من الذين قالوا فينا مالم نعلمه في انفسنا ، اللهم لك الخلق ومنك الامر وإياك نعبد وإياك نستعين ، اللهم لاتليق الربوبية الابك ولاتصلح الآلهية الا لك فالعن النصارى الذين صغروا عظمتك والعن المضاهين لقولهم من

(*) طبعت في طهران وتبريز

برئتك ، اللهم انا عبيدك وأبناء عبيدك لا نملك لانفسنا نفعا ولا موتا ولا حياتا ولا نشورا ، اللهم من زعم اننا الخلق وعلينا الرزق فنحن اليك منه برآء، رب لاتذر على الارض منهم ديارا ، انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولايلدوا الا فاجرا كفارا »

يقول الكاتب فياليت علي بن موسى الرضا صاحب هذا الكلام يخرج ويرى مايفعل عند قبره في طوس من الوثنية التي بعث جده (ص) لازالتها ، والعجب من علمائهم كيف انه لا يوجد كتاب من فقهم الاوفيه : لايجوز البناء على القبور والسرج عليها وتجديدها و بناء المساجد عليها . ثم لاترى منهم منكرا لذلك بل يعدونه من افضل القربات استدلالا بما قال الشيخ محمد حسن النجفي صاحب كتاب الجواهر المتوفى في أواسط القرن الثالث عشر على عدم جواز البناء على القبور عند ذكر صاحب المتن انه لايجوز

وقال أمير المؤمنين لبعض أصحابه الا أبعثك على مابعثني رسول الله (ص) في هدم القبور وكسر الصور ، وقال ايضا كل ماجعل على القبر من غير تراب القبر فهو ثقل على الميت ، وقال الكاظم لايصلح البناء على القبر . انتهى بعض ما استدل به صاحب الكتاب وفي كتاب محمد بن يعقوب الكليني عن سماعة قال سألت الصادق عن زيارة القبور و بناء المساجد عليها فقال اما زيارة القبور فلا بأس ولايبنى عليها مساجد قال النبي (ص) « لاتتخذوا قبري قبلة ولا مسجدا فان الله لعن اليهود حيث اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » واستدل صاحب الجواهر على انه لايجوز حمل الجنائز بقوله وفي دعائم الاسلام عن علي انه رفع اليه ان رجلا مات بالرستاق فحمل الى الكوفة فانهكهم عقوبة وقال ادفنوا الاجسام في مصارعها ، وفي السرائر انه بدعة في شريعة الاسلام ، والعجب من فقهائهم المتأخرين فانهم حين يذكرون في كتبهم عدم جواز البناء على القبور وايقاد السرج عليها يقولون وينبغي ان يستثنى من ذلك الائمة لان قبورهم من البيوت التي اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه !!
هذا هو دليلهم على عبادة القبور وجعلها اوثانا تعبد من دون الله

واخبار أهل البيت المروية في كتبهم يضربون بها عرض الحائط !!!

(المنار) يعلم القراء ان من مقاصدنا التأليف بين المسلمين المتفرقين في المذاهب والآراء بعضهم مع بعض وكذا بينهم وبين غيرهم من أهل الملل الذين يعيشون معهم ، وقد بينا هذا المقصد في فاتحة العدد الأول من السنة الاولى واستقمنا على ذلك الى هذا اليوم وسنستقيم عليه فيما بقي من عمرنا ان شاء الله تعالى . ومن رأينا في هذا التأليف أن يتفق المتعاونون عليه والساعون اليه على أن ينتقد كل منهم اهل الدين أو المذهب الذي ينتسب اليه فيما ينافي هذا التأليف دون المخالفين له إلا ان يضطر الى انتقاد المخالف اضطرارا فحينئذ ينتقد مع التلطف ، واتقاء ما يثير روا كد التعصب وقد صرحنا بهذا الرأي عند الكلام فيما شجر بين أهل بيروت من الخصام والصدام منذ بضع سنين

ومن سيرتنا العملية في ذلك أننا أكثرنا من انتقاد البدع والخرافات التي فشت بين المنتسبين الى السنة والمذاهب التي تعزى اليها ولا سيما بدع الموالد والقبور لاننا من أهل السنة وإن كنا لا نتعصب لمذهب من مذاهب أهلها بل ندعو الى الاجتماع على ما اتفقوا مع سائر المسلمين الذين يعتد بإسلامهم عليه، ونحكم فيما اختلفوا فيه كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عملا بقوله عز وجل « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » ولم انتقد بدع الشيعة التي يأتونها في يوم عاشوراء أو غيره من الايام بل كنت اجيب دعوة جمعيتهم بمصر كل سنة الى المأتم الذي يقيمونه في تكيتهم بالحزاوي لاجل التأليف ، وأعد هذا من إزالة الضرر الاشد وهو التفرق والنزاع بالضرر الاخف وهو حضور مجتمع نرى فيه البدع كالذين يأتون مضرجين بالدماء مما يضربون رؤوسهم بالسيوف . . .

ولما نشرت منذ سنتين رسالة ذلك العالم الغيور عن العراق لما فيها من التنديد بسوء ادارة الحكومة الحميدية التي كنا نحاربها قمت على الرسالة بايجاز بل ما فيها من سوء التأثير الذي يخشى ان يزيد في الخلاف فقلت ان نشر دعاة الشيعة مذهبهم بين أعراب العراق ينفع من الجهة الدينية اذا كانوا يعلمونهم الفرائض وأحكام الحلال والحرام وحصرت ضرره الذي خشيه الكاتب في الجهة السياسية لما ذكرت

آنفا من بيان مفاسد الحكومة الحميدية ، ولو كتب الينا أي كاتب من الشيعة انتقادا على تلك الرسالة لنشرناه في المنار كما هي عادتنا في نشر الانتقاد علينا به الانتقاد على مانشره لغيرنا ، ولكن بعض غلاة متعصبي الشيعة في الديار الشامية ألف رسالة في الرد على المنار لنشره تلك الرسالة وجعل معظم كلامه فيها البحث في مسألة المتعة التي لم يسبق لنا قول في المنار بحرمتها بل سبق لنا قول يشبه ان يكون ترجيحا لقول الشيعة فيها أودعناه (محاورات المصلح والمقلد) وأنكره علينا الناس وهو الذي أشرنا اليه في تفسير قوله تعالى « فما استمتعتم به منهن» الآية ومع هذا قام الشيخ المتعصب يشنع علينا بأننا انكرنا حل المتعة وخالفنا بذلك الكتاب والسنة والاجماع !! وطفق يحرف الآية ويفسرها بالهوى والرأي ويتحكم في الاحاديث لاثبات ذلك بالسفسطة كما هي عادة المقلدين المتعصبين . وقد كذب صاحب الرسالة العراقية فيما كتبه في مسألة نشر مذهب الشيعة بين الاعراب المنتسبين الى السنة ، وما يؤيد ذلك مما كنا نشرناه في المجلد الثاني نقلا عن بعض المختبرين ونصرح باسمه الآن فنقول هو سليمان افندي البستاني مبعوث بيروت الذي أقام في العراق عدة سنين وهو لا يتعصب لاهل السنة على الشيعة ولا للشيعة على اهل السنة لانه نصراني لا يفرق بين احدمنهم

اطلعنا بعض الاصدقاء على رسالة الشيعي المتعصب فقرأنا منها جملا متفرقة أحزنتنا لان وجود مثل مؤلفها بين المسلمين من أصعب العقبات في طريقنا الذي نسير فيه لتأليف بينهم . وتذكرنا رسالة وردت علينا من البحرين في الشيعة ونشر مذهبهم أرسلها سائح آخر مختبر عند ما قرأ رسالة ذلك العالم الغيور المختصرة فلم ننشرها بل لم نقرأها لأننا خشينا ان تكون مخالفة لمشربنا ثم رأينا الآن ان تنشر ليتبين الأمر على حقيقته في هذه المسألة مع الوعد بنشر مايمكن ان يرد من الرد عليها من الادباء المنصفين ، ومهما يكن من الأمر فاننا نطلب الاتحاد ونسعى اليه والله الموفق

باب الأخبار والآراء

رحلة القسطنطينية

٣

حال الآستانة العمرانية والاجتماعية

موقع هذه المدينة مشهور في جماله ومحاسنه الطبيعية ولو كانت هذه الدولة التي استولت عليها من عدة قرون دولة عمران ومدنية لجعلتها زينة الارض ومثابة الامم ، ولكان لأهلها من السائحين مورد من أغزر موارد الثروة ، ولكنك لا تجد فيها أثرا من آثار العمران القديم للسلاطين السابقين الذين دوّخوا الدول الا المساجد ، ولا شيئا يعتد به من آثار العمران الحديث الا المعسكرات من الثكنات والمدارس ، فصوفية عاصمة البلغار وأثينا عاصمة اليونان والقاهرة عاصمة مصر ، كل اولئك أرقى من عاصمة الدولة عمرانا ، فالآستانة موقع جميل ، ومعسكر كبير ، لا تغيب الجنود عن عينيك فيها دقيقة من الزمان ، فعسى الله ان يسخر لها الرجال الذين يعمرونها بعمران المملكة ، لا بالاستقراض من الاجانب بالربا الذي يجعلها تحت سيطرتهم ، وعرضة عند الحوادث لمداخلتهم ،

أما العمران المعنوي وهو العلم والادب فالملاحظ منه تفضل به مصر وسورية وهو ان التعليم فيها أعم وأشمل ، وتربية النساء اسمى وأنبل ، ذلك بان أموال المملكة كانت تجبي اليها حتى لا يبقى في كل ولاية الا الضروري الذي لا يمكن الاستغناء عنه مع إباحة الرشوة والسلب والنهب فكثرت فيها المدارس للذكور والإناث ، على أن

الآداب الاسلامية الموروثة لاتزال أقوى في بيوت هذه المدينة منها في بيوت مصر فلا ترى امرأة في نافذة ولا على سطح الا أن تكون مستورة البدن والرأس كما تكون في السوق ، ولا تسمع من البيوت ولا في الاسواق والشوارع صخبا ولا هجرا من القول كما تسمع في أسواق القاهرة وشوارعها ، ولا يتبرج فيها النساء كما يتبرجن بمصر الا في بعض المواسم كآصال أيام رمضان في جهة الشاهزاده ، والا في بعض الضواحي حيث يسرحن ويمرحن متنزهات مظهرات لزينتهن ، على أن الكثيرات منهن يسفرن عن وجوههن في الاسواق والشوارع ولكنهن مع ذلك يغضضن من أبصارهن كما أمر الله تعالى . واذا خرجن في الليل من دار الى دار يخرجن بالجبة اوالعباءة العربية المعروفة و بالقناع الأبيض وذلك يكون زيهن الغالب في المتنزهات . فجملة القول ان آدابهن حسنة في خروجهن الى حاجهن في الاسواق والشوارع و بيوتهن نظيفة مرتبة ولأولادهن حظ عظيم من النظافة والآداب . ويقول المختبرون من أهل البلد ومن الغرباء المقيمين فيه ان آداب غير المتعلمات أو المتعلمات على الطريقة القديمة منهن أعلى أخلاقا وأقوى عفة وابعد عن الريبة من المتعلمات على الطريقة الحديثة الافرنجية وهن أشد عناية بالنظافة أيضا فالتفرنج في البيوت هو الخطر الاكبر الذي ينذر البيوت الاسلامية بالفساد ، في هذا البلد وغيره من البلاد ، ويقال ان احمد رضا بك رئيس مجلس المبعوثين يريد أن يربي بنات المسلمين في المدرسة التي يسعى في انشائها مع بنات الافرنج والروم والأرمن تربية ليس لها من صبغة الدين شيء !! فاذا تم هذا المقصد فبشر بيوت هذا البلد بالخراب المعنوي والفساد الذي لا يفوقه فساد

ان علم النساء المسلمات في الآستانة دون علم الأوربيات ولكن تربيتهن الدينية والادبية أعلى من تربية الأوربيات كما شهد بذلك غير واحدة من هؤلاء بعد الاختبار التام ومنهن من صرحت بأن التفرنج آفة مفسدة لنساء الترك . نعم انه يمكن ان تترقى معارفهن وآدابهن ولكن يجب أن يكون الدين هو أساس التربية وان تكون العناية به فوق العناية بالعلم وليس في أوربا شعب يربي البنات على الالحاد أو ترك الدين ، وان اثبت الشعوب الاوربية مدنية هو أشدها عناية بتربية النساء والاطفال تربية دينية

ان بين استانبول وقسم غلطه و بك أوغلي تباينا عظيما في العادات ونظام المعيشة وحالة العمران على ان المسافة بينهما تقطع بدقيقتين اذ الفاصل بينهما هو الخليج المشهور وعليه جسران للمشاة والركبان ومنهم من يقطعه بالزوارق : تشبه استانبول في عاداتها بلاد المشرق الاسلامية القديمة كطرابلس الشام فأزياء النساء فيها كأزياء النساء في مدن سورية الا ما امتزن به وقد ذكرناه آنفا وأزياء الرجال فيها كأزياء الرجال في مدن سورية: الطربوش والعمامة البيضاء والعمامة المطرزة والعمامة الخضراء والمناديل الملونة ـ كل ذلك من أزياء الرؤوس وكله كثير وأما سكان قسم غلطه فتكثر فيه مزاحمة الكمم والقلانس للطرابيش المجردة ويقل فيه غير ذلك

يتعشي أهل استانبول بعيد المغرب كأهل سورية وتقفل أكثر المطاعم بعد العشاء بقليل على حين يبتديء أهل القسم الآخر بالطعام وتظل مطاعمهم مفتوحة الى قرب منتصف الليل ويسهرون كثيرا ولا يسهر اولئك الا قليلا . ويكثر الفسق العلني والسري في قسم غلطه والفسق العلني ممنوع في استانبول

وآداب الرجال العمومية حسنة كآداب النساء فلا تكاد تنكر على رفيع ولا وضيع قولا خشنا ولا كبرا وترفعا ولكنك كثيرا ماتنكر عليهم إخلاف الوعد وما في معنى الاخلاف حتى يقل ان يثق المختبر بقول يسمعه وسبب ذلك تأثير الاستبداد الشديد ، وما كان من الضغط والمراقبة على عهد عبد الحميد، فذلك هو السبب الطبيعي لفشو الكذب والاخلاف والتقلب في كل الأمم ، ولهذه العلة كثر الكذب والاخلاف والتقلب وعدم الثبات في جميع البلاد العثمانية كما كثر ذلك من قبل في في مصر ولا سيما على عهد اسماعيل باشا

كنت كتبت في المنار وقلت في بعض الخطب التي ألقيتها في العام الماضي بالبلاد السورية ان أرقى البلاد العثمانية الآستانة وما يقرب منها من ولايات الروملي وأوسطها سورية وادناها العراق والحجاز واليمن .وقد تبين لي أن هذا القول خطأ فالآستانة لاتفوق سورية الا بكثرة عدد المتعلمين من الرجال والنساء و بالآداب الاجتماعية كما تقدم فهي ليست أرقى في العمران الحديث من بيروت ولا في العمران القديم من دمشق .وليس النابغون من أهلها كالنابغين من سورية في العلوم الاسلامية

ولا في الفنون والعلوم الاوربية ولا في الادبيات ولا في التجارة والزراعة . ولا أهل الادارة والقضاء منهم أرقى ممن تسنى لهم ان يشتغلوا بهما من السوريين بمصر ، وكذا في بلاد الدولة على قلتهم وليس الضباط المتعلمون في المدرسة الحربية من أهل الآستانة بأرقى في الفنون الحربية من الضباط السوريين ولا العراقيين الا انهم أكثر . وأما ولايات الروملي وكذا الاناطول فهي دون الولايات السورية في الجملة

وأما النسبة بين الآستانة ومصر فهي أن عامة أهل الآستانة أرقى من عامة أهل القاهرة وخاصة أهل القاهرة النابغين أرقى من خاصة أهل الآستانة النابغين الا في الجندية . وأما من جهة الثروة والعمران فمصر أغزر ثروة وأرقى عمرانا ، وقد تقدمت النسبة بين البلدين في النساء وتربية الاولاد

هذا ماتبين لي في هذه الشهور نصصته على غره ، غير متحرف الى جهة ، ولا متحيز الى فئة ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

انتشار الاسلام في افريقية

نشرت جريدة الدييش كولونيا مقالا للدكتور كارل كوم الذي قام بسياحات كثيرة في افريقية واحدثها سياحته فيما بين نهر النيجر والنيل قالت (*) :

ان الدكتور كارل كوم يرى ان افريقية ستكون في يوم قريب قارة اسلامية محضة ماعدا بعض الجهات التي ينتسب أهلها الى المسيحية اسما كجنوب افريقية وأوغنده والحبشة ولقد عاقت طبيعة البلاد في أواسط افريقية دون ان يكتسحها سيل الاسلام الجارف في طريقه عدة قرون فلما وطئها أقدام الاوربيين وانتهت تلك المنازعات القديمة بينهم على الحدود وانفسح المجال أمام التجار المسلمين أخذوا ينشرون نفوذهم ويوسعون دائرة سلطتهم فتوغلوا في الغرب والشرق والجنوب حتى انتشر الاسلام بين أهالي هذه الجهات بسرعة غريبة ومدهشة بنتيجة مساعي الاوربيين أنفسهم

(*) ترجمت الجرائد اليومية هذا المقال بالعربية ونحن اخذناه من تصحيحهم قليل

الذين ذللوا تلك العقبات باكتشافاتهم الجغرافية وبتقويم شؤون البلاد وتحسين وسائل الثروة بها وأحوالها الاقتصادية

وقد شعر بحرج هذا المركز الصعب وكلاء فرنسا وبريطانيا وأخذت هذه المسألة تتعقد أمامهم فلا يعرفون لهم منها مخرجا بعد أن تغلب الاسلام على الجنوب

وبعد ان طعن الدكتور كوم تعصبا وتحاملاً على تعاليم الاسلام زاعما بأنها تلقي بذور التعصب في قلوب المتدينين به استنتج انه يجب على كل مسلم مقاتلة الكفار الى ان يأسرهم أو يقتلهم وقال انه لا توجد ذريعة أنجع من ادخال القبائل الوثنية في الدين المسيحي لتكون حصنا متينا للدفاع !!

ثم قال: ولا يوجد الآن غير طريقين لتجارة الرقيق اولها في السودان العربي الى مكة مارا بالسودان المصري وقد حاولت القوة الفرنسية في بحيرة تشاد بقيادة الكولونل مول أن تقطع هذا الطريق حتى تمكنت من ذلك ولكن الطريق الثاني لا يزال مفتوحا ويمر بنغازي ولا يمكن إغلاقه الا اذا استولت بريطانيا العظمى على دارفور (١)

وقد نشرت مجلة المستر فول مقالة وجهت فيها انظار ولاة الامور الانكليز لوجود ثلاثة عشر الف شاب مسلم على بعد خمسة أيام من مقر الأنجليز قد اجمعوا امرهم على ان يجوبوا انحاء البلاد الافريقية للدعوة الى الاسلام

ولاحظت ان الوثنيين يقبلون الدين الاسلامي بسهولة ورغبة ومن انتحل منهم المسيحية لا يلبث الا قليلا ثم يعلن اسلامه مثل رفاقه، واستنتجت على دعواها بسهولة مبادىء الدين الاسلامي بزيادة المسلمين المضطردة في الهند فقد بلغ عدد الذين ينتحلون الاسلام من أهلها نحو عشرة آلاف شخص في كل سنة وكذلك الحال في الصين حيث ينمي عدد المسلمين كل يوم بنسبة ظاهرة تدعو لمزيد الدهشة والاهتمام

الاسلام في الهند

جاء في مجلة العالم الاسلامي الفرنسية مقال عن الاسلام في الهند احببنا ترجمته لما فيه من الحقائق التي يجهلها اخوانهم المسلمون قال الكاتب (*) :

انتشر الاسلام في الهند سنة ١٠٠١ ميلادية وقد ازداد عدد أتباعه حينما تقلصت سلطة الاسلام في تلك الديار وامتدت سلطة الاحتلال الانكليزي خلافا للمأمول وهو يمتد اليوم على صورة مدهشة فقد كان عدد اهله في الهند سنة ١٨٩٧ واحدا وستين مليونا ونصف مليون فأصبح عددهم سنة ١٩٠١ ثلاثة وستين مليونا منهم ٩٧ في المئة من أهل السنة وإليك تفصيل العدد

٥٤ مليونا في الولايات الهندية الشرقية الانكليزية كبماي ومدراس

٨ ملايين ونصف في الولايات التابعة كحيدرأباد

٢٧٠ الفا في المستعمرات الانكليزية كسيلان

٧٣٠ الفا في البلاد التي لم تدخل تحت الاحصاء كولايات أوريسا

وقد يوجد من المسلمين في المقاطعات الفرنسية الهندية ٢٠ الفا وفي المستعمرات البرتغالية ٨ آلاف ونصف الف وفي المستعمرات الاومانية ١٠ آلاف من الهنود والفرس والعرب والافريقيين

اما عدد المسلمين في الولايات المستقلة فاليك بيانه : في ولاية نابل ثلاثة ملايين ونصف مليون، وفي ولاية بوتان اربع مئة، وفي ولاية أفغانستان ٦ ملايين

وأما بحسب المذاهب فعدد المسلمين في الهند ينقسم الى اهل سنة وشيعة فأهل السنة ٦٦ مليونا و٢٢٢ الفا و٥٠٧ والشيعة مليونان و٥٧٧ الفا و٤٢٩ والمجموع ٦٨,٧٩٩,٩٣٦

فاذا اعتبرنا زيادة مليونين في الولايات الهندية الانكليزية فيكون عدد المسلمين في الهند سبعين مليونا

أما حركة هذه الملايين الاجتماعية والسياسية فقد كانت بطيئة الا انها ابتدأت تؤثر في الدولة الانكليزية فلا تمضي مدة الا ويحدث حادث لهذه الدولة من هذه

(*) ترجمته بالعربية جريدة المفيد البيروتية وعنها نقلنا

الجوع ولو كان المسلمون متحدين الاتحاد المطلوب لما أقام الانكليز ساعة في تلك البقاع على ان التكافل بينهم قد بدا طلعه فاتحد فريق كبير منهم و بدأوا باعداد القوة وسيجتازون عما قريب كل عقبة وصعوبة وقد ظهر للناس اخيرا انهم يميلون الى الدولة العثمانية

فلسوف يقوى الاسلام في الهند ويمتد بواسطة العلم الذي ينتشر بينهم بسرعة ولا غرو فان هذا الدين من مطالبه العلم وسوف يسود على كل تلك الديار على أن الانكليز هم الذين علموهم لغتهم فتسلحوا بها واصبحوا يطالبون بحقوق الانسان الحرة ويتقاضون من الانكليز مراكزهم الاجتماعية ومناصبهم السياسية

﴿ صدى العلم من الحجاز ﴾

جاءتنا كراسة بهذا الاسم فيها تفصيل عن «حفلة توزيع الجوائز على التلامذة الفائزين في الامتحان السنوي في المدرسة الصولتية بمكة المكرمة تأسيس العلامة المرحوم الشيخ رحمة الله الهندي صاحب كتاب اظهار الحق » وهي مفتتحة بخطاب من مدير تلك المدرسة موجه الى كل قارىء يستفز به الهمم ويحفز العزائم الى مساعدة هذه المدرسة الفذة في نوعها المفيدة في الجملة بالتبرعات المالية لان قيامها بها وهي لا تزال قائمة بتبرعات الهنود الاسخياء الذين عرفوا قوة التعاون والتكافل اكثر من غيرهم من مسلمي الارض . وانه ليجدر بمسلمي هذه البلاد ان يمدوا اليها يد السخاء وما نرى انهم يرضون — كما رضيت دولتهم — بأن يكون الجهل ضاربا اطنابه في مكة المكرمة ذلك البلد الحرام الذي كان ينبوع سعادتهم ومهبط العلم والحكمة من قبل

ألا وانه ليحزننا ان تبقى البلاد التي نزل بها الوحي وانبثق منها نور الاسلام الذي قلب كيان العالم وقتل الوثنية ونفخ روح العلم واشرع سبيل استقلال الفكر — انه ليحزننا ان تبقى مشكمة في دياجير الجهل موثقة بأغلال التقاليد فلا عناية من دولتنا الدستورية التي تفتخر سلطانها بلقب «خادم الحرمين» بتلك البلاد بعض عنايتها ببلد من بلاد الروملي ! ؟ على انه قد آن للمسلمين وقد مضى زمن التفكير ان يبدأوا على العمل وعلى الله قصد السبيل

المنار

١٣١٥

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

﴿ مصر الثلاثاء سلخ جمادى الاولى ١٣٢٨ - ٧ يونيو (حزيران) ١٢٨٦ هـ ١٩١٠ م ﴾

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ الاكراه على الاسلام بالسيف ﴾

(س ٣٧) من س . ع . التلميذ في مدرسة الحقوق بالآستانة

الى فيلسوف الاسلام وفخر الامة سيدي الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الاغر متعني الله بطول بقائه آمين

رأينا في الجريدة التي يصدرها محمد عبد الله مبعوث آيدين في الآستانة مسألة

عجبنا من صدورها من مسلم وازداد عجبنا ضعفين اذ سمعنا ان كاتبها صاحب تلك الجريدة يعد من علماء الترك، ثم ازداد عجبنا اضعافا مضاعفة اذ بلغنا ان تلك الجريدة تصدر بمساعدة الحكومة ونفقتها وهي هي الحكومة الدستورية المؤلفة من هيئتين احداها تسمى التشريعية وأخرى تسمى التنفيذية وكل منهما مؤلفة من المسلمين وغير المسلمين

تلك المسألة هي التي جعلها أعداء الاسلام أشد مطعن فيه وهي ادعاء ان الاسلام قام بالاكراه والاجبار لا بالدعوة والحجة وانه يجب على المسلمين الآن أن يكرهوا الناس على الاسلام بقوة السيف فقد قال في العدد الحادي عشر من تلك الجريدة المسماة باسم (العرب) مانصه :

« إن اكبر مرشد في الاسلام هو النبي عليه الصلاة والسلام كان يحمل كتاب الله في يد والسيف في اليد الاخرى فكان اذا رأى من لايقبل الحق الذي يدعوه اليه في الكتاب أرغمه بالسيف (!!!) فانتم يامعشر المرشدين المكلفين بوظيفة الارشاد « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة »

« ثم ان الخلفاء الراشدين والامراء المرشدين الذين جاءوا بعد النبي عليه الصلاة والسلام قد اقتفوا كلهم هذا الاثر الجليل » اه بحروفه الا كلمة اسوة في الآية الكريمة فكان مكانها في تلك الجريدة كلمة « قدوة » وهي بمعناها ولكن لا يجوز نقل القرآن بالمعنى وما أظن ان صاحب الجريدة تعمد ذلك وان كان يوجب ترجمة القرآن لانه لايخفى عليه ان تعمد تغيير ألفاظ القرآن بمعناها في العربية كفر وردة مقررة عن الاسلام

فما قول المنار في هذه الدعوى ؟: أحق ما يقول محمد عبيد الله أفندي وبعض الطاعنين في الاسلام من الافرنج في هذه المسألة أم هو باطل ؟ إن قلتم بالاول فهل تقولون ايضا بما فرعه عليه محمد عبيد الله افندي من وجوب قيام خليفة المسلمين وجميع أمرائهم ومرشديهم باكراه غير المسلمين بقوة السيف (وما في معناه من المدافع والبنادق) على قبول القرآن واتباعه أم لا؟ ان قلتم نعم فلماذا يترك الخليفة وغيره من الامراء والمرشدين حكم دينهم والتأسي بنبيهم صلى الله عليه وسلم ؟ وهل يجب على

مجلس المبعوثين في الدولة العلية ان يلزم الخليفة بذلك ام لا ؟ واذا كان يجب ذلك على المجلس وتركه فهل يكون أعضاء المجلس من المسلمين فاسقين بترك هذه الفريضة ام ماذا يكون حكمهم ؟ وان قلتم لايجب ذلك فكيف تقولون بالاصل دون التفريع عليه ؟ افتونا وعلمونا مما علمكم الله

(ج) الحمد لملهم الصواب ونقول و بالله التوفيق : ان تلك الدعوى التي ادعاها صاحب تلك الجريدة باطلة بأصولها وفروعها ولا يقول بها من يعرف حقيقة الاسلام الا اذا تعمد الكذب والبهتان بقصد إيقاع الفتن بين المسلمين وغير المسلمين و إلجاء دول أوربا الى الاتفاق على الإيقاع بالدولة العلية ولا يعقل ان يأتي هذا من رجل عاقل له صفة رسمية في هذه الدولة ، فنحن لا نبحث في قصد كاتب تلك الجمل التي نقلها السائل ،ولا في درجة علمه ولا في التأثير السيء الذي يخشى أن يثير صدورها من مثله ، ولا في صحة ماشاع من اعانة الحكومة على نشر جريدته وانما نخص كلامنا فيما هو اللائق بباب الفتوى من بيان الحقيقة فنقول :

بينا الحق في هذه المسألة في مواضع متعددة من المنار والتفسير خاصة ولاسيما تفسير آيات القتال في سورة البقرة وكذا تفسير «لا إكراه في الدين» منها فراجع تفسير (٢: ١٩٠ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا) الآيات من (ص ٢٠٣ الى ٢١٢) من جزء التفسير الثاني ، وتفسير (٢: ٢٥٦ لا إكراه في الدين) من (ص ٣٥-٤٠) من جزء التفسير الثالث . ولا يذهبن ظنك الى ان حكمنا على من يذهب الى هذا الرأي بالجهل أو سوء القصد حكم بدا لنا الآن نريد ان نلصقه بهذا الرصيف الجديد ، كلا ان هذا هو رأينا منذ سنين طويلة فراجع ان شئت (ص ٢٠٥ ج ٢ تفسير) تجد فيها ان المسلمين لم يكونوا في قتالهم في زمن النبي (ص) الا مدافعين وانا قلنا بعد هذا البيان مانصه « وهل يصح ان يقال فيهم انهم اقاموا دينهم بالسيف والقوة دون الارشاد والدعوة ؟ كلا لا يقول ذلك الا غر جاهل ، أو عدو متجاهل » ولا تنس ما نقلناه بعد ذلك عن الاستاذ الامام في (ص ٢١٠ و ٢١١) من هذا الجزء وكذا في (ص ٣٩) من الجزء الثالث من التفسير ومنه قوله في آخره «ولا التفات لما يهذي به العوام ، ومعلوم الطغام ، اذ يزعمون ان الدين قام بالسيف وان الجهاد مطلوب لذاته فالقرآن في جملته وتفصيله

حجة عليهم ، واذا راجعت الجزء الرابع من التفسير تجد فيه بيانا لهذه المسألة أيضا

والاصل في هذه المسألة قوله تعالى (٢: ٢٥٦ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وهي مدنية وقوله تعالى (١٠: ٩٩ ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ومثل قوله تعالى (٨٨: ٢١ فذكر إنما أنت مذكر ٢٢ لست عليهم بمسيطر) وقوله عز وجل (٥٠: ٤٥ وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) وكذلك تقييد آيات القتال بجعله دفاعا والنهي عن الاعتداء فيه كآية (١٩٠) من سورة البقرة التي ذكرنا معظمها آنفا . والراجح في علم الاصول ان المطلق يحمل عليه المقيد وعليه الشافعية .

والسنة العملية تؤيد هذه النصوص الواضحة فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يأذن احدا من المسلمين له بحرب ابدا وانما كانت غزواته كلها دفاعا فكان المشركون قبل فتح مكة حربا له وللمؤمنين آذوهم وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم وكانوا يجهزون الجيوش فيسوقونها اليهم في دار الهجرة ليستأصلوهم كما فعلوا في بدر وأحد والخندق فهم معهم في حرب دائمة يصيب منهم ويصيبون منه فلما رضوا منه بالصلح عشر سنين فرح بذلك ورضي منهم بأشد الشرائط وأثقلها على المؤمنين وهو في قوة ومنعة منهم قادر على الحرب وسبق له الظفر فيها ، ثم كان المشركون هم الذين نقضوا الميثاق

وقد بلغ من تقرير الاسلام للسلام ان شدد في المحافظة على عهوده الى درجة ليس وراءها غاية وهي ان المشركين الذين عاهدوا المسلمين المهاجرين اذا وقع قتال بينهم وبين المسلمين الذين لم يهاجروا وطلب هؤلاء المسلمون من اخوانهم المهاجرين ان يعينوهم على المشركين المعاهدين لهم فانه يحرم نقض عهدهم بمساعدة المسلمين عليهم قال تعالى (٨: ٧٢ والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق)

كنت أظن ان محمد عبيدالله افندي من أوسع علماء الترك اطلاعا على السيرة النبوية الشريفة لأنه من أعلمهم باللغة العربية نفسها لاقامته الطويلة في البلاد العربية فكيف راجت عليه هذه الدسيسة الاوربية والاوهام العامية ؟ ليأتنا بحديث واحد في اثبات دعواه ان النبي (ص) كان يأخذ القرآن في يد والسيف في أخرى ويعرض القرآن

على من يلقاه فان آمن والا أتى بالسيف على هامته فلقها . ما رأينا حديثاً في ذلك صحيحاً ولا حسناً ولا ضعيفاً بل لم نر ذلك في الموضوعات التي كذبوها عليه صلوات الله وسلامه عليه !!

هل يمكن أن يقول مثل عبد الله افندي انه استنبط ذلك من حرب الصحابة اذ كانوا يعرضون على من يتصدون لحربهم الاسلام فان لم يجيبوا فالجزية فان لم يقبلوا كان السيف حكما بينهم وبينهم ؟؟ ما أراه يجرأ على القول بأن هذا يؤيد قوله ذاك وان سلمنا له انه من السنة المتبعة . إن اتباعهم لهذه الطريقة إنما كان بعد تقرير الحرب والتصدي لها وانما كان سبب الحرب بين الخلفاء الراشدين وبين الروم والفرس اعتداء الروم والفرس لا اعتداء الصحابة العاملين بقوله تعالى « ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين » والذين صاروا بمقتضى هذه الآية وأمثالها يكرهون القتال وان فرض عليهم لضرورة المدافعة عن انفسهم ودينهم وتأمين دعوته كما شهد الله لهم بذلك في قوله (٢ : ١٠٥ كُتب عليكم القتال وهو كُرْهٌ لكم)

ذلك بأن الروم والفرس كانتا أمتي حرب وقد ضريتا بما جاورهما من جزيرة العرب فأظلت سلطة كل منهما بعض العرب المجاورين لها لذلك والعصبية الدينية ساءهما دخول أكثر العرب في الاسلام وتجدد دولة لهم تابعة لدين مبين فكان كل منهما يهدد دعوة الاسلام في جواره ويعتدي على المسلمين فلم يكن للمسلمين بدٌّ من محاربتهم . ولما كان المسلمون يجوزون قبل الشروع في كل قتال أن ينتهي بأحد السببين : إسلام المحاربين لهم أو الخضوع لهم بدفع شيء من المال لا يثقل دفعه الا على من وثق بقوته على الحرب ، لمنع دعوة الاسلام الجديدة من الانتشار في الارض ، فكانوا يعرضون أحد هذين الامرين والحرب مقررة قبل ذلك بما سبق من الاعتداء ، ولم يكن عرضها هو السنة المتبعة في الهداية والارشاد ، فان النبي (ص) دعا كسرى وقيصر وغيرهما الى الاسلام ولم يهددهما بالسيف وانما دعاهما بالحكمة والموعظة الحسنة اتباعا لما أمره الله تعالى به في قوله (١٦ : ١٢٥ ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)

لو ذكر محمد عبد الله افندي عبارته تلك في سياق الكلام عن الجهاد واحكامه

لتيسر لنا ان نتمحل لها تأويلا ولكنه ذكرها في سياق الارشاد وذكر العلماء المرشدين في صحيفة قال إنه أنشأها لارشاد العرب وحثهم على إرشاد العالم فما هي المناسبة لذكر السيف والارغام على قبول الحق وإنما موضع الحق القلوب وهي لا يصل اليها السيف بل السيف وذكر السيف مما يزيدها نفورا ، ويجعل بينها و بين الحق حجرا محجورا !!

ليست هذه المسألة هي التي شذّ فيها وحدها هذا الرجل فان له شذوذا في مسائل أخرى دينية وتأريخية كادعائه أن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ماتمت ولا تتم الا بترجمة القرآن الى جميع اللغات ! ، وكادعائه ان غير العرب من المسلمين يمكنهم الاستغناء في دينهم عن معرفة اللغة العربية وعن القرآن العربي المنزل من عند الله تعالى آية للعالمين معجزا للبشر على ممر السنين ، بترجمته الى التركية والفارسية وغيرهما من اللغات وان كان المترجم يترجم بحسب فهمه فيختلف مع غيره فيكون لكل أهل لغة قرآن ، وان كانت الترجمة لا يمكن ان يتحقق فيها الاعجاز كالقرآن المنزل من عند الله ولا يصح التعبد بتلاوتها ولا يتحقق فيها غير ذلك من خصائص القرآن !!! وقد سبق لي مناظرة معه في هذه المسألة بمصر منذ سنين ، وكنكاره أن للبشر أرواحا مستقلة هي غير الجسم المحسوس وأعراضه وقد ناظرته في ذلك بدار الشريف علي حيدر بك ناظر الاوقاف ، وكادعائه ان جميع العرب مسلمون وإنكاره ان يكون في النصارى عربي واستدلاله على ذلك بعبادتهم لرجل يهودي او قال اسرائيلي (يعني السيد المسيح روح الله ورسوله عليه الصلاة والسلام) فلا عجب ان يشذّ في مسألة السؤال ولكن العجب من جرأته على نشرها في صحيفة تنشر في عاصمة المملكة حيث الحكمة العرفية العسكرية المراقبة لكل ما يحدث التنافر بين العناصر العثمانية المختلفة في اللغات والاديان والسياسة اسرار ولا بحث لنا فيها الآن !!

مما يقوي فراستنا في سريان هذه المسألة الى قائلها من بعض الكتب الاوربية الطاعنة في الاسلام أنها تكاد تكون ترجمة لعبارة قالها بعض أولئك الطاعنين في مؤلف له واشار الاستاذ الامام الى ارد عليها في رسالة التوحيد فانه بعد ان قرر قيام الاسلام بالدعوة والحجة ، وانتشاره السريع بموافقته للفطرة ، قال رحمه الله تعالى في الرد على قائل تلك العبارة وامثاله مانصه :

« قال من لم يفهم ما قدمناه أو لم يرد ان يفهمه : ان الاسلام لم يطف على قلوب العالم بهذه السرعة الا بالسيف فقد فتح المسلمون ديار غيرهم والقرآن باحدى اليدين والسيف بالاخرى يعرضون القرآن على المغلوب فان لم يقبله فصل السيف بينه وبين حياته . سبحانك هذا بهتان عظيم ، ماقدمناه من معاملة المسلمين مع من دخلوا تحت سلطانهم هو ماتواترت به الاخبار تواترا صحيحا لا يقبل الريبة في جملته ، وان وقع اختلاف في تفصيله ، وانما شهر المسلمون سيوفهم دفاعا عن أنفسهم ، وكفا للعدوان عنهم ، ثم كان الافتتاح بعد ذلك من ضرورة الملك ولم يكن من المسلمين مع غيرهم الا انهم جاوروهم وأجاروهم فكان الجوار طريق العلم بالاسلام وكانت الحاجة لصلاح العقل والعمل داعية الانتقال اليه

« لو كان السيف ينشر دينا فقد عمل في الرقاب للاكراه على الدين والالزام به مهددا كل أمة لم تقبله بالابادة والمحو من سطح البسيطة مع كثرة الجيوش ووفرة العدد وبلوغ القوة اسمى درجة كانت تمكن لها وابتدأ ذلك العمل قبل ظهور الاسلام بثلاثة قرون كاملة واستمر في شدته بعد مجيء الاسلام سبعة اجيال أو يزيد فتلك عشرة قرون كاملة لم يبلغ فيها السيف من كسب عقائد البشر مبلغ الاسلام في أقل من قرن . هذا ولم يكن السيف وحده بل كان الحسام لا يتقدم خطوة الا والدعاة من خلفه يقولون مايشاؤن تحت حمايته مع غيرة تفيض من الافئدة وفصاحة تتدفق عن الالسنة ، وأموال تخلب ألباب المستضعفين ، ان في ذلك لآيات للمستيقنين . جلت حكمة الله في أمر هذا الدين : سلسبيل حياة نبع في القفار العربية ، ابعد بلاد الله عن المدنية ، فاض حتى شملها فجمع شملها فأحياها حياة شعبية ملية ، علا مده حتى استغرق ممالك كانت تفاخر أهل السماء في رفعتها ، وتعلو أهل الارض بمدنيتها ، زلزل هديره — على لينه — ما كان استحجر من الارواح فانشقت عن مكنون سر الحياة فيها . قالوا كان لا يخلو من غلب « بالتحريك » قلنا تلك سنة الله في الخلق لا تزال المصارعة بين الحق والباطل والرشد والغي قائمة في هذا العالم الى ان يقضي الله قضاءه فيه ، اذا ساق الله ربيعا الى ارض جدبة ليحيي ميتها وينقع غلتها ، وينمي الخصب فيها ، أفينقص من قدره أن أتى في طريقه على عقبة فعلاها ، أو بيت رفيع العماد فهوى به ؟ »

* * *

﴿ حديث منع الدين بنصارى من ربيعة ﴾

(س ٢٨) من الشيخ محمد بن سالم الكلالي بسنغافوره

سيدي الاستاذ المحدث السيد محمد رشيد رضا المحترم متع الله المسلمين بحياته

بعد السلام : قد اشكل على العبد الفقير ماجاء في الصفحة الـ ٣٣٣ من الجزء الخامس من كتاب تهذيب التهذيب لابن حجر في ترجمة عبدالله بن عمر القرشي حديث : ان الله يمتنع (كذا) هذا الدين بنصارى من ربيعة . انتهى فما هو صواب عبارة هذا المتن ثم ما معناه وهل هو صحيح ام لا ؟ أفيدونا لازلتم مصدرا للافادات في المشكلات والسلام

(ج) صواب متن الحديث « ان الله سيمنع هذا الدين بنصارى من ربيعة » فالتحريف من الطبع فيما يظهر والنسخة المطبوعة عندي بمصر ولا أعلم انها توجد هنا (في الاستانة) ومعنى المنع الحماية ومنه منع الانصار النبي (ص) مما يمنعون منه نساءهم وأهلهم في حديث الهجرة أي حمايته . وهو يحمل على من أسلم منهم . وأما سنده فقد رواه عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص واخرجه عنه النسائي ورجاله كلهم في تهذيب التهذيب لديكم فراجعوا تراجمهم فيه وفي غيره مما لديكم ومالأراه يصح عنه ولكن ليس لدي الآن وأنا في السفر ماأراجع فيه ولا الحديث من المشهورات فيحفظ ولا هو مما يتعلق به عمل فيضر تأخير البيان فيه

باب المقالات

قوة الاجتماع والتعاون (*

الاجتماع والتعاون قوة لاتغلب الا بقوة مثلها ، قوة بها ترتقي امم وتعتز ، وبها يسود قوم على قوم ، وبها تنمي الثروة ، وبها يتغير شكل الحكومة والدولة ، وبها كان كل شيء ويكون كل شيء

عشرة مجتمعون متعاونون ، يغلبون المئين والالوف من المتفرقين المتخاذلين ، اذا ألفوا شركة مالية قطعت اسباب الكسب على اضعاف أضعافهم في العدد من التجار ، واذا كوّنوا عصبة للبغي والعدوان سلبوا راحة الالوف من الناس ، واذا قاموا بالاعمال الاجتماعية احدثوا تغيرا عظيما في العمران ، واذا نشروا العلوم والفنون افادوا مالا يفيده الكثيرون من العلماء الاعلام

لماذا كانت الحكومة الاستبدادية القليل افرادها أقوى من الامة الكثير عددها؟ أليس لأن الحكومة جماعة متعاونة ، والامـة أفراد متفرقة ؟ ولماذا كانت الامة الدستورية أقوى من حكومتها ؟ أليس لاجتماعها على رأي واحد في شكل الحكومة وكيفية سيرها ؟ فالى متى يظل المنحطون من الامم والشعوب غافلين عن هذه الحقيقة جاهلين طريق هذه القوة ـ قوة الاجتماع والتعاون ـ التي بها يرتفع شأنهم ، ويعلو قدرهم ، ويساوون تلك الامم التي ينظرون اليها كما ينظر أهل الارض الى الكواكب اللامعة في جوّ السماء ، ويحسدونها على ما أوتيته من السناء والبهاء ،

*) نشرنا هذه المقالة وما يليها بجريدة الحضارة التي تصدر بالآستانة

وهذه أخبار التاريخ الماضية ، وحوادث الاجيال الحاضرة ، تعلمهم ان الاجتماع مع التعاون هو القوة التي تذهب بشقائهم ، وتشفيهم من أدوائهم ، وتحقق لهم أمانيهم التي يتمنون ، وتعبر لهم الرؤى الصالحة التي يرون ،

لو أردت ان أبين فوائد الاجتماع والتعاون بطرق الخطابة أوالشعر لاحتجت الى انشاء الدواوين ، ولو أردت ان اجمع الشواهد والوقائع في فضلها لصنفت الاسفار الكثيرة في التواريخ ، ولكنني لاأريد هذا ولا ذاك ، إنما أريد الاتذكير القارئين بمسألة صارت من الضروريات ، لايحتاج فيها الى نظم الادلة وترتيب المقدمات ، أريد ان أذكرهم ليعملوا ، لاليعلموا مالم يكونوا يعلمون ، ولا لأجل ان يتسلوا عند الفراغ بما يقرؤون ، أريد ان أقول لهم ياقوم انكم ضعفاء في العلم وانتم أذكى الناس أو من أذكاهم ، وانكم فقراء وانتم اقدر البشر على الكسب أو من أقدرهم ، وانكم مهضومون مستضعفون ، لغير ذنب تجنون ، الا تفرقكم وتخاذلكم . انه لاينقصكم الا الاجتماع والتعاون فاجتمعوا وتعاونوا ، ولا يفرقنّ بينكم اختلاف ديني ولا جنسي مع العلم بأن الحاجة أو الضرورة تقضي باجتماعكم على ما به قوام مصلحتكم المشتركة

لاأدعوكم الى اجتماع مبهم أو خيالي ، ولا الى تعاون مطلق أو اجمالي ، بل أدعوكم الى الاجتماع لازالة موانع الاجتماع ، ثم التعاون على ترقية شأن الاجتماع بالعلم والثروة ، واعلاء شأن الامة والدولة ، بأن تكونوا أصحاب القدح المعلى الذي يؤهلكم له ذكاؤكم الفطري وأخلاقكم الموروثة التي ينوه بها التاريخ ، اذ يفاخر بأجدادكم جميع الامم والشعوب :

ياقوم ان لكم من مجد اولكم	ارثا قد أشفقت ان يفنى وينقطعا
ياقوم بيضتكم لا تفجعنّ بها	اني أخاف عليها الازلم الجذعا

ان الدولة لاترقي ولاتعتز الا بالامة وان الامة بأخلاقها وعلومها وثروتها ، وان الوراثة اكبر عون المرء على التربية والعلم والعمل ، فتعاونوا على نشر التعليم والتربية ، تعاونوا على ترقية الزراعة والصناعة والتجارة ، فقد آن لكم أن تخرجوا من مأزق الاعمال الفردية الى فضاء الاعمال الاجتماعية ، فلو صار كل واحد منكم أغنى من قارون ، وأعلم بالحكمة من لقمان ، واخطب في العلوم الالهية والحكمة الادبية من علي

ابن ابي طالب ، وأعدل من عمر بن الخطاب ، وأدهى في السياسة المصرية من بسمرك ، وانشط من غليوم ، لما اعترف لكم أحد بحق ، ولا امكنكم أحد من الاصلاح في الارض ، الا بعد ان تجتمعوا وتتعاونوا

يجب ان توءلفوا الشركات المالية ولا تقصدوا بها المعنى الاجتماعي الادبي ، لانكم انكم اذا خلطتم أموالكم بعضها ببعض تختلط أرواحكم بعضها ببعض فيزول سوء تأثير الاختلاف الطبيعي بينكم سواء كان اختلافاً في الدين والمذهب ، أو الجنس والمشرب

يجب ان توءلفوا الجمعيات الملية والخيرية لتعميم التربية والتعليم بين جميع الطبقات ليكون افراد الامة كسلسلة اذا تحركت حلقة منها تحركت سائر الحلقات

يجب ان تطالبوا الاغنياء ببذل الاعانات العظيمة لنشر العلم وانشاء المدارس فمن بخل على الامة بفضل ماله فعليكم ان تبينوا للامة أنه عدوها وانه يجب عليها ان تمقته وتحتقره ، وأما من يجود عليها بما يرفع شأنها فعلموها كيف تعظم شأنه وترفع قدره ، استعينوا على هذا بالكتاب والشعراء ، فهم الذين يربون لكم الاغنياء ،

يا أصحاب الاقلام : ان في أيديكم قوة تعمل ما لا تعمل السيوف والمدافع ، ان من تعظمونه بالحق يكون قدوة واماماً في الخير لاهل عصره ، ولمن يأتي من بعده ، وان من تحقرونه ولو بالباطل يكون محتقراً في زمانه ومحتقراً في التاريخ حتى تستحي ذريته ان تنتسب اليه فاعرفوا قيمة انفسكم كما عرفها بشار اذ قال :

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم	اني أخاف عليكم أن أغضبا
أبني حنيفة انني ان أهجكم	أدع اليمامة لا تواري أرنبا

اعرفوا قيمة هذه السلطة المعنوية التي لا تظهر قوتها على كمالها الا في الجرائد واستعملوها في اصلاح حال الامة فبذلك يعلو قدركم ، ويرتفع ذكركم ، وتنالون من الناس احسن الشكر ، ومن الله تعالى اكبر الاجر ،

وأنتم يا أصحاب الجرائد أولى أصحاب الاقلام بهذا العمل لان صحفكم تجعل لكلامكم من التأثير ما ليس لكلام غيركم الذي لا تقبلون نشره فيها فخرضوا

الكتاب والشعراء على هذا الاصلاح ونوهوا بفضل من يساعدكم عليه ولا تبالوا بمن عداه بل أدبوه كما تؤدبون بخلاء الاغنياء

يا أصحاب الجرائد: لا تفتنكم سياسة الحكومة فتجعلوا عنايتكم محصورة في أعمالها وأقوالها، اجعلوا جل عنايتكم في اصلاح حال الامة فلن تصلح دولة أمتها جاهلة متخاذلة، فباصلاح الامة يتم لكم ما تريدون من اصلاح الحكومة فهي كل شيء ويجب ان يكون لأجلها كل شيء

* * *

كيف تنال الأمة حقوقها ؟

ان للأمم حقوقا طبيعية وشرعية ، وان حقوقها كحقوق الافراد تغصب منها وتغلب عليها ، وان الغاصب لها قد يكون واحدا منها أو واحدا من غيرها وقد يكون جماعة منها أو من غيرها ، واعني بالفرد الذي يغصب حق الامة الحاكم المستبد المطلق ، الذي يرجع اليه الأمر كله في سياستها، ان شاء عدل ، وان شاء ظلم ، وان شاء أشرك غيره بالحكم ، وان شاء انفرد ، وأعني بالجماعة الحكومة المقيدة كيفما كان شكلها ونوعها ،

اذا ظلم الافراد وغصبت حقوقهم يختصمون الى الحكام فاما ان ينصفوهم واما ان لا ينصفوهم ، واما الامم فليس لها حاكم تختصم اليها ، لان حكامها هم الذين يغصبون حقوقها ، وماذا تفعل وخصمها هو الحكم ، وكيف تنتصف منه اذا جار وظلم ، ؟ ومتى تسترد حقوقها منه اذا اعتز وغلب ؟

لا تنال حقوق الامم بنظم الأقيسة وترتيب المقدمات ، واقامة الحجج وايراد البينات ، ولا بالرجاء والتعليل ، ولا بالبكاء والعويل ، لان الغاصب لا يكون فاضلا عادلا فيقنعه البرهان، ولا رؤفا رحيما فيوثق من ناحية الوجدان ، وانما يكون فظا غليظ القلب ، لا يخضع الا للقوة والبأس ، فيعطي بالقوة كما يأخذ بالقوة ،

كيف تصير الامة المغلوبة على أمرها ذات قوة تسترد بها حقها ، اذا كان الحاكم واقفا لها بالمرصاد ، مانعا إياها بقوته من إيجاد قوة لها ، ؟ اقول ان اليأس

من قوة أمة هذه حالها اقوى من الرجاء فيها ، أم نقول يجب أن تثور على حكومتها ثورة تشيب النواصي ، وتزلزل الرواسي ، وتجعل الرفيع وضيعا ، والذليل عزيزا ؟؟ أم هنالك حيلة اخرى يكتفى منها بالقوة المعنوية ، عن القوة المادية ، ؟

هذه المعاني قد انتقلت من أوربا الى الشرق ، وكثر الحديث بها في هذا العصر ، ولاسيما بعد الانقلاب العثماني والانقلاب الفارسي ، وربما تكون قد جالت في ادمغة زعماء الارنؤط الذين أوقدوا نار الفتنة في هذه الايام ، وكانوا عونا على الدولة وعلى انفسهم ، لاولئك الاعداء الذين أجمعوا كيدهم على اسقاط هذه الدولة بل على محوها واقتسام تراثها بدون حرب طحون تسفك فيها دماؤهم ، وتغتال بها اموالهم ، فهم انما يحاربونها حربا معنوية ، يغرون عناصر أمتها بالعداوة والبغضاء ، ويضربون بعض أعضائها ببعض حتى تقضي على نفسها قضاء وشيكا أو بطيئا ،

يقول لسان حال هؤلاء الساسة أو لسان مقالهم للترك انكم انتم الفاتحون وأصحاب السيادة القادرون ، ولا حياة لكم ولا شرف ، بل لابقاء لكم ولا وجود الا بتعصبكم لجنسكم ، وجعل زمام الامة في أيديكم ، فان هذه المزية اذا فاتتكم تكونون وراء سائر العناصر المنسوبة الى دولتكم ، لانهم أقدر منكم على الكسب ، ولا تقدرون أن تسبقوهم بالعلم ، فاعتمدوا على هذه الكتائب قبل الكتب ، فهي التي تحفظ لكم السيادة على العجم والعرب ،

ويقولون للعرب انكم العنصر الاكبر في هذه الدولة ، ولكم الحق الاول في السلطة والخلافة ، وبلادكم قلب الارض ، وموطن الدين ومهبط الوحي ، ولغتكم لغة القرآن الذي يدين به فيتعبد بها ثلاث مئة مليون من الناس ، ولكم من السلف في المدنية والعلم ، ما يدل على ان استعدادكم اعلى من استعداد الترك ، بل ومن غير الترك من شعوب الارض ، وهم قد خربوا بلادكم بعد عمرانها ، وحالوا بينكم وبين الاستفادة من كفاءتكم ومزاياها ، وقد آن أوان طلب الحقوق ، والمؤاخذة على العقوق

ويقولون للارنؤط انكم شعب مجيد ، وانكم أولو قوة وأولو بأس شديد ، وانكم أقوى من الترك استعدادا للمدنية ، لانكم من الشعوب الاوربية ، وبلادكم

قابلة لذلك اذا هي استقلت بالحكم ، وألقت عن كاهلها اثقال سلطة الترك ؛ فدونوا لغتكم بالحروف اللاتينية ، ولتتحد البلاد الشمالية بالجنوبية ، وستنالون كل أمنية ، بمساعدة أوربا عاشقة الانسانية ، ! ! !

ويقولون للارمن انكم اذكى العثمانيين أذهانا ، وأطلقهم لسانا ، وأجرأهم جنانا ، واقدرهم على الكسب والاعمال ، واسبقهم الى الاتحاد على طلب الاستقلال ، وقد جمعتم لذلك ماجمعتم من المال ، ووكبتم في عصر نيرون الترك ما ركبتم من الاهوال ، حتى اقتحمتم العقاب ، وذللتم الصعاب ، فلا تهنوا ولا تنوا في الامر ، ولا يصدنكم ماتنالون من الدولة عن طلب الملك ، وان أوربا المسيحية ، زعيمة لكم بتحقيق هذه الامنية ، فخذوا الاهبة وانتظروا الفرصة ، وأعدوا لها الشعب كله ، بتعليم المدارس ، ووعظ الكنائس ، ووضع صور ملوككم ، وصور يتامى وأرامل المقتولين منكم ، في بيوت عامتكم وخاصتكم ، مع تحريك الاشجان ، واثارة الاضغان ، بالأناشيد والالحان ،

ذلك مايوسوس به شيطان السياسة الجنسية ، في اغراء الشعوب العثمانية ، وما هو الأكيد وخداع ، جدير بالعصيان لا بالاتباع ، وأما ملك الالهام ، الداعي الى الوفاق والسلام ، فانه يصيح بهؤلاء الاقوام : لا تستحبوا العمى على الهدى ، واستجيبوا لداعي العقل دون داعي الهوى ، واعلموا ان تفرقكم وانقسامكم ، وعداءكم وخصامكم ، والجاء الدولة الى تفريق قوتها في بلادكم ، لمقاومة فتنكم وثوراتكم ، هو الذي يحول دون ارتقائها وارتقائكم ، ويفضي والعياذ بالله الى هلاكها وهلاككم ، وارث الدول الاوربية لارضكم ودياركم ، ووالله إنكم لتكونن حينئذ أبعد عن الاستقلال ، واقرب الى الخزي والنكال ، انكم تملكون اليوم في حجر هذه الدولة جميع اسباب الارتقاء ، ولا تملكون غدا في حجور اوربا الا اسباب التدلي والاستخذاء ،

لا مرحبا بغد ولا أهلا به ان كان (تفريق العناصر) في غد

لا أقول ان الدولة نفسها ترقيكم ، بل اقول انه لا يرجى ان ترقيكم ، لا لأنها لا تريد ، بل انها ان ارادت لاتقدر ، وانما يجب عليكم ان ترقوا انفسكم ، وترقوها بترقيتكم ، فقد صار أمرها في أيديكم ، نعم ان العنصر التركي هو الذي يدبر اليوم

أمر الحكومة ، لأن له الكثرة في مجلس الامة ، وان منكم من يسيء الظن به ، ويعده غاصبا لحق غيره وما نما له من الوصول الى مطلبه ، وان هؤلاء ليكبرون الصغير ، ويغفلون عن الامر العظيم ،

الخطب سهل والأمر طبيعي ولا ضرر في كون الغلبة في الحكومة لعنصر يرجح قومه على غيره في الاعمال ، وانما الضرر ان يكون أمر الحكومة في ايدي العاجزين عن الاصلاح ، وان القادرين عليه من جميع العثمانيين لقليلون ، واننا الآن في دور تجربة قد دعم يجربون ، ولا يجوز لنا ان نتمادى في سوء الظن ، ولا ان نؤاخذهم على كل ذنب ، فنجعل ما يقترفه الشخص ذنبا للعنصر والشعب ، بل يجب على العقلاء المحبين للاصلاح العناية بامرين احدهما يتعلق باصلاح الحكومة والآخر يتعلق باصلاح الامة

اما اصلاح الحكومة فله طريقان لابد من الجمع بينهما ، أحدهما حسن اختيار المبعوثين وأعضاء المجالس العمومية ، وثانيهما مراقبة العقلاء واصحاب الجرائد للحكام والعمال في النظارات عامة ، ونظارة المعارف خاصة ، والانتقاد على الظالمين والمفسدين منهم ، والسعي في زلزالهم ولا يتم شيء من ذلك الا بالاجتماع والتعاون

وأما اصلاح الامة فله طريقان ايضا لابد من الجمع بينهما ، احدهما نشر التعليم الاهلي مع التربية الصالحة ، وثانيهما الاعمال المالية التي تحيي ثروة البلاد ، ولا يتم شيء منهما الا بالاجتماع والتعاون ،

قد اشرت في مقالة (الاجتماع والتعاون) الى شيء مما يتعلق بالتربية والتعليم والاستعانة على ذلك بالاغنياء ، وانما قصدت بذلك تنبيه الاذهان ، وتوجيه الهمم وتحريك الاقلام ، دون التفصيل والاستقصاء ، وعسى أن أبين في مقال او مقالات أخر كيفية الاجتماع والتعاون على كل من اصلاح الحكومة واصلاح الامة بشيء من التفصيل ، وأحوج العثمانيين الى ذلك العرب والترك والكرد والارنؤط ، وأما الارمن والروم والبلغار واليهود فلهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون ، وطرق معبدة هم فيها يسرعون ، فلا يحتاجون الى رأينا ، ولا الى معرفة طرق تعليمنا وسعينا ، بل نحن المحتاجون الى معرفة سعيهم ، وطرق تربيتهم وتعليمهم

ان الاجتماع والتعاون على ذينك الاصلاحين هو الامر العظيم الذي غفل عنه الذين يتحدثون ويكتبون في مسألة حقوق العناصر ، هو القوة المعنوية التي تغني عن الثورة ، وتنال الامة به من حقوقها ما لاينال بالسيف والمدفع ، مع امن الخطر على الدولة ، التي يجب الاتفاق على حفظ كيانها ، وتعزيزها ورفعة شأنها ، قبل كل سعي ، ومع كل سعي ، وبعد كل سعي ،

يسمع في البلاد العربية قليل من الكلام ، ويوجد في بلاد الارنؤط كثير من السلاح ، وكذلك في صحاري الجزيرة والعراق ، ولا تصلح البلاد بهذا ولا ذاك ، على ان السلاح هنا وهنالك لم يقتن للاستعانة به على الاصلاح ، وانما اقتني ليكافح ويدافع به الناس بعضهم بعضا وقد يسلونه في وجه الحكومة اذا أحسوا بالظلم ، وكانت الحكومة ولا تزال بشؤم الماضي عاجزة عن تأمين تلك البلاد وحماية الأعزل فيها من عدوان شاكي السلاح ، وأما البلاد التي يشكى فيها من الحكومة ويطالب بعض العناصر فيها بحقوقه فهي أشد البلاد اخلاصا للدولة ، وأبعدها عن الخروج والفتنة ، اما العرب فقد خرج صوتهم من عاصمة الملك ، ورددت صداه سورية ومصر ، وهل يوجد أحد أعرف من العاصمة وسورية ومصر بقيمة الدولة واغير عليها وأحرص على عزتها ورفعة شأنها ؟ كلا وانما ذكرت هذه الجملة استدراكا على كل ما تقدم ، لأبين ان الباحثين في حقوق العرب اكثرهم في هذه البلاد ، وانهم اعرق العثمانيين في الغيرة والاخلاص ، على ما كان من سوء التفاهم بينهم وبين القابضين على ازمّة الأمور كابينا ذلك بالتفصيل في مقالاتنا «العرب والترك» بحسب ما اداانا اليه اجتهادنا الى ذلك الوقت ،

نحن نعتقد ان الاسلام قد حرم العصبية الجنسية ، وجعل المسلمين أخوة على اختلاف أجناسهم وعناصرهم ، وكنا نعتقد ان أشد التعصبات الجنسية ضررا على على المسلمين في هذا العصر تعصب العرب والترك للعربية والتركية ولذلك سعينا هنا (في الآستانة) جهد طاقتنا بالقول والكتابة لسد هذه الثغرة التي فتحتها السياسة ،

وقد قلت ولا أزال أقول إن الاسلام قد أبعد العرب عن النعرة الجنسية حتى صاروا أبعد الامم عنها ، وانه لايقدر أحد على اعادتها اليهم أو اعادتهم اليها ،

الهم الا من يتحاملون عليهم من الترك فهم وحدهم القادرون على هذا الامر ، وقد عجزعنه الافرنج اذ حاولوه من قبل ،

ان سيرة ساسة الترك ومتولي أزمّة امورهم وكتاب اشهر جرائدهم هي سيرة من يريد تحريك الجنسية العربية لا مفر من ذلك الاباد عاء كونهم لا يعلمون ماذا يعملون ، فاذا تحقق هذا فان نهي مثلي عن نهوض العرب باسم العرب ماعاد له فائدة . فما عليّ اذاً الا أن أذكرهم في جنسيتهم بأمرين لامندوحة عنهما . ولايمكن ان يحل محل العرب سواهم فيهما . أحدهما جعل أساس نهضتهم تعزيز الدولة العلية ، وثانيهما ان يكونوا حلقة التعارف والاتصال بين جميع الشعوب الاسلامية ، فالامر الاول يجب على المسلم وغير المسلم منهم لانهم العنصر الا كبر لهذه الدولة ، والامر الثاني يجب على مسلميهم خاصة لانهم أولى بالارشاد الاسلامي وأقدر عليه من غيرهم ، وهم بهاتين الوظيفتين المقدستين لايقاسون على أمة ولا على شعب ولا يقاس عليهم غيرهم ، فحقوقهم اعظم ، والواجبات عليهم اثقل ، وامامهم الصراط المستقيم ، فليتبعوه إن كانوا فاعلين ، والله الموفق والمعين .

* * *

النهضة المصرية والدستور

مصر بلاد ممتازة في ادارتها الداخلية، تابعة للدولة العلية العثمانية، فكل مصري عثماني ، وما كل عثماني مصريا ، فبينهما العموم والخصوص المطلق كالمهندس والمتعلم مثلا ، فكل مهندس متعلم ، وما كل متعلم مهندسا

مرّ على العثمانيين والمصريين زهاء ثلث قرن وهما على طرفي نقيض ، أو حرفي تباين ، إذ هؤلاء يرسفون في قيود العبودية ، وأولئك يرفلون في حلل الحرية ، ثم تحول شكل الحكومة العثمانية فجأة فطفرت من هاوية الاستبداد المطلق ، الى قنة الحكم النيابي المقيد ، فأحدث هذا الطفور شيئا من رد الفعل فقامت الحكومة العرفية بحوط وتحمي حمى الحكومة الدستورية ، فلولا الجند العثماني لما ذكر الدستور جهرا

في هذه البلاد ، ولولا الجيش لما طمع احد في استقرار الدستور فيها ،

وأما مصر فكانت تنطق اذ كانت البلاد العثمانية صامتة واجمة ، وكان العثماني الحر لا يستطيع ان يتكلم في بلده ، فالمصريون قد طلبوا الدستور بصوت اندى من صوت العثمانيين واصرح ، ثم طلبوه جهرا إذ كنا نطلبه سرا ، ولكن لم يكن لهم جيش كجيشنا يلبي نداءهم ويجيب دعاءهم ، ولم تكن بلادنا كبلادهم محتلة بجيش اجنبي ، ولا حكومتنا كحكومتهم محاطة بنفوذ دولة اجنبية قوية ، فوجب ان يكون طلبهم بالحجة ، وتربية الاحساس وجمع الكلمة ، فكل من الفريقين قد سعى الى مطلبه في محيط الامكان ، ولم يطمع في تجاوزه الى المحال ،

قويت حجة المصريين بعد اعلان الحكومة الدستورية في بلاد الدولة العلية التي هي أمهم وهم اقدر أولاد هذه الام على رفع بلادهم ، وترقيتها بجدهم واجتهادهم وقد انتشر فيهم التعليم ونمي في نفوسهم شعور القومية ، واتسعت دائرة التكافل والتعاون على المصالح العامة ، فأنشأوا بأموالهم ألوفا من الكتاتيب الابتدائية وأنشأوا مدرسة الجامعة المصرية ، وعندهم عدة جمعيات خيرية وعلمية ، وكثر قراء الجرائد والمجلات فيهم ، وبلادهم متصل بعضها ببعض بالسكك الحديدية فلا يحدث في زاوية من زواياها حادثة ذات بال الا ويطوف خبرها جميع ارجائها في يوم أو يومين ، فأنى للبلاد العثمانية ان تشاركها بهذه المزايا كلها ؟ فمن انكر على المصريين استحقاق الحكم النيابي الذي يتمتع به العثمانيون زاعما ان استعدادهم دون استعداد اخوتهم له فهو اما جاهل مليم ، وإما ظالم مبين

أنا أشهد ان مصر قد صارت أقوى استعدادا للحكم النيابي بفضل النابغين من أبنائها وأبناء اختها سورية الذين جذبتهم اليها جامعات اللغة والجوار والعادات وبما استفادته من مشاركة أبناء الشعوب الاوربية ، وبما ساقه اليها الاحتلال الانكليزي من ضروب العبر في سيطرته على حكومتها ، وتصرفه في ادارتها وماليتها ، وبما نفخه استثقال السلطة الاجنبية في نفوس أهلها من حب الخلاص مع بقاء سيادة الدولة العلية عليها ودوام ارتباطها بها في السياسة الخارجية

* *

مع هذا كله أقول ان مصر لا تزال مقصرة في أمر عظيم هو الركن الاعظم والبرهان القاطع لثبات الاحتلال ولو اهتمت أحزابها وجرائدها به كالاهتمام بالسياسة لكانت أقرب الى النجاح والفلاح . ألا ان هذا الامر العظيم هو مايدل عليه بالايجاز لفظ (الاقتصاد) وبيانه بالتفصيل والإطناب ، تدخل فصوله في كثير من الابواب ، وما من باب منها الا وقد دخله كثير من المصريين ، فالافراد منهم يعرفون جميع الجزئيات ، ولكن الاحزاب والجماعات لمّا تقم بما يجب من الكليات

نريد من الاقتصاد ان تكون رقبة البلاد لاهلها خالصة لهم من دون الاجانب وأن يكونوا أحرارا في تصرفهم بها ، نريد ان يقف سريان امتلاك الاجانب الارض عند الحد الذي وصل اليه ، وان نضع عن الوطنيين اصرهم واغلال الديون التي غلّوا بها أيديهم الى أعناقهم ، وقيودها التي قيدوا بها أرجلهم ، ثم نريد ان تكون ثروة البلاد قوة في ايدي أبنائها يوادّون بها من شاءوا من الامم ويحادّون بها من شاؤا فيعملون بها مالا يعمل السيف ولا القلم فتكون هي العون والنصير لهم في مقاصدهم السياسية والاجتماعية

المال هو القطب الذي تدور حوله أفلاك السياسة في جو هذه المدنية فلولاه لما زحف اهل الشمال على أهل الجنوب في الشرق والغرب واستولوا على بلادهم باسم الفتح والاستعمار ، أو النفوذ والاحتلال ، وان اصحاب الاموال في اوربا هم الذين يتصرفون في سياستها كما يشاءون ، وبيدهم ميزان الحرب والسلم فهم الذين يزنون ويرجحون ،

ما كان لأهل الشمال أن يكونوا أقوى من أهل الجنوب استعدادا للاعمال المالية ، إن زعامة المال فيهم ليست إلا بايدي رجال منا ، انها كما يعلم الخبيرون في أيدي اليهود وهم منا (نحن الشرقيين) نسبا وموطنا وانما ظهرت براعتهم في اوربا باستقرار العدل والحرية فيها ، ويلي اليهود في الاستعداد سائر اخوانهم السوريين والفلسطينيين ، وان سورية ومصر لأختان شقيقتان ، وقد تمازج أبناؤهما منذ القرن الماضي فكانا كمزاج الماء بالراح ، فاستفاد كل من الآخر ولولا أن قام بعض الكتاب بما قام به من

سياسة التحليل ، واضافة ذنوب الافراد الى الشعب والقبيل ، لكان الاتحاد أقوى والاستفادة منه أتم

كل سوري بل كل عربي يجيء مصر ويقيم فيها يحسبها وطنه ويرى أهلها قومه واخوته ، لسانهم لسانه ، وعاداتهم عاداته ، ومحاكمهم محاكمه ، فاذا اثرى فيها كان هو التابع لثروته ، ولم تكن ثروته هي التابعة له الى بلاده ، تجذبه مصر اليها فيكون عضوا من أعضائها ، أو مادة من مواد غذائها ، ولا يجذب هو شيئا من ثروتها الى بلاده لتكون غذاء لها ، فالمالي من السوريين أو العرب يمد حياة مصر المادية بكده وكدحه ، كما يمد العالم والاديب منهم حياتها المعنوية بلسانه وقلمه ، فينبغي للمصريين ان يحكموا روابط الاتحاد بينهم وبين من يتصل بهم من اخوانهم المشاركين لهم في جميع مصالحهم ومنافعهم ويستعين بعضهم ببعض على ما تجب العناية به من النهضة الاقتصادية

ان حوادث الزمان قد أعدت النفوس لاحكام هذا الاتحاد وتوثيق روابطه فاستعدت له وقد ترجم عن هذا الاستعداد مدير « الجريدة » في السنة الماضية بمقالة له اقترح فيها اخراجه من حيز القوة الى حيز الفعل ، وان وراء ذلك لقوة أخرى لمصر هي غافلة عنها ، وما رأيت أحدا نبه اليها، وهي زعامة ارتقاء الامة العربية بأسرها، ولا سيما الولايات العثمانية منها ، فقد دبت الحياة الى هذه الولايات بفضل الدستور وتوجهت وجوه العقلاء الى احياء اللغة العربية بالقول والكتابة والعلوم والفنون ، وان عاصمة دار السلطنة لهي التي تحفز همتهم الى ذلك ، وان سورية لمبسوطة الذراعين لعناق مصر وناشزة الشفتين لتقبيلها

فالذي أقترحه على مصر الآن هو أن تبادر الى تأليف جمعية أو لجنة اقتصادية أعضاؤها من جميع الاحزاب والعناصر الخاضعة لقوانين المصرية ومن أصحاب الجرائد لاجل القيام بما أشرنا اليه آنفا ، ويجب ان يكون أول عملها احصاء ديون الاهالي والنظر في الطرق القريبة لوفائها وتحويل مدها الى جزر لا تفيض بعده تأنية ثم النظر في مسائل المضاربات والشركات وتلافي ضررها العظيم ، ولا أحاول الاحاطة ببيان كل ما يجب ان تعمله لمنع اغتيال الاجانب لثروة البلاد وتنمية هذه الثروة

وتثيرها ، بل لايستطيع ذلك مثلي ؛ فانما أنا مذكر بالامور الكلية التي أرى البلاد قد استعدت لها أو يجب ان تستعد لها ؛ وان وراء ما ذكرته من المبادئ غايات لاتحصى فوائدها ،

اني قد ذكرت اخواني المصريين بمثل هذا غير مرة ، ذكرتهم به منذ ثلاث عشرة سنة أول مقدمي الى مصر في خطب خطبتها ومقالات كتبتها في المنار والمؤيد؛ ثم أعدت التذكير بذلك في « الجريدة » أول العهد بصدورها وها أنا ذا أعيد التذكير « فذكران نفعت الذكرى ، سيذكر من يخشى »

اذا كانت السياسة قد شغلت قلوبهم وأفكارهم ، وملكت عليهم ألسنتهم وأقلامهم ، فهم يعلمون ان هذا العمل لايعارض سياستهم بل يدعمها ويعززها، فاذا لم يكن الآن وسيلة عاجلة للحكم النيابي فربما يكون غدا أرجى الوسائل وأقربها ؛ فان نالت البلاد ماتطلبه من هذا الحكم بالوسائل التي يراها الاحزاب أقرب فليس بضارهم ان يجمعوا بين حكم أنفسهم بأنفسهم و بين حفظ ثروتهم من اغتيال الاجانب ، وقد يضرهم ان لايكونوا جامعين لها؛ فانا نرى الحكومة العثمانية ـ وقد صارت دستورية ـ مغلولة الايدي دون ماتبتغي من الاصلاح لقلة المال ، وقد كان دينها قبل الدستور قريبا من دين الحكومة المصرية ولكن الامة العثمانية على فقرها وتأخرها انها ليست مدينة للاجانب كالامة المصرية على سعة ثروتها وعمران بلادها ،

لابد لكل من يتصدى لامر عظيم أن يرجو الفوز ويخاف الخذلان وان يعد لكل امر عدته؛ وحجة المصري على وجوب حكمه لبلاده لا تزال ناهضة مادامت رقبة البلاد في يده لاحقوق فيها للاجانب ؛ والآن قد صار زهاء خمسها ملكا للاجانب أفلا يخشى ان يطغى هذا السيل الاتي حتى يغمر نصف أطيان القطر أو أكثر من النصف في زمن قريب اذا لم تقم في طريقه السدود التي تصد طغيانه ؟ ألا يخشى ان يتحد يومئذ أصحاب الاطيان من الاجانب وأصحاب الديون على الفلاح الوطني كما هي عادتهم ويقولوا ان هذه البلاد ليست لكم وحدكم أيها المصريون فيصح قولكم نحن أولى بحكمها وانما هي لنا ولكم ، ونحن أقدر على الحكم منكم فأو يجب أن يكون مشتركا

بيننا و بينكم كما قال لورد كرومر ؟ يومئذ لاتنفع الحجج ولا تفيد المظاهرات ولا يغني الاعتصاب شيئا الا غناءة قد يكون اثمه اكبر من نفعه

قد رأيتم العبرة في العسرة المالية التي صدمت البلاد في هذه السنين الاخيرة، ورأيتم كيف أصبح أصحاب الاراضي الواسعة أحير من الضب ، واعجز من أسير الحرب ، هذا ولم يكن أصحاب الاموال في أوربا متحدين على تعمد حربكم حربا اقتصادية ، وهل يعجز دهاة السياسة الانكليزية أن يحملوهم على هذا الاتحاد في يوم من الايام ؟

لكل قطر طبيعة واستعداد والقوة الطبيعية أنفع من القوة المتكلفة ، والامة المصرية مستعدة لمغالبة كل أمة من أمم الارض ، بقوتي الثروة والعلم، وليست مستعدة لمقاومة دولة كبيرة بالحرب ، ولا سيما في هذا العصر ، فليكن اعتمادها على ماهو قريب من استعدادها ، وعناية الله كافلة لها نيل مرادها ،

تأريخ التجنيد العثماني (*)

كان قانون أخذ العسكر موضوع جلسة يوم السبت في مجلس الامة كما يراه المطالع في باب هذه المذكرات من هذا العدد . وقد صدّره قومسيون العسكرية في المجلس بمقدمة تأريخية باحثة عن طرق التجنيد في الدولة منذ تأسست الى يومنا هذا فأحببنا اقتطاف المهم منها لمحبي التأريخ

« اذا استثنينا الرومان فقلّ ان نصادف في تأريخ عسكرية الامم اشارة لوجود اجناد دائمية منتظمة . وفي القرون الوسطى كان هذا الامتياز للعثمانيين و بعد قرن من ذلك أسس شارل السابع ملك فرنسا أجنادا دائمية

« كانت أجناد العثمانية الى سنة ٧٣٠ ه . مؤلفة من المتطوعين وعبارة عن جيش موقت يقبل فيه كل راغب من الشبان . لم يكن لباس الجند واحدا بل كان

(*) نقلناها من جريدة الحضارة التي تطبع بالآستانة

كل واحد يلبس مايشتهي ويحمل السلاح الذي يريد . وكان الفرسان اسمى مقاما من الرجّالة . والاسلحة يومئذ عبارة عن الحسام والسنان والترس والقوس . وكان هذا الجيش المتطوع يدعى « آقينجي » (معناه السيل الجارف) ويوجد غيرهذا الجيش جند يدعون العسا كر الخاصة يقيمون دائمًا في قاعدة الحكومة

« فلما اتسعت الفتوحات لم يبق من الممكن الا كتفاء بذلك الجيش القليل الصعب جمعه وترتيبه ومست الحاجة الى ايجاد صنوف الرجالة ففي عهد السلطان اورخان ائتمر أخوه الوزير الاعظم علاء الدين باشا وخليل باشا الجاندارلي ووتبا خطة لايجاد عسكر دائمي فوضعوا أساس الجند المسمى « يكيجرية »(معناه العسكر الجديد وقد عرّبها العرب بكلمة انكشارية) وأوجبوا أن يكون الزي العسكري مطرداً ولمْا في هذا الجيش من أولاد النصارى الذين ادخلوهم في طاعتهم

قد نشأ بين الانكشارية هؤلاء كثيرمن القواد البرية والبحرية الذين لايبلى ذ كرهم ولم يكن في ذلك العهد جيش يضارعه عند أمة من الأمم .

وكان كبيرهم الاعظم يلقب آغا وهو في مقام ناظر الحربية . ومن عاداتهم تقديس القدور التي يطبخ بها وهي تعطى لهم من قبل السلطان ويجتمعون حولها

* * *

وكان من يبرز على أقرانه في الحرب والطعان من الرجّالة والفرسان يكافأعلى ذلك متى بلغ الاربعين او الخامسة والاربعين من العمر فيعطى من البلاد المفتوحة خراج مقاطعة مثل لواء أو قضاء أو خراج قرية واحدة فقط فما كان من الاقطاع تبلغ وارداته من ٣٠٠٠ الى ٢٠٠٠٠ أقچه يسمى تيمارا . وما كانت وارداته من ٢٠٠٠٠ الى ١٠٠٠٠٠ أقچه يسمى زعامة فكل ذي تيمار عليه ان ينفق عن حساب كل ٣٠٠٠ اقچة على راجل واحد . وكل ذي زعامة عليه ان ينفق عن حساب كل ٢٠٠٠٠ أقچة على فارس قادر تام اللأمة . فاذا وقعت حرب كان هؤلاء مع رجالهم المكلفين بنفقاتهم حاضرين مع الملك . ويسمى هؤلاء بالفرسان ذوي الاطيان (الاراضي)وقد بلغ عددهم في عهد السلطان سليمان القانوني مئة وخمسين ألفا وفي عهد مراد الرابع بلغ عددهم مئة وتسعة وسبعين ألفا وعشرين

أما عدد العساكر في تلك الاعصار فكان هكذا: القپوقولي ٧٤١٤٨ والفرسان اولو الاطبان مع فرسان الألايات الممتازة ١٧٤١٩٢ والعساكر البحرية ٥٥٧٢ المجموع ٢٦٣٩١٢ وأما القول بأن القانوني دخل بلاد المجر بثلاثمئة الف مقاتل معهم ٣٠٠ مدفع فهو من روايات المؤرخين الاجانب

في بدء احداث الانكشارية كان الواحد منهم يعطى في اليوم اقچه واحدة والاقچه سكة عثمانية فضية وزن ثلث درهم فضة من عيار التسعين ثم تنزل عيارها فاقتضى ذلك ان يزاد لهم الى ثلاث اقچايات وفي أواخر القرن العاشر زيد لهم الى خمس وفي القرن الحادي عشر زيد لهم سبع ثم زيد لهم في أواخر امرهم الى سبع وعشرين اقچه في اليوم ولم يكن من مساواة في العطاء بل كان بعضهم يأخذ أكثر من بعض . أما آغاهم فكان يأخذ خمس مئة اقچه في اليوم

كان هذا الجيش اسمى جيش في الدنيا ولم يكن يوثب من فتح الا الى فتح آخر حتى رفع مركز السلطنة العثمانية الى الذروة العليا التي امتازت بها بين الدول ولكن امر الزمان عجيب فان هذا الجيش الذي كان سبب هذه النعم العظيمة مالبث ان طغى واستكبر ، واستولى عليه الغرور والاشر ، فدخل عليه الفساد من كل باب ، وتوصل اليه المكروه بجملة اسباب ، فعاد شؤما على الدولة بعد ان كان يمنا ، وبؤسا بعد ان كان نعمى ، حتى بلغ بعد القرن الثاني عشر مبلغا من تفكك الروابط وشيوع الفوضى وقلة الطاعة وكثرة عدم المبالاة ليس وراءه مبلغ فاصبح بعد تلك البسالة العظيمة التي امتاز بها يكثر فيه الفارون من مواطن الزحف حتى من امام الجيوش التي هي اقل منه عددا

وكانت العسكرية في أوربا قد بدأت تخطو خطوات واسعة في درجات الكمال فيومئذ صرفت وجوه الآمال عن مغالبة الخصوم بالهجوم والفتوح وبقيت الافكار مشغولة بأمر الدفاع عما في البلدان القوة العسكرية اصبحت على وشك الاضمحلال البتة

جال هذا الامر في فكر سليم الثالث ونظر الى عاقبة امر الدولة اذا ظل زمام المدافعة بيد هؤلاء الانكشارية الذين كثر فيهم الفشل واستولى عليهم الخطل فبدى

لهرأي ونهض له بقوة . ذلك أنه أحدث عسكرا على قواعد تناسب الزمان والمكان وجعل له عنوان « نظام جديد » وجمع من هذا النظام الجديد ثلاثين ألفا وعزم على الغاء الانكشارية . ولكن هذا النظام الجديد لم يستطع الوقوف أمام بأس الانكشارية الا بضع سنين ولم يتمكن سليم الثالث من تلك الامنية العظيمة التي كان يقتضي الظفر بها بقاء الدولة

لكن الذي لم يتيسر لسليم الثالث تيسر لمحمود الثاني الذي رأى ان الغاء هذه العساكر العظيمة باصدار الاوامر ليس من الممكن وأن هذا الامر لا يتم الا بالتنكيل والتشريد بهم فاستفق في قتلهم على إثر تمرد وبغي وطغيان فأتى فيه وتوسل الى اجتثاث هذه الشجرة من أصلها بما هدته اليه الفطنة المتوقدة وكان ذلك في يوم السبت في ١١ ذي القعدة من عام ١٢٤١ هـ - ١٧ حزيران ١٨٢٦ م

وأما آغا الانكشارية حسين آغا فانه كان مقتنعا بفوائد النظام الجديد فاعطى لقب باشا ونصب سر عسكرًا ولقبت العساكر الجديدة بالعساكر المحمدية المنصورة هكذا وضع أساس النظام الجديد لعسكريتنا وعلى هذا يكون عمر جيشنا الجديد سبعا وثمانين سنة هـ . ينقسم تاريخ الجيش الجديد الى ثلاثة أدوار الاول دور القسم والثاني دور القرعة والثالث دور التكليف العسكري . فالدور الاول من ١٢٤١ الى ١٢٦٠ أي عبارة عن تسع عشرة سنة كانوا يجمعون العسكر ممن صادفوه من الشبان الاقوياء . لم يستأنس الناس في بدء الامر بهذه الطريقة لانهم كانوا قد تعودوا رؤية هيئة الانكشارية وانكروا من هذه الطريقة انها من سنن الافرنج

ولم تكن مدة التجنيد معينة أيضا وفي ١٢٤٤ - ١٢٤٥ وقعت الحرب بين الدولة والروس (التي انتهت بمعاهدة ادرنه) فكان من البديهي ان لا تظهر الثمرات المنتظرة من النظام الجديد لقصر المدة وفي تلك الاثناء اخذ نخدمة الدولة الموشال مولتكه الذي ظفر في محاربة ثلاث دول في بضع سنين واطلع من اعارة بروسيا الصغيرة امبراطورية المانيا العظيمة ولكن حالت الحوائل دون الاستفادة من خدمة هذا الرجل المعظم فان الدولة في تلك السنين كانت قد شغلتها حوادث وحروب المورة

والبوسنه والهرسك والتپه دلنلي ومحمد علي وكان عدد الجيش الجديد هكذا: العساكر المنتظمة ٠٠٠ ٨٠ والرديف ٠٠٠ ١٣٠ والعساكر البحرية ٥٠٠٠ الجميع ٠٠٠ ٢١٥ وكان سوى هؤلاء نحو من عشرة آلاف من الخيالة المنتظمة ونحو اربعة آلايات من الخيالة العتق ·

واتوا بعد ذلك بمعلمين من المانيا لحصل اصلاح في ترتيب الجيش ولكن طريقة القسم كانت لاتزال على حالها فلذلك لم تصل الاصلاحات الى الدرجة المطلوبة ودام الامر على هذا المنوال الى ١٢٦٠ ففي هذه السنة وضع اساس جديد للدولة بمعرفة رشيد باشا الكبير وقرئ خط كلخانه الذي يتضمن هذا الاساس فدخلت عسكريتنا الجديدة في دورها الثاني

من هذا التأريخ ألغيت طريقة القسم ، ووضعت طريقة القرعة ، وحددت مدة العسكرية ، ووضع قانون لاخذ العسكر على هذه الطريقة من قبل ضباط بروسيانيين جعلت بموجبه خدمة العسكر الموظف خمس سنين والرديف سبعا ومن دخل في أسنان العسكرية تسحب قرعته فان اصابته القرعة تلك السنة يؤخذ وان لم تصبه يترك الى السنة التي بعدها · فان لم تصبه مدة السنين الخمس يعفى من الخدمة · وقد قسمت البلاد العثمانية الى دوائر رديفية فأصبح للعسكرية نظام حقا · وفي حرب القريم ظهرت ثمرات عظيمة من هذا النظام · وقسمت الاجناد كلها الى ستة كان كل جند (اردو) فيه حين السلم ستة آلايات رجالة واربعة آلايات خيالة وآلاي واحد مدفعي سيار فكان عدد الاجناد حين السلم هكذا : النظامية ٠٠٠ ١٥٠ ونحو من ذلك عدد الرديف بحيث يتكون من النظامية والرديف وقت الحرب ٠٠٠ ٣٠٠

وفي خط كلخانه يوجد نص على أنه يؤخذ للعسكر من غير المسلمين ولكن اقتضاءات الزمان منعت من ذلك

وفي عام ١٢٨٦ حدث تحوير في ترتيب العسكرية فجعلت مدة الخدمة ثلاثا للعسكر الموظف ، وسنتين لخدمة الاحتياطية ، وستا للخدمة الرديفية ، وثمانيا للمستحفظية وكان عدد الاجناد في ذلك العهد هكذا : النظامية والاحتياطية ٠٠٠ ٢٣٧ والرديف ٠٠٠ ٣٥٠ أو يزيد على هذا المقدار · وكان عدد أجناد الدولة كلها في زمن محاربة

روسية ٧٥٩٠٠٠ ولكن لاستمرار الحرب ثلاث سنين وضياع كثير من الارواح تضعضع هذا الجيش ومست الحاجة بعد ذلك لتحويرات فيه ففي عام ارج وتسعين حوّل اسم السر عسكرية الى اسم نظارة الحربية وقسمت اللوازم والاستعدادات العسكرية الى شعب ودوائر وأخذت الاجناد شكلا آخر جديدا . وفي عام ثمان وتسعين اتي بجماعة من ضباط الالمان من صنوف مختلفة في الجيش الالماني وأخذت آراؤهم في الاصلاح العسكري وكان يرأسهم كهلر باشا . وبعد سنة جيء بالبكباشي فوندرغولج باشا فأرشد هذا الى طرق كثيرة للاصلاح العسكري بالرغم عما كان يحول بينه وبين الاصلاح من الموانع التي هي معهودة ومعروفة في ذلك العهد

الى هذا الرجل يعزى النظر في ترتيب الدروس أحسن ترتيب في المدرسة الحربية ، واليه يعزى السبب في تغيير طريقة القرعة ووضع قانون أخذ العسكر المعمول به الى عهدنا هذا

❀ ❀

« أما حرمان أبناء وطننا غير المسلمين من خدمة العسكرية مع أن لهم حقا بالشرف الذي يحصل من خدمة الاوطان فكان خطاء من حكومتنا لا يعفى عنه وكان من دواعي انكسار خاطر هؤلاء الشركاء في الوطن والاغرب من ذلك حرمان أهل هذه العاصمة من هذا الشرف ايضا

فمن موجبات الشكر أن أول شيء تفكرت فيه حكومتنا بعد التغير الجديد السعيد في الوطن هو الاسراع لدفع هذا الخطأ المنافي للقانون الاساسي

هذا هو تاريخنا العسكري ومنذ الآن سينال أبناء وطننا من غير المسلمين نصيبهم من شرف الدفاع عن حياض الوطن ، ويقفون مع زملائهم المسلمين صفا واحدا أمام كل عدو معرضين حياتهم للمقاومة في سبيل مقصد واحد هو إعلاء شأن الرابطة الوحيدة التي تضم قلوب جميع العثمانيين حول وطنهم العزيز

العمران العربي

﴿ وصف الجامع الاموي ﴾ (*)

هو من أشهر جوامع الاسلام حسنا واتقان بناء وغرابة صنعة واحتفال تنميق وتزيين وشهرته المتعارفة في ذلك تغني عن استغراق الوصف فيه . ومن عجيب شأنه انه لا تنسج به العنكبوت ولا تدخله ولا تلم به الطير المعروفة بالخطاف . انتدب لبنائه الوليد بن عبد الملك (رح) ووجه الى ملك الروم بالقسطنطينية يأمره باشخاص اثني عشر ألفا من الصناع من بلاده وتقدم اليه بالوعيد في ذلك ان توقف عنه فامتثل أمره مذعنا بعد مراسلة جرت بينهما في ذلك مما هو مذكور في كتب التواريخ فشرع في بنائه وبلغت الغاية في التأنق فيه وانزلت جدره كلها بفصوص من الذهب المعروف بالفسيفساء وخلطت بها انواع من الاصبغة الغريبة قد مثلت اشجارا وفرعت اغصانا منظومة بالفصوص ببدائع من الصنعة الانيقة المعجزة وصف كل واصف فجاء يغشي العيون وميضا وبصيصا وكان مبلغ النفقة فيه حسبما ذكره ابن المعلي الاسدي في جزء وضعه في ذكر بنائه مئة صندوق في كل صندوق ثمانية وعشرين ألف دينار ومئتا ألف دينار فكان مبلغ الجميع احدى عشر ألف ألف دينار ومئتا ألف دينار . والوليد هذا هو الذي أخذ نصف الكنيسة . الباقية منه في ايدي النصارى وأدخلها فيه لانه كان قسمين قسما للمسلمين وهو الشرقي وقسما للنصارى وهو الغربي لان ابا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه دخل البلد في الجهة الغربية فانتهى الى نصف الكنيسة وقد وقع الصلح بينه وبين النصارى ودخل خالد بن الوليد رضي الله عنه عنوة من الجانب الشرقي

---

*) نقلا عن رحلة ابن جبير من وصفه للجامع الاموي اذ زاره في سنة ٥٨٠

وانتهى الى النصف الثاني وهو الشرقي فاحتازه المسلمون وصيروه مسجداً وبقي النصف المصالح عليه وهو الغربي كنيسة بأيدي النصارى الى ان عوضهم منه الوليد فابوا ذلك فانتزعه منهم قهرا وطلع لهدمه بنفسه وكانوا يزعمون ان الذي يهدم كنيستهم يجن فبادر وقال أنا أول من يجن في الله و بدأ الهدم بيده فبادر المسلمون وا كملوا هدمه

ذرعه في الطول من الشرق الى الغرب مئتا خطوة وهما ثلاثمئة ذراع وذرعه في السعة من القبلة الى الجوف مئة خطوة وخمس وثلاثون خطوة وهي مئتا ذراع فيكون تكسيره من المراجع الغربية اربعة وعشرون مرجعا وهو تكسير مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم غير ان مسجد رسول الله صلى الله عليه من القبلة الى الشمال . و بلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاثة مستطيلة من الشرق الى الغرب سعة كل بلاط منها ثمان عشرة خطوة والخطوة ذراع ونصف وقد قامت على ثمانية وستين عمودا منها اربعة وخمسون سارية وثماني أرجل جصية تتخللها واثنتان مرخمة ملصقة معها في الجدار الذي يلي الصحن وأربع أرجل مرخمة أبدع ترخيم مرصعة بفصوص من الرخام ملونة قد نظمت خواتيم وصورت محاريب واشكالا غريبة قائمة في البلاط الاوسط تقل قبة الرصاص مع القبة التي تلي المحراب سعة كل رجل منها ستة عشر شبرا وطولها عشرون شبرا و بين كل رجل ورجل في الطول سبع عشرة خطوة وفي العرض ثلاث عشرة خطوة فيكون دور كل رجل منها اثنين وسبعين شبرا . ويستدير بالصحن بلاط من ثلاث جهاته الشرقية والغربية والشمالية سعته عشرة خطى وعدد قوائمه سبع وأربعون منها اربع عشرة رجلا من الجص وسائرها سوار فيكون سعة الصحن حاشا السقف القبلي والشمالي مئة ذراع . وسقف الجامع كله من خارج ألواح رصاص

واعظم ما في هذا الجامع المبارك قبة الرصاص المتصلة بالمحراب وسطه سامية في الهواء عظيمة الاستدارة قد استقل بها هيكل عظيم هو غارب لها يتصل من المحراب الى الصحن وتحته ثلاث قباب قبة تتصل بالجدار الذي الى الصحن وقبة تتصل بالمحراب وقبة تحت قبة الرصاص بينهما . والقبة الرصاصية قد أغصت الهواء وسطه فاذا استقبلتها ابصرت منظرا رائعا ومرأى هائلا يشبهه بنسر طائر كأن القبة رأسه والغارب جؤجؤه ونصف جدار البلاط

على يمين ينصف الثاني على شمال جناحاوسعةهذا الغراب من جهة الصحن ثلاثون خطوة فهم يعرفون هذا الموضع من الجامع بالنسر لهذا التشبيه الواقع عليه . ومن اي جهة استقبلت البلد ترى القبة في الهواء منيفة على كل علو كأنها معلقةمن الجو . والجامع مائل الى الجهة الشمالية من البلد وعدد شمسياته الزجاجية المذهبة الملونة اربع وسبعون منها في القبة التي تحت قبة الرصاص عشر وفي القبة المتصلة بالمحراب مع مايليها من الجدر أربع عشرةشمسية وفي طول الجدار عن يمين المحراب و يساره اربع وأربعون وفي القبة المتصلة بجدار الصحن ست وفي ظهر الجدار الى الصحن سبع وأربعون شمسية

وفي الجامع ثلاث مقصورات مقصورة الصحابة رضي الله عنهم وهي أول مقصورة وضعت في الاسلام وضعها معاوية بن أبي سفيان (رض) و بازاء محرابها عن يمين مستقبل القبة باب حديد كان يدخل معاوية (رض)الى المقصورة منه الى المحراب و بازاء محرابها لجهة اليمين مصلى أبي الدرداء (رض) وخلفها كانت دار معاوية (رض) وهي اليوم سماط عظيم للصفارين يتصل بطول جدار الجامع القبلي ولا سماط أحسن منظرا منه ولا اكبر طولا وعرضا . وخلف هذا السماط على مقربة منه دار الخيل برسمه وهي اليوم مسكونة وفيها مواضع للكادين وطول المقصورة الصحابية المذكورة اربعة وأربعون شبرا وعرضها نصف الطول ويليها لجهة الغرب في وسط الجامع المقصورة التي احدثت عند إضافة النصف المتخذ كنيسة الى الجامع حسبما تقدم ذكره وفيها منبر الخطبة ومحراب الصلاة وكانت مقصورة الصحابة أولا في نصف الخط الاسلامي من الكنيسة وكان الجدار حيث اعيد المحراب في المقصورة المحدثة فلما أعيدت الكنيسة كلهامسجدا صارت مقصورة الصحابة طرفا في الجانب الشرقي وأحدثت المقصورة الاخرى وسطا حيث كان جدار الجامع قبل الاتصال وهذه المقصورة المحدثة اكبر من الصحابية . و بالجانب الغربي بازاء الجدار مقصورة اخرى هي برسم الحنفية يجتمعون فيها للتدريس وبها يصلون و بازائها زاوية محدقة بالاعواد المشرجبة كأنها مقصورة صغيرة و بالجانب الشرقي في زاوية أخرى على هذه الصفة هي كالمقصورة كان وضعها الصلاة فيها

أحد امراء الدولة التركية وهي لاصقة بالجدار الشرقي . و بالجامع عدة زوايا على هذا الترتيب يتخذها الطلبة للنسخ والدرس والانفراد عن ازدحام الناس وهي من جملة مرافق الطلبة

وفي الجدار المتصل بالصحن المحيط بالبلاطات القبلية عشرون بابا متصلا بطول الجدار قد علتها قسي جصية مخرمة كلها على هيئة الشمسيات فيبصر العين من اتصالها اجمل منظر واحسنه

والبلاط المتصل بالصحن المحيط بالبلاطات من ثلاث جهات على اعمدة وعلى تلك الاعمدة ابواب مقوسة تقلها أعمدة صغار تطيف بالصحن كله . ومنظر هذا الصحن من اجمل المناظر واحسنها وفيه مجتمع أهل البلد وهو متفرجهم ومتنزههم كل عشية تراهم فيه ذاهبين وراجعين من شرق الى غرب من باب جيرون الى باب البريد فمنهم من يتحدث مع صاحبه ومنهم من يقرأ لايزالون على هذه الحال من ذهاب ورجوع الى انقضاء صلاة العشاء الآخرة ثم ينصرفون . ولبعضهم بالغداة مثل ذلك . واكثر الاحتفال انما هو بالعشي فيخيل لمبصر ذلك انها ليلة سبع وعشرين من رمضان المعظم لما يرى من احتفال الناس واجتماعهم لايزالون على ذلك كل يوم وأهل البطالة من الناس يسمونهم حراسين

وللجامع ثلاث صوامع واحدة في الجانب الغربي وهي كالبرج المشيد تحتوي على مساكن متسعة وزوايا فسيحة راجعة كلها الى اغلاق يسكنها اقوام من الغرباء اهل الخير . والبيت الاعلى منها كان معتكف ابي حامد الغزالي رحمه الله ويسكنه اليوم الفقيه الزاهد ابو عبد الله بن سعيد من اهل قلعة يحصب المنسوبة لهم وهو قريب لبني سعيد المشتهرين بالدنيا وخدمتها . وثانيـة بالجانب الشرقي على هذه الصفة وثالثة بالجانب الشمالي على الباب المعروف بباب الناطفيين

وفي الصحن ثلاث قباب احداها في الجانب الغربي منه وهي اكبرها وهي قائمة على ثمـانية اعمدة من الرخام مستطيلة كالبرج مزخرفة بالفصوص والاصبغة الملونة كأنها الروضة حسنا وعليها قبة رصاص كأنها التنور العظيم الاستدارة يقال انها كانت مخزنا لمـال الجامع وله مال عظيم من خراجات ومستغلات تنيف على

ما ذكرنا على الثمانية آلاف دينار صورية في السنة وهي خمسة عشر الف درهم مؤمنية أو نحوها . وقبة أخرى صغيرة في وسط الصحن مجوفة مثمنة من رخام قد ألصق أبدع إلصاق قائمة على اربعة اعمدة صغار من الرخام وتحتها شباك حديد مستدير وفي وسطه انبوب من الصفر يمج الماء الى علو فيرتفع وينثني كأنه قضيب من لجين يشره الناس لوضع افواههم فيه للشرب استظرافا واستحسانا ويسمونه قفص الماء . والقبة الثالثة في الجانب الشرقي قائمة على ثمانية اعمدة على هيئة القبة الكبيرة لكن اصغر منها

وفي الجانب الشمالي من الصحن باب كبير يفضي الى مسجد كبير في وسطه صحن قد استدار فيه صهريج من الرخام كبير يجري الماء فيه دائما من صفحة رخام ابيض مثمنة قد قامت وسط الصهريج على رأس عمود مثقوب يصعد الماء منه اليها ويعرف هذا الموضع بالكلاسة ويصلي فيه اليوم صاحبنا الفقيه الزاهد المحدث ابو جعفر الفنكي القرطبي ويتزاحم الناس على الصلاة فيه خلفه التماسا لبركته واستماعا لحسن صوته

وفي الجانب الشرقي من الصحن باب يفضي الى مسجد من أحسن المساجد وابدعها وضعا وأجملها بناء يذكر الشيعة انه مشهد لعلي بن أبي طالب (رض) وهذا من أغرب مختلقاتهم . ومن العجيب انه يقابله في الجهة الغربية في زاوية البلاط الشمالي من الصحن موضع هو ملتقى آخر البلاط الشمالي مع اول البلاط الغربي مجلل بستر في اعلاه وامامه ستر ايضا منسدل يزعم اكثر الناس انه موضع لعائشة (رض) وانما كانت تسمع الحديث فيه وعائشة (رض) في دخول دمشق كعلي (رض) لكن لهم في علي (رض) مندوحة من القول وذلك انهم يزعمون انه روئي في المنام مصليا في ذلك الموضع فبنت الشيعة فيه مسجدا واما الموضع المنسوب لعائشة (رض) فلا مندوحة فيه وانما ذكرناه لشهرته في الجامع

وكان هذا الجامع المبارك ظاهرا و باطنا منزلا كله بالفصوص المذهبة مزخرفا بأبدع زخاريف البناء المعجز الصنعة فادركه الحريق مرتين فتهدم وجدد وذهب اكثر رخامه فاستحال رونقه فأسلم مافيه اليوم قبلته مع الثلاث قباب المتصلة بها .

ومحرابه من اعجب المحاريب الاسلامية حسنا وغرابة صنعة يتقد ذهبا كله وقد قامت في وسطه محاريب صغار متصلة بجداره تحفها سويريات مفتولات فتل الاسورة كأنها مخروطة لم ير شيء اجمل منها و بعضها حمر كأنها مرجان . فشأن قبلة هذا الجامع المبارك مع مايتصل بها من قبابه الثلاث واشراق شمسياته المذهبة الملونة عليه واتصال شعاع الشمس بها وانعكاسه الى كل لون منها حتى ترمي الى الابصار منه اشعة ملونة يتصل ذلك بجداره القبلي كله عظيم لايلحق وصفه ولا تبلغ العبارة بعض مايتصوره الخاطر منه والله يعمره بعنه

وفي الركن الشرقي من المقصورة الحديثة في المحراب خزانة كبيرة فيها مصحف من مصاحف عثمان (رض) وهو المصحف الذي وجه به الى الشام . وتفتح الخزانة كل يوم اثر الصلاة فيتبرك الناس بلمسه وتقبيله ويكثر الازدحام عليه

وله أربعة أبواب (باب) قبلي ويعرف بباب الزيادة وله دهليز كبير متسع وله أعمدة عظام وفيه حوانيت للخرزيين وسواهم وله مرأى رائع ومنه يفضي الى دار الخيل وعن يسار الخارج منه سماط الصفارين وهي كانت دار معاوية (رض) وتعرف بالخضراء (وباب) شرقي وهو أعظم الابواب ويعرف بباب جيرون (وباب) غربي ويعرف بباب البريد (وباب) شمالي ويعرف بباب الناطفيين وللشرقي والغربي والشمالي ايضا من هذه الابواب دهاليز متسعة يفضي كل دهليز منها الى باب عظيم كانت كلها مداخل الكنيسة فبقيت على حالها وأعظمها منظراً الدهليز المتصل بباب جيرون يخرج من هذا الباب الى بلاط طويل عريض قد قامت أمامه خمسة أبواب مقسومة لها ستة أعمدة طوال وفي وجه اليسار منه مشهد كبير حفيل كان فيه رأس الحسين بن علي رضي الله عنهما ثم نقل الى القاهرة و بازائه مسجد صغير ينسب لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه و بذلك المشهد ماء جار . وقد انتظمت امام البلاط ادراج ينحدر عليها الى الدهليز وهو كالخندق العظيم يتصل الى باب عظيم الارتفاع ينحسر الطرف دونه سموا قد حفته اعمدة كالجزوع طولا وكالاطواد ضخامة وبجانبي هذا الدهليز اعمدة قد قامت عليها شوارع مستديرة فيها الحوانيت

المتظلمة للعطارين وسواه وعليها شوارع أخر مستطيلة فيها الحُجَر والبيوت للكراء مشرفة على الدهليز وفوقها سطح يبت به سكان الحُجَر والبيوت

وفي وسط الدهليز حوض كبير مستدير من الرخام عليه قبة تقلها أعمدة من الرخام ويستدير بأعلاها طرة من الرصاص واسعة مكشوفة للهواء لم ينعطف عليها تقبيب وفي وسط الحوض الرخامي انبوب صفر يزعج الماء بقوة فيرتفع الى الهواء ازيد من القامة . . . . وحوله انابيب صغار ترمي الماء الى علو فيخرج عنها كقضبان اللجين فكأنها أغصان تلك الدوحة المائية ومنظرها أعجب وأبدع من ان يلحقه الوصف

وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي أمامه غرفة لها هيئة طاق كبير مستدير فيه طيقان صفر قد فتحت أبوابا صغارا على عدد ساعات النهار ودبرت تدبيرا هندسيا فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من في بازيين مصورين من صفر قائمين على طاستين من صفر تحت كل واحد منهما . احدهما تحت اول باب من تلك الابواب والثاني تحت آخرها والطاستان مثقوبتان فعند وقوع البندقتين فيهما تعودان داخل الجدار الى الغرفة وتبصر البازيين يمدان عنقيهما بالبندقتين الى الطاستين ويقذفانهما بسرعة بتدبير عجيب تتخيله الاوهام سحرا وعند وقوع البندقتين في الطاستين يسمع لهما دوي وينغلق الباب الذي هو لتلك الساعة للحين بلوح من الصفر لايزال كذلك عند كل انقضاء ساعة من النهار حتى تنغلق الابواب كلها وتنقضي الساعات ثم تعود الى حالها الاول . ولها بالليل تدبير آخر وذلك ان في القوس المنعطف على تلك الطيقان المذكورة اثني عشرة دائرة من النحاس مخرمة وتعترض في كل دائرة زجاجة من داخل الجدار مدبر ذلك كله منها خلف الطيقان المذكورة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة فاذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وفاض على الدائرة امامها شعاعها فلاحت للابصار دائرة محمرة ثم انتقل ذلك الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل وتحمر الدوائر كلها . وقد وكل بها في الغرفة متفقد لحالها درب بشأنها وانتقالها يعيد فتح الابواب وصرف الصنج الى موضعها وهي التي يسمونها الناس المنجانه

ودهليز الباب الغربي فيه حوانيت البقالين والعطارين وفيه سماط لبيع الفواكه وفي اعلاه باب عظيم يصعد اليه على ادراج وله اعمدة سامية في الهواء وتحت الادراج سقايتان مستديرتان سقاية يمينا وسقاية يسارا لكل سقاية خمسة انابيب ترمي الماء في حوض رخام مستطيل . ودهليز الباب الشمالي فيه زوايا على مصاطب محدقة بالاعواد المشرجبة هي محاضر لمعلمي الصبيان . وعن يمين الخارج في الدهليز خانقة مبنية للصوفية في وسطها صهريج ويقال انها كانت دار عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه والصهريج الذي في وسطها يجري الماء فيه ولها مطاهر يجري الماء في بيوتها

وعن يمين الخارج ايضا من باب البريد مدرسة الشافعية في وسطها صهريج يجري الماء فيه ولها مطاهر على الصفة المذكورة وفي الصحن بين القباب المذكورة عمودان متباعدان يسيراً لهما رأسان من الصفر مستطيلان مشرجبان قد خرما أحسن تخريم يسرجان ليلة النصف من شعبان فيلوحان كأنهما ثريتان مشتعلتان . واحتفال اهل هذه البلدة لهذه الليلة اكثر من احتفالهم بسبع وعشرين من رمضان المعظم .

آثار علمية ادبية

تربية البنات (*

كم ذا يكابد عاشق ويلاقي	في حب مصر كثيرة العشاق
اني لأحمل في هواك صبابة	يامصر قد خرجت عن الاطواق
لهفي عليك متى أراك طليقة	يحمي كريم حماك شعب راق
وأديب قوم تستحق يمينه	قطع الانامل أو لظى الاحراق

---

*) قصيدة لشاعر مصر الكبير محمد حافظ ابراهيم انشدها في حفلة اقيمت ببورسعيد لاعانة مدرسة البنات وقد سلك شاعرنا في هذه القصيدة مسلكا في انتقاد الاخلاق والعادات كان من الادلة الكثيرة على تفوق حافظ وعسى ان يجنح الشاعر للتوفر على قرض هذا الاسلوب من الشعر فانه من خير الادوية لادواء الناس

كلف بمحمود الخلال متيم | بالبذل بين يديك والانفاق
اني لتطربني الخلال كريمة | طرب الغريب بأوبة وتلاق
ويهزني ذكر المروءة والندى | بين الشمائل هزة المشتاق
ماالبابلية في صفاء مزاجها | والشرب بين تنافس وسباق
والشمس تبدو في الكؤوس وتختفي | والبدر يشرق من جبين الساقي
بألذ من خلق كريم طاهر | قد مازجته سلامة الاذواق
فاذا رزقت خليقة محمودة | فقد اصطفاك مقسم الارزاق
فالناس هذا حظه مال . وذا | علم . وذاك مكارم الاخلاق
والمال ان لم تدخره محصنا | بالعلم كان نهاية الاملاق
والعلم ان لم تكتنفه شمائل | تعليه كان مطية الاخفاق
لاتحسبنّ العلم ينفع وحده | مالم يتوج ربه بخلاق
كم عالم مدّ العلوم حبائلا | لوقيعة وقطيعة وفراق
وفقيه قوم ظل يرصد فقهه | لمكيدة أو مستحل طلاق
يمشي وقد نصبت عليه عمامة | كالبرج لكن فوق تل نفاق
وطبيب قوم قد أحل لطبه | مالا تحل شريعة الخلاق
قتل الاجنة في البطون وتارة | جمع الدوانق من دم مهراق
أغلى وأثمن من تجارب علمه | يوم الفخار تجارب الحلاق
ومهندس للنيل بات بكفه | مفتاح رزق العامل المطراق (١)
تندى وتيبس كفه | بالماء طوع الاصفر البراق
لاشيء يلوي من هواه حده | في الصلب حد الخائن السراق

(١) الذي يكثر طرق أبواب الرزق

يلهو ويلعب بالعقول بيانه ... فكأنه في السحر رقية راق
في كفه قلم يمج لعابه ... سما وينفثه على الاوراق
يرد الحقائق وهي بيض نُصَّع ... قدسية علوية الاشراق
فيردها سوداً على جنباتها ... من ظلمة التمويه ألف نطاق
عريت عن الخلق المطهر نفسه ... فحياته ثقل على الاعناق
لو كان ذا خلق لأسعد قومه ... ببيانه ويراعه السباق

***

من لي بتربية النساء فانها ... في الشرق علة ذلك الاخفاق
الأم مدرسة اذا أعددتها ... أعددت شعبا طيب الاعراق
الأم روض ان تعهده الحيا ... بالري أورق أيما ايراق
الام أستاذ الأساتذة الأُولى ... شغلت مآثرهم مدى الآفاق
أنا لا أقول دعوا النساء سوافرا ... بين الرجال يجلن في الاسواق
يدرجن حيث اردن لا من وازع ... يحذرن رقبته ولا من واق
يفعلن افعال الرجال لواهيا ... عن واجبات نواعس الاحداق
في دورهن شؤونهن كثيرة ... كشؤون رب السيف والمزراق
كلا ولا أدعوكم ان تسرفوا ... في الحجب والتضييق والارهاق
ليست نساؤكم حلى وجواهرا ... خوف الضياع تصان في الاحقاق
ليست نساؤكم اثاثا يقتنى ... في الدور بين مخادع وطباق
تتشكل الازمان في أدوارها ... دولا وهن على الجمود بواق
فتوسطوا في الحالتين وانصفوا ... فالشر في التقييد والاطلاق
ربوا البنات على الفضيلة انها ... في الموقفين لهن خير وثاق
وعليكم ان تستبين بناتكم ... نور الهدى وعلى الحياء الباقي

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ فلسفة النشوء والارتقاء ﴾

وهو الجزء الاول من مجموعة الدكتور شبلي شميل الشهير . صفحاته ٣٦٧ بقطع المنار وحروفه . طبع بمطبعة المقتطف بمصر سنة ١٩١٠ ويطلب من مؤلفه بمصر

اهدى الينا صديقنا الدكتور شبلي شميل هذا الكتاب الذي اعاد طبعه مرة ثانية في هذه الايام لنفاد الطبعة الاولى ولرغبة الكثيرين من أصدقائه في ذلك وقد اثبت على صفحته الاولى هذه الفقرة « طالع هذا الكتاب بكل تمعن ولا تطالعه إلاّ بعد أن تطلق نفسك من أسر الاغراض لتلاقح عليك وانت واقف تطل على العالم من شرفة عقلك تتلمس الحقيقة من وراء استارها » ونحن لم تتمكن من التوفر على مطالعته لنبدي رأينا فيه بحرية واخلاص ولكن هذا لا يمنعنا ان نقول ان فلسفة النشوء والارتقاء لاتنافي الاسلام بجملتها كما أنها لاتلتئم معه ومع العقل في تفصيلاتها ولم يكن لصديقنا الدكتور ولا لواضعيها اذ وضعوها مطمع في أن تكون قضية مسلمة بكلياتها وجزئياتها

ولو ان الدكتور شميلا اقتصر في كتابه هذا على شرح فلسفة دارون وهكسلي وآرائهما في أصل الانواع وأدلتهما على تحولها وارتقائها وتأييد مذهبهما بآرائه الخاصة دون التعرض للشرائع الآلهية والأديان المتبعة لتقبله اهل الاستعداد له بقبول حسن أما محاولة الدكتور لارادة القراء على الامرين فطمع في غير مطمع وهذه الحكومة الفرنسية على تشددها في محاربة زعماء الدين بقوتي الدليل والاكراه لم تتمكن من نزع الدين من النفوس على كونه دينا تسليميا بحتا لا يسوغ للعقل ان ينكر منه شيئا وان كان غير معقول فما بالك بدين الاسلام الذي ينبذ كل منكور عقلا بل هو الدين الذي فك العقول من عُقلها واشرع سبيل استقلال الفكر وارشد الى النظر

في أسرار الكون والحكم على الاشياء بالعقل دون الهوى لاجرم ان دينا هذا مكانه من أفئدة أهله لايقوى على زلزاله منها شبهات مرجعها آراء ومرويات لرجال الدين ربما يكون الدين بريئا منها

لو اتيح للدكتور شميل ان ينظر في الاسلام نظرة تنفذ الى صميمه على الشرط الذي وضعه لقراء كتابه لآب اليوم وهو مسلم قلبا ولسانا وها هو اليوم على كونه لم يُعن بفهم فلسفة الاسلام بعض عنايته بحل طلسمات مذهب داروين نراه — وهو المنصف المستقل الفكر — يقول إن القرآن هو أحكم الشرائع التي يتبعها البشر وان محمداً أعظم رجل في التاريخ حتى اني قلت له مرة : اذاً انت مسلم ؟ فقال : بل محمدي ! ! بل هذه كلمته في خاتمته الحفيلة التي هي صورة مصغرة للكتاب قال (ص ٣٥٢)

« خذ مثالا شريعة القرآن فانها بين الشرائع الدينية الشريعة الوحيدة الاجتماعية المستوفاة (١) التي ترمي الى أغراض دنيوية حقيقية بمعنى أنها لم تقتصر على الاصول الكلية الشائعة بين جميع الشرائع بل اهتمت اهتماما خاصا بالاحكام الجزئية فوضعت أحكام المعاملات حتى فروض العبادات ايضا وهي من هذه الجهة شريعة عملية مادية حتى ان الجنة نفسها لم تخرج فيها من هذا الحكم من اشجار واثمار وأنهار الى آخر ماهنالك وطالما جرى اتباعها عليها صلحت امور دنياهم على سواهم . الخ » ثم ذكر بعد ذلك مزج علماء المسلمين لنظريات الفلسفة اليونانية في كلامهم حتى صرفوا بذلك الدين عن حقيقته وحولوه عن غايته « الى المرامي المجردة والمنازع النظرية وسائر علوم الجدل الادبية المقامة عليها حتى الى مالاعلاقة له بالدين مطلقا (٢) »

(١) شريعة موسى مادية عملية أيضا ولكنها غير مستوفاة . وشريعة عيسى وان كانت حكماً ومواعظ تعتبر اصولا كلية الا انها في جملتها نظرت الى العالم الروحاني اكثر من الحياة الدنيا . بخلاف شريعة محمد فانها نظام اجتماعي عملي مادي قانوني حقيقي . اه من هامش الكتاب

(٢) ان الاسئلة التي ترد على مجلة المنار من اطراف العالم الاسلامي والتي يتجشم صاحب المنار الفضال مشقة الرد عليها مضطرا تدلك على مبلغ تقهقر القوم في فهم الدين (وبعد ان ذكر امثلة من تلك الاسئلة قال) وغير ذلك من الاسئلة التي تضطرب لها عظام النبي في قبره والقرآن وشريعته بريئان منها لو انهم يفقهون . اه من هامش الكتاب

الى غير ذلك من الاقوال التي تدل على ان الدكتور افاضل انما هو منكر للغواشي التي علقت بالدين ساخط على تقاليده وغالط كثير من أهله بين جوهره ونظرياتهم ونحن نقر الدكتور على هذا الرأي بل نحن إنما نكتب ونخطب سعيا وراء هدم تلك التقاليد التي تبرأ منها ومن المصرين عليها

والكتاب مطبوع طبعا متقنا على ورق جيد و يطلب من مؤلفه بميدان توفيق بمصر

*
* *

﴿ ارشاد الاريب ، الى معرفة الاديب ﴾

وهو القسم الاول من الجزء الثالث من الكتاب تأليف ياقوت الرومي الشهير المتوفى في القرن السابع وعني بنسخه وتصحيحه الدكتور مرجليوث الاستاذ بجامعة اكسفورد صفحاته ٤١٥ بقطع المنار، طبع بمطبعة هندية بمصر سنة ١٩١٠

اهدى الينا الدكتور مرجليوث الجزء الذي أصدره في هذا الشهر من هذا المعجم الجامع النافع وهو يتضمن تراجم اثنين وار بعين واحدا من أعلام الأدب اولهم حبشي بن محمد بن شعيب الشيباني من أهل واسط المتوفى في منتصف القرن السادس وآخرهم الحسن بن ميمون النصري . ولبعضهم تراجم مطولة تحتوي على عشرات الصفحات كترجمة السيرافي النحوي المعروف فهي زيادة على اربعين صفحة، وللآخرين منهم تراجم مختصرة جدا لاتبلغ الا اسطرا قليلة كترجمة الحسن بن علي المدائني النحوي . والتراجم مرتبة على حروف المعجم ومن يلاحظ ان هذا الجزء أو القسم لم يتم به حرف الحاء يعلم ان هذا الكتاب من أحفل موسوعات الادب في تراجم مشهوري ادباء العرب

واحفل مترجمي هذا الجزء سيرة هم من أعلام النحاة و ربما يتعجب أدباء هذا العصر اذ يسمعون هذا الانهم يرون نحاتهم صارفين أيام حياتهم في تتبع المناقشات العقيمة وتفهم الاختلافات السقيمة وان واحدهم ليحار حيرة الضب اذ عرض له أن يكتب كتابا الى أحد خلطائه أو رهطه ولو اطلع مطلع على مايكتبون لسخر منهم واستهزأ بهم ولأخذته الحيرة اذ يرى كثرة اللحن والتراكيب السخيفة والخروج فيما يكتبون

عن الحدود والرسوم التي افنوا أعمارهم في فهمها وتفهيمها ولكن لاعجب في ذلك فان أئمة النحاة في الماضي كانوا يعدون النحو اداة أو مرقاة تتوقل فهومهم بها الى الوقوف على « اسرار البلاغة » و « دلائل الاعجاز » حتى تصير البلاغة ذوقاً لهم فيتمكنون من فهم كلام الله فما دونه في البلاغة ويتمرنون على احتذاء الكلام البليغ في المكتوبات والخطب ولكن نحاة هذا العصر حسبوا ان النحو غاية لا وسيلة على تمطهم في الكلام على الغايات والوسائل فصرفوا الاشياء عن أوضاعها وحرفوا الكلم عن مواضعه فأصبحوا لا قيمة لهم ولا احترام وقد كانوا اجلاء مكرمين وصناعتهم من اشرف الصناعات

وقد اعجبتني طريقة المؤلف في التراجم فهو يذكر اسم الرجل ونسبه وموطنه وتحصيله وما تفرد به وما قم الناس منه وما وقع له مع أدباء عصره ويثبت له ما يؤثر من شعره كل ذلك بأسلوب سهل حسن الانشاء ولعلنا ننشر في المنار المناظرة التي جرت بين متى بن يونس القنائي الفيلسوف وبين أبي سعيد السيرافي النحوي في تفضيل النحو على المنطق وهي مثبتة في هذا الجزء عسى ان يكون في نشرها عظة بالغة لنحاة عصرنا

وياقوت الرومي هذا أعرف من أن يعرّف وهو مؤلف هذا المعجم ومعجم البلدان ومعجم الشعراء وغير ذلك من الموسوعات التي تعجز عن تأليفها الجماعات وهو من الشعراء الجيدين ومن احسن ما يروى له قوله :

تنكر لي مذ شبت دهري فأصبحت معارفه عندي من النكرات
اذا ذكرتها النفس حنت صبابة وجادت شؤون العين بالعبرات
الى ان اتى دهر يحسن مامضى ويوسعني من ذكره حسرات
فكيف ولما يبق من كأس مشربي سوى جُرَع في قعرها كدرات
وكل إناء صفوه في ابتدائه ورسب في عقباه كل قذاة

والكتاب مطبوع طبعاً نظيفاً على اجود ورق . ومجلد تجليداً متقناً وكنا نتمنى ان يضع الناشر ارقاما للتراجم تدل على عددهم في كل جزء فان ذلك من الحسنات

وان يعني بوضع فهارس لجميع الاعلام والبلدان التي في الكتاب ولعله يفعل بعد طبع جميع مالديه من الاجزاء وانما نشكر له عنايته بنشر هذا السفر العظيم فقد خدم بذلك لغتنا الشريفة أجل خدمة

* * *

﴿ النظرات ﴾

كان الشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي كتب قطعا ومقالات في جريدة المؤيد عني بانتقاء الفاظها وجملها ومعانيها مما يحفظ ويقرأ فاستحسنها فريق من الناس الذين يحبون التنميق والتزويق وتبهرهم زخرفة اللفظ وغرّ الكاتب تلك النعوت التي كانت تنعته بها جريدة المؤيد فسارع الى جمع تلك القطع وطبعها في كتاب مصدر برسمه وبترجمة له ملأت قسما كبيرا من الكتاب !!!

قرأنا لهذا الكاتب الجديد والشاعر القديم بعض قصائد وبضع مقالات فلم نعرف له منحىً خاصا يتوخى القصد اليه فيما يكتب وينظم وظهر لنا أن هذا الشاعر او الكاتب او الجامع للصناعتين ليس من سرّاق الشعر فقط بل هو من سرّاق النثر أيضا ومن قرأ مقالته « مدينة السعادة : ص ٣٨ » التي يدل بها ويفخر وكان قارئاً قصة « الكوخ الهندي » لفرح افندي أنطون علم ان بضاعة الكاتب مزجاة وآراءه قد اقتصها من سواه وانه ليس له في مثل هذه المقالة الا التغيير والتبديل في نسق الكتابة واسلوب الكاتب ، وكذلك مقالته « غرفة الاحزان : ص ١٤٣ » فانها ملخصة من قصة « حواء الجديدة » لنقولا افندي الحداد ، ومقالته « اين الفضيلة : ص ١٥ » مأخوذة من قصة الكوخ الهندي لفرح افندي انطون ايضا ، ومقالة « الكأس الاولى : ص ٥ » اخذ موضوعها من قصيدة للشيخ نجيب الحداد عنوانها « في الجرعة الأولى البلاء : ص ٥٧ ج ١ » من القسم الشعري من كتاب مجالي الغرر وغير ذلك من القطع الكثيرة التي سرق بعضها معنى وبعضها معنى ولفظا كما سيأتي بيانه مثال ذلك سرقته لكلمة زوج صخر اخي الخنساء « اني اصبحت لا حيا فأرجى ولا ميتا فأنسى » (ص ٢٨) وسرقته لبيت البكري المعروف

أشعرة في الرأس أم أول خيط الكفن

اخذه فقال عن الشعرة البيضاء في رأسه « أو خيط من خيوط الكفن » (ص ١١٥)

ولقد كنت نصحت المنفلوطي يوم كان شاعرا ان يجتنب السرقة في شعره وذلك في مقالة نشرتها في (ص ٩٥٨ م ٣١) من المقتطف بعنوان «نقد الشعر» بعد أن نشر فيه المنفلوطي قصيدة عنوانها «من القصر الى القبر» (ص ٢٥) من مقدمة النظرات اغار بها على اربعة ابيات من قصيدة المعري التي مطلعها « أحسن بالواجد من وجده » وحشرها بين بيوت قصيدته ولكنه لم يستطع أن يعمل بنصحي لأنه لو عمل به لكان اليوم قيدا من الصوت التي جاد بها عليه المؤيد فهو شاعر وكاتب ولكن بأفكار غيره وأساليب سواه .

وأريد أن أنبه هنا الى أمر ربما خفي على أولئك المخدوعين بلفظ المنفلوطي وهو ان كتابة المنفلوطي خالية من كل فكر للكاتب خذ مثلا مقالة «الغد» (ص ١) وهي من أشهر مقالاته فانك تجده يجال فيها في دائرة ضيقة لا يخرج بها عن قول زهير

واعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي

وأية فائدة يجني القارىء من حكاية أقوال في الغد خلاصتها انه أمر غيبي لا يعلم ما سيكون به الا الله تعالى ؟ على انه قد سرق أكثر معانيها من مقالة فيكتور هوجو في نابليون الثاني وراجع (ص ١٠) من كتاب بلاغة الغرب ومقالة « المستقبل لله » (ص ٩٨) من منتخبات الشيخ نجيب الحداد وان مقالة «العلماء والجهلاء» (ص ٢٢٣) التي يفضل فيها خطط السوقة الذي يسميه جهلا على تحقيق العلماء والفلاسفة دليل على انه لا يعرف من العلم الا تمحلات الازهر اللفظية التي عرفها فالفها ومن ذا الذي يستسهل الزعم بأن اختراع التلغراف واكتشاف الكهرباء والراديوم وغير ذلك مما لا محل لذكره هو دون ما يقع من الكلمات الصحيحة في هذيان الدهماء ولغطهم ؟

وكذلك مقالة « يوم الحساب : ص ١٠٦ » فانها لا تخرج عن فحوى قصة من كتاب قصص الانبياء وغيره من الاسرائيليات المدسوسة على الاسلام واتمه من حكاية العجائب عن يوم الحساب ونجاة كثير ممن ران على قلوبهم بحسنة فذة مع ان الله يتوعد هؤلاء بأشد العقوبات ويقول في شأنهم « كلا انهم عن

ربهم يومئذ لمحجوبون . ثم انهم لصالوا الجحيم » ولكن المنفلوطي يصادم هذا النص الصريح بزعمه وهل يكون ذو الرين مرطلا في حياض الآثم اكثر من وصف المنفلوطي بقوله « لايتقي مأثما ولايهاب منكرًا ولا يخرج من حان الا الى حان ولا يودع مجمعا من مجامع الفسق الأهل موعد القاء » (ص ١٠٧) ويقول عن موصوفه هذا ان الله غفر له لأنه كان يجود على رب اسرة معدمة كأن أعمال الله تعالى فوضى لا انتظام لها جلت حكمته وتعالى عن وهم الواهمين علوا كبيرا . ومما دلنا على أن آداب المنفلوطي ليست على حال من الكمال يغبط عليها وأن علمه بأحوال زمانه ناقص قوله انه بمصر بالشيخ محمد عبده وقاسم بك أمين يتناجيان ويقول اولهما لآخرهما انك أفسدت المرأة بكتابك ويقول الآخر للاول انك أردت أن تحيي الاسلام فقتلته وليس هذا القول مما يتفق مع الأدب أو يتفق مع الواقع وانما يدل على ان المنفلوطي لم يفهم مرامي قاسم ومناحي الامام ، وما كان لتأثير دروس هذا في اصلاح اهل الاسلام

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

ومن القطع السخيفة الخالية من الفائدة والمعنى قطعة « الشعر البارد : ص ١١ » وهي لا معنى فيها سوى انه يقول انه يقرأ شعرا في الجرائد لا يستحسنه على شغفه الزائد بالشعر وانه يسمي الشعر الذي لا يستحسنه « الشعر البارد » فهل يصح ان ينشر مثل هذا القول في الجرائد ثم يطبع في كتاب على حدته ويسمى « المختارات » ؟ واذا كان هذا شأن مختارات المنفلوطي من تافه الموضوع وسخيف المعنى فماذا عسى ان يكون شأن غير مختاراته ؟

وأريد ان أنبه الظانين أن المنفلوطي لايقع الغلط في كلامه بأنه يخطئ كثيرا في الاستعمال واني ذاكر كلمات وقعت عليها عيناي عرضا واناأقلب صفحات الكتاب فمن ذلك كلمة « الميْت : ص ٧ » اراد بها المَيت وهذا غير ذاك ، واستعماله كلمة « بسيطة : ص ١٢ و ٣٠٣ » بمعنى ساذجة ، و« البسطاء : ص ٨٩ و ٩٠ و ٤٠١ » يريد الأغرار ، و« البساطة : ص ٣٩٩ » بمعنى الغرارة وهو استعمال غير صحيح ، وايراده كلمة « فخم : ص ٢٥ » و« ص ٢٥ مقدمة » والصواب فخم من دون ياء ، وتذكيره الكأس « ص ٣٧ مقدمة » و« ص ٣٠٧ » والكأس لايجوز تذكيرها البتة ، وايراده مصدر

جثا يائيا « ص ٣١٥ » وانما هو واوي ، واستعماله كلمة الرياسة أو الرآسة مكسورة الرا ، قلبا همزة «ص ١٣ و ١٥ » وهذا خطأ محض ، وجمعه لبائس على بؤساء « ص ٨٧ و ٣٩٧ » ، والصواب ان يجمع جمع المذكر السالم فيقال بائسون و بائسين ، وقوله « غفوت اغفاءة : ص ١٦٤ » والصواب اغفوت اغفاءة وقوله « يحلق الطير ص ٩٣ » يريد بذلك الطائر وهذا من الخطأ الشائع ، وقوله « جبل مشين : ص ١٠٣ » والصواب شائن لان الفعل ثلاثي لا رباعي ، وتذكيره للسن « ص ١٥٥ » وإنما هي مؤنثة قال ابن سيده في (ج ١٦ ص ١٩٠) من المخصص مانصه « والسن مؤنثة والاسنان كلها مؤنثة وكذلك السن من الكبر » وتأنيثه للرأس « ص ٨٤ » والرأس مجمع على تذكيره (راجع تاج العروس : ج ٤ ص ١٥٦) وادخاله « ال » على « كل » « ص ١٥٦ » وقد قال في اللسان « انه لم يجيء عن العرب » ولا ينفي هذا اجازة بعض المتوسعين لذلك

ومن فقراته الركيكة التي ليست من الاسلوب العربي الفصيح قوله « لتحققت انه ابله الى النهاية من البلاهة : ص ٨ » وهو يريد ان يقول انهم البلاهة ، وقوله « وكما ان في اغنياء الجيوب فقراء الرؤوس كذلك في فقراء الجيوب اغنياء الرؤوس ص ٢٩٧ » وهو استعمال ركيك غير عربي وقد سرق بذلك كلمة الاستاذ الامام الفصيحة المأثورة « لاني في شغل شاغل من هؤلاء المرزوئين في عقولهم أولا وفي بيوتهم ثانيا » (ص ٥٥٩ ج ٢) من تاريخ الاستاذ الامام ، وقوله « كان كل ما في المسألة : ص ٧٨ » وهذا من استعمال العامة وما هو من الاسلوب العربي في شيء ، وقوله « فما خلصت من بينهم : ص ٨٤ » وهو من استعمال العامة ايضا وكلمة خلصت لا معنى لها هنا لان معناها نجيت وانما يريد ان يقول نجوت لانه هو الذي نجا ولم يكن منجيا لسواه

هذا ما رأينا ان ننبه اليه من خطأ المنفلوطي وهو ما عثرنا عليه ونحن ننظر في الكتاب نظرة اجمالية مما يدل على ان الكتاب مملوء بالاساليب الركيكة والخطأ في الاستعمال دع ان اكثر موضوعاته سخيفة تافهة عقيمة من الافكار الا ما كان منها مسروقا وقد تذكرت الآن كلمة لعزيز مصر عباس الثاني يحسن ايرادها هنا فانها كلمة حكيمة : ذلك انه كان في موسم من المواسم الرسمية خلا الى الاستاذ الامام في حجرة

خاصة يفاوضه في شؤون هامة فجاءه واحد من رجال حاشيته وقال ان الشيخ فلانا ينتظر سموكم ليتلو ابيات التهنئة فقال له الامير « انا في حاجة الى الافكار لا الى الاشعار » هذه هي الكلمة الحكيمة التي يجب ان يكون المنفلوطي واشباهه كثيري الاصغاء اليها ليعلموا أن الامة في حاجة الى الافكار لا إلى زخرفة الالفاظ

اما الحكم على اخلاق هذا الكاتب فلا يستطيعه مثلي وقد ذكرت آنفا انه نشر لنفسه ترجمة طويلة عليها توقيع « احمد حافظ عوض » وفيها شؤون خاصة لا يعرفها الا المترجَم نفسه !! اضف الى هذا ان أسلوبها وأسلوب النظرات واحد

على اننا نترك ما يمكن ان يكون فيه مجال للقال والقيل والتمحل والتأويل ونرجع بالقارئ الى مقالة المنفلوطي « طبقات الشعراء » التي نشرها في (ص ٣٧١) من السنة الثانية لمجلة سركيس من دون امضاء تلك المقالة التي كتب فيها عن نفسه بقلمه ما يأتي بنصه وفصه:

« المنفلوطي : شعره كالعقود الذهبية الا ان حبات اللؤلؤ فيها قليلة فهو يغلب بروائه اكثر مما يغلب بدائه وهو ازهري وحسبه انه نابغة قومه !!! » الخ

وقد نشر هذه المقالة في النظرات (ص ٣٢٦) ولكنه حذف منها ترجمة نفسه فكيف يكون الحكم على مثل هذا مستطاعا وهو الذي وضع نفسه بتمداح نفسه فوق الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الكريم سلمان وسعد باشا زغلول لانه سمى نفسه نابغة قومه الازهريين وهؤلاء من مصاص الازهريين ؟

« اللهم عرفنا بأقدار انفسنا فتلك اللهم انفس ما تعطي وافضل ما تهب » (١) وعسى ان يتاح لنا تصفح الكتاب برمته لنكتب لمؤلفه عظة بالغة

الانسانية

« مجلة علمية ادبية اخلاقية اجتماعية اقتصادية عمرانية نصف شهرية » اصدرها في مدينة حماه الشيخ حسن الرزق المشهور باستقلال الفكر واستنارة الذهن وحب العلم وقد انتدب لخدمة امته بهذه المجلة بسائق الرغبة في إعلاء شأنها بقدر المستطاع وهي ذات اثنين وثلاثين صفحة بالقطع الصغير وقيمة اشتراكها في البلاد العثمانية ريال وربع كتب الله لها النجاح

(١) هذه الفقرة للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

العلم

« مجلة تخدم العلم والدين وتبحث عن أصول الترقي ماديا وأدبيا » لمنشئها السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني من أعلام علماء النجف (العراق) ومشهوري كتاب العصر هناك وهي تصدر بثماني وأربعين صفحة بالقطع الصغير حاوية لكثير من الموضوعات الدينية والعلمية والادبية وقد اعجبنا من منشئها قوله في مقدمتها « ولدينا الانتقاد الصحيح خير من الاطراء في المديح » وهذا القول لا يصدر الا من ارباب النفوس المهذبة بالعلم الصحيح وقيمة اشتراكها ريال ودبع فنرجو لها الانتشار

التلميذ

« مجلة مدرسية اخلاقية شهرية تصدرها الجمعية العلمية في المدرسة العثمانية ببيروت » وقد سررنا كثيرا بصدور هذه المجلة التي ستكون خير سبيل لتمرين التلاميذ على قرض الشعر والانشاء وقوة البحث والمناقشة اولئك التلاميذ المرجوون لنهضة وطنهم واعلاء شأن أمتهم فان مدرستهم تلك هي من أحسن مدارس بيروت التي تخرج فيها فريق من خيرة نابتة سورية وعسى أن يتولى رئيس المدرسة تصحيح المجلة فقد آلمنا ما رأيناه فيها من الخطأ في الاملاء والخروج عن قواعد النحو ! وقيمة اشتراكها ريال وربع فعسى ان ينمي قارئوها ويكثر مشتركوها

الذكرى

جاءتنا نشرة من بيروت بتوقيع محمد طاهر افندي التنير من مهذبي نابتة بيروت يقول فيها ان والده السيد عبد الوهاب سليم التنير قد عزم على اصدار مجلة اسمها (الذكرى) غرضها ارشاد المسلمين الى انتهاج الطريقة المثلى وانه سيساعده في كتابتها فريق من علية القوم ونحن نعرف التنير غيورا فاضلا مطلعا فنرحب بمجلته ونرجو أن يوفق للخدمة الصحيحة

حسين وصفي رضا

باب الأخبار والآراء

﴿ إيقاظ الفتن في البلاد العثمانية ﴾

مناجاة ودعاء

اللهم الطف بهذه الامة وبدولتها واحفظها من فتن المفسدين في الارض ، اللهم اقطع عنها ألسنتهم ، وكف عنها كيد اقلامهم ، اللهم إنك تعلم أن المخلصين قد بذلوا جهد طاقتهم في النصح و إصلاح ذات البين وسعوا الى ذلك من كل طريق يرونه نافعا ، اللهم إنا لا نملك بعد حسن القول والسعي الا الاستغاثة بك ودعاءك فلا يفلتن مكرهم السيء ماترجو من لطفك وعنايتك ، اللهم انه لايخفى عليك كيد الذين يفسدون في الارض وينبزون المصلحين بلقب الافساد ، ويلقون العداوة والبغضاء بين عبادك ويصيبون بمطلهم السيء من يعملون الصالحات بالتأليف بين القلوب وجمع الكلمة على الخير ، اللهم إنك تعلم ان من هؤلاء من يفوق سهام كيده ومكره للأمة العربية التي شرفتها وفضلتها بخاتم أنبيائك ورسلك وخير كتبك المنزلة لهداية خلقك وخاطبت سلفها الصالح بقولك الحق «كنتم خير أمة أخرجت للناس » ولكل من تبع ذلك السلف من الخيرية بقدر اتباعه لهم ، اللهم انهم حسدوها أن جعلت كتابها عربيا مبينا فهم يريدون ترجمته ليكون عرضة لتحريف المحرفين ، واختلاف المتفقين ، اللهم انك أنزلته لتجمعهم عليه ، وهم يحاولون ترجمته لكل شعب من المسلمين ليتفرقوا فيه ، اللهم إنه حبلك المتين الذي امرتنا ان نعتصم به ولا نتفرق عنه بقولك (٣ : ١٠٣ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وهو بيناتك التي قلت فيها (٣ : ١٠٥ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات) اللهم انهم يزعمون ان رسالتك

خاتم رسلك ماتمت الى الآن ، وانها لاتتم الا بترجمة القرآن ؟ وانت قلت وقولك الحق (٥ : ٣ اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) اللهم انهم يزعمون أن دينك لم يتم بالحجة والبرهان ، وان نبيك (ص) كان يكره الناس عليه بالسيف والسنان ، وانت قلت وقولك الحق (٢ : ٢٥٦ لا إكراه في الدين - ١٠ : ٩٩ أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ؟ ؟

المقصد

بينا في أول مقال كتبناه من الانقلاب العثماني واستبدال الحكم النيابي بالحكم الشخصي المطلق انه يخشى في هذا الطور الجديد الذي دخل العثمانيون فيه من عاقبة اختلافهم في الاجناس واللغات والاديان وجددنا في التأليف بينهم سعيا جديدا غير ما كنا نسعى اليه سرا في جمعيتنا (الشورى العثمانية) المؤلفة من جميع العناصر العثمانية . ظهرنا بالتأليف الجهري فخطبنا في كنيسة الارمن في القاهرة خطبة جعلها الاخلاص مؤثرة في نفوس حاضريها من العثمانيين المختلفين في الاديان والمذاهب حتى قال لنا فارس افندي نمر محرر المقطم ومثل هذه الخطبة وحدها تضاهي عملك في التأليف والوفاق مدة عشر سنين . ثم سحنا في البلاد السورية وخطبنا مرات عديدة في ذلك وتكلمنا وكتبنا كثيراً ورأينا لعملنا وعمل غيرنا تأثيرا حسنا أعان عليه في تلك البلاد ذكاء الأهالي وأخلاقهم الحسنة

بينا نحن نرى الولايات السورية أهدأ الولايات العثمانية وأشدها اغتباطا بالحكومة الدستورية ونرى من البلاد العربية كاليمن والحجاز وقد هدأ ما كان يقع فيها من الكفاح والغارات فصارت اشد خضوعا للدولة من ولاياتها الاوربية التي هي مهد قوتها وعظمتها فالعاصمة نفسها محكومة بديوان الحرب العرفي والدماء تخضب ولايات الارنؤط ، ومقدونية تتمخض بما تتمخض به ، - بينا نحن على ذلك واذا بغراب ينعب من أول هذه السنة الهجرية بصوت عربي غريب يخشى شره ولا يرجى خيره

صاح المغرورين بالعرب ويغريهم باخوتهم الترك : يقول ان العرب هم الحاكمون

والترك هم الخادمون ، ويطرئ الامة العربية بالشعريات التي تحفز النفوس الى طلب ما لا يطلب ونيل ما لا ينال ، ولم يفهم احد من العرب معنى كونهم هم الحاكمين والترك هم الخادمين الا ان الكاتب يفهمهم ان الامر يجب أن يكون كذلك وانه عليهم أن يطلبوا هذا الواجب ، لأن الأمر في الواقع ليس كذلك ، ولكن هذا التغرير لم يؤثر في اغراء العرب لا لأن قائله منهم عندهم يبغضه إياهم بل كان له دافع آخر من نفوسهم وهو اعتقادهم ان الترك اخوتهم في الدين وحكامهم الذين رجعوا باعلان الدستور الى هدي الاسلام بمشاركتهم اياهم في الحكم فلا خادم في العناصر ولا مخدوم ، وما القول بذلك الا من نزغات الشياطين ووساوس المفسدين

تهافت قول هذا الناعق وتناقض فهو تارة يطرئ العرب ويغلو في مدحهم ، وطورا يعرض او يصرح بالطعن في جميع الظاهرين منهم كأمير مكة المكرمة والمبعوثين وطلاب المناصب والخدمة في الدولة والكتاب الخادمين للدولة من طريق خدمة العرب اذ يكتبون بالعربية — وتارة يدعي انه خادم الاسلام وناشر دعوته ومبتغي ارتقائه بارتقاء العرب ثم يدعو الى ترجمة القرآن بلغة المسلمين ليستغنوا عن القرآن المنزل من عند الله تعالى ، ويزعم ان الاسلام قام بالاكراه كما أشرنا الى ذلك في في المناجاة التمهيدية وهذا أشد مطعن يسدده الاوربيون الى قلب الاسلام ، ويذكر سيدنا عيسى (عليه الصلاة والسلام وعلى نبينا وسائر النبيين) بلقب رجل يهودي وبعد هذا كله يخص بطعنه الصريح من قضى زهرة عمره في خدمة الاسلام والدفاع عنه

هنالك ما هو شر من ذلك وهو السعي في مقاومة المشروع الاعظم لخدمة الاسلام وهو إنشاء مدرسة دار العلم والارشاد التي يتربى فيها الوعاظ والمرشدون ليقوموا بما أوجبه الله تعالى من فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم العامة عقائد الاسلام وآدابه وأحكامه مع التنبيه الى مصالح الدنيا كترقية الزراعة وكل ما ينمي ثروة الامة ويعزز الدولة . فقد حدثني الثقة ان شيطان الفساد بعد ان مدح المشروع قبل ان يقرر عاد الى التنفير منه بعد ان علم بأنه تم او كاد فهو ينفر كل من يظن انه يساعده على هذه المقاومة بما يرى انه يصيب موقع التأثير من وجدانه والاقناع من فكره : يقول للملاحدة ان تأسيس مدرسة إسلامية عربية في الآستانة

يجعل للدين قوة معنوية «جزويتية» تقضي على حريتكم وتذهب بجميع مقاصدكم!!!
ويقول للمتعصبين مثله للجنسية ان هذه المدرسة تقوي اللغة العربية وتحييها فتزاحم التركية في عرشها الاعلى!!! ويقول للمتدينين الجامدين إن هذه المدرسة تحيي علوم التفسير والحديث والفلسفة فتفسد عليكم التعليم المقرر في مذهب الامام الاعظم!! وينفر بعضهم عنها بالطعن في شخص الداعي إلى تأسيسها وكأنه لا يدري أننا نطالب ان تؤسسها جمعية من الفضلاء والعلماء وان يكون التعليم فيها بما يرضونه ويختارونه ويكون أيضا بمراقبتهم الدائمة، فهل يضر المدرسة مع هذا ان يصدق المكذوب ويكون الطعن في شخص الذي نبه الى هذا العمل النافع صحيحا؟

إذا كان خذلان مفسدي المسلمين لمصلحيهم قد وصل الى هذه الغاية فهل يستبعد بعد ذلك شيء مما ذكرنا عن غراب التفريق والتشكيك؟؟. ماذكر مشروع (العلم والارشاد) لعالم ديني أو غير ديني ولا عاقل عربي أو أعجمي مسلم أو غير مسلم مستمسك بدينه أو متهاون فيه الا وأعجب به واعترف بفائدته ونفعه وبأنه لا يحل محله سواه في فائدته ومنفعته حتى ان بعض الملحدين قال انا نحب ان يعلم الاسلام على وجهه فان المسلمين يكونون بذلك أقرب الى الترقي الذي يصدهم عنه المتعصبون باسم الدين، كما يكونون أبعد عن إيذاء المخالفين، وأما سائر الوساوس فظاهرة البطلان

بلغني خبر هذه السعاية فكان اول شيء سبق الى ذهني عند سماعه فاتحة كلام نشر في جريدة العروة الوثقى وهو على ما أتذكر

«أسف يصهر الجسم وحسرة تذيب الاكباد على قبيل من أمة، أو شخص منها ذي همة، يستخير الله في عمل ينقذ أمته من ضعة، أو يعود عليها بمنفعة، ثم يعرض له في اثناء عمله من ينجم كقرن المعز ليفقأ عين العامل ويعرقل عليه عمله» الخ

وتلا هذه الذكرى في خاطري ما كنت سمعته من الاستاذ الامام محرر تلك الجريدة (العروة الوثقى) في هذا المعنى رحمه الله تعالى: وافقاتي ماتشبثت بخدمة للاسلام أو المسلمين وقاومني فيها أحد من غير المسلمين، ماقاومني في شيء من ذلك انكليزي ولا قبطي ولا سوري مسيحي وانما لقيت مقاومة كثيرة من المسلمين أنفسهم في خدمة الاسلام والمسلمين!!

نعود من هذا الاستطراد الى أصل الموضوع وهو إيقاظ الفتن في البلاد العثمانية فنقول ان ناعق الفتنة لم يكتف بتغرير العرب وإغرائهم باخونهم الترك بل عمد إلى إلقاء الشقاق بين المسلمين والنصارى منهم فنفخ روح العصبية الدينية في الفريقين فجرح كل واحد في دينه جرحا داميا ، وأغرى كلا منهما بالآخر ومزق نسيج الوحدة الجنسية بينهما بايهامه من يقرأ كلامه من النصارى انه بتهكه بدينهم يتكلم باسم الاسلام ويرضي المسلمين وبانكاره ان يكون النصراني عربيا مع علمه ان النصرانية كانت في العرب قبل البعثة المحمدية كاليهودية . ويرى القارىء في فتاوى هذا الجزء سؤالا عن حديث « ان الله سيمنع هذا الدين بنصارى من ربيعة » أي يحفظه ويؤيده . وما رأيت ولا رأى الراؤون اسخف من اختراع هذه العلة للتفريق أي جعل العربية والنصرانية ضدين لا يجتمعان ، وناهيك بسخافة ينقضها العيان ،

اطلعنا على ما كتبه في ذلك موقظ الفتن فبادرنا الى مقابلة الضد بضده ، ومقاومة الشر بالخير ، والقذف بالحق على الباطل ، فكتبنا مقالة في تذكير أهل سورية وبيروت بما فيه خيرهم وخير دولتهم من الوفاق والوئام ، ونشرناها هنا في جريدة الحضارة وسيراها القراء في المنار السادس ، ونرجو ان تكون دامغة لباطل موقظ الفتن ، لانها جاحبة داحضة للشبهة التي اخترعها خياله ، وناهضة في بيان ان مسلمي العرب يتبرءون من كل وسوسة تفرق بينهم وبين اخونهم في الوطن والجنس واللغة والمصلحة والتابعية العثمانية كما يتبرأ الخير من الشر ، والنفع من الضر ، وان موقظ الفتنة لم يترجم عن ضمائرهم ولا قال ماقال بالنيابة عنهم وهو ليس منهم وان كان يحزننا أن وجد منهم من يترجم عنه ويكتب له مايريد باسمه واسم نفسه ، وهو لم يقل ماقال ايضا باسم الاسلام وقد علموا انه جنى على الاسلام اكثر مما جنى على النصرانية ، وينبغي ان يبرءوا الحكومة الدستورية من الاقرار والاعانة على هذا الفساد وان شاع انها تساعد هذا المفسد على عمله فان صح ماقال من مساعدتها إياه ، فلا بد ان تكون المساعدة لزعمه انه يقصد الاصلاح ودعواه ، « واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا إنما نحن مصلحون . ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون »

كل من اطلع على ما كتبه المفسدون يعرف من يقصد منهم بهذا الكلام اذ

لاينطبق على كثير من المفسدين ولو كان كل الفاتنين كمن ذكرنا لفسدت الارض وهلك الناس ، ومن لم يطلع عليه ولا وصلت اليه وسوسته فخير له ان لا يعرفه ، على انه اذا ظل سادرا في إفساده، سادلا اذيال غروره وعناده ، فسننقل الكلام من حيز الابهام ونأتي بالشواهد والنصوص من كلامه المؤيدة لما قلنا تحذيرا من كل مايكتبه وما يقوله ، ولعل ديوان الحرب العرفي يكفينا ذلك بمنعه من أمثال هذه الفتن قبل ان يظهر اثرها الردي، فان الرجل و إن كان متهما بسوء النية عند جميع العرب يخشى ان يؤثر كلامه في بعضهم أو يكون سببا لسوء ظنهم بحكومتهم الدستورية وفقها الله لكل اصلاح ،وجعل أيامها الدائمة ان شاء الله تعالى أيام خير وفلاح

المسلمون في روسية

« وسياسة الحكومة »(*)

أيها السادة : سأبحث لكم عن سياسة الحكومة مع المسلمين . لست اجد حاجة للبحث عن سياسة الحكومة العامة بعد خطابات ماقلاقوف وغيره من المبعوثين . واني اعلم ان السكوت والكلام سواء لأن الحكومة والنظار لا يعيرون اسماعهم لنداء الامة ولا سيما للمسلمين ولكني اراني مضطرا الى الكلام خشية ان يحمل سكوت المسلمين على رضاهم بحالة الفوضى الضاربة اطنابها في كل مكان

أيها السادة : اني غير ذاكر لكم الحوادث المؤلمة النازلة بالمسلمين ولا سيما اقفال المدارس وطرد المعلمين وائمة الدين واحدة واحدة ولكني سأبحث عن سلوك الحكومة هذه السبيل . أيها السادة : ان المسلمين متضررون وواقعون تحت حيف الحالة الحاضرة والاختلال في روسية وان مسالمتهم وضعفهم وحلمهم كل ذلك جعلهم عرضة لمصائب ورزايا اعظم وأكبر (هرج ومرج في المجلس)

(*) خطبة لصدر الدين الندي مقصودوف القاها على اعضاء مجلس الدوما بروسية منقولة من مجموعة مذاكرات المجلس وقد نشرت في جريدة ترجمان التترية التي تصدر بباغچه سراي ونحن ننشرها مترجمة بالعربية

الرئيس : ارجو التزام السكوت والسكون

مقصودوف : ان مصيبة المسلمين بالمبشرين هي أعظم ماينغص حياتهم وقد تتولى الدهشة رفقاءنا اعضاء المجلس لهذه الشكوى ويقولون كيف تستاؤن من بضع مئات من الرهبان والقسوس وهم لا يرغمونكم بالقوة على قبول دعوتهم وانتحال دينهم بل ينشرونها بالوعظ والارشاد ولكن لو اقتصر الامر على ذلك لما تضجرنا ولا تذمرنا ولكننا نتضجر ونتأفف لا لدعوة بضع مئين من الرهبان والقسوس ولكن لانهم يرمون الى غاية سياسية من وراء ذلك . فهم لا يكتفون بالدعوة الدينية بل يبتغون من وراء ذلك صبغنا بالجنسية الروسية . فنحن لا نشكو من وعظهم وارشادهم ولكن من مآرب الحكومة باتخاذهم آلة لها لتنفيذ اغراضها منا . لايخفى عليكم جميعا ان الحكومة في سياستها للمسلمين منذ نحو عشرين او ثلاثين سنة كانت على خطة «بوبيدانوسجف» وكما كان هذا واعظا كان ايلمنسكي مبشرا . فعملا بأفكار هؤلاء أقفلت مدارسنا وضيق على ظهور صحافتنا ثم املنا عقب اعلان المساواة الدينية والمدنية في القرار العالي بأن ننجو من وطأة الرهبان واغرائهم الحكومة بنا ولكن خاب منا هذا الامل لان الحكومة لاتزال تصغي وتعمل بما يمليه عليها الرهبان .وما تريد أن تعلمه من أحوال المسلمين ترجع فيه الى الرهبان . ومما يجدر بالتأمل في مثل هذه الامور التقرير الذي رفعه المسيو « الكسي » ناظر مدرسة الرهبان العليا في قزان الى نظارة الخارجية ولو وقف الامر عند هذا الحد لاضربت عن ذكره ولكن دائرة الاديان الاجنبية من نظارة الداخلية تهتم به اهتماما عظيما ومما يستدعي النظر انه قد ألفت جمعية غايتها الوقوف على حركة المسلمين والحيلولة بينهم وبين آمالهم الملية .

واليكم فكر الناظر « الكسي » وملاحظة « ان مسلمي روسية منتهجون سبيل الاتحاد الاسلامي وهم يؤسسون المدارس والجرائد والمجلات ويقبلون على التعليم وبالاختصار فهم دائبون وراء استنارة أفكارهم وترقية مداركهم وغاية ذلك الاتحاد الاسلامي » ولا أصل على ما أعلم لما يذكره ذلك الراهب من انتشار فكرة الجامعة الاسلامية بل ان استنارة الافكار والسعي وراء الترقي لاعلاقة له بذلك كما لايخفى ثم ان الاسلام في نظر المسيو « الكسي » عبارة عن الجهاد وسفك الدماء ويزعم ان

الناتبة الحديثة تستحسن هذا الامر فاعلموا ايها السادة ان حكمة الاسلام وسيرته تقضان هذا الزعم وانما غاية الاسلام الترقي والمدنية والتأريخ شاهد على ماقامت به بغداد والاندلس من رفع منار العلم وما يبتغيه المسلمون ليس الاتحاد الاسلامي وانما الترقي والمدنية واصلاح حالتهم الاجتماعية فان كان هذا مما لا يرضى عنه الراهب فذاك أمر آخر.

ثم اذا كان المسلمون ينشئون الجمعيات الخيرية فأي دخل لهذا بالجامعة الاسلامية؟ إن كل من يظن ان هذا الراهب الذي قدم تقريره لنظارة الداخلية وقرفا على احوالنا فهو مخطئ، لانه يجهل لغتنا وكل ما كتبه عنا مترجم مما كتب بالفرنسية. ونظارة الداخلية تبني سياستها نحونا على امثال تلك الكتابات وهي آخذة في وضع خطة جديدة نحو المسلمين وبها تريد تفريق الدين عن القومية فهي لاتهاجم دينهم الاسلامي بل هيئتهم القومية. أيها السادة: ان الدين والقومية واحد في المسلمين ولا يمكن تفريق احدهما عن الآخر ولم يفترقا منذ عصور وفي موقفي هذا قد أعلنا وأعلن رفقاؤنا مرارا وتكرارا أن مسلمي روسية انما هم شعب مسلم اي انهم ليسوا روسيين مسلمين فهم أمة يجدر بها ان تعيش كأمة وقد قلت ذلك ولا أزال أعيده حتى يلجم لساني ويكم فمي!

وسنحافظ على قوميتنا محافظة لانخرج بها عن دائرة الاخلاص لتابعيتنا فسنحافظ على لغتنا القومية وسندأب على ترقية شأنها ورفع آدابها شأن كل الامم واني اصرح للحكومة بأن كل مايضعونه في سبيلنا من العقبات والموانع وما يعدونه من التدابير سيكون عبثا. لاننا نعد المعارضة لقوميتنا تصديا لديننا وعلى ذلك فلا الحكومة ولا دائرة المذاهب الاجنبية تقدر أن تفصل ديننا عن قوميتنا وان تضعف احدهما وتضمد الثاني. فنحن سنعيش أولا كمسلمين وثانيا كشعب بمقومات خاصة في روسية واني واثق اننا سنقاوم التدابير الجديدة التي تعدها دائرة المذاهب الاجنبية ضدنا بنفس الروح التي أظهرناها في مقاومة «ايوان غروزني» الذي حاول تنصيرنا بالسيف!. ايها السادة: اني اختم كلامي بأن أعلن بأننا نحن مسلمي روسية سنعيش كشعب حر في روسية الحرة. (تصفيق في الجناح الايسر)

تعصب اوربا الديني

(الزام الغسا والمجر لمسلمي بلادهم باتباعهم في أحكام الزواج والطلاق)

نشرنا في المجلد الماضي (ص ٤٣٨ و ٤٩٩ و ٨٥٦) وفي غيره نبذاومقالات بينا فيها ان الغلو في التعصب الديني منبعه أوربا ونحن في كل آن نرى الآيات والشواهد على ذلك من غير تتبع ولا استقراء ٠ من ذلك ماراًيناه في هذه الايام في جريدة (صداي ملت) التي يصدرها بعض روم الاستانة باللغة العثمانية هنا (الآستانة)

وماذا رأينا فيها ؟ رأينا عجبا : رأينا ان الحكومة قررت أن دين المسلمين لايتفق مع مدنيتهم في احكام الزواج والطلاق لانه يبيح تعدد الزوجات فيجب الزام المسلمين واكراههم على اتباع محاكم الدولة في ذلك وعدم السماح لهم بجعل ذلك على حسب شريعتهم والرجوع الى محاكمهم الشرعية التي كانوا يحكمون فيها بما يتعلق بالامور الشخصية !! ولا يبعد ان يمنعوهم بعد زمن قريب أو بعيد من الحج لان فيه مشقة أو تعرضا للمرض وهم لشدة حبهم للمسلمين يحولون بينهم وبين ما يؤذيهم !! ومن الصوم لانه مانع من حرية التلذذ الذي هو منتهى الحظ من هذه المدنية !! ومن الصلاة لان فيها اجتماعا على غير ماتحب الدولة العادلة !!

لو فعلت هذه الفعلة التي فعلتها النمسا الحكومة العثمانية أو حكومة مراكش أو الافغان لقامت قيامة أوربا وأمريكا والعالم المسيحي كله حتى التابعين للحكومة الاسلامية التي تفعل ذلك وتجاوبت اصداؤهم بالصياح والشكوى من تعصب المسلمين والتحريض على ابادتهم من الارض فاعتبروا ايها المنصفون !

(اعتصاب الزيتونيين) اعتصب طلاب جامع الزيتونة بتونس عن تلقي الدروس طالبين تغيير الحال بما ينجح الاعمال وينفع في الحاضر والمآل وبعد ان كادت تخذلهم السياسة نصرهم الاتحاد فاجيبوا الى معظم ما طلبوا وقد كنا كتبنا مقالة نرحب فيها بهذه النهضة فلم يتسع لها هذا الجزء

(الانكليز في بلاد العرب) كتبت التيمس مقالة فيها تلويح ينبيء عن تصريح بما توجهت اليه عزائم الانكليز من العمل في بلاد العرب فعسى ان تستيقظ الدولة وتصيخ الى هذا الصوت لا الى صوت ذلك الموسوس المفرق ولعلنا ننقل المقالة في المنار السادس ونقفي عليها بما يعن لنا من النصيحة

الفصل الحادي والعشرون (*)

(الدليل النقلي)

اقتداء الناس بعضهم ببعض أمر قد ألفته طباعهم عظيم الالفة . وربما كان من سنخ غرائزهم ، ومن مادة تصورهم ، اذ رأيناه عريقا في مرافقة الاجيال ، والتنقل في الانسال ، وموغلا في الرسوخ والاستقرار ، والدوام والاستمرار ، لا يزحزحهم شيء عنه ، ولا يفصل بينهم وبينه فاصل

هذا الاقتداء نفع البشر كثيرا ، واضرّ بهم كثيرا ، فاما نفعه اياهم فلأن الاكبر سنا ، والاكثر فهما ، والاشد قوة ، والاغزر تجربة ، يجعلون المقتدين بهم يبتدئون حيث انتهوا هم ، ويمهدون لهم ما لا يستطيعون أن يمهدوا لانفسهم ، ولو بقي الطفل والغبي والضعيف والغر خالين من طبيعة الاقتداء لراحت اكثر التجارب والاختراعات والتفكرات والاعمال العقلية سدى ، ولولا الاقتداء لما تعددت الاعمال والصناعات ، ولا كثرت البدائع ، ولا ارتقى التمدن ، ولا نمى العمران ، ولا سما النظام . وأما اضراره بهم فلأنه ساق أحيانا الى الاقتداء بالجاهلين والمفسدين ، ووقف أحيانا بأقوام مع ما سن لهم اسلافهم وقفة الصخور ، وجعلهم يحرمون مما يأتي على أيدي الحكماء من الهدى متى خالف ما عرفوا من قبل ، وان اصبح ما عرفوه منكرا لدى أهل زمانهم أجمعين

البحث عن نفعه واضراره ، ووضع الموازين للدرجات فيه ، لا قرابة

(*) تابع لما نشر في (ص ٢٣١ م ١٣) من سيرة السيدة خديجة بقلم السيد عبد الحميد الزهراوي

بينه وبين موضوعنا ، ولكن اتخاذ الناس بعض كلام الآخرين من جملة الادلة هو الذي حملنا أن نقدم هذه الكلمات في وصف عراقته وبيان أن بعضه نافع كما وقع للسيدة « خديجة »

* * *

كان للسيدة « خديجة » ابن عم قد شبع من الاعوام ، وارتوى من حديث الانام ، قد تعلم العبرانية وقرأ بها الاسفار ، وعرف بها الاديان ورضي بدين ابن مريم (عليه السلام) دينا وهو « ورقة بن نوفل »

هذا الشيخ الجليل كان جديرا أن يكون اماما لخديجة تتخذ قوله حجة وهديه معتصما لان هنالك وجوها كثيرة تدفع عن نفسها الريب بأن هذا الرجل أعلم منها بهذه الامور وانه لا يصدر عنه الا النصح لها . فهو بالدرجة الاولى ابن عمها بل بحسب السن مع القرابة هو في مقام ابيها ، فلو أن ورقة غشاش مخادع لما كان منه الغش والخداع لبنت عمه فكيف وهو مستمسك اذ ذاك بدين ذلك الانسان المملوء قدسا الذي كان اكبر همه حث الناس على التحاب ونفع بعضهم لبعض ، ونهيهم عن التشاحن وايذاء بعضهم لبعض . وهو مع قرابته وسمو التعاليم التي تزكت بها نفسه كان في نظر خديجة سامي الهمة جدا

ذلك ما حملها على الاسراع اليه لتقص عليه الخبر وترجع في هذا الامر الى علمه وأخذت معها بعلها ليقص هو نفسه على سمعه ما رأى

كان ورقة بحسب ما قرأ وعرف مصدقا بأن ليس هذا الهيكل البشري الا مظهرا لشيء يحل فيه هذه المدة القصيرة باذن الله وهو الروح ، وأن للروح ظهورات غريبة في بعض الهياكل ، وانه توجد أرواح من شأنها الاجتنان عن الحس والعيان تتمكن من الانسان من حيث لا يشعر ، صنف منها يحب جذبه الى سبل التكمل ، وصنف منها يحب بقاءه في

حضيض البهيمية ، يقال في العربية للاول ملائكة وللثاني شياطين

كان مصدقا بكل هذا ومؤمنا أيضا بأن بعض الارواح الذين هم الملائكة يختصهم الفاطر المصور بمزيد خصائص ويجعلهم نواميس أي وسطاء الوحي الأعلى الذين يريد سبحانه أن تكون ظهورات الروح فيهم سامية جدا

كان قد قرأ الانبياء وعرف مجيء الارواح اليهم وعرف أنه يقوم أنبياء كذبة وأنبياء صادقون وأن لهؤلاء وهؤلاء علامات. فنحن لما سمعنا ذهاب خديجة الى هذا العالم المسيحي خطر ببالنا أنه لا يكون سهلا تصديقه بقدسية الروح الذي أتى محمداً (صلى الله عليه وسلم) لان يوحنا الرسولي يقول في رسالته الاولى «أيها الاحباء لاتصدقوا كل روح بل امتحنوا الارواح هل هي من الله لان أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا الى العالم. بهذا تعرفون روح الله . كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله، وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فليس من الله» ولكن الذي خطر ببالنا أن وقوعه صعب قد رأيناه أمراً واقعا فان ورقة بعد أن سأل بعل ابنة عمه بضع مسائل قال له هذا هو ناموس موسى أي الروح الذي جاءه . والظاهر أنه لم يقل هذا القول ولم يصدق هذا التصديق الا بعد أن عمل الامتحان الذي أوصى به يوحنا الرسولي وظهرت له العلائم الدالة على أن هذا الروح من الله على حسب ما تعلم من الكتب

نحن لا ندعي العلم بتفسير هذه الكلمات التي ليوحنا ولا طريقة الامتحان التي أشار بها ولكن نظن أن ذلك العالم القريب من ذلك العهد بالنسبة الى زماننا هذا كان لا يجهل هذا التفسير . وكذلك لا ندعي العلم بتفسير قول موسى لبني اسرائيل «ان نبيا مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من

اخوتكم» ولا تفسير الاصحاح الثاني والاربعين من «اشعياء» ولكن يظهر لنا أن ورقة قد فهم من قول موسى هذا ومن اشعياء أنه سيكون نبي من العرب يكون مقامه حوالي سلع ذلك الجبل المعروف في البلاد العربية، وهذا نص ما في أشعيا :

«١ هوذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سرت به نفسي، وضعت روحي عليه فيخرج الحق للامم ٢ لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته ٣ قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة خامدة لا يطفىء، الى الامان يخرج الحق ٤ لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الارض وتنتظر الجزائر شريعته ٥ هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها، باسط الارض ونتائجها، معطي الشعب عليها نسمة، والساكنين فيها روحا ٦ أنا الرب قد دعوتك بالبر، فأمسك بيدك، فأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للامم ٧ لتفتح عيون العمي، لتخرج من الحبس المأسورين، من بيت السجن الجالسين في الظلمة ٨ أنا الرب هذا اسمي ومجدي، لا أعطيه لآخر، ولا تسبيحي للمنحوتات ٩ هوذا الاوليات قد أتت، والحديثات أنا مخبر بها، قبل ان تنبت أعلمكم بها ١٠ غنوا للرب اغنية جديدة، تسبيحة من اقصى الارض، أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها ١١ لترفع البرية ومدنها صوتها، الديار التي سكنها قيدار، لتترنم سكان سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا ١٢ ليعطوا للرب مجدا ويخبروا بتسبيحه في الجزائر »

***

قد قلت وأعيد قولي اني لا أدعي العلم بتفسير هذه الكتب ولكني لما رأيت ورقة قال لزوج بنت عمه هذا هو ناموس موسى بحثت عن منشأ

قوله هذا فوجدت فيما ذكرت آنفا من قول موسى واشعيا مايشبه أن يكون مأخذاً فمن أراد أن يقول لي لايفهم من قول موسى وأشعيا ما فهمت لايجدني آسفا على عدم إصابة ظني بخصوص ماحمل ورقة بن نوفل على قوله هذا فانه يجوز أن يكون قد عرف ذلك بغير ماظننته . ولست في هذا المقام بذي حجاج ومناظرة اذ أنا ههنا الا كاتب سيرة أجتهد باستقصاء فروع حوادثها وتفسيرها على قدر فهمي ومبلغ ماوصلت اليه من النقول

وههنا مسألة جليلة لانستطيع مفارقة هذا المقام من غير أن نوضحها ونسهل فهمها على القارئ وهي ان الارواح قد تعلم بعض الاشياء قبل وقوعها اذا كشف الله تعالى لها عنها بواسطة النواميس أو واسطة غيرها

هذا المعنى كان بنو اسرائيل يقولون به كما كان كثير من الامم الاخرى تذهب اليه وقد جاءت كتبهم حاملة سلسلة من أخبار هؤلاء البشر الذين كان الروح الالهي ينزل عليهم فينبئهم بما سيكون . وتبتدىء هذه السلسلة المهمة في كتبهم بحديث نوح الذي أنبئ فأنبأ بانه سيكون طوفان ويموت كل من على وجه الارض وهدى الى صنع الفلك فصار الطوفان ونجا هو وأولاده ونساؤهم وتناسلوا بعد الطوفان ثم تفرقوا ثم اصطفى الله من هذه الانسال ابراهيم (*) وكان ينزل عليه روحا من عنده ، وشاخ ابراهيم وزوجته سارة من غير أن يصير لهما نسل ولكن حبلت منه أخيرا هاجر جارية زوجته ونزل عليها الروح وقال لها سيكثر نسلك فلايعد من الكثرة فولدت له اسماعيل ثم انبئ أن زوجته سارة ستحبل وتلد بعد هذه الشيخوخة

---

*) ابراهيم بن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن ارفكشاد بن سام بن نوح (كذا في التكوين)

وطول هذا العقم فولدت له اسحاق وانبئ ان نسل اسحاق سيكون كثيرا أيضا . وقضت سارة على هاجر فطردتها وغلامها فنزل على هاجر الروح وقال لها لاتخافي لان الله قد سمع صوت الغلام وسيجعله أمة عظيمة وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية برية فاران التي قال عنها موسى ان الله سبحانه تلألأ فيها

وتأخذ كتب بني اسرائيل بعد ذلك بسرد أخبار من تناسل من اسحاق بن ابراهيم وأما أخبار من تناسل من أخيه اسماعيل فلا تذكرها فابن اسحاق يعقوب وهو اسرائيل كان الروح ينزل عليه ، ويوسف بن يعقوب كان الروح يجيء اليه

ويوسف هو سبب مجيء بيت يعقوب الى مصر وهناك تناسلوا وكثروا وحتى ولد فيهم موسى صاحب الشريعة الشهيرة ، هذا أيضا كان ينبأ وينزل عليه الروح وهذا قال لقومه « ان نبيا مثلي سيقيم لكم الرب الهكم من اخوتكم »

واسس موسى لبني اسرائيل ملكا على الوحي الروحي وخلفه بعد موته تلميذه يوشع بن نون وبعد موت يوشع بدأ الفساد والضعف يحل بهم ثم انتشلهم داود وسليمان وتعاظم الملك في أيام سليمان ثم طرأت عليه بعده الطوارئ حتى زال ، ولم يخل زمان من أزمنة ملوكهم وبعدها من نبي أو عدة أنبياء حتى نزل الروح أخيرا على مريم أم عيسى وبشرها بانه يكون لها ولد من غير أن يمسها بشر ، وقد ولدت مريم عيسى على هذه الصورة التي بشرت بها وصار نبيا أيضا ولكن قومه كذبوه ولم يصدقه الا قليل ، وقد كذبوا من قبله أكثر الانبياء الذين كانوا ينذرونهم بزوال الملك اذا ظلوا على الفساد

أنا لا أعرف لماذا يكذب بعض الناس بأشياء هم مصدقون بمثلها ، أو يصدقون بأشياء هم مكذبون بمثلها . هذا أمر وقع كثيرا ويقع دائما أمام أعيننا واسماعنا فهل التصديق والتكذيب بحسب وزن الاشخاص وما هو الميزان في الاشخاص ؟ أم بحسب وزن العقل وما هو سبيل العقل في التصديق والتكذيب بمثل هذا ؟

أنا أرى أن من آمن بسعة قدرة الله ، وبعجائب صنع الله ، ونفذت بصيرته لرؤية آثار روح الله ، وآمن بمجيء ناموس الله لعبده موسى لا ينبغي له أن ينكر قدرة الله في اخراج عيسى من مريم بغير واسطة بعل ، ولا يجدر به أن يكذب نزول روح الله عليه كما نزل على أخيه موسى . ومن آمن بعجائب موسى وعيسى ابني اسحاق وبنزول روح الله عليهما لا ينبغي له أن يستبعد نزول هذا الروح على أخ لهما من بني اسماعيل

هذا أقوله للذين صدقوا بما هنالك من العجائب والغرائب الموسوية والعيسوية وأما الذين لا يصدقون بهذي وتلك ولا يحكمون الا الحس والعقل فهؤلاء أمضي بهم الى التجارب والمشاهدات وأنا واثق أننا لا نعدم في خزائنها كثيراً مما يؤيد أن بعض البشر يخبرون عن بعض الحوادث قبل وقوعها

فان قال لي هؤلاء نعم قد يوجد أناس على هذا النحو ولكن ليس هذا سبب اخبار من روح كما تقولون قلت لهم اذا توافقنا في ثبوت الاصل فلا ضير علينا بعد ذلك بالاختلاف في الاسباب وأسمائها

وان قالوا لي ما الفرق بين هؤلاء الذين قد زام في أزمنتنا هذه من هذا القبيل وبين من تحدثونا عنهم قلت لهم ان هذا الفرق ظاهر لان الاختصاص كله من الله فهو يعطي انسانا معرفة بعض الوقائع الآتية

ويجعله شارعا وقائد أمم ومؤيدا بتأييد عظيم لا تحيط به العبارة ويعطي انسانا آخر مثالا صغيرا من هذه المعرفة من غير أن يجعله شارعا وقائد أمم ومؤيدا بتأييد عظيم فالاول يقول أنا نبي أو أنا رسول ويظهر الله صدقه فيما يقول والثاني لا يستطيع أن يقول هذا وان قاله لا يظهر قوله حقا . فهل ينكر هذا الفرق الكبير ذو بصيرة لا يعدوها الاخلاص الى الله والادب مع مجالي أمره ، ومظاهر سره ؟!

لقد كان ورقة على ماظهر لنا شديد الاخلاص متوغلا في علم الروح ومعرفة النواميس الالهية وأخبارها ، وكان على نور فراسة من ربه وسرعة استطلاع فلما سمع هذا النبأ الجديد تفرس بصاحبه وتذكر مانقل عن الانبياء واصحاب النواميس من قبل ، وتذكر قول موسى لقومه بني اسحاق « سيقيم الله نبيا مثلي من اخوتكم » وما اخوتهم الا بنو اسماعيل فقال له هذا هو الناموس الذي نزل على موسى

ثم تذكر ايذاء الناس للانبياء مع قول اشعيا « لترفع البرية صوتها ، الديار التي سكنها قيدار » وقيدار هو ابن اسمعيل ، وقوله « لتترنم سكان سالع » وسالع او سلع جبل على مقربة من « يثرب » من أشهر جبال العربية فلاح له أن قريشا ستضطر هذا النبي الى مفارقة بلده « مكة » فقال له « ليتني فيها جذعا — اي شابا — اذ يخرجك قومك »

وبعد برهة قليلة توفي ورقة . أما « خديجة » فاستمسكت بكلام هذا الرجل أيما استمساك وأضافت علومه الى ماقد عرفته هي بدلالة عقلها وتجربتها فأصبح ايمانها بنبوة بعلها ورسالته الى الناس اثبت من الرواسي

فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً
وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

﴿ مصر الخميس ٣٠ جمادى الآخرة ١٣٢٨ - ٧ يوليو (تموز) ١٢٨٩هـش ١٩١٠م ﴾

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ رسالة التوحيد للاستاذ الامام و .... صالح التونسي ﴾

(س ٢٩) من أحد طلاب العلم بدمشق الشام

سيدي الاستاذ الامام العلامة فيلسوف العصر ونادرة الدهر ناصر السنة وقامع البدعة من ذكرنا بعثاره امير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبره واحسانه نطلب من فضيلتكم كما عودتمونا نشر الحقائق وابانة الحق والصدع به بالحكمة والموعظة الحسنة ان تشرحوا لنا معنى كلام حكيم الشرق المغفور له الاستاذ الامام « هذا النوع من العلم علم تقرير العقائد وبيان ماجاء في النبوات عند الامم قبل الاسلام ففي كل أمة كان القائمون بأمر الدين — الى قوله — وتآخى العقل والدين لاول مرة في كتاب مقدس على لسان نبي مرسل » الخ

حيث ان جاسوس أبي الهدى وصاحب الفتنة السورية الرمضانية .... بدأ بقراءة هذه الرسالة وتتبع ماتشابه منها ابتغاء الفتنة ولأجل ان يطعن في الاستاذ الامام وصار يحرف الكلم عن مواضعه فأخذ الآن يضجج ويتكلم عليه ويحرف كلامه على غير مراده ذلك أنه أول القائمين بأمر الدين بأنهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام مستدلا على ذلك بقول الامام: وتآخى العقل والدين لاول مرة الخ فقال .... قوله لاول مرة دليل على ان الانبياء السابقين جاءوا بدين غير مؤاخ للعقل وهذا ينافي اعتقاد الاسلام الخ

مع انه على ماظهر من قول الاستاذ الامام القائمون هم رؤساء الاديان الذين حرفوا وابتدعوا

ولما بلغ صاحب المقتبس محمد افندي كرد علي هذه الترهات اخذه الغضب لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم فذكر في مقتبسه اليومي (عدد ٣٧٤): ان شيخا من مشايخ الجمود فعل كذا وكذا ليحذر الناس عامة والدمشقيين خاصة من ضلاله واضلاله وفساده وافساده ... ثم سيدي قطون انه كما أن للحق انصارا كذلك للباطل انصار ولكن العاقبة للحق كما قال عز وجل «بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه» وقال عز وجل «وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا» — والآن جئنا راجين كشف مراد الامام رضي الله عنه ليتجلى الحق لطالبه وادام المولى النفع بكم

(ج) انتقد قبل الجواب ما جاء في السؤال من الطعن في شخص الشيخ صالح بما لاحاجة اليه في ايضاح السؤال ولاسيما ماحذفته من ذلك الطعن وان كنت جريت في السنين الاخيرة على نشر الاسئلة بنصها ثم أقول

ان مراد الاستاذ من القائمين بأمر الدين رؤساء الاديان كما فهمتم وصرح بذلك رحمه الله تعالى في الجامع الازهر عند ما كان يقرأ الرسالة درسا يحضره الجم الغفير من المجاورين والعلماء والمدرسين الذين لايبلغ الشيخ صالح مد احدهم ولا نصيفه والسياق يأبى حمل الكلام على الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانه بحث في تاريخ علم الكلام الذي يسمى عند النصارى بعلم اللاهوت وهو علم استحدث بعد الانبياء عندنا وعند أهل الكتاب . ناهيك بما قال علماء السلف في ذم هذا العلم عند ماظهر في أمتنا . وقد ذكر مؤلف الرسالة في درسها بالازهر بعض مذاهب أهل الكتاب في المسائل الكلامية المعروفة عندنا ومذاهبهم فيما لانظير له عندنا كطبيعة المسيح (ع م) ومشيئته . كل ذلك في شرح هذه العبارة التي حرفها هذا الرجل بسوء النية والنظر بين السخط وحملها ما لاتحمل . ومن دلائل سوء نيته — اذا صح ماروي لي عنه — أنه ضلل مؤلف الرسالة لانه بدأها بسورة الفاتحة دون ما اعتاده اكثر المؤلفين من الحمدلة والتصلية . وهذه العادة وان كانت حسنة ليست واجبة ولا سنة نبوية متبعة ، وحديث « كل أمر ذي بال » على مافي روايته من المقال ، يتحقق

العمل به بالقول ولا يتوقف على الكتابة ولذلك رأينا كثيرا من اساطين العلماء لم يذكروا في أول كتبهم حمدلة ولا تصلية بل بدءوا بعد البسملة بالمقصود كمختصر الامام المزني لمذهب الشافعي بل رأينا كتاب الامّ للامام الشافعي لم تذكر التصلية في أوله استقلالا . فياحسرة على الشبان الاذكياء الذين يبتلون بمعلمين يشغلون أذهانهم بمثل هذا الجهل ، ويوهمونهم انه من دقائق العلم ، ويربونهم على استنباط ما يلقي الشقاق والفتن بين المسلمين ، وينشئونهم بأن هذا هو النصر للدين ،

ألا يخطر ببال أولئك الطلاب أن رسالة التوحيد طبعت منذ ثلاث عشرة سنة وقرئت دروسا في الازهر على أكثر من ألف أزهري من الطلاب والعلماء واعيد طبعها مرتين وانتشرت في جميع أقطار الارض ودقق النظر فيها كثير من العلماء الذين كانوا يحسدون مؤلفها ويتمنون لو يجدون له عثرة ينتقدونها وكثير من العلماء المحبين له الذين يحرصون على تذكيره اذا نسي وتنبيهه الى خطأه إذا أخطأ وأنه لم يسمع من أحد من أولئك ولا هؤلاء انتقاد على شيء منها الا ماذكرناه في السنة الاولى للمنار من انتقاد الشنقيطي واشرنا اليه في مقدمتنا للطبعة الثانية فلو رأوا فيها غير ماذكر شيئا منتقدا لما سكتوا عنه مع توفر الدواعي لذكره فان ما كان يؤثر عن هذا الرجل لم يكن كالذي يؤثر عن غيره من حيث العناية به وعدمها

لا أقول إن إجازة الجماهير من العلماء لشيء هي دليل على كونه صوابا في نفسه وإنما أقول انها بالقيد الذي ذكرناه دليل على كون ذلك الشيء موافقا لاعتقادهم فاذا أمكن لاحد أن يماري فيه فلا يكون مراؤه ظاهراً مقبولا عند المستقلين المنصفين . فليتأمل أولئك الطلاب هذا وليعلموا أنه لا يوجد كلام قط لا يمكن حمله على غير المراد منه حملا يقبله الكثير من الناس المشتغلين بالعلم وليطالعوا كتاب حجج القرآن ويتأملوا كيف استدل جميع أصحاب المذاهب المبتدعة في الاسلام بآياته التي هي في منتهى البلاغة في البيان على تلك المذاهب المتناقضة «يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا »

هذا وان للاستاذ الامام منزعا عاليا في تآخي الدين والعقل في الاسلام لا يدرك مثل الشيخ صالح مرماه فيه وقد بينه رحمه الله في سياق حكمة كون الاسلام آخر الأديان وكون نبيه محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، لا يفهمه مثل الشيخ

صالح لان فهمه يتوقف على المعرفة او الالمام بتاريخ الأمم والاديان وعلم الاجتماع البشري وسنن الله تعالى في الترقي وحكمته في نسخ الشريعة المتقدمة بخير منها وبما عند الله أهل الكتاب من كتب الانبياء عليهم السلام وبمسألة تحريفها هل هو لفظي أم معنوي فقط كما يقول أئمة الحديث كالبخاري . على انه لو قرأها بحسن النية والاخلاص لاستفاد منها في دينه ما لا يستفيده من كتاب آخر من كتب العقائد المعروفة ولكنه ينوي بقراءتها تلمس عبارة يمكن حملها بالتحريف والتأويل على غير ما وضعت له ولكل امرئ ما نوى . لااعجب لتصديه للانكار على رسالة التوحيد دون الكتب الكثيرة المؤلفة في الطعن في الاسلام نفسه والكتب التي نشرها بعض الجاهلين من المسلمين وهي محشوة بما يتبرأ منه الاسلام ومنها ما هو منسوب لطائفة الرفاعية التي فيها ان الشيخ احمد الرفاعي وصل الى درجة صارت السموات السبع في رجله كالخلخال وان الله تعالى وعده ان لا تحرق النار جسدا يمسه هو او أحد خلفائه الى يوم القيامة !!! لا أعجب له بعد ان ترك دروسه في الشام وجاء الآستانة ليسعى في ابطال ما قام به بعض العلماء والفضلاء هنا من تأسيس جمعية اسلامية لأجل إنشاء مدرسة إسلامية عربية عالية لتربية العلماء والمرشدين الجامعين بين التقوى وعلم الدنيا والدين والاستعانة بهم على تعميم التعليم الاسلامي وهي أول جمعية اسست في الاسلام للقيام بهذه الفريضة او الفرائض الكثيرة

شبهته في مقاومة هذا العمل الاسلامي العظيم على ما بلغني عنه أن الداعي اليه وهابي يخشى ان يبث في المدرسة مذهب الوهابية !! ولماذا لم يسع في ابطال جميع مدارس الحكومة التي تقرأ فيها العلوم الطبيعية التي يرى هو كفر جميع الذين يقرأونها وانا على كوننا لا نرى رأيه هذا نعلم أن الكثيرين يخرجون من هذه المدارس بغير دين لأن الدين لا يعلم فيها على وجهه الصحيح المعقول ومنها ما لا دين فيها ألبتة ، ولماذا لم يسع في ابطال مدارس الجمعيات النصرانية التي تعلم اولاد المسلمين مع العلوم الطبيعية دين النصارى وتجبرهم على حضور عبادتهم في الكنائس !!! ألم يجد خدمة يخدم بها الاسلام الا السعي في مقاومة جمعية إسلامية غرضها إغناء المسلمين عن مدارس غيرهم ودفع هذه الشبهات الماجة عليهم من تعليم العلوم والفنون الدنيوية

– لا ترى الدولة ولا الامة لها غنى عنها !!!!؟ أما شبهته تلك فمدفوعة من وجهين

(١) ان الداعي الى هذا العمل لخدمة الدين والدولة والامة ليس وهابيا لانه ليس مقلدا في عقيدته بل هو ناصب نفسه للدفاع بالبرهان عن عقائد الاسـلام المثبتة في كتابه وسنته وسيرة سلفه الصالح ويقبل انتقاد كل منتقد ومناظرة كل مناظر فلماذا لم يكتب اليه ببيان ما يزعم انه اخطأ فيه ؟

(٢) لو فرضنا انه وهابي فماذا الضرر وهابيته هذا العمل الذي يقوم به جمهور من العلماء ويكون تحت مراقبة جمعية علمية مؤلفة من جميع علماء الارض . إن الجمعية الخيرية الاسلامية بمصر قد كان سبب تأليفها شعوذ روسي فهل نقص ذلك من قدرها أو حال دون انتفاع المسلمين بها ؟

يا حسرة على مسلمي هذا الزمان أصبح بأسهم بينهم شديدا وضعفوا امام جميع الامم فهم يخربون بيوتهم بأيديهم ولا يقاومون الا من يسعى لخيرهم ورفعة شأنهم وحفظ دينهم ودنياهم ، ولا يقنطنا هذا من رحمة ربنا والسعي فيما أوجبه علينا فالله لا يصلح عمل المفسدين « ولينصرنَّ الله من ينصره ان الله لقوي عزيز »

***

« انفاق ريع الوقف على العلم »

(س ٣٠) من صاحب الامضاء الرمزي في (فغلان)

سيدي الاستاذ الجليل

يوجد في أحد بلداننا مسجد له أوقاف تغل غلة وافرة تزيد عما يلزم له لنحو امام وخطيب ومؤذن وقد اجتمع له أكثر من ثلاثة آلاف ليرة انكليزية .

وقد اختلف في إنفاقها فقال بعضهم يعمر وينفق منها على ما في ذلك البلد من المساجد الأقرب فالأقرب الى المسجد الغني وقال آخرون بل يفتح بها مدرسة لتعليم العلوم الشرعية بجوار المسجد الغني لأن عمارة المساجد بالعبادة لا بالتزويق .

وقال غيرهم بل يؤخذ بها كتب نافعة للقراءة والمطالعة وتعمل مكتبة بجوار المسجد . فماذا يرى حضرة الاستاذ في هذه المسألة لتقطع جهيزة قول كل خطيب ؟ ودمتم نافعين .   م ٠ ع

(ج) ان الاخذ في مسألة هذا الوقف يتوقف على معرفة شرط الواقف إن

كانت معروفة فان لم يكن هناك شروط تتبين بها جهة ما زاد من مصالح المسجد أوكان الشرط ان يصرف الزائد في الخير مطلقا فأفضل الخير وأنفعه العلم وهل تنفع المساجد وتصح الصلاة الا بالعلم ؟ فالرأي إذاً ان تبنى بجوار المسجد مدرسة يعلم بها المسلمون أحكام الدين وآدابه وتاريخه وما يتوقف ذلك عليه من علوم اللغة العربية وآدابها، وكذا ما يعينهم على أمر معاشهم كالحساب ومسك الدفاتر وعلم التجارة والزراعة وغير ذلك من العلوم والفنون النافعة ان تيسر، على أن بعض العلماء المحققين (كابن القيم) قد أقاموا الدلائل على جواز بل تفضيل صرف ريع الاوقاف الخيرية المعينة بشرط الواقف فيما هو أنفع مما نص عليه الواقف فمن شاء الوقوف على ذلك فليراجع هذا البحث في كتاب (اعلام الموقعين عن رب العالمين) المطبوع في الهند ومصر

***

﴿ سبب فرض الصلاة ﴾

(س ٣١) من عبد القادر افندي جبر بناقوس (شرقية)

مولانا الفاضل صاحب مجلة المنار الافخم

بعد تقبيل الايدي نرجو من فضيلتكم افادتنا عن الصلاة لاي سبب فرضها الله على الاسلام وما سبب نزولها والله يبقيكم وما سبب الركوع والسجود وما المراد منهما؟

(ج) شرع الله الصلاة وفرضها علينا لتتحقق بها بالعبودية له التي تطهر بها نفوسنا من الميل الى الفواحش والمنكرات والاقدام على ارتكابها وتقوى على الهلع والجزع وتتحلى بالشجاعة والكرم والسخاء. وقد بين الله لنا ذلك في آيات من كتابه كقوله عز وجل « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وقوله «إن الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا، الا المصلين» وقوله «واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة الا على الخاشعين » وقوله « قد أفلح المؤمنون ٥ الذين هم في صلاتهم خاشعون » فصلاة الخاشعين ـ ولا صلاة إلا لهم ـ تكون لها كل تلك الفوائد بما تتضمنه من مراقبة الله تعالى وتزكية الروح بذكره وتغذية الايمان به كما بينا ذلك بالتفصيل في تفسير « حافظوا على الصلاة » فراجعه في المنار أو في (ص ٤٣١ ـ ٤٤٠ من جزء التفسير الثاني) وكذا في ص ٣٧ و ١٧٨ منه) وهناك ترى حكمة الركوع والسجود ايضا

باب العقائد

بحث التحسين والتقبيح (*

اختلف الناس هل للافعال في نفس الامر حقائق متقررة في نفسها هي أهل لان ترعى وتؤثر على نقائضها وتستتبع الرفع من شأن المتصف بها كالصدق والانصاف وارشاد الضلال مثلا وحقائق هي في نفسها أهل لان يعدل عنها وتستتبع الوضع من شأن من اتصف بها من تلك الحيثية كالكذب والظلم مثلا ، فقالت المعتزلة واكثر العقلاء وجماعة من الحنفية نعم والمراد بالحنفية هم المعروفون بالماتريدية نسبة الى أبي منصور الماتريدي وكذلك أفراد من غيرهم كالامام المحقق الشهير ابن تيمية حتى عدها عليه السبكي مما خالف فيه الاجماع او الاكثر وقد دل ذلك على نزول درجة السبكي فان دعوى الاجماع كاذبة وكذلك الكثرة مع أن مخالفة الاكثر غير ضائرة « وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » وللسبكي هذا مع فضله نوادر نحو هذا تنادي على من سبكه مع ابن دقيق العيد وابن تيمية فان هذين الرجلين لا يلزّ بهما قرين ولم ينفرد ابن تيمية فكم من الحنابلة من صنف في الحط على الاشعري واتباعه كما تجده في التراجم للذهبي وغيره ومن جملة ماينقم عليه هذه المسألة فيقل القائلون بها لان المذاهب المشهورة بين مطبقة على خلاف الاشعري أو مختلفة مع تهجين المخالف له هذه المقالة فلا يغرنك شيوعها في هذه المقلدة كالسبكي وولده فاهم

(*) ننقل هذا الفصل من كتاب تحت الطبع اسمه «العلم الشامخ في ايثار الحق على الآباء والمشايخ» للشيخ أحمد المقبلي من مجتهدي اليمن في القرن الحادي عشر وقد تخبط في موضوعه اكثر علماء الكلام ولم يأتوا الا بتمحلات لامقنع فيها ولكن المصنف بحث بحثا مستفيضا محررا تحريرا قاثرنا اثباته في المنار

حوامل قد كررنا اسبابها ان كنت موفقا ومن عدل بالله غيره فقد شابه الكفار « ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » والحمد لله على العصمة . وقال سائر الاشاعرة: لا ، انما تلك الحقائق معناها أن الشارع أمر بها ونهى عنها ولو عكس لانعكس معانيها . هذا تحرير محل النزاع . وأما ذكرهم العاجل والآجل عند المعتزلة فمن أكياسهم والمعتزله لا ينظرون الى عاجل ولا آجل لانهم يحكمون بلزوم الرفع الذي منه المدح وكونه معرضا للثواب والوضع الذي منه الذم وكونه معرضا للعقاب للطاعة والمعصية من حال فعلها وانما منع الاتصال التكليف لان المكلف يصير باتصال الثواب والعقاب ملجأ الى فعل الطاعة وترك المعصية وعدم الالجاء عندهم شرط في التكليف وهذا أيضا عندهم في التكليف وهو أخص مما نحن فيه وأما مانحن فيه فلا يقولون بلزوم الثواب والعقاب فيه فالغلط عليهم من جهتين ذكر الثواب والعقاب وهما من لوازم التكليف لا من لوازم التحسين والتقبيح والتكليف أخص وذكر العاجل والآجل وسيأتي تتمة لهذا قريبا

ومن المغالطة والخلط لمحل النزاع بغيره قولهم في هذا المقام الحسن والقبح يطلقان لمعان منها موافقة الغرض ومخالفته وحينا يقولون ملاءمة الطبع ومخالفته ومنها كذا ومنها كذا وهذا اصطلاح لهم ليس بلغة كما صرح به السعد وغيره وليس باصطلاح للخصم حتى يذكر في مقام تلخيص محل النزاع وقد أنكر هذا ابن الملاحمي وقال ينبغي لهم صرف فطنهم الى محل النزاع ثم المحاجة فيه . والعجب أن ابن الحاجب وتبعه العضد أهملوا محل النزاع وذكروا هذه الامور وأخذ السعد في الترميم والامراجلي من ابن جلاء والحق أبلج ، والباطل لجلج ، وكذلك سائر المعتزلة ينكرون هذا الاصطلاح

وإدخاله في تحرير المسألة ورد مراد الخصم إليه وشدد النكير في الغايات على الرازي في ذكر ذلك فتنبه لهذا وإن رأيت في كتب الأشاعرة قولهم يطلق الحسن والقبح لثلاثة معان اتفاقا فإنما مستندهم كلام أسلافهم من دون معرفة كلام الخصم كما مضى نظيره وهم في كل المذاهب يجعلون نقل أسلافهم حجة على خصومهم في أنه يقول القول مع أنه يتبرأ منه وهو مثل ما يقال في الخصيات شهد عليك من هو أعدل منك وقول قراقوش اندفن لو تفتح على نفوسنا هذا لما اندفن أحد كما حكاه السيوطي في رسالة صنفها لحكاياته قال لئلا تنكر مع تطاول الزمان مع أنها محققة عنده لقرب عصره أو معاصرته له والذي أظن أن الأشاعرة وضعت هذا الاصطلاح لئلا يتعطل معنى الاحسان والاساءة لغة لأنهما من ألفاظ العرب وقد نفوا عنهما وهذا لا ينفعهم مع اعترافهم أن تلك المعاني ليست بلغوية ولكنه يكسر من سورة الاستهجان بإثبات اللاغية في اللغة لأشهر اللفظين منها في أشهر معنيين في ا.. قولهم ما أحسن ما فعل فلان مع فلان وما أقبح فعله مع فلان إذ معناه الاحسان والاساءة قطعا لا تلك المعاني التي تذكر الأشاعرة ستراً لهذه العورة ولهذا نظائر مع كثير ممن أوقعته زلته في لازم شنيع فتبينه لذلك تقف عليه

ثم ههنا شيء مما ينبغي صرف النظر إليه وهو اعتراف الأشاعرة والاتفاق منهم ومن سائر الناس أن التحسين والتقبيح بمعنى الكمال والنقص ثابت في نفس الأمر وهذا يكاد يلحق الخلاف بالوفاق فإن الكمال يستتبع الرفع من شأن من اتصف به والنقص يستتبع الوضع من شأن من اتصف به ولا شك أن من الرفع المدح للمتصف بالكمال ومن الوضع الذم للمتصف بالنقص بل إطلاق الكمال والنقص مدح وذم فقولنا كامل لا يمدح وناقص لا يذم مثل

قولنا كامل لا كامل وناقص لا ناقص ويمدح لا يمدح ويذم لا يذم ومعنى الاستتباع انه يناسب المفعول وتقبله ولا تأباه وتفرق بينه وبين نقيضه فترى ذم المحسن مناقضا لما ينبغي عند العقل وفي نفس الامر ومدح المسيء كذلك كما ترى ان الذم والمدح متناقضان وهذا هو معنى الاستحقاق عند المعتزلة ولا يريدون بالاستحقاق الوجوب والحتم وما زادوه من قيد الحتم في أي موضع فلموجب آخر لا بالنظر الى هذا المحل وهذا صريح في كتبهم وسيأتيك ان شاء الله قريبا زيادة ايضاح لمذهبهم

فان انكرت الاشاعرة الاستتباع بهذا المعنى فقد رجعت عن الاقرار بالكمال والنقص وعطلت معناهما وخلصنا من عبارات تحقيق مذهبهم فانا تارة ننظر الى هذا المعنى فنحكم عليه بالوفاق ، وأخرى الى تصريحهم بنفي الحكمة بأبلغ ما يمكنهم من العبارة فيتبين بالحقيقة الشقاق ، هكذا يذكر جماعة من الفريقين كالعضد وابن تاج الشريعة كما يأتي وغيرهما . وفيه عندي وقفة فانهم انما يثبتون الوصفين فيما هو من قبيل الغرائز كالعلم والجهل وكالصدق والكذب أي كونه شأنه الصدق وشأنه الكذب وأما في مثل صدق وكذب وحصل الصدق وحصل الكذب وحصل العلم وحصل الجهل المركب مثلا فيحتاج كونهم يقولون ذلك الى نقل صحيح عنهم والمتتبع من كلامهم خلافه فيسلمون من المناقضة ويقرون على الخلاف وانما التبس على الناظر ما كان بمعنى الثبوت وما كان بمعنى الحدوث فصادف بمعنى ذي صدق كمال عندهم لا بمعنى حصل الصدق واوجده وكيف وقد أنكروا هذا المعنى الاخير في مطلق الفعل وقالوا معنى آكل انه ذو الاكل لا انه فعل كما يأتي تحقيق ذلك وهذا تحقيق بليغ قد فات العضد واضرابه من الفريقين والحمد لله على العثور على الحقيقة

واعلم ان هذا محل النزاع بتمامه ، ثم النزاع هل أدرك العقل شيئا من تلك الامور الثابتة في نفس الامر ، ثم هل هذه الحقيقة بعينها مما أدركه؟ نزاع آخر (١) لا ينافي الكلام في النزاع الاول خلافا ولا وفاقا . أما انه لا ينافيه مع فرض الوفاق هنالك فظاهر وأما مع فرض استقرار الخلاف فلأن المخالف هنالك قد ينزل ههنا فتيقظ لهذا تسلم من الزلل ان شاء الله تعالى

وقد تضمن تصحيح التحسين والتقبيح ان الباري تعالى مبين للحكم فقط إما بالعقل أو بالسمع وليس الحكم في ثبوته واقفا على اختيار مختار بل هي كسائر الماهيات المجردة ، والعجب ممن افرجهذا ثم شغفه مدح الاسلاف ، وايثار الخلق على الحق فرع فروعا تنادي عليه بعدم الانصاف ، ولقد أغرب في ذلك ابن تاج الشريعة ، ولم يتمسك من الانصاف بأدنى ذريعة ، فانه نصر التحسين والتقبيح نصر امؤزراه وسجل على المخالف فعل من استمسك بأوثق العرى ، ومن نظره المحقق الموفق ، وكلامه المتمم المنقح على اثر البحث (قوله) على ان الاشعري يسلم الحسن والقبح عقلا بمعنى الكمال والنقصان ولا شك ان كل كمال محمود وكل نقص مذموم وان اصحاب الكمالات محمودون لكمالاتهم وأصحاب النقائص مذمومون بنقائصهم وانكاره الحسن والقبح بمعنى انهما صفتان لأجلهما يحمد أو يذم الموصوف بهما في غاية التناقض وان انكرهما بمعنى انه لا يوجد في العقل شيء يثاب الفاعل أو يعاقب لاجله ، (فنقول) ان عنى انه لا يجب على الله الاثابة أو العقاب لاجله فنحن نساعده على هذا وان عنى انه لا يكون في معرض ذلك فهذا بعيد عن الحق وذلك لان الثواب والعقاب آجلا وان

(١) أي هذا نزاع آخر اه مصححه

كان لا يستقل العقل بمعرفة كيفيتهما لكن كل من علم ان الله عالم بالكليات والجزئيات فاعل بالاختيار قادر على كل شيء ، وعلم انه غريق نعمة الله في كل لمحة ولحظة ثم مع ذلك كله ينسب من الصفات والافعال ما يعتقد انه في غاية القبح والشناعة الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا فلم يرعقله انه يستحق بذلك مذمة ولم يتيقن انه في معرض سخط عظيم وعذاب أليم فقد سجل على غباوته ولجاجه ، وبرهن على سخافة عقله واعوجاجه ، واستخف بفكره ورائه حيث لم يعلم بالشر الذي في ورائه عصمنا الله تعالى عن الغباوة والغواية ، واهدنا هدايا الهداية ، انتهى بحروفه

ثم أخذ في الخبط فقال لما أثبتنا الحسن والقبح العقليين وفي هذا القدر لا خلاف بيننا وبين المعتزلة أردنا ان نذكر بعد ذلك الخلاف بيننا وبينهم وذلك في أمرين (أحدهما) ان العقل عندهم حاكم مطلق بالحسن والقبح على الله تعالى وعلى العباد أما على الله تعالى فلأن الاصلح واجب على الله تعالى بالعقل فيكون تركه حراما على الله تعالى به فالحكم بالوجوب والحرمة يكون حكما بالحسن والقبح ضرورة وأما على العباد فلأن العقل عندهم يوجب الافعال عليهم ويبيحها ويحرمها من غير أن يحكم الله تعالى بشيء وعندنا الحاكم بالقبح والحسن هو الله تعالى وهو متعال أن يحكم عليه غيره ، وعن أن يجب عليه شيء وهو خالق أفعال العباد على ما مر ، جاعل بعضها حسنا وبعضها قبيحا ، وله في كل قضية كلية أو جزئية حكم معين ، وقضاء معين ، واحاطة بظواهرها وبواطنها ، وقد وضع فيها ما وضع من خير أو شر وهو نفع أو ضر ، ومن حسن أو قبح ، (وثانيهما) ان العقل عندهم موجب للعلم بالحسن والقبح بطريق التوليد ان يولد العقل العلم بالنتيجة عقيب النظر

الصحيح وعندنا العقل آلة لمعرفة بعض من ذلك أو كثير مما حكم الله تعالى بحسنه أو قبحه لم يطلع العقل على شيء منه بل معرفته موقوفة على تبليغ الرسل لكن البعض منه قد أوقف الله عليه العقل على انه غير مولد للعلم بل أجرى عادته انه خلق بعضه من غير كسب وبعضه بعد الكسب أي ترتيب العقل المقدمات المعلومة ترتيبا صحيحا على ما مر انه ليس لنا قدرة ايجاد الموجودات وترتيب الموجودات ليس بايجاد انتهى

ولنتبعه شيئا فشيئا حتى يتبين غلطه ولغطه في مذهب المعتزلة ومذهبه . والتصدي لقول فرد ابطالا وتصحيحا لا ينبغي الا ان هذه المذاهب قد استقرت والرجل يتكلم فيها على أهل ذلك المذهب جميعا فيكون تخصيص كلام معين أقرب الى الانصاف ، وايضاح الاهتداء من الاعتساف ، فاذا انضم الى ذلك كون الرجل من مشاهير ذلك المذهب ثم كون ذلك الكلام في كتاب متداول معروف بالكمال متلق بالقبول من الفحول كهذا الكتاب الذي ذكر هذا الكلام فيه وهو التنقيح وشرحه التوضيح كلاهما له كان أفضى الى مطلوب طالب الحق فنقول : (قوله) احدهما أن العقل حاكم عندهم مطلق على الله تعالى وعلى العباد (قلنا) ما تريد بقولك حاكم ؟ أتريد به انه مدرك للحكم الثابت في نفس الامر الذي أقررت فيه آنفا وبلغت في نصرته كل مذهب فان الاحكام الخمسة ترجع الى الحسن والقبح كما ذكرت أنت الآن فلا بد لك من الاقرار بهذا والا ناقضت نفسك ، أم تريد أن العقل محصل للحكم ومنشئ له في نفس الامر فلم يقل بهذا أحد ، أم تريد وهو الاقرب من غرضك ان الباري تعالى اذا أخرج فردا من ماهية الحسن والقبح الى الوجود فكما يلزم ان يسمى بمطلق الفعل فعلا يلزم

ان يسمى فعل العدل عدلا وكذلك نقيضه ، فان كان نزاعك لهم من حيث المعنى فان كنت تريد ان صفة العدل ونحوه ثابتة في نفس الامر فان فعله العبد ثبتت واستقرت وان فعله الباري تعالى خرج عن صفة نفسه كما ياتي من تحقيق كيفية اتصاف الفعل بالاحكام ثم بعد خروجه عن صفة نفسه يحكم فيه الباري تعالى باحد الاحكام قلنا (١) حاصل هذا الامر مناقضة كلامك الاول وزيادة جهالة من اخراج الشيء عن صفة نفسه وجعل صفات النفس من الممكنات الذي لم يقل به عاقل فيما يعرف فان صفات النفس واجبة والالما كان للنفس وكان مذهب الاشعري الذي بالغت في تهجينه أقرب الى المعقول لانه لم يثبت للفعل صفة البتة وانما قال مستتبعات الاحكام بمحض اختيار المختار ، وحكم الواحد القهار ، وان كان نزاعك للمعتزلة في اطلاق الالفاظ فالامر قريب وهذا بحث عملي وقد جروا على مقتضى اللغة العربية وقد جاء في القرآن ما ظاهره معهم «كتب ربكم على نفسه الرحمة ـ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ـ كان على ربك وعدا مسئولا ـ كان على ربك حتما مقضيا » فان ادعيت منعا عقليا او شرعيا كان بحثا غير هذا وصفت القاعدة عن اللفظ وسوء المناظرة والمعتزلة قد اطلقوا لفظ واجب على الله وقبح منه ولم يطلقوا باقي الالفاظ المأخوذة من ألفاظ الاحكام وانت قست لفظ حرام والالفاظ خصوصيات تنشأ عنها ايهامات لاعتراف نظرائهم شرطوا في اطراد الحقيقة في حق الباري تعالى ان لا توهم خلاف الصواب فلا ينبغي أن يقول عليهم مالم يقولوه ومن نظر تعليله لكلام المعتزلة بقوله أما على الله تعالى فلان الاصلح واجب وأما على العباد فلان

(١) هو جواب قوله فان كنت تريد

العقل عندهم يوجب الافعال ويعينها فمن نظر هذا حكم على الرجل إما بعدم معرفة مذهب المعتزلة وانما يتكلم بحسب الوهم واما بأنه حين سدد نظره الى اللجاج طاشت الحرارة في دماغه فلم يدر ما قال وهذا أقرب لانه كلام لايفعله عاقل ولهذا الصنم نظائر في كلام المجادلين فتنبه له

واعلم ان المعتزلة اختلفوا فيما بينهم في معني الوجوب على الله تعالى فقالت البصرية معناه في حق غيره وهو في حقه أحق وأولى (فان قلت) فمن لوازم الوجوب والقبح والثواب والعقاب وذلك لا يعقل في حق الباريء تعالى (قلت) هما من لوازم التكليف والتكليف عندهم طلب الباريء تعالى الفعل المتصف بالحكم من المكلف مع مشقة تلحق المكلف ومع ارادة المكلِّف تعالى وقولنا طلب ليس من عباراتهم انما يقولون اعلام الباريء المكلف شأن الفعل الموصوف الخ والذي ذكرناه أولى فالتكليف غير معقول في حق الباريء تعالى والتكليف انما يكون من الباريء تعالى ولا يصح من غيره لان التكليف مصلحة خالصة أي جلب منفعة او دفع مضرة ولوازمه عندهم الثواب الدائم والعقاب الدائم، والعالم بكل مصلحة وكل مفسدة والقادر على الوفاء كما يريد هو الباريء تعالى. وهذا كله صريح في كتبهم شهير لمن له ادنى معرفة فيها، وانما التجاسر على الرواية وعدم المبالاة هو الذي كثر الشقاق، وسلى عن الوفاق، ولا يخلو مذهب من عدم انصاف الخصم وان اختلفوا قلة وكثرة، فاتق الله ايها الناظر وقدّر انك قد وقفت بين يديه وسألك عن هذا ولا تغتر وخذ قول اهل المذاهب من كتبهم فبالتجربة انهم لا ينصفون في النقل وأصله انه لا يحتفل

يقول من عزم على خصومته فيجهل قوله فيجهل عليه فاتقه الله «ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا»

وحاصل مذهبهم ان المدح والذم من لوازم التحسين والتقبيح والثواب والعقاب من توابع التكليف والبصرية يوجبون الثواب ويحسنون العقاب فقط وللباريء تعالى ان يسقطه عقلا ولزوم الثواب وحسن العقاب وهما المحسنات للتكليف عندهم كما مضى ومعنى الاستحقاق عندهم انه يحسن لا انه يجب . والبغدادية يقولون يجب الثواب وجوب جود بمعنى ان صفات الكمال تقتضي توفر دواعي الحكيم الى فعله وما خلص الداعي اليه وجب ان يفعله الحكيم ومع هذا يطلقون ان الثواب تفضل اي ليس له جهة وجوب في نفسه فاعرف مذهبهم فكم غلط عليهم اخوانهم البصريون فضلا عن غيرهم ويكفي في حسن التكليف عندهم سابقة الانعام ويقولون بوجوب العقاب ولا يجوزون العفو عقلا لانه لطف المكلفين واللطف واجب عندهم فمذهب الفريقين في الثواب والعقاب متعاكس . هكذا حكاية مذهب البغداديين قالوا عنهم لا يجوز العفو عقلا وعللوه بانه لطف وقالوا عنهم انه لا يحسن العقاب الا حيث يتضمن نفعا للغافر فينتج هذا انه لا يقع العقاب الا اذا حسن ولا يحسن الا اذا انتفع به الغير وتعميم الانتفاع يحتمل اللطف وغيره كالتشفي فتعرر انه قد يقع مقتضي العقاب وهو العصيان ويقع شرط حسن وقوعه وهو يتضمن الانتفاع وقد يخلو عن الشرط اذ لا ملازمة بين المقتضي المذكور وشرط حسن الوقوع فيجب حينئذ أن لا يقع ، اللهم الا ان يقولوا الا يُمكّن المكلف من العصيان الا مع العلم بحصول الشرط المذكور وهذا بعيد ويحتاج الى نقل عنهم معتبر فتعميم منع العفو غير

سديد وحكايته عن البغدادية كما ترى والظاهر الغلط عليهم في بعض كلامهم فهذا كثير الوقوع في حكاية المذاهب وان كان ذلك في كتب اخوانهم البصرية فان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض فليحفظ هذا فانه نفيس جدا

(قوله) العقل عندهم يوجب الافعال ويبيحها ويحرمها قد عرفت سقوطه مما مضى وانه لا معنى له الا بالمعنى المتفق عليه بين الحنفية والمعتزلة (قوله) وعندنا الحاكم بالحسن والقبح هو الله تعالى (قلنا) ما تريد بالحاكم المبيّن للحكم الثابت في نفس الامر فذلك قول المعتزلة حتى شنع عليهم الاشاعرة بان الباريء تعالى عندكم كالقاضي والمفتي وسيأتي لزوم هذا على قول الجميع ؟ أم تريد انه محصل للفعل صفة الحسن والقبح فقد كنت قررت ثبوت ذلك لا باختيار المختار وان الاختيار مؤخر عنه عند ذكرك ان الله يأمر بالعدل والاحسان في هذا الكلام ؟ ام تريد ان الباريء تعالى هو الملزم لنا ان نأتي الحسن ونترك القبح فذلك قول المعتزلة وهو المراد بالتكليف عندهم فأخبرنا ما هذا الخلاف بينك وبينهم

(قوله) ثانيهما ان العقل عندهم موجب للعلم بالحسن والقبح بطريق التوكيد أن العقل يولد العلم بالنتيجة عقيب النظر الصحيح (قلنا) هذا مجازفة عليهم أو بُهْت لهم ولم يقل منهم أحد ان العقل يولد العلم وهم متفقون ان العلوم الضرورية يخلقها الله تعالى ابتداء واما النظرية فاختلفوا فيها فقال بعضهم مثل مقالتك هذه يخلقها الله والنظر شرط عادي فقط وقال ابو الحسين ليس النظر يولد العلم انما الناظر يستفصل بنظره ما أجمل عند العقل فعند العقل ثبوت حكم الكبرى عموما فينظر في نسبة الوسط منها فيجده فردا من أفرادها فيلزمه ثبوت حكم الكبرى للصغرى وهو النتيجة . فتقول

مثلا هذا الضرر العاري عن نفع ودفع واستحقاق ظلم وعند عقله ان كل ظلم قبيح فتظهر له النتيجة وهي اتصاف هذا الضرر العاري عن نفع ودفع واستحقاق بالقبح ولهذا قال مختار في المجتبي وهو تلميذ تلميذه : النظر تجريد الغفلات ، لاترتيب المقدمات ، وما حكيناه عن ابي الحسين هو ماحكاه تلميذه ابن الملاحمي في كتابه الفائق وقد ذكر الطريقة التي تسميها المعتزلة الحاق التفصيل بالجملة فصرح بما ذكرناه وهذه الطريقة عند المعتزلة هي البرهان عند المنطقيين الا ان متكلمي المعتزلة يقدمون الكبرى التي دلالتها عموم على الصغرى التي دلالتها خصوص ثم يقولون والخاص لاحق بالعام أو التفصيل لاحق بالجملة. القول الثالث قول من قال بالتوليد فقالوا النظر معنى يتولد عنه العلم عند كمال شرائط النظر ولم يقل أحد إن المولد له العقل كما ذكرت وانما العقل آلة للادراك فقط عند الجميع

(قوله) وعندنا ان العقل آلة لمعرفة بعض من ذلك اذ كثير مما حكم الله تعالى بحسنه أو قبحه لم يطلع العقل على شيء منه بل معرفته موقوفة على تبليغ الرسل لكن البعض منه أوقف الله عليه العقل (قلنا) هذا غير مذهب المعتزلة[1] ولم يقولوا ان العقل يستقل الا باحكام يسيرة كوجوب شكر النعم ودفع الضرر عن النفس وانصاف الغير وكالظلم والعبث والكذب واما مارميتهم به بمضمون هذا الكلام وماقبله وأوهمت انهم يدعون معرفة جميع الاحكام بعقولهم وانهم مثلا يدركون وجوب صوم آخر يوم من رمضان وحرمة صوم أول يوم من شوال وان عقولهم غنية عن تبليغ الرسل

(١) اي ماحكيت عنهم هو غير مذهبهم . ويصح أن تقرأ العبارة : هذا عين مذهب المعتزلة . أي مادعيته مذهبا لك ولله الصواب اه مصححه

ولا فائدة لها عندهم كي يتحقق الخلاف بينك وبينهم لانك انما فضلت نفسك عنهم بذلك فان كنت تحكي عن قوم تختص انت بمعرفتهم يسمون معتزلة فلا يعنينا التعرض لك ولهم وان كان المراد بهم هؤلاء المشاهير : واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والجاحظ والنظام وأبو الهذيل والكعبي وجعفر بن مبشر وجعفر بن حرب وابو الحسين الخياط وابو عبدالله البصري وابو علي وابو هاشم والقاضي عبدالجبار وابو الحسين والخوارزمي وغيرهم ممن لا يحصى عددهم ولا يستقل بدراية مذهبه رواية ولا تحقيه زاوية فهذه مصنفاتهم ومقالاتهم المتواترة عنهم وبين ظهراني اتباعهم وفي بطون كتب الاشاعرة قد بينوها وكرروها وطووها ونشروها كالخريت الفخر الرازي وغيره ولم يفتر عليهم احد ما ذكرت الهم الا ان يروي ذلك عنهم مغمور مسجل على نفسه بالغباوة والجهالة فيكون سلف لك في هذه الضلالة عصمنا الله عن الاهواء ووفقنا لما هو أقرب للتقوى آمين

اذا تقرر هذا فلنقدم على حجج الفريقين تنبيها على كيفية صيرورة الفعل متصفا بالحسن والقبح فانه من تمام تحرير محل النزاع لتوارد الحجج على أمر معروف ومحل مكشوف : اعلم انهم يحكون خلافا بين الجبائية وسائر المعتزلة ويقولون ان الجبائية يقولون يحسن ويقبح لوجوه واعتبارات والبغدادية يقولون لعينه ويحكي بعض الاشاعرة عن بعض المعتزلة انه لصفة من صفاته والاقرب انه خلاف في العبارة وبيانه ان مراد الجبائية بالوجه الذي وقع عليه الفعل الوجه الذي له دخل في تحسين الفعل وتقبيحه ولاجله سمي حسنا أو قبيحا اذ مطلق الفعل وحده او مع ألف وجه لا يصير ويسمى لأجله حسنا وقبيحا لا يعتبره عاقل قطعا ككونه حركة مثلا

الى جهة اليمين في وقت الضحى في قصر المنزل وغير ذلك والا لزم كون كل فعل حسنا وكونه قبيحا وهو معلوم البطلان والبغدادية لا يقولون ان مطلق الفعل قبيح ولا هو مع وجه ملغى كذلك لما ذكر فتبين انه مطلق الفعل متركبا مع وجه او وجوه لها دخل في صيرورته وتسميته حسناً وقبيحا وأنا انبهك على وجه غلطهم وهو انهم يأخذون الفعل متركبا مع وصف ملغى أو غير تام كالسجدة مثلا ثم يقولون لو كانت السجدة حسنة اوقبيحة لنفسها لما كانت طاعة للرحمن وكفرا ان كانت للشيطان والجواب ان مراد البغدادية بالفعل ليس السجدة مطلقة ولا هو مع القيود التي صارت بها سجدة بل ذلك كله مع قيود أخر صار بها عبادة للرحمن ومتى كان كذلك لم يخرج عن كونه عبادة الى كونه كفرا الا بنقصان قيد وزيادة آخر والمقيد بقيد غير المقيد بآخر وكذلك القول في لطم اليتيم تأديبا وظلما وغير ذلك . وحاصله ان الظلم مثلا بعد تمام كونه ظلما لا يخرج عن كونه قبيحا مادام كذلك فلذا قالوا انه ذاتي اي مادام الظلم مستجمعا لما صار به الفعل ظلما فلا يخرج عن القبح فتأمل هذا فانه بحث نفيس بديع وهو مما ترك الاول للآخر والحمد لله وحده

ثم اعلم انه ليس من ضرورة مطلق الفعل الحسن والقبح ان أريد بالحسن ماله مزية راجحة على مزية الطرف الآخر والمعتزلة يطلقون الحسن على ما عدا القبيح حتى المباح بمعنى مالا حرج في فعله وتركه فعلى هذا لا يخلو فعل عنهما ثم المطلق قد يتقدم بقيد أو قيود ولا يتحصل منها الا اسم مثل مطلق السر فانه مع الاحكام لمطلق الفعل وقد يتقيد بقيد يتحصل له به اسم وحكم مثل كونه عدلا وظلما وصدقا وكذبا ثم الوجوه والاعتبارات

التي يحصل بها الحكم هو شيء مقدور وضابطه ما حكم وأدرك العقل عند الحسن والقبح ثم قد يزيد على تلك الوجوه المبينة وجه او وجوه فاذا اعتبر المجموع فتارة يتأكد الحكم الاول فقط مثل الزنا في المسجد في رمضان مثلا وقد يتصف المجموع بحكم مخالف لحكم المزيد عليه والمزيد عليه باق على ما هو عليه فانه مع الزيادة مغاير له مع عدمها فلا بعد ولا احالة في اتصاف كل منهما بغير ما اتصف به الآخر فاذا حكم العقل مثلا بحسن الصدق وقبح الكذب ثم فرضنا انه جاء دليل عقلي أو شرعي بان الكذب الذي فيه عصمة نبي واجب والصدق الذي به هلاكه حرام لم ينقض ذلك علينا قاعدة الحسن والقبح بل ولا هذه الصورة التي ادرك حكمها العقل انما أدرك حسن صدق غير مقيد بكونه يهلك به نبي وقبح كذب غير مقيد بكونه ينجو به نبي. يحكى عن بعض البوادي انهم يبيتون الضيف مع ازواجهم ومحارمهم ويقولون هو اكرم الناس واقرام للضيف فهؤلاء ضموا الى اكرام الضيف هذه الخصلة وسموا المجموع باكرام الضيف والذي يفعل ذلك انما يسمى ديوثا ونحوه واكرام الضيف انما هو جزء فعلهم هذا وهو اكرام الضيف فيما عدا هذه الخصلة ومع تناهي فعلهم هذا في القبح لا يخرج اكرام الضيف من كونه من أشرف الخصال وأفضلها ولا يكاد فعل يخلو عن مفسدة ولو مجرد المشقة وفوات الدعة ولا عن مصلحة ولو اللذة واطلاق عنان النفس فانها ما منعت من شيء الا اشتاقت اليه ولكن يعتبر الارجح ويضمحل عنده المرجوح وهذا يحتاج الى معاودة التأمل وعدم الاستعجال مع نقاوة غريزة وذهن صاف سيال

فان قلت هذا يخالف قولهم قبح الكذب لكونه كذبا والظلم لكونه ظلما والعلة موجودة بتمامها مع كل عارض مقدر في الكذب لان حقيقته

مقررة لاتزول الا بزواله بخلاف الظن (قلت) انما حكمنا بقبح ما أدرك العقل قبحه بضرورته واما تصيدكم العلة ثم إلحاق مالم تدركه الضرورة العقلية فلا يفيد اليقين لعدم القطع بعدم الفارق وانما غايته الظن الذي الاصل منه مالم يدل على الاستغناء به دليل فدعه «ولاتقفُ ماليس لك به علم - ان الظن لا يغني من الحق شيئا - ان بعض الظن إثم» فايؤمننا أن يكون هذا منه ومالم تلجئنا الضرورة العقلية فلا علينا ان نكل أمره الى خبر الشرع، وندعن له بالطاعة والسمع، فكل مالم تضطرنا اليه الضرورة العقلية، فنحن فيه سمعية وهذا أوسط الامرين بين تفريط الاشاعرة وإفراط المعتزلة

(فان قلت) فهل يجوز تساوي طرفي الفعل في كون كل منهما مصلحة واذا جاز فهل يجوز ان يأمر الحكيم باحدهما معينا واذا جاز فما المخصص حينئذ لانك قدمت أن الترجيح بمحض الاختيار وان جاز في حق القادر نظرا الى الذات فانه يمتنع بالغير لمكان الحكمة (قلت) جواز استواء الطرفين في المصلحة لا مانع منه وأمر الحكيم بذلك كذلك والمرجح حينئذ محض الاختيار كالهارب يختار احدى الطريقين بلا مرجح والذي قدمنا منه هو حيث لاداعي الى الفعل يرجح في نفس الامر لانه يكون عبثا وهو ممتنع الوقوع حكمة في حق الحكيم وعادة فقط في حق غيره كما يأتي تحقيق ذلك في أواخر مسألة التحسين والتقبيح ان شاء الله تعالى وأما هذا فقد قام الداعي في كل من الطرفين على حدة فلا مانع من تخصيص أحدهما بمحض الاختيار وترى أناسا يناقضون من فرق بين المسلمين ويغلطونهم وانما الغلط عند من لا يفرق واذقد أتينا على غرضنا من تحرير محل النزاع وما يتعلق به فلنذكر المعتمد من حجج الفريقين وبالله الاستعانة

(لها تتمة)

ذكرى (*)

﴿ للسوريين عامة . واهل بيروت خاصة ﴾

البلاد السورية من ارقى البلاد العثمانية استعداداً في العلم والعمران وان بيروت ارقى هذه البلاد ، بل هي من اثمن الدرر في تاج آل عثمان

قد زادت قيمة بيروت في نفوسنا بعد الدستور اضعافا مضاعفة وصرنا نباهي بها ونفاخر بعد ان كنا نشكو من تلك المعرة الفاضحة : معرة العصبية الجاهلية باسم الدين التي كانت حجابا دون محاسنها الكثيرة ، ومزاياها الجمة ، فقد كانت تتلفع بذلك الثوب المنكر وتتدجج بسلاح البغي والعدوان فكلما سمعت هيعة جردت سلاحها هنا ، وقالت به هكذا وهكذا ، تتوهم انها تجاهد في سبيل الله ، وتقتل عدوا لها ولله ، وانما كانت تجاهد في غير عدو ، بل كانت تحارب نفسها وهي لا تدري ، فيطعن بعض ابنائها صدور الابناء الآخرين وهو لا يرى ولا يبصر ، حتى اذا ما لاح صبح الدستور القى الاخوة السلاح من ايديهم وطفق بعضهم يعانق الآخر ويقبله وهو يبكي على ما فرط في ذلك الليل البهيم ، ويبسم لما يرجو في هذا النهار المنير

كان بعض عقلائنا يقولون ان علة تلك الاحقاد والاحن هي الحكومة الاستبدادية التي لا تجد حفاظا لسلطتها الا التفريق بين رعيتها ، ولا سيما أهل الدين والعلم منهم ، وكان بعضهم يقول ان علة ذلك التدابر والتباغض هي دسائس اصحاب المطامع من الاوربيين ، وهناك فريق ثالث يجمع بين القولين ، ويثبت كلتا العلتين ، ولا خير لبيروت ولا لما يجاورها من البلاد في فوز هاتين السياستين ، وانما خيرها في اتحاد ابنائها على ترقيتها وعمرانها ورفعة شأنها وكل من السياستين عقبة كؤد في طريق سعادتها هذه

(*) نشرناها في جريدة الحضارة التي تصدر بالآستانة

فرحنا بعد اعلان الدستور من خلع بيروت ذلك الثوب الذي كانت تتلفع به احيانا في تلك الظلمات ونبذ ذلك السلاح الخاطئ الذي كانت تحزّ به مفاصل اعضائها ذين بعضها من بعض ، واشبعناها ثناء وتقريظا ، وارويناها حمدا وشكرا ، راجين ان يكون الشكر مدعاة المزيد ، وذلك اثر الشكر الطبيعي في نفوس أهل النجدة وعلو الهمة كأهل بيروت

تلك الحمدة التي عكس لنا البريد صوتها واراناا البرق نورها ونحن في مصر قد هاجت شوقنا لرؤية بلادنا ترفل في حللها الزاهية ، في نور شمس الدستور الضاحية . بعد ان تركناها منذ سنين دخلت في جمع الكثرة وهي تعثر في ذلك الثوب الخلق ، في ذلك الطريق الذي في مثله يقول الراجز

وقاتم الاعماق خاوي المخترق مشتبه الاعلام لمّاع الخفق

تسير على غير المدى ، الى حيث تقع في مهاوي الردى ، في تلك الحنادس ، بما يخفق من بروق الوساوس ، التي تغريها باعانة المستبد فيها على استمرار استعبادها ، أو تمكين الطامع فيها من ازدرادها (لاسمح الله)

زرت بيروت وغيرها من البلاد التي اعدها كلها وطني الخاص فكنت على تفضيلي بيروت على سائر اخواتها من المدن بنات سورية أرى ان الوفاق السلبي وحده لايثمر مانحب من عمران البلاد وارتقائها — واعني بالوفاق السلبي تركها كان من التنازع والتخاصم ، والتشاتم والتلاحم — وانما تعمر البلاد وتسعد بالوفاق الايجابي وهو انما يكون بالاختلاط وكثرة التزاور والاشتراك في الاعمال المالية ، والجمعيات العلمية والادبية

بذلت لهم نصحي وهم قومي الذين افخر بهم اذا صلحوا واصلحوا ، وتصيبني معرّتهم اذا اساءوا وافسدوا ، راجيا ان يكون ذلك الوفاق الذي سميته سلبيا مقدمة وطليعة لما يكون بعده من الوفاق الايجابي بالتدريج وانا لا أزال مع سائر العقلاء من اخوانهم البعيدين عنهم في مصر والآستانة وامريكا وأروبا ننتظر ان يكونوا ام السابقين الى رفع قواعد بيت الاتحاد على اساس الدستور ليكونوا في مقدمة زعماء الارتقاء في

تلك الديار في هذا الطور الجديد ولتكون مدنيتهم بفروع مدنية تلك الاوطان في ظل الدولة العلية ايدها الله تعالى

بينا نحن على ذلك الانتظار اذا بجرائد بيروت نفسها تعيد على اسماعنا في هذه الايام شيئا من حوادث ليالي الاستبداد الحالكة: بعضها صريح، وبعضها جمجمة وتلويح، وقد جاء العاصمة أناس منها فاذا هم يتشاءمون ويتطيرون ويرون ان بعض علل التفرق السابق أو كلها قد عادت جذعة أو كادت ... فالله الله يا بيروت في نفسك، وفي ابناء جنسك، فان اعداء قومك واعداء دولتك يتربصون بك الدوائر، ويكيدون لك المكايد

اسمعي يا بيروت وعي فاذا سمعت سورية كلها واذا وعيت وعت، واذا لم تلقي السمع، ولم تفرقي بين الضر والنفع، فعليك إثمك وإثم سورية كلها

انك ترين في بعض صحف المفسدين الذين يلبسون لك ثياب الناصحين كلاما في التفرقة بين المسلمين والنصارى فاياك ان تغتري بهم، أو تنخدعي لهم، نعم ان الكريم ينخدع ولكن في الخير، ولا عذر له في الانخداع لدعاة الشر، انهم يقولون لاحق للمسيحي من السوريين ان يتكلم في شئون المسلمين، ونحن مسلمي السوريين وعلماءهم وكتابهم نقول ان لهم ان يتكلموا في شئوننا كلما رأوا الفائدة للبلاد في كلامهم معنا فيها ولا نسيء الظن فيهم، لان المصلحة مشتركة بيننا وبينهم

انني لا أسيء الظن بكم ايها الاخوة الاذكياء الفضلاء، ولا ببلدكم وان لم تخل كغيرها من الجهلاء، وانما المحب مولع بسوء الظن في كل أمر يتعلق بمحبوبه، فهذا مايدعوني الى هذا التنبيه

ان رجائي في عقلاء الطائفتين وفضلائهم لعظيم وان مما زاد هذا الرجاء قوة ورسوخا تأسيسهم لنقابة الصحافة في بيروت وعسى ان يشترك معهم جميع اصحاب الصحف اللبنانية والمنتظر من هؤلاء الكتاب النبهاء وقد اجتمعت كلمتهم ان يجمعوا كلمة قومهم على الوفاق ويجتثوا شجرة الخلاف الخبيثة من أصولها ويردُّوا بالاجماع على كل من ينبز بلدهم بلقب التعصب الذميم وان كان من آبائهم او اخوانهم المهاجرين أو المقيمين فانني أرى بعض جرائدنا في امريكا لاتزال تركب متن هذا الخطأ: خطأ

الاتهام بالتعصب الديني وهو هو الذي يثير كوامنه ، ويحرك سواكنه ، ويقوي ضعيفه ، ويحيي ميته ، فالم لايذّكرون

اذكروا ايها الاذكياء ما يجمع الالباء وتناسوا ما يفرق ، الى ان تفسوه ببركة التعاون والاخلاص ، اذكروا ان لكم جامعة كبيرة وهي اللسان ، وجامعة أخرى وهي الديار ، وكل منهما جامعة شريفة فاذكر بمجيد في التاريخ ، وجامعة اخرى وهي العثمانية التي تصل حبلكم بحبل كثير من اخوانكم الشرقيين وما أعز من يكثر إخوانه ويتعدد أعوانه! « وانما العزة للكاثر » ومن أكبر خطأ بعض الجرائد في المهاجر التنفير من هذه الحكومة التي يرجى لكم في ظلها ما لا يرجى لغيركم ان أنتم أقدتم على تعزيزها بترقية بلادكم وجمع كلمتكم ، ولا حجة لتلك الجرائد الا سوء سيرة رجال الدولة في أدوار الاستبداد البائدة وقياس الآتي على الماضي وهل يقاس الضدُّ على ضدّه ؟ كلا إن السوريين لم يذوقوا من بأس الاستبداد ما ذاق الارمن ونرى هؤلاء يسارعون اليوم الى اقتطاف ثمار الدستور ويشاركون في الواجبات ليشاركوا في الحقوق ، نراهم يعلمون ولدانهم في المدارس النظام العسكري كل يوم ترغيبا لهم في هذه الخدمة الجليلة وما نصارى السوريين دون الارمن ذكاء وعلما بل هم في هذا العنصر العربي ركن عظيم ، تبا لمنكريه باقوالهم ، ويحاولي تقويضه بافسادهم ، فتذكروا وتدبروا ، ولاتنازعوا ولاتدابروا ، واتحدوا وتعاونوا على ترقية البلاد بالعلم والثروة لتكونوا كما يؤهلكم استعدادكم الركن الاعز الاكرم في هذه الدولة ، وما ذلك على الله بعزيز ، وهو اذا شاء يهبكم اجتماع الكلمة وكفى

الفطرة واسباب الترقي في الكون (*)

كان الله ولا شيء معه الهـا في ذاته منزها بألوهيتـه فليس بكم ولا كيف محتجبا في أزله منزها عن التحديد فليس بالجسم التعليمي الذي تحده الأبعاد ولا بالشيء المفروض الموهوم الذي تكيفه الأفكار تخيلا وافتراضا وانما هو الكائن في ذاته لا تحيط به العقول ولا تصل اليه الحواس وكيف والحواس لا تدرك الا أعراضا لا تلبث أن تزول ، سبحانه لا يعلم شأنه الا هو

كان الله ولا شيء معه فلا سماء ولا أرض ولا طول ولا عرض ، كان مصدر الخير ومفاض النعمة كما قال الرسول (ص) عن ربه عز وجل « كنت كنزا مخفيا لا أعرف فأحببت أن اعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني » أراد الله أن يُعرف بنفسه ويمتاز بألوهيته التي يظهر فيها مظهر الكمال المطلق من قدرة غالبة وإرادة حكيمة وعلم واسع فأبدع من الخلق ماشاء وكوّن مملكة متأثرة بتلكم الصفات الثلاث : فالإرادة رتبتها ، والقدرة أبرزتها ، والعلم حفظها من عبث الجهل الذي هو سبب الفساد في كل شيء

ثم فطر الله الكون على قواعد ونواميس كلية وأقام عليها هذا العالم الأكبر : عالم الحياة الحادثة والحركة المتجددة فأوجد مقوماتهـا قوى وكتلا مختلفة التركيب والعناصر . وقد اثبت العلم ان ما خلقه الباري سبحانه وتعالى ينقسم الى قسمين : مادة ونفس فالمادة عبارة عن الاجسام والجسم عبارة عن كل كتلة أشغلت فراغا سواء أمكن النظر اليها أم لا كالهواء والماء فإنهما لا لون لها فلا تدركهما الابصار

والنفس عبارة عن معانٍ مجردة لا تشغل فراغا ولا تتزاحم مع غيرها من انواعها ولا يزاحمها أيضا غيرها والدليل على ذلك قريب وهو انه يوجد في

(*) محاضرة للشيخ حسين سليمان مفتش مدارس العروة الوثقى بالاسكندرية القاها في نادي موظفي الحكومة بالاسكندرية بتأريخ ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٢٨

الانسان طريقان : طريق خاص بالاشياء الجسمانية هو الفم يوصل الغذاء الى قاعة جسمانية أيضا هي المعدة بحيث لا يمكن أن يشغل فراغها شاغل لا يصح ان لا يقف عند حد محدود في كميته وذلك كالغذاء النازل فيها فتي امتلأت دفعت . وطريق نفساني مورده الحس المشترك وقاعة الحافظة تقبل من المعلومات ما لا يتناهى لا تضيق بعلم دون آخر بل هي قابلة لأن تتناول كل المعلومات التي تصل اليها مهما بلغ مبلغ كميتها

وقد قيل في النفس آراء كثيرة لا حاجة بها هنا . ومن المادة والنفس كان التكوين فكانت هذه المجموعة وأودعت السلطة أرق نفس فيها أفيض عليها من لدن البارئ جل وعلا صفة العلم فكان الانسان بها خليفة وملكا سخر له غيره من عالم المخلوقات

وانقسمت المادة باعتبار مميزاتها الى ثلاثة اقسام : حيوان ونبات وجماد . وهي مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا يقتضي أن يكون وجود الثلاثة في آن واحد إذ لا غنى للحيوان عن النبات ولا النبات عن الحيوان والكل تقله الأرض وتعطيه من خواصها ما يحتاج اليه . ويظهر من ذلك ان الكائنات كلها لم توجد دفعة واحدة كما هو رأي الفلاسفة وانما وجدت بترتيب حيث كانت العوالم العلوية الفياضة ومنها سار التأثير في العالم السفلي ومن ذلك ربما يصدق قول بعض المنجمين الذين يرصدون الافلاك فيستنتجون من أشكالها حوادث جوية ووقائع أرضية (*

قد يظن انسان ان النبات ليس محتاجا الى الحيوان؛ كلا فان النبات محتاج في حياته الى الحيوان فانه يتنفس كالحيوان وبينهما في هذه الصفة ارتباط شديد فالحيوان يتقي الهواء للنبات والنبات يتقي الهواء للحيوان واليك الغابة دليلا وهي المكان الطبيعي الذي لا يخلو من وجودهما فهما يتبادلان منفعتهما . والغرض من هذا الارتباط المنظم بقاء ذلك الكون الى أجله المحدود تتوارد عليه عوامل الترقي كلما كشف العلم عن أسراره وأبان البحث والتنقيب خفاياه (سنة أن ولن تجد لسنة الله تبديلا)

*) لعل الكاتب يعني بالمنجمين غير علماء الفلك الذين يبنون اقوالهم على المشاهدات والقواعد الصحيحة فان هؤلاء منقطعون في صدقهم اما المنجمون فعلمهم المحترفون الجاهلون الذين يرجفون رجما بالغيب ولا يعرفون

أما المادة : — الترقي في الكون لا يقتضي تغييرا ولا تبديلا في نواميسه (لا تبديل لخلق الله) والا لانقلبت الحقائق وذلك ضرب من المحال وانما ترقي الكون عبارة عن تحسين مادة اجتماع العناصر التي تتآلف منها كتناسب الاوضاع وتوفيق الالوان واتحاد المشارب واقتراب ما تنافر منها بالمعالجة بالعلم والتربية . انظروا الى الانسان الاول واحتياجاته فكم علم حتى عمل حتى وصل الى ما هو عليه الآن من المدنية الباهرة والذي يكفل ذلك انما هو العلم الصحيح . هذا مبدأ صحيح وقاعدة يجب الاعتماد عليها والا ساءت الحال وقبح المآل فاذاً يجب على المتعاونين والمتعاقدين قبل دخولهما في التعاون والعقد الاتحاد والائتلاف وما أحرى الزوجين أن يكونا كذلك فهما ان لم يأتلفا كانا مدرسة شقاء لابنائهما ومهبط فساد لذريتهما فتعارف الرجل وامرأته قبل الاقتران بها أمر ضروري طبيعي حتى يتم ذلك التقسيم الشرعي في قوله تعالى (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) فالخبيث يرى الخبث فضيلة في غيره والطيب لا يرى الفضيلة في غير الطيب والا وجب حل العقدة وفك الشركة وقد جاء في الحكم عن العرب «ان لم يكن وفاق ففراق» فمها تغيرت تلك المبادئ الطبيعية أو تنكرت فعلى ممر الزمان يضطر الى الرجوع اليها هذا ما حدا بالاوربيين الآن الى ان يحلوا عقدة الزواج بمجرد اختيار أحد الزوجين وقد بلغ التنافر ببعضهم الى حد مدهش هو ما روته بعض الصحف من طلاق امرأة زوجها لكون لون شعره لم يأتلف بصبغ أثاث منزلها الذي أنفقت فيه مبلغا طائلا وما أظلم تلك المرأة التي لم ترَ بيع أثاثها أولى من بيع بعلها ! بل ما اظلم الشريعة أو القانون الذي يقرها على صنعها ! . فعقدة الزواج عندنا ياحضرات الاخوان عقدة ذنب عقدت مصالح اسرية كثيرة يجب ان نضعها دائما على خارطة البحث والتفكير

والترقي في الكون له أسباب كثيرة وأول أساس فيه المال وما ورد في شريعتنا الغراء من مقال الزهد في المال والتحذير من فتنة الدنيا فانما الغرض منه البعد عن اكبر رذيلة تلصق بالانسانية الا وهي الحرص الذي هو عبارة عن حب المال لذاته وهذا اقبح مايكون في الانسان

ومن الترقي في الكون الاقتصاد في المادة للمحافظة على قوتها النامية لان الاقتصاد هو التوسط فاذا أضعف الارض نبات ضروري كالقطن مثلا وجب أن يستنبت فيها عاما بعد عام حفظا لحياة الارض ويمكننا أن نقيس على هذا المثال الكبير غيره حتى نصل الى أقل الخلائق : النملة قد تخزن قوت شتائها من صيفها فمخالفة هذه القاعدة عصيان للترقي وجفاء للتقدم ، والفلاح الذي يزرع الارض قطنا عامين متوالين طمعا في سعة الرزق جاهل غبي يختار كثيرا ينقطع عنه على قليل يدوم عليه وقد قالت العقلاء (قليل تدوم عليه خير من كثير تنقطع عنه)

ومن الترقي في الكون المدنية العلمية وذلك بايجاد الصناعات والصعود بها الى مدارج الترقي حتى تصل الى تسخير الجماد ليأخذ عن الحيوان ما يجهده كاستخدام البخار والكهرباء لاراحة الحيوان واتجاه قوى الانسان الجسمانية الى مساعدة القوى العقلية وهذا سبب صحيح لترقي العمل والصناعة فان الصانع المفكر لا يشك في أنه يأتي بصناعة متقنة لا يوفق لها الصانع المسخر وشتان بين من يعمل بواسطة عقله ومن يعمل بما اعتادت عليه يداه . اني لا أغلو في هذا المكان اذا قلت أن في خبايا الكون الى الآن اسرارا تستخرجها العقول على مدى الايام . وقد اثبت العلم أن عقول أهل الطينة الحارة أذكى من عقول أهل الباردة فحسب على الشرق ان استعمل عقله أن يأتي بما لم تستطعه الاوائل

ومن الترقي في الكون العمران . والانسان وان كان مكلفا بهذه الوظيفة السامية الا انه من العجيب أنه اذا اتسع به الفضاء ادركته الوحشة ومال الى الانس فانضم الى غيره من بني جنسه ليعاونه اولا على مصالحه وليأتنس به ثانيا فاذا ضاق به المكان كره الزحام ومال الى الأثرة وحب النفس وتنازع البقاء مع أقرب الناس اليه وود لو كان هو كل الانسان فما أعجب هذا الانسان ! . ثم يوجد في المزاحمة كبير فائدة من حيث العمران فقد قال الرسول (ص) «الرزق عند تزاحم الاقدام» الا إنه يلزم ان يكون الناس على نظام يكفل لكل حقه فيقف الاجشع عند حده ويساق العالة الى العمل متى قدر عليه وذلك بحرمانه من الصدقة والاعانة وقد ورد عن ابي مسلم الخراساني زعيم الدعوة العباسية أنه مما أوصى به أولاده عند قرب منيته ان لا يعينوا

كلا ولا يعطوا عالة فيكون في جسم الامة اعضاء تألف الكسل في العمل وحتى لا يوجد دجال ولا ذو عرافة وشحاذ قادر على العمل

هذا القانون هو النظام الذي يسنه الله لعباده إما بطريق الوحي وإما بالهام حكماء الامة وعقلائهم وضعه لذلك . تجد عالم الوثنية قائما في بعض الجهات على قواعد وقوانين وضعها الرؤساء لاتخرج عن النظام والترتيب في المعيشة بل قد تكون أشد في التكليف من الأوضاع الالهية وقد أكد لي خبير ان اليابان على ماهم عليه من الوثنية على كعب عال في الاخلاق ويؤيد ذلك بزوغ شمس الحكمة من الهند من قديم الزمان أي قبل أن يصل اليهم الاسلام وعلى أثر ذلك نقول ان فطرة كل مخلوق هي قيامه بالعمل لنفسه اولاً ولما خلق لاجله ثانيا فالمعادن متى أخذت قسطها من خواص الارض وظلت نافعة كان ذلك لفائدة غيرها وكذلك النبات ترى النخلة تبحث بجذورها على الماء فقد تدركه على بعد مئة ذراع أو اكثر وذلك بجهد لو قام به حيوان لأن أنين التعب الكادح وكثيرا ماشوهدت جذور النخلة تتساقط من بين جدران الآبار الى الماء و بينها و بين تلك الآبار مسافة واسعة . كل ذلك الغرض منه حفظ حياتها لتؤدي وظيفتها التي خلقت لاجلها الا وهي تقديم الرطب الجني لبني الانسان وكذلك الحيوان يعمل أولا لقوام حياته ومنه مايبذل تلك الحياة الثمينة التي تعب في نموها ويتقدم بها الى غيرة ضحية لينتفع بها ذلك الغير كدودة القز المعلومة التي تظل تعمل لتقدم لنا مادة من أنفس المواد لطافة وأغلاها قيمة ألا وهي الحرير . ومنه ما يتفضل علينا بما يخرجه من بطنه شرابا مختلفا ألوانه فيه شفاء للناس كما أخبر بذلك خالق النحل وموفقها الى هذا العمل الكبير الذي لايطابق بنيتها حيث قال (وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس)

أيها السادة — ما الذي ترونه في هذا الترتيب؟ هل في هذا الترتيب خرق؟ حاشاه هل في هذه الفطرة ظلم وشر؟ كلا فمن أين يجيء الشر ومتى يكون المخلوق شريرا؟

انظروا الى الترتيب الآتي أيضا : تتكون المعادن من مادة الارض فتنقصها وكذلك النبات والحيوان ثم تعود تلك الاشياء اليها ولو باستحالة الصورة فتسد موضع النقص منها وهذا سر البقاء للكون فاذا أراد الله اذهابه اختلفت هذه النسب فيحصل الفساد . ذلك ما جنح له كبار علماء التفسير في قوله تعالى (أولم يروا أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه) فاذا أراد الله القضاء على العالم انقص الارض والانقاص من الطرف مبدأ طبيعي عند ارادة إبادة الشيء وذهب قوم الى ان طرف الارض عبارة عن قطبيها ولكني أقول ان طرف الارض هو مجموع سطحها فكل نقطة فيه تسمى طرفا فكأن مجموع سطحها أطراف لها ولذلك عبر سبحانه وتعالى بلفظ الجمع فقال «ننقصها من أطرافها» ولو كان النقص من القطبين كما فهم بعضهم لعبر الله تعالى بلفظ المثنى أي من طرفيها كما هي سنة القرآن الكريم في الاخبار على أن الجزء الذي فيه الانقلاب والتغير من الارض انما هو سطحها وهو الذي يعقل ان يعتريه النقص

جعل الله بقاء هذا الكون بتبادل الاشياء الثلاثة وغذاء بعضها من بعض فالارض تأكل نباتا وحيوانا والنبات يأكل ارضا وحيوانا والحيوان يأكل من الثلاثة وهذه الثلاثة تنقسم الى مراتب بحسب القوة والضعف بجزئيات مختلفة فمن حيث ان الحركة والقوة في العمل ظاهرة للحيوان كان هو أقواها وأرقاها ومن حيث ان الارض هي أم الكل منها تخرج واليها تعود كان الجماد أقواها وأبقاها واذا بحثنا في الاشياء الثلاثة نجد في كل منها شيئا من الضرر في غير ذاته اي بالنسبة لغيره فقد يكون الجماد ساما كالمعادن الحريفة الشديدة القبض وكذلك بعض النبات والحيوان . ومن الغريب ان للحيوان الغير الناطق خاصة يميز بها من النباتات السام من غيره فيجتنبه والطيب من الخبيث فيرعاه ولا يعقل ان تكون الاجسام السامة عديمة الجدوى بل قد تكون نافعة لكذا وضارة بكذا على ان المصدق في الطب القديم والحديث على الجواهر السامة ومن يصدق منا ان القدونس وهو النبات الطيب المفيد للمعدة والمثانة يقتل الببغاء بمجرد تعاطيه !

علم مما تقدم ان الكائنات الثلاثة متماسة وان منها ما لا يجد قوته الا بالافتراس وان الانسان على ترقيه العظيم ما هو الا حيوان مفترس الا ان ما أوتيه من الذكاء والتدبير جعل

طبيعة الافتراس فيه منتظمة : الانسان يصطاد الحيوان فان كان دينه يلزمه بتذكيته (ذبحه) ذكاه والا خنقه أو عبطه او وقذه وفي الذبح بالطريقة الشرعية تخفيف على الحيوان بشرط مراعاة أحكام الذبح الواردة . ولذا كان الذبح من أهم المقاصد الشرعية والديانة الموسوية لها فيه شروط مؤكدة ولا يعد الذبح تعذيبا للحيوان فانه يؤدي به وظيفة خلق لها قال تعالى (والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون) والطبيعة الغذائية في الحيوان كله تشهد بأن الانسان من الحيوانات أكالة اللحم ولو امتنع عن أكل اللحم أربعين يوما ضعف مزاجه جدا وربما يمرض مرضا شديدا لو استمر أكثر من ذلك اللهم الا اذا تعود الامر وحينئذ يصير أكل اللحم ضاراً له . الذبح عبارة عن قطع الودجين وانما يقطعان في لحظة فلا يكاد يحس الحيوان لان الجسم حينئذ يكون انفصل عن المخ الذي هو مركز الاحساس

ثم ليس في ذبح الحيوان تعذيب . وانما التعذيب هو أن يعيش عاملا فوق طاقته أو يكون على خلاف طبعه وهي الحال التي تقضي على ذوي العقول بالانتحار تخلصا من شر الحياة . ورد عن الرسول (ص) « اتقوا الله في البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة » وجاء عن بعض الفلاسفة أنه ترفع عن أكل اللحم مدة حياته كأبي العلاء المعري وقد فهم قوم ان الذي حمله على ذلك رأفة منه وشفقة على الحيوان هذا ان لم نعتقد أنه ناشيء من فاقة كان عليها ذلك الحكيم كما جاء في بعض رسائله ومثل هؤلاء من يضرب على نفسه بسور من حديد حتى لاتلزمه الحاجة الواسعة فيشقى في طلبها . على أن الامر ليس كذلك لحاشا ان يجهل المعري ومن نحا نحوه من الفلاسفة أسرار التكوين وانما الغرض من ذلك ان يكسر سورة نفسه فتتجرد من حجاب الجسم الكثيف الذي تزيده الشهوات واللذات ظلمة فتصفو صفاء ما الذي ظهر في شعره الحكيم . وهذا هو السبب الحقيقي الذي فرض الشارع لاجله الصوم تقليلا لتلك الشهوات

اذا تقرر هذا المبدأ اقول ليس في الحيوان شر قط خصوصا ما كان منه ابله اذ لافكر توجد به امراض القلب كالحقد والحسد والغرور والاثرة وغير ذلك من أمراض الانسان فكما ان العقل زينة له كان هو مصيبة عليه ذلك مذهب عامة

الفلاسفة بذلك على ذلك ترفع الاسد عن العودة الى فريسته مهما نهكه الجوع لكونه يأنس من نفسه قوة تهيئ له طعامه متى شاء

وربما اتئنس الانسان بوحوش الحيوان ورافق الثعبان فلا يرى منه الا المسالمة المطلقة ويأمن له أكثر من أخيه الانسان قال ابو العلاء المعري رحمه الله :

عوى الذئب فاستأنست للذئب اذعوى وصوّت انسان فكدت اطير

وهذه الحكمة مبنية على ما تقدم من انه قد يوجد الانسان بين جماعات ادنياء من الناس فلا يأمن على حياته منهم ويفضل وجوده مع الوحش على وجوده مع هؤلاء الناس . وما كان خلقه من الحيوان الأذى والضرر كما تظن فانه لا يخرج أيضا بهذا الخلق عن كونه يؤدي وظيفة اضطرته اليها طبيعة فيه كالفأرة مثلا تترقب فرصة الليل السادل خيمته على العباد فتبيت تقرض طول ليلها فتفسد الاثاث والرياش ويعلم الله انها لا تعلم له قيمة ولا تتصور له لطافة وما ذلك الا لكونها خلقت حادة الاسنان ترتاح كثيرا لتشغيلها وكذا العقرب ليس بينه وبين غيره ثار فيخرج ليأخذ به بذنبه ولكنه لكونه خلق أعمى تراه يخشى دائما في سيره فيتحصن بذنبه وهذا خلق فيه فلا لوم عليه

فان قلت اذا كان الامر كذلك فكيف اباحت الشريعة الرشيدة لنا قتل هذه الحيوانات ؟ قلت ان هناك مبدأ عمرانيا ضروريا هو اتلاف الحقير لحفظ العظيم ويقابله في ذلك قاعدة أصولية هي : إتلاف الثلث لاصلاح الثلثين جائز

فاذا كان من خلق الفأرة العبث بالاشياء الصالحة وجب قتلها حتى تحفظ تلك الاشياء من التلف كما اذا كان عضو من الاعضاء ضارا بالجسم وجب قطعه وعلى ذلك أباح الشارع أيضا الحكم بالاعدام على القاتل وهو ذلك العمل الذي هو عبارة عن إزهاق الروح ومصادرة البارئ جل وعلا في منحة عباده صفة الحياة فكيف يصح للشارع وهو الذي ينكر ذلك العمل الفظيع بالامس ان يأتي به اليوم وقد استفظعه من غيره ؟

يقال ذلك إذا كان الغرض من الاعدام الاخذ بثأر المقتول فقط ثم إنه لا فائدة تحصل للمقتول أو لاهله من قتل القاتل كلا انما الغرض من القصاص تأديب

من كان في نفسه مطمح الى هذا الجرم فيرى انه مقتول لا محالة والنفس عزيزة خصوصا اذا كانت الجرأة على القتل بعامل ليس له كبير تأثير فيها كالاختلاس مثلا أما اذا ضاق بها الامر وكرهت البقاء عليه كالذل والضيم والظلم وهتك العرض وود الصائل قابلت الصدور بالسهام ورأت اللذة في آلام الحمام

يهون علينا ان تصاب جسومنا   وتسلم اعراض لنا وعقول

وهذه حالة استثنائية عسى لا يؤاخذ القانون مرتكبها لان النفوس في ذلك فقد رشدها بخلاف القتل باسباب سافلة ولا يتأتى ذلك الامن الجبناء فكان القصاص لاحدهم أعظم وادع هذا هو معنى الحياة الذي استنتجه عقلاء التشريع من قوله تعالى (ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب لعلكم تتقون) لولا هذا النظر ما استفاد أهل المقتول من القاتل شيئا أما أخذ الدية فهو أمر ثانوي قد يكون فيه سلوان لاولياء الدم متى كانوا فقراء وليست بمتيسرة في كل الاوقات . على ان المروءة والاباء يأبيان أخذ الدية خصوصا متى كان القتل حاصلا بسوء القصد وذلك يشفي صدر أهل القتيل بموت عدوهم وليس هذا بشيء ولا بمبدأ عمراني يقصر النظر عليه فلو قابلنا كل شيء بشيء مثله في التلف لما مكثت الدنيا أكثر من مئة عام مثلا : عمرو هدم بيت زيد وزيد يهدم بيت عمرو وخالد مزق ثوب بكر وبكر يمزق ثوب خالد . . !

أما اذا كان القتل اتفاقا وهو ما يسمونه بالقضاء والقدر أو كان بمحض الخطإ فان الدية لا بأس بها متى تيسرت

ومن الترقي في الكون التمتع بحرية العدل واقامة قانون تدين اليه جميع الرؤوس يكفل التساوي بين الناس في حقوقهم . ذلك القانون كان في قديم الزمان عبارة عن أحكام اصطلاحية تتفق عليها الامة سواء أكانت حكيمة أي مطابقة للناموس العام كالشرائع السماوية والاحكام الديمقراطية أم موافقة لاجواء البلاد واجسام سكانها كالاحكام العرفية التي تختلف كثيرا باختلاف الاجيال واستعداد الاجسام. يأتي في الامة جيل لا يردع الا بالسوط ، كما يأتي فيها غيرها جيل يؤدبه الصوت .

هنا توجد قاعدة ينبغي ان نذكرها لمناسبة ذكر العدل الا وهي قولهم (التساوي

في الظلم عدل) كيف يكون التساوي في الظلم عدلا وكيف يصح ان يكون الظلم مصدرا للعدل والعدل مصدرا للظلم مثلا ؟ ثم قد يضطر الانسان احيانا الى استعمال الظلم معتقدا انه ظلم اذا لابد منه ولكنه حينئذ لا يسمى ظلما وانما يسمى سياسة وهذه القاعدة واسعة الدائرة تشمل القيام على حقوق الانسان والدخول في شخصيته متى كان لا يحسنها وذلك كالحجر على السفهاء والقيام على اليتامى والوصايا على القاصرين ومصادرة السكارى والضرب على ايدي المقامرين ومنع الربا واحتسابه الى قدر معلوم وغير ذلك كما هو خاص بالاحوال الشخصية التي ربما يقال ان الاتفاق فيها يبررها ثم انه يوجد في قواعد التشريع أيضا قولهم لا مشاحة في الاصطلاح ولا حكم بعد الاتفاق . والمالك يتصرف في ملكه كيف يشاء وبنيت على تلك القواعد احوال اهمها إباحة القتل للمتبارزين كما في قانون نابليون الا ان مثل تلك الاتفاقات قد تضر بالمجموع الكلي اذ انه مركب من الافراد فساغ إذاً للحكومة القائمة عليه المسئولة عنه ان تضرب على ما يتطرق اليه من الفساد ولو أدى ذلك الى مصادرة الافراد

بقي لنا في هذا المركز نقطة يجب أن نعرض لها لا لاوافيكم علما بها حاشا فانكم عالمون متمدنون اعلم مني بها وانما أرجو ان تنشروها فيعرفها الجاهل الاوهي كلمة الحرية التي كثير من جهالنا ينطقون بها ولا يفهمون معناها الحقيقي نعم كثير من الناس من يجهل معنى هذه الكلمة بل بعضهم يفهم منها عكسها مضطردا ويرى ان الحرية في إطلاقه يعني في الارض بسكر وعربدة وتهتك وابتذال وان الرجل والمرأة في ذلك سواء . فتخرج متبرجة على ما يخالف جميع أجناس النساء الكاملات تحجب وجهها وتكشف نهدها وتنشر شعرها وتكشف عن ساقيها واذا كست زندها بالقفازين (الجوانتي) اظهرت جيدها . بايعض الرجال معايب وعاساوت هذه المعايب المتقدمة مما يدل على الانسان المصري في هذه البلاد معكوس الحال ولو امكنه أن يمشي برأسه لا تقلب يمشي عليه حبا في العكس المضطرد ماهذه الحرية أيها السادة ؟ — ان الحرية كما لا يخفى عليكم عبارة عن التساوي الممكن بين أفراد الناس وهو المبدأ الذي يجب المحافظة عليه ومحب الحرية أول من يحترم حقوق الغير محافظة

على حقوقه هو ايضاوهو أول من يقول بالآداب وتربية النفس لتتمثل الناس باحاسن العادات ومكارم الاخلاق فتتمتع بمواهبها وتطلق عنان فكرها في ميادين حريتها بما لايخرج عما وضعه قانون عمرانها وأقره عقلاء امتها

الانسان - ايها السادة - مطلق مقيد وليس هذا بعجيب بل هذا من لوازمه وليس ذلك حاطا من كرامته ولولا ذلك لاشبه الحيوان لانه لو كان مطلقا فقط لاشبه سوام الماشية وهمل الحيوان كالكلاب والقطط ولو كان مقيدا فقط لاشبه اذلاء الحيوان كالحمار والبغل والجمل فجهة اطلاقه هي جهة حريته يتصرف فيها كيف يشاء لا يسأل عما ملك ولاعما وهب بشرط أن لايخرج ذلك عما قدمناه . وجهة تقييده هي جهة قيامه بواجباته كاداته لامه وابيه وزوجه وبنيه وفصيلته التي تؤويه وملازمته عادات قومه الضرورية التي قد يختل النظام بتركها كتركه لغته باستعمال غيرها واحتقاره مصنوعات بلاده وغير ذلك مما نراه سببا في انحطاط كثير من الامم واداته أيضا لجامعته ووطنه حتى يعمل هو ايضا لغيره كما قدمناه في قسميه الحيوان والنبات

ايها السادة - اني اذكر لكم نتيجة استنتجتها مما كتبه العلامة ابن خلدون في هذا المقام تحت عنوان (المقدمة الثانية في قسط العمران من الارض وان الربع الشمالي منها اكثر عمرانا من الربع الجنوبي وذكر السبب في ذلك) افاض الحديث هذا العالم الجليل وبعد ان عرف الارض وخططها وذكر منها خطوط الطول والعرض ومدار الكواكب واختلاف مسقط اشعة الشمس باعتبار الزوايا الثلاث برهن على أن الجزء الشمالي منها كثير العمران وذلك بسبب توفر الرطوبة فيه حيث قال

« وافراط الحر يفعل في الهواء تجفيفا ويبسا يمنع من التكوين لانه اذا أفرط الحر جفت المياه والرطوبة وفسد التكوين في المعدن والحيوان والنبات إذ التكوين لايكون الا بالرطوبة » ولا بأس هنا بذكر جملة فلكية عن هذا الاستاذ اتماما للموضوع قال « اذا مال رأس السرطان عن سمت الرؤوس في عرض خمسة وعشرين فما بعده - اي بعد هذا العدد - نزلت الشمس عن المسامتة فيصير الحر الى الاعتدال

او يميل عنه قليلا فيكون التكوين ويتزايد على التدريج الى ان يفرط البرد في شدته لقلة الضوء وكون الاشعة منفرجة الزوايا فينقص التكوين ويفسد الا ان فساد التكوين من جهة شدة الحر اعظم منه من جهة شدة البرد لان الحر أسرع تأثيرا في التجفيف من تأثير البرد في الجمد فلذلك كان العمران في الاقليم الاول والثاني قليلا وفي الثالث والرابع والخامس متوسطا لاعتدال الحر بنقصان الضوء وفي السادس والسابع كثيرا بنقصان الحر وان كيفية البرد لاتؤثر عن أولها في فساد التكوين كما يفعل الحر اذ لا تجفيف فيها الا عند الافراط بما يعرض لها حينئذ من اليبس كما بعد السابع فلهذا كان العمران في الربع الشمالي اكثر وأوفر والله أعلم ، اه

هذا الربع هو عبارة عن قارة أوربا وهي حقيقة أعظم القارات عمرانا ونتيجتي من موضوع هذا العمران الكبير هي ان الحضارة والعمران الغربي انما هو نتيجة طبيعة القارة لا أن للاوربيين عقولا استثنائية تتفاوت عن غيرها كما فهم بعض المفتونين بالغرب . وإذا كنا نحن أيها السادة لانجد من طبيعة جونا معينا كهؤلاء افلا يجمل بنا ان نفاض ذلك من أنفسنا قوة وشجاعة حتى نتساوى مع اولئك الاوربيين ولعل ذلك سر ذكاء اهل البلاد الحارة فان الله الحكيم العليم يبعث بالمعونة على قدر المؤونة فاعطانا ما أنقصه منا من خاصة ارضنا ذكاء وجلداً حبذا لو قدرناه واستعملناه!

ومن أسباب الترقي في الكون المطاوعة لمقاديره والتصرف في حوادثه وذلك مايعبر عن ضده بالجمود قال افلاطون : لاتكرهوا اولادكم على اخلاقكم فانهم خلقوا لزمان غير زمانكم ، وهذا أمر ضروري ان لم يكن طوعا فليكن كرها ولشرعنا فيه نظر حكمة ورشاد قال الله تعالى (ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) يعني اذا نسخ الله حكما أتى لنا باحسن منه أو بمثله في زمان أو حال يناسبه حيث كان لاتناسبه حاله الاولى وليس ذلك بكبير على الله لانه ليس الغرض منه ان الله تعالى يجهل موافقة الاحكام لاوقاتها حاشا فهذا شيء مستحيل عقلا انما الغرض من ذلك وضع مبدإ للمكلفين يتصرفون فيه بحسب ضروراتهم والنسخ بالبداهة لايتأتى الا في المعاملات المبنية على الاوامر والنواهي وليس بمعقول ان ينسخ توحيد بغيره ولا ان تبدل صلاة بصلاة بل قد يتبدل الحكم بغيره للتخفيف أو التشديد كنسخ

الوصية للاقارب بالميراث وعدة الوفاة من الحول الى اربعة أشهر وعشر ذلك كما قال العلامة الخطيب الشربيني لان الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كأسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره . اهـ وكان لسيدنا عمر رضي الله عنه في ذلك أحكام خاصة منها ايقاع الطلاق ثلاثا دفعة واحدة واقامة صلاة التراويح في عشاء رمضان واحكام استثنائية كثيرة في معاملة أهل الذمة لاتخرج عن كونها سياسية اكثر منها شرعية

ومن الترقي في الكون ايجاد قوة الجماعة كاشتراك الافراد في الاعمال واهمها هذه الشركات ومن يكن في ريب من ذلك فليسأل عنها الجالية الاوربية النازلة بنا حيث انا لم نوفق لها حتى الآن نسأل الله حسن التوفيق

هذا أيها السادة ماحضرني من اسباب الترقي الضرورية . وهناك اسباب كمالية لاتخرج عن تحسين ذلك النظام البديع منها الجمعيات والمنتديات والمتنزهات وهي وان كانت كمالية الا انها لابد منها لكل أمة بغية الوصول الى الكمال والله الهادي الى سواء السبيل

آثار علمية ادبية

﴿ اسماء عربية لمسميات افرنجية ﴾

عني اعضاء نادي دار العلوم بمصر بالتنقيب عن اسماء عربية لبعض المسميات الافرنجية وما لم يجدوا له اسما عربيا وضعوا له اسماً جديداً او عربوه والاشتقاق والتعريب ليسا جديدين في اللغة بل هما جائزان وواجب ان يصار اليهما عند الحاجة. ونحن ننقل للقراء ماوقع عليه الاختيار في الاجتماع الاول لأعضاء النادي وسنثبت كل مايختارونه على ان كثيرا من هذه الكلمات قد استعملت من قبل واقر الاعضاء على استعمالها اقرارا وهذه هي الكلمات :

(استمارة) يرى اعضاء النادي استعمال (استمارة) وقد وجدت هذه الكلمة في الكتب القديمة بلفظ استيمار بالتسهيل وحذف التاء ولكنهم رأوا إثبات التاء

لالتزامها في الاستعمال الحاضر وعدم المانع منه والكلمة مرة من استأمر اي أخذ امره

(انفيتارو) ترجمت بلفظة (مدرّج) منذ زمان وقد كاد اختيار الاعضاء

يجمع عليها

(بلوك نوت) تعريبها (اضمامة) ومعناها الاوراق منضمة

(بويه) نظرت اللجنة فيما يستعمل للتاوين فوجدته على نوعين : نوع يتخلل اجزاء الاجسام فاختارت له كلمة (صبغ) كصبغ الثياب والورق وما اشبه . ونوع يعلو السطوح فاختارت له كلمة (طِلاء) كطلاء المباني والاواني وغير ذلك

(تخته بوش) وهو مايسميه الافرنج (véranda) وتعريبه (نُجيرة) فقد جاء في لسان العرب ان النجيرة سقيفة من خشب ليس فيها قصب ولا غيره

(ترابيزه او طاوله) رأت اللجنة من هذا المسمى انواعا : فمنها ما هو للأكل وهذا (خِوان) ويسمى حين وضع الأكل عليه (مائدة) ومنها ماتوضع عليه الاشياء المختلفة وهذه (مِنضدة) مشتقة من النضد وهو جعل المتاع بعضه فوق بعض ويخصصه بعض اللغويين بحرّ المتاع وخياره . ومنها ماهو للكتابة خاصة وهذا يطلق عليه كلمة (مكتب) المستعملة

(ترسينه) ان مايخرج عن البناء منه ماهو مغطى وهذا يسمى (كُنَّة)ومنه ماهو مكشوف وهذا (طَنَف) والكلمتان في العربية موضوعتان لما يخرج من الاجنحة في الدار . على ان هنالك لفظة تؤدي المعنى وهي (شرفة) وقد كثر استعمالها . وقد ورد في الاغاني بهذا المعنى كلمة (مستشرف)

(جول) اختارت لها اللجنة لفظة (مربى) على ان كلمة (محجج) الشائعة في سورية تؤدي نفس المعنى

(خارطة) وصحيحها (خريطة)

(دوسيه) تعريبها (مِلف)

(شماعة أو تعليقة) وجدت اللجنة لما تعلق عليه الملابس نوعين : أولهما ذو عمود متوسط وشعبات بارزة فاختارت له كلمة (مِشجب) وهو في اللغة « قضيب تعلق عليه الثياب » والثاني يثبت في الحائط فاختارت له لفظة (شجاب)

(طابو) الكلمة عربية محرّفت وصحيحها (تابور)

(كارت فيزيت) سبق اختيار (بطاقة الزيارة) ولامانع من الاستغناء عن المضاف اليه فيقال (بطاقة) كما يقول الافرنج (كارت)

وقد رأت اللجنة ايضا استبدال (سينماتوغراف) بكلمة (خيالة)(*) وهي كل ما تراءى لك من الصور (وفونغراف) بـ (الحاكي) و (ميموغراف) (بمطبعة النضح) و (تيب رايتر) (بمطبعة الازرار) لانها اتخذت قاعدة عامة في تسمية المطابع وهي ان تستعمل كلمة مركبة من (مطبعة) مضافة الى اكبر مميز لتلك المطبعة . على ان كلمة (الآلة الكاتبة) او (الكاتبة) فقط أقرب من مطبعة الازرار

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ تقرير السر الدن غورست سنة ١٩٠٩ ﴾

اصدرت ادارة جريدة المقطم هذا التقرير منذ اكثر من شهر مترجماً بالعربية حسب عادتها وقد اهدت الينا نسخة منه ضاق المنار الخامس عن الكتابة عنها . وهذا التقرير حافل بالتفصيلات عن ادارة القطر المصري وروح الاعمال فيه وقد سرنا من هذا التقرير الفصل المعقود عن حال المعارف في القطر المصري ونماء حركة التعليم ووفرة عدد الطلاب وكثرة الكتاتيب والعناية بتعليم العلوم باللغة العربية بالتدريج مما يدل على ان هذا القطر السعيد ستكون بحار العلم فيه زاخرة وعماره بأنية ان شاء الله تعالى

تقدم العلم في هذه البلاد تام سريع ولا نريد بتقدم العلم توفيق قومنا للاختراعات المفيدة والاكتشافات الجديدة وانما نريد كثرة سواد طلاب العلم والراغبين فيه فانا لسوء الحظ لا نزال بعداء عن الوصول الى هذه الغاية على اننا سائرون في الطريق وعلى الله قصد السبيل . وانه ليحزننا ان تكون التربية في ارتكاس وانتكاس وتدل وانحطاط

(*) المنار : الصواب ان يقال : استبدال (خيالة) بكلمة (سينماتوغراف)

وليس العلم بمبلغ إيانا أملا اذا لم نترب تربية صحيحة تغرس في نفوسنا عشق الفضيلة وحب الخير لكل البشر وغير ذلك من الشيم التي تنطوي تحت هاتين الكلمتين الكبيرتين وانه ليؤلمنا ان تكون مدارس الحكومة والمدارس الاهلية شرعاً في اهمال امر التربية وعدم العناية بشأنها اللهم إلا مدارس الاجانب التي تخلّق تلاميذها باخلاق يخرجون بها من قوميتهم ونحلتهم فيكون الخسار بذلك عليهم وعلينا ولا حول ولا قوة الا بالله

فتن قومنا بالسياسة فصرفتهم اكاذيبها عن العمل النافع لهذه الامة التعسة وصدفت بهم عن الطريق المعبّد والسبيل اللاحب، فتاهوا في بيداء طامسة الصوى والأعلام، واوغلوا في تأويل الرؤى والأحلام، وخدعوا الناس بزهو القول وزخرف الوعود دون الحث على القيام بالأعمال الجسام، اللهم عونا وغفرا! هل جنى من قبلنا من السياسة ما كانوا يطمحون اليه حتى تكون لنا اسوة حسنة بهم فنغذّ في السير على آثارهم ونقتفي سبيلهم فنكون متابعتنا لهم حذو القذة بالقذة؟! اللهم لا!

فنهضة أيها القوم واوفضوا سراعا وانسلوا من كل حدب الى مهيع العلم الصحيح والتربية الصالحة ولا يتم ذلك إلا بنشر التعليم الأهلي وان أهل الثراء وعاضدي العلم كثيرون بحمد الله في هذه البلاد ولا نرى انهم يرضون لانفسهم ان يكونوا دون جمعية الضالات في فرنسا التي انشأت مدارس كثيرة أو دون تلك الفتاة الامريكية التي أسست احدى عشرة مدرسة كلية!

ولعلنا ننشر الفصل الذي في التقرير عن المعارف في المنار السابع

***

﴿ مبادئ الفلسفة القديمة ﴾

مجموعة فيها كتاب (ما ينبغي ان يقدم قبل تعلم فلسفة ارسطو) وكتاب (عيون المسائل في المنطق ومبادئ الفلسفة) تأليف أبي نصر الفارابي الفيلسوف الاسلامي الشهير من أهل القرن الرابع عنيت بنشرها المكتبة السلفية لصاحبيها محب الدين افندي الخطيب وعبد الفتاح افندي القتلان، طبعت بمطبعة المؤيد بمصر سنة ١٣٢٨ وعدد صفحاتها ٣٥ وثمنها قرشان ونصف قرش وتباع بمكتبة المنار والمكتبة السلفية بمصر

اهدت الينا المكتبة السلفية هذا الأثر القديم لأحد فلاسفة الاسلام الاعلام مصدرا بترجمة حفيلة لمؤلفها بيان أطوار منشئه وطلبه للعلم وحكاياته مع معاصريه

من العلماء والامراء وذكر ملخص تاريخ الفلسفة في زمانه ومنحاه في الفلسفة و بيان مصنفاته وغير ذلك من الاشياء التي تعرّف بالمؤلف تعريفا تاما ومما جاء فيها بعنوان « فلسفته » اي فلسفة المؤلف ما نصه :

« ولم يكن للفارابي فلسفة خاصة به ، أو مذهب فيها أُثر عنه ، وغاية ما يمكننا التوسل به للوصول الى معرفة آرائه ومبادئه هو مصنفاته التي كان أكثرها في الرقاع والكراريس المبعثرة والفصول والتعاليق كما ذكرنا

« ومن أهم ما صنفه كتابه في (إحصاء العلوم) والتعريف بأغراضها لم يسبق اليه ولا ذهب أحد مذهبه فيه . وقد قسم الفارابي العلوم في هذا الكتاب المختصر الى ستة اقسام : ١ — علوم اللغة ، ٢ — علم المنطق وفيه الخطابة والجدل ، ٣ — الرياضيات وتشمل الهندسة والحساب ومبحث النور وفن النجوم والموسيقى وجرّ الأثقال والاحجام و يدخل في علم النجوم مباحث الفلك والتكهن والأحلام وعلم الجوّ والهواء ، ٤ — العلوم الطبيعية وهي عشرة ، ٥ — العلوم المدنية وتشمل القضاء والخطابة ، ٦ — علم الكلام وما وراء الطبيعة .

« وهذا التقسيم كثير اوجه الشبه بتقسيم العلوم الذي اصطلح عليه علماء اوربا في العصور الاخيرة ، والفارابي كما ترى يقدم المنطق والرياضيات وأكثر العلوم الطبيعية المحضة فالعلوم الاجتماعية . ويلاحظ قراء كتب الفارابي أنه قد ألم بالتمييز بين الاصول والفروع وذلك ما اسس عليه كونت خطته في تقسيم العلوم ثم هذبه هربرت سبنسر وقععه » .

نقلنا هذه الفقرة ليطلع عليها اهل الجمود الذين باتوا يحرمون ممارسة هذه العلوم والتوفر على دراستها عسى ان يتزحزحوا عن مواقف جمودهم فيخرجوا من مأزق مناقشاتهم وتمحلاتهم النظرية الى فضاء العلوم الصحيحة الدينية العلمية والدنيوية العملية واذا كان يعز عليهم احتذاء الاوربيين فلهم أسوة حسنة بأسلافهم العاملين

والكتاب مفيد في بابه بل لا نظير له فهو كفهرس جامع لتعريفات الفلسفة القديمة وشرح وجيز لاصولها وله فهرس حاو لاسماء الاماكن والاعلام الواردة في الكتاب

وهذا من محسنات الكتاب ومنها جودة الطبع والترتيب فنحث الراغبين في تعرف الفلسفة القديمة على اقتنائه

* *

﴿ القطار السريع لعلم البديع ﴾

رسالة مختصرة في علم البديع ألفها حفني بك ناصف القاضي بالمحاكم الاهلية ومدرس علم الادب بالجامعة المصرية تحقيقا لرغبة بعض طلاب مدرسة الحقوق وقد اختار المؤلف شرح بديعية تقي الدين لمكانتها من الشهرة ومنزلتها بين الادباء ولأن في ابياتها ذكر الأنواع البديعية . مثال ذلك قوله في مطلعها مشيراً الى حسن الابتداء وبراعة الاستهلال :

لي في «ابتداء مدحكم يا عرب ذي سلم «براعة تستهلُّ» الدمع كالدِّيَم

وقد اعجبنا هذا الكتاب اكثر من كل كتب البديع التي رأيناها فهو مختصر مفيد ان لم يحفظ على الغيب ، فانه يوضع في الجيب ، كما قال مؤلفه ويمكن للطالب أن يضرب بسهم في علم البديع اذا قرأ هذا الكتاب فهو يغنيه عن الاستاذ

انا من كارهي علم البديع لا من محبيه ومع ذلك فاني أرى معرفته ضرورية لمارسي العلوم العربية لأنه حلقة من سلسلتها فلا يحسن ان يبقى طالب هذه العلوم في محارة من فقدان هذه الحلقة ويصبح كنتحلي مذهب دارون مضطرا متلمسا حلقته المفقودة ا على ان حفني بك قد اشرع السبيل للرغّاب في علم البديع وادناهم من هذه الحلقة ولكن من اين للداروينين بحفني بك آخر يدنيهم من متاهم الواسع ؟!

وقد نشر هذه الرسالة السيد حسين رافع وطبعها طبعا متقنا وجعل ثمنها قرشا ونصف قرش وتطلب من المكتبات المشهورة

***

﴿ الاستمناء ﴾

ماذا يقول الملاحدة والكافرون بالله تقليدا في امراض الافراد والأمم

الادبية ؟ وما رأيهم في علاجها ياترى ؟ هل يستسهلون الزعم أن تبيين اضرار هذه الأمراض وسوء عاقبتها للمبتلين بها يأخذ بشكائم نفوسهم ويزجرهم عنها ! ؟ إن كانوا يزعمون هذا — وهم زاعمون — فلا مشاحة في انهم مكابرون للحق مدابرون

لا ريب في ان الاستمناء من افتك تلك الأمراض الادبية في عقول الشبان وجسومهم ولإن انتهى عن ممارسته متهور بتبيين ضرره في جسمه وعقله فقد يزدجر بإزائه مئة ممن تأدبوا بآداب الدين وتخلقوا بأخلاقه فالدين وحده هو العلاج الشافي من هذه الأمراض الوبيلة لا سيما وان الشبان يؤتون من ناحية الوجدان لا من ناحية الاقناع والبرهان وهم المبتلون بهذه العلة التي تأصل في كثيرين منهم تأصلا ينتهي بموته أو جنونه! لذلك كان حقا على مؤلف هذا الكتاب «الاستمناء» الدكتور «فورنيه» أو مترجمه بالعربية الدكتور مقصود أن يشير الى نهي الدين عن الاستمناء وإيعاد مزاوليه بأشد العقوبات، والنصوص مستفيضة في الدين الاسلامي على تحريم الاستمناء وعده من الموبقات الكبائر ولا يصح الاعتذار عن ذلك بأن الكتاب فني صحي فان الغرض منه الفائدة لا الدراسة

وفي الكتاب فوائد كثيرة اهمها عظة ذكر مصير ممارسي الاستمناء وما مصيرهم الا الموت بالسل أو بعد الجنون المطبق وهم في زهرة الشباب ونضارة العمر. وقد انتقدنا في هذا الكتاب ذكر طرق الاستمناء الكثيرة التي يتعلم منها الشبان ما كانوا يجهلون. هذه غائلتها فما فائدتها ! ؟

وهو يباع بعشرة قروش صحيحة في جميع المكتبات

القضاء والنواب

كراسة صغيرة تقع في ١٨ صفحة بحجم المنار لمؤلفها شكري افندي العسلي الدمشقي «قائمقام» الناصرة ألم فيها بتاريخ القضاء في الاسلام وادواره واقسامه بعد بحث ودرس. قال: «وقد انشأت هذه المقالات بعد ان طالعت مقدمة ابن خلدون وحاشية ابن عابدين وتكملته والاشباه والنظائر والاحكام السلطانية وتاريخ الطبري

وتاريخ الكامل لابن الأثير ورحمة الامة في اختلاف الأئمة والميزان للشعراني وسراج الملوك وغيرها »

وهي مفيدة في بابها فنشكر للمؤلف صنعه ونحمده على هديته

معنى الحياة

كتاب لطيف الحجم والشكل يقع في ١٥٠ صفحة بالقطع الصغير تأليف اللورد افبري من اعضاء مجلس الاعيان الانكليزي وقدعني بترجمته بتصرف وديع افندي البستاني . اودعه مؤلفه نصائح لنابتة قومه ليكونوا باتباعها سعداء في الحياة الدنيا ومن آكد تلك النصائح واجلها تربية قوة الارادة وصدق العزيمة والشجاعة والثبات وغير ذلك من كرائم الاخلاق وفضائل الشيم التي يستفيد ذووها ويفيدون . وقد ارشد الى فوائد مراعاة الاقتصاد واحتجان الاموال وكون هذين هما اساس مجد الامم . وقد انكرنا على المترجم ترجمته لبعض الفصول بالشعر وتمنينا لو كان احكم إنشاء واصح عبارة . ويطلب من مكتبة المعارف بمصر وثمنه ثلاثة قروش صحيحة

النصيحة الاحسانية

قصيدة طويلة للسيد عبدالله بن علوي بن عبدالله العطاس يحث فيها على ممارسة العلوم والأعمال العمرانية وحبذا هذا الصنع من الاستاذ الناظم وعسى أن يكثر من هذا النصائح نظما ونثرا

الاتحاد الاسلامي

جريدة انكليزية اصدرها في (طوكيو) عاصمة اليابان احمد افندي فضلي الضابط بالجيش المصري قبلاً ومحمد بركة الله افندي الروسي وقد اخذا على عاتقهما تفهيم اليابانيين حقائق الاسلام فنعم العمل عملها وحبذا الصنع صنعهما وقيمة اشتراكها شلنان في العام او عشرة قروش صحيحة وهي قيمة تافهة لاتكاد تفي بنفقات البريد فنحث القراء على الاشتراك فيها ومساعدتها بما في الامكان

حسين وصفي رضا

باب الاخبار والآراء

﴿ جمعية العلم والارشاد ﴾

قد عرف القراء موضوع هذه الجمعية العلمية الخيرية التي رحلنا الى دار السلطنة لاجل السعي لتأسيسها فيها . وقد طال الامد على منتظري خبر تأسيسها حتى يئس اشدهم غيرة وحرصا وكتبوا الينا ينصحون لنا بترك السعي لها في هذه العاصمة ولو يئسنا كما يئسوا لعدنا أدراجنا كما اقترحوا ولكن اليأس مرض ضار وبائي في بلادنا ونحمد الله تعالى أن نجانا منه فلم يجد الى قلبنا سبيلا . نعم إنني كدت أيأس من بعض من كنت أرجو مساعدتهم من الكبراء ولكن رجائي في الله وثقتي بتوفيقه لم يزد في مظنة اليأس الا قوة ورسوخا

بعد السعي الطويل مدة ثمانية أشهر وقع الاتفاق من اصحاب الشأن على تأسيس الجمعية لتكون هي التي تؤسس المدرسة العالية التي نوهنا بها من قبل ووقع الاختيار على ان يكون المؤسسون اثني عشر وهم :

(١) الشريف جعفر باشا حفيد الشريف عبد المطلب احد امراء مكة المكرمة السابقين
(٢) مصطفى افندي مستشار المشيخة الاسلامية
(٣) مصطفى عاصم افندي الرئيس الثاني لمجلس المبعوثين وأحد علماء الآستانة
(٤) موسى كاظم افندي من العلماء واعضاء مجلس الاعيان
(٥) محمود أسعد افندي من العلماء وناظر الدفتر الخاقاني
(٦) حسن فهمي افندي مبعوث سينوب وأحد علمائها
(٧) سني الدين افندي معاون مشاور الحقوق بنظارة الاوقاف
(٨) فؤاد بك احد أعضاء مجلس شورى الدولة ورئيس كتابه
(٩) اسماعيل حقي بك مدير قسم الإلهيات والادبيات في دار الفنون ومدرس الاصول والكلام فيها
(١٠) احمد نسيم بك بابان احد اعضاء مجلس المعارف
(١١) تحسين بك احد اعضاء ديوان المحاسبات
(١٢) محمد رشيد رضا صاحب المنار

وقرر أن يكون شيخ الاسلام رئيس شرف لهذه الجمعية دائما

هذا وقد دعي الاعضاء الى الاجتماع الرسمي الاول لانتخاب رئيس لهم في ٢٧ جمادى الاولى بدار الفنون . فأما فؤاد بك وتحسين بك فهاقي أوربا مع حاشية ولي العهد واما الباقون فمنهم من حضر ومنهم من كان له مانع فكتب ورقة بانتخابه أو وكل من ينتخب عنه . فالذين حضروا هم الشريف جعفر باشا ومستشار المشيخة وموسى كاظم افندي واسماعيل حقي بك وأحمد نعيم بك وكاتب هذه السطور وقد اتفقنا جميعا على انتخاب الشريف جعفر باشا رئيسا لهذه الجمعية وعقدت الجلسة الاولى برياسته فقرئ فيها النظام الرسمي الذي وضعه هذا العاجز فتقرر ان ترسل نسخ منه الى جميع الاعضاء ليدققوا النظر فيه وان استحسنه كل من قرأه منهم وأن يصدق عليه بعد المذاكرة في الجلسة الثانية التي تنعقد يوم الاحد الآتي ثم يقدم الى نظارة الداخلية . وتقرر أيضا ان يجتمع الاعضاء في ضحوة كل يوم احد . فالحمد لله أولا وآخرا وإياه نسأل تمام التوفيق

(تنبيه) ماذكر في بعض جرائد العاصمة العربية من ان الجمعية قررت ان تكون مدرسة دار العلم والارشاد مؤلفة من صنفين كل صنف ٥٠ طالبا لاصحة له فالجمعية لم تقرر في امر المدرسة شيئا

﴿ النظام الاساسي لجمعية العلم والارشاد ﴾

« بسم الله الرحمن الرحيم »

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ＊ وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين لكم الآيات لعلكم تهتدون ＊ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ＊

﴿ الفصل الاول ﴾

(في تأسيس الجمعية ومقصدها)

(المادة الاولى) تأسست في دار السعادة جمعية باسم « جمعية العلم والارشاد »

(المادة الثانية) مقصد هذه الجمعية الجمع بين التربية الاسلامية وتعليم العلوم الدينية والدنيوية والتصنيف فيها . وتتوسل الى ذلك بانشاء مدرسة كلية في دار السعادة باسم « دار العلم والارشاد » لتخريج العلماء والمرشدين

(المادة الثالثة) لاتشتغل الجمعية بسياسة الدولة العلية الداخلية ولا الخارجية ولا بسياسة غيرها من الدول ولكنها تراعي القانون الاساسي وتؤيده

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في أعضاء الجمعية ومجلس ادارتها)

(المادة الرابعة) للجمعية رئيسان رئيس شرف ورئيس عامل فرئيس الشرف هو صاحب المشيخة الاسلامية والرئيس العامل ينتخب من اعضاء مجلس ادارة المركز العمومي

(المادة الخامسة) اعضاء الجمعية ثلاثة اقسام: أعضاء عاملة واعضاء معاونة واعضاء شرف، فالعاملون هم الذين يقومون بأمور الجمعية بالفعل والمعاونون هم الذين يشتركون فيها بمبلغ معين من المال يؤدونه في كل سنة أو كل شهر بالاطراد، واعضاء الشرف هم عظماء الامة الذين ينفعون الامة بعلمهم أو مكانتهم من الفضل والكمال نفعا عظيما

(المادة السادسة) مركز الجمعية العمومي دار السعادة ويكون لها في الخارج شعب لكل شعبة منها مجلس ادارة

(المادة السابعة) أعضاء مجلس الادارة في المركز العمومي اثنى عشر عضوا وهم المؤسسون للجمعية ماداموا فاذا استقال احدهم أوخلا موضعه بسبب ما فانتخاب بدله ومجازاة من يخل من الاعضاء بنظام الجمعية الاساسي كل منهما يكون بمقتضى مواد النظام الداخلي للجمعية

﴿ الفصل الثالث ﴾

(في الهيئة العمومية)

(المادة الثامنة) تجتمع الهيئة العمومية للجمعية كل سنة مرة في وقت معين بدار السعادة، وتتألف هذه الهيئة من اعضاء مجلس الادارة من المركز العمومي ومن مندوبي الشعب الخارجية

(المادة التاسعة) الهيئة العمومية رقيبة على مجلس الادارة وهي تدقق النظر في ميزانية الجمعية وفي اعمال مجلس الادارة مدة السنة وتقرر ماتراه في ذلك وماتقرره يكون نافذا بالاكثرية المطلقة فيما عدا ما اشترط اكثرية ثلثي الآراء

﴿ الفصل الرابع ﴾

(في أموال الجمعية)

(المادة العاشرة) تتكون اموال الجمعية من الاشتراكات المؤقتة والاعانات

والتبرعات والوصايا والهدايا والاوقاف الخيرية التي توقف عليها ومن ريع رأس مالها ومن أجور التعليم في المدارس التي ستنشئها ، والمبلغ الاحتياطي يحفظ وينمى بحسب ماتراه الهيئة العمومية

(المادة الحادية عشرة) مجلس ادارة الجمعية ليس له ان يقرض من مال الجمعية ولا أن يقترض لها الا بقرار من الهيئة العمومية

(المادة الثانية عشرة) تنشر الجمعية في كل سنة كراسة في بيان ميزانيتها ودخلها وخرجها واسماء الباذلين ومقدار ما بذلوه لها ، ومن ينهى عن التصريح باسمه يذكر بلقب «فاعل خير»

(الخاتمة)

(المادة الثالثة عشرة) يجوز تعديل احكام هذا النظام عند الحاجة بقرار من الهيئة العمومية بأكثرية ثلثي الآراء من اعضائها المرتبة

﴿ رأي محمد عبيدالله افندي في صاحب المنار ومشروعه ﴾

نشره في العدد الرابع من جريدته الذي صدر في ١٤ صفر سنة ١٣٢٨ ، وهو :

﴿ المدرسة العربية ﴾

« مشروع الاستاذ الفاضل صاحب المنار »

ان الاستاذ الفاضل السيد رشيد رضا صاحب المنار الاغر أشهر من ان ننوه بفضله للقراء اذ قد عرفه وانتفع بعلمه كل منور العقل من الامة الاسلامية ، وقد قدم الآستانة هذا الفاضل منذ اشهر لمقصد شريف ومشروع جليل يدل على مزيد اهتمامه باصلاح الامة الاسلامية وغيرته عليها . وذلك انه ينوي فتح مدرسة عربية في دار الخلافة يدرس فيها كل علم نافع ولا سيما العلوم العربية

وهو لم يزل مقيما في العاصمة يقابل رجال الحكومة من حين الى آخر ويفاوضهم في هذا المشروع طلبا للمعونة من الحكومة بما يلزم لمشروعه من المال . ونحن وان لم نعلم بالتفصيل ماهي العلوم التي تدرس في هذه المدرسة وكيف تكون طريقة التعليم فيها وكم مدة التحصيل الا اننا نعتقد اعتقادا جازما ان مدرسة عربية يرأسها مثل الاستاذ ويقوم بتدبيرها وترتيبها لجديرة بأن تكون كثيرة المنفعة كبيرة الجدوى خصوصا والعلوم العربية اليوم في اشد الحاجة الى مجدد كهذا العربي الصريح يسعى

في نشرها واصلاح طريقة التعليم فيها فقد أصبحت يضرب بصعوبة تعلمها المثل عند الناس . وعليه فنحن ننادي أولي الامر من رجال الحكومة بأندى صوتنا ان يلتفتوا الى مشروعه بكل اهتمام ونسترعيهم السمع الى ماينزع اليه من الامر النافع وليس ذلك ببعيد من الحكومة التي هي اليوم تضرب على نغم الاصلاح في كل أمر من أمور الامة

﴿ المنتدى الادبي ﴾

أسس بعض النجباء من طلبة العرب في المدارس (المكاتب) العالية في الآستانة ناديا سموه « المنتدى الادبي » وساعدهم على ذلك كثيرون من أهل الفضل والسعة اعانة لهم على ماقصدوا من أمر التربية والتعليم

كانوا قبل ذلك متفرقين قلما يعرف أحد منهم أحدا أو يستفيد من علمه وادبه او تجربته الا مايكون بين المتجاورين في مواضع الاقامة من التلاقي والاجتماع في الملاهي العامة التي تسمى في مدن البلاد العربية بالقهاوي وتسمى الملهى منها في الآستانة «قراءتخانة» أي بيت القراءة تسمية لها بخير مايكون فيها وهو قراءة الجرائد فقط ولا يحسبن القارئ انها كحجرات المطالعة او غرف المطالعة المعهودة في بعض البلاد التي يوجد فيها كتب كثيرة تقصد لاجلها لا لاجل اللهو بلغو الحديث او اللعب بالنرد وشرب المنبهات

قام اعضاء ادارة النادي بشؤونه قياما يحمدون عليه فأحسنوا الادارة ونشطوا في تحصيل مبالغ الاشتراك ، وضبطوا الدخل والخرج ، واقتصدوا في النفقة بقدر الاستطاعة ، حتى كان عملهم ــ وهم مبتدئون فيه ــ موضع الاعجاب ، ولكن رأى بعض اخوانهم من اعضاء النادي انه كان في الامكان أن يحسنوا ويقتصدوا اكثر مما فعلوا ، واستحسن هؤلاء ان يستبدل بهم غيرهم ليجربوا كما جربوا ، ورأى الآخرون ان هذا مخالف للقانون فيجب ان يتموا مدتهم التي عينها قانون المنتدى ، فقال المعارضون نعدل مادة القانون ونعيد الانتخاب ، فاجتمعت الجمعية العمومية للمنتدى وبعد المناقشة واخذ الآراء تقرر برأي الاكثرين ان يبقى القانون على ما هو عليه وان لايعاد الا انتخاب من نص فيه على انتخاب بدل عنهم او اعادة انتخابهم وكان صاحب هذه المجلة وكاتب هذه السطور حاضرا تلك الجلسة وكذلك

حضرها صديقنا عبد الحميد افندي الزهراوي فتشهد ان الخلاف بين الاعضاء فيما ذكر لم يكن بدعا من الخلاف في الاندية والجمعيات او مجالس النواب ولا كان مزلزلا لرجائنا في نابتتنا الجديدة في مدارس دار السلطنة

نؤدي هذه الشهادة وقد سئلناها لأن بعض الجرائد العربية نشرت مقالة بامضاء (ساخ متلهف) أسرف بها في انتقاد المنتدى الادبي إسرافا لم نشك عند قراءتها في تعمده التحامل لغرض ليس لنا ان نفتات عليه فيه ، ولا نرى فائدة في بيان ما نرى من قوادمه وخوافيه ، وقد تكون له نية حسنة ، استجاز أن يتوسل اليها بتلك الوسيلة السيئة ، ومن كان حسن النية لا يصر على خطإه وهو يعلم ، ولا يدافع عن نفسه اذا ظهر له الحق وتبين ، وقد اساء بعض اعضاء المنتدى الظن ببعض اخوانهم الذين يرجى خيرهم ، ولا يخفى أن تضر مثل تلك البادرة إن صح عزوها اليهم ، فأنصح لهم جميعا ان يغفروا الهفوات ، ويجذب كل منهم أخاه اليه بخير ما يراه من جواذب الفضيلة فيه ، فالكيس من استكثر من الاصدقاء ، والاحمق من استكثر من الاعداء ،

﴿ خليل حمدي حماده باشا ﴾

فجعت المملكة العثمانية في هذا الشهر بوفاة هذا الرجل المصلح الاداري القدير ، والسياسي المحنك الخبير ، نابغة البلاد السورية والمصرية ، والحجة الناهضة على علو استعداد الامة العربية ، شهد بفضله الانكليز وغيرهم من الافرنج بمصر ، واذعنت له قلوب جميع العثمانيين في الآستانة ، فان كتم الشهادة له الحاسدون والمتعصبون منهم ، فقد نطق بها المنصفون والمستقلون فيهم ، وناهيك بشهادة مولانا السلطان محمد الخامس الذي كان يلقبه بالغيور ، (غيرتلي) والصدر الاعظم حسين حلمي باشا الذي قال عنه انه جاء يعلمنا كيف تدار الامور ، ثم بشهادة صاحب جريدة « يكي غزته » وهي أقرب جرائد العاصمة الى الاستقلال ، وجريدة « صباح » الواقفة عند نقطة الاعتدال ،

ليس اكبر فضل الفقيد في رأيي أنه ما نيط به عمل الا واتقنه ، وانه كان آية في حسن ادارة الجمارك المصرية ، وكان يأتي بالمعجزات في إصلاح نظارة الاوقاف العثمانية ، بل اكبر فضله انه كان على حسن قيامه باعباء الحكومة ، موجها فضل

عنايته وهمته الى إصلاح شأن الامة . وكان من عمله فى ذلك بالقطر المصري جمعية الخالين في الاسكندرية وتربيةاولادهم وتعليمهم ، وجمعية مكارم الاخلاق، والملاجئ العباسية، وما خدم به جمعية العروة الوثقى ، ولم يدع الى خدمة عامة الا وكان له فيها الرأي الصحيح، والباع الطويل، فهذه هي المنقبةالتي تحيابها الامم وتتفاضل عظماء الرجال

كان رحمه الله اشد من رأيت اهتماما بالمشروع الاصلاحي الذي سعيت له سعيه هنا ، قدره قدره ، وادرك فكره البعيد ما فيه إصلاح الامة وخير الدولة ، وكان وهو ناظر الاوقاف يعدني بأن يرتقي في مساعدته من مال الاوقاف الى عشرين ألف ليرة في السنة ، وكان بعد الخروج من نظارة الاوقاف اشد اهتماما بنجاح المشروع وارجى الناس في مساعدته لانه اعلى من نعرف الآن همة في السعي والعمل للمصلحة العامة ، فهو في هذه الفضيلة من طبقة الاستاذ الامام وحسن باشا عاصم رحمهم الله تعالى وعزى هذه الامة المبتلاة بقحط الرجال عنه وعنهما بايجاد من يخلفهم في ذلك ، ونخص بالتعزية كبير بيت حماده الحاج محيي الدين افندي وسائر الاسرة الكريمة، ونسأل الله تعالى أن يحيي ذكر فقيدنا بذريته المباركة، كما هو حي بآثاره الحميدة

(الاغلاط التي وقعت في الجزء ال٣ وال٤ وال٥ وال٦ من هذا المجلد وصوابها)

(اغلاط ج ٣ م ١٣)

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٠٤	٤	الماء	والماء
٢٢٢	٣	العرب	الثمانيين
«	٢١	وتلوبجا	وتلويكا
٢٢٨	٢٣	حلبي	جلبي
٢٢٥	٦	وما	ما
«	١٧	ارتنا	رأينا
٢٣٨	٥	أحد	كل أحد

(اغلاط التفسير في ج ٤ م ١٣)

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٤٣	١٠	جحر	حجر
«	١٨	وعفى	وعفا
٢٤٥	٧	تخلص	يخلص
٢٤٩	١٠و١٢	المطاهرة	المصاهرة
٢٤٩	٥	يسله	يسلك
«	١١	الحر	الحرة

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٥١	١٧	ماطلعت عليها	مماطلعت عليه
٢٥٢	٢١	وهو	وهي
٢٥٥	١٠	راوية	روايته
٢٥٧	١٣	فريقا من	فريقا منكم من
٢٥٨	٥	الاقدار	الاكدار
«	٢٠	ومن	وعن

(اغلاط ج ٥ م ١٣)

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٢١	٨	وقيل	قيل
٣٢٢	٨	والاسفرايني	والاسفرايني
«	١٥	الغافلات المؤمنات	المؤمنات الغافلات
«	١٥	ومنها أيضا	وفيه أيضا
٣٢٢	١٨	وفي لفظ عند	وفي رواية لهما الكبائر الاشراك بالله والسحر وعقوق الوالدين وقتل النفس، وفي لفظ عنه

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٢٣	٣	وهو من ذاته	وهو في ذاته
٣٢٥	٨	محترما ولا	محترما للدين ولا
«	١٣	وان	كان تعد صغيرة وان
«	١٥	ذنب	ذنب
٣٢٦	٥	الكبائر بحسب	الكبائر انما تعد كبائر بحسب
«	٦	وحسب ضررها	ومقدار ضررها
«	٢١	طاعة ازيد	طاعته ازيد
«	٢٢	معصية	معصيته
٣٢٧	٣	المنزلة	المنزلة اه
«	٤	قال لالا نه	قال لا نه
«	٢٤	لكن هذا	لان هذا
٣٢٩	٦	واتبم	وأتبم
«	٧	سماع	بسماع
«	٢١	الميتة » اه	الميتة » (* اه
٣٣٠	٦	يكفر من	يكفر — اي يستر او يزيل — من
«	٦	دخول	اثر دخول
«	٨	وأزاله ،	وازاله ومحا معه ما دونه من احتقار الملكية الجرى على دخول ملك غيره وان كان فعله ،
«	١٣	عليه . بل	عليه ؟ لا
«	١٤	هذا الحسنات	هذا الذنب الحسنات
«	١٦	دور ابي	در أبي
٣٣١	١١	٣٣ :	٣١ :
«	١٧	وعدم	والذي يلزمه عدم
٣٣٩	٣	الحكومة	حكومة الدولة
٣٤١	١٠	ابدا	قط
٣٥٦	٧	او العرب	وسائر العرب

(تنبيه) البيت الذي في آخر صفحة ٣٧١ واوله واديب قوم الخ محله في اول صفحة ٣٧٣ قبل البيت الذي اوله فهو الخ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٨٥	٢	اتمت لكم	اكملت لكم
٣٨٦	١٣	بلغة	بلغات
٣٨٧	٢٢	رحمه	قال رحمه
٤٠١	٣	مولَيَّ	موالِيَّ
٤٠٢	٩	ومن قوله	و« من » في قوله
«	١٦	فأعطوا هؤلاء	فأعطوا أيها المؤمنون هؤلاء
«	٢٠	تعالى رقيب	هو رقيب
«	٢١	وغيرها فلا	وغيرها الآن فأنه الدائم شهود كل شيء فلا
٤٠٣	٣	المخاطبين	المحكي عنهم والمخاطبين
«	٤	المخاطبون	المحكي عنهم والمخاطبون
«	٤	بامتثاله	وبامتثاله
٤٠٤	٣	اسلم	اذا اسلم
٤٠٤	٩	ويوصى	ويوصي

وهذه الجملة تلحق بالسطر التاسع صفحة ٤٠٤ وهي : وظاهر ان الذي نسخ هذا الارث هو قوله تعالى (٣٣ : ٢٧ وأولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفاً) وهو في سورة الاحزاب اما الموالي في الآية التي نفسرها فهم الوارثون كما في قوله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام (١٩ : ٤ واني خفت الموالي من ورائي) : وبعدها السطر العاشر واوله : هذا وان الاستاذ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٠٤	٢١	الرِّجال	الرِّجال
٤٠٥	٣	يريد	يريدا
٤٠٥	٣	يوفق	يوفق
٤٠٥	٢٣	غوضا	عوضا
٤٠٦	٣	رياستهم .	رياستهم فهل هذا الا بدافع الفطرة الذي لا يستطيع عصيانه الا بعض الافراد ؟ .
٤٠٦	٢١	إن	أن
٤٠٦	٢٣	وتثبت	وتثبت
٤٠٦	٢٥	بوظيفتم	بوظيفتها
٤٠٨	١	ويتبم	اقول ويتبم
«	٩	شئون	شؤون
«	٦	الذي اشير	هو ما اشير

الفصل الثاني والعشرون (*)

(الايمان والآيات وخوارق العادات)

قال بعض الناس في تلك الأيام لاعجب اذا آمنت « خديجة » ببعلها فان رابطة الزوجية تستدعي مثل ذلك ولكن ذا القدرة العظيمة قد أتى هؤلاء القائلين بما يعارض مزاعمهم اذ طفق بعض من سمع هذا النبأ يؤمن به ولم يبق المصدق به « خديجة » وحدها فاضطروا أن يخترعوا أسبابا أخرى للايمان به

حرب فكرية قامت أمام هذا النبإ الجديد عند شيوعه ، ارتجت له مكة وما حولها ، انقسمت الافكار ، تباينت الانظار ، وفي مثل هذه المواقف يعرف الراجحون بحسن الفطرة ، وقوة الفطنة اذ يكونون من السابقين في رؤية الدقائق ، والوصول الى الحقائق

قال نفر منهم :

« لقد عرفنا محمداً طول هذه السنين فما عرفنا الكذب صاحبا له ، ولا عرفناه صاحبا للخداع ، وقد قام اليوم يخبرنا بأمر وقع له ليس هو بدعا من الامور ، ولا هو يضارنا شيئا . أتانا يخبرنا بامر يشبه ما نسمعه عن أمر موسى نبي بني اسرائيل ولم يكن أمر موسى الا نافعا لقومه فلعل الله سبحانه يريد أن يُهدي الينا نفعا بواسطة هذا الرجل الصادق الامين منا »

قالوا :

(*) تابع لما نشر في (ص ٣٩٣ م ١٣) من سيرة السيدة خديجة بقلم السيد عبد الحميد الزهراوي

« يقول صاحبنا ان روحا أتاه وأوحى اليه ماأوحى ، ولا شيء من هذا ببعيد عن العقل اذا تأدب العقل ووقف أمام بحر القدرة الازلية الابدية وقفة العارف أن هذا بحر لا حد له ، ويقول انه أمر بتبليغ الناس هذا الوحي وما سيتلوه»

قالوا:

« ان هذه الدعوى عظيمة فان كان ماادعاه حقا كان من العار العظيم والضرر الكبير أن نرد هدية ربنا عز وجل الذي اهدى الينا العقل من قبل وهو يعزز اليوم تلك الهدية بهدية أخرى ربما كانت من نوعها وربما كانت من نوع أعلى وهل يرد حامل العقل مثل هذه الهدية بعد أن يذيقه العقل طعم الرشد والمعرفة ويأتيه بروائح مايهب الفاطر جل وعلا من صنوف المعارف ، وان كان ماادعاه غير حق فان حبله سيكون قصيراً لان لدينا عقولا ولا يضرنا حينئذ ظهور أمره »

وقال نفر:

« لماذا يدعي الصادق الامين هذه الدعوى ان لم تكن صحيحة ، هل فقد عقله ؟ كلا فانا لانزال نرى صحته واعتداله على أتمها ، هل تغيرت أخلاقه؟ كلا فان من الاخلاق مارسخ مع كثرة الاعوام وقل ان يثيض الصادق مائنا . كلا بل الامر جد ، والدعوى صدق ، وان لهذا الامر لناصراً من قوة ساقته بعد أن عاش أربعين سنة - الى الاتيان بهذا الامر الغريب الصعب عليه ، وان الايمان بقدرة الله تعالى ليدعونا الى اجابة هذا الداعي من لدنه ، وان الاخلاص ليدفعنا الى اعلاء الكلمة التي نزلت الينا فضلا من ربنا ورحمة ، انا به مؤمنون ! »

كان في مقدمة هذا النفر أبو بكر ذلك الرجل الذي لم يعرف الى ذلك الوقت بعيب عند قومه وليت شعري لماذا تجول الظنون وتحوم في تلمس الاسباب لايمان أمثال هؤلاء الافاضل مع اتفاق العقلاء على أن الذي رسمنا صورته من تفكراتهم هو المطابق لحكمة المتدلين

القائل ان «خديجة» انما آمنت ببعلها لانه بعلها هو في سعة من ظنه هذا اذا شاء . ولكن بما مهدناه من المثل بايمان أبي بكر تمنى أن يكون اقتنع بمعرفة أن طريقة ايمان «خديجة» كانت أعلى مما يظن

ان الذي آمن به أبو بكر ثم مئات ثم ألوف غيره لايجوز للعاقل المنصف ان يحرم زوجته العاقلة من شرف الطريقة التي آمن بها هؤلاء الافراد ثم الجماعات

ان ظنون الناس تكون على حسب أخلاقهم وطباعهم وتصوراتهم فالذين يصرون على ادعاء أن السيدة «خديجة» لم تؤمن بهذا الروح الجديد الا لان صاحبه هو بعلها هم إما جامدون في معرفة الاخلاق البشرية على شيء يستعيذ العاقل بالله من تفاهته وهو القسم الرديء منها، وإما هم مجبولون على العناد واما هم مستعظمون لتصديق الانسان بالامور العظيمة من غير أدلة وآيات

نحن لانسوغ لانفسنا أن نعيب أحدا ممن كان حظهم قليلا من علم اخلاق الناس ولا ندعي أنا نستطيع بالكلمات القليلة التي نقولها الآن بمساعدة واذن من الصدد أن نودع في أفكارهم علما جديدا واسعا ولكنا نستطيع أن نذكرهم بان أخلاق الافراد ليست على شاكلة واحدة بل منها ماهو في أسفل السفل ومنها ماهو في أعلى العلى ، ومن الناس من يغلب عليهم من الصدق والاخلاص ما يملك قلوبهم ويجعلها بعيدة عن التصنع

والرياء ، ومن الارتياب بالامور التي ليست غريبة عن محيط القدرة والحكمة والعناية الازليات اذا حدث بها المعروفون عندهم بالصدق والامانة ، ويجعلها قريبة من كل مافيه تمجيد اسم الفاطر جل وعلا وتعظيم مظاهر أمره وسره . وبعد هذه التذكرة نستطيع أن نقول لهم ان سيدتنا هذه كانت من أهل هذا الخلق الجليل كما تشهد سيرتها . ومتى تزحزح هؤلاء عن مركزهم في علم الاخلاق سهل عليهم أن يشتركوا معنا في معرفة أنه ليس محكوما على «خديجة» بالحرمان من الايمان الصحيح المبني على أسباب صحيحة لا على كونه يطلها

وأما المجبولون على العناد ، والغرور والاعجاب ، فلا نتعبهم بسماع أقوالنا اذ ربما أتت ثقيلة عليهم ، ولا نتعب انفسنا بمخاطبتهم اذ قد تأتي علينا ثقيلة . فلهم دينهم فيما توقعهم فيه جبلتهم ولي ديني فيما يمشي معه قلبي

وبقيت لي كلمة مع الذي يستعظم تصديق الانسان بالامور العظيمة من غير أدلة وآيات كثيرة . إن هذا معذور في نظري والتفاهم بيني وبينه سهل لاني لا أطلب ان يترك ما بيده من النظريات بل أمشي معه في الحديث وهي في يده فنبلغ معه غاية حسنة تصلح ان تكون ملتقى لنا مها تشعبت حولها آراء اخرى لكل واحد منا

أنا أقول معك ياصاحبي ان الذي يطالبه غيره بالتصديق له أن يطالب هو بالأدلة والآيات ، ولكن اذا سمعت بمصدق ولم تسمع قصة طلبه للدليل والآية فلا تحكم بأنه آمن من غير دليل وآية الا اذا كنت تعرفه من قريب وتعرف أن بضاعته كلها تقليد الآباء والمعلمين

أنت تعرف أن أبا بكر وامثاله ممن صدقوا محمدا (صلى الله عليه وسلم)

لم يكن لهم آباء سبقوهم في تصديقه ، ولا معلمون حملوهم على تأييده ، وتعرف انهم كان لهم حلوم راقية رائقة ، وألباب زكية فائقة ، فهل تظن أنهم صدقوه بغير آيات بينات ، وأدلة ساطعات ؟

المشارب في الاستدلال مختلفة وأخشى ان يكون مشربك فيه كشرب الذين لا يعدون الآية الا الامر الخارق للعادة ولذا رأيت أن لا أودع هذا المقام من غير أن أحادثك بالآيات والخوارق بعد ان اسلفت طريقة « خديجة » على النحو الذي تعلم كيف يمكن أن يكون ايمان كل مؤمن بمحمد (عليه الصلاة والسلام)

اذا وقع شيء خارق للعادة لا يستطيع احد حينئذ أن ينكر انها آية عظمى ولكن ماهي العادة وهل يمكن أن تخرق (أي تخالف) وهل وقع شيء من هذا ؟

يعنون بالعادة عادة الاشياء وطبيعتها ويعبر بعضهم عنها بسنة الله تعالى في الكوائن . والذين بحثوا في امكان خرق العادة لم يفرقوا بين شيء وشيء بل جعلوا الكلام في هذا الموضوع على اطلاقه ومن هنا اشتد خلافهم . والذاهبون الى وقوع الخوارق لم يذكروا في الامثلة التي أوردوها من صور هذه الخوارق الا شيئا يسيرا جدا لا يصلح ان يلتفت اليه خصومهم فضلا عن أن تكون به قناعتهم

ان الله عز وجل سننا في كل موجود ، أو نقول ان لكل موجود عادة وطبيعة ، والشمس مثلا من جملة الموجودات فهل يقول الذين يتعصبون بالخوارق يمكن أن تصير هذه الشمس برغوثا وتبقى هذه الارض على حالها ويظل الناس فيها ناسا يبصر بعضهم بعضا بغير نور ويحيون هذه الحياة عينها متمتعين بحدائق وفواكه ، ولحوم وشحوم ، ومياه جارية ، وأزهار

زاوية ، وصيف وشتاء وربيع وخريف ... الى آخره ... الى آخره ؟؟

أنا لا أعرف ماذا يقولون ولكني مع ايماني كايمانهم أو أكثر بعظيم قدرة الله تعالى يجدونني اذا قالوا في هذه المسألة « نعم » مفارقا لهم وقائلا اذا تغيرت سنة الله سبحانه في الشمس فصارت هي برغوثا تتغير سنته في أيضا فأصير أنا غير انسان وغير باحث عن الخوارق

الذكي يفهم من هذا المثال أن بحث الخوارق المدون في كتب جميع الملل لا يقف أمام نفخة من روح الله الحكيم اذا اراد عز وجل اعلان الغيرة على حكمته وسننه ، ويفهم أيضا أن الدين الذي هو من أكبر هدايا العناية الازلية لا يتوقف عليها اذ لو توقف عليها وكان لا بد في ظهور صدق المأمور بتبليغه من ظهور خارقة لما تيسر تصديق أحد لان كل واحد حينئذ يخترع فيقترح صورة من الخوارق لسنن الله ، وناظم الكون سبحانه لم يشأ الى الآن نثره على مايهواه المقترحون

الاقتراحات لاحد لها ولا عد ولا نظام ، هذا يقترح مثلا ان تصير الشمس برغوثا ، وآخر يقترح ان يصير المشتري عصفوراً ، وآخر يقترح ان يكون المريخ (طرطوراً) وآخر يقترح ان يصير القمر قربا ، وآخر يقترح أن يكون عطارد عطاراً ، وآخر يقترح ان تكون الزهرة زهرة لا تذبل أبداً ، وآخر يقترح أن ينضب البحر كله وتظل الانهار جارية ، وآخر يقترح ان يصير البحر كله براً او البر كله بحرا والناس كلهم سمكات مؤمنات مصليات صائمات ، وآخر يقترح أن يكون التراب كله ذهبا ، وتنبت عليه اشجار التفاح والليمون والاعناب والزيتون ، وآخر يقترح ان يصير الوقت كله ليلا وتحبس الشمس في حجرة من حجرات الملوك ،

وآخر يقترح ان يصير الوقت كله نهارا ويذهب النوم الى الشجرات القائمة اليقظة ... الى آخره ... الى آخره ...

ثم ان مبدع منظومات الكون لم يشأ الى الآن تغيرها ولا نستطيع ان نقول انه يغيرها على حسب الاقتراحات لتأييد الرسل فامضى مباحثنا نامعشر البشر بانه هل يستطيع ذلك أم لا يستطيع بعد ايماننا بعدم تحدد قدرته وبعد سماعنا وحيه يرشدنا بهذا الكلام العالي « فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا »

بعد تقرير هذا اقول ان البشر لا يستطيعون أن يعرفوا كل سنن الله تعالى او كل عادات الاشياء وطبائعها بل لا يستطيعون ان يعرفوا جميع اسرار كائن من الكائنات وجميع طبائعه بالتمام ، ثم هم لا يعرفون ايضا مقدار عنايته عز وجل بالانسان وانه مازال يمده بصنوف الهدايات ، وأنه قد يشاء اعلان آية له لاظهار عنايته به فيريه شيئا مثلا على خلاف ما تعلمه من عادات بعض الاشياء التي لا يترتب على تخلف المعروف من عادتها تغير المنظومات ومن امثلة ذلك ان النار شأنها الاحراق وقد تقتضي سنته تعالى لاعلاء معارف الانسان وهدايته ان يريه النار غير محرقة لسبب تعلق القدرة باخفائه

ان مثل هذا يقع ونعده من جملة سنن الله تعالى لان من جملة سننه ابداع هذا الانسان واطلاعه على واسع القدرة ، وبديع الصنعة ، واحتجاب الحكمة ، واختصاص العناية

ومن هذا التفصيل يتبين للقارئ أنا مؤيدون للآيات لا منكرون لها . وقصارى ما نقول إن الدين لا يتوقف على الخوارق بقدر ما يقترح المقترحون ، ويظن الظانون ، ويخترع المخترعون ، وانما يؤيده الله تعالى بآيات تنشرح لها البصائر المستعدة ، ولا نقول ان هذه الآيات فيها

تحويل لسنة الله تعالى أو عادة الاشياء وطبائعها اذ لا تبديل لسنته سبحانه وانما فيها معونة ربانية نعرفها بآثارها

وربما كرهنا التعبير بالخوارق الذي اصطلح عليه المدونون وان كانت المناقشة على الالفاظ بغيضة الينا وبعيدة عن رأينا. ونحب التعبير بالآيات (كما عبر القرآن الحكيم) وبالله ما اكثر الآيات على أن ما أتى به هذا المختار هو فضل رباني وأمر روحاني

لقد أنبته الله نباتا حسنا ، وشمله بالعناية منذ كان في الصبا ثم الشباب وهو غير شائن ذلك الاهاب حتى دخل الكهولة وتاق الى التكمل وفي هذه السن بدأه بتحبيب العزلة وتفريغ الفكر من الصور الفواني ليشرق فيه الجلال الذي لا يفنى ثم أعلن لروحه روحا من لدنه كما منح هذا من قبله رجالا كثيرين من المصطفين كابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وعيسى ومن الآيات ان هذا الوحي صالح مصلح لنا ولم نجده طلب منا أن نعبده من دون الله وانما قال لنا انا عبد الله جئتكم ببلاغ من عنده انه وحده له الحكم ، وانه وحده اليه المرجع والمآب ، ولو قال لنا انا الحكم لوجدنا مقترحين عليه ان يجعلنا خالدين ، اذن لوجدناه عاجزا

الحمد لله لقد جاءنا هذا الرسول بآيات كثيرة لا نستطيع عدها : جاءنا بالعلوم وهو امي ، وجمع كلمة الشعوب وهو وحيد ، ورفع الله له من الذكر ما لم يرفع لمثله وجعل هديه باقيا ، وصوته عاليا ، وروح تأييده ساريا ، ولقد ليس اليوم بنا من عجب حين نسمع ايمانا أقرب الناس منه واعرفهم به بل نحن بخديجة وابي بكر مقتدون ، ولربنا على هذه العنايات والآيات شاكرون ، وبوحي الله لهذا المصطفى مؤمنون

فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

« الجمعة سلخ رجب ١٣٢٨ ـ ٥ اغسطس (آب) ١٢٨٦ ه ١٩١٠ م »

باب العقائد

بحث التحسين والتقبيح (*

احتجت المعتزلة بوجوه (الاول) ان استحقاق المدح على العدل والاحسان والذم على الظلم والعدوان ضروري والمنازع مباهت ولا يرتاب منصف آثر الحق على الخلق في صحة هذه الحجة وأما تسليم الخصم لها [(١)] ثم يقولون هو ليس محل النزاع انما محل النزاع بمعنى استحقاق المدح عاجلا والثواب آجلا الى آخره وقد عرفت غلطهم على المعتزلة وأنهم انما يقولون الثواب والعقاب من لوازم التكليف الذي هو أخص من الحسن والقبح وأعجب منه ذكرهم العاجل والآجل كما مضى ومن نازعنا في هذه التخطئة فهذه كتب المعتزلة والحمد لله فليأتنا بشيء من كتب أبي الحسين وغيره من المعتزلة أعني كتبهم المعتمدة لاممن أخذ النقل عن المعتزلة من كتب الاشاعرة وان كان من أتباعهم كصاحب

(١) ينظر أين جواب أما ؟ لعله سقط من الناسخ شيء هو الجواب وفيه ما يصلح لعطف «ثم يقولون» عليه . كأن يكون هكذا : وأما تسليم الخصم لها فلعل المنصفين يلتزمونه ثم يقولون هو ليس محل النزاع الخ ويمكن تصحيح الكلام بتقديرات أخرى فتأمل اه مصححه

*) تابع لما نشر في ص (٤٢٥ م ١٣)

الفصول بل كتبهم مشحونة بالتفصيل الذي اسلفناه وهو شاهد صدق على خطا هذا النقل . فان ابيت الاحتجاج[1] بما حكاه الدامغاني عن بعض الامامية وقد نوظر فانقطع ثم قال : الحجة اجماعنا ايتها العصابة الامامية . وانت فتقول الطريق الى رد ما قلت اتفاق هذه الجماعة من الاشاعرة أهل التحقيق قلنا نزاعنا ليس في التحقيق انما في صحة الرواية وهي تنبني على التحري وعدم المجازفة ولهذا ترى ابن الصلاح والنواوي وابن حجر العسقلاني وغيره ممن غلب عليهم علم الحديث لا يكادون يقيمون لهؤلاء المشار اليهم بالتحقيق هنا ميزانا لما كان صناعة أولئك عمدتها الرواية ثم ان الطريق الذي عرفنا به كون الاشاعرة ناقلين عن المعتزلة هو الطريق الذي عرفنا به كون المعتزلة قائلين بالمقالة فما ترى لو حضرك اشعري ومعتزلي وقال المعتزلي هذه مقالتي وقال له الاشعري بل مقالتك هذه على انها كنت تعتمد وارجع الى الحمصية وحكاية قراقوش لعمرو

أما من دفع هذه الضرورة وقال لا نعرف بين تعذيب زيد بأنواع العذاب ، والتلعب به باشنع مايستهجنه أولو الالباب ، وبين اكرامه بأنواع النعم وصرافق الارتفاق ، بل بين سب الله تعالى بعد معرفته بصفات الكمال وجلائل النعم ، وبين حمده وشكره على ذلك الجود والكرم ، وقال انما الفرق بين هذه الاشياء ونحوها بميل الطبع وصرون الانسان عليها التعارف عليها أو للتأديبات الشرعية او غير ذلك . فالجواب عن هذا أنا نفرق بين

---

(١) لعل الصواب إلا الاحتجاج اه مصححه

تلك الامور التي ذكرتم وبين كون الفعل يترتب عليه حسن المدح والذم فأنتم قد سلمتم لنا هذا الفرق وسميتم ماسميناه تحسينا وتقبيحا كمالا ونقصا وأما انكاركم بعد هذا الاقرار وقضاؤكم بان المدح والذم لا ينشئان عن فعل البتة وانما يمدح على الشيء ويذم لان الشارع أمرنا بذلك وما بين ذلك الفعل والمدح الذي رتبه عليه الشارع بالنظر الى ذاتيهما الا ما بين الضب والنون ولم يكن أمره أيضا المرجح بل بمحض الاختيار . ولو عكس وأمر بالعكوف على سبه وكفران نعمته وعبادة الشيطان وأوجب الكفر وحرم الايمان وقال أنا أحق باللعن والشيطان بالعبادة . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا لكان ذلك عندكم كنقيضه لا فرق بينهما فلعمري ما أنتم أحقاء بعد ذلك بالمناظرة ولا بمن يرتجى منه الانصاف ولا جئتم باقرب مما جاء به السوفسطائية ولا أدليتم بامتن مما أدلوا به وما نقول لمن أقر على نفسه بذلك الا قد قلب فؤادك وبصرك كما لم تؤمن بالحق أول مرة، ولم تبال اين يقع قدمك في نظرك أول خطوة، ولو سرنا معه على نمط الجدل لقلنا له قد ادعينا نحن واكثر الفرق كما عرفت انا ادركنا هذا المعنى المتنازع فيه بضرورة عقولنا وفرقنا بينه وبين تلك الامور التي لم يبلغ فهمك الى غيرها فنحن نصادقك على اعترافك على نفسك بالجهل بهذا الامر الذي هو الهدى كل الهدى فمن أين سنح لك الحكم علينا بعدم العلم بما ادعينا العلم به ضرورة حتى زعمت انا ظننا احد تلك الامور التي ذكرت أمراً آخر خارجا عنها وحكمك انما هو جهل مركب فانك في الحقيقة قد شككت في صحة عقولنا لما ادعينا العلم بما جهلت

وهبني قلت هذا الصبح ليل أيعمى المبصرون عن الضياء

***

(الحجة الثانية)

اذا لم يقبح من الله شيء جاز كذبه الصادق وتصديقه الكاذب فلا يعلم صدق نبي قط ولا يوثق بخبر من أخباره تعالى . واعترضها ابن الحاجب وقرره العضد ولنعتمد تقريره ليقوم مقام ما هو في معناه من ألفاظ غيره ولفظه « لا نسلم امتناع اظهار المعجزة على يد الكاذب والكذب على الله تعالى امتناعا عقليا وان كنا نجزم بعدمه عادة لأنهما من الممكنات وقدرته شاملة ولو سلم امتناعه فلا نسلم ان انتفاء القبح العقلي يستلزم انتفاءه لجواز أن يمتنع لمدرك آخر أو لا يلزم من انتفاء دليل معين انتفاء العلم بالمدلول » والجواب (قوله) لا نسلم امتناع اظهار المعجزة على يد الكاذب والكذب على الله امتناعا عقليا (قلنا) انما يلزمكم سد باب النبوة وعدم الوثوق بالشرائع مع عدم التسليم (قوله) وان كنا نجزم بعدمه عادة (قلنا) أتريد أن التجربة أفادتك ان المعجزة لا تظهر الا على صادق وان الله تعالى لا يخبر الا بالصدق والسؤال وارد على نبوة كل نبي وعلى كل خبر من جهته تعالى ومن قد سلم لك امكان فرد على أصلك الفاسد؟! أم تريد أنه عند المعجزة وعند سماعنا بخبر من أخباره تعالى يخلق الله لنا علما إبتدائيا اجرى عادته بذلك؟! وحاصله ان العلم الحاصل لمن عرف المعجزة حاصل عندها لا بها فهذا قول بان المعجزة في نفسها لا دلالة لها على نبوة النبي والذي علمناه من نفوسنا أن

هذا العلم الضروري لم يحصل لنا انما عرفنا وجه الاعجاز وانه من فعل الله تعالى فقلنا هذا صدّقه الله تعالى ومن صدّقه الله تعالى فهو صادق كسائر الاستدلالات ولو اختلت احدى مقدمتي الدليل لبطل (فان قلت) نحن ننظر في المعجزة فيحصل العلم بخلق الله تعالى لنيرها من الادلة (قلنا) انما يكون حصول العلم بعد صحة كل من المقدمتين وهنا الكبرى غير صحيحة فان من صدقه الله فهو صادق لادليل على صحتها على أصلكم وهي وقولنا ومن صدقه الله فهو كاذب سواء . ويقال لهذا القائل متى تزعم ان الله يخلق هذا العلم الضروري؟ أبعد معرفة وجه دلالة المعجزة فهو لا يتم حتى تعرف أن من صدقه الله تعالى فهو صادق ؟ أم تزعم أنه من رآها اوسمعها حصل له هذا العلم ؟ فهذا معلوم كذبه ضرورة (ان قلت) خلقُ الله علما بصدق نبيه ممكن فمن أين لك القطع بعدمه (قلنا) كم ممكن نحن قاطعون بعدمه لا عن دليل كقطعنا بانه ليس في حضرتنا رجل له ألف رأس وقطع احدنا بانه لا يثبت جثمانه في الملإ الاعلى بان الله يقدر على قطع ما بيننا ؟ وان الجبل الذي رأيناه في اللحظة الاولى لم يتحول بعد خطيبا وغير ذلك من العلوم العادية حقا فهذا العلم الذي تدعونه نرده بالعلم الابتدائي

ولقد تجاسر من ادعى هذا العلم على أهل السموات والارض ولو قال احد قولا يحتمل الصدق والكذب وقال للمخاطبين : معكم علم قد خلقه الله لكم بصدق قولي لكان تكذيبه من أهون شيء ، مع استواء الامرين في الامكان فكيف بهذا الذي يدفعه كل عاقل . فان ادعيتم أن هذا العلم الضروري بصدق المعجزة وصدق الله تعالى لا عن دليل حاصل لنا بعد سماع لفظ الخبر ورؤية المعجزة أو سماعها من دون نظر وان دعوانا كذبكم مخالفة للضرورة

كان للسوفسطائية أن يردوا تكذيبنا لهم بذلك حين ادعوا أن لا علم عندهم ألبتة في أي شيء، فقلنا: هم بعد ادراكهم لماهية العلم وادراكهم لاتصافهم به منكرون للضرورة، فلهم على هذا أن يقولوا تكذيبكم لنا كذب الا انهم يدعون على الناس عدم العلم وانتم تدعون عليهم العلم فادعوا ما هو الاصل فكان دعواهم أقرب من دعواكم وكنتم اكثر منهم لجاجا، واقبح اهوجاجا، وادركتم ما كان فاتهم لانهم لا يمكنهم دعوى العلم الضروري لئلا يثبتوا العلم، فانقطعوا وانتم أثبتموه ثم صيرتم تدعونه على من خالفكم فيما ادعاكم فكنتم كمن قال، فادركتم ما فاتني واحال

وكنت فتى من جند ابليس فارتقى بي الحال حتى صار ابليس من جندي
فلو مات قبلي كنت ادركت بعده دقائق فكر ليس يدركها بعدي

(قوله) لانهما من الممكنات وقدرته شاملة (قلنا) مسلم والذي قصد خصمك وهو عدم وثوقك بالنبوة وصدق خبر الشارع مبني على ذلك (قوله) ولو سلم امتناعه فلا نسلم ان انتفاء القبح العقلي يستلزم انتفاءه بجواز ان يمتنع لمدرك آخر اذ لا يلزم من انتفاء دليل معين انتفاء العلم بالمدلول (قلنا) أما خصمك فقد كفاه هذا الدليل المبين وأما أنت فقد فاتك هذا الدليل على أصلك الفاسد فقال خصمك جوّز على الله تعالى الكذب وتصديق الكاذب ولم يقل فاقطع على تصديق الله تعالى الكاذب وعلى كذبه سبحانه في اخباره فجوابك بجواز دليل يدل على امتناع ذلك في حقه تعالى لا ينافي ما ألزمك من عدم الوثوق بالشريعة والذي يدفع الالزام هو وجود دليل لا جوازه

واعلم أن الدليل الذي يذكرونه هنا هو العادة وقد عرفت سقوطه

وقد يقول بعضهم هو صادق لذاته لانه متكلم لذاته وجوابه بعد تسليم الكلام القديم وتنوعه لئلا ينتشر البحث أنه لا فرق عندكم بين الصدق والكذب بالنظر الى الباري تعالى فلعله كاذب لذاته ويلزمكم أن تتعلق قدرته بالكذب بمعنى انه يقدر على أن يخبر بالشيء لا على ماهو به لان ما بالذات لا يتناقض كما انه لما كان قادرا لذاته أي قدرة واجبة لا يحتاج في ثبوتها الى غير ثبوت الذات لم يكن من الممكن أن يعجز . لا يقال قد علم من ضرورة دين الانبياء صلوات الله عليهم وصفه بأنه صادق أبدا لانا نقول صدقهم لا يمكن الجزم به مع بقاء هذا الاشكال فليتأمل هذا البحث فلم يجد المحققون فيه الا المغالطة والتلبيس انظر هذا المحقق الذي صار المحقق كالملوله كيف ألزم انه يجوز كذب الشرائع فقال يجوز أن يكون هناك دليل يدل على الصدق ، وهل لغير هذا المضيق يعد الدليل ؟ . ياهذا لا مخبأ بعد بوس ، ولا عطر بعد عروس ، ثم نقول هب ان هناك مدركاً هو مستندكم لكن هذه كتبكم قد طبقت البسيطة وقد بالغنا في التتبع لها فلم وجدناكم ذكرتم شيئا الا هذه الاعذار الباردة ، والمغالطات التي لا طمع في الاعتماد عليها والمساعدة ، وماهذه حال من تصدى لنصيحة الامة وزعم أنه كفاها مهم الملاحدة وكشف الغمة ، متى يدرك هذا المدرك الناظرون ، ويهتدي به الحائرون ، فانا قد شارفنا تمام الف عام والف شهر من موت نبينا صلى الله عليه وآله وسلم كأنكم أودعتم ذلك المدرك امام الامامية فلا يظهر الا بظهوره ، واستعملتم في تبيينه رموز الباطنية التي لا يبدونها الا لمن يثقون بغروره

وأعجب من هذا جواب الامام الرازي فانه قال في النهاية ما معناه

صدق النبي متوقف على مقدمتين (احداهما) ان المعجزة نازلة منزلة قول الله له صدقت (والثانية) أن من صدقه الله فهو صادق ، فنحن وان كنا لايمكننا القطع بالثانية الا مع القول بالتحسين والتقبيح العقليين لكن المعتزلة قطعوا بصحة الاولى مع انها خبر يحتمل الصدق والكذب ولم يضرهم ذلك فلم يضرنا القطع بالثانية مع الاحتمال انتهى ولم يحضرني الكتاب المذكور حتى انقل صورة لفظه فان تيسر لي ذلك ألحقته والاولى النظر استيعاب ذلك فان هذا الفعل على ريبة اولا بقول هذا القول مسلم كيف من هو من اعلام المسلمين اذ هو كالصريح ان الشرعة على غير يقين من صحة الشرائع سبحان الله العظيم . وما اظهر ركة قوله بان الاولى خبر يحتمل الصدق والكذب وما صدور مثل هذا القول عن مثله ينبغي أن يحمل ألبتة على ظاهره لوضوح قلة الانصاف فيه ثم ولان ظهور بطلانه يغنينا عن التصدي لجوابه اذ هذا البحث انما يخاطب به المتحري المحيط بتحقيق مذهب الفريقين المتحلي بالانصاف اذا وجد وقد سلك هذه الطريقة الجويني في الارشاد وحيث أورد على نفسه انه لامعنى للمطالبة الشرعية مع القول باستحالة اثر القدرة الحادثة لانه اختار في الكتاب المذكور انها مثل العلم سواء فاجاب بان المعتزلة يلزمهم على أصولهم كذا وكذا وعدد الزامات ولم يتعرض للحل اصلا وهو دأبه في المضايق في الكتاب المذكور فيقال له هب انه لزم المعتزلة ماذكرت فماذا يغني عن طالب الحق ان يعترف انك على باطل وتلطخ صاحبك بباطل آخر فانما غرضي معرفة الحق وكشف عوراتكم لايغني وطري

❁❁❁

﴿ الحجة الثالثة ﴾

لزوم إفحام الانبياء فيقول المرسل اليه الرسول يجب علي طاعتك أم لا فان كانت لا تجب استرحت وان كانت واجبة فبالعقل أم بالشرع؟ فعلى مذهبهم لابد أن يقول بالشرع فيقول لا يلزمني اجابتك حتى يثبت الشرع عندي ولم يثبت بعد لعدم معرفتي صدقك ومجرد الدعوى لا يكفي فكم ادّعى هذا الشأن كاذب وأنا لا ألزم نفسي تعرّف الشرع حتى يجب عليّ التعرف فقد تمانع الامران وأجابوا عن هذه الحجة أولا بالمعارضة للمعتزلة بأن وجوب النظر عندهم نظري فنقول لا انظر في صحة دعواك حتى يدرك عقلي وجوب النظر وليس ببديهي فلا يدركه حتى انظر (والجواب) انا نقطع أن من عرض له حيرة في شيء يخشى من اغفاله ضررا فانه يناله هم وغم يضرّ به فان أزال ذلك بتبين حقيقة الامر بالنظر أو بالاخذ بالاحوط حيث يتهيأ في بعض الصور وان كان الاخذ بالاحوط من نتائج النظر الا أنه ربما أمكن بأدنى تأمل فان العقول تقبل لومه وذمه لتركه ازالة ذلك الضرر وهو خاصية القبح كما مضى فكيف من خوّفه الرسول بخزي الدنيا والآخرة وعذابهما وفوت كل نعم وادراك كل ضرر لا يجد من نفسه مزحزحا للنظر بحيث يذم على اغفاله هذا سيما في هذه الصورة مكابرة ظاهرة فالنظر واجب يدرك وجوبه بادنى التفات بحيث يعد من الاوليات ويلحق بها وقد ضرب له الغزالي مثلا في بحث النظر نفسه

فقال ما معناه لو قيل لانسان : الاسد خلفك مقبل عليك وهو آخذك
ان لم تجد الهرب فاذا قال لا حامل لي على الهرب الا العلم بصدق خبرك
وانا لا اعلمه حتى ألتفت ولا ألزم نفسي الالتفات حتى يتحتم علي الالتفاف
قال فان هذا معدود من الحمق لا من العقلاء فعده اياه من الحمق واخراجه
عن زمرة العقلاء من دون تحاش يدل على ان هذه قضية يعلمها كل
عاقل بضرورة عقله وهو معنى الذم الذي قلنا هو خاصية القبح ومقابل
القبح الواجب وهذا منه قول بالوجوب والقبح العقليين وتجنب عبارة
الخصم أمر سهل لا يقع النزاع فيه بين المحصلين فقد وضح الفرق بين
الامرين وان هذا الاشكال غير وارد على المعتزلة

واجابوا ثانيا بالحل وحاصله ان وقوع النظر لا يتوقف على وجوبه وقالوا
أيضا وجوبه لا يتوقف على وقوعه أما الاول فلامكان وقوع النظر ممن يجب
عليه ، وأما الثاني فلان النظر واجب بالشرع نظر أو لم ينظر وهذا الجواب من
المغالطة بمكان ومن ترويجات العضد تخييله الفرق باعتراض الوجه الاول
وترك الثاني وهما من واد ، والجواب عن الاول ان امكان معرفة صدق
النبي لا يوجب اتباعه بل الموجب معرفة صدقه بالفعل وقد فرضنا امتناع
المرسل اليه عن تعرف ما لا يجب عليه تعرفه ولو قال النبي كما قلتم يمكنك
معرفة صدقي قبل العلم بوجوب المعرفة لكان من جوابه نعم ولكن ليس
لك الزامي بنفس الامكان اذ الممكنات كثيرة هذه أحدها فان ادعيت
لهذه الحادثة خصوصية يلزم بها الوجوب فهو اول المسألة ولا جواب
للرسول حينئذ وبهذا اعترضه العضد وغيره والجواب عن الثاني ان هذا
من تكليف الغافل الذي اتفقنا على امتناعه ودعوى الفرق بينهما بان

هذا يمكنه النظر وذاك لا يمكنه لا يكفي لأنا الآن فرغنا من بيان انه لم يقم حجة على المتمتع في النظر فهو معذور عن النظر واذا عذر لعدم الحجة فلا عقاب على ما المرء معذور عنه فلا يتحقق في حقه الوجوب الشرعي الذي ادعيتم إذ لا يجتمع وجوب الفعل والعذر عنه لأن المعذور لا يذم وتارك الواجب يذم والفرق المدعى خارج عن الجامع ومجرد ترويج ان يجمعهما عدم قيام الحجة والامكان في حق هذا دون ذلك لا يتم فارقا لخروجه عن محل النزاع ومثاله الفرق بين التكليف بالمحال لنفسه والمحال لغيره كالتكليف بالجمع بين النقيضين وتحمل الواحد منا جبل أحد الى مكة مثلا .

ولا يلتبس عليك هذا بالتكليف ايجاد ماعلم عدم وجوده فانه لا احالة فيه ألبتة فانه لو اخبر الصادق انك لا تقوم من مقعدك ريثما تتلو الفاتحة فانك تعلم تمكنك من القيام والبقاء على السواء كما كنت قبل خبره لكن خبر الصادق دل على وقوع أحد الجائزين فانه لا بد للجائز من أحدهما ولا دخل للعلم في تأثير احالة ولا امكان وكيف يؤثر التابع في المتبوع فليتأمل جدا . ومحل هذه مسألة الافعال فان ذكر والا فقد كفاك هذا أيها المدرك فليتأمل هذا طالب النجاة ، وليتخبط بتمامي التعصب من اتخذ الهه هواه ، أما قولهم في هذا المقام الوجوب عندنا ثابت بالشرع نظر أولم ينظر فمصادرة فان ذلك نتيجة البحث فكيف يجعل بعض مقدماته !

وحاصله انا نقول لو كان الوجوب بالشرع دون ان يدركه العقل لزم إفحام الانبياء فلا يقوم لهم حجة لا نسداد طريق الشرع بعدم النظر

ولا يمكن الزام النظر قبل ثبوت الشرع فلما لم يجدوا مخلصا عن افحام الانبياء رجعوا الى نفس الدعوى وقالوا الوجوب عندنا قد ثبت بالشرع قبل النظر فيمن يصل اليه فينظر أو لا ينظر فكأنهم قالوا عدم قيام الحجة للنبي لا يضرنا لان نفس الوجوب لا يتوقف على لزوم امتثال المكلف ذلك الواجب . اذا حققت هذي عرفت انه كلام فارغ فانه قد قال خصمهم سلمنا الوجوب كما تدعون لكن يلزم عليه افحام الرسل فكيف يقال الوجوب ثابت عندنا بالشرع نظر أو لم ينظر والمطلوب انما هو التخلص من افحام الانبياء لتقوم لهم الحجة على المكلف وليس النزاع في نفس ثبوت الوجوب اذ قد سلم تنزلا انما الكلام في لزوم عدم قيام حجة الانبياء فاعرف ان هذا الخبط من الاذكياء له شأن والله المستعان وأما حجج نفاة التحسين والتقبيح العقليين فالتعويل عليها أضعف من التعويل على نقض حجج المثبتين لهما كما سيتضح لك

﴿ الحجة الاولى ﴾

ما اعتمده ابن الحاجب في مختصر المنتهى وهي انه لو حسن الفعل وقبح لغير الطلب لم يكن تعلق الطلب لذاته والجواب ان هذا مبني على ان الطلب صفة ذاتية متميزة عن العلم والارادة وخصمكم ينكر ذلك كله ولم يتم لكم ذلك بدليل ناهض فهو بناء على غير أساس ومع تسليمه فالمتعلق (بالكسر) من حيث انه متعلق تابع لمتعلقه فلا يتحقق التعلق بدونه وذلك لا ينافي كون تعلقه لذاته كما قاله الجميع في العلم ولهذا اعترضه سعد الدين . وزبدة هذا وحاصله ان تعلق المتعلق بشيء وكان ذلك

الشيء ذا أوصاف متغايرات فالطلب تعلق بفعل له صفة الحسن مطلقا لا بمطلق الفعل ووضع هذه الحجة الساقطة مبني على نفي الحكمة بل على احالتها فليتأمل

***

(الحجة الثانية)

لو كان يثبت للفعل صفة الحسن والقبح لا باختيار مختار كما قالت المعتزلة والباري تعالى ليس الا مبينا لما ثبت في نفس الامر — لم يكن تعالى مختارا في الحكم بل يكون كالمفتي والقاضي يبين الحكم ثم يلزم أو يتوعد على عدم الامتثال وتوعد عليه بالثواب والعقاب (الجواب) ان أردتم انه ليس مختارا في جعل الحكم حكما فهو عين مذهب خصمكم وهو أول البحث كما مر توضيحه وان أردتم انه ليس بمختار في التبيين والالزام على معنى انه ليس له ان يخبر بحكم غير ثابت في نفس الامر ولا ان يلزم به فهو كذلك ايضا لان الاخبار لا بد ان يطابق والا كان كذبا وكذلك الالزام لا بد من وجه حامل عليه كما مضى تقريره وكل ذلك لا ينافي الاختيار وان اردتم انه يصير مضطرا الى التبيين حتى يكون بمنزلة الواجب غير المختار فلا وجه للزومه وهو ظاهر

وعلى الجملة فهذه الحجة بينة السقوط لان اللازم منها غير مذهب الخصم أو ما عدم لزومه بين . أما التشنيع بقولكم كالمفتي والقاضي فشيء يستخف به الجاهلون ولم يجئ بشيء بدع فان هذا شأن الماهيات كلها كماهية القديم والواجب والممكن والمستحيل والضد والنقيض والنفي والاثبات وسائر الماهيات فانها متقررة بخصوصياتها التي بها تمايزت وتقررت وعلمت

ولقد قرر الله سبحانه على من لم يفرق بين ماهيتين بالاستفهام والتعجب والانكار كقوله تعالى «قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون - أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون - أفمن يخلق كمن لا يخلق - أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار» الى غير ذلك وقال الله سبحانه «كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها» وقال تعالى «ان ربي على صراط مستقيم» وقال تعالى «قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن» وقال تعالى «والله لا يحب الفساد» وقال تعالى «ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي» وقال تعالى «ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله - ان الله لا يظلم الناس شيئا - ان الله لا يظلم مثقال ذرة - هل جزاء الاحسان الا الاحسان» الى غير ذلك من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم مما يدل على ان المنهيات والمأمورات متقررة كتقرر القديم والحادث والنفي والاثبات فمن قال لا فرق بين الاحسان والاساءة الا بحسب اعتبار الاعتراف وانه لا معنى للفاحشة مثلا الا ذلك المتعارف والامر والايمان سواء في الخلو عن الحكم وفي نظر الشارع وانما اتفق الامر باشياء والنهي عن اشياء لمجرد الاحسان لا لحامل ايضا فمن كان هذا شأنه فرافقه مافي انصافه مطمع لكن كثرة المقلدين للاشعري في هذه الهفوات الجأ المتدينين الى الاعذار معذرة الى ربنا وكفى به حكما

ثم أنا نبين الآن ان هذا الامر اعني كون الحكم غير واقف على اختيار مختار في كونه حكما لازما لزوما بينا على قواعد الاشاعرة وبيانه أن الحكم

عندهم خطاب الله والخطاب القولي الذي هو من صفات الفعل اتفاقا على وفق النفسي وعبارة عنه فقوله مثلا « أحل الله البيع وحرم الربا » لا بد أن يكون معنى حل البيع وحرمة الربا متضمنا له الكلام النفسي والنفسي غير مختار فيه وتعلقه لذاته كما هو شأن القديم وهم أيضا مصرحون بأن الحكم قديم والقديم غير مختار فيه اتفاقا والباري تعالى انما يبين لنا ماثبت في الازل ويلزمنا امتثال الجري على مقتضاه فالحكم اذاً ثابت بلا اختيار مختار اتفاقا ويتعين على هذا محل النزاع وينحصر في جهتين احداهما هل يعلل ثبوته ؟ الاشاعرة لا لقدمه؟ المعتزلة [١] نعم لامكان التعليل ثانيهما هل يدرك العقل مستقلا بعض جزئياته ؟ المعتزلة نعم . لامكان معرفة الموجب له وهو كون الفعل ظلماً مثلا واحسانا . الاشاعرة لا . لانه غيب محجوب وهذا التحقيق والالزام مع وضوحه لم أر من ذكره ولا مايقرب منه ولا زلت اسائل من أظنه أهلا لان يسأل فما كان مطمح نظري الا أن يفهموا السؤال ولم يكن واما لاستيقان واستقلال عقولهم بحقيقة الامر وشفاء السائل فمرام بعيد ، ومرمى حال دونه حجب التقليد ، فليتأمله من يحبي من المنصفين بعين الجد والانصاف [٢] فكل مبتكر عرضة لاجالة النظر ولا يمنعه الالتفات

---

(١) اي تقول المعتزلة في الجواب نعم الخ وسيأتي جواب الاشاعرة بعد السؤال الثاني اه مصححه

(٢) تأملناه فوجدناه حقا بل هو ماهدانا الله اليه قبل الاطلاع على هذا الكتاب بسنين ولنا كلام يدل عليه وللمصنف فضل التقدم بحسب علمنا فاننا لم نره لاحد من قبله . ومما يؤيد القرآن من السنة في هذه المسألة حديث الاعرابي الذي اسلم فأمر النبي (ص) ان يعلموه الصلاة فعلموه الفاتحة وسورة «اذا زلزلت» وارادوا أن يعلموه سورة أخرى فقال حسبي هذه حق أعمل بها (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن

لقولهم : ماترك الاول للآخر ؟ فانه يكفي في معارضة هذه اللفظة قولهم: كم ترك الاول للآخر ، ولله در ابن مالك حيث يقول اذا كانت العلوم منحا الهية ، ومواهب اختصاصية ، فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ، ماعسر على كثير من المتقدمين ، نعوذ بالله من حسد يسد باب الانصاف ، ويصد عن جميل الاوصاف ، انتهى

***

﴿ الحجة الثالثة ﴾

« السمعية »

وهي اشفها بحسب الظاهر وهي قوله تعالى « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » ووجه الاستدلال انه تعالى أخبر انه لا يعذب بدون بعثة الرسول ومن قال العقل مستقل لقيام الحجة يلزم على قوله أن يسوغ التعذيب (الجواب) أن هذه مصادرة على المطلوب [1] لان النزاع في جواز التعذيب لافي وقوعه وكم من جائز غير واقع وما قاله العضد وجرى عليه السعد وقلدهما الناس انه انما لزمتهم الحجة لمنع العفو عقلا عند المعتزلة فغلط على غلط لان هذه الحجة ذكرت لرد هذا المذهب وقد عرفت ان القائل به اعم من ذلك ولا ملازمة بينه وبين منع العفو عقلا والقائل بعدم العفو عقلا شرذمة من البغدادية وسائر أهل هذه المقالة قائلون بجواز العفو عقلا

يعمل مثقال ذرة شرا يره » فأمرهم النبي (ص) ان يتركوه وشهد له بأنه فقه في دينه وما كان فقهه الا العزم على ترك كل ما يعتقد انه شر وفعل كل ماقدر عليه مما يعتقد انه خير فاقره النبي (ص) على تحديد الخير والشر باجتهاده وعقله اه مصححه

(١) الاشبه مغالطة اه من هامش الاصل

وكثير منهم يقولون بجوازه سمعا ونحن منهم كما هو قول اكثر الامة والمحققين المنصفين غير المتعجرفين بل صريح الكتاب والسنة اللذين لا يعدل بهما ولا يعول على غيرهما ومن عجائب العضد والسعد انهما ذكرا هذا الكلام السابق فيما يختص الجبائية من الرد فكان غلطا على غلط وهذه مسألة خلاف بين المعتزلة والجبائية بل البصرية بأسرها يجوزون العفو عقلا والكعبي واتباعه يمنعونه فهي مما اشتهر فيه الخلاف بين أهل العصرين لكن مثل هذه الاشياء أصلها ماذكرت لك آنفا من عدم الاحاطة بمذهب الخصم لعدم صرف الهمة اليه ، فيجهله فيجهل عليه ، شنشنة من عدم الانصاف ، الذي هو أصل الخلاف ، فهذا شيء كثير جربناه في نقل الاشاعرة عن المعتزلة والعكس بحيث يمتنع المنصف من قبول احدهم على الآخر والغلط على المعتزلة أكثر منه في العكس جرب ان كنت تدعي انك صادق الهمة فليس شاهدا باسوأ التجربة

ثم هذه الآية الكريمة حجة على البغدادية في منعهم العفو عقلا وهذا مذهب ركيك قادهم اليه القول بوجوب اللطف مع القول بانه لا وجه للتعذيب سواه ، والمذاهب ثلاثتها كل منها أوهى من الآخر اعني مذاهب البغدادية المذكورة غير انه بقي لهم هنا عذر اذ لم ينصوا على خلافه وهم انهم انما عللوا الواقع من العذاب بانه انما وقع لانه لطف وكل لطف واجب فاذا جاء الشرع بعدم تعذيب أهل الفترات مثلا فلا يلزمهم القول بتعذيبهم فليتهم يحفظ هذا عذرا من الغلط عليهم وهو وجه وجيه يبعدهم عن التشنيع ، ان ادركه من علم الله سبحانه حسن الصنيع

لا يقال في الآية وجه آخر من الاحتجاج غير ما ذكروه وهو ان قولهم ما كنت فاعلا وما كنت لأفعل فحواه ان هذا الامر لا يلائم حالي ولا يليق بي كما قال تعالى « وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلو عليهم آياتنا » وهو بمعنى الاول ثم قال « وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون » وغير ذلك من الآيات وغيرها لا تجد الاستعمال الا هكذا ولذا يفسرها الزمخشري واضرابه من فحول العربية بقولهم أي ما صح وما استقام وليس بمستنكر ان يدل مجموع كلام على معنى لم يحصل للافراد مع تفرقها كما قالوا في قولهم كان يفعل كذا انه يفيد الاستمرار وقد قيل ذلك في يفعل على انفراده ومدلول الفعل المطابقي من حيث هو انما هو الحدث الذي من شأنه وحقيقته التقضي وقد قال السعد في موضع من حاشية الكشاف: واعتبارات البلغاء دلالة رابعة كما ان المادة طبيعة خامسة: هذا لفظه وقد مر لنا عليه هناك مناقشة وفي الكشاف بل في فن البيان كله شيء كثير من هذا فليختبر، فهذا تنبيه وهو معنى خصوصية التراكيب التي وضعوا لها في المعاني، ومن ذلك دلالة الاستثناء في جاءني القوم الازيدا فان افراد هذا التركيب لا يدل على عدم مجيء زيد لكن زعم بعضهم ان دفع فهم عدم مجيء زيد كدفع الضرورة وذكر ذلك في المطول فمع تمام ذلك يكون مما ذكرنا والله أعلم

واذا كان لا يليق بالحكيم ولا يلائم شأنه التعذيب قبل البعثة فهو معنى ان الحجة لا تقوم قبل الشرع اذ لو قامت حينئذ لكان التعذيب ملائما ثم رأيت الاسنوي قد أشار الى هذا الوجه في شرح المنهاج بعد ان

قلته نظرا فنقول لا يضرنا ذلك أما أولا فهي محتملة بقوة ان المراد عذاب الاستئصال بدليل السياق لان العذاب مطلق فهو مع القيدين على سواء أعني الدنيوي والأخروي والسياق معين لاحد القيدين وان عممنا فلا يضرنا أيضا لانا نقول انه قد يقال ذلك فيما يحافظ عليه أعم من ان يكون متحتما أو غير متحتم بقول ما كنت لأترك إخراج الزكاة وما كنت لاترك فضيلة صدقة النفل وحاصله تنزيل ما ليس بمحتم منزلة المتحتم بجامع العدم على المحافظة والآية من القسم الثاني جمعا بين الادلة فالباري تعالى لسعة رحمته وبالغ حكمته يقول ما كنت لا كتفي بمجرد حجة العقل حتى أردفها بحجة السمع ، مبالغة في الإعذار ، وقطعا لعلة المبطلين الاغمار ، كما قال تعالى « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون » وحكى عنهم هنا على فرض عدم الرسول الاعتلال بعدمه كما كان يعتل المبطلون بكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم قارئا كاتبا وليس ذلك من شرط النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا اسند الارتياب الى المبطلين وقال هنا « ولو أنا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك » وفي هذه الآية تصريحا دليل على ما نحن فيه لمن له فهم وذوق والله الموفق .

ونظير هذه المسألة ان المعتزلة قالوا لو كان الكافر لطف في المقدور ولم يفعله له لم تقم عليه الحجة سهل لهم اقتحام ذلك ما رأوا من مبالغة الله سبحانه وله الحمد بالالطاف وانواع الترغيب والترهيب وقد نقض ذلك سبحانه بقوله « قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين » واعتذارهم بمشيئة الاكراه ساقط اذ لا نسلم تسميته ذلك هداية لغة ولعلنا نتعرض لهذه

المسألة فنستوفي الكلام منها والا فهذا تنبيه كاف للمنصف

هذه الحجج الثلاث هي التي اعتمدها ابن الحاجب وشراح كتابه وغيرهما ركيك كقولهم يلزم ان يكون فعل العبد كالايمان مثلا أشرف من فعل الله تعالى كالشيطان وهذه هي الشبهة التي زعموا ان ضراراً رجع عن الاعتزال من اجلها ونظير هذه الحجة ماقاله المشركون للمسلمين انتم تحلون ماتقتلون وهو المذكاة وتحرمون مايقتله الله سبحانه وهو الميتة فانزل الله تعالى « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً، ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم ومايفترون، ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون، أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا »؟ وعزى هنا المحدث السيوطي في أسباب النزول الى الحاكم وأبي داود وغيرهما من حديث ابن عباس وأخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس قال لما نزلت « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه» ارسلت فارس الى قريش ان خاصموا محمداً فقولوا له ماتذبحه أنت بيدك بسكين فهو حلال وما ذبح الله بشمشار من ذهب يعني الميتة فهو حرام !؟ فنزلت هذه الآية « وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم » قال: الشياطين من فارس وأولياؤهم من قريش

أبو حامد الغزالي (*)

٨

« تكفير المقلدين له ورأيه في الردة والكفر »

الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى ، والاسلام ان تشهد أن لا آله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت الى ذلك سبيلا ، هكذا فسرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن صدق عليه هذا التفسير كان مؤمنا مسلما لا يخرجه من الاسلام الا تكذيبه لشيء مما جاء به الرسول (ص) من أمر الدين عالما انه جاء به غير متأول فيه . وما عدا ذلك من مخالفة احكام الدين بالقول او الفعل او الاعتقاد يعد خطأ وسببه الغالب الجهل ومن الجهل ما يعذر صاحبه فيه كجهل الدقائق والامور الخفية ومنها ما لا يعذر فيه الا اذا كان قريب العهد بالاسلام كتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق والقول على الله بغير علم ، والحساب على الله تعالى ،

وقد مضت سنة النبي (ص) وسيرة اصحابه (رض) بتحامي تكفير أحد ممن يظهر الاسلام ويصلي الى القبلة وان ظهرت عليه آيات النفاق وكانوا يعذرون من أخطأ في شيء من أمر دينه ويتلطفون في تعليمه وما زال امر المسلمين على هذه السنة حتى ظهر فيها الابتداع وصار لأهله فرق وشيع يدعون اليها ويناضلون دونها فكان منهم أن كفروا من يخالفونهم فيما انفردوا به وإن كان المخالفون هم السواد الأعظم الذين تلقوا الدين بالقول والعمل وحافظوا عليه قبل ظهور تلك البدعة . وقد كان من امر أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه أن قاتل الخوارج المبتدعين وصلى على

(*) تابع لما نشر في (ص ٤٣٣) من المجلد الثاني عشر

قتلاهم ولم يكفرهم ببدعتهم . فكان مما امتاز به أهل السنة والجماعة على أهل البدعة والفرقة أن اهل السنة لا يكفرون احدا من أهل القبلة لأنهم يجمعون الكلمة ويتقون التفرق في الدين لشدة نهي كتاب الله عنه ووعيده لمن يقترفه . ولم تكن السنة مذهبا ولا مذاهب لبعض المسلمين فيتعصبون لها على غير أهلها بل كان كبار العلماء كأئمة الفقه الأربعة وشيوخهم من السلف يعذرون كل من خالفهم في اجتهادهم ويصلون معه كما كان يفعل الصحابة (رض)

ثم حدثت المذاهب في الجماعة المنسوبة الى السنة فكانوا شيعا كل شيعة تنتمي الى امام من العلماء الذين كانوا على السنة وتتعصب لما نقل عنه وعن أتباعه وكل من انتسب اليه ثم تدرجوا من التعصب لما سموه مذهبهم الى تخطئة سواه من متبعي غيره من المذاهب المنسوبة الى علماء السنة مثل مذهبهم ثم الى التضليل ثم الى التكفير لهم وللعلماء المستقلين اذا خالفوا مذهبهم وهم مع هذا يعترفون بأنهم مقلدون وليس من شأن المقلد ان يبحث في تخطئة أحد لأنه تابع لغيره ولا علم له في نفسه وقد حدث من جراء هذه التعصبات فتن كثيرة سودت بها صحائف التاريخ

ان ظهور فتنة التكفير التي احدثها اهل البدعة في المنتسبين الى السنة جعل مصابها عاما في المسلمين حتى كانت السبب في وقوف حركة العلم دون بلوغ غايته المرجوة فيهم بل في رجوعه القهقرى لأن الاشتغال به صار محصورا في فهم كل جيل بعض كتب الأجيال التي قبله دون ان يكون له حكم مستقل في المسائل ومن لا يكون له حكم لا يكون له علم وهذا هو معنى ما نقل من اجماع سلفنا على ان المقلد لا يسمى عالما وعلى إطلاق أهل القرون الاولى لفظ العالم بمعنى المجتهد ولفظ الجاهل على المقلد وان فتل الكتب بحثا وفهما . وكيف لا يرجع العلم القهقرى اذا كان من أنعم الله عليهم بالقرائح الذكية والاذهان الوقادة لا يستطيعون ان يشكروا الله عليها باستعمالها في استنباط مسائل العلوم إما خوفا من تكفير الناس إياهم اذا هم جاءوهم بغير ما وقف جهلهم عنده واما لاعتقادهم أن ذلك من العبث لانه لا ينتفع به أحد ، وان هم استعملوا عقولهم والحال ما ذكرنا فانها لا تأخذ حظها من الاستقلال ، ولا تبلغ الغاية في حلبة السباق ، ومن تصباه جهل العامة فجعله عاشقا

مستهترا ، لا يجد له من غرامه مهربا ، تمتع به في خلواته ، وحجب محاسنه عن أصدقائه وعداته ، فان اضطر الى الكلام ، لاذ بالكنايات والاشارات والألغاز ،

أصبو الى الشرق ان كانت منازلها   في جانب الغرب خوف القيل والقال
أقول في الخد خال حين أنعتها   خوف الوشاة وما في الخد من خال

فمن تستنير عقول عامة المسلمين بمبادي العلوم التاريخية فتعلم أن أصحاب العمائم من المقلدين الجامدين ، قد اتخذوها عسكرا لمحاربة العلم والدين ، بتضليلهم وتكفيرهم للعلماء المستقلين المصلحين ، وأنهم بذلك مخالفون لهدي السنة التي كان عليها الائمة الذين يدعون اتباعهم والانتساب اليهم لأن أولئك الائمة متفقون على عدم تكفير أحد يشهد بواحدنية الله تعالى و بصدق رسوله محمد (ص) في جميع ما جاء به عن ربه عز وجل وان خالف في مباحثه ما هو المشهور عنهم بل وان خالف النصوص متأولا لا جاحدا ، وقد صرح بعض فقهائهم بناء على ذلك الأصل المجمع عليه عند السلف (عدم تكفير أحد من المسلمين) بأنه اذا وجد منه قول قوي بكفر احد وقول واحد ضعيف بايمانه فيجب ان يفتى بهذا القول ويحكم بايمانه

***

بعد هذا التمهيد أقول إن أبا حامد الغزالي رحمه الله تعالى كان من أصحاب تلك اللوذعية والفطانة التي لا يرضى من أوتيها بكفر نعمتها وعدم استعمالها ، وان بدعة التكفير كانت قد انتقلت في زمنه من المبتدعة الى المنتسبين الى السنة ، وانه جبن في أول عهده بالاستقلال في العلم عن إظهار ما خالف فيه اجتهاده ما عليه جمهور أهل عصره ثم اظهر بعض ذلك في الاحياء مع المداراة ، ونوع من المجاراة ، ثم قوي دينه وكمل يقينه فصرح في بعض كتبه المختصرة (كالقسطاس المستقيم) بما لم يصرح بمثله في الاحياء الذي ذم فيه التقليد في مواضع كثيرة وجرى فيه على تقليد الشافعي في أكثر الاحكام أو جميعها

هاج ذلك منه أصحاب العمائم ، وسكنة الاثواب العباعب ، وعجزوا عن مناظرته فجردوا عليه سلاح الجهل والابتداع ، ورموه بالكفر والالحاد ، كما يفعل أمثالهم وأضرابهم

الى الآن ، فلم يعبأ بجهلهم ، ولم يرجع الى باطلهم ، ولا سكت عن إنارة الاذهان ، بما وصل اليه من العلم والعرفان ، وهكذا كان المصلحون وهكذا يكونون ، الى ان تستنير العامة فتميز بين العلماء المستقلين ، و بين الادعياء الجاهلين ، فيعود للامة الاسلامية مجدها ، وتطلع بعد الافول شمس سعدها ، والعاقبة للمتقين ، ولتعلمن نبأه بعد حين ،

فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة

كتاب وجيز كتبه في هذه المسألة ابو حامد رحمه الله تعالى جوابا لمن بلغه تكفير بعض المتعصبين إياه ، قال في أوله بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله وآله واصحابه ما نصه

« أما بعد فاني رأيتك أيها الاخ المشفق ، والصديق المتعصب ، موغر الصدر منقسم الفكر ، لما قرع سمعك من طعن طائفة من الحسدة على بعض كتبنا المصنفة في أسرار معاملات الدين ، وزعمهم أن فيها ما يخالف مذهب الاصحاب المتقدمين ، وان العدول عن مذهب الاشعري ولو في قيد شبر كفر ، ومباينته ولو في شيء نزر ضلال وخسر ، فهون أيها الاخ المشفق المتعصب على نفسك ، لا تضيق به صدرك ، وفل من غربك قليلا ، « واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا » ، واستحقر من لا يحسد ولا يقذف ، واستصغر من بالكفر والضلال لا يعرف ، فأي داع أكمل وأعقل من سيد المرسلين ، (صلى الله عليه وسلم) وقد قالوا انه مجنون من المجانين ، وأي كلام أجل واصدق من كلام رب العالمين ، وقد قالوا انه أساطير الاولين ، و إياك ان تشتغل بخصامهم ، وتطمع في افحامهم ، فتطمع في غير مطمع ، وتصوت في غير مسمع ، أما سمعت ما قيل

كل العداوات قد ترجى مودتها   الا عداوة من عاداك من حسد

ولو كان فيه مطمع لاحد من الناس ، لما تلي على أجلهم رتبة آيات الياس ، أوما سمعت قوله تعالى (وإن كان كبر عليك إعراضهم فان استطعت أن تبتغي نفقا في الارض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين) وقوله تعالى (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ، لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) وقوله تعالى (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوا بأيديهم

فقال الذين كفروا إن هذا الا سحر مبين) وقوله تعالى (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون) اه

أقول يريد أبو حامد رحمه الله تعالى ان مثل هؤلاء الشيوخ الحاسدين المتعصبين على تقليدهم للاشعري كمثل أولئك المشركين لا في الشرك والكفر بل في الحسد والتعصب وجعل همهم كله في إهانة من حسدوه وإظهار انه على باطل وعدم توجيه أذهانهم الى فقه ماهو عليه والنظر في دليله بل توجيهها الى مكابرته أو تأويله وهكذا يفعل أشباههم في الحسد والتعصب اليوم : ندعوهم الى الكتاب والسنة ، ونطالبهم بالآية والحجة ، فيأبون الا التنابز بالالقاب ، والهجر والسباب ، ثم ذكر ابو حامد أن هؤلاء لم يبق فيهم استعداد لمعرفة الحق في الايمان والكفر وعلل ذلك بقوله « وانى تتجلى اسرار الملكوت لقوم الههم هواهم ، ومعبودهم سلاطينهم ، وقبلتهم دراهمهم ودنانيرهم ، وشريعتهم رعونتهم ، وارادتهم جاههم وشهواتهم ، وعبادتهم خدمتهم اغنياءهم ، وذكرهم وساوسهم ، وكنزهم سواسهم ، وفكرهم استنباط الحيل لما تقتضيه حشمتهم ، فهؤلاء من أين تتميز لهم ظلمة الكفر من ضياء الايمان » ؟؟ ثم ذكر أن جل بضاعتهم في العلم البحث في النجاسة ، وما أشبه ذلك مما لا يجلو بصيرة ، ولا يطهر سريرة ،

زلزال المقلدين وشأنهم

بعد تلك الفاتحة ذكر ابو حامد فصلا في حال المقلدين موجها الكلام الى مخاطبه قال : (فصل) فاما أنت اذا أردت ان تنتزع هذه الحسكة من صدرك ، وصدر من هو في حالك ، ممن لا تحركه غواية الحسود ، ولا تقيده عماية التقليد ، بل تعطشه الى الاستبصار لحزازة اشكال اثارها فكر وهيجها نظر ، فخاطب نفسك وصاحبك وطالبه بحد الكفر فان زعم ان حد الكفر ما يخالف مذهب الاشعري او مذهب المعتزلي او مذهب الحنبلي او غيرهم فاعلم انه غر بليد ، قد قيده التقليد ، فهو أعمى

من العميان ، فلا تضيع باصلاحه الزمان ، وناهيك حجة في افحامه ، مقابلة دعواه بدعوى خصومه ، اذ لايجد بين نفسه وبين سائر المقلدين المخالفين له فرقا وفصلا .
ولعل صاحبه يميل من بين سائر المذاهب الى الاشعري ، ويزعم ان مخالفته في كل ورد وصدر كفر من الكفر الجلي ، فاسأله من أين ثبت له ان الحق وقف عليه ؟ حتى قضى بكفر الباقلاني اذ خالفه في صفة البقاء لله تعالى وزعم أنه ليس هو وصفا لله تعالى زائدا على الذات ولم صار الباقلاني اولى بالكفر بمخالفته الاشعري من الاشعري بمخالفته الباقلاني ؟ ولم صار الحق وقفا على أحدهما دون الثاني؟ أكان ذلك لاجل السبق في الزمان ؟ فقد سبق الاشعري غيره من المعتزلة فليكن الحق للسابق عليه ! أم لاجل التفاوت في الفضل والعلم ؟ فبأي ميزان ومكيال قدر درجات الفضل حتى لاح له أن لا أفضل في الوجود من متبوعه ومقلده ؟ فان رخص للباقلاني في مخالفته فلم حجر على غيره ؟ وما الفرق بين الباقلاني والكرابيسي والقلانسي وغيرهم ؟ وما مدرك التخصيص بهذه الرخصة ؟ وان زعم ان خلاف الباقلاني يرجع الى لفظ لاتحقيق وراءه كما تعسف بتكلفه بعض المتعصبين زاعما انهما جميعا متوافقان على دوام الوجود والخلاف في أن ذلك يرجع الى الذات او الى وصف زائد عليه خلاف قريب لايوجب التشديد فما باله يشدد القول على المعتزلي في نفيه الصفات ، وهو معترف بأن الله تعالى عالم محيط بجميع المعلومات ، قادر على جميع الممكنات ، وانما يخالف الاشعري في أنه عالم وقادر بالذات او بصفة زائدة فما الفرق بين الخلافين ؟ وأي مطلب أجل وأخطر من صفات الحق سبحانه وتعالى في النظر في نفيها واثباتها ؟
فان قال انما أكفر المعتزلي لانه يزعم ان الذات الواحدة تصدر منها فائدة العلم والقدرة والحياة وهذه صفات مختلفة بالحد والحقيقة والحقائق المختلفة تستحيل ان توصف بالاتحاد او تقوم مقامها الذات الواحدة فما باله لا يستبعد من الاشعري قوله ان الكلام صفة زائدة قائمة بذات الله تعالى ومع كونه واحدا (؟) هو توراة وانجيل وزبور وقرآن وهو أمر ونهي وخبر واستخبار وهذه حقائق مختلفة وكيف لا وحد الخبر ما يتطرق اليه التصديق والتكذيب ولا يتطرق ذلك الى الامر والنهي فكيف

تكون حقيقة واحدة يتطرق اليها التصديق والتكذيب ولا يتطرق فيجتمع النفي والاثبات على شيء واحد فان تخبط في جواب هذا او عجز عن كشف الغطاء فيه فاعلم انه ليس من أهل النظر وانما هو مقلد وشرط المقلد ان يسكت ويسكت عنه لانه قاصر عن سلوك طريق الحجاج ولو كان أهلاً له كان مستتبعا تابعا واماما لا مأموما فان خاض المقلد في المحاجة فذلك منه فضول والمشتغل به صار كضارب في حديد بارد، وطالب لصلاح الفاسد، وهل يصلح العطار ما افسد الدهر، ولعلك ان انصفت علمت ان من جعل الحق وقفا على واحد من النظار بعينه فهو الى الكفر والتناقض اقرب. اما الكفر فلانه نزله منزلة النبي المعصوم من الزلل الذي لا يثبت الايمان الا بموافقته، ولا يلزم الكفر الا بمخالفته، وأما التناقض فهو ان كل واحد من النظار يوجب النظر وان لا ترى في ذلك الا ما رأيت وكل ما رأيته حجة وأي فرق بين من يقول قلدني في مجرد مذهبي وبين من يقول قلدني في مذهبي ودليلي جميعا وهل هذا الا التناقض » اه

أقول أيعتبر بهذا من يجلون في هذا العصر ابا حامد ويعبرون عنه بالامام وحجة الاسلام فيكفون عن الطعن في العلماء المستقلين الذين يدعون الامة الى البصيرة في دينها والاهتداء بكتاب الله وسنة رسوله (ص) ام يحملهم الحسد على الاصرار على الطعن فيهم وتنفير العامة منهم بذلك اللقب الممقوت عندهم (الاجتهاد) ويوهمونها ان دعاة الكتاب والسنة، يمنعونها من اتباع الائمة ، والصواب الذي يمنعها من ذلك اولئك المقلدون الجاهلون الذين لم يتبعوا الائمة في الاهتداء بالكتاب والسنة ولا قرءوا كتبهم وانما يريدون ان تكون العامة وراءهم متبعة لهم والمستقلون لا يدعون احدا الى اتباعهم وتقليدهم في شيء قط وانما يدعونهم الى الرجوع الى الاصل

حد الكفر وتعريفه

قال أبو حامد : (فصل) لعلك تشتهي ان تعرف حد الكفر بعد ان تتناقض عليك حدود اصناف المقلدين فاعلم ان شرح ذلك طويل ومدركه غامض ولكني اعطيك علامة صحيحة فتطردها وتعكسها لتتخذها مطمح نظرك وترعوي بسببها عن

تكفير الفرق وتطويل اللسان في اهل الاسلام وان اختلفت طرقهم ما داموا متمسكين بقول لا إله الا الله محمد رسول الله صادقين بها غير مناقضين لها فأقول :

الكفر هو تكذيب الرسول عليه السلام في شيء مما جاء به والايمان تصديقه في جميع ما جاء به — الى أن قال في اجمال التفريع على هذا التعريف — فكل كافر مكذب للرسول وكل مكذب فهو كافر فهذه هي العلامة المطردة المنعكسة

(فصل) اعلم ان الذي ذكرناه مع ظهوره تحته غور بل تحته كل الغور لأن كل فرقة تكفر مخالفها وتنسبه الى تكذيب الرسول عليه السلام فالحنبلي يكفر الاشعري زاعما انه كذّب الرسول في اثبات الفوق لله تعالى وفي الاستواء على العرش ، والاشعري يكفره زاعما انه مشبّه وكذب الرسول في انه ليس كمثله شيء ، والاشعري يكفر المعتزليّ زاعما انه كذب الرسول في جواز رؤية الله تعالى وفي اثبات العلم والقدرة والصفات له ، والمعتزلي يكفر الاشعري زاعما ان اثبات الصفات تكفير للقدماء وتكذيب للرسول في التوحيد ولا ينجيك من هذه الورطة الا ان تعرف حد التكذيب والتصديق وحقيقتهما فيه فينكشف لك غلوّ هذه الفرق واسرافها في تكفير بعضها بعضا

فأقول : التصديق انما يتطرق الى الخبر بل الى المخبر وحقيقته الاعتراف بوجود ما اخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن وجوده إلا ان للوجود خمس مراتب ولأجل الغفلة نسبت كل فرقة مخالفها الى التكذيب فان الوجود ذاتي وحسي وخيالي وعقلي وشبهي فمن اعترف بوجود ما اخبر الرسول عليه السلام عن وجوده بوجه من هذه الوجوه الخمسة فليس بمكذب على الاطلاق فلنشرح هذه الاصناف الخمسة ولنذكر امثالها في التأويلات :

اما الوجود الذاتي فهو الوجود الحقيقي الثابت خارج الحس والعقل ولكن يأخذ الحس والعقل عنه صورة فيسمى اخذه ادراكا وهذا كوجود السموات والارض والحيوان والنبات وهو ظاهر بل المعروف الذي لا يعرف الاكثرون للوجود معنى سواه

وأما الوجود الحسي فهو ما يتمثل في القوة الباصرة من العين مما لا وجود له خارج العين فيكون موجودا في الحس ويختص به الحاس ولا يشاركه غيره وذلك كما يشاهده النائم بل كما يشاهده المريض المتيقظ اذ قد تتمثل له صورة ولا وجود لها خارج حسه حتى يشاهدها كما يشاهد سائر الموجودات الخارجة عن حسه بل قد تتمثل للانبياء والأولياء في اليقظة والصحة صور جميلة محاكية لجواهر الملائكة وينتهي اليهم الوحي والالهام بواسطتها فيتلقون من أمر الغيب في اليقظة ما يتلقاه غيرهم في النوم وذلك لشدة صفاء باطنهم كما قال تعالى (فتمثل لها بشرا سويا) وكما أنه عليه السلام رأى جبريل كثيرا ولكن ما رآه في صورته الا مرتين وكان يراه في صور مختلفة يتمثل بها وكما يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وقد قال « من رآني في النوم فقد رآني حقا فان الشيطان لا يتمثل بي » ولا تكون رؤيته بمعنى انتقاله من روضة المدينة الى موضع النائم بل هي على سبيل وجوده في حس النائم فقط وسبب ذلك وسره طويل وقد شرحناه في بعض الكتب فان كنت لا تصدق به فصدق عينك فانك تأخذ قبسا من نار كأنه قطعة ثم تحركه بسرعة حركة مستقيمة فتراه خطا من نار وتحركه حركة مستديرة فتراه دائرة من نار والدائرة والخط مشاهدان وهما موجودان في حسك لا في الخارج عن حسك لأن الموجود في الخارج هي قطعة في كل حال وانما تصير خطا في اوقات متعاقبة فلا يكون الخط موجودا في حالة واحدة وهو ثابت في مشاهدتك في حالة واحدة

واما الوجود الخيالي فهو صورة هذه المحسوسات اذا غابت عن حسك فانك تقدر على ان تخترع في خيالك صورة فيل وفرس وان كنت مغمضا عينيك حتى كأنك تشاهده وهو موجود بكمال صورته في دماغك لا في الخارج

وأما الوجود العقلي فهو ان يكون للشيء روح وحقيقة ومعنى فيتلقى العقل مجرد معناه دون ان يثبت صورته في خيال أو حس أو خارج كاليد مثلا فان صورتها محسوسة ومتخيلة ولها معنى هو حقيقتها وهي القدرة على البطش والقدرة على البطش هي اليد العقلية وللقلم صورة ولكن حقيقته ما تنقش به العلوم وهذا يتلقاه العقل من غير ان يكون مقرونا بصورة قصب وخشب وغير ذلك من الصور الخيالية والحسية

واما الوجود الشبهي فهو أن لا يكون نفس الشيء موجودا لا بصورته ولا بحقيقته لا في الخارج ولا في الحس ولا في الخيال ولا في العقل ولكن يكون الموجود شيئا آخر يشبهه في خاصة من خواصه وصفة من صفاته وستفهم هذا إذا ذكرت لك مثاله في التأويلات فهذه مراتب وجود الاشياء

(فصل) اسمع الآن امثلة هذه الدرجات في التأويلات . أما الوجود الذاتي فلا يحتاج الى مثال وهو الذي يجري على الظاهر ولا يتأول وهو الوجود المطلق الحقيقي وذلك كاخبار الرسول صلى الله عليه وسلم عن العرش والكرسي والسموات السبع فانه يجري على ظاهره ولا يتأول اذ هذه اجسام موجودة في انفسها ادركت بالحس والخيال اولم تدرك

واما الوجود الحسي فأمثلته في التأويلات كثيرة واقنع منها بمثالين : احدهما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش املح فيذبح بين الجنة والنار » فان من قام عنده البرهان على ان الموت عرض او عدم عرض وأنّ قلب العرض جسما مستحيل غير مقدور ينزّل الخبر على ان اهل القيامة يشاهدون ذلك و يعتقدون انه الموت ويكون ذلك موجودا في حسهم لا في الخارج ويكون سببا لحصول اليقين باليأس من الموت بعد ذلك إذ المذبوح ميؤس منه ومن لم يقم عنده هذا البرهان فعساه يعتقد ان نفس الموت ينقلب كبشا في ذاته ويذبح

المثال الثاني قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « عرضت علي الجنة في عرض هذا الحائط » فمن قام عنده البرهان على ان الاجسام لا تتداخل وان الصغير لا يسع الكبير حمل ذلك على ان نفس الجنة لم تنقل الى الحائط لكن تمثل للحس صورتها في الحائط حتى كأنه يشاهدها ولا يمتنع ان يشاهد مثال شيء كبير في جرم صغير كما نشاهد السماء في مرآة صغيرة ويكون ذلك ابصارا مفارقا لمجرد تخيل صورة الجنة اذ تدرك التفرقة بين ان ترى صورة السماء في المرآة و بين ان تغمض عينيك فتدرك صورة السماء في المرآة على سبيل التخيل

واما الوجود الخيالي فمثاله قوله صلى الله عليه وسلم « كأني انظر الى يونس

ابن متى عليه عباءتان قطوانيتان يلبي وتجيبه الجبال والله تعالى يقول له لبيك يا يونس »
والظاهر ان هذا إنباء عن تمثيل الصورة في خياله اذ كان وجود هذه الحالة سابقا
على وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انعدم ذلك فلم يكن موجودا في الحالة
ولا يبعد ان يقال ايضا تمثل هذا في حسه حتى صار يشاهده كما يشاهد النائم الصور
ولكن قوله (كأني انظر) يشعر بأنه لم يكن حقيقة النظر بل كالنظر والغرض التفهيم
بالمثال لا عين هذه الصورة وعلى الجملة فكل ما يتمثل في محل الخيال فيتصور أن يتمثل
في محل الابصار فيكون ذلك مشاهدة وقل ما يتميز بالبرهان استحالة المشاهدة فيما
يتصور فيه التخيل

وأما الوجود العقلي فأمثلته كثيرة فاقنع منها بمثالين: أحدهما قوله صلى الله
عليه وسلم « آخر من يخرج من النار يعطى من الجنة عشرة امثال هذه الدنيا » فان
ظاهر هذا يشير الى انه عشرة أمثالها بالطول والعرض والمساحة وهو التفاوت الحسي
والخيالي ثم قد يتعجب فيقول إن الجنة في السماء كما دلت عليه ظواهر الاخبار فكيف
تتسع السماء لعشرة امثال الدنيا والسماء ايضا من الدنيا وقد يقطع المتأول هذا العجب
فيقول المراد به تفاوت عقلي لا حسي ولا خيالي كما يقول مثلا هذه الجوهرة أضعاف
الفرس أي في روح المالية ومعناها المدرك عقلا دون مساحتها المدركة بالحس والتخيل

المثال الثاني قوله صلى الله عليه وسلم « ان الله تعالى خمر طينة آدم بيده
اربعين صباحا » فقد أثبت لله تعالى يدا ومن قام عنده البرهان على استحالة يد
لله تعالى هي جارحة محسوسة أو متخيلة فانه يثبت لله سبحانه يدا روحانية عقلية أعني
انه يثبت معنى اليد وحقيقتها وروحها دون صورتها ان روح اليد ومعناها ما به يبطش
ويفعل ويعطي ويمنع والله تعالى يعطي ويمنع بواسطة ملائكته كما قال عليه السلام
« أول ما خلق الله العقل فقال — بك اعطي وبك أمنع — » ولا يمكن أن يكون
المراد بذلك العقل عرضا كما يعتقده المتكلمون إذ لا يمكن أن يكون العرض أول
مخلوق بل يكون عبارة عن ذات ملك من الملائكة يسمى عقلا من حيث يعقل
الاشياء بجوهره وذاته من غير حاجة الى تعلم وربما يسمى قلما باعتبار أنه تنقش به
حقائق العلوم في ألواح قلوب الانبياء والاولياء وسائر الملائكة وحيا وإلهاما فانه قد

ورد في حديث آخر أن « اول ماخلق الله تعالى القلم » فان لم يرجع ذلك الى العقل تناقض الحديثان ويجوز ان يكون لشيء واحد اسماء كثيرة باعتبارات مختلفة فيسمى عقلا باعتبار ذاته وملكا باعتبار نسبته الى الله تعالى في كونه واسطة بينه وبين الخلق وقلما باعتبار اضافته الى مايصدر منه من نقش العلوم بالالهام والوحي كما يسمى جبريل روحا باعتبار ذاته وامينا باعتبار ما أودع من الاسرار وذا مرة باعتبار قدرته وشديد القوى باعتبار كمال قوته ومكينا عند ذي العرش باعتبار قرب منزلته ومطاعا باعتبار كونه متبوعا في حق بعض الملائكة

وهذا القائل يكون قد اثبت قلما ويدا عقليا لا حسيا وخياليا وكذلك من ذهب الى ان اليد عبارة عن صفة لله تعالى إما القدرة أو غيرها كما اختلف فيه المتكلمون

وأما الوجود الشبهي فمثاله الغضب والشوق والفرح والصبر وغير ذلك مما ورد في حق الله تعالى فان الغضب مثلا حقيقته انه غليان دم القلب لارادة التشفي وهذا لاينفك عن نقصان وألم فمن قام عنده البرهان على استحالة ثبوت نفس الغضب لله تعالى ثبوتا ذاتيا وحسيا وخياليا وعقليا نزله على ثبوت صفة اخرى يصدر منها ما يصدر من الغضب كارادة العقاب والارادة لا تناسب الغضب في حقيقة ذاته ولكن في صفة من الصفات تقارنها وأثر من الآثار يصدر عنها وهو الايلام فهذه درجات التأويلات.

(فصل) اعلم ان كل من نزل قولا من أقوال صاحب الشرع على درجة من هذه الدرجات فهو من المصدقين وانما التكذيب ان ينفي جميع هذه المعاني ويزعم ان ماقاله لامعنى له وانما هو كذب محض وغرضه فيما قاله التلبيس اومصلحة الدنيا وذلك هو الكفر المحض والزندقة

ولا يلزم كفر المؤولين ماداموا يلازمون قانون التأويل كما سنشير اليه . وكيف يلزم الكفر بالتأويل وما من فريق من أهل الاسلام إلا وهو مضطر اليه فأبعد الناس عن التأويل احمد بن حنبل رحمة الله عليه

وأبعد التأويلات عن الحقيقة واقربها أن تجعل الكلام مجازا او استعارة

هو (؟) الوجود العقلي والوجود الشبهي والحنبلي مضطر إليه وقائل به فقد سمعت الثقاة من أئمة الحنابلة ببغداد يقولون ان احمد بن حنبل رحمه الله تعالى صرّح بتأويل ثلاثة احاديث فقط احدها قوله صلى الله عليه وسلم « الحجر الاسود يمين الله في الارض » والثاني قوله صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن » والثالث قوله صلى الله عليه وسلم « اني لاجد نفس الرحمن من قِبَل اليمن » فانظر الآن كيف اول هذا حيث قام البرهان عنده على استحالة ظاهره فيقول ـ اليمين تقبل في العادة تقربا الى صاحبها والحجر الاسود يقبل ايضا تقربا الى الله تعالى فهو مثل اليمين لا في ذاته ولا في صفات ذاته ولكن في عارض من عوارضه فسمي لذلك يمينا وهذا الوجود هو الذي سميناه الوجود الشبهي وهو ابعد وجوه التأويل

فانظر كيف اضطر اليه أبعد الناس عن التأويل وكذلك كاستحال عنده وجود الاصبعين لله تعالى حسا اذ من فتش عن صدره لم يشاهد فيه اصبعين فتأوله على روح الاصبعين وهي الاصبع العقلية الروحانية أعني ان روح الاصبع ما به يتيسر تقليب الاشياء وقلب الانسان بين لمة الملك ولمة الشيطان وبهما يقلب الله تعالى القلوب فكنى بالاصبعين عنهما وانما اقتصر احمد بن حنبل رضي الله عنه على تأويل هذه الاحاديث الثلاثة لانه لم تظهر عنده الاستحالة الا في هذا القدر لانه لم يكن ممعنا في النظر العقلي ولو امعن لظهر له ذلك في الاختصاص بجهة فوق وغيره مما لم يتأوله، والاشعري والمعتزلي لزيادة بحثهما تجاوزا الى تأويل ظواهر كثيرة وأقرب الناس الى الحنابلة في أمور الآخرة الاشعرية وفقهم الله فانهم قرروا فيها اكثر الظواهر الا يسيرا، والمعتزلة أشد منهم توغلا في التأويلات، وهم مع هذا ـ اعني الاشعرية ـ يضطرون ايضا الى تأويل أمور كما ذكرناه من قوله انه يؤتى بالموت في صورة كبش املح وكما ورد من وزن الاعمال بالميزان فان الاشعري أول وزن الاعمال فقال: توزن صحائف الاعمال ويخلق الله فيها اوزانا بقدر درجات الاعمال ـ وهذا رد الى الوجود الشبهي

البعيد فان الصحائف اجسام كتبت فيها رقوم تدل بالاصطلاح على اعمال هي اعراض فليس الموزون اذاً العمل بل محل نقش يدل بالاصطلاح على العمل، والمعتزلي تأول نفس الميزان وجعله كناية عن سبب به ينكشف لكل واحد مقدار عمله وهو ابعد عن التعسف في التأويل بوزن الصحائف وليس الغرض تصحيح احد التأويلين بل ان تعلم ان كل فريق وان بالغ في ملازمة الظواهر فهو مضطر الى التأويل إلا ان يجاوز الحد في الغباوة والتجاهل فيقول الحجر الاسود يمين تحقيقا، والموت وان كان عرضا فيستحيل فينقلب كبشا بطريق الانقلاب ، والاعمال وان كانت اعراضا وقد عدمت فتنتقل الى الميزان ويكون فيها اعراض هي الثقل ومن ينتهي الى هذا الحد من الجهل فقد انخلع من ربقة العقل ، اه

باب المقالات

التعاون والتخاذل (*)

نحن في زمن فاز فيه المتعاونون ، وهلك فيه المتخاذلون ، سعدت فيه أمم بأعمال الجماعات ، وشقيت امم باسرة الافراد ، فالامم فيه درجات بعضها فوق بعض فأعلاها ما كثرت فيه الجمعيات ، المتعاونة على الخير بقدر كثرة الخيرات ، ويليها ما قلت فيه الجمعيات فاتها من الخيرات والمنافع ما فضلها به مافوقها ، ويعبر عن هذه الامم بالامم الحية العزيزة ، والحياة والعزة فيها متفاوتة ـ أو مقولة بالتشكيك كما يقول المنطقيون ـ فلذلك يخاف ويرجو بعضها بعضا ، وأية أمة عاقلة تأمن سنة الله في تنازع البقاء ، وطمع الاقوياء في الضعفاء ؟

(*) نشرنا هذه المقالة واتي تليها بجريدة الحضارة التي تصدر في الاستانة

واما الامم الذليلة التي تقابل هذه الامم فهي في دركات متفاوتة ايضا ادناها منها في القسمة العقلية ما ليس فيها جماعات تتعاون على الخير ولا على الشر ، ولا يخذل بعض افرادها بعضا في الاعمال النافعة ، ويليها في السفل الامة التي يتخاذل افرادها في الخير فلا ينبري فيها احد لعمل نافع لها الا ويتصدى بعض الافراد لمناهضته وخذله . واما الامة التي تهدفي الدرك الاسفل فهي التي تتألف فيها الجماعات لتأييد الباطل وعمل المنكر ، ولخذلان الحق ومقاومة المعروف ،

لايخذل فرد من الافراد، ولا جماعة من الجماعات ، عملامن أعمال الخير لأمته مع الاعتراف بأنه خير ، وانما يخذلونه إدعاء انه شر ما او يشتمل على الشر أو يترتب عليه شيء من الشر ، ومنهم من يعتقد صحة ما يدعي لجهله كنه العمل او لان بغضه أو حسده للعامل يقلب صورة العمل في مخيلته ويلونه بغير لونه فهو ينظر الى ما في خياله ويحسب انه عين ما في الخارج ، ومنهم من يضل على علم ويتعمد الفرية والبهتان ، ارضاءلحسد،او حسد من يغريه بالمقاومة والخذلان ، أو اعتذاراعن الامتناع من المساعدة التي تنتظر من مثله ، وهو يبخل بها ولا يعترف ببخله ،

المحسود الذي يبغي بحسده ، والشحيح الذي يطيع شحه ، وصاحب الهوى الذي يتبع هواه بالباطل لا مطمع في اتقاء شرهم الا باصلاح نفوسهم او مقابلتهم بقوة لا قبل لهم بها فان كان الاول متعذرا على العامل فالثاني مما يتيسر له الا اذا فقدت الامة استعداد الخير وكانت في حكم سنن الله في عدد الهلكى . واما من يخذل العمل النافع لاعتقاده انه ضار فعلاجه سهل وطبه حاضر اذا كان مخلصا قيا سواء كان سبب اعتقاده الجهل المطلق ، او السخط الذي أراه العمل بغير صورته الحقيقية ، ولكن قد يعسر التمييز بينه وبين سيء النية ، او تجهل الطريق لايصال العلاج اليه

ليس بيني وبين معالجة المخلص الحسن النية الا ان يصل صوتي الى أذنه او يلقى كتابي بين عينيه ، فيقرأ او يسمع الحجة التي ادلي بها اليه ، وكأني به وقد زال عنه الغشاء ، وانكشف له الغطاء ، فاستبق باب المتاب ، واستغفر ربه وأناب ،

اقول له الخلاف بين البشر سنة غريزية فيهم لا مطمع في تبديلها فاذا جعلنا

الخلاف في الرأي والفهم سببا التنازع والتخاذل ، نكون سجلنا على انفسنا الفشل الدائم والهلاك البطيء او العاجل ، ولا يختلف الناس في شيء كاختلافهم في الامور الاجتماعية وما به تترقى الامم او تتدلى لان كل واحد يدعي العلم بذلك وان كان يقل في الناس ذو العلم الصحيح التفصيلي بمسائل الاجتماع البشري واصلاح احوال الامم ، يقل ذلك في الشعوب التي استبحر فيها العمران وارتقت علومه ، ويكون اندر من الكبريت الاحمر في سائر الشعوب ، فان وجد فيها كان مجهول القدر ، غير متمكن من كل ما يقدر عليه من النفع ، بل ربما كان علمه سبب بلائه ومحنته ، واضطره الى الهجرة من وطنه ، وكأين من نبي كريم ، وعليم حكيم ، وصوفي كبير ، وسياسي خبير ، كافأه قومه على ما تصدى له من إصلاحهم باهراق الدم ، او النفي من الارض ، او الضرب او السب ، ثم ظهر في حياته او بعد مماته انه كان هو المصيب وكل من ناوأه من المخطئين الخاطئين

اذا تذكر المخالف هذا ووعاه إنتقل به الى البحث في ضعفنا ، وحاجتنا الى دفع الخطر عن انفسنا ، وكون ذلك لا يتم لنا الا بالتعاون والتناصر ، مع ترك التخاذل والتدابر ، فان لم نفعل ذلك كان ما بقي لنا من القوة المسكة ممزقا ، وكنا نحن الممزقين

فاذا هو فقه هذا وتدبره أقول له اننا اقوام نجتمع في أمور ونتفرق في أمور ، فإذا نظر كل منا الى ما يخالفه فيه غيره دون ما يوافقه فيه وجعل ما به الخلاف قاضيا على ما به الوفاق تمزقت قوانا واذا نظر كل منا الى ما به الوفاق فعززه وقواه تتحد قوانا و يستفيد كل منا ويفيد

المختلفون منا في المذاهب متفقون في أصل الدين فلماذا يضع اهل كل مذهب مسائل الخلاف بينهم وبين اهل المذهب الآخر نصب أعينهم فيجعلونها سببا لاضعاف كل منهم للآخر ولا يجعلون ما به الوفاق من أصل الدين سببا لتقوية كل منهم للآخر وذلك لا يمنع كلا منهم ان يتفق مع من يوافقه في المذهب على أعمال أخرى تنفعهم ولا تضر غيرهم ،

لماذا يختصم السني والشيعي في بخارى مثلا ولا نفع لاحد منهما في اختصامهما وانما الخسار عليهما معا والربح كله للروسية السالبة لاستقلالها والمستعبدة لهما معا ،

ولماذا يتقاتل الزيدي وغير الزيدي في اليمن وهو مما يضعف كلا منهما ؟ ولماذا لا يتحدون فيما هم متفقون فيه كأصل الدين والوطن فيقوى كل منهما بقوة الآخر ويبقى حرًّا في مذهبه لا يجادله احد فيه الا بالتي هي أحسن فلا يعامل المسلم أخاه المسلم الذي يوافقه في الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر بشر مما أمره الله تعالى ان يعامل به أهل الكتاب الذين يخالفونه في الايمان بخاتم النبيين والمرسلين ، وما انزل عليه من الكتاب المبين ، فان استكبر مخالفته إياه في فهم بعض النصوص حتى فهم كلمة التوحيد فليعلم ان آفة المخطئ الجهل وانما يعالج مرض الجهل بالعلم والحلم دون العدوان والبغي ،

والمختلفون منا في الدين متفقون في أمور أخرى يقوى كل منهما بالارتباط مع الآخر بها كالوطن واللغة والجنسية السياسية فلا ينبغي ان يشتغل كل من المسلم والنصراني بمقاومة الآخر بما به الخلاف بل على كل منهما أن يشتغل بالتعاون مع الآخر بما به الوفاق ، فينهضان معا بعمارة البلاد وتنمية الثروة وكل ما يتم به تعزيز الدولة ، وهناء المعيشة ،

والمختلفون منا في اللغات متفقون في واحدة او اكثر من الجامعات العظيمة التي اشرنا اليها كالدين واللغة والوطن والجنسية فليعمل كل قوم في هذه الدولة مع كل من يشاركهم في جامعة ما لتقوية تلك الجامعة ناظرين دائما الى جهة الوفاق ، متسامحين فيما لاعدوان فيه من جهة الخلاف ، ومن يعب منهم أخاه او يخذله فيما يخالفه فيه من غير عدوان ولا بغي من ذلك المخالف فذلك إما غر مفتون ، وإما احد الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون ،

اذا كان من المصلحة العامة ان يكون الاقوام والجماعات احرارا فيما يخدمون به الجامعة الخاصة والجامعة العامة فمن المصلحة ايضا ان يكون الافراد احرارا فيما يخدمون به اللغة والوطن والدين والدولة ومن يكيد لأحد منهم ليحبط عمله فهو من المفسدين كالذين يكيدون لمدرس لكيلا يُنتفع بدرسه ، أو مؤلف ليصرفوا الناس عن تأليفه ، او لصاحب صحيفة ينشرها او خطبة يخطبها ، او مدرسة يؤسسها فينبذونهم بالالقاب ، ويصدون عنهم الناس ،

سيقول المحرفون ان في هذا القول منعا لحرية الانتقاد ، وابطالا لفريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كلا ثم كلا . ليس هذا من المنع لما ذكر وانما هو عين الانتقاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهكذا فليكن الانتقاد والامر والنهي : بيان لبطلان الباطل ولحقية الحق من غير تهييج للعصبية ، ولا إغراء بالاصرار على الخطية ، ألا وليحاسب انفسهم المغرورون الذين يدعون القيام بهذه الفريضة ، ثم يخذلون العاملين بالسعاية والغيبة ، ولا يوجهون اليهم الانتقاد فيما بينهم وبينهم ، وياعجبا لماذا يسكتون عن كثير من المنكرات المجمع عليها ، ويُعنون بتحمل الانكار في المسائل المجتهد فيها ، الا إن الحاسد المكابر لا علاج له ، يبدأ به حسده فيقتله ، ألا وان فيما قلناه مقنعا للمخلصين ، وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين .

***

نابتة المدارس والمكاتب (*)

أناخ الصيف بكلكله ، وضرب الحر بجرانه ، فانشأت المدارس والمكاتب توصد أبوابها ، وتنثر على البلاد أزاهر طلابها ، وتهدي اليهم جني جناتها فمن طلابها من يغادرها موقتا لزيارة الوطن ، وصلة الرحم ، ويعود اليها جم النشاط ، وافر الاغتباط ، ليتم المدة ، ويكمل العدة ، ومنهم من يودعها الوداع الاخير ، بقلب الحفيظ ولسان الشكور ، وهم المتخرجون الذين تم فصالهم ، وبلغوا في هذه المعاهد رشدهم ، وآن لهم ان يخدموا الملة والامة بالاستقلال ويطالبوا بالثبات في خدمتهم درجة الكمال ،

يرى الكثيرون من الناس ان الطالب الذي يغادر معهد العلم لاجل صلة الاهل ومودة القربى لا يطالب منه في مدة الصلة الا الراحة من نصب الدروس ، وترويض الجسم وترويح النفس ، بما يباح له من اللعب واللهو ، وان المتخرج قد استراح

(*) المدارس في عرف الاستانة معاهد العلم الديني القديمة وان قرئ فيها غيره والمكاتب معاهد العلم النظامية العصرية ، وكتبنا هذه المقالة في الاستانة فالكلام فيها موجه الى العثمانيين أولا وبالذات ففيها ماهو خاص بهم واكثر نصائحها عامة . وما ننشره هنا اصح مما نشر بجريدة الحضارة وفيه زيادة

من عهد التحصيل والتعلم ، ودخل في طور الاستقلال والتمتع ، فما عليه الا ان يهتم بجمع المال ، والتمتع بما يقدر عليه من الحلال ، ومنهم من لا يرى قيد الحلال ضروريا ولكنه ربما يشترط المحافظة على عرف الكبراء ، وعادات الاغنياء ، فما عرفوه من المنكرات كان عنده معروفا ، وما انكروه من الفضائل والخيرات كان عنده منكرا ،

لهذا كانت سيرة الكثيرين من طلاب العلوم والفنون سيئة في اعتقاد الامة ، وصورتهم المعنوية مشوهة في نظرها العقلي ، فهي تتهم نابتة العلوم الدنيوية بتهمة ، ونابتة العلوم الدينية بتهمة أخرى ، وقد يكون لكل من الفريقين انصار من الاهل والاصدقاء ، واصحاب الحاجات والخلطاء ، يعتزون بهم ، وينتفعون من الجاه بعصبيتهم ، فينصر أحدهم الآخر ظالما كان أو مظلوما ، ويؤيده لائما ومليما ، فيسري بذلك دود الفساد في جسم الامة حتى تكون من الهلكى ، ويتعارض الجاه بين رجال الدين ورجال الدنيا ، فيتصادم حزباهما ، ويقع الشقاق بينهما

أيها النابتة الجديدة ! قد آن لهذا التباين ان يزول ، قد آن للمتعلمين ان يتجردوا من الاهواء والحظوظ ، قد آن لهم ان يعلموا ان للعلم فائدة فوق فائدة الحرفة ، وثمرة اشرف من ثمرة الكسب والتجارة ، قد آن لهم أن يعلموا ان المدرس والحاكم (عامل الحكومة) والطبيب والمهندس ، ووكيل الدعوى ومحرر الجريدة منكم اذا لم يكن لهم غرض من علمهم الا الكسب الذي يعيشون به فلا فرق بينهم وبين الصائغ والحائك والحداد والنجار والحمال كل اولئك يعملون عملا لا بد للامة منه لاجل أن يعيشوا بثمرة عملهم ،

تذكروا ان لكم وراء الكسب بعلمكم وعملكم عملا تقدرون عليه ولا يقدر عليه غيركم ، ومقاما عاليا يسهل عليكم العروج اليه دون سواكم ، تذكروا انكم انتم المطالبون باخراج أمتكم من ظلمات الجهل الى نور العلم ، ورفعها من حضيض الفساد الى اوج الرشاد ، وانقاذها من مضيق الفقر والفاقة ، الى بحبوحة الغنى والثروة ، انتم المطالبون بذلك بمعرفتكم قيمة انفسكم ، وبحسن سيرتكم في خاصة انفسكم ، وبتعارفكم وتآلفكم وتعاونكم فيما بينكم ، وبهدايتكم وارشادكم لغيركم ، وعلى كل من الراحلين الى البلاد منكم واجبات ، أذكركم بها بهذه الكلمات :

ينبغي ان يوطن كل واحد منكم نفسه على خدمة الامة ورفع شأنها وان يراها

اهلا لذلك بما منحها الله من القوى اذا هو شكر الله عليها باستعمالها في ذلك؛ فمن يوطن نفسه على ذلك ويحملها على الاستعداد له تعل همته ، وتعظم مروءته ، وتتعلق آماله بمعالي الامور ويتنزه عن سفسافها، ومن لم يرج من نفسه الاصلاح كان جديرا بان لا يرجوه غيره منه ، وان لا يكون مصلحا بعلمه ولا عمله ، ومن لم يكرم نفسه لا يكرم

يشتبه على بعض الناس تكريم النفس وحملها على معالي الامور بالعجب والغرور ، والفرق بينهما كالفرق بين الظلمات والنور ، والظل والحرور ، فالاول يكون عالي الاخلاق حسن الاعمال مع التواضع والنزاهة والبراءة من التبجح والدعوى فهو قدوة حسنة في اخلاقه وآدابه واعماله ، وأما الثاني فهو يدعي ما ليس فيه ، ولا تهمه الا حظوظ نفسه ، ويحب ان يحمد بما لا يفعل ، ويحتقر العاملين ، ويغمط الحقوق ، فيكون قدوة سيئة في اخلاقه واقواله وافعاله

ان المعجب المغرور يرى نفسه في مرآته جميلا ولكنه في مرآة غيره دميم مشوه فهو لا يغش ولا يخدع الا نفسه الخبيثة ، واما عالي الهمة وكبير النفس فانه يراها دائما مقصرة لانه لا يعمل عملا الا وهو يرى ان الواجب عليه والمستطاع له اكثر منه واكمل ، ولا يحجبه عن اعتقاده هذا حمد الحامدين له ، ولا ثناء الراضين عن عمله ، المعجبين بعلمه وأدبه ، فاذا فطنتم أيها الاخوة لهذا الفرق فاجعلوه ميزانا لكم في محاسبة انفسكم لئلا تكونوا حسانا في مرآة انفسكم قباحا في مرآة غيركم .

ان من الناس من يكون استعداده لمعالي الامور والقيام بالمصالح العامة قويا ومنهم من يكون استعداده لذلك ضعيفا ، منهم من تحرك هذه الذكرى همته للعمل الذي يقوي الاستعداد ، ومنهم من لا يقيم لها وزنا ، ولا يفهم لها معنى ، فمن رأى انها هدته الى كنز ما كان يعرفه ، أو زادته شوقا الى شيء كان يحن اليه ويألفه ، فليحمد الله تعالى وليبشر بأن سيكون ممن ترتقي بهم أمتهم ، وتعتز بهم دولتهم ، وتعمر بهم بلادهم ، ومن رأى انها من لغو القول ، أو من قبيل تكليف المشي على الماء ، أو العروج الى السماء ، فليعلم انه خلق ليكون اجيرا يعمل ليأكل فلا يغشن نفسه بدعوى ما لم يخلق له

ألا وان العمل يقوي الاستعداد الضعيف فتى وضمتم هذا الغرض الشريف

(ترقية الامة) نصب اعينكم ووطنتم انفسكم على السعي له في طريقه والدخول عليه من بابه ، فانكم في كل يوم تزدادون فضيلة وهمة واقداما

ألا وان التخلية مقدمة على التحلية فينبغي ان تطالبوا أنفسكم بأن يرا كم قومكم في منصرفكم هذا اليوم خيرا مما فارقوكم عليه خلقا وادبا ورأيا وعملا وقولاً ، يجب ان لا يروا منكم ما ينكرون ، وأن لا يسمعوا منكم مايكرهون ، يجب ان يروا منكم العفة والنزاهة والتقوى والصدق والغيرة والحماسة والفتوة ، يجب ان لا تدعوا لهم مجالا للشك في دينكم ولا في اخلاصكم لامتكم ودولتكم ، فان ارتفعت همتكم الى ذلك فابشروا فان فوزكم فيما تريدون من ايقاظ الامة وعزة الدولة سيكون قريبا

لا تظنوا ان من كان فاقدا لشيء من تلك الفضائل ، او مبتلي بشيء من المعايب ، وتكلف اخفاء عيبه ، واظهار فضيلة ليست خلقا له ، يعد مرائيا منافقا ، فان الرياء والنفاق هو ان يصر المرء على عيبه ويرضى بالبقاء عليه ويحاول أن يوصف بضده ، او ان يعمل العمل امام الناس ليقولوا فلان عمل وهو لا يرغب في ذلك العمل ولا في ان يكون من أهله ، ولست في هذا ارغبكم بالرياء وانما ارغبكم في التكلف ، الذي هو طريق التخلق ، فالحلم بالتحلم ، كما ان العلم بالتعلم ، والترك داعية النسيان والهجر وسيلة السلوان ، على ان من يتكلف الخير رياء ، اقرب الى الخير والكمال ممن يعمل السوء جهارا ، وقد قالوا الرياء قنطرة الاخلاص

اراني أطلت عليكم في مسألة واحدة ما كنت اريد الاطالة فيها ، كيلا يفوتني القصد فيما يبنى عليها ، وهو ما ينبغي ان تحثوا الناس عليه ، وترغبوهم فيه ، واني اذكر منه مايخطر ببالي من المهمات

اول ما تعنون به الترغيب في العلم في المكاتب والمدارس الرسمية والدينية الاهلية على حسب الرغبة والميل وتيسر الاسباب

لا حديث كحديث العلم والتعليم يجب التوسع فيه ، والتبسط في ارجائه ومناحيه ، فبينوا للامة فوائد التعليم الاهلي الوطني واقنعوهم بان ترقي الامة لا يكون الا به ، ورغبوهم ايضا في مكاتب الحكومة ، وبينوا لهم كيف يتوقف ترقي الدولة على نابغي

المتخرجين في مكاتبها الملكية والعسكرية والعلمية والقضائية وكيف تتزاحم العناصر العثمانية فيها لان هذا العصر هو عصر المباراة بين العناصر

من فروع احاديث العلم او اصوله مسألة اللغة فبينوا للامة وجه الحاجة الى اتقانها لغتها ، وجعلها هي القطب لترقيها في نفسها، و بينوا لها وجه توقف ترقية الدولة على اتقان لغتيها : لغتها الرسمية المنسوبة الى مؤسسها وهي العثمانية، ولغتها الدينية من حيث هي اكبر دول الاسلام وهي العربية، التي تستمد منها الدولة علوم الدين والادب والقضاء

ويحسن الانتقال من الترغيب في التعليم العسكري الى الترغيب في الجندية نفسها ، حببوا هذه الخدمة الجليلة للامة ، بينوا لها الفرق العظيم بين الجندي البائس الحقير الجائع العاري الحافي في زمن عبد الحميد ، و بين الجندي العزيز الكريم الشبعان الكاسي الذي خصص له في ميزانية الحكومة الدستورية اكثر من اربعة آلاف قرش في السنة لبين كل من العرب والارنؤود لأهل بلادهم انه لا يليق بهم أن يكونوا أشد العناصر تقصيرا في هذه الخدمة الشريفة من حيث هم اجدر العناصر بالسبق اليها والتبريز فيها لما هم عليه من الشجاعة والحمية والاقدام

اخبروا أهل كل مدينة وكل قرية وكل حلة وكل دار تحلون فيها عن همة ابناء وطننا الارمن أنهم يمرنون جميع اولادهم في جميع مكاتبهم ومدارسهم على التعليم العسكري بلغتهم فسيكون جميع افراد هذا الجيل الجديد من الارمن جنودا سواء منهم الغني والفقير والرفيع والوضيع ، يقولون من دخل من أبنائنا في جندية الدولة كان متعلما متمرنا لا يلقى تحكما ولا اهانة بل يكون سابقا مقدما سريع الترقي ومن لم يدخل منهم لا يضره هذا التعليم الذي يروض بدنه ويعلي همته ويزيد نشاطه وقد يفيد في يوم ما ، فاذا رضي بعض قومكم بأن لا يكون للتعليم الاهلي عين في بلادهم ، ولا أثر بعد العلم بأن التعليم عام في الارمن شامل لجميع ذكرانهم و إناثهم ، فهل يرضون ايضا ان يسبقوهم في ميدان الشجاعة والاقدام ، كما سبقوهم في حلبة العلم والعرفان ، ان كانت قد مرضت عقولهم ولقست نفوسهم حتى رضوا بالاولى فهل خمدت حميتهم وتضاءلت شجاعتهم فيرضوا بالاخرى ؟ ؟ هذا ما لا يعترفون به ابدا بل لا يعترفون بالاول أيضا وانما يعتذرون عنها فطالبوهم بإزالة العذر بالقول والعمل .

من هذا الباب ادخلوا على قلوبهم ، من هذه النافذة أشرفوا على خفايا الغيرة من زوايا سرائرهم ، بهذا الاساليب من القول حركوا سواكن النجدة والحمية من نفوسهم ، ثم أفهموهم بأن الإحصاء الدقيق لنفوسهم هو الوسيلة الاولى من وسائل الخدمة العسكرية الشريفة ، وان للاحصاء فوائد اخرى اهمها تكثير عدد المبعوثين

على ذكر المبعوثين أقول اني اعلم انه لابد لكم من الخوض في أمر المبعوثين وأعلم ان كثيرا منكم يتلون او يغرقون في تنقدهم فأوصيكم في هذا المقام بثلاث (١) ان يكون جل كلامكم في ذلك علميا كبيان معنى الحكومة النيابية ، وما ينبغي ان يكون عليه النواب (المبعوثون) من العلم بالمصالح العامة ومن الصفات والاخلاق كاستقلال الرأي والاخلاص والشجاعة وحسن البيان وقوة المعارضة وما يترتب على ذلك من ترقية الامة وعمران بلادها ومن اصلاح حال الدولة ورفعة شأنها، فالبحث في هذا هو الذي يعد الامة الى حسن الاختيار في الانتخاب الآتي (٢) ان تذكروا المحسن من المبعوثين باحسانه والقائم بهمته لتعرف الامة قدره وتكرمه فيكون الشكر مدعاة المزيد من حسن خدمته والارتقاء فيها ، وما وجب شكر المحسن في الشرع وحسن في نظر العقل الا ليكون مدعاة المزيد من الاحسان، وليكون ذلك رافعا لهمة المستعد الخامل وشجاعة الجبان المتواكل ، — (٣) ان تنزهوا عن الطعن في الضعفاء العاجزين والذين رضوا أن يكونوا من غيرهم كقدح الراكب ، او صدى الناعب ، وحسبكم ان تكونوا ادباء نزهاء غير غاشين ولا مخادعين ، وان تتحاموا بذلك اخراج الاضغان ، وتأريث العداوة والبغضاء ، انظروا الى المحسن وكبروه واعلوا شأنه وغضوا ابصاركم عن القبيح وادفنوه بالإعراض عنه والاهمال له

ما وصلت الى هذا الرجا من ارجاء القول الا ورأيتني امام ميدان واسع لا يأذن لي ما بقي من المقال بالايجاف والايضاع فيه ، رأيتني امام مسألة مقاومة الجامدين والغافلين من الامة لاصلاح المصلحين وتنفير العامة عنهم ليحبط عملهم او يبطئ نمو فاخر ثمراته ، هذا مرض من اعضل امراض هذه الامة قد قوي في هذا العصر باختلاف طرق التربية واساليب التعلم وقد اشرنا الى هذا في أوائل المقال فعليكم أيها الشبان العقلاء ان تبحثوا في علاجه طريق التحصيل المتفقة في تمييز

الضروب المنتجة من الضروب العقيمة دون طريق الاسقاط ، عليكم ان تعظموا شأن الاصلاح والمصلحين ولا تذكروا خصومهم بسوء ، عليكم بيان الحق للامة في بيان وظهور زهق الباطل وان لم تحاربوا أهله جهارا ، عليكم ان تكبروا قيمة حرية الفكر واستقلال الرأي ، وان تدعوا المخالفين الى المناظرة الادبية بالكتاب ، دون السعاية والاغتياب ، والتنابز بالالقاب ، فمن اعرض عن ذلك ظهر عجزه ، وبطل كيده وسحره ، « فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين »

لا ترضوا بالتريع عما يزيد الشقاق في الامة بل وجهوا عنايتكم لتأليف بين العناصر المختلفة ، والاديان والمذاهب المتعددة ، اجمعوا ولا تفرقوا ، بشروا ولا تنفروا ، يسروا ولا تعسروا ، ان يد الله على الجماعة ، وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية ، بذلك يقوى استعداد الامة للاصلاح القريب ، والعاقبة للمتقين

عليكم أن تحثوا الامة على النشاط في الكسب ، رغبوها في ترقية الزراعة وفي الاستعانة على ذلك بتعلم طرقها الحديثة في مدارس الحكومة ، رغبوها في إحياء الصناعة الوطنية والاستزادة منها ، استعملوا المصنوعات الوطنية ورغبوا الاغنياء والحكام في استعمالها فان هذه هي الطريقة المثلى لرواجها ، رغبوا اهل الوطن في الاشتراك المالي في الزراعة والصناعة والتجارة فان هذا أقرب طرق الالفة والاتحاد

وأنصح طلاب العلوم الدينية بأن يترفعوا عن الظهور بمظهر الفاقة ، أو يرضوا لانفسهم بشيء من المهانة ، اذكرهم بأنهم أجدر الناس بعزة النفس وكرامتها ، والزهد فيما في أيديهم من حطامها ، فعليهم ان يكونوا قدوة في أخلاقهم وفضائلهم ، لتقبل اقوالهم في الحث على الفضيلة والتقوى ، علموا الناس السنة ، فروهم من البدعة ، فكل حديث في الدين بدعة سيئة ، واما الابتداع في أمور الدنيا فتعتريه الاحكام الخمسة ، ابنوا وعظكم دائما على آيات القرآن ، وأمزجوه بالاحاديث الصحيحة مع عزوها الى مخرجيها ، قاوموا دجل الدجالين ، واجمعوا بين مصالح الدنيا وحكمة الدين ، « ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين »

البهتان العظيم

كنت سامرا مع ناظر الداخلية بداره في اوائل المحرم فذكرنا سوء التفاهم بين العرب والترك فذكر أن عبيدالله افندي مبعوث آيدين سينشئ جريدة عربية في العاصمة لاجل هذه المسألة وفهمت منه ان ذلك برأي الحكومة ومساعدتها فقلت يخشى ان تزيد هذه الجريدة في سوء التفاهم فان مديرها مشهور بالتعصب على العرب فلا يثقون بقوله ولا بنيته فهلا اخترتم لهذا العمل غيره . قال الناظر انه يظهر لنا انه محب للعرب غال فيهم ولعلكم سمعتم ما ذكرتم عنه من بعض مناظريه من مبغضي العرب، فقلت لا وإنما انا أعرفه بنفسي فانه كان بمصر وكان يصرح في المحافل العامة بما يستنكره العرب وبأنه ينبغي للترك ان يستغنوا عن اللغة العربية حتى عن القرآن العربي بأن يترجموه بلغتهم وقد جرت بيني و بينه مناظرة في ذلك . قال الناظر اما الاستغناء عن القرآن العربي بترجمته فلا أوافقه عليها ولكنني أعرفه محبا للعرب

وفي ذلك الشهر نفسه اصدر عبيدالله افندي جريدته وكان من أمرها ماعرف الخاص والعام فقد قامت عليها قيامة الجرائد العربية في مصر وولايات سورية كلها وفي أمريكة تفضح مقاصد صاحبها وفي إلقاء الشقاق والبغضاء والتعصب الذميم الجنسي والديني بين العرب وشكوه الى الحكومة وطعنوا في الحكومة ولاسيا نظارة الداخلية لما شاع وذاع من مساعدتها له وصار يضرب باسمه المثل في التفريق والافساد بين جميع الناطقين بالضاد ، ونحمد الله أن جاء ماسعى اليه في جريدته من إثارة الفتن بين المسلمين والنصارى في بيروت وسائر البلاد السورية بضد ماسعى اليه فقد تمكنت الالفة والوحدة الوطنية بين الفريقين واتفقت جرائدهما على ذلك

من غرائب هذا الرجل انه يجمع في جريدته بين الاضداد والنقائض فيمدح الشيء ويذمه مطلقا ويثبت الشيء وينفيه كذلك ، ويحث على الامر وينفر عنه فاذا اعترض عليه في بعض ما يكتبه أمكنه أن يدعي لنفسه الطرف الآخر ويستدل عليه ببعض ما كتبه فهو في مشربه وحاله وعقله واخلاقه ليس اهلا لان يناظر أو

يجادل وانما اهتمت الجرائد العربية بشأنه لاعتقادها ان الحكومة هي التي دفعته الى هذا العمل ولاجل أن تتخذ فتنته ذريعة لجمع الكلمة بين أبناء الوطن العربي لمقاومة من اتفقوا على انه عدو لكل عربي

ومن غريب امره انه لا يستحي من مكابرة الحس، واعطاء الضد حكم الضد، فهو يصرح بأن العرب كلهم مسلمون وانه لا يعقل هو ولا أحد من الترك انه يوجد في العرب نصراني . ومثل هذا في المكابرة ما بهتني به ويالَه من بهتان عظيم قلما يوجد في المخلوقين بشكل الانسان من يرضى لنفسه التصريح بمثله وهو بهت الانسان جهرا في كتابة تطبع وتنشر بضد ما هو مشهور به وتحريف كلامه المعروف عندهم والاصرار على ذلك بعد انكار الجماهير عليه في الاقطار المتفرقة والبلاد الكثيرة

أحمد الله تعالى أن عرف لي كل من يعرفني اخلاصي في الدعوة الى الوفاق والاتحاد بين المتفرقين في الاديان والمذاهب والاجناس والمشارب ، فكم دعوت المسلمين الى الاتفاق مع من يعيش معهم في كل قطر ومملكة وكم دعوت العثمانيين خاصة الى الاتحاد وكم سعيت في هذه السبيل . ولما حدث ما حدث بعد الدستور من سوء التفاهم بين العرب والترك سعيت الى تلافي ذلك بالقول والكتابة والسعي عند أولي الامر في العاصمة لكن لم يظهر لي أحد من أولي الامر العناية بما سعيت اليه الا حسين حلمي باشا في وزارته ولكن سر به كثيرون من الفضلاء . وكنت نشرت عدة مقالات في ذلك بجرائد العاصمة التركية والعربية قبل ظهور جريدة الحضارة وعدة مقالات في هذه الجريدة

حدق عبدالله نظره في هذه المقالات ودقق النظر ليجد فيها عبارة تقبل التحريف بمراد ظاهر ليجعله تكأة له في هجوي وذمي والتنفير عني وعن مشروعي فلم يجد فعمد الى البهتان المبين فنقل من احدى مقالاتي في جريدة الحضارة جملة محكية عن ساسة أوربا الذين يريدون القضاء على هذه الدولة بتفريق عناصرها مع الرد على أولئك الساسة وتحذير العثمانيين من الاصغاء اليهم وحثهم بالبراهين على الاتحاد الذي فيه خيرهم اجمعين . فزعم أولا اني كتبت تلك العبارة عن لسان الاوربيين لاجل تفريق العثمانيين وانه لا يوجد في الاوربيين من يغرينا بالتفرق وانما هم يدعوننا

الى الوفاق !! ثم سكت مدة وصار ينقل تلك العبارة ويعزوها الي مباشرة وترجمها الى التركية غير مرة لينفر اخواني الترك مني ، ولم يخجل من ادعائه اني انا الذي أقول تلك الاقوال وأدعو العثمانيين الى التفرق والانفصال ، فمثله كمثل من يعمد الى مثل قوله تعالى « وقالوا إن هذا إلا إفك افتراه واعانه عليه قوم آخرون » الآية وقوله « وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا » فحذف من الآيتين لفظ « قالوا » وزعم ان القرآن يطعن في القرآن وفي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « سبحانك هذا بهتان عظيم » وقد روينا في الصحيحين والسنن ان النبي (ص) قال « انما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ماشئت »

أنكر علي عبيد الله أولا ان في الاوربيين من يرى في ترويج سياسته تفريق العثمانيين بعضهم من بعض ولا سيما الترك والعرب ، أنكر ذلك وهو يعرفه كما هي عادته وفي كلامه مايشعر به بل صرح به في العدد الاخير من جريدته الذي أعلن فيه إيقاف إصدارها الآن ولكن الغافلين من قرائها الذين ينسون عند قراءة كل عدد ما كتب في غيره بل عند كل جملة ماينافضها من الجمل قبلها قد يصدقونه فيا يأتي به ومن الاخلاق التي رسخت في هذه العاصمة وفي رجال هذه الحكومة خلق التسليم والتصديق بالشر والارتياب في الخير طبع هذا الخلق في نفوس الكثيرين منهم العهد الحميدي الذي لم يكن لهم فيه من شاغل الا الوسوسة والتجسس والاتهام بالشر

هذا وانا نحن الذين عشنا في شر أيام العهد الحميدي في مصر بعيدين عن استبداده وعن وساوسه أعرف بسياسته من الذين عاشوا فيه واعرف بسياسة أوربا أيضا وقد اشرت في مقالات (العرب والترك) الى بعض سعي الافرنج من استغلال العرب وعبيدالله يعرف شيئا من هذا ولكنه يتعمد كتم الحق واظهار الباطل لما له من الهوى في ذلك . ويمكنني ان انقل كلمة وجيزة في هذا الباب من الكتاب المسمى (الدول المعظمة امام الانقلاب العربي) الذي ألفه اوجين جونغ الذي كان واليا لفرنسا في الهند الصينية وهي قوله في ص ٢٢٨ ماترجمته :

«ان العناصر التي تتكون منها الدولة العثمانية وهي الالبان والمكدونيون في أوربا والروم في جزائر الارخبيل والارمن والاكراد والعرب في آسيا كلها اصبحت منذ

دون تحري طريق الانفصال من هذه الشجرة التي نخرها دود الفساد فلو نظرنا الى كل من هذه العناصر نجد العنصر التركي أدناها (ادونها) الا ان السبب الذي ساعده على استبقاء نيره على عاتق هذه العناصر الى اليوم انما هي معونة العنصر العربي له الذي هو في نفسه اكثر عددا من جميع تلك العناصر وفي جملتها العنصر التركي وما وفق الترك الى ضمان اخلاص العرب لهم وارتباطهم بهم على كونهم يظلمونهم كسائر العناصر الا باستنجادهم الديني لشعورهم الديني وجعل المصلحة التركية عين المصلحة الاسلامية

« فالعرب اليوم قد شعروا بوجودهم وصاروا يأنفون أن يخدعوا بعد ذلك وأن يحافظوا على سلاسل اسرهم وأغلال استعبادهم ـ فيكفي ان يمد العرب إمدادا قليلا حتى تتهدم الدولة العثمانية من نفسها كأنها قصر المين من ورق اللعب » اه

فهذه كلمة وجيزة من أحد الكتب الكثيرة التي ألفها الاوربيون لاغراء أوربا بفصل العرب من الترك واسقاط هذه الدولة لا سمح الله وقد صدق في قوله ان العرب مخلصون لهذه الدولة ولاخوتهم الترك وان سبب ذلك الاسلام وكذب ايهامه قومه انا تحولنا عن اخلاصنا . ولكن اذا بقيت جريدة عبيد الله تنفث سموم التفريق والافساد حتى أنست العرب ما كتبته اقدام وغيرها من قبل ولم تتدارك هذه الحكومة ذلك وسائر ما نصحنا لها بتداركه فلا يعلم الا الله مصير الامور . ونحن قد نصحنا قومنا ونصحنا حكومتنا كما امرنا نبينا (ص) بقوله « الدين النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم » رواه مسلم

(الاغلاط التي وقعت في الجزء السادس من هذا المجلد وصوابها)

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٠١	٩	غيره	غيرهم
٤٠٢	٥	من	في
«	٩	ومن قوله	و«من» في قوله
٤٠٤	٩	انه أسلم	انه اذا أسلم
٤٠٥	٢٣	غوضا	عوضا
٤٠٧	٨	الجنس	الجنسين
٤٠٩	١٦	وليس	ليس
٤١٦	٢٣	بينا	بينهما
٤١٩	١٣	عند الامم	كان معروفا عند الامم
٤٢٣	٧	الحيرة	الخيرة
٤٤٤	٣	الاذكياء بالجم الالباء	الاذكياء الالباء بالجم

الفصل الثالث والعشرون (*)

« اعلان الدعوة ، واحتمال الاذى ، والثبات »

لم تقف فضائل السيدة « خديجة » عند ما ذكرناه الى الآن من سيرتها بل هي كالينابيع الثرور لا تغيض . والآن يشرف القارئ معنا على مجلى من اعظم المجالي لفضائل هذه السيدة الجليلة . جاء الآن دور الثبات في سبيل الحق ، وهذا الثبات لا نجده في كل عصر الا في صحائف أفراد ندرتهم بين بني آدم أعظم من ندرة الياقوت بين الحجارة ، وكثرة فوائدهم أعظم من قطرات الغيث

لقد مر على بني آدم ألوف من الاعوام وفي كل عصر وجد منهم ألوف الالوف ومن كل هذا العدد العظيم لا نعرف مثة ثبتن في سبيل الحق مع شدة المعارضة ثبات « خديجة » أما ثبات بعلها الكريم فلا ينبغي أن نقيس به بعد ما قدمناه ثبات أحد فانا قد وصلنا في الفصول السابقة الى بيان أنه مؤيد أعظم تأييد ، وأنه سمع الوحي الإلهي آمرا اياه أن يقوم بأعباء الرسالة والتبليغ ، فأصبح الفرق بينه وبين غيره عظيما جدا منذ أتاه هذا الوحي . وعندنا معشر المؤمنين به أنه هو المختار الاعظم ، والمصطفى الاكبر ، فلذلك لا نرى ثباته في سبيل الحق يعادله أو يقاس به ثبات

ظل هذا المختار ثلاث سنين يدعو سرًّا ثم أمر أن يجهر بالامر فلم

(*) تابع لما نشر في (ص ٤٧٣ م ١٣) من سيرة السيدة خديجة بقلم السيد عبد الحميد الزهراوي

يجد الى جانبه زوجة تثبط وتخوف أو يضعف قلبها فتؤثر الراحة وطمأنينة البيت على النصب واحتمال الاذى بل وجد قرينة صالحة القلب للوقوف معه بالصبر والسكينة أمام المعارضين والمعارضات وما أشد ما كان أمام هذا الداعي الى غير ما عرف القوم وما أحوج هذه الحالة الى قلوب كلما كبر المائدون كبدا تقول « الله أكبر »!؟

الله أكبر ، كان المائدون افرادا وجماعات قد امتلكت الانفة والعزة قوسهم ، واجتذبت قلوبهم ، وامتصت من أخدتهم النداوة فأصبحت قسمات المدى ترعبها ، وحرارة الانذار تكاد تحرقها ،

قريش وما قريش !؟ قبيلة ترى لنفسها السبق بكل فضيلة والشرف على كل فضيلة ، لها انوف شامخة كأنها تطاول السماء ، وأعناق متلعة كأنها تصيد كل علياء ، تعلة كل قوم بالنعماء فتكثرهم ، وتفاخر من تشاء بالعظماء فتفخرهم ، مثلها بين القبائل كالشمس مكانة ، وكالروضة نضرة وحبيرا

هذه القبيلة التي حالها ما وصفنا من قوة الشكيمة وشدة الاباء ومزيد التعالي كانت قد أصيبت من الاقتداء بحضرته اذ كانت بعض العقائد التي صادفتها في موردها ومصدرها في البلاد المجاورة قد التصقت بعقولها حتى أصبحت ترى التصدي لاقتلاعها منها اعتداء على حقوقها ، وانتهاكا لحرماتها

هذه القبيلة كان لها من نور الذكاء ما يبهر الناظرين ولكن قد تراكمت على افكارها سحائب من آثار التقليد حالت بين ذكائها وبين الحقائق العالية حتى رأيناها تدرج مع البلهاء في مدرج واحد من تأليه صور ، ماء صماء بكماء جامدة قد صنعتها الايدي فقامت تحسب أن هذه الصور تغني وتنفع وتجلب وتدفع ، وتقرب الى الخالق الأعظم وتشفع ،

وراحت تعلن أن هذه الصور معبودة ، وتستحق شكرا وحمدا ، وظلت تصنع لها ما تصنع الامم لآلهتها من ذبح القرابين ، ونحر النذور ، وتوجه القلوب ، وإخبات الصدور ، وتعلق القلوب

ثم ساورت تلك العقائد قلوبها حتى صارت الانفس فيها لا تنبسط لشيء انبساطها لتمجيد تلك الآلهة ولا تنقبض لشيء انقباضها للطعن فيها أو التغض من تكريمها

هذه حال القوم الذين أمر هذا الرسول أن يقوم فيهم منذرا وداعيا الى معرفة الله تعالى وتوحيده ، وكانت قريش تعرف هذا الاسم الجليل الدال في هذه الامة على واجب الوجود موجد السموات والارض ولكن لم تكن تعرف ما ينبغي أن يكون عليه جلال الذي يعبر عنه بهذه الكلمة من الكمال والبعد عن مشابهة الحوادث ، وقد جرها الجهل بالله تعالى وسننه وآياته الى ما جر كثيرا من الامم اليه من جهل كثير من الحقائق . واني ما أشبه نتائج الجهل به عز وجل الا بسلسلة طويلة يستدرج بها ذلك الجاهل الى أسوإ النهايات اذا لم تتداركه الاسباب من عناية الرؤوف الرحيم جلت آلاؤه ، وتعالت أسماؤه

ولقد كاد حظ قريش من هذه السلسلة - سلسلة الجهل - يصل بها الى مستقر لا تفضلها فيه الرفعة على أمثالها ممن ضرب الجهل خيامه عند خيامهم ، ولا تجديها القوة اليسيرة التي كانت تجدها في اجتماعها . ذلك كاد الاتكال على الاصنام يمحي كل آثار الفطرة منها ، ويطمس كل رسوم الله كلها ، ويذهب بما تركه فيها من المحاسن بعض فضلاء الاسلاف قبل عهدهم بهذه الآلهة التي فتنوا بها . أصبحت لا تحي ما هو فضل الله وما هي

رحمة الله، وما هي عناية الله ، وغدت بعيدة عن معرفة ماهو الروح، وما هي خصائص الروح ، وما هي عبادة الروح للاحد المحيط بكل شيء ، وراحت معرضة عن العلم بعواقب الامم والساع دائرتها، وعن معرفة وظيفتها من تتميم ارادة الفاطر باظهار البدائع على يدها، وظهور آلائه وآثار عنايته عليها ، وأصبح قصارى ماجول بفكر الواحد من هؤلاء القوم أحد شيئين يشيلان في ميزان العقلاء : شيء يرضي به وهمه في التزلف الى تلك الحجارة التي اتخذها آلهة ، وشيء يرضي به وهمه في الكبرياء ، ولم يدر مغرورهم أن التزلف الى تلك الحجارة وأمثالها هو منتهى التسفل العقلي ، وأن تلك الكبرياء لاتجديهم شيئا اذا دهمهم داهم خارجي، كما وقع لهم يوم دأبرهة

هذه السلسلة الطويلة من نتائج الجهل بالله تعالى وسننه وآياته اصبحت قيدا لمداركهم قد أحكمت حلقاته فهم لا يستطيعون مادام موجودا أن يبرحوا ماهم فيه لان جاذبا منه يجذبهم من حيث لايرونه كلما تحركوا

هذه هي السلسلة التي اقتضت عناية البارى أن تظهر آية عظيمة في فصمها وتخليص تلك الفطر من قيدها ، واقتضت الحكمة البالغة والتدبير الاسمى أن يكون ذلك بواسطة من انفسهم ، وأن تجري الهداية على سنتها في الاولين فيلاقي الواسطة مايلاقي ، ويصبر مايصبر ، ويتم الله مايريد ، ولذلك لما قام هذا المصطفى يعلن هذه الدعوة : لقي تلك الصوادم وماتلك الصوادم الا جهل وغروره وكبرياء وعتو، وقسوة وفظاظة ، وتعصب للمألوف، ونفرة من الوعظ والنصح ، واباء أمام الانذار، وطغيان وبهتان وعدوان ، واقدام على قتل الذي يذكر آلهتهم بما يكرهون

أي قلب لولا التأييد الالهي يجد الى الصبر سبيلا أمام هذه الصوادم،

وأي ناصية لولا العون الرحماني تظهر لقاء هذه الصوادم ، وأي امرأة غير «خديجة » ترى بعلها في جوف هذه الغوائل ثم لاتزيده الا عدا على القيام بوظيفته وايناسا بوقوفها معه في وجه كل خصم ألدود

أوذي (عليه صلوات الله وتسليماته) بأنواع الاذى لما أسمعهم الدعوة تكاثر المفتاتون عليه والمفترون ، وظاهر سوادهم الجاحدون والمترفون ، من اقرب اقربائه ظهر الجافون المتباعدون عنه، والهازئون به والساخرون منه ، دع عنك البعداء ، ومن اكل قلبهم حسد أو بغضاء ، قال المفترون هو بطالب الملك علينا ، وقالوا عن الوحي الالهي هو شعر جاء به البناء وقد حشروا ماعرفوه من العيوب وأرادوا عزوها اليه لينفروا الناس منه وينقموا الآلهتهم التي بدههم بجحودها ، وكشف لهم عوارجودها، وأيسر مافعلوه سبهم اياه والهزء به والافتراء عليه ومجافاته ثم مجافاة من لم يجافه

فعلوا كل هذا وهو متدرع بالصبر ، مثابر على الصدع بالامر ، وفي هذا كانت معه هذه الدرجة الشريفة الفاضلة تعلم محبي الحق كيف يكون الصبر من أجله ، وتهدي الى الاجيال الآتية اجل صورة لثبات الجأش أمام الصعوبات

ويا ما أحلى الصبر اذا كانت عاقبته كعاقبة صبر هذا الرسول الكريم فقد كانت العقبى ذلك الفوز العظيم الذي يقل في الدنيا من لم يسمع خبره ولنم عقبى الصابرين

— خلاصة الدعوة —

أما الدعوة الشريفة التي أعلنها فهذه أصولها :

(١) العلم بأن لاشيء يستحق التأليه الا الله الخلاق العظيم الذي

لا يشبه الحوادث ولا يشبهه شيء منها

(٢) العلم بأن هذا البارئ المصور ذو عناية خاصة بالنوع الانساني ومن عنايته به اتحافه بصنوف الهدايات ومنها الهداية بواسطة وحي أعلى للرسل المصطفين

(٣) العلم بأن هذا الداعي الجديد الى الله هو رسول مصطفى قد أرسله الله بدين يدعو الى السعادة في هذه الحياة وحياة أخرى يوم الجزاء

(٤) العلم بان الايمان بهذا الرسول يقتضي الاذعان والتسليم الى كل ما جاء به

هذه أصول الدعوة التي كان مأمورا أن يبدأ بها الناس وهي ملخصة بهاتين الجملتين الشريفتين «لا إله الا الله محمد رسول الله» فمن قالهما مطمئنا بهما قلبه دخل تحت اللواء المحمود لواء المحمدية الذي يظل مئات الملايين في يومنا هذا

والرسالة المحمدية لم تكن لقريش ولا للعرب خاصة بل هي للناس كافة ولكن البدء بالعشيرة الاقربين كان هو الذي تقتضيه الحكمة حتى اذا أجابوا كانوا عونا للدعوة لا عونا عليها

الفصل الرابع والعشرون

﴿ بعد عشر سنين ﴾

بعد عشر سنين من عهد الرسالة كان المؤمنون قد كثروا واخذ العناد من الخصوم يزيد وجعل الحسد يلتهب في قلوبهم لهذا النجاح الذي كانوا يحسبونه محالا وكم يحسب أمثالهم مثل هذا الحسبان

كان الجاحدون في نار من ذلك الحسد ، والمؤمنون في جنة من الفرح بنعمة الله ورحمته ، كان الجاحدون يفكرون كيف يزهقون هذا الروح الجديد ، والمؤمنون ينتظرون من مولاهم اعلاء شأنه ، كان الجاحدون حيارى في هذا الداعي فطورا يسبونه وطورا يهزأون به ، وأحيانا يرجعون الى أنفسهم ويحاسبون حسهم وعقلهم فيه فيجدونه بعيدا عن الجنون وسائر الخلال التي كانوا يظنون ، وكان المؤمنون من يقينهم في حظ عظيم من الطمأنينة وانشراح الصدر وفرح الضمير . كان الجاحدون يرجعون الى تلك الحجارة فيشكون اليها المصلحين وما أتوه من مخالفة قومهم وتأييد ذلك الرجل الذي لا يذكر آلهتهم الا بسوء ، وكان المؤمنون يرجعون الى من لا تدركه الابصار متوجهة اليه وجوههم ، مسلمة اليه قلوبهم لا يتوكلون الا عليه ولا يأخذون الا بسننه . كان الجاحدون عكوفا حول تلك الاصنام الجامدة ، وكان المؤمنون يقولون سبحان الله سبحان الله عما يصفون ، تعالى الله علوا كبيرا . كان الجاحدون كثيري الغم والهم ، وكان المؤمنون مع شدة ما لاقوه من الاذى فرحين مستبشرين قد أبدل الله لهم مرارة الصبر حلاوة ، وذلة القلة عزة ،

وفي أواخر تلك السنين العشر الشداد كان على سرير الاحتضار شخص عزيز جدا عند المؤمنين ولم يشمت الجاحدين في تلك الايام شيء مثل مغادرة هذا الشخص لذلك العالم الاسلامي الذي نشأ وترعرع بينهم بالرغم منهم

كان في هذا الشخص العزيز روح ترفرف في هذا المحيط الصغير ، تارة ترفع البصر الى مقرها الاقدس عند المحيط الاعظم فتحاول الطيران اليه ، وتارة تلتفت الى هذا المحيط الذي أنست به فتظل مرفرفة عليه ، وجناحة

الى المكروف لديه ، وكان جاذب من قلوب هذا العالم الاسلامي يتمنى بقاءه ، وجاذب من امر الله وسنته يقضي بطيرانه ، وأمر الله أعلى واليه المصير

هل عرف القارئ من هذا المودع العزيز ذلك كان شبح سيدتنا « خديجة » فقف أيها القلم خاشعا ، لقد ماتت من تركت للفضائل حياة لا تفنى ، لقد انتهى هذا العمر الذي أمدك بهذه المواد السامية ، ولن تجد لك أيها القلم شرفا بعد هذه السيرة الا اذا سرت بنقل التاريخ المحمدي

*

سبحان رب الكون هذا حكمه	في الروح قد سيمت بهذا الواقع
مرآتها هذا الشخوص بها ترى	زمنا وترجع للمحيط الواسع

لقد سرت روح سيدتنا « خديجة » بهذه الدار فرأينا منها ما نقلناه للقارئ والآن هي لدى المحيط الواسع فهل تجلى اليوم على هذا العالم الذي مرت به وترى أن تلك الكلمة التي قاست في سبيلها مع بعلها الكريم ما قاست قد أعلاها الله تعالى وعظم شأنها ونصرها العرب وغير العرب وأصبحت برور الارض وبحورها مملوءة كل هذه العصور الى يومنا هذا بمن يقول من جميع اجناس البشر « لا اله الا الله محمد رسول الله »

وقد ولدت سيدتنا « خديجة » من زوجها الكريم بنين وبنات وبقيت لها من بنتها السيدة « فاطمة الزهراء » ذرية مباركة في أكثر أقاليم الارض والحمد لله ولكن هل تجلى اليوم تلك الروح الشريفة وترى أن كل المؤمنين يدعون اليوم أولادها . فالسلام عليك يا أم المؤمنين ، سلام الله ورحمته وتحياته على روحك الطاهرة يا أماه

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

﴿ السبت سلخ شعبان ١٣٢٨ – ٣ سبتمبر (ايلول) ١٢٨٦ ه ١٩١٠ م ﴾

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ محاربة المنار للتقليد ومذهبه ﴾

(س ٣٢) من صاحب التوقيع بسمبس (برنيو)

حضرة العلامة المفضال المعظم ، الفهامة الاستاذ الحكيم ، سيدي السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر شيد الله بوجوده منار الاسلام ، واهتدى بهديه الانام

وبعد اهداء كل تحية واحترام فلقد كان المنار منذ سنين حارب فيها التقليد والمقلدين ، ودعاهم الى الاهتداء بالسنة وكتاب رب العالمين ، وحسم بسيف الدليل والبرهان ألسنة المبتدعين ، ودعى توحيد المذاهب الاسلامية المختلفة طبقا للكتاب والسنة

النبوية ، إن ذلك لحق . ولكن رأيت في ذلك داء يجب تداركه بالعلاج حيث توهم كثير من الناس ان صاحب المنار لم يتمسك بمذهب من مذاهب الائمة الأربعة (رضوان الله عليهم) بل هو مستقل بمذهبه . حتى قال بعضهم : اذا كان هو قد خرج من مذاهب الائمة ورفض كتب المتقدمين وأخذ بمجتهداته فاني لا أتبعه بل اتبع العلماء المتقدمين واطلع على كتبهم واقرأ فيها فان للاجتهاد شروطا كثيرة بل نقل ابن حجر عن بعض الاصوليين انه لم يوجد بعد عصر الشافعي مجتهد (اي مستقل) فما رأيكم في هذا الوهم فهل تستحسنون أن تزيلوه وتبينوا مقاصدكم بالاستقلال أم تسكتون عليه ؟ هذا والسلام مع الختام . م . ب . ع

(ج) قد تكرر بيان هذه المسألة في المنار وصرحنا غير مرة بأننا لم نقصد قط أن ندون لنا مذهبا نحمل الناس على اتباعه وأننا لا ندعو أحدا الى تقليدنا بل لا نجيز له ذلك وإنما ندعو المسلمين الى البصيرة في دينهم اتباعا لقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم «قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني» فنحن باتباعه (ص) ندعو الى الله عز وجل بفهم كلامه والتأسي برسوله مع البصيرة اي الدليل والحجة فمن ظهرت له الحجة والبصيرة فيما نكتبه فاتبعها لا يكون مقلدا لنا وانما يكون متبعا للبصيرة التي يرضاها الله له . ولا ننهى أحدا عن طلب البصيرة في الدين من كتب الائمة المتقدمين بل نأمر بذلك ونحث عليه ونحب لكل الناس ان يستفيدوا منها كما استفدنا ونستفيد دائما وانما نذكرهم بأن يطلبوا منها البصيرة بفهم كلام الله وكلام رسوله واستبانة سنته لا لأن يجعلوا كلام العلماء هو المقصود لذاته فقد ذكر الامام المزني صاحب الامام الشافعي رضي الله عنهما في أول مختصره لمذهب الشافعي انه نقله ليستعين به الطالب له قال مع اعلامه بأنه (أي الشافعي) لا يجيز له ولا لغيره ان يقلده به . فنحن نستعين بالمفسرين على فهم القرآن ولا نقلد أحداً منهم في فهمه وإنما نتبع البصيرة متى استبانت ونستعين بكتب المحدثين والفقهاء على فهم السنة ولا نقلد احداً منهم في رأيه وانما نتبع البصيرة ونحث اخواننا على طلب البصيرة في الكتاب والسنة بقدر الاستطاعة وان كانوا متبعين لبعض المذاهب فهي لا تمنعهم أن يكون لهم حظ من الاهتداء والبصيرة

وليعلم السائلون وغيرهم أن الاصل في التقليد هو الثقة فقد جرت عادة الناس باتباع من يثقون به ولهذا راجت بين المسلمين بدع وضلالات كثيرة باسم المذاهب والطرق حتى خرج بها كثيرون من الاسلام باسم الاسلام كطوائف الباطنية . فبانقطاع الناس عن فهم الكتاب والسنة انقطعت الصلة الحقيقية بينهم و بين دين الله الذي انزله على رسوله (ص) وحرموا البصيرة التي هي سبيل الله واتبعوا السبل المختلفة مخالفين لقوله تعالى «وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون » (من سورة الانعام ٦: ١٥٣) ولذلك نهى ائمة الفقه الاربعة وغيرهم من أئمة السلف عن التقليد الذي هو الاخذ بكلام من يثق المقلد بهم من غير بصيرة في الكتاب والسنة . وكيف لاينهون عن ذلك و يعلمون انه يصد الناس عن سبيل الله ويحملهم على الاستغناء بكلام غير المعصومين الذين لا يسلم أحدهم من الخطأ مع حسن القصد فكيف اذا وثق الناس بفاسد السريرة المتعمد لهدم الشريعة كالباطنية . وقد كان أحدهم يرجع عن كلامه بعد ان يكون نقل عنه وقد رجع الشافعي بمصر عن مذهبه الذي وصل اليه اجتهاده قبل ذلك فصار الناقلون لعلمه يقولون المذهب القديم والمذهب الجديد وقد رأيت قول صاحبه المزني في عدم إباحته تقليد أصوله

وخلاصة القول اننا ندعو المسلمين الى الاهتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله (ص) كل بقدر استطاعته وان طالب الاهتداء من العامة يمكنه أن يسأل العلماء عن ذلك عند الحاجة اليه لاعن رأيهم وفهمهم لكلام المقلدين فقط كمتأخري الفقهاء وقد فصلنا القول في ذلك من قبل تفصيلا . ولا يتم هذا الاهتداء الا بالعناية باللغة العربية ولا شيء اضر على الاسلام في هذا العصر ممن يدعو الى ترجمة القرآن الى اللغات المختلفة ليستغني المسلمون بالترجمة عن القرآن المنزل من عند الله عز وجل بلسان عربي مبين، فالغاية من هذه المفسدة اذا وقعت (لاسمح الله) ان يكون الاعاجم من المسلمين عرضة لترك الدين وسنوضح ذلك ان شاء الله تعالى

* * *

﴿ هل يعتد بايمان أهل الكتاب بعد الاسلام ﴾

(س ٣٣) من أحد علماء تونس المستقلين صاحب الامضاء

مقام حجة الدين وإمام أئمة المصلحين سيدي محمد رشيد رضا صاحب المنار الزاهر أعلى الله به كلمة الحق

علمت بما اطلعت عليه من مجلدات المنار الاغر رأيكم في معنى الاسلام ـ وهو ماهدتني الفطرة الى فهمه من قوله تعالى « ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل » ولم أكن اقرأ المنار ، ولكن اشكل عليّ حفظكم الله تعالى مايلوح من كلامكم في هذا الغرض من ان الاسلام الذي تكون به النجاة في الآخرة هو الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح من اي أمة كان صاحبه وفي أي زمان وجد ومكان ، فهل رأيكم رفع الله بكم قواعد الدين ان الذين هادوا والنصارى اليوم يفوزون يوم الجزاء برضوان الله تعالى اذا هم آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا الصالحات وان كفروا بما انزل على محمد (ص) والذي كنت أفهم من معنى الاسلام ولن أزال أفهم انه الايمان بالله واليوم الآخر وتصديق الرسل ، فمن آمن بموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام قبل بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم مسلم عندي بلاشك . كتبت اليك لأكون على بينة من رأيكم فاني لأأدين بالظنون واللوائح ، ولا اسكن الى ماتمليه عليّ "الظواهر" وقد استفدت هذا الخلق من قراءة ماتكتبون ـ والله يحفظكم

(احد القراء بتونس)

(ج) لكل مقام مقال ونحن قد صرحنا من قبل في بعض المقامات بان الايمان هو كما عرفه النبي (ص) ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى ، وفسرنا الاسلام في التفسير بما علمه السائل الفاضل ورضيه وقال ان الفطرة هدته من قبله الى فهمه وهو مايتبادر من القرآن الحكيم وفسره في مقام آخر بما جاء في الحديث من الاعمال أو الاركان الخمسة وفي مقام آخر بأنه الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مجموعه ونحن نرى السائل

هنا فسر الاسلام بالايمان بالله واليوم الآخر وتصديق الرسل وهذا التفسير ليس هو الذي فهمه من القرآن ولا هو الذي ورد في الحديث في جواب جبريل ولا هو الذي يفسره به العلماء وهو يعرف ماورد في الحديث وما قاله علماء العقائد في تفسيره كما يفهم المراد من استعمال القرآن وانما غرضه هنا ان يبين ان الايمان بالرسل من أصول الدين الاسلامي وهو كذلك

ثم انا بينا في مقام آخر ان المقصد من الدين الذي جاء به جميع الرسل من عند الله هو الايمان بالله واليوم الآخر وعمل الصالحات لان هذا هو ماتزكى به الانفس وترقى به الارواح وتستعد لمنازل الكرامة في الآخرة والنجاة من العذاب، والرسل عليهم الصلاة والسلام هم الوسيلة لتعليم البشر هذه المقاصد وهل يمكننا ان نقول غير ذلك في مقام تفسير قوله تعالى (٢ : ٦١ ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وفي تفسير (٤ : ١٢٢ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب ، من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ١٢٣ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا)

وقد روى ابن جرير وابن ابي حاتم عن السدي قال التقى ناس من المسلمين واليهود والنصارى فقال اليهود للمسلمين نحن خير منكم ديننا قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن على دين ابراهيم ولن يدخل الجنة الا من كان هودا ، وقالت النصارى مثل ذلك . فقال المسلمون كتابنا بعد كتابكم ونبينا (ص) بعد نبيكم وقد امرتم ان تتبعونا وتتركوا امركم فنحن خير منكم نحن على دين ابراهيم واسماعيل واسحق ولن يدخل الجنة الا من كان على ديننا . فانزل الله تعالى «ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب - الى قوله - ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا » فانت ترى ان القرآن الحكيم قد ناط دخول الجنة وسعادة الآخرة بالايمان والعمل الصالح في مقام انكار المفاخرة بين اهل الكتاب والمسلمين .

وذلك ان اهل الكتاب جعلوا مقصد الدين وقطبه الذي يدور عليه امر

النجاة والسعادة في الآخرة هو الاتباع الى انبيائهم وانهم إنما ينجون بمجاهم لاباتباعهم وإقامة ماجاؤا به من الهداية فكان مثلهم ومثل من اتبع سفنهم من المسلمين كمثل عبيد جعلهم سيدهم في مزرعة ليعمروها وينتفعوا بها ويستعينوا بما فيها من الثمرات على اصلاح شأنهم وإعداد انفسهم لمقام خير منها فيجوار السيد وارسل اليهم عبداً آخر من عبيده المتعلمين المهذبين بكتاب يبين لهم فيه مايوجبه عليهم من الاعمال فبلغهم هذا العبد الرسول رسالة سيده وسيدهم فصدقوه واقام بينهم عاملا بالكتاب حتى مات . ثم لم تكن فتنتهم الا أن تركوا العمل بالكتاب واتباع ذلك الرسول الفاضل في اعماله وآدابه واعتقدوا ان ذكر اسمه بالخير والمبالغة في تعظيمه وتعظيم كتاب السيد بالقول يغنيان عن العمل الذي تعمر به المزرعة ويرتقي به اهلها ويكونون اهلا لما وعدهم به السيد من المقام الكريم اذا هم اقاموا كتابه

أرأيت اذا كان أهل المزرعة فريقان فريق منهم صدقوا الرسول ولم يعملوا بما جاء به من عند السيد وفريق آخر لم تبلغهم رسالته أو بلغتهم على وجه لا يحرك الى النظر ولا يؤدي الى الاقتناع ولكنهم علموا بالنظر العقلي أو بتعليم رسول سابق كان أرسله السيد من قبل ان الذي يرضيه من عمران المزرعة هو كذا وكذا وان الذي يجب أن يكونوا عليه من العلم والآداب فيما بينهم هو كذا وكذا وعملوا بذلك بقدر طاقتهم على حسب اجتهادهم أيكونون مرضيين عند سيدهم أم لا . وهل يعقل أن يكذب العبد الطائع الخاضع رسول سيده ومولاه ويرفض دعوته ويرد رسالته ؟؟ كلا إنه لا يعقل أن تبلغ المؤمن بالله واليوم الآخر القائم بالأعمال الصالحات دعوة رسول من عند ربه فيردها ويجحدها وإنما يفعل ذلك من فسد إيمانهم وساءت أعمالهم فاتبعوا أهواءهم فأنا لا أصدق أن المؤمن بالله واليوم الآخر العامل للصالحات من أهل الكتاب تبلغه دعوة نبينا صلى الله عليه وسلم على وجهها ويردها لان من كان على شيء من العلم والخير وتبين له علم أعلى من علمه واكمل ، وخير أرقى مما هو عليه وأفضل ، يرى نفسه مضطرة الى قبول ذلك ولا يصرفه عنه وهو من مقتضى فطرته الاحسد وعتو وكبر ملكن على نفسه أمرها ويندر أن يكون ذلك من المؤمنين الصالحين ، فأنا أحكم على من بلغته دعوة الاسلام بشرطها وردها بقوله

عز وجل (٤ : ١١٤ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) وفي القرآن دلائل كثيرة على ماقلنا

بعد كتابة هذا راجعت كتاب (فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة) لابي حامد الغزالي رحمه الله تعالى فرأيته يشير الى ان من بلغته الدعوة بدليلها تنبعث نفسه بطبعها الى النظر ان كان من أهل الدين والخير قال بعد بيان حكم الضالين من هذه الامة ما نصه « وأما من سائر الامم فمن كذبه (ص) بعد ما قرع سمعه على التواتر خروجه وصفته ومعجزته الخارقة للعادة كشق القمر وتسبيح الحصى ونبع الماء من بين أصابعه والقرآن المعجز الذي تحدى به أهل الفصاحة وعجزوا عنه فاذا قرع سمعه ذلك فأعرض عنه وتولى ولم ينظر ولم يتأمل ولم يبادر الى التصديق فهذا هو الجاحد الكاذب وهو الكافر . ولا يدخل في هذا اكثر الروم والترك (كان الترك في زمن الغزالي وثنيين) الذين بعدت بلادهم عن بلاد المسلمين بل أقول من قرع سمعه هذا فلا بد أن تنبعث به داعية الطلب ليتبين حقيقة الامر ان كان من أهل الدين ولم يكن من الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة فان لم تنبعث هذه الداعية فذلك لركونه الى الدنيا وخلوه عن الخوف وخطر أمر الدين وذلك كفر ، وان انبعثت الداعية فقصر في الطلب فهو أيضا كفر بل ذو الايمان بالله واليوم الآخر من أهل كل ملة لا يمكنه ان يفتر عن الطلب بعد ظهور المخايل بالأسباب الخارقة للعادة ، فان اشتغل بالنظر والطلب ولم يقصر فأدركه الموت قبل تمام التحقيق فهو أيضا مغفور له ثم له الرحمة الواسعة فاستوسع رحمة الله تعالى ولا تزن الامور الالهية بالموازين المختصرة الرسمية » اه

هذا وان السائل الكريم يعلم ان المسلمين لا يعنون بالدعوة الى دينهم ولا سيما على الوجه الذي يحرك الى النظر في هذا العصر — ولكل عصر من المحركات النظرية ما هو خاص به ، بل هم لا يبالون بتعليم المنسوبين الى الاسلام حقيقة الاسلام فقد أهمل هذا الدين حتى صار علماؤه على قلتهم جاهلين بكتابه وسنته وعاجزين عن النهوض بحجته الا افرادا شذاذا يظهر الواحد منهم بعد الواحد في

بعض الاقطار بالمصادفة والاتفاق بل باستعداده الخاص وحوادث الزمان وا كثر هؤلاء الملايين من المسلمين لم يلقنوا شيئا من أمر دينهم حتى ان منهم في بعض انحاء الهند من لا يعرف من الاسلام الا جواز اكل لحم البقر الذي يخالفون به جيرانهم الوثنيين ، ومنهم في روسية من هم أجهل من هؤلاء ، بل اخبرني أحد أئمة العسكر البحرية أمس انه كان يسأل الجاهير من افراد العسكر الاناطوليين عن دينهم ونبيهم فيقولون ديننا العسكرية البحرية ونبينا السلطان عبد الحميد ، ولولا الأوقاف التي وقفها السلاطين والأمراء وأهل الخير من الأمة على العلماء الذين يشتغلون بعلوم الدين و بعض المناصب الشرعية التي يقصد بها الرزق لما رأيت في الاستانة ومصر وتونس وفاس وغيرها من البلاد عشر معشار من تجد من المعممين الذين يذيبون أدمغتهم في حل رموز هذه الكتب المعقدة أو المسلطة التي اختاروها من تصانيف المسلمين بعد ضعف العلم فيهم حتى كأنها كتب منزلة يتعبد بها ، وما هي والله بالكتب التي يمكن قارئها أن يظهر بها حقيقة دعوة الاسلام وحجة الله على العالمين ، بل نرى اكثر المدارسين لها قد نفروا المسلمين عن الاسلام فما بالك بغيرهم

هذا ما حملنا على بذل النفس والنفيس في السعي الى تربية اسلامية وتعليم اسلامي تظهر بهما دعوة الاسلام وحجته وتنقذ الملايين المسلمين من الجهل بدينهم ودنياهم الذي صاروا به حجة على الاسلام تنفر عنه الأنام ، وفتنة للكافرين تبعدهم عن حقيقة الدين (٦٠ : ٥ ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم)

* * *

﴿ الصلاة . مواقيتها وجمعها وغايتها ﴾

(س٣٤) من كاتم لاسمه في مصر القاهرة

حضرة الفاضل الشيخ رشيد رضا المحترم ـ بعد التحية والاكرام ارجو الاجابة على ما يأتي :

(١) ما هي الآيات الشريفة التي تؤيد اقامة الصلوات في مواعيدها المقررة
(٢) هل الجمع بين صلاتين جائز وفي أي ظروف ؟
(٣) ما رأيكم في موظف بمصلحة تقضي عليه وظيفته أن لا يقيم صلاته أثناء تأدية أعماله فهل عليه من حرج اذا جمع بين صلاتين مثلا ليؤديهما أثناء خلوه من العمل ؟

(٤) اذا كانت الغاية من الصلاة هي الاخلاص للخالق بالقلب مما يؤدي الى تهذيب الأخلاق ، وترقية النفوس ، وكان من الحتم على كل مسلم أن يقيم صلاته بمواعيد ، فكيف يعقل ، والناس على ما نرى ، ان كل الصلوات التي تقام في المساجد والبيوت ، هي باخلاص عند كل المسلمين ؟ واذا كان الجزء القليل منها هو المقصود من الدين ، والمبني على الفضيلة ، فلماذا لا تترك الحرية التامة للناس في تحديد مواعيد اقامة صلواتهم ؟ والا ما الفائدة التي تعود على النفس من الركوع والسجود بلا اخلاص ولا ميل حقيقي للعبادة بل اتباعا للمواعيد واحتراما للتقاليد ؟

(ج) ١ ـ أما الجواب عن الأول فحسبك في التوقيت المطلق منه قوله تعالى (٤ : ١٠٢ ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) أي فرضا مكتوبا مقيدا بأوقات محدودة . وفي التفصيل قوله تعالى (١٧ : ٧٨ أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر) وقوله سبحانه (٣٠ : ١٧ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ١٨ وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون) وكانوا يعبرون عن الصلاة بالتسبيح وبالذكر

٢ ـ وأما الجواب عن الثاني فالجمع إنما يكون عند جماهير العلماء في السفر وكذا في المطر عند الشافعية لأجل المحافظة على الجماعة . وقد تأول بعض العلماء بذلك حديث ابن عباس الثابت في كتب الصحاح والسنن المشهورة « صلى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة سبعا وثمانيا الظهر والعصر والمغرب والعشاء » أي الظهر والعصر ثمانيا لأن كل واحدة منهما أربع ركعات ، والمغرب والعشاء سبعا لأن الاولى ثلاث والثانية أربع فالنشر فيه غير مرتب على اللف . وفي رواية عنه في صحيح

مسلم وسنن الشافعي « صلى الظهر والعصر جميعا والمغرب والعشاء جميعا من غير خوف ولا سفر » روي عن مالك انه قال أرى ذلك في المطر، وعليه العمل عند الشافعية ولكنهم اشترطوا له شروطا لا يدل عليها الحديث بل ظاهره انه رخصة توقتي عند عروض شاغل قوي ويدل على ذلك ما قاله راويه ابن عباس في تعليله كما في سنن الشافعي « لئلا يحرج أمته » ولو فرضنا ان ذلك كان في وقت المطر لكان المطر مثالا لنفي الحرج لا شرطا للرخصة على أن ذلك لو كان في جماعة وقت المطر كما يرى الشافعية لتوفرت الدواعي على نقله فرواه كثيرون فالظاهر من هذه العبارة أن الجمع في الاقامة رخصة لمن كان يلحقه في اداء الصلاة في وقتها مشقة والحرج والعسر مرفوعان بنص القرآن العزيز فحمل بعض الفقهاء لها على وقت المطر او وقت المرض كأن كان يعلم انه يصيبه دور الحمى في وقت الثانية فيجمعها مع الاولى كل ذلك من قبيل المثال لمن ينظر في الامر نظرا عاما غير مقلد فيه والشيعة تجيز الجمع مع الاقامة كما هو المشهور عنهم ولا أدري أيعدون ذلك رخصة كما هو ظاهر هذه الرواية عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أم يعدونه عزيمة لكثرة ما يأتونه كما يروى عنهم

٣ — واما الجواب عن الثالث فقد علم مما قبله وملخصه ان الاصل في الصلاة ان تؤدى في اوقاتها المعروفة وذلك ثابت بالكتاب والسنة وعمل جماهير المسلمين سلفا وخلفا وان للرخصة وجها لمن شق عليه اداء بعض الصلوات في وقتها وما اظن ان عملا من اعمال مصالح الحكومة وما في معناها كالشركات الكبيرة يمنع العامل فيه من أداء الصلاة في وقتها دائما وانما يكون ذلك نادرا فان صلاة الفريضة تؤدى في خمس دقائق او اقل . ورأيت كثيرا ممن خبرت حالهم من هؤلاء العمال يستثقلون الصلاة لاجل الوضوء وانما يشق عليهم منه غسل الرجلين غالبا فان كوبا من الماء يكفي لغسل الوجه واليدين الى المرفقين ويسهل ذلك على المرء اينما كان ولكن غسل الرجلين قد يشق على العامل في احيان كثيرة والمخرج من هذه المشقة ان يمسح ولو على جوربيه فالحنابلة وغيرهم من علماء السلف يجيزون المسح على كل ساتر للرجلين كالخف ودليلهم أقوى ولما افتيت في المنار بهذا صار كثير من تاركي الصلاة

يحافظون على صلاتهم في اوقاتها يتوضؤن في الصباح فيسبغون الوضوء ويغسلون ارجلهم ويلبسون جواربهم وفوقها الخفاف فالاحذية أو الاحذية فقط ثم يذهبون الى أعمالهم فاذا أراد أحدهم ان يتوضأ في أثناء العمل وهو في محله يمسح على الساتر كائنا ما كان ، ويحسن ههنا أن نذكر القارئ بما ختمت به آية الوضوء وهو بعد ذكر طهارة الرجلين « مايريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون »

٤ — واما الجواب عن الرابع فهو يتضح لكم اذا تدبرتم تفاوت البشر في الاستعداد وكون الدين هداية لهم كلهم لا خاصة بمن كان مثلكم قوي الاستعداد لتكميل نفسه بما يعتقده انه الحق وفيه الفائدة والخير بحيث لو ترك الى اجتهاده لا يترك العناية بتكميل إيمانه وتهذيب نفسه وشكر ربه وذكره. وقد رأيت بعض المتعلمين في المدارس العالية والباحثين في علم النفس والاخلاق ينتقدون مشروعية توقيت الصلوات والوضوء وقرن مشروعية الغسل بعلل موجبة وعلل غير موجبة على الحتم ولكن تقتضي الاستحباب وربما انتقدوا أيضا وجوب غير ذلك من انواع الطهارة بناء على ان هذه الامور يجب ان تترك لاجتهاد الانسان يأتيها عند حاجته اليها والعقل يحدد ذلك ويوقته !! هؤلاء تربوا على شيء وتعلموا فائدته فحسبوا لاعتيادهم واستحسانهم اياه انهم اهتدوا اليه بعقولهم ولم يحتاجوا فيه الى ايجاب موجب ولا فرض شارع وان ماجاز عليهم يجوز على غيرهم من الناس ، وكلا الحسابين خطأ فهم قد تربوا على أعمال من الطهارة (النظافة) منها ماهو مقيد بوقت معين كغسل الاطراف في الصباح (التواليت) وهو مثل الوضوء ، أو الغسل العام ، ومنها ماهو مقيد بعمل من الاعمال ، وتعلموا مافيه من النفع والفائدة فقياس سائر الناس عليهم في البدو والحضر خطأ جلي.

ان اكثر الناس لا يحافظون على العمل النافع في وقته اذا ترك الامر فيه الى اجتهادهم ولذلك نرى البيوت التي لا يلتزم اصحابها او خدمها كنسها وتنفيض فرشها وأثاثها كل يوم في أوقات معينة عرضة للاوساخ فتارة تكون نظيفة وتارة تكون غير نظيفة ، واما الذين يكنسونها وينفضون فرشها وبسطها كل يوم في وقت معين وان لم يصبها اذى ولا غبار فهي التي تكون نظيفة دائما. فاذا كانت الفلسفة تقضي

بأن يزال الوسخ والغبار بالكنس والمسح والتنفيض عند حدوثه وأن يترك المكان أو الفراش أو البساط على حاله اذا لم يطرأ عليه شيء فالتربية التجريبية تقضي بأن تتعهد الامكنة والاشياء بأسباب النظافة في أوقات معينة ليكون التنظيف خلقا وعادة لاتثقل على الناس ولا سيما عند حدوث أسبابها فمن اعتاد العمل لدفع الاذى قبل حدوثه أو قبل كثرته فلأن يجتهد في دفعه بعد حدوثه أولى وأسهل . وعندي أن أظهر حكمة التيمم هي تمثيل حركة طهارة الوضوء عند القيام الى الصلاة ليكون أمرها مقررا في النفس محتما لاهوادة فيه . وقد قال لي متشل أنس وكيل المالية بمصر في عهد كرومر انه يوجد الى الآن في أوربا أناس لا يستحمون مطلقا وانا نحن الانكليز اكثر الاوربيين استحماما وانما اقتبسنا عادة الاستحمام عن أهل الهند ثم سبقنا جميع الامم فيها ، فتأمل ذلك وقابله بعادات الامم في النظافة التي هي الركن العظيم للصحة والهناء

واعتبر هذه المسألة في الاعمال العسكرية كالحفارة عند عدم الحاجة اليها لئلا يتهاون فيها عند الحاجة اليها وجعلها مرتبة موقوتة مفروضة بنظام غير موكولة الى غيرة الافراد واجتهادهم

اذا تدبرت ما ذكرنا فاعلم أن الله تعالى شرع الدين لأجل تكميل فطرة الناس وترقية أرواحهم وتزكية نفوسهم ولا يكون ذلك الا بالتوحيد الذي يعتقهم من رق العبودية والذلة لأي مخلوق مثلهم وبشكر نعم الله عليهم باستعمالها في الخير ومنع الشر ولا عمل يقوي الايمان والتوحيد ويغذيه ويزع النفس عن الشر ويحبب اليها الخير ويرغبها فيه مثل ذكر الله عز وجل أي تذكر كماله المطلق وعلمه وحكمته وفضله ورحمته وتقرب عبده اليه بالتخلق بصفاته من العلم والحكمة والفضل والرحمة وغير ذلك من صفات الكمال . ولا تنس ان الصلاة شاملة لعدة أنواع من الذكر والشكر كالتكبير والتسبيح وتلاوة القرآن والدعاء فمن حافظ عليها بحقها قويت مراقبته لله عز وجل وحبه له أي حبه للكمال المطلق وبقدر ذلك تنفر نفسه من الشر والنقص وترغب في الخير والفضل ، ولا يحافظ العدد الكثير من طبقات الناس في البدو والحضر على شيء ما لم يكن فرضا معينا وكتابا موقوتا ، فهذا النوع من ذكر الله المهذب للنفس (وهو الصلاة) تربية عملية للأمة تشبه الوظائف العسكرية في

وجوب اطرادها وعمومها وعدم الهوادة فيها ، ومن قصر في هذا العمل القليل من الذكر الموزع على هذه الاوقات الخمسة في اليوم والليلة فهو جدير بأن ينسى ربه وينسى نفسه ويغرق في بحر من الغفلة ، ومن قوي إيمانه وزكت نفسه لا يرضى بهذا القليل من ذكر الله ومناجاته بل يزيد عليه من النافلة ومن أنواع الذكر الأخرى ما شاء الله أن يزيد ، ويتحرى في تلك الزيادة أوقات الفراغ والنشاط التي يرجو فيها حضور قلبه وخشوعه وهو الذي استحسنه السائل .
وجملة القول ان الصلوات الخمس إنما كانت موقوتة لتكون مذكرة لجميع افراد المؤمنين بربهم في الاوقات المختلفة لئلا تحملهم الغفلة على الشر أو التقصير في الخير ولمريدي الكمال في النوافل وسائر الأذكار أن يختاروا الأوقات التي يرونها أوفق بحالهم ،

واذا راجعت تفسير « حافظوا على الصلوات » في الجزء الثاني من تفسيرنا تجد بيان ذلك واضحا وبيان كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر اذا واظب المؤمن عليها ، ومن لا تحضر قلوبهم في الصلاة على تكرارها فلا صلاة لهم فليجاهدوا أنفسهم

***

﴿ جمع القرآن وعدم ضياع شيء منه ﴾

(س ٣٥) صاحب الامضاء في الاسكندرية

قال السائل في كتاب خاص انه عرضت له شبهة في مسألة جمع القرآن ثم شرح ذلك بقوله

« تعلمون أيها السيد أن القرآن الكريم جمع في خلافة الصديق رضي الله عنه كما تعلمون بل تتيقنون عدم حفظ واحد له جميعه والا لما كان هنالك معنى لتلقفه من صدور الرجال — على ذلك لا اتردد في ضياع شيء منه خصوصا وانهم لم يجدوا حافظا لآية (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم) الخ السورة الا خزيمة بن ثابت فاذا صح هذا وهو الواقع استنتج من ذلك جواز موت

صحابي آخر قبل الجمع انفرد على الأقل بما انفرد به خزيمة هذا ان لم نقل اثنين أو ما فوق العشرة فما قول السيد في ذلك وما الدليل على عدم الضياع وطريقة الجمع يتسرب اليها الشك في كل مكان بالدليل العقلي م ٠ ع ٠ م

(ج) أعجب ما في هذا السؤال زعم السائل أني أتيقن عدم حفظ أحد من الصحابة (رض) القرآن كله واستدلاله على هذه المسألة بتلقفه من صدور الرجال ! ! فاما أنا فاني أوقن أنه قد حفظ القرآن كله جمع كثير من الصحابة في عهد النبي (ص) وان لم يصرح المحدثون الا بعدد افراد معروفين منهم فقد صرحوا بأنه قتل في حرب أهل اليمامة سبعون من القراء وكان ذلك سبب اقتراح عمر جمع القرآن على أبي بكر (رض) وبأن أهل الصفة من قراء الصحابة كانوا منقطعين في المسجد لحفظ القرآن والعبادة ويعرف السائل أن العرب كانوا من أجود الناس حفظا على أن البدو في جميع الامم أجود حفظا من الحضر والعرب اذكى الامم بدوا وحضرا حتى أنه كان من حاضريهم من يظن أن من شأن الانسان أن يحفظ كل ما يسمع كما يروى عن ابن عباس (رض) وقد رأى رجلا استكبر حفظه لرائية عمر بن أبي ربيعة حين سمعها مرة واحدة فقال وهل يسمع الانسان شيئا ولا يحفظه ؟ قد كانوا يحفظون ما يسمعون من حسن وقبيح ما يعجبهم منه وما لا يعجبهم فكيف تكون عنايتهم بحفظ كلام الله عز وجل وهم يؤمنون بأنه سبب سعادتهم في الدنيا والآخرة وانهم يتقربون به الى ربهم وينالون رضاه وقد تعمدوا ذلك وحرصوا عليه وعنوا به أشد العناية وقد رغبهم الله ورسوله بحفظه

على أن حفظه أن يضيع شيء منه لا يتوقف على حفظ الكثيرين له كله بل يكفي فيه حفظ الكثيرين لكل سورة من سوره وهل يعقل أن تنزل سورة ولا يحفظها الجم الغفير من أهل الصفة المقيمين في المسجد لاجل حفظ القرآن من النبي (ص) وكذا من غيرهم من المقيمين في المدينة وكان اكثرهم يصلي مع النبي (ص) لا يتخلف عنه أحدهم الا لعذر عارض وكان يقرأ القرآن كله في الصلاة كما كان يدارسهم إياه سورة سورة على النحو الذي يتدارسه مع جبريل (ع م) اذ ورد في الصحيح انه كان يعارضه القرآن في رمضان كل سنة مرة أي كل ما

نزل منه وفي آخر رمضان من عمره الشريف عارضه جبريل القرآن مرتين وكان قد تم نزوله أو كاد فعلم من ذلك أنه حان أجله الشريف صلى الله عليه وآله وسلم

ان الذين تولوا جمع القرآن في المصحف بأمر أبي بكر ثم بأمر عثمان كانوا يحفظونه وإنما كانوا يجمعون المكتوب في الصحف والعظام وغيرها ويراجعون القراء الحافظين لأجل أن لا يبقى مجال لدعوى أحد من المنافقين أو غيرهم أن عنده شيئا منه يخالف المجموع في المصاحف فيشكك به بعض الضعفاء أو الجاهلين . ولو رأى المنافقون أن في جمع القرآن شبهة ما لأذاعوا بها واكثروا الإرجاف ولم يقع شيء من ذلك ولو وقع لقامت له القيامة وعرفه كل الناس

اما آخر سورة التوبة فقد كان يحفظها الجم الغفير ومنهم جامعوا القرآن وقد التمسوها ممن كتبها وهم بها عالمون فوجدوها عند خزيمة أو أبي خزيمة الانصاري كما رواه البخاري والترمذي عن زيد بن ثابت الذي كان يتولى الجمع ، وكذلك آية « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » الخ فقد روى البخاري والترمذي عن زيد رضي الله عنه انه قال فقدت آية من سورة الاحزاب كنت اسمع رسول الله (ص) يقرأها فالتمستها فوجدتها مع خزيمة بن ثابت الانصاري الذي جعل رسول الله (ص) شهادته بشهادة رجلين وذكرها فالحقتها في سورتها من المصحف . فأنت ترى أنه التمس شيئا كان يعرفه ، كيف لا وهو أحد الحفاظ المشهورين الذين جمعوا القرآن كله عن النبي (ص) فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث انس (رض) قال جمع القرآن على عهد رسول الله (ص) اربعة كلهم من الانصار : ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد . قيل لانس من أبو زيد ؟ قال أحد عمومتي . وقد قال علماء الاصول ان العدد لا مفهوم له ، اقول ولا سيما في مثل هذا الخبر الذي يخبر صاحبه عما علم او بعض ما علم عن قومه وكان اكثر الحفاظ من قراء المهاجرين أهل الصفة (رض) نكتفي الآن بهذا الجواب المجمل الموجز الذي كتبناه في مركب يجري بنا في زقاق (بوسفور) القسطنطينية ، ونظن أنه يكفي السائل فان لم يكفه فليراجع ما كتبناه من قبل في احد مجلدات المنار وما كنت أظن انه لم يقرأه وهو على ما أعهد ولوع بالمنار حريص على تتبعه ، وسنفصل هذه المسألة

تفصيلا فيما سنكتبه من أصول الدين لطلاب مدرسة «دار العلم والارشاد» ثم ننشره على سائر الناس ان شاء الله تعالى

* * *

﴿ هدايا الجرائد الى مشتركيها ﴾

(س ٣٦) من صاحب الامضاء الذي رغب الينا كتمان اسمه من (بيروت)

سيدي الاستاذ المرشد الشيخ محمد رشيد رضا منشئ « المنار » دام مجده

بعد التحية الى السيد المفضال ارجو من سيادته واحسانه الجواب عن سؤالي الآتي بيانه في جزء المنار القادم في رجب وله الثناء الجميل وذلك :

ماقولكم دام فضلكم ، في البند الرابع من « البيان » الذي اذاعته جريدة الحقيقة ـ البيروتية وهو «تقدم ادارة الجريدة لكل خمس مئة مشترك من مشتركيها هدية بالاقتراع تبلغ قيمتها خمسة وعشرين ليرة أفرنسية في كل سنة موزعة على عشر نمر منها حسبما هو مبين أدناه

١ ورقة بنك عقاري

١ ساعة ذهبية

٢ ساعة فضية

٢ ليرة أفرنسية

٤ نصف ليرة أفرنسية

---

١٠ الجمع

وتضاعف هذه الهدايا بزيادة المشتركين على نسبة خمسة وعشرين ليرة لكل خمس مئة مشترك اه

فهل يجوز لجريدة الحقيقة أن تعطي مشتركيها المذكورين (الهدية) على الوجه المرقوم وهل يجوز لمشتركيها قبول هذه الهدية أفيدوني ولكم مزيد الفضل (مستفيد)

(ج) لاأعرف مايمنع جواز اعطاء هذه الهدية ولا قبولها

باب العقائد

بحث الكلام في الاختلاف (*)

قد نوه الله سبحانه بالاختلاف في الدين وكرر ذلك في كتابه العزيز تكريرا كثيرا لعلمه سبحانه وتعالى بضرره في الدين وكم كرر ذلك في بني اسرائيل قائلا « وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم » ونحوها فكأنه يقول احذركم مثل فعلهم مدلين بالشبه وعدم تبين ذلك في دينكم فانكم ان فعلتموه فعلتموه بعد قيام الحجة عليكم ولا يحملكم عليه الا البغي لا التدين وان من اراد الله واتبع رضوانه فانه يهديه سبل السلام ويخرجه من الظلمات الى النور فصدق الله تعالى ما وجدنا الخلاف الا في محل قد تبين الحق فيه، وادلى المخالف للحق بشيء لا ينبغي الاستناد اليه ، فهو انما جعله صورة والحامل الحقيقي البغي لنيل حظ دنيوي وقد يكون البلاء من النظر في شيء النظر فيه تكلف ما لا يعني وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنهى عن مظان الخلاف وحذر منها كالجدل في القدر وقال الله تعالى « لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اتركوني ما تركتكم » وكمل الله سبحانه على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فلم يبق شيء يقربنا الى الجنة الا بينه لنا ولا شيء يقربنا الى النار الا بينه

(*) منقولة من كتاب العلم الشامخ في ايثار الحق على الآباء والمشايخ لاحد مجتهدي القرن الحادي عشر الذي يطبع بمطبعة المنار

وما عفا الله تعالى عنه وسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا يريد الله سبحانه أن نبحث عنه بمجرد عقولنا القاصرة فانها انما جعلت الدنيا في قدر محدود في علم الله سبحانه وجاءت الرسل بتتميم ما تم به النعمة وتؤكد الحجة فما عدا ذلك فضول يخاف ضرره ولا يُرجى نفعه ، وقد قام بمراد الله تعالى في ذلك خير القرون فكانوا يحاذرون الاختلاف أشد المحاذرة ويصرحون بذلك وما فرط منهم تلافوه أشد التلافي ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، كما كان من طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم ولقد صبر من بقي من الصحابة بعد خلافة النبوة على أمراء الجور أشد الصبر وأقبلوا على صلواتهم وصيامهم وجهادهم وسائر القرب يتواصون بالحق والصبر والمرحمة ، ويحاذرون شق عصا المسلمين وكل ما يجر الى الخلاف وهو المانع والله أعلم لسيوفهم البارزة ، التي استولت على ابطال العرب والاكاسرة والقياصرة ، من أن تجتمع على الملك الجائر حتى تقمد مكانه عادلاً

ثم مضوا الأمثل فالأمثل الى ان ظهرت البدع بسبب التنقير عما سكت الله عنه ورسوله ولو كان لهم من ذلك خير لوفقهم الله على تلك المطالب على لسان رسوله ولم يتركهم يتخبطون لكن النفوس طمّاحة والدعوى عريضة فتكلم بعض الناس على ما سكت الله عنه وبحثوا في كلام الفلاسفة واختلطوا بهم في أيام الدولتين وناظروهم فاحتاجوا الى تحرير الجواب على شبههم ورأوا ان تلاوة القرآن التي كانت جواب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجواب اصحابه رضي الله عنهم لا تقنع الخصم ولا تنصفه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوصي امراء الاجناد ان يدعوا الى احدى ثلاث الدخول في الاسلام أو الجزية أو الحرب ، لم

يجعل منها أن تنشر اخبارهم وصحفهم وحكمتهم وشبههم وفلسفتهم ثم يناظرهم فقهاء الصحابة بهذا الانصاف المولد بعد الصحابة هو الداهية الدهياء

ثم حدثت بين المسلمين أنفسهم نوادر كالكلام في القدر ومسألة خلق القرآن والتعرض لما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم واتصل بذلك المناظرة عند الملوك والامراء وصارت عصبية ، والدعوى من الجانبين أن ذلك تدين وما هو الا انهم لما تعدوا طورهم ولم يقفوا على حدهم الذي وقفهم الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم عليه ، تركهم الله وشأنهم والبسهم شيعا وأذاق بعضهم بأس بعض فكان خليفة يوافق هؤلاء فيذيق مخالفيهم العذاب الاليم ويخلفه الآخر وينقض ما فعله الاول وينكل هؤلاء ويوطي شأن هؤلاء حتى استحكم الشر وصار الناس شيعا ، يولد المولود في قوم فلا يسمع من الانصاف شيئا بل يجد شيعته مطبقين على ان مخالفهم ليس على شيء ، وانما هي فتنة وحادثة في الاسلام ويمدحون نفوسهم بكل خير وينزهونها من كل شر ويعزون الى المخالف نقيض ذلك

ترى المعتزلة يقولون في كتبهم كان الناس على دين واحد فحدث الجبر في امرة معاوية والروانية ثم حدث القول بتكليف مالا يطاق من فلان وقت فلان ثم حدث القول بعدم خلق القرآن ثم حدث كذا من فلان في وقت كذا مع ذكر أسباب وروايات ، فيأتون على جميع مذاهب مخالفيهم انها حوادث تجد ذلك في حكاية الملل والنحل وافراد المقالات لا في كتاب ولا في الف كتاب ثم تنظر كتب المتسمية بالسنية يقولون كان الناس جميعا قبل حدوث القدرية على ان الله خالق افعال العباد ليس

للعباد منها الا النسبة المسماة بالكسب ويجمعون على كذا وكذا بجميع مذاهبهم كل على ما يراه ويعتقده ثم حدث رأي المعتزلة بان العبد ممكن وحدث كذا وكذا الى آخر مذاهب المخالف كذلك وتسمي المعتزلة نفسها بالعدلية وأهل العدل والتوحيد وأهل الحق والفرقة الناجية والمنزهون لله عن النقص وغير ذلك وتسمي خصومها بالمجبرة القدرية المجوزة المشبهة الحشوية المرجئة وغير ذلك . والاشاعرة وسلفهم مثل ابن كلاب والمحاسبي وغيرهم يسمون نفوسهم بأهل السنة ويسمون المعتزلة المبتدعة القدرية وقس على هذا

فترى الضعيف الرأي والدين بل القوي الذي لم يتداركه الله سبحانه بفضل عناية وتوفيق يرى تطبيق من نشأ فيهم ولقنوه كتبهم وقد ملأت الارض مع شحنها بالتحذير من كتب المخالف والجلوس الى المبتدع فكما فعلته قريش فيملأ قلبه ويطرق سمعه ذلك في كل ماكر والنظر والجم الغفير قد رأيت ما فعلوا ، ومن يرد الله هدايته يتهم هذا ويمده عقله لكن قليل ما هم انما تراه يشب على مادب عليه ويشيب على ما شب عليه ، ويمضي عمر المتدين بالقيام والصيام ، وطالب العلم بالتصنيف والكلام على الخلاف والوفاق ، وربما يعرف المذاهب خيرا من اهلها ويعلم انه قد صار بينه وبين من لقنه مراحل ، ثم همه كله مصروف الى ما نشأ عليه يثبته ويهدم مقابله ، ما تجد خلاف هذا الا في الندرة من النادر من المباحث ولقد تجده يقول في المبحث اذا أراد مخالفة شيعته : الله يحب الانصاف يتبجح بانه قد انصف وهذه الكلمة دليل عدم الانصاف وانه لو كان ديدنه الانصاف كما يدعي لما استغرب هذه النادرة التي وقعت لانه طول عمره بزعمه جار على الانصاف

فهذا مثل من قال فرسي والحمد لله وانما يفعلون ذلك فيما لا ينفر عنهم

بلى قد تجد احدهم ينتقل من مذهب الى آخر بسبب شيخ أو دولة أو غير ذلك من الاسباب الدنيوية والعصبية الطبيعية ولذا تجده ينتقل من مذهب برمته الى آخر برمته كما رووا ان ابن عبد الحكم اراد مجلس الشافعي بعد موته فقيل له قال الشافعي الربيع احق بمجلسي فغضب وتمذهب لمالك وصنف كتابا سماه الرد على محمد بن ادريس فيما خالف فيه الكتاب والسنة هكذا ذكره ابن السبكي وقد علم الله سبحانه والراسخون في العلم ان الحق لم يكن برمته عند فرقة والباطل عند البواقي وان كان كل منهم يدعي ذلك بل عند كل قوم حق وباطل لكن الحق والحمد لله لا يخرج عن مجموعهم وما الحق كله الا عند من بقي على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم ولا بد له من الخطإ في اجتهاداته ايضا في المسائل المعفو عن الخطإ فيها لا في المهمات فالمفروض انه وقف على ما وقفه عليه الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فلا خطأ، وقل لي من ذا الذي وقف على ما وقف ، وقنع بما جاء عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يتمذهب ويؤثر الاسلاف على الكتاب والسنة ، ويترك هذا الداء الدوي ويتمسك بالانصاف في ما يأتي ويذر ، لا والله ما أعرف أحدا في هذه الكتب التي قد طبقت البسيطة الا وقد تخبط وخلط ، وتعسف لمذهبه وما أنصف ، ورد كتاب الله تعالى الى عقيدته وحرف ،

اما المتكلمون فهو صنيعهم وان كان في تضاعيف كلامهم ما ينفع في الجملة وصنعتهم بدعة وما ابتدع قوم بدعة الا وتركوا سنة ولا يخلص من الخير الا الشيطان لعنه الله ولكن هؤلاء المحدثون الذين يزعمون الثبوت

على السنة ويتهون من الكلام قد سرت فيهم المفسدة اكثر منها في غيرهم لانهم قاعدون في طريق الشريعة والمفسدة والحرب والفتك والحيات والعقارب والسموم والسباع في الجادة اعظم ضررا منها في ثنيات الطريق مع انهم دائهم[1] جاء من الخوض في الكلام وصاروا أشد عصبية من المتكلمين لان المتكلمين بنوا أمرهم على التفتيش وان لا يلام الطالب على المباحثة وإيراد الاسئلة واختراع التعليلات بل يعدون ذلك ظرافة وكمالا فربما انكشف للمتأخر مع تعاقب الانظار تقارب كلام الفريقين ونحو ذلك كما انكشف لاتباع الاشعري بطلان الجبر ثم تشبثوا بالكسب ثم تبين هواره فصاروا الى مذهب المعتزلة من حيث المعنى كما مضى وليس ثبوت الاختيار يختص بالمعتزلة حتى ينفر عنه انما هو دين الله وحجته فمن حقق من المتأخرين هون ماعظم سلفه ولانت عريكته، وأما المحدثون فانما أخذوا شيئا باول رؤية ثم لم يفروا كأن ذلك بدعة وصدقوا ولكنه بدعة من أوله الى آخره فما لهم دخلوا فيه، كان دخولهم من غير نية لكن دس لهم الشيطان: انتم أهل السنة فمن يذب عنها ان تركتم هؤلاء؟ فلاهم اقتصروا على ماهم عليه ولا هم بلغوا الى مقاصد القوم ليتمكنوا من الرد عليهم

(١) لعل الاصل «مع ان داءهم»

باب المقالات

﴿ التربية القويمة ، والسياسة الحكيمة ﴾ (*)

— الثقة والظنة —

اظهار الثقة بالانسان مجلبة لما تحصل به الثقة ، وابتغاء الظنة فيه مدعاة لما تتحقق به الظنة ، فالمعاملة بالثقة اصل الصلاح والاصلاح ، والمعاملة بالظنة اصل الفساد والافساد

رب ولدك مراعيا هذين الاصلين تحل بينه و بين الرذائل ، بما تطبعه في نفسه من ملكات الفضائل ، لاتذ كرله الرذيلة ولا تنهه عنها ولم يأتها لانه لاينهى عن الشيء الا من جعل عرضة لاتيانه ، لاتتهمه بفعل شيء ولا تجعله في موضع المراقبة ليتقي السوء ، بل اشغله بالصالحات عن السيئات ، وحل بينه و بين اسبابها وطرقها حتى لاتخطر بباله ان استطعت ، فان علمت انه سمع بشيء منها او رآه فاذ كر له مضار ذلك الشيء ومهانة أهله وسوء احدوثتهم وما ينتظر من العاقبة السوءى لهم ، اذ كره ذلك من باب بيان الواقع ، واظهار الحقائق ، مؤيدا بالدلائل والشواهد ، واجعل نفسك واياه من طبقة شريفة عالية لايليق بشرفها أن تعاشر اولئك المسيئين ولا أن تجعلهم موضوع أحاديثها الا قليلا تقصد به العبرة بأحوال البشر والشفقة عليهم من ظلم الظالمين منهم الذين يكونون بفساد تربيتهم قدوة سيئة لفاقدي العلم وفاسدي التربية

اذا علمت ان ولدك يعرف ولدا أو رجلا غير مؤدب وانه عرضة لمحادثته ومعاشرته فلا تنهه عن ذلك نهيا صريحا يشعره بانك تمنعه منه بسيطرتك عليه ، بل أشعره بأنك تعلم انه يحتقره في نفسه ولا يرضى لها ان تتخذه صاحبا ولا عشيرا وابن على هذا نصحه بان لايظهر له الاهانة والاحتقار في وجهه ويكتفي من ذلك بالاعراض

(*) نشرنا هذه المقالة والتي تليها بجريدة المنار

عنه كما امر الله تعالى بقوله «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» واذا تعرض ذلك الذي لا أدب له وبدأه بالحديث فليكن جوابه جواب مسالمة وتخلص يفهم مخاطبه منه مع الادب انه لا يحب مجاراته والاسترسال في الحديث معه، كما وصف الله الكملة من عباده بقوله « واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما» أي قالوا قولا يسلمون به من الاثم ، ولا يقارعون الجهل ، ولا ينجي من شر الشرير مثل البعد عنه وترك الاساءة والاحسان اليه ،

ان نفس الولد تشبه الصحيفة البيضاء النقية وان سمعه وبصره هما القلمان اللذان يكتبان فيها انواع العلوم ويرسمان فيها صور الاخلاق والآداب ، فينبغي ان لا يسمع الا حسنا ولا يرى الا حسنا، يتحتم هذا في طور التقليد الذي يسلم فيه بكل ما يروى ويحاكي كل ما يرى ، وكلما قويت فيه ملكة التميز بنفسه بين الحق والباطل والحسن والقبيح يذكر له بالتدريج كل ما هو معرض له من سيئات العالم وشروره بالاساليب التي تنفره من الباطل والشر وترغبه في الحق والخير

ألم تر الى علماء التربية كيف يتحامون في كتب التعليم ذكر ألفاظ الجرائم والشرور والفحش والرفث لكيلا تشتغل نفوس النشء بها قبل ان تقوى بالحق والفضيلة وحب الخير

دخل في الاسلام بيت من بيوت الامريكيين : رجل وامرأته واولادهما ومنهم ابنة معصر ذكية الفؤاد وكانوا في مصر فرغبوا الى بعض معارفهم من المصريين ان يدلهم على عالم من علماء الاسلام يأخذون عنه ما يحتاجون اليه من احكام الاسلام ، فدلهم صاحبهم على الاستاذ الامام (رحمه الله تعالى) لانهم كانوا يعرفون اللغة الفرنسية ولا يعرفون من العربية الا قليلا والاستاذ كان يحسن هذه اللغة ، ولان الاستاذ هو الرجل العارف الكامل الذي يرجى ان يمثل الاسلام الاعلى لامثال هؤلاء الافرنج الذين تربوا تربية عالية واخذوا حظا عظيما من العلوم، فكانوا يلقونه ويسألونه ويسرون بما يجيبهم ويتلقونه بالاذعان

كانوا يتذاكرون يوما فجري لفظ اليأس على لسان الاستاذ فقالت له تلك البنت الشابة منهم أتأذن لي ياسيدي أن أسألك عن امر اشتبه علي في قولك ؟

قال نعم قالت كيف يذكر مثلك لفظ اليأس وانت تعلم ان الالفاظ التي لها مدلولات ضارة اذا ألقيت واستعملت فلا بد ان تؤثر في نفوس السامعين تأثيرا ما ، أليس هذا صحيحا ؟ قال بلى ، وانني قلت مرة كلمة في تصوير تأثير الكلام ، قلت انني اذا ألقيت الكلمة وانا وحيد بيتي في حندس الظلام فلا بد أن تبقى تلك الكلمة معلقة في الهواء حتى تصادف نفسا مستعدة فتؤثر فيها ، قالت الفتاة أتأذن لي أن أفسر قولك هذا بما فهمته ؟ قال نعم ، قالت ان الانسان يكون علمه بالشيء قبل ان يتكلم به اجماليا مبهما فاذا تكلم به انتقل الى حيز التفصيل والتجلي ويستدعي ذلك إعادته وسماع الناس له فيؤثر في نفوسهم ، او ما هذا معناه ـ قال احسنت . وغرضنا من ذكر هذه الواقعة ان أرباب التربية العالية يتحامون ذكر الالفاظ التي تذكر بالمعاني الضارة الا عند الضرورة

* *

ألا وان حب الخير وإيثاره من مقتضى الفطرة وهو الغالب على الناس ولولا ذلك لفسدت الارض وانما يقع الشر في الغالب لعدم تربية فاعله على التمييز الصحيح بينه و بين الخير له في عاجله وآجله ، فهو عرض يعرض من الجهل وسوء التربية

من آيات هذا انك ترى الطفل من ابتداء عهده بالتمييز يسر اذا وصفته بالخير ويزداد رغبة فيه ويتمعض اذا وصفته بضده وربما بكى وانتحب وهذا أعون صفات الفطرة السليمة على التربية القويمة

اذا رأيت من وليدك أمارة الكسل وأردت أن تنشطه على العمل فصفه بالنشاط واظهر له انك تثق به وترى أنه أهل للقيام بالعمل الذي توجهه اليه ، واذا أتى شيئا منه فاحمده عليه ، فبذلك يتجدد له من الهمة والنشاط مالم يكن له من قبل ، صفه بالجرأة والشجاعة يكن جريئا شجاعا ، صفه بالصدق والامانة يكن صادقا امينا ، اجعله محلا لثقتك في حب العلم والعمل تجده أهلا لها ،

لاتتهمه برذيلة من الرذائل فانك بذلك تسهل عليه ارتكابها فان اللوم اغراء ، ومن يهن يسهل عليه الهوان ، فالمرء يشق عليه بمقتضى الفطرة ان يعرف بالباطل

و يوصف بالشر ولو بحق ولذلك يخفي عيبه واخفاؤه اياه يكون عونا للمربي على تغييره منه وحمله على تركه ، فاذا فضح امره هان عليه التهتك والمجاهرة بالمنكر بل وربما يتهم المرء ببعض المنكرات اتهاما باطلا فيحمله ذلك على اتيانها ، وقد يعزى اليه مالم يفعل من المعروف والخير فيحمل نفسه على تحقيق الظن به ، كما روي عن بعض السلف انه سمع بعض الناس يقول ان هذا الرجل يقوم الليل كله ، فعز عليه ان يوصف بما ليس فيه ويكذب من احسن الظن به فصار يقوم الليل كله وكان قبل ذلك لايقوم الا بعضه . ومن امثال العامة في بلادنا « من ائتمنك لاتخنه وان كنت خوانا »

ثم ان هذه الطريقة لاتطرد في الكبار كما تطرد في الولدان ، ولكنها تفيد في سياسة الرجال ، كما تفيد في تربية الاطفال ، بل تفيد في سياسة الامم والشعوب فانك اذا أردت ان تحث قوما على عمل من الاعمال النافعة فلا ينبغي ان تصفهم بالبعد عنه والكراهة له والجهل بمنافعه وفوائده وضعف الهمة عن القيام به وشح النفوس وبخلها ان تجود بالمال في سبيله ، انك ان تصفهم بذلك تزدهم اعراضا وضعفا وخمولا ، واذا انت وصفتهم بالمروءة والنجدة وعلو الهمة وسخاء النفس وبسط الكف ترى نصحك مسموعا وارشادك مقبولا

كانت السياسة الحميدية في دولتنا شر سياسة أخرجت للناس لانها بنيت على أساس الظنة والريبة في الامة ولاسيما في المتعلمين من افرادها وقد ورد في الحديث الشريف « اذا ابتغى الامير الريبة في الناس أفسدهم » (رواه ابو داود) وكذلك فعل عبد الحميد أفسد أمته عليه حتى صار أكثر المقربين منه والمتمتعين بالسلطة والثروة في ظله يتمنون زواله ، فما بالك بمن كان يطاردهم ويضيق عليهم مسالك الحياة ، ولا تذكر من نفاهم من الارض ، اوزجهم في غيابة السجن ،

انه اتهم جماهير المتعلمين بعدم الاخلاص له وبتمني زواله فصاروا كذلك ، ولماذا يكون الناس غير مخلصين لملكهم وأميرهم وحكومتهم ودولتهم ؟ ان الاخلاص هو الاصل ولا يتحول الناس عن الاصل الالسبب موجب يعرض لهم ، افلم يكن من العقل والحكمة ان يبحث ذلك الجبار عن سبب ما كان يتهم به عقلاء الامة والعارفين

بمصالحها من كراهتهم اياه وعدم اخلاصهم له ويستعين على ذلك ببطانته وخاصته، ثم يزيل ذلك السبب العارض ويرجع بخيار أمته الى الاصل الثابت ؟ لى ولكنه ما كان يثق بأحد ثقة تامة فيستعمله في ذلك فكانت قاعدة سياسته السوءى أن يبحث دائما عن عيوب الناس ومفاسدهم و يصدق كل مايلقي اليه في ذلك أو يأخذه بالتسليم احتياطا ويبني عليه مايبنيه على مايصدقه و يوقن به ولا يبحث عن محاسن الاخيار وفضائل الفضلاء ليستعين بهم على اصلاح الفاسد وتقويم المائل بل لا يصدق مايبلغه من ذلك ، فكان كل أحد عنده ظنينا مريبا ، فكيف يستطيع مع ذلك ان يصلح عملا ، او يتقي زللا ؟

استعمل في ذلك الالوف من عمال الحكومة في جميع اعمالها ومصالحها ، والمئين من الجواسيس في عاصمتها وولاياتها ، وكذا في مصر وعواصم أوربا واشهر مدنها ، واشتهر امر سياسته هذه حتى بلغ افسادها من الامة ان صار ابناء الرجل و بناته العذارى يتقربون الى السلطان بالوشاية والسعاية فيه فيصب عليه سوط العذاب ، او يسام النفي من البلاد ، و يأخذ اولاده الجعل على ذلك وهم فرحون - الى هذا الحد وصل فساد سياسة عبد الحميد في هذه الامة ولا سيما في العاصمة فهو ما افسد الناس عليه فقط بالتهمة والريبة وانما افسدهم أيضا في انفسهم حتى قطع اقوى صلات الصلاح وأمتنها بينهم وهي صلة الاولاد بالوالدين

كان الاستاذ رحمه الله تعالى يقول ان اخوف ما أخافه من استبداد عبد الحميد وظلمه هو افساده لاخلاق العثمانيين لا لادارتهم فان اصلاح الادارة من بعده يسهل اذا كانت الاخلاق صالحة ولا يحتاج الى زمن طويل اذا كانت الاخلاق سليمة ، ومتى فسدت الاخلاق فان اصلاحها لا يسهل الا بعشرات من السنين كما جربنا في انفسنا (يعني المصريين) فان اسماعيل باشا افسد الادارة وافسد الاخلاق ، فلما وجدنا ريح الحرية واردنا ان ننهض بالاصلاح كان فساد الاخلاق هو الذي عاقنا لا فساد الادارة ولولا ذلك لكانت هذه المدة التي أبيح لنا فيها مانشاء من التربية والتعليم والكتابة والخطابة والاجتماع كافية لان نرتقي فيها ونكون أمة

وقع ما كان يتوقع ذلك الامام الحكيم فقد افسدت السياسة الحميدية السوءى

أخلاقنا حتى صار الاصلاح عسرا علينا مع الحرية على مقربة مما كان في زمن الاستبداد فان الذي كان يتصدى للاصلاح في عهد عبد الحميد كان يتهم بعدم الاخلاص له ، والذي يتصدى له الآن قد يتهم بعدم الاخلاص للدستور ولرجاله أو العثمانية وعناصرها ، ولا يزال كثير من الكبراء على ما تعودوا في العهد الحميدي يصدقون التهم وان كانت سعاية افك وبهتان ، ويرتابون في طالب الاصلاح وان قام على صدقه الدليل والبرهان ، وكذلك شأن الامم والشعوب في طور الضعف والجهل

* *

أخطأ كثير من المصريين باساءة الظن باخوانهم المخالفين لهم في الرأي واتهامهم بخيانة الوطن ويقع كثير من العثمانيين في مثل هذا الخطإ وضرره عظيم ، أنا لا أقدر أن أصدق بوجود أحد يريد بأمته أو دولته سوء ، ولكن يوجد في كل أمة أفراد قلائل تغلب عليهم الاثرة حتى انهم لا يبالون في طلب حظوظهم بالمصلحة العامة ، ويوجد أفراد قلائل يضادونهم فيغلب عليهم الايثار حتى انهم لا يبالون بمصلحتهم الخاصة اذا عارضت المصلحة العامة أو عاقتهم عنها ، وأكثر الناس لا يرضون أن تمس المصلحة العامة بسوء بل يودون حفظها وإن كان أكثر سعيهم لانفسهم لا لامتهم ، والذين يتصدون للقيام بالمصالح العامة بالعمل والتعليم أو الكتابة والخطابة يخطئون ويصيبون ويتفقون في الرأي ويختلفون ، ولا يجوز اتهام أحد منهم بقصد السوء لامته ، وانما ينبغي ان يتناظروا بالحجة والبرهان ، مع اعتراف كل منهم للآخر بأنه يريد الخير ويطلب الحق ، الا أن يظهر من بعض الناس مايدل على اتباعه هواه في الانتقام من غيره كالبهتان المبين ، والتحريف الظاهر ، فذلك الذي لا يناظر ولا يراجع بل يترك للزمان حتى يفضح بهتانه ، ويتولى خذلانه ، مع بيان الحق في نفسه ، والتحذير من الباطل ورجسه

لقد كان عجب الناس من خطاب ابراهيم حقي باشا الذي اعرب فيه عن قاعدة السياسة في وزارته أن يتبع فيها قوله تعالى « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » وشاع في العاصمة انه سيكون من فروع هذه القاعدة طلبه العفو عن المتهمين بالجرائم السياسية من العثمانيين واستعادة اللاجئين الى أوربا منهم ، ولكن لم يعجب الجمهور

طلبه اعطاء معاش التقاعد لرجال عبد الحميد المنفيين في رودس لانه اسراف في الاحسان الى شر المسيئين ، واعجب من ذلك الطلب تعليله اياه بأنه لم يثبت عليهم شيء وصميا !!!

على ان سياسة دولتنا اصعب السياسة واعقدها فلا ينطبق عليها كل ماينطبق على غيرها من قواعد علم الاخلاق وعلم الاجتماع ، فنسأل الله تعالى ان يوفق رجالها ويؤيدهم بروح منه ليكونوا مصدر الحياة والخير والبركة لها وللشعوب المكونة لاعضائها ، آمين

٭٭٭

(الحق للقوة والقوة بالحق)

كن قويا بالحق يعرف لك حقك كل أحد: العلم قوة، والعقل قوة، والفضيلة قوة، والاجتماع قوة، والثروة قوة، فاطلب هذه القوى بالحق تنل بها كل حق مفقود، وتحفظ كل حق موجود

الوالدان يفضلان العالم من أولادهما على الجاهل، والغني على الفقير، والقوي على الضعيف، يكرمانه بذلك بالمكافأة والمعاملة فيكون بين أخوته الذين هم دونه كأنه من طبقة غير طبقتهم، فهل يلام غيرهما على مثل هذا التفضيل والتكريم

الاخوة أنفسهم يعتزون بأخيهم القوي بالعلم أو المال أو العقل أو الاخلاق أو العصبية ويفضلونه على انفسهم وان كان أصغر منهم سنا ولا يوجد أفراد من الناس بينهم من المساواة مثل مايكون بين الاخوة ولاسيما اذا كانوا أشقاء افلا يكون غيرهم أجدر بتفضيل القوي وتكريمه ؟؟

الجماعات كالافراد في احترام القوة وحفظ حقوق اهلها وتكريمهم وتفضيلهم على أمثالهم سواء كان اهلها أفرادا أم جماعات، فالعشائر في القبيلة الكبيرة، والعناصر في الامة العظيمة، تتفاضل فيخضع ضعيفها لقويها ويعترف له بحق التقدم عليه، وبغير ذلك من الحقوق ومكان كل منها من الآخر كمكان الاخ من أخيه، فما قولك في القبائل والشعوب الاجنبية بعضها مع بعض وكل منها غريب عن الآخر يرى

مصلحته غير مصلحته وربما كانت قوته آفة عليه لامنفعة له

القوي بأي نوع من انواع القوى اكثر حقوقا من الضعيف لانه أقدر على كسب الحقوق فانما يكسب الناس مايكسبون بصفاتهم ومواهبهم التي يكونون بها أقوى استعدادا ممن عداهم

المباراة والتنازع بين الاقوياء والضعفاء من السنن الاجتماعية في البشر ، واعدل احوال القوي مع الضعيف ان يرضى بحفظ حقه الذي يكسبه بقوته من الطرق المشروعة فلا يبغي على الضعيف بغير حق مشروع ، وأفضلها أن يكون إماما له ومرشدا ، وحاميا له من اعتداء غيره وعضدا ، وشرها أن يبغي عليه ويهضم حقوقه ، وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ،

انما كانت المباراة والمنافسة سنة من سنن الفطرة لأن الله أودع في نفس الانسان حب الكمال والسبق والتفوق فهو بذلك يزكي نفسه ويطهرها من ادران النقائص التي تشينها عند المعاشرين والاقران ، وبه يحملها على ما يعد في بيئته من معالي الامور وكرائم الشيم ، وبه يوسع دائرة وجوده بالنعرة والتعصب والترقية لكل ماينسب الى نفسه كالاهل والعشيرة والقوم والامة والدولة والوطن والمذهب الديني والعلمي والسياسي والصناعة ، يباري في كل ذلك من يخالفه وينافسه ، ويلح في ذلك ويبالغ بقدر مايرى من المزاحمة والمعارضة من المخالفين ، فاذا فترت المزاحمة من المخالف فترت الهمة وضعفت العزيمة وانحط شأن الافراد والجماعات والاقوام فمن استطاع ان يجعل جماعة او قوما بمعزل عن المباراة والمنافسة مع غيرهم فقد استطاع ان يقضي عليهم بالضعف والخمول واضاعة الحقوق الموجودة ، واكتساب المزايا والفواضل المفقودة

المباراة والمنافسة من الفضائل ، ومعارج الارتقاء للشعوب والقبائل ، لولا ما يعرض فيها من البغي ، واعتداء حدود الحق والعدل ، فلو ان الناس يتبارون في المسابقة الى الخير والفضل متحريا كل فريق منهم أن يكون اكمل من الآخر من غير بغي عليه ولا عدوان لكان ارتقاء البشر اسرع واقرب ، ولكن القوة تغري صاحبها بالطغيان ، وتجمح به في البغي والعدوان ، فالحق يكتسب بالقوة ويحفظ بالقوة وانواع القوة كثيرة كما

اشرنا الى ذلك في صدر المقالة ولبعض القوى من الفناء والفائدة في بعض المواطن ماليس للاخرى واعلى القوى واشرفها واغناها قوى النفس: العقل والعلم والاخلاق، فاذا وجدت تبعها غيرها الا الكثرة ، واذا فقدت لايغني عنها غيرها حتى الكثرة، وان القوي ليقوي الضعيف بمباراته ومعارضته ويقضي عليه باهماله ومحاسنته، بأهون مما يقضي عليه ببحقه وابادته

الامثلة لما ذكرنا من الاصول والقواعد الاجتماعية كثيرة تراها بين يديك في سائر الاقوام وتقرأها في تاريخهم : إنما نسخ الاسلام بعض الاديان وأضعف البعض الآخر في البلاد التي دخلها بعدم معارضتها وترك أهله لمنازعة أهلها · وقد حدث في الاسلام مذاهب كثيرة ما بقي منها الا ما جرى بين أهلها التعارض والتنافس ، ولولا بادرة العصبية التي بدرت من المأمون في مقاومة اللغة الفارسية لذابت وتلاشت في اللغة العربية بقوة الاسلام كما زالت اللغة القبطية من مصر · واضطهدت اليهود في أوربا قوى الكثرة والسلطة ، فالجأ هؤلاء الى قوة الرأي والحيلة ، فقلبوا سلطة الملوك وصار لهم مكانة عالية في أعظم الممالك الاوربية وأرقاها

تزاحمت الشعوب الاوربية وتنافست فارتقت وعزت وصار بعضها قريبا من بعض في القوى الكسبية كالعلوم والفنون والصناعات والاخلاق والاجتماع والاتحاد وبقي التفاوت عظيما في قوتي الكثرة والثروة ، اتفقوا على تأمين الشعوب الضعيفة بالقلة (كسويسره) من بغي القوة بالكثرة ، وتحالف المتقاربون في القوى الحربية ليأمن القوي من بغي الاقوى ، فالقاعدة التي بني عليها هذا التحالف هي ان المزاحمة والمنافسة في السبق والتفوق في كماليات الحياة تقضي بطبعها الى المناصبة والمقاومة وهذه تفضي الى البغي والعدوان ولا يحول دون البغي والعدوان الا تكافؤ قوى الاقران

علينا نحن معاشر العثمانيين ان نكون على بصيرة في حياتنا الجديدة التي نستقبلها بالدستور ، ولا بصيرة للجاهل بمثل ما أشرنا اليه من سنن الاجتماع ومن لا يعتبر بأحوال الامم والشعوب في هذه السنن

نحن أمة مؤلفة من شعوب شتى لا جامعة لها كلها الا اعتقادها ان ارتباط بعضها ببعض يكون لها قوة عامة يعتز بها كل واحد منها وتكون مباراته ومنافسته

للآخر من غير بغي ولا عدوان سببا لقوة الوحدة العامة بقوة أفرادها

يجب أن تتبارى عناصرنا في تقوية أنفسها بالعلم والثروة وان يعلم كل عنصر منها انه اذا بقي متخلفا عن اخوته فان أمه الدولة تفضل عليه اخوته من العناصر الاخرى في جميع أعمالها كما تفضل أم الاولاد ولدها العالم على الجاهل

ان مباراة العناصر العثمانية بعضها لبعض مع الاتفاق على البر بوالدتهم الدولة العلية والاحسان بها ورفع شأنها هو الذي يسرع ترقيهم وترقي الدولة ، فعليها ان ترغبهم في المباراة والمنافسة وتمنعهم من البغي والاعتداء فيهما فقط ، وأن لا تحابي عنصرا منهم محاباة لا يأذن بها شرعها ودستورها

بل أقول انه ينبغي للولايات وللألوية وللاقضية ان تتبارى وتتنافس في العمران ، بل ينبغي للمدن والقرى والشركات والافراد في البلد الواحد ان تتبارى في ذلك فالمباراة هي السائق القوي للارتقاء السريع مع اتقاء البغي من بعضهم على بعض

أعجبني اهتمام أهل بيروت والشام بأمر السكة الحديدية التي يقال انها ستكون بين طرابلس والعراق ومذاكرتهم في جعل طريقها من بلديهم وان كنت أرى انهم غالطون في رأيهم وحسبانهم ان تلك السكة تضر بتجارتهم أو تنقصها وفي حسبانهم ان ايثار بيروت والشام على طرابلس أمر ميسور . والصواب عندي ان وجود هذه السكة يزيد جميع البلاد السورية والعراقية عمرانا فتنمو الثروة فيها كلها ومنها بيروت والشام ولكن الزيادة النسبية في طرابلس تكون اكثر منها في بيروت وذلك لا يضر بيروت بل يفيدها ولا سيما اذا اتصلت بطرابلس بخط عريض وذلك من أيسر الامور .

وجملة القول ان هذا العصر هو عصر المباراة والمنافسة من سبق فيه ساد وعلا ومن تخلف فيه خاب وخسر ، وامتهن واحتقر ، فعلى العقلاء من كل عنصر وفي كل ولاية وكل بلد أن يحثوا قومهم على ذلك وان تكون وجهتهم فيه ترقية الامة والدولة بترقية أنفسهم ليكونوا بعلومهم ومعارفهم وثروتهم واجتماعهم حصنها الحصين ، وركنها الركين

الاسلام في نيازالاند (*)

﴿ قول لحاكمها ﴾

لما زرت نيازالاند منذ ٢٠ سنة لم يكن الاسلام موجودا الا في بقعة أو بقعتين جاءها به بعض العرب ومن ذلك الحين انتشر الاسلام انتشارا عظيما لا سيما في السنوات العشر الاخيرة وقد امتازت قبيلة (الياوس) بالميل الى الاسلام ونشره وأما القبائل المقيمة غربي بحيرة (نيازا) فليس بينها مسلم وقد تغلبت البعثة الاسكوتلاندية الدينية هناك فمال القوم الى النصرانية ، أما الاسلام فقد كان انتشاره من ساحل إفريقية الشرقي وليس من السودان والفضل الاعظم في نشره لعرب جاءوا من زنجبار وقد تمت هذه النهضة الاسلامية بدون مساعدة وليس فيها شيء من قبيل الدعوة الجامعة . وفي جميع بلاد (ياو) من بحيرة نيازا الى الساحل الشرقي يوجد في كل قرية تقريبا جامع وامام ، وليس في هذه النهضة شيء من التعصب أو العداء فان جماعة الياوس يميلون الى الحكومة ولا تزال هذه النهضة حتى الآن خالية من كل أذى (!!) على أنه مما لا ريب فيه دائما أن الاسلام معارض للنفوذ الاوربي (!!) أما الحكومة فقد جرت على خطة النزاهة فلم تفضل دينا على دين آخر ولا خوف من هذا القبيل ما دامت هذه خطة الحكومة ولا أظن أن النهضة الاسلامية تنتشر الى جنوبي (زمباسي) نظرا لقوة النفوذ الاوربي هناك اه

وقد نشرت هذا القول جريدة الدايلي تلغراف من كبريات جرائد لندرة وقفت عليه بهذه المقالة

(*) كلام للسر ألفرد شارب حاكم نيازالاند نشره في جرائد لندره وترجمته بالعربية جرائد مصر اليومية

«إن نهضة الاسلام لجديرة من انجلترا بعناية أكثر من العناية المبذولة الآن في سبيلها نظراً لاتساع سلطة ملك انجلترا على المسلمين ولأن لها منهم رعايا أكثر من رعايا سلطان الدولة العثمانية ، ولقد قلنا مراراً ان كثرة عدد المسلمين في المملكة الانجليزية جعل واجباتها نحو الاسلام ذات صفة خاصة !

«على أنها فرطت في اهمال هذه الواجبات واذا بأمة أخرى تنتهز الفرص السانحة وتدرك ماجهله الانجليز وتفعل مالم يفعلوه

«فالواجب الاول المفروض على انجلترا نحو الاسلام هو أن تفهم هذا الشعب ولا سبيل الى هذا التفاهم الا بتعليم جميع الانجليز الذين يختلطون بالمسلمين لغات الشعوب الاسلامية وطريقة فكرهم وشرائعهم . الا أن الدولة لم تقتصر على اهمال هذا الواجب اهمالا تاما ولكنها لم تعين له النفقات ولم تبذل في سبيله من الاهتمام ماهو جدير به ، على أن مراسلنا في برلين يقول في رسالته الاخيرة : إن المانيا تهتم كثيراً بما أهملناه فقد انشأوا في المانيا « مجلة تأريخ ومدنية الشرق الاسلامي » وفي أكثر من مدرسة جامعة المانية يوجد قسم خاص لتعليم لغات الشرق وآدابه . وقد سعى الالمان بواسطة هذه المباحث وراء التدخل بين المسلمين لمصلحته الخاصة وقد أشار مراسلنا في برلين الى وجود مدارس المانية في مراكز عديدة في المملكة العثمانية وانهم ينوون انشاء مدرسة جامعة المانية في آسيا الصغرى أو ما بين النهرين ، وهي مساع سلمية تبذلها المانيا في سبيل تعزيز روابط العلاقات بينها و بين الدولة العثمانية ، فهل سعت انجلترا السعي الواجب في سبيل تعزيز الصلات بينها و بين الشعوب الاسلامية التي تتولى أمورهم ؟ وأهم هذه البلاد هي الهند ومصر . نحن نرسل اليهما نخبة من رجالنا لتولي أمورها وهم ما بين انجليزي واسكوتلاندي وارلندي ولكننا لانبذل الجهد لافهام قومنا في انجلترا بالذات هـذه الحقيقة بحيث يدركون ما يفعله رسل دولتنا هناك . فان مدارسنا الجامعة لا تحفل بالدروس الشرقية كما ان المدارس العامة لاتتعرض لها ، والذين يعرفون اللغة العربية في انجلترا أو يعلمون شيئاً عن الاسلام وحياة المسلمين هم أندر من الكبريت الاحمر . ان من مصلحة حكومة الهند وسلطتنا في مصر أن نعد بعض رجالنا ليقفوا على حركة الاسلام

وسيره . لا يفهم من قولنا هذا انه لا يوجد في انجلترا من يعلم ذلك والحقيقة ان فيها عدد غفير من هؤلاء العالمين الذين يهتمون بهذا الامر . فعندنا الجمعية الآسيوية الملوكية وجمعية آسيا الوسطى وعندنا بعض أساتذة جامعاتنا ولهم اهتمام تام باللغة العربية والاسلام ، على أن الدروس في تلك المدارس ليس فيها ما يحفز الانسان الى السعي والاهتمام وكان يجب على الحكومة أن تعين مبلغا كبيرا إعانة لمعهد شرقي عظيم يدفع بكثير من شباننا الى الانقطاع لنقل حقيقة الشرق الى الغرب وهذا النقل ضروري لمصلحة الغرب والا فان الغرب لا يمكن أن يدرك حقيقة الشرق ، ولقد زعم قوم منذ عشرين سنة أن الاسلام لا يمكن أن يدرك حقيقة الغرب لان إدراكه له يؤدي الى سقوطه ، ومنذ خمسين سنة زعم (رانك) أن الاسلام يضعف كلما أثرت فيه المؤثرات الغربية ، ومع ذلك فقد تواترت النهضات الاسلامية من ذلك الحين ، ففي إفريقية ظهر المهدي وأمثاله والسنوسي وانتشر الاسلام جنوبا يجرف كل دين آخر في سبيله وأوجد وراء بحيرة تشاد المدن الكبيرة وهي ذات نظام وشرائع تختلف كثيرا عن الهمجية السابقة ولم يؤثر في الهنود اختلاطهم بالانجليز وهذه الدولة العثمانية التي سميت قبلا « بالرجل المريض » قد نهضت نهضة وطنية على قاعدة لا تختلف عن الاسلام في شيء . وكل هذا هو من قبيل وضع خمر جديدة في زجاجات قديمة (1) ولا نعلم حتى الآن ماذا تكون النتيجة على أن حالة مصر تفيدنا ان الغرب كان عجولا وكان الاولى به أن يتدبر الامر طويلا . فدراسة هذه المسائل من مقتضيات المصلحة الوطنية الانجليزية وجدير برجال سياستنا أن يعتنوا به عناية خاصة اهـ

(المنار) عسى ان يكون لمحاربي العربية عظة بهذا الكلام ، وأن يعلموا ان محاربة العربية محاربة للاسلام

الدعوة الى التعليم

(في حضرموت)

« لصاحب الامضاء »

ليس مشروع الدعوة حديث العهد عند الامة الحضرمية فانه من المشروعات التي اهتمت لها منذ ثماني حجج لكونه من الحاجيات الضرورية لحياة الامة ونمائها ولذلك لايألو جهدا بعض ذوي الهمم العالية في استنهاض همم ابناء جلدتهم الى القيام بتأسيس مدرسة في إحدى مدن حضرموت جامعة لانواع العلوم تشرق من جوانبها انوارها عسى ان يحيوا ما اندثر من مجد اسلافهم القديم ويقتدوا باخوانهم من أبناء ملتهم سيرا في سبيل النهضة

ولكن ياللعجب ! ان هذا المشروع لم يتم الى الآن مع ان الحضرميين الموجودين الآن في هذه الجزائر يُنيفون على اربعين ألف نسمة غالبهم في سعة من الرزق لو فرضنا ان عشرة آلاف منهم أعني ربعهم في الدرجة الاولى ونصفهم متوسطون والربع الاخير مقلون وجعلنا نصف الربع الاول اعني ثمنهم ممن تبلغ ثروتهم الملايين ومئات الالوف ووزعنا المطالب عليهم لجاءت النتيجة كما يأتي :

	عدد	على كل واحد	الجملة
الثمن الاول	٥،٠٠٠	٥٠،٠٠٠ روبية	٢٥٠،٠٠٠ روبية
الثمن الثاني	٥،٠٠٠	٢٥،٠٠٠ «	١٢٥٠٠٠ «
النصف المتوسط	٢٠،٠٠٠	١٠،٠٠٠ «	٢٠٠،٠٠٠ «
المقلون	١٠،٠٠٠	١ «	١٠،٠٠٠ «

٥٨٥،٠٠٠ حاصل الجمع

فتكون هذه دفعة واحدة فيشترون بها عقارات من هذه الاراضي ذات ريع كثير ويكون الريع على قدر ما تحتاج اليه المدرسة

فهذه الامة الموجودة في هذه الجزائر هي بالنسبة الى الموجودين في الجهة الحضرمية الذين انهكهم الفقر المدقع والجهل المظلم اقل عددا

أليس لنا في اغنيائنا في هذه الاقطار رجل كريم يظهر الغيرة العربية والحمية الاسلامية والشفقة الانسانية والرأفة الاخوية فينهض بأمته ويجبر كسرها ؟ أليس فينا من يبرهن اننا من سلالة أولئك الرجال الماضين الذين بذلوا اجهادهم حتى ملأوا الكائنات نورا ؟! فمتى نرى اخراج هذا المشروع وابرازه الى الوجود ؟وأنى لنا ذلك ومن لنا والامة غارقة في غياهب الغفلة ودياجير التقليد والاوهام !! والله انهم لاهون بمنام لايفكرون فيما اصاب هذه الامة ولايبالون بها ترقت أم تدلت ، اعتزت أم ذلت ، بل كل ذلك لديهم سواء

فيا للخجل ! اليس عارا ان نرى بأعيننا ونسمع بآذاننا ماحل بقومنا من السقوط الى الدرك الاسفل والانحطاط والتدلي في الهيئة الاجتماعية ولا تستفز احدا منا الغيرة ولا الحمية لانقاذها من ربقة الذل وانتياشها من وهدة الجهالة ؟

فاذا عرفنا هذا علمنا انا حائدون عن أوامر ديننا منحرفون عن سبيل الاسلام السوي

لقد شوهنا وجهه وأضررنا بسمعته عند بقية الامم ولو كان فينا قطرة من دم آبائنا الكرام وذرة حمية للجامعة القومية لتآزرنا واتحدنا على إحياء الشعور وايقاظ النائمين واثارة الافكار والحث على الانفاق . فتداركوا أيها الحضرميون الوقت قبل فواته وقبل ان يتخطفكم الداء الغربي ويضع الاغلال في اعناقكم كما وضعها في اعناق الهنود والمصريين والجاويين ولسوف تندمون ولا ينفع الندم !! تفكروا واعملوا قبل نزول البلاء ولا تتهاونوا مثلما تهاون اخواننا التونسيون والجزائريون والمراكشيون متكلين على الخرافات حتى دهمهم البلاء ولم تغنهم خرافاتهم ونحن الآن محتذون مثالهم وسائرون في طريقهم نتخبط كأن بنا مسا من الشياطين !

اشفقوا أيها الحضرميون على دينكم وقومكم ووطنكم وسمعة سلفكم ومستقبل أيامكم وأولادكم فانا لفي غرور عظيم . واذا نظرنا بعين الحق والانصاف ونفي الحماقة والتعصب الاعمى نرى مايوجب الاضطراب واليأس من تكاسلنا وتقاعدنا في جانب بقية الامم التي تسابق الى تنازع البقاء !

فانشدتكم الله أيها الرجال المخلصون في خدمة الوطن والامة : ماالفائدة في فتح المدارس في جاوه وحدها لأبناء العرب ؟ هل تعود على الوطن واهله بكل مانرجوه له من الفوائد ؟ لاأظن ، لان ابناء العرب هنا لم يعرفوا معنى الوطن بل هم يكرهون ذكر ارض العرب ، وان قلت يكرهون العرب انفسهم ولا يحبون الامن نشأوا بينهم لما كنت مبالغا ، فالفائدة عائدة لشخصيتهم فقط لالمجموع أهل وطنهم كما توهم الاغرار . اذا فرضنا ان ابن العرب المستعجم حاز القدح المعلى في لغة الاجانب والكتابة والحساب ونال الشهادة المدرسية في الهندسة وما أشبه فهل تظنون ان الحكومة الاجنبية تمنحه رتبة وتعطيه راتبا يوازي نصف أو ربع ماتعطيه لاحد الاوربيين ؟ كلا . فرضنا انه صار كاتبا في الحكومة أو عند أحد التجار الافرنج راتب شهري قدره عشر روبيات الى خمس عشرة روبية فيعيش بهذه فيبقى مدة حياته في هذه الجزائر : فهل للوطن اذا فائدة أو لابناء وطننا التعيس الحظ ؟ كلا ! فحينئذ لايكون في فتح المدارس هنا كل الفائدة لابناء العرب بل الفائدة فتحها في وطننا العزيز وتعليم النابتة هناك ويمكن ان يرسل أولاد العرب الذين يولدون هنا الى تلك المدارس فتكون العاقبة محمودة لهم ولوطنهم وملتهم جميعا

فهل تليق بنا هذه الغفلة مع أن للعرب خصوصا وللمسلمين عموما علماء واغنياء في غالب مستملكات الاجانب ؟!

فبأي شيء تعاملهم الاجانب ؟ هل أحد منهم نال رتبة وال أو حاكم أو أعطته راتبا يوازي راتب أقل واحد من الاوربيين ؟ أو هل نظرت اليهم بعين الشرف والعز والاحترام ؟ كلا وانما هم ينظرون اليهم بعين الاحتقار كما ينظرون الى ارذل حيوان ولسان حالهم يقول : لو كان هؤلاء يعدون من بني الانسان لكان لهم سلطة على بلادهم ولأصلحوا ذات بينهم . فكيف تريدون الاجانب على اكرامكم وانتم لم تكرموا انفسكم فمن أي باب تطلبون الشرف ؟ فالشرف هو في ترقية الوطن ولم شعث ابنائه والاخذ بناصر المظلوم وانتياش الجاهل من حمأة الغفلة وبذل العلوم المفيدة وبذل المال لتأسيس المدارس . وفقنا الله الى مافيه صلاحنا

فتاوى (جاوه) ——— علي بن شهاب

قانون حق التأليف (*)

المادة الاولى — لكل نوع من النتائج الفكرية والقلمية حق لصاحبها يسمى «حق التأليف» .

المادة الثانية — النتائج الفكرية والقلمية هي جميع انواع الكتب والمؤلفات والرسوم والالواح والخطوط والمحكوكات والميا كل والخطط والخرائط والمسطحات والمجسمات المعمارية والجغرافية والطوبوغرافية وكل المسطحات والمجسمات الفنية والترانيم والتواقيع (نوطه) الموسيقية .

المادة الثالثة — ان حق التأليف يتضمن طبع ونشر هذه الآثار والاتجار بها وترجمتها للسان آخر أو افراغها لرواية تمثيلية ويشمل الدروس والمواعظ والخطب والمسامرات التي تلقى لاجل التعليم والتربية أو الفكاهة . أما الخطب التي تلقى في مجلس المبعوثان والاعيان والمحاكم والاجتماعات العمومية فلكل انسان ان يضبطها وينشرها . وانما جمع خطب خطيب او دروس استاذ وتدوينها وطبعها هو حق من حقوق صاحبها .

المادة الرابعة — المقالات والرسوم التي تنشر في الجرائد اليومية والموقتة اذا كانت مقيدة بعبارة مثل «حقها محفوظ» «ونشرها وترجمتها ممنوع لغير صاحبها» فحقها محفوظ .

ولكن المقالات والرسوم والاخبار اليومية غير المقيدة بمثل هذا القيد لا يعتبر فيها حق التأليف على شرط ان يبين مأخذها .

المادة الخامسة — لا يجوز استعمال اسماء الجرائد والمجموعات والرسائل والكتب الموجودة من قبل أحد وانما لكل انسان ان يضع لمؤلفاته اسماء وعنوانات عمومية .

(*) نشرته جريدة الحضارة ثم طبعته على حدة .

المادة السادسة — ان حق التأليف عائد للمؤلف في حياته اما بعد وفاته فهو عائد اولا لأولاده وازواجه لمدة ثلاثين سنة من تاريخ وفاته . ثانيا لآبائه وامهاته . ثالثا لاحفاده بالتساوي . وعليه لايجوز طبع ونشر هذه المؤلفات أو ترجمتها للسان آخر في هذه المدة من قبل احد غير مؤلفها أو ورثته .

المادة السابعة — ان حق التأليف في الالواح والخطوط والنقوش والرسوم والاشكال والخرائط وجميع المسطحات والمجسمات المعمارية والجغرافية والطوبوغرافية بعد الوفاة هو ثماني عشرة سنة اما حق التأليف في الترانيم والتواقيع الموسيقية فهو كالكتب والمؤلفات (ثلاثون سنة) .

المادة الثامنة — ليس في القوانين والنظامات والاوامر والتعليمات الرسمية والاعلانات التجارية والصناعية حق التأليف ولكن للذين يعلقون عليها ويشرحونها حق محفوظ في هذه التعاليق والشروح .

المادة التاسعة — ان مدة حق التأليف للآثار التي لم تنشر في حياة المحرر تبتدئ اعتبارا من تأريخ نشرها .

المادة العاشرة — لايجوز تمثيل رواية منثورة أو منظومة أو تمثيل قسم منها من غير اذن المؤلف ولا يتضمن حق طبع هذه الآثار ونشرها حق تمثيلها .

المادة الحادية عشرة — ان تمثيل الروايات المنثورة والمنظومة في المسامرات التي ترتبها المكاتب والجمعيات الخصوصية لا لقصد الانتفاع غير تابعة لحق التأليف

المادة الثانية عشرة — يجوز اخذ بعض القطع من أي أثر كان لضرورة أو لفائدة من الآثار الادبية والعلمية والكتب المخصوصة بالمدارس وفي الانتقادات على شرط ان يذكر اسم المؤلف .

المادة الثالثة عشرة — لاتنشر المكاتيب الا برخصة من صاحب تلك الآثار اذا كان حيا أو من عائلته اذا كان متوفى .

المادة الرابعة عشرة — يمكن ترجمة اثر من الآثار من قبل واحد أو اكثر ضمن أحكام هذا القانون وحق كل مترجم من ترجمته كحق التأليف اعتبارا من وفاة المترجم .

المادة الخامسة عشرة — ان حق التأليف في الآثار التي تنشرها الدوائر الرسمية والجمعيات المعروفة لدى الحكومة بصورة رسمية عائد لتلك الدوائر والجمعيات .

المادة السادسة عشرة — اذا ألف او ترجم اثر من قبل اشخاص متعددين من غير مقاولة فحق التأليف او الترجمة عائد اليهم كافة على التساوي واذا توفي احد الشركاء فحق استفادته من الاقسام التي نشرت لتاريخ وفاته والمسودات التي اعدت للنشر ينتقل لورثته وتعتبر مدة الثلاثين سنة في حق التأليف ومدة الخمس عشرة سنة في حق الترجمة اعتبارا من وفاة آخر شريك في التحرير واذا كان يوجد مقاولة مخصوصة بين الشركاء فيجري حكم المقاولة تماما واذا حدث خلاف ما يرجع الى المحكمة

المادة السابعة عشرة — اذا لم يبق لاثر صاحب ما كأن توفي مؤلفه بلا وارث او انقطعت الوراثة او حدثت اسباب اخرى فكل انسان له الحق بطبع ذلك الاثر وترجمته .

المادة الثامنة عشرة — يمكن لكل أحد ان يطبع الآثار المطبوعة قبلا والتي لا صاحب لها وفقا للمادة السابقة واما الذين يودون طبع اثر لم يطبع حتى الآن فيعطى لهم بناء على استدعائهم امتياز من قبل نظارة المعارف لمدة عشر سنوات الى خمس عشرة سنة وحينئذ لا يجوز لغير صاحب الامتياز أو ورثته طبع هذا الاثر في ظرف هذه المدة وانما اذا لم يباشر طبع الاثر في مدة سنة أو عطل سنة بعد مباشرة طبعه فيعد الامتياز كأن لم يكن .

المادة التاسعة عشرة — اذا فقدت بعد وفاة المؤلف نسخ اثر من الآثار المعتبرة التي يرجى منها فائدة للعموم ولم يتيسر طبعه لسبب من الاسباب كفقر ورثة المؤلف أو اهمالهم أو عدم اتفاقهم فنظارة المعارف تستكمل اسباب طبع هذا الاثر مع مراعاة حقوق الورثة .

المادة العشرون — على مؤلفي الآثار ان يعطوا ثلاث نسخ مطبوعة من اثرهم لنظارة المعارف في الآستانة ولمديرية المعارف في الخارج ويقيدوه ويسجلوه ليحفظوا

بذلك حق تأليفهم اما الآثار التي ليس لها الا صورة واحدة كالالواح والتماثيل والتعاليق (المداليات) فهي مستثناة من هذه المعاملة ·

المادة الحادية والعشرون — يقيد في الدفتر المخصوص الذي ينظم في نظارة المعارف ومديرياتها لحق التأليف ماهية المؤلف واسم الاثر وموضوعه وتاريخه ومحل طبعه وعدد صحائفه ويوضع له رقم بالترتيب و بعدها يوقع عليه من صاحب الاثر او وكيله الرسمي ·

المادة الثانية والعشرون — يؤخذ في دوائر محاسبات المعارف ربع ليره عثمانية فقط خرجا للقيد والتسجيل و يعطى بمقابله من قبل نظارة المعارف او مديرياتها علم وخبر يعتبر بمقام سند للتصرف يكون معمولا به الى ان يثبت عكسه بالمحاكمة ·

المادة الثالثة والعشرون — تجري معاملة قيد المطبوعات الموقتة في كل آخر سنة عند اراءة النسخ التي نشرت وتسجيلها ·

المادة الرابعة والعشرون — لا تسمع دعوى حق التأليف في المؤلفات غير المسجلة الى حين تسجيلها · تعلن في آخر السنة الآثار التي قيدت وسجلت في ظرف السنة واسماء مؤلفيها رسميا بواسطة الجرائد ·

المادة الخامسة والعشرون — لصاحب الاثر او المترجم اوصاحب الامتياز او ورثتهم ان يبيعوا أو يتركوا في ظرف المدة النظامية حق التأليف او الامتياز تماما أو موقتا او بتعيين عدد النسخ لآخر بموجب مقاولة بمقابل بدل او بلا بدل ويكون المشتري او الآخذ حينئذ قائما مقام اصحابها ضمن شروطها حتى انه اذا توفي قبل اكمال المدة تعد ورثته متصرفة في المدة الباقية ·

المادة السادسة والعشرون — يجب تسجيل مقاولة البيع او الترك في نظارة المعارف في الاستانة وفي مديرياتها في الخارج ويؤخذ نصف ليرة عثمانية خرج قيدية ولدى ابراز المقاولات التي لم تقيد على هذه الصورة الى المحاكم يؤخذ ثلاثة اضعاف الخرج المذكور جزاء ويرسل الى صندوق المعارف ·

المادة السابعة والعشرون — المحررون واصحاب الصناعة الذين يشتغلون لاسم غيرهم يعتبرون بائعين حق تأليفهم اذا لم يوجد مقاولة خصوصية ·

المادة الثامنة والعشرون — ليس للطابع ان يحدث تغييرا ما في الاثر بدون اذن المحرر واذا اجرى ذلك منع نشر الاثر بواسطة المحكمة وتعلن صورة الاعلام بالجرائد وليس للطابع ان يسترد الاجرة التي اعطاها للمحرر.

المادة التاسعة والعشرون — ان طبع كتاب وتمثيله في المدة المحقوقية من غير اذن صاحبه يعد تقليدا وكذلك تمثيل رواية منثورة أومنظومة في المدة المحقوقية من غير رخصة اصحابها وطبع التواقيع (نوطه) الموسيقية أواستنساخ الخرائط والالواح والرسوم وانواع الخطوط بالفوطوغراف او بوسائط اخرى واعمال قوالب للآثار الفنية والموسيقية بالوسائط الصناعية واعمال الواح لها (بلاكات) هو بحكم التقليد يجازى المقلدون توفيقا للمادة الثانية والثلاثين.

المادة الثلاثون — ان نسبة الآثار في التأليف والفنون النفسية لغير اصحابها يعد انتحالا وكذلك من قدم وأخر عبارات كتاب او اناشيد موسيقية او حرف طرز افادتها كله بصورة يفهم منها الاصل واسندها لنفسه يعد بحكم المنتحل.

المادة الحادية والثلاثون — التقييدات والشروح والحواشي لا تعد انتحالا وكذلك اذا نقل المؤلف بعض جمل وفقرات من اثر آخر لاثره ونوه بانه اخذه من محل آخر لا يكون منتحلا.

المادة الثانية والثلاثون — من طبع الآثار التي لها حق التأليف بدون رخصة من اصحابها او توسط بطبعها او مثل رواية منثورة أومنظومة يغرم بخمس وعشرين ليرة عثمانية الى مئة ليرة جزاء نقديا ويحبس من أسبوع الى شهرين وتضبط منه الآثار التي طبعها وتعطى الى اصحابها وكذلك من طبع مثل هذه الآثار في الخارج ومن ادخلها الى الممالك العثمانية يغرم بخمسة وعشرين ليرة عثمانية الى مئة ليرة جزاء نقديا والذين يبيعون هذه المطبوعات وهم عارفون بها او يعرضونها للبيع يغرمون بخمس ليرات عثمانية الى خمس وعشرين ليرة جزاء نقديا.

المادة الثالثة والثلاثون — اذا اقيمت دعوى الضرر والخسارة من قبل صاحب الاثر المتضرر يعطى بحقها قرار من المحكمة نفسها مع اساس الدعوى.

المادة الرابعة والثلاثون — يعامل الطابعون الذين يطبعون كتبا زيادة عن

المقاولة التي عقدوها مع المؤلف معاملة الذين خالفوا الامانة وتضبط النسخ الزائدة التي طبعوها ويؤخذ منهم بدل ما باعوه منها ويعطى كل ذلك لصاحب الاثر .

المادة الخامسة والثلاثون — تطبق أحكام المادة الثانية والثلاثين التي بحق المقلدين بحق المتحلين أيضا .

المادة السادسة والثلاثون — لاصحاب الاثر المشترك ان يراجعوا المحكمة على الانفراد ويطلبوا الضرر والخسارة التي ملحقتهم بسبب التجاوز على حقوقهم التصرفية من قبل الغير .

المادة السابعة والثلاثون — لا يجوز للدائنين حجز آثار المؤلف التي لم تطبع واذا صدر حكم في بيع الآثار والمؤلفات التي حجز عليها يعتنى كثيرا بعرضها للبيع ووقاية أصحابها من الضرر .

المادة الثامنة والثلاثون — النظام المتعلق بطبع الكتب والمؤرخ في ٨ رجب سنة ٢٨٩ و ٣٠ آب سنة ٢٨٨ مفسوخ بهذا القانون مع الفقرات الذيلة عليه .

المادة التاسعة والثلاثون — ان الذين طبعوا أثرا قبل نشر هذا القانون بدون ان يحصلوا على رضى صاحبه أو ورثته عليهم مراجعة صاحبه أو ورثته واستحصال رضائهم واذا استمروا على بيع الآثار المقلدة من غير رضى أصحابها يجازون بمقتضى هذا القانون .

المادة الاربعون — ان تنفيذ الاحكام القانونية على الجرائم المعينة بهذا القانون متوقفة على شكاية شخصية .

المادة الحادية والاربعون — ان حق التأليف في الآثار التي نشرت بلا امضاء أو بامضاء مستعار راجعة الى ناشرها الى ان يظهر محررها نفسه

المادة الثانية والاربعون — ناظر المعارف والعدلية مأموران باجراء هذا القانون .

في ١٠ جمادى الاولى سنة ١٣٢٨

وفي ٦ مارس سنة ١٣٢٦

باب الاخبار والآراء

تعارض العقل والنقل

(في الاسلام) (*)

نص السؤال

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الى جناب المكرم الاخ في الله مفيد السائلين وقدوة الناسكين امام المحدثين سالك منهج الراشدين شيخنا الفاضل الامجد محمد جمال الدين القاسمي سلمه الله من كل شر وجعلنا وإياه من اتباع سيد البشر آمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته ومرضاته · اما بعد فانه وصل الينا عزيز كتابكم ، تلوناه مسرورين بسني خطابكم ، وحمدنا الله على ما اولاكم ؛ اصلح الله احوالنا واحوالكم ، واحسن عواقب الجميع انه ولي التوفيق

وبعد اني تظرت في اماكن من كلام الشيخ محمد عبده رحمة الله عليه مثل توسعه في ذم السياسة وذم التقليد ومحبته لطريق السلف وحثه على النظر فيه في اصول الاعتقاد وحثه على مآخذ الائمة من الكتاب والسنة واحترام اهل الحديث واهل الاثبات وتمييزه طريقهم عن غيره ، فحق لي ان أقول هو العالم الحبر الذي ينبغي ان تشد

(*) سؤال من الشيخ عبد العزيز الستاني العالم السلفي عن عبارة للاستاذ الامام في كتاب الاسلام والنصرانية وجهه الى الشيخ محمد جمال الدين القاسمي عالم دمشق الفاضل الشهير وجواب هذا عنه واذعان السائل لجوابه

اليه الرحال وودت اني سألته في حياته ايضاح قاعدة في اصل الاعتقاد قد رسمها
في كتاب الاسلام والنصرانية في تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض قال
في كتابه « اتفق اهل الملة الاسلامية الا قليلا ممن لا ينظر اليه على انه اذا تعارض العقل
والنقل اخذ بما دل عليه العقل . وبقي في النقل طريقان طريق التسليم بصحة المنقول
مع الاعتراف بالعجز عن فهمه، وتفويض الامر الى الله في علمه، والطريق الثانية تأويل
النقل مع المحافظة على قوانين اللغة حتى يتفق معناه مع ما أثبته العقل . (وقال) وبهذا
الاصل الذي قام على الكتاب وصحيح السنة وعمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مهدت
بين يدي العقل كل سبيل » اه كلامه قسمها ثلاثة اقسام، الاول التقديم عند التعارض
مطلقا، والثاني التفويض، والثالث التأويل، فالاول لولا ذمه لتقليد الفقهاء فضلا عن
الآراء الفلسفية قلنا هذا تقليد لم يناه على اصلهم، والثاني التفويض وفيه ما فيه، والثالث
ولا تميزه واعلاوه طريقة السلف قلنا عني بالتأويل اصطلاح الفلاسفة الذي حقيقته
التبديل، وكذلك (قال) وهذا الذي عليه عمل النبي صلى الله عليه وسلم فهمنا من ذلك
انه بني تلك الاصول على وجه يمكن انه من السنة لكن لم يحط به علما خلاف ما يتوهم،
ولأنه بعيد من البداوة والتقليد بغير الوقوف على الحقائق، واني لعلى نظر بل على قدم
ان العقل عقلان عقل صحيح وعقل فاسد وان النقل نقلان (؟) نقل صريح صحيح ونقل
غير صحيح فالعقل الصحيح، موافق للنقل الصريح، لا تعارض ولا تنازع بينهما وما
حصل من التنازع فهو من سوء الافهام ليس هو اختلال في العقل الصحيح، ولا قصور
من النقل الصريح، ومع هذا لم يرتفع عني وجد الاشكال بالكلية، بل على عينيه لما في
ذلك من الاجمال واحتمال التفاصيل ما يحتاج الى فهم سيال وفكر وقاد فاستشكلت
ذلك جدا، وطلب التسليم لقاعدة صاحب الاسلام والنصرانية اعوزني الى ان انظر
في كتاب شيخ الاسلام ابن تيمية المسمى بالجمع بين العقل الصحيح والنقل الصريح
وهو بهامش كتابه منهاج السنة في الرد على الرافضة فسرحت نظري في اول الكتاب
واسترسلت به نحو فصلين فصبر على التسليم المتقدم مطلقا فاوقفني ذلك الكتاب على
نيل ابحاث موارد طرق شتى متباعدة الاعماق، متخالفة المساق، متباينة المذاق،
فمنها ما هو ملح اجاج آسن كدر، ومنها ما هو عذب صاف فرات سائغ الشراب،

وما بينهما في الاقل والاكثر مزج من الجانبين فصوبت نظري مليا في ذلك فاذا الناس في تنوع طرقهم الى مواردهم يهرعون سراعا ، أقطاعا وأرسالا وأشتاتا لا يصدهم وذح قذى ما في مواردهم ، فسبحان الله لقد استعذب كل اناس مشربهم ، ثم علوت اعلا نثيل تلك الموارد ، دنف البدن من زواعج التفكر ، شعث القلب لهفا ، متفطر الكبد ظما ، مرتجف الاعظم وجلا ، مفتقرا لم شعث قلب ، وضم فطرة كبد ، ونقش ظماء ، وسكون اعظم ، وتمريض طبيب ، فاستجرت بذلك اليكم ، كي استضيء بنور علمكم ، واستصبح بمشكاة فهمكم ، وأستعين بباسق فضلكم ، الى معرفة أصول الايمان الذي انزلت به الكتب ، وارسلت به الرسل ، وما يتوقف وجود الايمان على وجوده ، وما يعدم من عدمه ، ولكم في ذلك إن شاء الله الأجور الوافرة ، والمقامات الفاخرة ، في الدنيا والآخرة ، وفقنا الله واياكم السداد ، وألهمنا وإياكم الرشاد ، انه رؤف بالعباد ، هذا ما يلزم

وأبلغ سلامي فريد عصره ، نابغة دهره ، مفيد المستفيد ، امام وقته ، بركتي ومحبي الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ الاخ محمد ديب واخوانكم السادة الابرار ، وأولادكم الاطهار ، ومحبيكم الاخيار ، ومن لدينا مخدومكم محمد وابن عمه احمد والمشايخ أهل النهى السادة الفضلاء كافة بيت الآلوسي علي افندي ومحمود شكري افندي وكافتهم والشيخ عبد الرزاق الاعظمي وكافة من تلامذة هؤلاء واساتذة تصحبهم ، فعند ذكركم يودعونا السلام عليكم ومن يحبكم وانتم في أمان الله وحسن رعايته والسلام　　غرة ربيع ثاني سنة ١٣٢٤　　المحب الداعي

عبد العزيز ابن محمد السناني

ثم ذيله بقوله :

صاحب هذه القاعدة المذكورة (١) اقواله في الحث على التمسك بالدين الحق وايضاح مآثره وتقديسه لاصوله في سائر أقواله في كتبه ومجالسه ومحافله يخالف ما تتخيله من التناقض فيها اللهم الا وهما وليس العصمة لغير الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

(١) يعني الاستاذ الامام صاحب قاعدة الجمع بين العقل والنقل

جواب الشيخ جمال الدين القاسمي

باسمه تعالى وبحمده

الى الشيخ الامام الرباني ، الشيخ عبد العزيز الشاني ، أبقاه الله مفيدا للطالبين ، وداعيا للحبل المتين ، وقائما بنصر السنة القويمة ، والمحجة المستقيمة ،

سلام الله عليكم ورحمته وبركته ورضوانه

أنهي اليكم انه وصلني عزيز خطابكم ، وكريم كتابكم ، فحمدت المولى على صحتكم ، ودعوت لكم بدوام افادتكم ، وعموم النفع بمباحثكم ، تضمن كتابكم الجليل ، أهم بحث جليل ، ومسألة جديرة بالتحقيق ، واعارتها النظر الدقيق ، مسألة اضطربت فيها الانظار ، واعملت فيها من عهد السلف الافكار ، وصنفت فيها المصنفات ، وتنوعت فيها المذاهب والمقالات ، مسألة هي أشهر المسائل الكلامية ، ومحك افهام الفئة السلفية والخلفية ، مسألة من وقف منها على الصواب ، بعد اجتيازه عقبات الارتياب ، فقد فاز فوزا عظيما ، وكان في الامة اماما حكيما ،

قبل ان نتكلم في هذا البحث أريد ان أذكر امرا أراه من أوجب الواجبات ، وأهم المهمات ، ألا وهو اطراح العصبية المذهبية ، والحمية القومية ، والالتفات في كل مسألة الى دليلها ، والبحث مع برهانها ، فإنا عن الحق نبحث ، واليه نسعى ، والحق ما قوي فيه الدليل ، واتضح معه البرهان ، فمن أدلى ببرهان ناصع وحجة قوية فهو المحق الواجب اتباعه ، المتحتم اقتفاؤه ، من أي مذهب كان ، ومن أي فرقة وجد ، وفي أي قطر ولد ، وفي أي جيل نشأ ، والحاصل انا أبناء الدليل ، وأتباع البرهان ، اقول هذا أولا

ثانيا من الآداب التي يفترض – فيما أراه – سلوكها والأخذ بها ، والدعوة اليها ، وهي من لوازم التمهيد الاول – رفع التنافر من الفرق ، ومحو التضليل والتفسيق من النفوس ، واقامة الاعذار ، لسائر أهل الأنظار ، ما داموا داعين الى الدين ، متمسكين بشرعه المتين ، يصلون صلاتنا ، ويستقبلون قبلتنا ، وان

يتحقق ان الكل طالبون الحق ، جادّون للحصول عليه ، ساعون وراءه ، فيعذرهم بذلك ويرحمهم ، ثم من أخطأ منهم الدليل ، ونكب عن سواء السبيل ، فيما يعتقد خصمه فانه بعد بذله جهده معذور بالاتفاق ومأجور بنص الشارع ، وعلى خصمه ان يحمد مولاه ، على ما هداه ، ويشكره على ما أولاه ، ويقول الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ،

لا أنكر ان المرء اذا بحث وفحص وجد ما يقوله المتكلمون من التأويل الذي يخالفون به أهل الحديث كله انحرافا ، ووجد أن الحق مع أهل الحديث باطنا وظاهرا ، ولكن آسف لأن تكون هذه المسائل مدعاة للتفرق ، سائقة للتحزب والتمادي ، باعثة على التنابز بالألقاب ، مثيرة أحيانا للطعن بانسان إثر الترامي بشظايا اللسان ، هذا وديننا واحد ، وكتابنا واحد . وقبلتنا واحدة . وأصول إيماننا واحدة . من أين أتينا ومن أي صوب رمينا ، ؟ اتينا من نبذ الوحدة ، والزهد في التآلف ، والرغبة عن التضام ، من دخلاء أفسدوا جامعتنا ، أو من غلاتنا ، أو من مقصرين عن فهم روابط الدين ، فانا لله

نحن في عصر أحوج الى الرجوع الى المتفق عليه ، والدعوة بالحكمة اليه ، فمن انقاد ، واعتنق سبيل السداد ، والا فلا تفسيق ولا تضليل ، ما دام على قانون التأويل ، وقد صرح بذلك حجة الاسلام عليه الرحمة

انما عجلت بهذا التمهيد أنا لسنا من قوم يتحزبون لفريق دون آخر ، ولا ممن يعادي المخالف عداوة قلبية ، بل ممن يبين الحق الذي يراه ، ويجادل بالحكمة والموعظة الحسنة من يأباه ، فان اهتدى فلنفسه ، وان أصر معتقدا حجية ما لديه وصحة ما ينتحله فيكشف له غلطه ، فان رجع (فذاك) والا بأن عاد الى مشربه ، وقد استحكم في قلبه قواعد مذهبه ، فما عليك الا إبانة الرشاد ، والله الهاد ،

مبحثنا في دعوى تعارض العقل والنقل

ما ذا يقول العاقل من هذه الجملة التي دبت على الالسنة ، ومشت مع الزمان ، وصقلها مرور الايام ، وامتزجت بكلام أهل النظر وتآليفهم قرنا بعد قرن ، وجيلا

بعد جيل ، حتى أصبحت أصلا أصيلا ، وغدت ركنا ركينا ، يتحا كم أهل النظر اليها ، ويعولون في مشكلاتهم عليها ،

لعمر الحق ان بثها في أسفار العلم ، وتلقينها لرواد الفهم ، لما يندهش له الفكر ، ويتألم له القلب السليم ، ولا يجده ذو الفطنة الوقادة ، والفطرة الصحيحة ، الا من الدخائل على أصول الدين ، دخائل الخلف المبتدعين ،

من ينكر أثر هذه الجملة على أصول الدين ، ومن لا يألم لما جنته على قواعد اليقين ، ؟ يكاد ينخلع القلب مما ترمي اليه من امكان تعارض العقل والنقل ، وتباين الامرين ، ومعاذ الله أن يوجد تعارض أو شبه تعارض أو امكان تعارض بين العقل والنقل ، بل العقل في النقل والنقل في العقل ، وما هما لتعرف الحق الا كالرؤية المشروطة بسلامة البصر وانبساط الضياء ، فلا عقل بدون نقل ، ولا نقل بدون عقل ، العقل والنقل متآخيان في هذه الملة الحنيفية ، وممتزجان في أصولها وفروعها ، كلياتها وجزئياتها ، امتزاج الماء في العود والروح في الجسد ، ومتلازمان تلازما لا يقبل الانفكاك بوجه ما كلزوم نظام الكواكب لسيرها المقدر

شهرة هذه القاعدة

حدثني نحرير امام أن حشويا من بيروت نم على الاستاذ عليه الرحمة هذه القاعدة بدعوى تفرده بها ، وعدم سماعه لها ، فأسفت لأن يصل الحال بالحشوية الى انكار المشهورات سيما مثل هذه القاعدة التي هي أصل المتكلمين أجمعين ، وما بنا من حاجة الى التعريف بشهرتها من الاسفار الموجودة وتأييدها ، فانها بديهية ، الا ان البديهي قد ينبه عليه ، لغشاوة تحول دون النظر اليه ، قال السيد الزبيدي في كتابه إيثار الحق على الخلق « تقديم العقل على السمع اولى عند التعارض لان السمع عُلم بالعقل فهو أصله ولو بطل العقل بطل السمع والعقل معا وهذه من قواعد المتكلمين »

وقال الامام ابن فورك في كتابه تأويل المتشابه « ما صح من الخبر المروي في باب الصفات فهو مرتب على دلائل العقول ليجمع بين الدليلين ، ويوفق بين الحجتين »

وقال حجة الاسلام الغزالي في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد « ما قضى العقل باستحالته فيجب فيه تأويل السمع به »

ويكفي أن شيخ الاسلام ابن تيمية عليه الرحمة والرضوان ألف كتابه المسمى موافقة صريح المعقول ، الصحيح المنقول ، لمناقشة هذه القاعدة حيث قال في أوله « قول القائل : اذا تعارضت الادلة السمعية والعقلية أو السمع والعقل أو النقل والعقل ونحو ذلك من العبارات فانه يجب تقديم العقل ، هذا الكلام قد جعله الرازي واتباعه قانونا كليا فيما يستدل به من كتب الله وكلام أنبيائه » الى آخره وكلام الائمة في هذه القاعدة شهير الا ان الحشوي لا يعلم ولا يريد أن يعلم

اذكرني كلام هذا الحشوي — والشيء بالشيء يذكر — ماوقع من حشوى آخر غبي قيل له ان السبكي في جمع الجوامع رد على من زعم انقراض الاجتهاد من عصر الاربعمئة وصحح بقاءه الى عصره فاخذته الرجفة ، وآلى بأنه قرأه ودرسه ، وسبره وفحصه ، ولم ير لتلك المقالة من أثر ، فقيل له لو قرأته لدريته ، ثم ترامى على محاوره وتوسل اليه ان لايضن عليه بموضع ذلك من الجمع فقال له راجع ماقاله في بحث خلو الزمان عن مجتهد وهو قوله . « والمختار انه بعد جوازه لم يثبت وقوعه » أي وقوع الخلو ، فسقط بين يديه ، وكاد يقضى عليه ، والقصد ان تلك العبارة شهيرة وان كانت في كل كتاب تكسى من الالفاظ اسلوبا خاصا قد يخفى انها هي هو

سبب تأصيل هذه القاعدة

قدمنا مايلم بالنفس من التألم لدعوى تعارض العقل والنقل وانها عبارة ما كان ينبغي اعارتها ادنى نظر فانه متى اجرى بالنقل على طريقه الصحيح تصافح مع العقل بادىء بدء ولكن يضطرنا للكلام عليها مابتوكأ عليه كثير من الخائضين في الكلام مع الفرق والباحثين في علم الكلام ، أري بعد ثبوتها في كتب الائمة واندراجها في مباحثهم ان لها وجوها بعضها صحيح و بعضها فاسد واليك البيان ،

لما حدث في عهد السلف الخوض في الصفات والبحث في المعاني عن مرويانها وذاع ذلك وانتشر بين حملة الآثار و بين ارباب النظر . انقسمت الناس في ذلك ثلاثة أقسام فريقان منهم متطرفان وفريق معتدل

اما الفرقة الاولى المتطرفة فهي الفئة المشبهة فانها غلت في الاثبات غلوا خرجت به عن المعقول رأسا ، فأجرت كل ماورد على ظاهره المعهود في المخلوقين والمفهوم عند الاطلاق على الاجسام، فانتهى بهم الامر الى التجسيم البحت، والتحديد الصرف، واخذت آراؤهم الحمقى يتلاعب بها الهوى كيف شاء ، وتفرقوا الى مشبهة الحشوية ومشبهة الشيعة الغالية ومشبهة الحلولية ، كما تراه في كتب المقالات

ولعل هذه الفرقة هي التي استثناها الاستاذ الامام رحمه الله بقوله « الاقيلا ممن لاينظر اليه » وفي الواقع هم شرذمة قليلون اذا نسبوا لغيرهم ولقوة جمودهم لم يقم لهم وزن كما أقيم لغيرهم

واما الفرقة الثانية فقامت في مقابلة اولئك وغلب عليها النظر والتأويل واوهمت ان الاولى تنقل مالايليق بالتوحيد ، وتروي مالايصح في الدين ، فرمتها بكفر أهل التشبيه والتمثيل ، ومروق اهل الالحاد والتعطيل ، وقضت على تلك المرويات بأنها مجازات وردت على مناحي معروفة للعرب معهودة في لغتهم وأساليبهم ثم برهنوا على ذلك بان حملها على حقيقتها محال لما يلزم من الحدوث وحلول الحوادث به ، يعنون بحقيقتها ما هو معروف لهم من صفات الخلق واحوالهم ، قالوا فاذا جاء النقل بما يوهم محالا عند العقل كان للعقل التقديم على النقل وملاحظته أولا و بالذات ، فما أمكنهم ان يتأولوه على قولهم تأولوه والا قالوا هو من الالفاظ المتشابهة المشكلة التي لاندري ماأريد بها ، و بالجملة فجعلوا قاعدتهم الكلية العقلية اصلا محكما والمروي المنقول فرعاله فكان العقل عندهم مقدما على النقل مطلقا وهؤلاء الفرقة أيضا من الغلاة في التنزيه المتعصبة فيه، ولذلك كانت فرقة جائرة غير معتدلة ولا مقتصدة فان دعواها في سائر المرويات انها مجازات وان العقل مسيطر على النقل يصرفه كيف شاء كدعوى ان النقل يقبل كيفما كان: احاله العقل أم لا، صح سنده ام لا، في ان كليهما طرفان جائران ، والقصد والتوسط خيرهما ، ولذا قال السيد الزبيدي « ومن البدع بدع المشبهة على اختلاف انواعهم وبدع المعطلة على اختلافهم ايضا فغلاتهم يعطلون الذات والصفات والاسماء ومنهم الباطنية ودونهم الجهمية . ومن الناس من يوافقهم في بعض ذلك دون بعض» (ثم قال) فالفريقان المشبهة والمعطلة انما أتوا من تعاطي

علم مالا يعلمون ، ولو انهم سلكوا مسالك السلف في الايمان بما ورد من غير تشبيه لسلموا ، فقد اجمعوا على ان طريقة السلف أسلم ولكنهم ادعوا أن طريقة الخلف أعلم ، فطالبوا العلم من غير مظانه بل طلبوا علم مالا يعلم فتعارضت انظارهم العقلية وعارض بعضهم بعضا في الادلة السمعية فالمشبهة ينسبون خصومهم الى رد آيات الصفات ويدعون فيها ماليس من التشبيه والمعطلة ينسبون خصومهم الى التشبيه ويدعون في تفسيره مالاتقوم عليه حجة ، والكل حرموا طريق الجمع بين الآيات والآثار ، والاقتداء بالسلف الاخيار ، والاقتصار على جليات الابصار ، وصحاح الآثار » انتهى . وطريق الجمع هو طريق السلف المقتصد ويأتي بيانه على حدة وهو طريق الفريق المعتدل

والمقصود ان الفرقة الثانية القائلة بالتنزيه البحت المحكمة للعقل في النصوص تحكيما مطلقا القائلة بتقديمه على النقل بطريقها الذي بيناه فقاعدتها المذكورة فاسدة باطلاقها اذ لو قيل لها ماهو العقل ، وما ميزانه ، وهل يمكن عدم التناقض في مناحيه ، وهل يمكن حمل الامة على سبيله حملا لاينازعهم وجدانهم في قضية منه ، لكان الجواب الحيرة في الاولين ، والسلب في الآخرين ، فان العقل لايمكن تحديده في هذا المقام بالكنه ولا بالعرض ، وليس له ميزان ومعيار خاص لتباين الآراء في التأويلات العقلية ، وجواز ان يهدم في اليوم مابنى منها في الامس ، والمشاهدة قاضية بمنازعة الوجدان لكثير من مسائله وتناقض الانظار فيها تناقضا جليا بمالايجد الواقف عليه سكون نفس ولا اطمئنان قلب ، فاذن ليس مع من يدعي تقديم العقل مطلقا او معارضة المعقول ما يجزم بانه معقول صحيح متفق عليه معلوم بالضرورة ، وماسبيله كذلك فلا تصح الدعوى المذكورة فيه على اطلاقها ، ومن ادعاها اظهر تناقضه واضطر الى مايعدل رأيه ، ويلطف مشربه ، ويصحح مذهبه ،

واما الوجه الآخر الذي تصحح به هذه القاعدة وتسلم عند كل منصف ويكون عليها مسحة من الحق ولمعة من الصواب فذلك في مثل ماقصده الاستاذ عليه الرحمة في حج خصمه النصراني وإفحامه . فقد زعم خصمه ان من قضايا الدين مايعلو على متناول العقل والفهم بل يناقضه ، وانه يجب مع ذلك التسليم بتدينا ،

وانه لا أثر للعقل في باب الدين اصلا لاطراحه معه جانبا ولزوم الخضوع الأعمى ، شاء العقل أم أبى ، فناقشه الاستاذ بأن هذا يستحيل ان تقبله الفطرة السليمة أو تأتي به شريعة موحاة ، وانه من اوضاع الذين انحرفوا بعد ماتبين لهم الهدى ، وانه لو صح ذلك — على زعم الخصم — لكان الاحرى به ان ينبذه ويتروج ماهو خير له ، وذلك في دين اساسه العقل ، وقوامه العقل ، ودعائمه العقل ، ومبانيه العقل ، فقصده عليه الرحمة هدم مابنوه من ذلك الاصل الفاسد الذي يتبرأ منه العقل السليم وابانة ان الدين الحنيفي نزل مؤاخيا للعقل بل العقل مرده واليه تحاكمه ولذلك اكثر التنزيل من التنبيه على العقل والتنويه به في مثل قوله «أفلا يعقلون» «لعلهم يعقلون» «وما يعقلها الا العالمون» في ايات لا تحصى ، وبالتحاكم الى العقل يعلم الخصم ان ليس مرد ديننا هو الخضوع الاعمى لكهنة الباطل الذين انتحلوا لانفسهم الربوبية في التشريع وردوا عقائد شعبهم الى اهوائهم وكلفوهم مالا يطيقون من اعتقاد مايحيله العقل كالثالوث والاستحالة . . .

بل الدين الحنيفي دين العقل ، دين النظر ، دين التدبر ، فمن استعمل عقله ونظره وفكره من الملاحدة وتأمل في محاسنه وقابل بينه وبين غيره من الأديان لم يلبث ان يعتنقه اعتناقا يمتزج به في لحمه ودمه حتى يستميت في الذود عن حماه ،

ثم ترقى الاستاذ عليه الرحمة الى نكاية الخصم بأن العقل يقدم على النقل اذا عارض قضاءه ليعلم الخصم أن الاساس الاكبر والمرجع الاعلا هو العقل ، وأن ليس في الدين ما ينافيه ولا ما يناقضه لابتنائه عليه ، حتى لو وجد ما يعارضه بادىء بدء لروجع العقل فيه فيجريه على أصله وقاعدته ويقضي للواهم أن لا تعارض

رأي الاستاذ رحمه الله أن التفويض والتأويل كليهما من قضاء العقل في المسألة ، وهو كذلك لانه لولا ذلك لكان الامر إما على حقيقته المعهودة كما فهمه الجل وهو محال ، وإما على أنه فوق العقل وذلك غير معهود في مبدإ الدين المتين ،

وانما كان التفويض أحد وجهي قضاء العقل لان للعقل ان يقول للباحث « بعد ما وضح وثبت صدق الخبر بذلك من المعصوم الذي استنارت حجته فما عليك الا الايمان بما جاء به تفصيلا فيما فصل واجمالا فيما أجمل ومنه أوصاف الربوبية

وما يضاف الى سموها فيكفيك الاذعان للمنقول منها ولم تكلف الخوض في اكتناهها فهو ما لا تبلغه قوتك ، ولا تصل اليه قدرتك ، وربما عثر بك الحال ، الى الزلل في المتعال ، فكون جاوزت قدرك ، وتعديت طورك ، وهذا القضاء قضاء مرضي لا يأباه القلب ، ولا يجافيه ذو اللب ،

كما أن قضاء العقل بالتأويل قضاء مقبول ، لا تحيله العقول ، بل هو الذي آثره جمهور النظار الفحول ، وقد طالعت من ذلك كتاب ابن فورك رحمه الله فرأيته توسع في توجيه المروي من الصفات توسعا غريبا أقام في كل فصل من الشواهد العربية نظما ونثرا من مُثُلِهم ما يقنع الباحث بل يدهشه حتى يخيل للناظر أن ليس وراء ذلك مرمى . وقد حاول رد طريقة السلف وما روي عنهم الى مشربه ورد شبه الطاعنين على المحدثين في طريقة غريبة ، وان تعسف في كثير من التأويل ونوقش في توجيهه كل ما روي في الباب ولو موضوعا فذلك بحث آخر ،

والقصد أن تأويلاته سائغة وفي لغة العرب متسع لها وترحيب بها ، ومن ينكر وفرة المجاز في اللغة ورقة أساليبه ، وبديع كناياته ، ولطيف مواقعه ، واسرار اعجازه وبلاغته ، لا جرم انه باب من أبواب الخطاب عظيم ، وركن من أركان اللغة قويم ، على ان من المروي ما لا يمكن معه الا المجاز مهما حاول محاول كحديث « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » وحديث (الحجر الاسود يمين الله في الارض)

نعم ثمة في باب الصفات ما هو أرقى من المذهبين المذكورين - مذهب التأويل والتفويض - وذلك من إثبات تلك الصفات بلا تأويل ولا تمثيل اثباتا حقيقيا يليق بالذات العلية ،

قال شيخ الاسلام ابن تيمية عليه الرحمة والرضوان في رسالته المدنية « مذهب أهل الحديث وهم السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف ان هذه الاحاديث تمر كما جاءت ويؤمن بها وتصدق وتصان عن تأويل يفضي الى تعطيل ، وتكييف يفضي الى تمثيل ، وقد أطلق غير واحد ممن حكى اجماع السلف منهم الخطابي مذهب السلف انها تجري على ظاهرها ، مع نفي الكيفية والتشبيه

عنها ، وذلك ان الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحتذى حذوه ويتبع فيه مثاله فاذا كان اثبات الذات اثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك اثبات الصفات اثبات وجود لا اثبات كيفية فنقول ان له يدًا وسمعا ولا نقول ان معنى اليد القدرة ومعنى السمع العلم »

ثم قال عليه الرحمة والرضوان : و بعض الناس يقول « مذهب السلف أن الظاهر غير مراد ويقول أجمعنا على أن الظاهر غير مراد » وهذه العبارة خطأ إما لفظا ومعنى أو لفظا لا معنى لان الظاهر قد صار مشتركا بين شيئين أحدهما أن يقال ان اليد جارحة مثل جوارح العباد وظاهر الغضب غليان القلب لطلب الانتقام وظاهر كونه في السماء أن يكون مثل الماء في الظرف فلا شك أن من قال هذه المعاني وشبهها من صفات المخلوقين ونعوت المحدثين غير مراد من الآيات والاحاديث فقد صدق وأحسن اذ لا يختلف أهل السنة ان الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله بل أكثر اهل السنة من اصحابنا وغيرهم يكفرون المشبهة والمجسمة لكن هذا القائل اخطأ حيث ظن ان هذا المعنى هو الظاهر من هذه الآيات والاحاديث وحيث حكى عن السلف مالم يقولوه ، فان ظاهر الكلام هو مايسبق الى العقل السليم لمن يفهم بتلك اللغة ثم قد يكون ظهوره بمجرد الوضع وقد يكون بسياق الكلام وليست هذه المعاني المحدثة المستحيلة على الله هي السابقة الى عقل المؤمن بل اليد عندهم كالعلم والقدرة والذات فكما كان علمنا وقدرتنا وحياتنا وكلامنا ونحوها من الصفات أعراضا تدل على حدوثنا يمتنع ان يوصف الله بمثلها فكذلك ايدينا ووجوهنا ونحوها جسام محدثة لا يجوز ان يوصف الله بمثلها ثم لم يقل أحد من أهل السنة اذا قلنا ان لله علما وقدرة وسمعا و بصرا ان ظاهره غير مراد ثم يفسره بصفاتنا ، فكذلك لا يجوز ان يقال ان ظاهر اليد والوجه غير مراد ولا فرق بين ما هو من صفاتنا جسم أو عرض للجسم ومن قال ان ظاهر شيء من اسمائه وصفاته غير مراد قد اخطأ لانه مامن اسم يسمى الله به الا والظاهر الذي يستحقه المخلوق غير مراد به فكان قول هذا القائل يفضي الى ان يكون جميع أسمائه وصفاته قد أريد بها ما يخالف ظاهرها ولا يخفى مافي هذا الكلام من الفساد

والمعنى الثاني ان هذه الصفات انما هي صفات الله سبحانه على مايليق بجلاله نسبتها الى ذاته المقدسة كنسبة صفات كل شيء الى ذاته فيعلم ان العلم صفة ذاتية للموصوف ولها خصائص ولا يدرك لها كيفية كما يعلم ان له ربا وخالقا ومعبودا ولا يعلم كنه شيء من ذلك بل غاية علم الخلق هكذا يعلمون الشيء من بعض الجهات ولا يحيطون بكنهه وعلمهم بنفوسهم من هذا الضرب ، (ثم قال) افيجوز ان يقال ان الظاهر غير مراد بهذا التفسير ؟ لايمكن «فمن قال ان الظاهر غير مراد بمعنى ان صفات المخلوقين غير مرادة قلنا له اصبت في المعنى لكن أخطأت في اللفظ وأوهمت البدعة وجعلت للجهمية طريقا الى غرضهم وكان يمكنك ان تقول تُمَرّ كما جاءت على ظاهرها مع العلم بان صفات الله ليست كصفات المخلوقين وانه منزه مقدس عن كل مايلزم منه حدوثه او نقصه ، ومن قال الظاهر غير مراد بالتفسير الثاني وهو مراد الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة والاشعرية وغيرهم فقط اخطأ اه كلامه

وقد سبق شيخ الاسلام الى هذا الامامُ ابن بطه رحمه الله حيث قال في الفصل الثامن من كتابه « ... «ثم نهاية شغبهم ان اثبات هذه الصفات يقتضي التشبيه والتجسيم لما نراه في الشاهد وهذا الشغب ينعكس عليهم ويعلم بطلانه بذلك ، ألا ترى أن في الشاهد ان الفاعل للاشياء المتقنة العالم الخبير الحي السميع البصير جسم والله سبحانه حي سميع بصير عليم خبير فاعل وليس بجسم « فاثبات الصفات لمعلى ماجاء به النص عنه أو عن رسوله صلى الله عليه وسلم لايوجب التجسيم ولا التشبيه بل كل شيء يتعلق بالمحدث مكيف ، وصفات الباريء لا كيفية لها ، فالتجسيم والتشبيه منتفيان عنه وعن صفاته وبالله التوفيق »

وكذلك جوّد في ايضاح هذا المشرب الامام ابن القيم رحمه الله في طريق الهجرتين في مباحث التوبة فننقله عنه ونجعله مسك الختام

قال رحمه الله بعد ان ناقش من اوقع الامة في اودية التأويلات وشعاب الاحتمالات والتجوزات

(فان قلت) فهل من مسلك غير هذا الوادي الذي ذممته فنسلك فيه أو من

طريق لستقيم عليه السالك ؟ (قلت) ثم بحمد الله الطريق واضحة المنار بينة الاعلام مضيئة للسالكين وأولها ان تحذف خصائص المخلوقين عن إضافتها الى صفات رب العالمين ، فان هذه العقدة هي أصل بلاء الناس فمن حلها فما بعدها أيسر منها ، ومن هلك بها فما بعدها أشد منها، وهل نفى أحد مانفى من صفات الرب ونعوت جلاله الا لسبق نظره الضعيف اليها واحتجابه بها عن اصل الصفة وتجردها عن خصائص المحدث فان الصفة يلزمها لوازم باختلاف محلها فيظن القاصر اذا رأى ذلك اللازم في المحل المحدث انه لازم لتلك الصفة مطلقا فهو يفر من إثباتها للخالق سبحانه حيث لم يتجرد في ظنه عن ذلك اللازم وهذا كما فعل من نفى عنه سبحانه الفرح والمحبة والرضاء والغضب والكراهة والمقت والبغض وردها كلها الى الارادة فانه فهم فرحا مستلزما لخصائص المخلوق من انبساط دم القلب وحصول ماينفعه وكذلك فهم غضبا هو غليان دم القلب طلبا للانتقام وكذلك فهم محبة ورضا وكراهة ورحمة مقرونة بخصائص المخلوقين فان ذلك هو السابق الى فهمه وهو المشهور في علمه الذي لم تصل معرفته الى سواه ولم يحط علمه بغيره ولما كان هو السابق الى فهمه لم يجد بدا من نفيه عن الخالق والصفة لم تتجرد في عقله من هذا اللازم فلم يجد بدا من نفيها،

ثم لاصحاب هذه الطريق مسلكان أحدهما مسلك التناقض البين وهو اثبات كثير من الصفات ولا يلتفت فيها الى هذا الخيال بل يثبتها مجردة عن خصائص المخلوق كالعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر وغيرها فان كان اثبات تلك الصفات التي نفاها يستلزم المحذور الذي فر منه فكيف لم يستلزمه اثبات ما اثبته ؟ وان كان اثبات ما اثبته لايستلزم محذورا فكيف يستلزمه اثبات مانفاه ؟ وهل في التناقض اعجب من هذا ؟ ، والمسلك الثاني مسلك النفي العام والتعطيل المحض هربا من التناقض والتزاما لاعظم الباطل واعحل المحال ، فاذاً الحق المحض في الاثبات المحض الذي اثبته الله لنفسه في كلامه وعلى لسان رسوله من غير تشبيه ولا تمثيل ، ومن غير تحريف ولا تبديل ، اه

وبالجملة فهذا المذهب الاخير مع المذهبين قبله كلها اجمالا من المعقول أعني مما الابان النقل فيها معاني سليمة مما يوهم محالا عنده وبه يعلم ان ليس في الدين ماينافر



العقل أو يعارضه بل هما كالسدى واللحمة في كونهما قوام الثوب وكالروح والجسم في حفظ الحياة

* * *

هذا ما رآه الفكر القاصر في القصد من تنويه الاستاذ المرحوم بالعقل أعني حجج خصمه واعلاء منزلة العقل في الدين الاسلامي وتنبيه خصمه على ان بالعقل يميز الانسان بين احوال الماضي والحال فيفرق تبعا لذلك بين الشرائع فلا بد ان يعثر بسبب تعضيد العلم والبداهة (؟) على الدين الذي يجب ان يكون خاتمة الاديان كلها و باقيا بقاء النوع الانساني

والاستاذ المرحوم وان كان يجري في كلامه أحيانا على قواعد النظار والمتكلمين ويدافع بها فهو لم يخرج عن حبه للسلف واعتقاده بمشربهم واذكر انا ليلة كنا في ضيافته في داره وسمرنا معه اكثر من ثلث الليل أيام رحلتنا الى تلك الاقطار وقد كنت قرأت في مواضع من كلامه ميلا لمذهب الخلف المأولين من الاشاعرة وغيرهم وقد افضى البحث بنا الى مسألة الصفات اني قلت له « اني لاعجب من هؤلاء المتأولين المندفعين على رفع الظواهر المكبرين لاطلاقها أفهم أغير من الله على ذاته المقدسة حيث اطلق في كلامه وعلى لسان رسوله تلك النعوت الجليلة التي تأبى كثرتها التأويل الذي لا يؤمن في اكثره من التعطيل ؟ افليس الاثبات على الطريقة السلفية هو الاصوب والاقرب ؟ » فرأيته رحمه الله أقر على ماقلت وصدق ما ذكرت ولم ينتصر لمذهب الخلف ولم يشر اليه مع انه ليلتذ في غير هذا المبحث حاور وناقش وحقق ودقق ، هذا ما أحققه منه ، رحمه الله ورضي عنه

نتيجة البحث

أوضحنا أن قصد الاستاذ هو التنويه بالعقل في الشرع وملاحظة انه الاصل في اثبات قواعد الايمان وهذا مما لا ريب فيه فان وجود الله تعالى ووحدته في ألوهيته وما يجب له من جلائل النعوت وتصديق رسوله برسالته بما نصبه دليلا على صدقه كل ذلك مما نظر فيه العقل وتدبره فآمن به ، وهذه الاصول التي هي قوام الشرائع انما مستند ثبوتها النظر العقلي اتفاقا

فلحظ تقديم العقل على النقل انما هو رعاية العقل في النقل بالوجوه التي قدمناها وبه يظهر ان كلامه رحمه الله موجه لما تقتضيه حكمة التشريع في الاسلام وسره وتفوقه على ما عداه من الأديان التي حرفها أربابها ، وعلى تسليم انه وافق آراء الفلاسفة في هذه القاعدة كغيره من أئمة المتكلمين فلا غضاضة عليه في ذلك فقد خرجناها على وجه لا يبعد عن الصواب ، وجليٌّ انه ليس كل ما للفلاسفة مذموما بل المذموم ما ناقض شرعا أو هدم ركنا ، وكلمة فيلسوف معناها محب الحكمة ، والحكمة متقبلة من أي لسان لانها مساوقة الحق كما اشرنا له قبل ، قال الامام ابن عبد البر حافظ المغرب وإمامه في كتابه جامع بيان العلم وفضله في باب جامع في الحال التي تنال بها العلم « وروينا عن علي رضي الله عنه انه قال في كلام له : العلم ضالة المؤمن فخذوه ولو من أيدي المشركين ولا يأنف أحدكم أن يأخذ الحكمة ممن سمعها منه »

اشرتم الى أن التفويض فيه ما فيه والحق لكم لانه في طيه إشعارا بأن الناس خوطبت بما لا تعقله ولا تفهمه ولا هو من لغتها مع أن اللسان عربي مبين لقوم ساروا في الفصاحة ونبغوا في البلاغة ولم يتطاولْ عليهم فيهما ، ومعلوم أن أشرف ما في القرآن المأمور بتدبره هو ما جاء فيه من نعوت الرب وصفاته الجليلة فاذا لم يعلم أحد معناها فأنّى يستدل بها ، وفيه سدٌّ لباب الهدى والبيان منها ، وحينئذٍ فقول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون السنة والسلف قول فيه ما فيه ، واحتجاج من احتج لهم بالوقف على قوله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله) من اغلاط في الاستدلال فان المراد بتأويله ما يؤول اليه الامر فتأويل ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر هو نفس الحقيقة التي أخبر عنها ذلك في حق الله تعالى هو كنه ذاته وصفاته التي لايعلمها غيره ولهذا قال مالك وربيعة وغيرهما «الاستواء معلوم والكيف مجهول» وكذلك قال ابن الماجشون وأحمد بن حنبل وغيرهما من السلف : انا لا نعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه وان علمنا تفسيره ومعناه

فلفظ التأويل في الآية انما أريد به التأويل في لغة القرآن وهو الذي تعرفه السلف وهو الذي أراده الله في مثل قوله « هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله »

وقال يوسف « يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل » فجعل في الآية الاولى ما يؤول اليه أمرهم من العذاب وورود النار تأويلا وفي الآية الثانية نفس سجود أبويه له تأويل رؤياه

وأما التأويل الذي هو التفسير وبيان المراد به فهذا لا يصح ارادته من الآية لان الصحابة والتابعين فسروا جميع القرآن وكانوا يقولون ان العلماء يعلمون تفسيره وما أريد به وان لم يعلموا كيفية ما أخبر الله به عن نفسه وكذلك لا يعلمون كيفيات الغيب فان ما أعده الله لاوليائه من النعيم لا عين رأته ولا أذن سمعته ولا خطر على قلب بشر فذلك الذي أخبر به لا يعلمه الا الله

ثم من وقف في الآية على قوله تعالى (والراسخون في العلم) أراد منها هذا المعنى وانه يعلم تأويله وهو منقول عن ابن عباس أيضا وهو قول مجاهد ومحمد بن جعفر وابن اسحاق وابن قتيبة والقول الاول منقول عن ابي بن كعب وابن مسعود وعائشة وابن عباس وعروة بن الزبير وغير واحد من السلف والخلف ، فلا منافاة بين القولين ، لانفكاك الجهتين ،

والتأويل المنفي غير التأويل المثبت ، ولشيخ الاسلام بسط لهذا المبحث في كثير من مؤلفاته الشهيرة ،

واما ما ذكروه من أن التأويل حقيقته التبديل الذي هو اصطلاح المتفلسفة أي ولذلك اعترفوا بأنه غير اسلم لما فيه من خطر رفع الظواهر المنتهي الى تغييرها وتغيير البراهين أو اكثرها مع أن القصد بإعلانها والاعلام بها هو إفادة الامة ونصحها وهدايتها ، فمن التكلف أن يعدل عن البيان الناصع الرافع للبس المزيل للاجمال الى اساليب يوقع الامة في أودية التأويلات ، وشعاب الاحتمالات والتجويزات ،

ما بحثوه في التفويض والتأويل هو من نقد المدققين في باب الصفات الذين تجلى لهم ذلك المشرب المعتدل في أزهى حلله ، ومع ذلك فنقدهم لا يحبط من قدر من ذهب الى التفويض والتأويل ، ولا يقضي عليهم بالتفسيق والتضليل ، فان ذلك قصارى جهدهم ، وغاية نظرهم ، وقدمنا ان للعقل قبولا مّا ولا ملام على

من بذل جهده ، وأخلص قصده ، ثم يلام من جمد على التقليد المحض بعد أن وضحت المحجة ، واستبانت الحجة ،

وقد قدمنا أن الحجة قويت في الاثبات بلا تشبيه ولا تأويل وقد نقل الشعراني في اليواقيت والجواهر عن الشيخ ابن عربي رحمه الله أنه حذر من التأويل وناقش منتحليه في مواضع من فتوحاته فمنها قوله

« اعلم انه يجب الايمان بآيات الصفات وأخبارها على كل مكلف» قال « وقد أخبر الله تعالى عن نفسه على ألسنة رسله أن له يدا ويدين وأيديا وأصبعين وعينا وعينين وأعينا ومعية وضحكا وفرحا وتعجبا وإتيانا ومجيئا واستواء على العرش ونزولا منه الى الكرسي والى سماء الدنيا وأخبر أن له بصرا وعلما وكلاما وأمثال ذلك» قال «وهذا كله معقول المعنى مجهول النسبة الى الله تعالى يجب الايمان به لانه حكم حكم به الحق على نفسه فهو أولى مما حكم به مخلوق وهو العقل »

وقال أيضا « جميع الأحاديث والآيات الواردة بالألفاظ التي تنطلق على المخلوقات باستصحاب معانيها إياها لولا استصحاب معانيها إياها المفهومة من الاصطلاح ما وقعت الفائدة بذلك عند المخاطب بها مما يخالف ذلك اللسان الذي نزل به هذا التعريف الآلهي قال تعالى « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » يعني يبين لهم بلغتهم ما هو الامر عليه ولم يشرح لنا الرسول المبعوث بهذه الالفاظ هذه الالفاظ بشرح يخالف ما وقع عليه الاصطلاح ، فننسب تلك المعاني المفهومة من تلك الالفاظ الى الحق جل وعلا كما نسبها الى نفسه ، ولا نحكم في شرحها بمعان لا يفهمها أهل ذلك اللسان الذين نزلت فيهم هذه الالفاظ بلغتهم فنكون من الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ومن الذين يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون بمخالفتهم ، فيجب علينا أن نقر بالجهل بمعرفة كيفية النسبة» قال «وهذا هو اعتقاد السلف قاطبة لا نعلم لهم مخالف واطال في ذلك

وقال أيضا رحمه الله « اعلم ان من أعجب الامور عندنا كون الانسان يقلد فكره ونظره وهما محدثان مثله وقوة من القوى التي جعلها الحق تعالى خديمة للعقل وهو يعلم من ذلك كونها لا تتعدى مرتبتها في العجز عن أن يكون لها حكم قوة

أخرى كالقوة الحافظة والمصورة والمخيلة ، ثم أنه مع معرفته بهذا القصور كله يقلد قواه العاجزة في معرفة ربه ولا يقلد ربه فيما يخبر به عن نفسه في كتابه وسنة نبيه فهذا من أعجب ما طرأ في العالم من الغلط ، وكل صاحب فكر أو تأويل فهو تحت هذا الغلط بلا شك »

« فانظر يا أخي ما أفقر العقل وما أعجزه حيث لا يعرف شيئا مما ذكرناه الا بواسطة القوى المذكورة وفيها من العلل والقصور ما فيها ثم أنه اذا حصل شيئا من هذه الامور بهذه الطرق يتوقف في قبول ما أخبر الله به عن نفسه ويقول ان الفكر يرده فيقلد فكره ويزكيه ويجرح شرع ربه » (وأطال مع ذلك ثم قال) وبالجملة فليس عند العقل شيء من حيث نفسه واذا كان كذلك فقبوله ما صح عن ربه وأخبر به عن نفسه أولى من قبوله من فكره بعد أن علم أن فكره مقلد لخياله وخياله مقلد لحواسه انتهى

بقية البحث

ذكرتم انه يفهم من كلام الاستاذ رحمه الله انه بنى تلك الاصول على وجه يمكن انه من السنة الخ وكذلك ظاهر كلامه بادئ بدء الا انا بمعونة ما قدمناه من ان قصده من مبحثه هو التنويه بالعقل في نظر الشرع يعلم ان مراده ان الكتاب العزيز وصحيح السنة والعمل النبوي كلها مما مهدت السبل بين يدي العقل فكان العقل يقفوها أينما اتجهت ، ويساوقها كيفما سارت ، إلا أن ثمة أثرا من السنة يؤيد مذهب التأويل الذي يتبادر من سياق تقديم العقل ، وللاستاذ في تآليفه أسلوب غريب بيان المعهود فقد لا يراد من سبكه البليغ ما عهد ارادته من غيره ،

هذا ما سنح لسقيم البال ، في فهم كلام هذا الامام المفضال ، وما كنت أظن أن أختلس من وقتي هذه الكلمات فلدي من العوائق عنها ، ما لا يسمح لي بالدنو منها ، اللهم الاان بركة دعائكم ، واغتنام بديع فوائدكم ، مما يرجى معه شرح الصدر ، وتسهيل الأمر ، وارجو أن تدققوا فيما كتبت ، وترشدوني الى ما فيه مهوت ، فان القصد الوقوف على الحق ، واعتاق الفكر من اغلال الرق ، والحقيقة بنت البحث ، واراني بانتظار جوابكم الميمون ، وارشادكم المصون ، نفعنا المولى ونور اذهاننا بمعارفكم ، انه خير مجيب ،

ماحملني على اطالة الجواب وتكبير البحث نوعا ما الا ابلاغه لمسامع اخواني وصحبي ممن لم يتأملوا بعد لمطالعة الكتب الكبيرة في هذا الموضوع ، وفيهم حرص على الوقوف على تحقيق ذلك فاردت ان اقدمه بين يدي مستقبلهم نموذجا يشرفون منه على مجمل تلك المباحث الكبيرة، فلا ملام فيما تخلله من النقول المعروفة لديكم ،

زارني اثناء كتابتي هذه الاستاذ العلامة الشيخ طاهر الجزائري فقرأ كتابكم وجانبا كثيرا مما كتبت فاستحسن التوسع في هذا الموضوع وقال انه يقل دونه مجلد واكد علي ان تدققوا فيما كتبنا وان لا تضنوا علينا بما يظهر لكم من المناقشة لتتم الفائدة وهو يسلم عليكم

واني أهدي اعظم التسليمات لحضرات السادة الآلوسيين الكرام شموس الهدى الاعلام السيد محمود شكري افندي والسيد علي افندي وحضرة العلامة الشيخ عبدالرزاق افندي الاعظمي ومن يصحبهم من الاساتذة ومن كل التلامذة ، بارك الله في حياتهم ، ونفع الامة بعلومهم ، ومن عندنا العلامة الشيخ عبد الرزاق افندي البيطار والشيخ محمد ديب الغنيمي واشقائي يهدونكم السلام ويرجون دعواتكم الصالحة ، في الاوقات الكاملة الراجحة

قاله بفمه وامر برقه وكتب هنا بقلمه الفقير محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي في ٧ جمادى الاولى سنة ١٣٢٤

جواب الجواب

لم يمض على ارسال الجواب لذلك السؤال ردح من الزمن حتى أرسل الينا صاحب السؤال العالم البركة الصالح الشيخ عبد العزيز السناني المتقدم ذكره بجواب كنا نود وايم الحق ان نستعيض عن تلك المدائح بالمناقشة والانتقاد ، ولكن ابى الحق الا ان يظهر ويكون له التأثير القوي ، والنفوذ الخارق في أمثال هاته المباحث الخطيرة ولو كره المعاندون . ونحن نذكر نص الكتاب حفظا لتلك الآثار خشية ان تتناولها ايدي الضياع مع تصرف يسير ، وحذف لجمل خصوصية لاتفيد فائدة عامة وهاك صورته:

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الى جناب الاجل الامجد العالم الفاضل اوحد زمانه ، مفزع السائلين ، مرشد الناسكين ، امام المحدثين ، الموفق لمنهج الراشدين ، شيخنا وبركتنا الشيخ محمد جمال الدين القاسمي سلمه الله تعالى من كل شر وجعلنا واياه من اتباع سيد البشر آمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ومغفرته ومرضاته . وبعد وصل الينا كتابكم الشريف ، المفيد بالجواب السداد الموجز المنيف ، المقيد لشوارد المسائل المهمة ، والانموذج لما حوته جل كتب الجهابذة المحققين اهل النظر الكبار ، فياله من جواب ما اجله واشرفه ؛ كيف لا وقد حل حزازة الصدور ، في الذود بما عقده الاستاذ الحكيم من أصول الدين ، وانبلج به مأخذ الوجه المستقيم من الكتاب والسنة وافادنا فوائد وعاد الينا بعوائد كنا عنها في سدف ، فاستضاءت لنا وجوهها ، فأتى بما فوق ما املناه فلا خاب املنا ، ولا افلس مفزعنا ، تالله لقد حط عنا مؤنة النظر والتكلفات وحذرنا صعب العقبات المتحريات (كذا) بالمهلكات ، وفتح لنا ابواب سني الطرق واقوم السبل ، وجعل بالصادقين ، فافوز من أهل الجني تلك الثمرات ، فلزم ان نحفظه ونستحفظه عليه ، ونجعله عدة لراقي سني السير ، وموردا لطامح الفكر ، وجامح النظر ، وكذلك من نظر في الجواب من اهل التحقيق طلب مناصرة السؤال الباعث للجواب رغبة لنسخهما ولا غرو اذ كان صدوره من ذوي السهم الراجح والمال الرابح ، والدرجة العليا من اهل العلم الذين شرفهم الله بشرف العلم ، وكرمهم بوقار الحلم ، فلله الحمد جل ثناؤه حيث كلف الدينه حفظاء من خلقه ، يحملون قواعد شرائعه ، ويذبون عن عراه بغي من بغاه ، ويدفعون عنه كيد كل شيطان وضلاله ، وجعلهم لاهل الدين اعلاما ، وللاسلام والهدى منارا ، ولاهل الحق قادة ، وللعباد أئمة وسادة يتحرون جزيل الثواب من الله ، ويتوخون رضى الله بالصواب ،

(ثم قال في وصف العلماء المصلحين الذين يقومون بالاصلاح ويقاومون به) :

فلم يكن يثنيهم عن النصيحة لله ما منهم – يريد الجهلة – يلقون ، بل كانوا بنفسهم على

جهلتهم يعودون و بفضلهم على بعضهم يأخذون ، و يجعلون لمن بعدهم آثارا على الايام باقية ، وسبل الى الرشاد هادية ، جزاهم الله على أمة نبيهم افضل جزاء ، وحباهم من الثواب أجزل ثواب ، (الى أن قال) :

وهم الطائفة الموعودة بالبقاء لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، وجعلهم مفزعا بما أودعهم الله من نور العلم ، يكشف بهم سدف ظلم الجهل ، والتباس الضلال ، فمن نعمه جل شأنه أن جعل من تلك الطائفة في زمننا من اتصف بتلك الصفات ، فنسأل الله أن لا يحرمنا فضلهم ، والاقتباس من نور علمهم ، (الى أن كتب مايلي) :

هذه مسألة اعتناقية ، وحدثتني نفسي بمراجعة صاحب المنار التمس ايضاحها فقصرتم بحثنا ، وارحتم صاحبها وأزلتم سدفا ، جزاكم الله عنا وعنه أفضل جزاء ، وأجزل ثواب .

وجميع الاخوان المحبين أخذوا بنسخ السؤال والجواب المذكور وذلك لاعجابهم به جزاكم الله من الجميع خيرا .

المحب

في : ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٢٤ عبد العزيز الحمد الشائي

التقاريظ

﴿ ديوان الخطيب ﴾

للشعراء تأثير في ايقاظ الامم معروف لاينكره الا من انكر التاريخ وانت تعلم منزلة حسان بن ثابت وتأثير شعره في اوائل الدعوة الاسلامية ثم انك لاتجهل مقام مثل الشاعر فيكتور هوغو في أمته ، وقد طلع في هذه الاثناء هلال في فلك شعراء العربية جاء بمثال من الشعر لم يعهد قبل ، ذلك الشاعر هو فؤاد افندي حسن الخطيب احد موظفي المعارف في حكومة السودان المصري ، جاء بهدايات من قلمه برز فيها على كثير من نهايات غيره ، انتهج بالشعر العربي منهجا جديدا وصدر ديوانه هذا بمقدمة في تاريخ اللغة العربية والشعر لم ينسج على منوالها الشعراء والكتاب واليك مثالا من قوله في الكتاب

أإخواننا الاتراك مدوا لنا يدا من الود انا قد مددنا لكم يدا
اخذنا باهداب الكتاب وانما اتيناه من كل شيء مجردا

فقلتم وقلنا غير ان قلوبنا   على العهد ترعى حرمة العهد سرمدا
وما نتقاضى ثورة دموية   فلسنا عطاشا نطلب الدم موردا
ولكننا نرجو اخاء موطدا   يعز علينا ان يكون مهددا

ومن قوله في الغزل

بعد موتي عناصر الجسم تنحـل فيمتصها النبـات طعاما
فاذكريني اذا تكللت بالزهـ   ـر ففيه هباء جسمي اقاما
وانشقيه فان فيه اريجا   عاطرا كان في فؤادي غراما

والديوان قد طبع طبعا حسنا على ورق جيد بمطبعة المنار ويباع في مكتبتها بثلاثة قروش صحيحة ولتلامذة المدارس العالية بقرشين

***

﴿ كتاب الكلية العلمانية الفرنسوية ﴾

اهدت الى ادارة المنار الكلية العلمانية الفرنسوية في بيروت كتابها السنوي وفيه بيان فروعها وشروطها وقوانينها

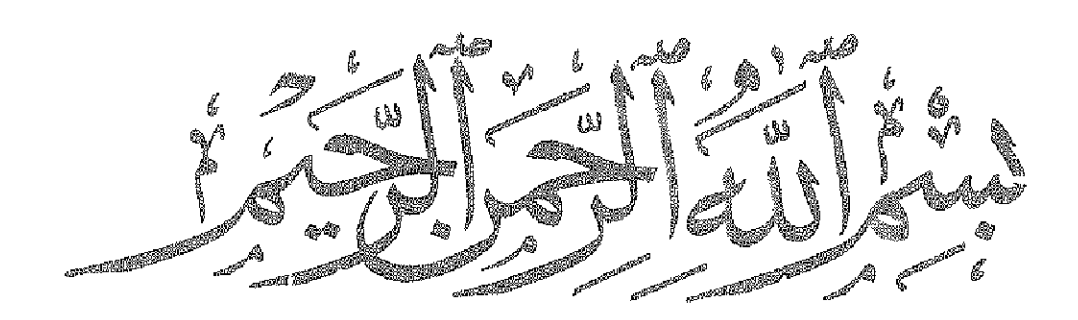
وهي أربع دوائر دائرة التعليم العام ودائرة الاعداد للمدرسة الطبية والدائرة الصناعية والدائرة التجارية وتنوي انشاء فرع زراعي في نواحي البقاع حيث الخصب وسعة الارض ، ولا صبغة دينية لهذه الكلية ولعلها أول بعثة علمية غربية جاءت الى الشرق باسم العلم عاريا عن اسم الدين فانها ذكرت انها لا تتعرض لدين التلامذة كما انها لا تعارض أحدا بدينه وربما سهلت له الطريق كما تقول

وقد ذكر في مقدمة كتابها هذا ان غاية هذه البعثة العلمانية انما هي خدمة فرنسا خارج فرنسا في مستعمراتها وفي البلاد الاجنبية ونشر لغتها ومبادئها الخ

فهل يعتبر أهل البلاد ومن بيدهم زمام الامور و يعلمون بأنهم أولى من أولئك الافرنسيين بترقية لغة البلاد وآداب الشرق وانهم ان لم يسبقوا الى ذلك سبقهم القوم العاملون وان إهمال المعارف واللغة والآداب مضيعة للجامعة القومية وتفريق للعناصر الوطنية ولو انشئ في كل بلد وكل قرية نواد باسم اتحاد العناصر أو الاتحاد والترقي

صالح مخلص رضا

مقدمة خديجة (*)



(ذكر الله تعالى والثناء عليه
والشكر له قبل كل شيء)

دخل هذه الدار عدد لا يحصى من بني آدم بجموعهم عمرت القرى والامصار، وتحركت أفلاك العلوم والاعمال، وتعاقبت أسلاك الاجتماع والاحوال، واذا فتحت كتب السير والتاريخ لا تجد ذكراً لعشر من دخلها ولا لعشر عشرهم ولا للواحد في الالف، ولا للواحد في ألف الالف منهم فلماذا يُعنى المؤرخون بهذا القليل من بني آدم ويهملون الكثير منهم؟

ليس بعجيب ماصنع المؤرخون فان الاكثرين من بني آدم متشاكلو السيرة، متشابهو الحالة والغاية، على ما بين سيرهم من التغاير، وبين أحوالهم من التفاوت، وذلك أن حاصل أمرهم تعب وكد ومزاحمة وحيرات وحسرات في تحصيل مااشتهوا أو تعودوه من المطالب جل أو حقر، فاذا

(*) بقلم السيد عبد الحميد الزهراوي مؤلف سيرة السيدة خديجة

عسى أن يذكر المؤرخ من حكايات هؤلاء التي يمكن أن تكتب كلها هكذا : « جاءوا الى هذه الدنيا فاشتغلوا بأسباب معايشهم وعاشوا خاضعين للغالب وذهبوا غير تاركين أثرا في هذه الدار الا ان كان ولداً على شاكلتهم »

وأما أولئك الافراد القليلون الذين لهم بعد مماتهم وجود ظاهر بالآثار فان في سيرهم للتاريخ ذخراً من غرائب الاستعداد الانساني، وبدائع مظاهره، وجلائل مآثره، وامثلة التفاوت بين أفراده، والارتقاء والتكامل في مجموعه ، بواسطة آحاد من جملته ، بذلك يستمد التاريخ جدته كل يوم ، ويأخذ المزيد لروعته عند كل فرد وكل قوم

واولئك الافراد صنوف : فرسول مبشر ، وحكيم مبصر ، وكاتب مفكر ، وشاعر مذكر ، وفاتح مغير ، ومخترع معبر ، وكاشف منور ، وباحث مصور ، واجتماعي محور ، وشرعي مقرر ، ونصاح مبرر ، ولساني مفسر ، ومفضال ميسر

هؤلاء الصنوف أقطاب التاريخ على أخبارهم يدور ، وما آثرهم مشارقه منها يستمد النور ، وورائهم في الذكر يأتي من اشتهروا بخلق من الاخلاق ، ومن عرفوا في عشيرة بطيب الاعراق ، ومن هنا يظهر لنا أن الشهرة ليست بشيء عند التاريخ اذا لم تؤيد بمآثر . ولولا هذا لتعب المؤرخون في سرد أسماء كثيرة لا يستطيعون أن يبيضوا وجوه دفاترهم بشيء من أعمال أصحابها ممن كانوا كبراء في الميون لانهم أبناء أماجد مثلا وهم لم تجدلهم همة ، ولم تؤثر عنهم منقبة ، ويظهر لنا أيضاً أن اعراض التاريخ عن

ذكر من لم تبهر مآثرهم هو احسن درس في الاخلاق ألقاها علينا المؤرخون
عن عمد أو بالتصادف وذلك لان النفوس انما يغريها بالباقيات الصالحات
تذكار اهلها وتمداحهم ، وانما ينهنهها عن الخمول سرعة انطفاء الخاملين ،
وطول اشراق الباقي ذكرهم في العالمين

ثم ان من لهم الباقيات الصالحات التي يبقون ويذكرون بها هم افضل
الهداة بالنفوس وانهض بها الى المكرمات فحكاية أحوالهم هي أفضل
مآخذ الاخلاقيين الذين يجتهدون في أن يفهموا اقارئهم كيف يتكمل الانسان
وكيف يصير من الاقطاب اقطاب التاريخ

* * *

اللهم إني أستسقي جودك وإحسانك لأرواح المؤرخين الذين تركوا
كنوزاً كثيرة لنفوسنا من سير الأقطاب من آبائنا ، وأستغفرك عن زلة
زلها أكثرهم من حيث لا يشعرون وهي إهمالهم كثيرا من سير الأقطاب
من أمهاتنا ،

لقد علمنا أن الفرق ليس بكبير في الفطرة بين الرجل والمرأة ،
وليست المرأة بمحرومة من المزايا التي يعلو قدر المتحلي بمثلها من الرجال ،
فذلك أننا نرى لهن عقولا سامية ، وقلوبا كريمة ، وهمما عظيمة ، وهل
للرجال ينابيع للمكارم غير هذه العقول والقلوب والهمم ؟. ونرى الاديان
اعتبرت المرأة كالرجل في التكليف بالعقيدة والعبادة والآداب . ونرى
الاجتماع اعتبر المرأة كالرجل في التكليف بالعمل وما زال نصيبها منه

كبيرا وتابعا لتقسيم الاعمال على حسب مرتبة محيطها من العالم ثم على حسب مرتبتها من محيطها . وهذا غير ما نعلمه من فضل بعض الفاضلات الماضيات اللائي تصلح سيرهن أن تكون هدًى للرجال قبل النساء ، ولولا تلك الزلة التي ذكرناها للمؤرخين لكان اللائي نعلمهن أكثر وما اللائي نعلمهن الآن من الفاضلات بقلائل

من هؤلاء سيدة قد سمع بفضلها العالم كله ولكن العارفين بتفاصيل فضائلها ومزاياها قليلون . الشرق سمع بهذه السيدة والغرب ، الترك يعظمون اسمها والعرب ، وفارس والهند ، والافغان والسند ، وفي أرض الصين تعظم ، وفي الدنيا الجديدة تكرم ، واذا فتحت دفاتر المؤرخين عفا الله عنهم لا تجد فيها تحت اسم هذه السيدة الجليلة الا كلمات يسيرة في ترجمة حالها ، وشرح خلالها ، ولكنا نحن شاكروهم على هذه الكلمات التي يعلو سناها العقول والقلوب فتهتدي بها على قلتها الى عظيم أمرها كما يدرك المبصرون عظمة المنار اذا كانت أشعته عظيمة السطوع

ولقد كنت تفكرت في ان اكافئ والدتي بعض المكافأة فتبينت بعد طول التفكر ان عظيم فضلها عليَّ هو أبعد من أن يوفى شيء من حقه ولكن تراءى لي أنه يسرّها أن أعلن للملإ فضل جنسها وأذكرهم بما نسوه من احترام حقوق هذا الجنس ولم أجد أحسن طريقة الى هذه الغاية الجليلة من شرح سيرة هذه السيدة التي هي احدى جداتها

فمن مدد تلك الكلمات القليلة التي تركها لنا المؤرخون في ترجمة حال هذه السيدة أؤلف هذه القصة الحقيقية والى روح والدتي أرفعها هدية على راحة خشوعي وضعفي ، ومن خزائن رحمة الله ورضوانه أستنزل تحية طيبة مباركة لهذه الروح البارّة

ومن رأته هذا المؤلف الصغير وحصلت له به لذة وفائدة فلي حق أن أرجوه شيئا ولا أرجوه الا ان يكون مساعدا في اقامة حقوق المرأة وكرامتها وآدابها . ان النساء أمهاتنا معشر الرجال وعلى حسب تربيتهن نكون فلنطلب من محيطنا أن يهذب بالعلم الامهات ويسعى لترقية مداركهن وآدابهن !

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

﴿ الاثنين سلخ رمضان ١٣٢٨ ـ ٣ اكتوبر (تشرين الاول) ١٢٨٦ ه‍ ١٩١٠ م ﴾

باب العقائد

بحث في الخلاف (*)

ولنوضح لك صورة من كثير صور من شطارة أهل وقتنا الذين هم كما ذكرنا خير الناس[1] سيرة اليوم فيما علمنا وكيفية تصرفهم فانه انما تعد معائب من غلبت عليه مناقبه

كفى المرء نبلاً ان تعد معايبه

وضعوا عن زكاة الغنم على كل شاة أربعة دراهم من ضربهم وستسمع الآن قدرها فتؤخذ على مئتي شاة مثلا ثمان مئة درهم مع أن الواجب شاتان ولم يكونوا قبل يعتدون بنصاب الشاة والبقر ثم ذكروا النصاب لكن تؤخذ قيمة نحو ما ذكر كالمتعينة لا من عين المال وهذا حق المال الشرعي بزعمهم ولا ندري بأي وجه تعين ما ذكر من الصورتين ولا كيف تكون الثالثة وكثير من المآخذ له نحو ذلك من المدخل هذا ما سمعنا في بعض الجهات ويزيد قليلا وينقص كذلك في بعض الجهات والمقصود التقريب . هذا حين يريدون الأخذ وأما حين يريدون انصاف المظلوم من الظالم فيأمرون باخذ الدية الف حرف والحرف عبارة عن أربعين درهما من ضربهم وهي نحو خمس الدية تقريبا من الذهب مئة دينار وستين أو سبعين دينارا فيسقطون نحو أربعة اخماس الدية وعلى هذا قس حال خير الناس الذين يجب شكر الله على ان انعم بهم نظرا الى سائر الارض وسألت بعض قضاتهم حصن

(*) نقلا عن كتاب العلم الشامخ في ايثار الحق على الآباء والمشايخ (١) يريد الزيدية

الخيمي ماهذه الدية التي تحكمون فيها ؟ فقال قال الامام يحيى المتوكل اسماعيل بن القاسم امام العصر تكون هذه الدراهم قيمة عن نوع آخر من انواع الدية يعني لان انواعها عندهم كلها اصول في أهل الابل والذهب وغيرها على السواء ويخير الجاني عندهم ايضا . فقلت للقاضي تمال ننظر في قيمة تلك الانواع فنظرنا فارأيناها الامتقاربة بالنظر الى الارض التي كنا فيها صنعاء وما والاها وعلى الجملة فانما ذلك الجواب ترميم والمسألة ماثلة عن السنن كاخواتها في جميع الفرق انما الغرض التمسك للتنبيه

صورة أخرى قليل نفعها لهم كثير ضررها بل بلية عظيمة على جميع الناس في وقتنا هذا ضربة فضة من عمل الكفار يسمى القروش فاخذت هذه الدولة منها وضربتها دراهم وخلطوا فيها نحاسا نحو الربع تقريبا ليكثر عددها فيربحون بزعمهم ذلك القدر الزائد وهي سنة اقتدوا بها عن من مضى من الاتراك وغيرهم الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون . لكن لم تر الناس اذ ذاك المصارفة وزنا لانه لا يصلح لهم بيع الفضة بالنحاس وهو ربا ايضا فصارت الضربة كسائر السلع يرتفع ثمنها تارة وينخفض أخرى ويبيعون الدراهم بالقروش بالعد لا بالوزن فعملوا هذا الباطل وهم يعلمون حين دعتهم الضرورة الى الصرف ثم نهاهم الامام عن الصرف مع اصراره على الضربة وشدة حاجتهم الى المصارفة فكان عملهم معهم كما قال

القاه في اليم مكتوفا وقال له ... إياك إياك ان تبتل بالماء

ومن مفاسد الخلاف استحلال الاعراض وهو واضح فانظر ما في هذه المصنفات من العياط والتهور والتكفير بلا دليل حتى ان الاشاعرة

اصلوا انه لا يكفر أحد من أهل القبلة وانما الكفر البواح ولا كفر بالتأويل ثم تجد في تضاعيف كتبهم المناقضة وكذلك الماتريدية في كلام امامهم الاعظم ان لا يكفر أحد من أهل القبلة ولم أر التكفير اسهل على أحد ولا اكثر منه في متأخري الحنفية كأنهم يكفرون بكل إلزام ولو في غاية الغموض، ومنع بعض الناس قريبا من بعض متفقهتهم نعله فقال كفرت لانك هونت العلماء وهو تهوين الشريعة ثم الرسول ثم المرسل ونحو هذا يفعلون في كل شيء، وفعل بعضهم شيئا من منكرات الدولة فقال المظلوم: هذا ظلم وحاشى السلطان من الامر والرضى به . فقال انا خادم الدولة المنتمية الى السلطان فقد نسبت الظلم الى السلطان فهونت ماعظمت الشريعة من امر السلطان فكفرت فأخذوه وجاءوا به الى القاضي وحكم عليه بالردة ثم جدد اسلامه وفعل مايترتب على ذلك. وهاتان الحكايتان في مكة عصر تاجر دمشق ولا تزال السنتهم رطبة بذلك وهو في رسائل المتأخرين وفتاويهم وسائر كتبهم وهي عظيمة هونها عموم الجهل وكساد الانصاف، ونفاق النفاق والاعتساف، نسأل الله حسن الخاتمة لنا ولجميع أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم

ثم رأيت كتاب التمهيد لابي شكور السالمي من الحنفية واذا هو لم يكد يسلم منه أحد من التكفير لان من أول الكتاب الخ يقول قال أهل السنة والجماعة كذا وقالت الاشاعرة وقالت الفلانية ولا يزال يحكم بالكفر كقوله قال أهل السنة والجماعة ان الله تعالى لم يزل كان خالقا (١) موصوفا بهذه الصفة وقالت الاشعرية والكرامية مالم يخلق الخلق لم يكن خالقا وهذا

---

(١) يوشك ان يكون اصل العبارة ان الله تعالى كان - في الازل - ولم يزل كما كان خالقا الخ

كفر انتهى صورة لفظه ومن العجب ان يسمي نفسه أهل السنة والجماعة في كل محل ثم يعد أفراد الفرق الذين يتسمون بذلك كالاشعرية وغيرهم، وغيره لم يبلغ هذا الحد بل يقع منهم ذلك نادرا يقول بعض الاشاعرة قال أهل السنة وخالفت الماتريدية او الحنابلة أو نحو ذلك على ان ذلك شائع باعتبار التسمية بذلك انما اخترعها صاحبها ولم يوافقه عليها الخصم ولكل ان يدعي (وليلى لاتقر لهم بذا كا) وهذا المذكور لاأدري ماأقول فيه فانه يحكي الاقوال ويجيء بما لا يوجد في أي كتاب ولا هو مما يتركب على الناقل ولا هو نادر واما المعتزلة فانما مدلول المعتزلي عنده من يصح ان ينسب اليه كلما أتته الشياطين ، اوجالت به وساوس المجانين ، فليطالع وعلى الجملة فاكثار الاطلاع سيما على الكتب المشهورة في كل فرقة يزيد المهتدي بصيرة وطمأنينة في الهدى مع التوفيق والتسديد ، واخلاص النية للعزيز الحميد ،

واما المعتزلة فهم فرقتان وليسوا كلهم يكفرون بالتأويل كما ترادفت كتب الاشاعرة ولكن صار كل من الفرق يحكي الشر عن مخالفه ويكتم الخير بل يروي الكذب والبهت كما قدمنا وكما تذكر الاشاعرة ان المعتزلة تنكر عذاب القبر ترى ذلك فاشيا بينهم حتى القشيري في التحبير شرح الاسماء الحسنى وكأنه استند في ذلك الى الكشف . واما النقل فباطل وهو شبيه قذف الغافلات فان المعتزلة لايكاد يظن قائلا يقول هذا الاشذوذاً مثل المريسي وضرار وهاتيك الغرائب مع ان ضرارا ليس من المعتزلة في رواياتهم لانهم رووا عنه القول بالرواية بحاسة سادسة ورووا عنه القول بخلق الافعال وانه رجع عن الاعتزال بسبب شبهة ان يكون فعل العبد

أشرف من فعل الله تعالى وعلى الجملة فليس شذوذ من الفريقين بغريب وانما المنكر إلزام المعتزلة قوله وانما هذه المسألة كسائر المسائل بل لا بد فيها من شذوذ كشذوذات العنبري والظاهرية وهذا شيء كبير يطلعك عليه كتب المقالات ودع عنك المتكلمين

ومن المضحكات عند المحدثين أنهم يتهمون على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حتى يجرحون من يقول ودّ انه معه في كل المواطن كشريك القاضي ومن لا يحصى[1] ثم تراهم يفتون بكفر من لا يساعدهم على نوادر ما عليها معرّج ويرون ما المعلوم خلافه لكل من عرف ذلك بلا حياء كما حكى الذهبي ان ابن دحية قال في يحيى بن نماذ ضال مضل عجّز الله وقال نحن أقدر منه وهو قول القدرية جميعهم وهذه الجملة الأخرى الظاهر انها من قول ابن دحية ويحتمل انها من قول الذهبي مع انه لم يعترضها ومن قال انه أقدر من الله فهو كافر تصريح لا من باب التأويل ونحو هذا ما حكى في ترجمة عمر بن ابراهيم العلوي انه جاروديّ لا يرى الغسل من الجنابة فلو صدق لكان قد انكر ضروريا من الدين ولم يعاملوه بذلك وكلامهم متناقضة اذا تكلموا في غير فهم

---

(١) تقدم قريباً كلام الذهبي في الجرح بالتشيع وان المراد به اذا بلغ الى الحط على الشيخين فكرر المصنف رحمه الله لمثل هذا عنهم داخل في قوله ومن مفاسد الخلاف استحلال الاعراض فالمحدثون اتقى لله من مثل هذا فهم الذين رووا أن حب علي رضي الله عنه علامة الايمان وبغضه علامة النفاق فكيف يرضون لانفسهم بالنفاق الذي صاحبه في الدرك الاسفل من النار فليس هذا انصاف لهم من المصنف رحمه الله اه من هامش الاصل

وهكذا كل دخيل وليس لهم في ذلك كل العناية مع ان قوله جارودي لا يرى الغسل من الجنابة يفهم من هذه العبارة انها وصف كل من كان جاروديا فيتسع الخرق على الراقع وكما مضى ذكره من قولهم من قال ان القرآن مخلوق وان الله لا يرى فهو كافر وغير ذلك ولكن قال في صالح بن حي ذلك الاواه انه قد استصلب منذ زمان ولم يجد من يصلبه يعني لانه يرى الخروج على أهل الجور كرأي الحسين بن علي ثم حفيده زيد بن علي ومن تبعهم من الزيدية بل وابن الزبير ومن تابعه من فضلاء الصحابة والتابعين بل طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم الا أن خطأهم كان واضحا لان امامهم لم يكن يتشبث به الريب ولقد كانوا فتنة لهذه الامة كما قال عمار رضي الله عنه والله انها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم اياه تطيعون أم هي فرضي الله عنها وعن طلحة والزبير وعن علي وعمار ومن هو من ذلك القبيل كالحسين السبط وزيد بن علي وأبعد الله مروان وابن جرموز وابن ملجم والحجاج ويزيد وابن زياد ومن هو من ذلك القبيل أميرهم ومأمورهم

ولعمري لمقاصد أئمة الزيدية في قيامها وسيرها أشبه بالصالحين من السلف لولا دخل من الهوى وغلو فيما يعود على الرياسة وداؤها كمين ما يظهر الا بعد أن يستحكم وبعد الاستحكام لا يمكن علاجه كالكلب ولقد دخل داؤها في كل ذي مقصد حتى في الوعاظ الذين رأس مالهم التحذير من الدنيا التي قطبها الرياسة فتيقظ من الاحوال لما ذكرنا وغير ما ذكرنا مما يطلعك عليه كتب الجرح والتعديل وكتب السير والاخبار والحكايات والآثار مع التيقظ في كل باب لزواياه وخباياه وليتهم شفاهم ما في الكتب

أعني المتلقين حتى يختص هذه المفاسد من له اطلاع على الكتب ويسلم من ذلك العامة

ولكن استولى عليهم الشر فصاروا يكررونه على المنابر كل جمعة كأنه الذي وصاهم الله بالتذكير به لينفعوا المؤمنين وأمرهم بالسعي اليه فالخارجي يلعن أمير المؤمنين والرافضي يلعن الخلفاء الراشدين والسني يسب الشيعي والشيعي يسب الباغي والجبري وهذه سنة سيئة سنها من سنها في سب علي رضي الله عنه فيا لها من شنيعة ما أخزاها، وفضيحة عم بلاها، ولولا ان عمهم الوهن في دينهم لقام أهل كل جامع حين سمعوها والعجب ممن يحسن الآن لواضعها كأنه يريد أن يشارك فيها لما تأخر عن وقتها فأخزى الله المحاباة في الدين، والضنة بالانفس والاموال والبنين، ولقد ضاهت هذه الامة أهل الكتابين في قولهم « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب » وبعضهم يقول في بعض فوق ما ذكرنا والانصاف أن الحق لم يخرج عن أيديهم جميعا والحمد لله فعند كلهم كل الحق وكل قد ابتدع وان اختلف قلة وكثرة وصغرا وكبرا ومن يطلب الحق وقد هيأه الله ويسره يعرف هذا من ذلك « فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم »

***

ومن مفاسد الخلاف سد باب الجهاد لاعداء الاسلام مع انه فرض كفاية وهو سنام الدين، ولا انقطاع له الى يوم الدين، ولما استحكمت العداوة بين فرق المسلمين تركوا الكفار وصرفوا هممهم في حرب بعضهم

بعضا وانما استحكم ذلك من حين استحكم التفرق وصاروا أجنادا مجندة وقد كان في الدولتين حين كان السلطان واحدا جهاد الكفار مستمرا مع عدم استقامة الخلفاء على الحق ولكن كم بين تلك الأحوال وهذه الأحوال لو يستطيع أحدهم اليوم أن يستعين على خصمه من المسلمين بالكفار لفعل[1] وليتهم تصالحوا على أن يأمن بعضهم بعضا ويشتغل كل منهم بمن يليه من الكفار ويستعين بعضهم ببعض ولكن ذلك لو كان المراد مطلوب الله منهم ولو اتبعوه لكانت يدهم واحدة كما قدمنا ثم من اتصلت مملكته بالكفار حفظها منهم كحفظه من مخالفه المسلم وهذا نوع من الجهاد ولكن المطلوب صرف هم المسلمين لحرب الكفار والغزو وان لم يخشوهم الا من باب حفظ الملك ولكن عداوة في الله ولتكون كلمة الله هي العليا في جميع أرضه وهذا هو الفرض الذي لا يسوغ الاجماع على تركه

* * *

ومن مفاسد الخلاف سد باب التفقه في الدين ومعرفة الكتاب والسنة حتى صار المتشوف لذلك متفقا على جنونه وخذلانه عندهم ويصرحون ان الاجتهاد قد استحال منذ زمان وانما دس لهم الشيطان ذلك لانه لو بقي الباب مفتوحا لوقع لمتأخري المجتهدين ان يوافقوا هذا في مسألة وذاك في أخرى ويصير لبعضهم اتباع فينتقض عليهم استقرار المذاهب ويختلط الامر حتى يعود كما كان في وقت الصحابة رضي الله عنهم وهذا يقرر مغزى

(١) انهم قد استطاعوا وفعلوا والاولى ان لا نعيد ذكر ذلك ونحن نسعى في تلافيه

الشيطان لعنه الله تعالى قد دس لهم ذلك ومن لم يصرح بذلك فعمله عليه
تراه يدأب اكثر عمره في العربية واصول الادلة ومعرفة الحديث ثم اذا
صار مدرسا متمكنا في تلك الفنون اخذ في كتب التفاريع المدونة من الباب
الذي دخله الجاهل بتلك الفنون وكأن الكتاب والسنة مع هذه التفاريع
اجنبية لا تتراءى نيرانهما ولو نظر في شيء من الادلة ووقع في نفسه شيء ما
ينبغي ان ينظر فيه لما قدر على التظهر بذلك لانهم يقومون عليه ويردون
ماجاء به بلسان واحد ويقولون هذا ينقم على الائمة ويخالفهم يرى نفسه
خيرا منهم ، واقل احواله معهم ان يسقط جاهه عندهم ويحرموه هذه
الارزاق وان كان له ضد منافس قد يسعى به الى الدولة ويقضون فيه على
حسب مايقضي الهوى في القضية . حتى ان السبكي ذكر انه نظر في مسألة
السماع فرآها حلالا ثم قال الحمد لله الذي جعلنا من مقلدي امام اذا تاقت
نفوسنا للنظر في مسألة لم نقم الا على قوله فانظر هذه الكلية التي تدل على
عراقة هذا النحرير في الكمال والدين . وكذلك ذكر ان الذين بلغوا درجة
الاجتهاد من علماء الشافعية مع عدم المخالفة ليسوا بمقلدة انما وافق اجتهادهم
اجتهاده قال ولا يخرجهم ذلك عن الانتساب الى الشافعي فانظر طبقات
المذكور ترى فيها العجائب ومن فعل نحو فعله صار وجيها عند أهل ذلك
المذهب في حياته وبعد موته وأما من قال أنا اتبع هذه الآية وهذه السنة
وان خالفت الامام فذلك المتخبط المدعي الذي لا يرفع الى كلامه رأسا
بل ينهى عنه وعن كتبه وهذا في جميع هذه الاحزاب المحزبة فصار الباب
مغلقا ، حتى صار المعروف منكرا ، وذكر التعلق بالكتاب والسنة وترك

المذاهب المبتدعة كالزندقة عندهم خلا انهم لا يقولون الكتاب والسنة هو الضلال خشية ان يكون كفر بواحا ولكن يقولون قد انسد باب معرفتهما وما عرفوا انه اذا انسد باب معرفتهما فقد سقطت حجتهما فوجودهما وعدمهما على السواء ولكنهم لا يبالون بهذا ويقولون قد اخذ ثمرتهما الائمة وفعلوا ما يجب فالحجة اليوم كلامهم لا غير وصارت تلاوة الكتاب مجرد تعبد والحذر أن يتدبره التالي فيخالف الائمة فيضل وكذلك السنة الان قراءتها بركة وربما يحصل لهم بذلك مراتب دنيوية ووجه في الناس والا كان فعلهم مجرد عبث

وهذا الذي وصفناه من يظن ولم يعرف حال الناس ما يسوغ له ان يتهم هذا أبدا ومن عرفهم علمه ضرورة فذكرنا لنحو هذا مجرد إنكار فمن يجهله لا يصدقه في علماء الاسلام الذين طبقوا الارض ومن يعرفه يقول وما ثمرة هذا الهذيان وهيهات ليس الشأن في معرفة ذلك من احوالهم انما الشأن في السلامة من الوقوع معهم فانا رأينا الفضلاء فعلوا كما ذكره صاحب كليلة ودمنة من شأن السلطان ووزيره في شرب الماء فهذا هو سد باب التفقه في دين الله لأن دين الله الكتاب والسنة والفقيه انما هو من عرفهما واما معرفة هذه التفاريع فمجرد استغناء عن عين الحكم فالمسمى بالمفتي والحراث والسوقة سواء اذ أولئك لا يخلون من أحكام قد قلدوا فيها فما زاد عليهم هذا المفتي الا بكثرة الصور التي جمعها وليست من التفقه في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في شيء . ألا تراه معترفا انه لا يقدر على معرفة النسبة بين ما عنده وبين الكتاب والسنة

واعجب مما ذكر انهم جروا على هذا النمط فيما بين المتقدم والمتأخر

فيعتبرون المتأخر ويطرحون المتقدم عصرا فعصرا الى يومنا هذا مثلا لو قال المنتسب الى الشافعي من الطلبة قال الشافعي لسخروا منه وقالوا يرى نفسه أهلا لمعرفة قول الشافعي[1] بل لو قال قال الرافعي وانما المصرية منهم اليوم مقصورون على الرملي يقولون لايجوز الافتاء بغير قوله ويقولون اخذ علينا العهد بذلك لا ندري اي الاباليس اخذ عليهم ذلك لكنا سمعنا ذلك منهم وأهل مكة يقولون لا نعدل بقول ابن حجر الهيتمي فصار شأن العلماء المتقدمين وكتبهم كشأن الكتاب والسنة ولذا ترى تلك الكتب مهجورة. لقد وجدت في باب السلام اربعة عشر مجلدة عرضها صاحبها بثمن مجلدة صغيرة من الحطية مع ان في تلك مثل العزيز شرح الوجيز ثم لم تنفق وأرجعها الدلال لصاحبها وهذا في الشافعية آكد منه في غيرهم وكل قد فعله حتى سمعنا من بعض الطلبة انه لايجوز العمل على قول المتقدم لان المتأخر قد ميز الصواب من الخطإ

ونقول لهم لو خلقكم الله سبحانه في العصر المتقدم عليكم وانتم على الحال الذي انتم عليه الآن أ كانت حجة الله عليكم قائمة عليكم؟ فلا تراهم يجيبون الا بنعم فنقول ننتقل معكم الى العصر الذي قبله كذلك حتى نبلغ الى عصر الصحابة ثم الى عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيعترفون بالحق ويصرون الى ذلك الحال المألوف بمجرد الهوى وكأنهم لم يسمعوا كأنك

(١) طبع في هذه الايام كتاب (الام) للامام الشافعي وبهامشه رسالته في الاصول ومختصر المزني فقال بعض علماء الشافعية في مصر والحجاز ان طبع هذا الكتاب مفسد للمذهب وفيه ضرر عظيم وهم ينهون عنه وينأون عنه! فرحم الله المصنف وكل عالم مستقل اه مصححه

لم قلت ، ونقول لهم هل المتأخر أفضل من المتقدم حتى رجحتم اتباعه ؟ فيقولون بل المتقدم أفضل فنقول فقد عدلتم عن الافضل وقد يقول أحدهم اعاهو استقصار لنظرنا عن معرفة قول الاول فنقول لافرق بين كتاب وكتاب وليس من اللازم ان المتأخر أجلى بيانا واوضح عبارة وبرهانا بل لايزالون مختلفين وكلام الله ورسوله أصح وأوضح ، وأجل وأجلى واشرح ، واذا بلغ عجزكم الى ما ذكرتم قلنا ياأغبا الناس وأدناهم ، ثم لانسلم لكم معرفة كلام احدث المصنفين ، ولا كلام اشياخكم المدرسين ، على قدر مااعترفتم به على نفوسكم من سوء الحال ، وسقوط الشأن وضيق المجال ، فاتقوا الله في هذه الصحف والاقلام ، والمساجد التي صدعتموها بالخصام ، ولكم بباقل أسوة في شعره ، فلقد كان اعرف منكم لقدره ، حيث يقول مترجما عن عذره

يلومون في حمقه باقلا ولمصمت أجدر بالاموق
خروج اللسان ومد البنان أحب الينا من المنطق

وهذا باعتبار شبيه قول الامامية : غير المعصوم يجوز عليه الخطأ قلت لبعضهم فهل المعصوم حاضر أبدا عند المكلف لكلما عرض عليه كي يصونه عن الخطإ ، قال لا بل لا بد من واسطة غير معصوم قلت فاذا ذلك مسلم والمعصوم موجود هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يدل هذا الدليل مع تسليمه الا على معصوم واحد لا على ثلاثة عشر معصوما فاقطع وناسب هذا المحل قولي

برئت من التمذهب طول عمري وآثرت الكتاب على الصحاب
ولي في سنة المختار صلى عليه الله ما يشفي التهابي

ومالي والتمذهب وهو شيء ... يروح لدى المماري والمحابي

وأما من يريد الحق صرفا ... ويوجل قلبه ذكر العقاب

ويرجو حسن عقباه اذا ما ... تميزت المنازل في الثواب

وفيه همة عاقت وتاقت ... سقوط الشأن أو حسن المآب

وقد رزق الحياء فلا يسوي ... برب العالمين بني التراب

فلا والله لا يرضى صنيعا ... أباه كل من تحت السحاب

لئن أبقى الاله لهم صوابا ... لقد ضلوا كثيرا عن صواب

رضيت لهم من الوجه الذي لم ... يحل من الشريعة بالنصاب

وأثري من سوى هذا فاني ... أرى انصافهم شيب الغراب

لعمري انما حاولت أمراً ... بعيداً عن شكوك وارتياب

ولكن حبهم حلوى هواهم ... اذاقهم الاصابة طعم صاب

فلم تر من يسدد سهمه في ... حيال الحق في رجع الجواب

وغاية أمرهم لغط وبهت ... ورفض للمروءة والمتاب

يقولون ادعى أمراً عظيما ... يكاد لديهم يدعى بصابي

وقالوا ليس يعرف من امام ... مقاما وهو للانصاف آبي

لئن كنتم غلوتم في امام ... وما هبتم مفارقة الكتاب

تبرضتم ثمادا ثم قلتم ... تجنب وارد البحر العباب

وقلتم قد حجبتم أن تنالوا ... بدون امامكم فهم الخطاب

فمن ذا بالفلاح أحق منا ... ولم ير دون فهم من حجاب

وقلنا حجة الرحمن فينا ... الى يوم القيامة والحساب

ولو لم يخلق النعمان أو من ... يضاهيه من العلما النجاب

ولكن ذا الكتاب وذا حديث ٭ النبي وذا اللسان بلا اضطراب
ويستفتي الذي قصرت يداه ٭ بغير تحزب وبلا انتساب
كاعراب زمان الصحب كانوا ٭ واعلام سقوا صفو الشراب

ومن مفاسد الخلاف ترك الجمعة والجماعة وهما من شعار الاسلام أما الجمعة فلكثرة التحكم في شرائطها وانما هي صلاة من الصلوات أقرب ما يشترط فيها اتحاد الجماعة لانها شرعت لاجتماع المسلمين في هذا اليوم وكانوا يعطلون مساجد الجماعات لها وهذا أمر فوضى في مصر اليوم يصلون في المساجد بلا تقيد بقيد حتى أن الشافعية يصلون الجمعة ثم يصلون الظهر على الاطلاق ورأيت مصريا في مكة فرغ من الجمعة ثم قام فصلى الظهر فقلت ما هذا فقال أنا شافعي مذهبنا نصلي الجمعة ثم نصلي الظهر فقلت لعل ذلك في مصر لتعدد الجمع على غير شرط التعدد وهاهنا ليس الا جمعة واحدة فاستفاق فليت شعري لم لم يصلوا الجمعة في مكة أربع مرات كسائر الصلوات نظرا الى أساليبهم المخترعة ؟ ولعل ذلك يكون بعد إن تمادى نزول عيسى عليه الصلاة والسلام فتساهلوا في هذا الامر الواضح وحافظوا على ما ليس كذلك كاشتراط إمام عادل كزعم بعضهم أعني السلطان أو اشتراطه ولو جائرا أو اشتراط أربعين أو مصر جامع أو نحو ذلك مما اتفق وقوعه في زمنه صلى الله عليه وآله وسلم من دون دليل على الاشتراط وهذه أمور مطولة في الفروع والمقصود أن الخلاف هو الذي عطل الجمعة ولم يكن ذلك في عصر الصحابة رضي الله عنهم ولقد صلوا خلف الحجاج ولله در عثمان رضي الله عنه وأرضاه وقد قيل له أنت إمامنا ويصلي للناس اليوم امام بدعة؟ يعني امام حصره فقال رضي

الله عنه خيار أعمالهم الصلاة ان لم يقتدوا بهم فيها فبم يقتدون ؟ أو كما قال رضي الله عنه

ولقد غلت الزيدية حتى حرموا حضور صلاة الجمعة في بلد السلطان الذي ليس على شرطهم وقالوا لا تصح الصلاة ويعيد الظهر بل قال قائلهم وينتقض وضوء الخطيب المعصية لأن بعض المعاصي عندهم ينقض الوضوء وما شئت من غلو وكذا اشتراط الاربعين عند الشافعية وتراهم في البلدان الصغار يعدون الجماعة كما يعد الغنم شيء لم يؤنس في السلف ولا متشبث الا آثار ضعيفة وتركت الجماعة لذلك في غير الجامع الكبار ولم يكن شيء مما تشبثوا به يصلح لتخصيص كتاب الله تعالى وأعجب منه اشتراط المسجد مطلقا أو المسقف كقول المالكية وسائر شرائطها مما ينبئك ويلزمك ان كنت ذا همة أن لا تعدل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم

ومما يصلح مقصدا للمتمكن أن يجمع ما وضح أنه بدعة في الفروع في كل فرقة فينجي من ذلك التصنيف الكثير وما باب من أبواب الفقه الا قد تعصبوا فيه أو تعصبوا لكن بنوا على أصل منها ثم فرعوا فروعا وطال الدليل الى أن تصير تلك الفروع سيما الأبعد الأنزل في عداد الأجنبية ثم لم يلتفتوا الى النظر في الاصل المبني عليه فانه لو كان صحيحا لما أدى الى الامور المستشنعة لكن يصممون الى أن يخرج أحدهم من الجماعة ويخرج خصمه في الباب الآخر تحقيقا لشر الخلاف واظهارا لعظم المفاسد فيما نهى الله سبحانه عنه ويراها مسألة فرعية سهلة ويقولون مسائل الاجتهاد أمرها هين انما الشأن في العقائد وهذا من اصطلاحاتهم

وربما تكون تلك العقيدة التي رفعوا شأنها ليست من الدين لا اثباتا ولا نفيا ولا يظهر لها مفسدة وتلك الفرعية السهلة قد صارت مفسدتها من أعظم المفاسد وهاك مثالا من ذلك

فما استعظموه من العقائد أن الانسان اذا أراد أن يكلم زيدا وجد لنفسه حالة لم يكن قبل ارادة التكلم ولا بعدها وهذا القدر متفق عليه فقالت الاشاعرة هذه حالة مستقلة فينا وهي في الباريء صفة مستقلة كذلك ونسميها الكلام ثم نعبر عنها بالالفاظ وقالت المعتزلة الذي يجده الانسان انما يرجع الى علمه بمعنى ما سيكلم به زيدا وترتيب اللفظ الدال عليه مع علمه بالقدرة على ذلك وارادة التكلم فليس ما نجده بصفة مستقلة ومدلول كلم وتكلم في اللغة فعل الكلام والتكلم وهو اللفظ فقط واطلاقه على ما في النفس مجاز فقط كسائر الملكات فلا صفة للباريء تعالى نفسية تسمى كلاما انما كلامه فعله فمعنى تكلم خلق الكلام في جسم من الاجسام وانما قالوا في جسم لان الكلام عرض لا بد له من محل والباريء تعالى ليس محلا للاعراض فتعين اشتراط المحل عندهم والكلام على هذه الصفة في الباريء تعالى وغيره من فضول الكلام ومعنى تكلم في اللغة معروف فلنقتصر عليه لا سيما في حق الباريء تعالى ونقول تكلم حقيقة لغوية ولم يتكلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على غير هذا فانظر هذا الذي طبق الاقطار هل هو من الدين في شيء ان كنت ممن جعله الله أهلا لذلك

باب المقالات

الفسق العلني والدستور (*

حدثنا غير واحد من الفضلاء الذين جاؤا العاصمة من طرابلس الشام ان بعض سماسرة الفسق جاءها بثلة من النساء الروميات العاهرات اللواتي يتجرن باعراضهن فانشأن يرقصن كل ليلة في بعض الملاهي وهن في هيئة منكرة من التبذل والتبرج والتهتك تغري من رآها بالفسق ثم يعدن الى منازلهن وقد جذبن اليهن من جذبن من الفساق يختلفون اليهن جهرا فيبذلون لهن أموالهم وصحتهم وشرفهم ودينهم ويخرجون حاملين منهن جراثيم داء الزهري (الحب الافرنجي) وسمه القتال المعدي فيلقونه في بيوتهم و بيوت من يؤاكلونهم و يشاربونهم حتى ان الدكتور ماوريا أحد أطباء البلد المشهورين قال لبعض محدثينا انه عرض عليه كثيرون من المصابين بهذا الداء بعد استقرار هؤلاء العاهرات في طرابلس وكان ذلك نادر الوقوع فيها فكم يكون عدد الذين عرضوا على غيره وعدد الذين لم يعرضوا على الاطباء لجهلهم واهمالهم

واخبرنا أولئك المخبرون ان علماء طرابلس وأهل الدين والشرف فيها حرجت صدورهم واضطربت قلوبهم وضاقت عليهم نفوسهم وشكوا الامر الى حكومتهم فلم تشكهم ولا اجابتهم الى ازالة المنكر القبيح الذي لم تعوده بلدتهم ، وظن الجماهير من الناس ان المجاهرة بالفسق من لوازم الحكومة الدستورية فهو بلاء واقع ما له

---

*) نشرنا هذه المقالة والتي تليها بجريدة الحضارة

من دافع لان رجال الدستور هم الذين يحمونه ، واطلعني أحد هؤلاء على كتاب جاءه من صديق له وكلاهما من مستخدمي الحكومة وأعضاء جمعية الاتحاد والترقي يقول فيه ان عدد الارتجاعيين يكاد ينمو ويزداد في طرابلس وقاها الله وسائر البلاد من شر الارتجاع وأهله ، وسنبين لهم بالبرهان خطأهم في سوء ظنهم هذا بالدستور ورجاله

ان طرابلس الشام قد امتازت منذ القرون الماضية والايام الخالية بمزايا قلما توجد بلدة في الدنيا تفوقها أو تضارعها فيها وهي المحافظة على شعائر الدين وآدابه الاجتماعية ، والخلو من مواخير الفسق واوسرية ، وحانات السكر العلنية ، وبيوت القمار الخصوصية ، ولا اذكر انني رأيت في السنين التي عشتها فيها أحدا من السكارى الا رجلين أحدهما زنجي كبير السن كان يجول في حارة النصارى فيتجمع عليه الصبيان يعبثون به ويسخرون منه ، وقد اعتاد السكر من خدمته لبعض النصارى في أيام شبابه ، والثاني شاب من أولاد الصناع كان يشرب سرا وربما خرج مترنحا ثملا فكان لافتا لاعناق الناظرين المتعجبين ، ومحركا لالسنة الحوقلين المسترجعين ، وأذكر ان مدرعة فرنسية وقفت في ميناء طرابلس فخرج بعض ضباطها الى البلد فجعل يجول فيها فطلب من الترجمان أن يذهب به الى ماخور النساء أو يأتيه بامرأة يتمتع بها فلما سمع أهل السوق هذا هموا بالضابط فأنذرهم بعض الاذكياء مغبة الامر واسرع باعلام الحكومة فأرسلت اليه من رجال الشحنة والشرطة من حافظ عليه الى أن عاد الى البحر بعد ما أفهمه الترجمان أن هذه البلدة ليس فيها نساء للفسق

ان بلدة هذا وصفها وقد كانت ولا تزال من اكثر البلاد اشتغالا بالعلم الديني بالنسبة الى عدد السكان جديرة بأن تضيق ذرعا بالفسق العلني فاحشا شر مفاجأة وقد كان لحكومتها سلطان من الدستور على منع هذا المنكر المخالف لآداب القوم العمومية ولكن متصرفها السابق كان جاهلا خاملا بليدا وأما المتصرف اللاحق فلم يبلغنا أنهم شكوا اليه ذلك ولعلهم لم ييأسوا من الحكومة ولعل المتصرف الجديد لا يقصر في تلافي هذا الامر الامرّ ، وإزالة هذا العمل النكر ، وهو قد رأى بعينيه وسمع بأذنيه ، وعمل بيديه ورجليه ، في منع ما هو دونه من المنكرات في العاصمة كمنع تبرج النساء واختلاطهن بالرجال في مثل يوم عيد الدستور ومنع الصبيان من

الحمامات . كل ذلك عناية من الحكومة الدستورية العليا بالآداب الاسلامية ، ولا يتوهمن أن الامر قد استقر فهو يدوم بحركة الاستمرار ، وانه يغتفر في الدوام ما لا يغتفر في الابتداء ، فالامر لا يزال في أوله ولا تزال أخطاره محصورة في دائرة ضيقة ، فيجب أن يرقع قبل اتساعه ، وتداوى العلة قبل إعضالها

قد استفظع هذا المنكر أهل العلم والدين والغيرة على العرض — وهم السواد الاعظم في طرابلس الشام — وأكثرهم لا يعرف من شره الا انه عمل محرم في الشرع فماذا يقولون وماذا يعملون اذا علموا بما وراءه من الشرور والرزايا في هتك الاعراض واغتيال الاموال وفشو الامراض وفساد داخلية البيوت وهو ما سنشرحه في مقالة أخرى ؟؟

يجب على أهل العلم والدين أن يعيدوا الكرة بمطالبة الحكومة المحلية بمنع هذا المنكر من بلدهم المخالف لآدابهم العمومية التي نص القانون على وجوب احترامها وذلك يكون في كل مكان بحسبه ، وجمهور أهل العلم والدين والمروءة هم المحكمون في عرف بلدهم وآدابه ، ولانه هتك لحرمة الدين الذي كفل القانون الاساسي حفظه واحترامه بل لم يقبل الا لبنائه على أساسه ، واقتباسه من نبراسه ، فان لم تبادر الحكومة المحلية الى اجابة طلبهم فليرفعوا الامر الى حكومة العاصمة ولو بلسان البرق

لا تصدقوا وسوسة شيطان الارتجاع بتفضيل تلك الحكومة الاستبدادية البائدة على الحكومة الدستورية الدائمة ان شاء الله تعالى في حفظ الشرع وآداب الدين ، فانا قد رأينا من هذه الحكومة اكثر مما كنا نتوقع من اتقاء ما يخدش الشعور الديني ، ولم يكن أحد يستطيع أن يحتج بالدين على شيء في العصر الحميدي المظلم فاعلموا الآن انكم أقدر على حفظ دينكم وعرضكم اذا عرفتم كيف تحفظونه فحكومة الدستور هي حكومة الامة وحكومة الاستبداد هي حكومة رجل واحد لا قيمة فيها للامة ولا لدينها ولا لعرضها ولا لشرفها .

ألم يبلغكم أن أهل البصرة أرادوا أن ينصبوا تمثالا لابي الدستور (مدحت باشا) فمنعتهم الحكومة العليا من ذلك لانه مخالف للشرع الاسلامي ، ألم تعلموا أن مجلس

الوكلاء قرر منع انتشار كتاب تحرير المرأة اذ طبع مترجما بالتركية لئلا يكون سببا لكثرة الخوض في مسألة رفع الحجاب عن النساء ، حتى عد بعض الناس الحكومة مغالية في ذلك ؟ أفترون أن هذه الحكومة ترضى بان يثلم أولئك الروميات الفواجر شرفكم ويهتكن آدابكم الدينية والقومية ويسلبن أموالكم - في زمن قاطع العثمانيون فيه تجارة اليونان المباحة - ويفسدن امر الصحة العمومية ، ويزدن في اسباب التعدي والجنايات ؟؟ حاش للحكومة ان ترضى بذلك اذا كنتم أنتم تكرهونه وتمقتونه ، فاطلبوا المقاصد بأسبابها ، وأتوا البيوت من ابوابها ، واتقوا الله لعلكم تفلحون

***

مضار البغاء ومفاسده

للزنا مضار ومفاسد كثيرة في الصحة والاخلاق والروابط الزوجية والحياة الاجتماعية والاقتصادية والانتاج لاجلها كان محرما في الاديان فان الله تعالى لم يحرم على الناس شيئا إعناتا للناس ولا منعا لهم من التمتع باللذات التي لاضرر فيها وانما حرم عليهم كل ما هو ضار وأباح لهم كل ما هو نافع وما كان فيه نفع وضر فالترجيح في الشريعة لما فيه دفع المفسدة وحفظ المصلحة والمنفعة جار على الطرق الموافقة لنظام الفطرة وقوانين المنطق المعقولة ، واشد الزنا ضرراً واكثر مفاسد البغاء المستباح الذي يتخذه الفواجر حرفة تكون معروفة في البلد فكل من شاء ذلك تيسر له متى شاء ما دام يملك أجرة البغي

هذا الضرب من الفسق هو الذي يسرع افساد الصحة والآداب وتقليل النسل وايقاع الشقاق في البيوت حتى تصل الى درجة يستباح فيها اكثر الاعراض وتفشو القيادة والدياثة حتى لا يوثق بنسل أحد الا النادر من الناس واكثر الشبان الجاهلين لا يعرفون من أمر هذه المفاسد شيئا فيقضي الفسق على حياتهم الجسدية والادبية والمنزلية من أول النشأة ولا يعرفون من أين جاءهم البلاء بل لا يدرون به الا بعد وصوله الى حد اليأس ولا سيما في البلاد الصغيرة (كطرابلس الشام التي سرى اليها هذا البغاء الآن) التي ليس فيها مستشفيات تداوى فيها الامراض

والأدواء التي تتولد من الزنا كالزهري والسيلان ، ويعتبر بما يرى فيها من العبر من كان لا يعرف ذلك من الشبان

أول رزايا البغاء وأمرها حصولا انتشار المرض الزهري القتال ويا ليت هؤلاء الشبان المساكين يعرفون شيئا من عواقب الزهري وما ينتهي اليه . ليتهم يدخلون المستشفى في مثل الاستانة ومصر فيشاهدون بأعينهم بعض المصابين بهذا الداء ومنهم الذي فقد بصره وسمعه ومنهم من سقطت أسنانه وتآكل لسانه . ومنهم من استؤصلت منه أعضاء التناسل ، وأهونهم حالا من كان قريب عهد بالمرض وقد انتشرت البثور على جسده ولم تصل سمومها الى أعضائه الرئيسة ، ويالها من مناظر تشخص لها الابصار وترجف لهولها القلوب

يا ليت هذا الداء الخبيث لم يكن معديا اذاً كان يكون وباله على أولئك الفساق وحدهم وهم له مستحقون ، ولكنه من الادواء التي تسري بضروب من العدوى لا يعرف طرق التوقي منها الا من لهم إلمام بعلم الصحة وهم في بلادنا قليلون ، فياحسرة على أهل بيت يغوي الشيطان أحدهم فيقوده الى تلك المواخير النجسة فيعود حاملا الى أهله الابرياء المساكين ذلك السم القتال فيلقح به امرأته وأولاده واخوته واخواته وربما أصاب به والديه فانه قد ينتقل بفضل الطعام وسؤر الشراب وبالتقبيل والمس اذا كان هناك جرح أصابه ذلك السم ولو جرح الخلال في اللثة

ومن رزايا هذه الفاحشة ومصائبها أن من افتتن بها يصير يؤثر الحرام على الحلال فان كان أعزب تضعف داعية الزواج الشرعي في نفسه ولذلك يقل الزواج في جميع البلاد التي يفشو فيها الزنا ومضار ذلك كثيرة منها قلة النسل ومنها كثرة الايامى من النساء وذلك مدعاة لخروجهن من حظيرة العفة والصيانة حتى ان الموانس من العذارى الابكار يلجأن أحيانا يلتمسن الاخدان في البيوت السرية فكيف يكون حال الارامل ؟ وان كان متزوجا يهجر امرأته ولو جميلة ويأوي الى بغي دونها جمالا وفتاء وان شاركه فيها من لا يحصى من اسافل الناس وبذلك تضعف غيرته على العرض ويضيق ذرع امرأته ويحوجها الاضطرار فتنتقم منه والجزاء من جنس العمل

يتوهم بعض المغرورين بأنفسهم انه يسهل عليهم الجمع بين التهتك في الفسق وبين صيانة نسائهم عنه وان قل نصيبهن منهم ، وانما ذلك هو الجهل والغباوة وعدم الخبرة والتجربة فما ذكرناه من افضاء تهتك الرجال في الفسق الى افساد نسائهم هو من القضايا المعقولة الثابتة بالتجربة المؤيدة بحديث « عفوا تعف نساؤكم » فان استبعدته عقولهم الضعيفة فليعلموا أن المشاهدة والتجربة أقوى حجة من نظريات الفلاسفة الحكماء . أفلا تكون أقوى من نظريات الجهلة الاغبياء؟ ولو كانت النظريات المتبادرة الى الرأي أقوى من علم المختبر للشيء والعالم به من المشاهدة أو خبر التواتر عن المشاهدين والمجربين لكان من المردود بادئ الرأي ادعاء رغبة الفاسق عن زوجته الجميلة الطاهرة المقصورة عليه الى عاهرة دونها في كل شيء ولكنه واقع ومن أغرب وقائعه ان امرأة في مصر بحثت عن سبب هجر زوجها لمضجعها زمنا طويلا فعلمت انه يأوي الى بعض مواخير الفسق الخفية فذهبت الى قوادة الماخور واعطتها صورتها ورغبت اليها أن تعرضها مع الصور اللواتي عندها على فلان (الذي هو زوجها) فلما عرضت الصورة عليه جذب بصره حسن صورة امرأته ولم يفطن لها لانه لم يخطر في باله أن تعرف ذلك المكان او تميل الى الفاحشة مثله وكانت اجمل من جميع النساء اللواتي يختلفن اليه فلما طلبها من القوادة طلبت منه مالا كثيرا فوق ما كانت تطلبه عادة فبذله وبعد أن اجتمع بامرأته وهو لا يعرفها وأظهر لها أنه كان أسعد الناس بلقائها وانه ما سر في حياته بامرأة كسروره بها تعرفت اليه ووبخته وقالت له كيف تكون اسعد الناس بقربي في الحرام مع الخسارة وبذل المال لهذه القوادة الملعونة ولا تكون أسعد الناس في الحلال مع حفظ المال ...

الا فليعلم أهل طرابلس الشام ومن على شاكلتهم — من المعرضين لانشاء البغاء في بلادهم — أنهم اذا لم يتداركوا هذا الامر قبل ثباته واستقراره فان أعراضهم على خطر وان ماعندهم من الغيرة والحماسة الآن سيكون في أول العهد بهذا البلاء سببا لسفك الدماء ثم تضعف الغيرة رويدا رويدا حتى تكثر القيادة والدياثة كما في جميع البلاد التي فشا فيها البغاء والبشر متشابهون في الاستعداد لذلك والعلل مربوطة بمعلولاتها والاسباب موصولة بمسبباتها

إن الغيرة على الاعراض في مثل طرابلس الشام شديدة عند جميع طبقات الناس حتى ان أجهل الجاهلين وافسقهم ليندفع الى قتل من يعلم انه اعتدى على عرض اية امرأة من عشيرته بلا مبالاة ولا حذر من العاقبة فاذا استقر أمر هؤلاء المومسات اللواتي فتحن باب البغاء في هذه البلدة وترتب على ذلك أثره الطبيعي من فساد البيوت وابتذال الاعراض فلا بد أن يكثر سفك الدماء فيها ، فهل تفكر العلماء والفضلاء وأهل الغيرة والنجدة في هذه العواقب ولم يبالوا بها أم هم عنها غافلون ؟؟

يغلب على ظني أنه لو جمع بعض العقلاء فتيان البلد الشجعان (الابضايات) وبين لهم أن هذه الفتنة ستكون سببا لتهتك الاعراض وسفك الدماء وفساد الصحة واضاعة الاموال لسبقوا العلماء الى السعي في منعها وتلافي شرها قبل تمكنها ورسوخه

إنما أخرت الاشارة الى ذهاب المال لانه في نظر أهل وطننا دون العرض والنفس ولكنهم اذا اعتادوا هتك العرض يرجحون المال فان البلاد التي فشا فيها الزنا كلها قد كثرت فيها القيادة والدياثة لاجل المال حتى ان الرجل ليتجر بعرض امرأته وبناته ، وهذا مما يعده اكثر بلادنا من المحال الذي لا يتصور وقوعه منهم لظنهم أن شدة الغيرة صفة من صفاتهم الطبيعية التي لا تتغير وكان غيرهم يظنون هذا الظن الباطل ولم يشعروا ببطلانه الا بعد موت الغيرة بفشو الفسق على ان المال عزيز عند كل الناس في كل مكان وزمان والمحافظة على الثروة هي اساس قوة الامم وعزتها في هذا العصر . ولست أعني باضاعة الفسق للثروة وذهابه بالاموال ما يتبادر الى اذهان الاكثرين الذين أوجه اليهم هذا الخطاب من الشفقة على الشاب الفقير الذي يضيع معظم كسبه بجعله من نصيب هؤلاء المومسات وانما أعني ما هو أعظم من الشفقة على هؤلاء الظالمين لانفسهم أعني أن هذا البغاء يذهب بحظ عظيم من مال الامة الى جيوب الاجانب الذين أذلوها وبزوا دولتها باستعلائهم عليها بالثروة فان معظم المومسات في الشرق من اليونانيات والرومانيات والنمساويات والفرنسيات الخ وهن يرسلن معظم ما يسلبنه من فساقنا الى بلادهن فيكون نقصا من ثروتنا ومزيدا في ثروة امهن ودولهن ولولا ما يأخذه اليونانيون واليونانيات من مصر وغيرها من البلاد الخارجية لاضمحلت دولتهم وضعفت أمتهم بالفقر المدقع

ان مفاسد البغاء في بلاد اسلامية صغيرة مثل طرابلس الشام ستكون أعظم وأكثر من مفاسده في البلاد التي آدابها غير اسلامية وفي البلاد الاسلامية الكبيرة التي يسهل فيها اخفاء الفسق قبل أن يخف وقعه على الجمهور بالاعتياد الذي يضعف الدين ويفسد الفطرة ، فلا يمكن بيان تلك المفاسد بالتفصيل في مقالة أو مقالات قليلة واني لاعجب من سكوت حملة الاقلام في طرابلس عن ذلك وعن حفز الهمم لمقاومته وحثها على تلافيه كما اعجب من ضعف العلماء والفضلاء في المطالبة بمنع هذا المنكر

هذا واني قد بلغت خبر ماحل بطرابلس مولانا شيخ الاسلام وهو الذي عرفت منه النجدة والغيرة فاذا شكا أهل هذه البلدة الى الحكومة الادارية ولم تشكهم فليرفعوا الامر اليه وأنا الضمين لهم بأنه يأخذ بيدهم ولعله عهد الى نظارة الداخلية بوجوب الاهتمام بسماع شكوى الاهالي في مثل منع هذه المنكرات فيجب على أهل طرابلس ان يكونوا قدوة صالحة لغيرهم في الخير ولا يكونوا قدوة سيئة لهم بالسكوت على مثل هذا المنكر الذي سيحل بهم مثلهم والله الموفق والمعين

حجاب المرأة في الاسلام (*)

تباينت آراء الناس في مسألة الحجاب في هذه الايام ، وكثرت فيها مناقشات الكتاب ، فنهم من ضل الطريق ، ومنهم من هدي الى سواء السبيل ، ولما كانت هذه المسألة من أكبر مسائلنا الاجتماعية الحاضرة ، رأيت أن افيض القول فيها واحصها تمحيصا ينبلج به الحق ، وينقشع به الباطل ، مؤيدا قولي بالحجة العقلية والبرهان ومعززا له بحديث الرسول (ص) وآي القرآن الحكيم فأقول : —

الحجاب عادة قديمة موجودة قبل الاسلام و بعده وعند أمم لم تعرف من هذا الدين الكريم شيئا فلم يكن الاسلام موجده ولا مؤيده ، وهو الآن عند المسلمين يكاد يكون قاصرا على نساء الطبقة الوسطى والعالية وقد خرج في هذه الايام الاخيرة عن معناه الحقيقي وأصبح ضربا من ضروب الزينة والتبرج تظهر به النساء كاسيات عاريات ، مظهرات لمحاسنهن ، مخفيات لعيوبهن ، فهن يخدعن به الرجال ، ويغررن الناظرين بتلك المظاهر المزوقة الكاذبة التي لولاها ما بالى أحد بالنظر الى تسعة اعشارهن ، ولا وجه مفتون عينه اليهن ، ولا أظن أن أحدا من العقلاء يستحسن هذا الحجاب الكاذب أو ينتصر له ، ولا اظن ان غيرة الرجال تحتم معه ، أو تحتم به ، فليس الخلاف بين العقلاء في أمر هذا الحجاب الحالي وانما خلافهم في الحجاب الحقيقي وهو ستر المرأة وجهها وكفيها عن الاجانب عنها فيقول قوم انه نافع ومفيد وان الدين يأمر به ، ويقول آخرون انه ضار لا فائدة فيه وان الدين بريء منه ، وكلا الفريقين يؤيد رأيه بالادلة ، والحق يقال ان دلائل الفريق الاول سفسطة باطلة ، ودلائل الفريق الثاني حقيقية قاطعة ولولا خوف التطويل لسردنا دلائل الاولين ، وادحضناها بالبرهان المبين ، ولكننا نكتفي

(*) بقلم الدكتور محمد افندي توفيق صدقي

بذكر دلائل الآخرين . فانها هي الحق اليقين . وليس بعد الحق الا الضلال المبين .
أما مضار الحجاب فهي كثيرة متنوعة نأتي هنا على بعضها : —

أولا ـ ان الحجاب يحول دون انتخاب الرجال لازواجهم فيجعل الزواج تابعا للصدفة والاتفاق بدلا من الاختيار والانتخاب . فمن أسعده حظه صادفته امرأة حسناء توافق مشربه وهواه . ومن أشقاه وقع في قبيحة شوهاء . لا يمكنه أن يقيم معها الا على البغضاء والشحناء . فيكثر بينهما الشقاق . المؤدي الى الطلاق . أو تعدد الزوجات . ولا يخفى ما يجره علينا ذلك من المصائب الاجتماعية والاخلاقية والدينية . ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لاحد الانصار وكان قد خطب امرأة (أنظرت اليها؟) قال لا قال ـ (أنظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما) والنظر الى النساء لاجل الزواج لا يتفق بحال من الاحوال مع الحجاب فانا اذا كشفناه عنهن لمن يريد الزواج لعرضناهن للخجل والاستحياء والسخرية والازدراء ولأصبحن كالسلع في الاسواق تتناوبهن أعين المشترين . وهو أمر تنفر منه الطباع السليمة . وتأباه المروءة . ولا يتفق مع كرامة المرأة في شيء فتقع في حضيض الذل والاهانة وتتعرض لهزؤ الهازئين . وسخرية الساخرين العابثين بالاعراض ولعب الشبان الفاسقين . ولا دواء لهذه الامراض سوى سفور النساء للرجال في جميع الاحوال واتخاذ ذلك عادة لهن حتى تتقى أمثال تلك المصائب والمضار التي تنشأ للمتزوجين والمتزوجات من الحجاب . ولا يخفى ان اصلاح مسألة الزواج عليها اصلاح البيوت واصلاح الامة بأسرها

ثانيا ـ ان الحجاب يكثر من حوادث التزوير في سائر العقود كما لا يخفى وهو عقبة كؤود في سبيل صحتها وفي الشهادة والمحاكمة . فكم من امرأة سلبت أموالها بسبب الحجاب ؟ وكم من فتاة عقد عليها بدون اذنها وكان المتكلم غيرها من وراء ستار ؟ وكم من نساء رمين بالافك والبهتان من غير علمهن وهن محصنات غافلات ؟ وكم من شاهدة زور اتخفي خجلها أمام أعين القضاة بالبرقع والنقاب وتفتري الكذب ولا يعلم من أمرها شيء ؟ الى غير ذلك من الرزايا والمصائب التي جرها علينا الحجاب واني والله لاعجب غاية العجب كيف يصح

العقد على فتاة لم يرها ولم تره . وربما اذا نظر أحدكما الآخر اشمأز منه ونفر . فكيف بعد ذلك يمكننا أن نقول ان الرضى حصل بين الطرفين مع انه رضي باللسان فقط وكل منهما يوجس خيفة من منظر الآخر على أن الرضى اللساني أيضا في كثير من الاحوال لا يحصل من جانب الفتيات و يكون صادرا من احدي قريباتهن كما هو معروف

ثالثا – ان الحجاب يفسد صحة النساء ويمنعهن من الرياضة البدنية . ومن استنشاق الاهوية النقية في الاماكن الصحية . فتسوء بنيتهن . وتكثر أمراضهن . وتقل صحتهن . ويلدن الملاوين والمهزولات .

رابعا – ان الحجاب لاشك أنه أكبر مانع لاتمام التربية والتعليم والتهذيب وعائق لتثقيف عقل المرأة وتوسيعه وتكبيره بالتجربة وممارسة الاعمال ومخالطة الرجال في بعض الاحيان في اجتماعاتهم الصالحة كالتي تحصل في المساجد للصلاة وتعليم الدين . ومانع لها من مشاهدة المناظر الطبيعية . وبدائع الاختراعات الصناعية . فيبقى عقلها ضيقا . وذهنها فارغا ومخها خرقا خاويا . فلا تبث في أذهان بنيها و بناتها سوى الاضاليل والترهات . والخرافات والخزعبلات . فتفسد عقولهم وآدابهم وأخلاقهم . ولا يخفى ان التعليم في الصغر كالنقش في الحجر ولذلك يصرف الواحد منا وقتا طويلا وتعبا كبيرا لتطهير عقله مما زرعته فيه أمه الغبية الجاهلة منذ طفوليته ونشأته . ومن كان في شك مما أقول فما عليه الا أن يقارن بين عقول نساء الافرنج وأبنائهم و بين عقول نسائنا وأبنائنا ليتضح له صحة ما أقول . وقد علمت بالاختبار أن جمهور البنات اللاتي يأخذن الشهادات من مدارسنا لا تمتاز عقولهن بعد الحجاب عن البنات الجاهلات الا شيئا يسيرا فان مدارك أكثرهن تجدها قاصرة ضيقة مفعمة بالاباطيل والترهات والاوهام والخرافات معجبة بما تعلمته من القشور الفارغات

خامسا – ان الحجاب يمنع الفقيرات أو غير المتزوجات من الحصول على أقواتهن الابشق الانفس و يضيق عليهن أنفاسهن و يعسر عليهن الاعمال أو الاشتغال بأي عمل يكتسبن منه رزقهن من نحو خدمة أو صناعة أو زراعة أو تجارة ولا يخفى مايجلبه البرقع على التاجرات مثلا (والتجارة أخف شيء يمكن عملهن به) من الضيق والحر

والعرق والاضرار بالصحة وعسر الحركة ٠ والله تعالى يقول (ماجعل عليكم في الدين من حرج)

سادسا ـ ان الحجاب كثيرا مايحرم الرجل لذة الخروج مع زوجه وأولاده واصطحابهم في رياضاته وأوقات فراغه ويمنعهم من مشاركته في أنسه ولذاته ٠ وهي امور ضج منها المجربون فنشأ عن ذلك كثرة هجران الرجل لزوجه وأولاده وعدم اجتماعه بهم الا وقت نومهم وهو يقضي معظم وقته في الاماكن العمومية (كالقهوات) بين الميسر والخمر والفسق والسعي في اصطياد الغواني مع أنه لو خرج مع زوجته لتمتع كل منهما بالآخر ونال كل منهما حظه من لذة الحياة والاقتناص برفيقه ومشاهدة المناظر الطبيعية والصناعية واكتفى كل منهما بالآخر واستفاد من حديثه وامتنع الرجل من النظر لغير امرأته وامتنعت هي من النظر الى غير زوجها لحياء الواحد منهما من الآخر وخشيته ومراقبته لوجوده معه ٠ ولا يخفى على أحد فوائد ذلك من الوجهة الادبية والاجتماعية وقد كان صلى الله عليه وسلم يخرج مع بعض نسائه الى الاماكن الخلوية لاستنشاق الهواء النقي ولمسابقتهن جريا والمزاح معهن بالقول الحسن

سابعا ـ ان البرقع أو النقاب المستعملان الآن مما يشوق النفوس لرؤية ما تحته فان ألذ شيء الى الانسان مامنع عنه فهو يحمل أهل الفسق والفجور على التعرض للنساء في الطريق ومغازلتهن والسعي في كشف سترهن كما هو حاصل الآن بكثرة فان أنواع البراقع تظهر غادة الاعين والحواجب وهي في أغلب النساء جميلة فيغتر الناظر ويظن أن باقي الوجه جميل مع أنه قد يكون منفرا اذا كشف جميعه ٠ ولذلك قيل في أمثلة العامة (ان البرقع غشاش) وقد سمعت من بعض الشبان الفاسقين أن أحدهم يسعى وراء المرأة المتبرقعة زمنا طويلا ويصرف مالا كثيرا في الحصول عليها وتعبا كبيرا حتى اذا نجح معها وقادها الى احدى دور الفسق وكشفت عن وجهها نفر منها وندم على مافعل وحاول أن يتخلص منها بكل وسيلة ولولا الحجاب مااغتر هذا الغرور بكل واحدة ولذلك تكثر مداعبة النساء المتبرقعات في الطرق من الرجال وتقل مداعبة السافرات لان الجمال الحقيقي قليل جدا والنقاب يزين جميع النساء للرجال ويوهمهم أنهن كلهن جميلات فهو كالشيطان يغري الانسان ويحمله على الفسق والفجور ٠ هذا

وان تعود الرجال لرؤية جمال النساء يقلل من التأثر بهن والافتتان بحسنهن والانسان المتعود على ذلك يملك نفسه أكثر ممن لم يتعود والخلاصة أن الحجاب منبع الرذائل والسفور أصل الفضائل ولاشك ان الحجاب هو السبب الوحيد في أكثر ماوقعنا فيه من المصائب والرزايا والبلايا . ولاأعلم له من فائدة واحدة سوى غيرة الرجال الكاذبة من رؤية غيرهم لوجوه نسائهم مع أن الرؤية لاضرر فيها ولاضرار . والقول بأن الحجاب الحقيقي يقلل من الزنا اذا سلم فهو مدفوع بأن الزنا يمكن تقليله بوسائل أخرى كالتي أتى بها الدين الاسلامي المنيف (وسيأتي بيانها) من غير أن يكون لها من المضار ماللحجاب مما سبق بيانه وهي اذا اتبعت تماما فان الزنا يكاد يمحا من الوجود وهذه الوسائل تنحصر في ثلاث مسائل وهي (١) التربية الدينية (٢) واقامة الحدود مع الترغيب في الزواج وتيسيره (٣) والاتيان بآداب الرجال والنساء وسيأتي ذكرها تفصيلا وليس من بينها الحجاب لان ضرره أكثر من نفعه ويمكن الاستغناء عنه بأشياء أخرى غيره . واليك الدليل : —

أجمع علماء المسلمين وأئمتهم على أن الوجه والكفين ليسا بعورة في الصلاة وأن كشفهما غير مبطل لها وعلى ذلك جرى عملهم من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الى اليوم . وقال ابن جرير في تفسيره (ان للمرأة أن تبدي من بدنها مالم يكن عورة كما أن ذلك للرجال لان مالم يكن عورة فغير حرام اظهاره) . وحكى القاضي عياض عن العلماء انه لايجب على المرأة ستر وجهها وكفيها في طريقها وعلى الرجال غض البصر عنها وقل ان ذلك اجماع المسلمين . وروي عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت ابي بكر دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال (ياأسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا) وأشار الى وجهه وكفيه ولذلك أبيح لنساء المسلمين أن يحضرن صلاة الجماعة في المساجد وهن مكشوفات الوجوه في زمن رسول الله وزمن أصحابه وأتباعهم . وأوجب الدين الاسلامي على المرأة أن تكشف وجهها في الحج مدة الاحرام كلها بحيث يبطل حجها اذا هي غطت وجهها والاحرام مدته طويلة تبقى فيه النساء مختلطات بالرجال في سائر مواقف الحج وهن كاشفات لوجوههن . فلو كان في ذلك مفسدة لما أوجبه

الاسلام وقرونه . ولو فتشت القرآن من أوله الى آخره والاحاديث الصحيحة لما وجدت فيهما أمرا واحدا يوجب ستر المرأة وجهها وكفيها بل بالعكس تجد أن القرآن يستثنيهما في قوله (ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها) كما عليه اجماع المفسرين . وقد عدل عن الأمر بتغطيتها الى تغطية غيرها في قوله (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) . الآية ولم يقل على وجوههن فلو كان كلامهم صحيحا لقال هنا (وليضربن بخمورهن على وجوههن) ، أما استشهادهم على الحجاب بآية (واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب) فسيأتي بيان معناها على ان هذه الآية هي الآية الوحيدة التي ذكر فيها لفظ الحجاب وسترى أنها لا تنهض بها لهم حجة . ولم يرد في القرآن مطلقا ذكر للتبرقع والانتقاب أو ما في معناهما ولو كانا واجبين لورد ذكرهما مرة واحدة بل مرارا كثيرة . واذا كانت نساء المسلمين في عصر التنزيل محتجبة فما معنى قوله (ولا تمدن عينيك) وقوله (يغضوا من أبصارهم) وقوله (ولو أعجبك حسنهن) فكيف يعجبه حسنهن وهو لا يراهن ؟ وما فائدة عدم مد الاعين اليهن وغض النظر عنهن وهن محتجبات ؟؟ (البقية تأتي)

« كتاب الخمسة والمئة ، وكتاب الحمسة في الاصول الخمسة »

الف حضرة العالم الفاضل السيد محمد طيب العلوي المكي مدرس درجة التكميل في مدرسة دار العلوم بلكنو « الهند » التي أنشأتها ندوة العلماء كتابين سمى أحدهما « كتاب الخمسة والمئة » في نصر الفئة » ويحتوي هذا الكتاب على خمسة ومئة من الادلة عدا الممهدات والتنبيهات

والكتاب الآخر سماه « الحمسة » في الاصول الخمسة » جعله كالمدخل الى التوغل في علوم البلاغة وقد تقرر تدريسه في مدرسة دار العلوم المذكورة والكتابان لم يطبعا بعد وقد بعث لادارة المنار بأنموذجين من الكتابين المذكورين لينشرا في المنار وهما هما

(انموذج من كتاب الخمسة والمئة)

الاول ان الله ارسل الرسل ليحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه وليجمعوهم على كلمة واحدة ويعلموهم كيف الطريق الى مرضاة الله وما هي الاسماء التي يرضاها الله لنفسه فيدعا بها فلو وكلوا بعد ارسال الرسل الى عقولهم لكان ارسال الرسل فضلا لان دليل العقل قد كان وكيف يرسل الرسل لرفع الخلاف ثم يحكم على ما يأتون به ما هو منشأ الخلاف وانما قلنا ان العقل هو منشأ الخلاف لثلاثة أوجه (الاول) ان الحاجة انما وقعت عند الاختلاف والاختلاف انما وقع بين العقلاء لاختلاف عقولهم فكانت عقولهم هي منشأ الخلاف (الثاني) ان العقل مختلف في ذاته قوة وضعفا وغفلة وتنبها و باعتبار ما يقارنه من العوائد والمعارف واذا كانت العقول مختلفة اختلفت آراؤها ومتى اختلفت الآراء وقع التشاجر والتحزب فكيف يقول من أرسل لرفع هذا الخلاف : ان كلامي ان خالف عقولكم فلا تقبلوه بل أولوه بحسب ما ترون فان هذا ليس رفعا للخلاف بل هو أمر زائد اذ لكل أحد ان يقول ان هذا الكلام لا يقبله عقلي لانه يخالف مألوفي أو يخالف دليلي أو هذا الكلام يقوي رأي فلان وهو خصمي (الثالث) ان العقول لولم تكن مختلفة لم يحتج الى حكم لان الناس انما يرجعون الى الحكام عند الاختلاف فاذا ثبت ان العقول هي منبع الخلاف امتنع ان تكون هي الحكم فالحكم ما سواها فاذن ثبت ان كلام الشارع هو الحكم فلا يؤول اذا خالف بعض ادلة المعقول ولا سيما والرسل جاءت لتبين للناس ما لا تصل اليه عقولهم وليكفوهم مؤونة البحث بعقولهم وليكفوهم عن الخلاف فيما بينهم فلو ردوهم الى عقولهم لزادوا الطين بلة

قال : فهذا دليل واحد من الخمسة والمئة ليس باعلاها ولا أدناها ثم قال :

(انموذج من كتاب الممسة في الفنون الخمسة)

«لو» يستعملها الناس في الاخبار عن سبب عدم الخبر الذي هو الجزاء، تقول لو جئتني لأكرمتك يعني ان سبب عدم اكرامي هو عدم مجيئك وقد خبط الناس ههنا مدة الى ان حقق ذلك العلامة التفتازاني في شرحيه المطول والمختصر الا انه

جوز وقوع الشرطية في الكلام موافقا لاصطلاح المناطقة فان معنى الشرطية عندهم هو الاخبار بأن بين المقدم والتالي تصاحب فمعنى ان جئتني اكرمتك ليس الوعد بالاكرام بل هذه القضية كاذبة أو محتملة عندهم أي معناها لان الاحتمال من معناها «أن جاء زيد» مصاحب لاكرم زيد ومعنى مصاحبتها انهما مجتمعان على الصدق في الواقع والظاهر انهما لا يجتمعان وان احتملا الاجتماع فمعناها عندهم محتمل وعند أهل اللسان متعين حتى انه يقول ان فلانا وعدني ثم ان المصنف حقق معنى قوله تعالى « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » وبين انه لا يصح حمله على اصطلاح المناطقة فان العرب لا تعرف ذلك بل ولا علماؤها فان أبا هلال حين ذكر المذهب الكلامي نص على انه لا نظير له في كتاب الله ثم أيد ما قدره من ان المراد ليس نفي الالهة المستقلة الذي يجزم به الناس فطرة ودليلكم هذا باقراركم لا يثبت به العلم فكيف يستدل على المعلوم بما لا يثبت به العلم بل المراد ان الله تعالى لو كان معه من يتداخل في امره لفسد نظم السموات والارض وذلك لان الشفاعة لا تكون الا للمدافعة عمن أوجبت عليه القاعدة امرا لا يحبه وهذه المداخلات مخلة بالانتظام قطعا ولهذا عقبها بقوله «لا يسأل عما يفعل» ثم بقوله «لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون »

﴿ تنبيه ﴾

﴿ كتاب الدارس في المدارس ﴾

هو كتاب خطي لم يطبع بعد والموجود منه نسخة واحدة قديمة عند حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ عبد الرزاق افندي البيطار من علماء دمشق الاعلام وقد نقل عنه نسخة حضرة العالم المؤرخ رفيق بك العظم وهو الكتاب الذي القى عليه ذلك الدرس في دمشق وتراه منشورا بهذا الجزء من المنار ص ٦٨١ وقد فاتنا هذا التنبيه عقيب نشره

باب الأخبار والآراء

درس على كتاب الدارس

« في المدارس » (١)

١

أيها السادة

إن تاريخ كل أمة سواء كان مجيدا أو غير مجيد لا يخلو مستقبله من ارتباط بماضيه لا من حيث التشابه بين طرفيه بل من حيث النتائج التي تترتب عليها نهضة الامم أحيانا وتغير مجرى الحياة الاجتماعية بأن تسرع بخطى الشعوب الى مراقي الصعود

معناها اذا كان ماضي الامة عظيما محترما في التاريخ تحرص على أن يكون أعظم احتراما في حاضرها أو على أن تسترد ذلك الاحترام اذا فقدت شيئا منه واذا كان ماضيها سيئا غير محترم في التاريخ تدأب على التخلص منه وتطلب لنفسها حاضرا أسعد منه . فالنتيجة واحدة في الحالين ولكن لمن ؟ ومن يتحصل على مثل هذه النتيجة من الامم ؟

تتحصل عليه أمة تعلم ان لها تاريخا تدرسه وماضيا تبحث فيه وترجع اليه لاسيما اذا كان تاريخا مجيدا له آثار معروفة في الوجود وأثر محقق في الاجتماع والامة

---

(١) ألقى هذا الخطاب العلامة المؤرخ رفيق بك العظم في حفلة حافلة في مدينة دمشق أرصد ريعها لجمعية البنات الطبية

كالفرد مفخورة بالماضي الجليل اذا تمثل لها نفخ فيها من روحه فملأها نشاطا ودفعها الى الامام اشواطا

وان أمة لا تعرف تاريخها فأحر بها أن يتنكر لها الزمان وتزدري بها الشعوب لجهلها بماضيها وان تنكرها الانسانية وتنكرها السماء والارض

إن المدنية الاسلامية التي رفع منارها أسلافنا الطاهرون وغيرت شكل الارض ومجرى الاجتماع كان لمدينتكم هذه حظ وفير منها ولا سيما في التوفر على انشاء معاهد العلم ودور التربية والتهذيب

هذا أيها السادة ما دعاني لان اقف بينكم خطيبا افتح صحيفة من ماضي التاريخ فيما يتعلق بأسلافكم الغابرين ومدينتكم الفيحاء وفيها ذكرى للذاكرين ، وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين .

ان هذه الذكرى ماثورة في هذا الكتاب الضخم المشتمل على الف وثلاثمئة وستين صحيفة وهو كتاب (الدارس في المدارس) تأليف المؤرخ العلامة الشيخ محمد بن محيي الدين النعيمي وهو خاص بما انشئ من معاهد العلم والمساجد ودور العجزة (التكايا) في دمشق وقد بلغ عدد ذلك مئتين وبضعا وثمانين . لو وزعت المدارس منها على السنين منذ انشاء أول مدرسة في القرن الخامس أي سنة ثلاث وتسعين وأربعمئة الى عهد المؤلف في أوائل القرن العاشر لاصاب دمشق كل سنتين مدرسة تقريبا أو دار للعجزة والمرضى تشاد هذا فضلا عما أنشئ من المدارس بعد ذلك التاريخ ولم يدركه المؤرخ المذكور وهذا فهرست الكتاب نتلو عليكم بعضا من أسماء المدارس التي جاءت فيه ولا أطيل خوفا من ضيق الوقت .

أما تواريخ انشاء هذه المدارس بالضبط والاوقاف التي حبست على الطلبة فيها والعلماء الذين نبغوا منها ودرسوا فيها كل هذا مذكور في صلب الكتاب وليس في الوقت متسع لتلاوته عليكم كما ترون من حجم الكتاب وحسبكم ان ممن درسوا في هذه المدارس وتولوا رياستها أو نبغوا فيها من علماء الشريعة مثل الحافظ الذهبي صاحب التاريخ المشهور والامام ابن تيمية صاحب التآليف المشهورة وقاضي القضاة صدر الدين الازرعي صاحب الجامع الصغير وغيرهم من مشاهير العلماء ومن علماء

الطب مثل الرؤساء ابن أبي أصيبعة صاحب تاريخ الاطباء ومهذب الدين بن الحاجب ونجم الدين اللبودي وموفق الدين بن المطران ومهذب الدين الدخوار وعماد الدين الدنيسري واضرابهم

ومن علماء العقليات والرياضيات والموسيقى مثل محمد بن أبي الحكم الباهلي وعز الدين السويدي وأبي الفضل الحارثي المهندس الذي كان باب البيمارستان النوري القائم الى اليوم من عمل يده واضرابهم

وها نذا اقرأ لكم مثالا واحدا من ترجمة هؤلاء الرجال فاسمعوا ما قال تاريخ الدارس هذا في ترجمة أفضل الدين ابن أبي الحكم نقلا عن الصفدي قال :

« محمد بن عبد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي » هو أفضل الدين أبو المجد ابن أبي الحكم من الحكماء المشهورين كان طبيبا حاذقا وله يد طولى في الهندسة والنجوم (أي علم الفلك) ، له في سائر الآلات المطربة يد عمالة وعمل ارغنا و بالغ في اتقانه وقرأ على والده وغيره في الطب وكان في دولة نور الدين بن الشهيد ولما عمر البيمارستان والمستشفى النوري بدمشق جعل أمر الطب فيه اليه الخ ما قال

هؤلاء الرجال الذين ذكرتهم لكم وهذا الفاضل الكبير منهم وعدد كبير مثلهم من أهل الشهرة بالعلم والفضل درسوا في هذه المدارس أو تخرجوا على رؤسائها ومشايخها ثم ملأوا المكتبة العربية بالمؤلفات النافعة في كل فن ومن راجع منكم كتاب الكواكب لابن عروة الحنبلي في اكثر من مئة مجلد ، وتاريخ الحافظ ابن عساكر في اكثر من عشرين مجلدا وهما موجودان اليوم في المكتبة العمومية في مدرسة الملك الظاهر بدمشق وقاس عليهما ما ألفه علماء تلك القرون الافاضل وما قبلها من الكتب في علوم الشريعة والادب واللغة والتاريخ والتراجم والفلك والطب والرياضيات كالهندسة والحساب وغير ذلك من العلوم يعلم مقدار ما لهذه المدارس ومؤسسيها من الفضل على الامة وما للنابغين فيها من الاثر العظيم في الوجود بما سهروه من الليالي الطوال في التحرير والتحبير وما عانوه من النصب في وضع كتب العلم لافادة الناس حتى ملأوا بها المكاتب ونشروا العلم وما قولكم في ان عالما واحدا من علماء الطب وهو موفق الدين بن المطران المتوفى سنة سبع

وثمانين وخمسمئة ترك في مكتبته عشرة آلاف مجلد في الطب والعلوم الحكمية كما ذكر ذلك ابن أبي اصيبعة في ترجمة المومأ اليه

ولا يظنن أحدكم ان هذه المدارس كانت مدارس دينية فقط وان اكثر علمائها وطلبتها من طلبة العلوم الشرعية وآلاتها

كلا فان فيها مدارس لغير العلوم الشرعية كالطب مثلا ومن هذه المدارس المدرسة الدخوارية والدنيسرية واللبودية كما سترون ذلك فيما يأتي ان شاء الله

فضلا عن هذا فقد اخبرنا التاريخ ان معاهد العلم كانت مشاعا بين طلابه من كل فن وان الطبيب أو الفلكي مثلا كان يلقي دروسه في أي مدرسة كانت من مدارس العلم له فيها وظيفة بل في الجوامع والمساجد ايضا لانها كانت قبل ان توجد المدارس على شكلها المعهود أي قبل القرن الرابع أشبه بمدارس العلم بل هي المدارس عينها وما زالت كذلك معاهد للعبادة والعلم معا الى اليوم كما تعلمون

واذكر لكم مثالا واحدا على ان المدارس كانت شائعة لطلاب كل علم ما قاله ابن أبي أصيبعة في ترجمة رفيع الدين الجيلي قال : « وكان مقيما بدمشق وهو فقيه في المدرسة العذراوية داخل باب النصر وله مجلس للمشتغلين عليه في انواع العلوم والطب وقرأت عليه شيئا من العلوم الحكمية »

واعلموا أيها السادة ان كثيرا من علماء الشريعة مثل الجيلي جمعوا بين العلوم الشرعية والعقلية والطب والفلك والرياضيات وكلهم من خريجي هذه المدارس بالضرورة وممن جاء ذكرهم من هؤلاء في هذا التاريخ واذكره مثالا للباقين احمد بن الحسين الدمشقي واليكم ما جاء من ترجمته في هذا الكتاب نقلا عن ابن كثير قال :

« الجمال المحقق احمد بن عبد الله بن الحسين الدمشقي » اشتغل على مذهب الشافعي وبرع فيه وافتى وأعاد وكان فاضلا في الطب وقد ولي مشيخة الدخوارية (مدرسة طبية) لتقدمه في صناعة الطب على غيره وعاد المرضى بالبيمارستان النوري على قاعدة الاطباء وكان مدرسا بالشافعية بالمدرسة الفروخشاهية ومعيدا بعدة مدارس الخ ما قال

هذا يدلكم على ان العلوم كانت مشاعا بين العلماء وان العالم بالشرع قد يكون عالما بعلوم أخرى من العلوم النظرية والعملية كالفلسفة والطب والموسيقى والفلك والرياضيات وغيرها من العلوم التي قامت على دعامتها المدنية الاسلامية وكانت الحلقة الوسطى بين المدنية القديمة والمدنية الحديثة حتى اعترف بفضلها على التمدن الغربي كثير من علماء التاريخ كدربي ومنتسكيو وكوستاف لوبون وافردوا للمدنية الاسلامية كتبا خاصة اتوا فيها على ذكر ما تركه التمدن الاسلامي من آثار الترقي والعلم التي يجهلها أهله لهذا العهد يا للاسف والعار !

نحن الآن أيها السادة بصدد علماء دمشق في القرون الوسطى وانما هم حلقة من سلسلة ذلك التمدن الاسلامي الذي اخنى عليه الزمان واذا سمحتم لي فانني اختم كلامي بنبذة من تاريخ تلك السلسلة بعد استيفاء الكلام على كتاب الدارس هذا ان شاء الله

٢

علمنا مما سبق عدد المدارس ودور الهجرة التي أنشئت في دمشق ولكن من الذي انشأ هذه المدارس ورفع بنيانها وادر الخيرات عليها وأنفق من ماله على طلابها اهي الحكومة أو الافراد او الجماعات ؟

بلغ بنا الضعف ان صرنا كالاطفال نطلب كل شيء من الحكومة كما يطلب الطفل كل شيء من والديه اما اسلافنا فلم يكونوا كذلك بل كانوا استقلاليين اكثر منهم اتكاليين يعرفون قيمة الاعتماد على النفس فكان الفرد الواحد يقوم بما تقوم به الجماعة ولا يطلب من الحكومة امرا . ولهذا فان كل ماجاء ذكره في هذا الكتاب من المساجد والتكايا والمدارس انما أنشأه الافراد وقام بمال اهل السخاء والجود من اسلافكم الطيبين لمحض الخير وارادة نشر العلم وخدمة الوطن والدين لم يختص بهذا العمل الجليل والشرف الرفيع الملوك والامراء وذوو السلطة كما قد يتوهم البعض كلا بل كان الافراد من كل الطبقات من أهل اليسار يتسابقون الى تشييد المعاهد العلمية حسبة لله وحبا بعمل الخير واستبقاء الذكر الحسن في الوجود فالتجار والعلماء والسيدات هم الذين انشأوا هذه المدارس ، كل مدرسة يؤسسها

شخص بمفرده ويحبس عليها من ملكه مايكفي ريعه لبقائها، بل أقول لكم والخجل يكاد يمنعني من التكلم والحزن يوشك ان يعقد لساني ان العبدان عبدان أسلافكم أيها السادة شيدوا بأموالهم بعض هذه المدارس ورفعوا منار العلم والفضيلة كم ترفع العبدان الى منزلة السادة في حين ينحط السادة الى منزلة العبدان !

ان العبدان كانوا ارفع نفوسا واسخا كفوفا منا الآن بالخجل والخسران

ان الكلام وحده لايغني عن برهان ، وانكم تنتظرون مني الدليل على هذا البيان واليكم امثلة من عمل العلماء والتجار والسيدات والعبدان

قال المؤرخ في فصل عقده لمدارس الطب :

《 المدرسة الطبية الدخوارية 》

المدرسة الدخوارية بالصاغة العتيقة بقرب الخضراء قبلي الجامع الاموي انشأها مهذب الدين عبد المنعم بن علي بن حامد المعروف بالدخوار في سنة احدى وعشرين وستمئة بالصاغة العتيقة كما تقدم وأول من درس فيها واقفها ثم من بعده بدر الدين محمد بن قاضي بعلبك ثم عماد الدين الدنيسري وهو بها الى الآن الخ ...

《 المدرسة الدُّنيسرية 》

غربي البيمارستان النوري والصلاحية بآخر الطريق من قبله قال الذهبي في العبر في اخبار سنة ست وثمانين وستمئة

« عماد الدين ابو عبدالله محمد بن عباس الربعي » الرئيس الطبيب ولد بدنيسر سنة ست مئة وسمع بمصر من علي بن مختار وجماعة وتفقه للشافعي وصحب البهاء زهير وتأدب به وصنف » الى ان قال قلاعن الاسدي « العماد محمد بن عباس الحكيم البارع في الطب صاحب المدرسة للاطباء بالقرب من بيمارستان نور الدين الشهيد » الخ

《 المدرسة اللبودية 》

« اللبودية النجمية مدرسة خارج البلد ملاصقة لبستان الفلك المشيري انشأها نجم الدين يحيي بن محمد بن اللبودي في سنة اربع وستين وستمئة » الى ان قال نقلا عن ابن ابي اصيبعة « كان علامة وقته وأفضل أهل زمانه في العلوم الحكمية » الخ ...

هذا عمل العلماء واسمعوا امثالا من عمل التجار في سبيل الخير والعلم والمنفعة العامة لم يعمل مثله احد من اغنياء هذا الزمان :

﴿ المدرسة المزلّقية ﴾

المزلقية بطريق مقابر باب الصغير الآخذ الى الصابونية انشأها تاجر الخاص الشريف شمس الدين ابو عبدالله محمد بن علي بن ابي بكر المعروف بابن المزلّق ميلاده سنة اربع وخمسين وسبعمئة وكان ابوه لبانا ادركه جماعة وهو يباشر ملبنة عند جامع يلبغا فنشأ ولده هذا ودخل في البحر وحكى عن نفسه ان اول سفرة سافرها كسب فيها مئة الف دينار وثمان مئة درهم وانفتحت عليه الدنيا وعمر املا كا كثيرة وانشأ على درب الشام الى مصر خانات عظيمة بالقنيطرة وجسر يعقوب والمنية وعيون التجار، انفق على عمارها مايزيد على مئة الف دينار وكل هذه الخانات فيها الماء وجاءت في غاية الحسن ولم يسبقه احد من الملوك والخلفاء الى مثل ذلك وهو صاحب المآثر الحسنة بدرب الحجاز ووقف على سكان الحرمين الشريفين الاوقاف الكثيرة الحسنة وعين للحجرة الشريفة على الحالّ بها افضل الصلاة واتم السلام الشمع والزيت في كل عام الى آخر ماقال ...

وهذا مثال آخر لتاجر غيره ايضا

﴿ المدرسة الرواحية ﴾

شرقي مسجد ابن عروة بالجامع الاموي ولصيقة شمالي جيرون وغربي الدويلق وقبلي السيفية الحنبلية : قال ابن شداد بانيها زكي الدين ابو القاسم التاجر المعروف بابن رواحة وقال الذهبي في تاريخه العبر في من مات سنة اثنتين وعشرين وستمئة «والزكي ابن رواحة هبة الله بن محمد الانصاري التاجر المعدل واقف المدرسة الرواحية بدمشق وأخرى بحلب » الخ

ومن امثلة عمل النساء

﴿ المدرسة العالمية ﴾

العالمية شرقي الرباط الناصري غربي سفح قاسيون تحت جامع الافرم واقفتها الشيخة الصالحة العالمة اللطيفة بنت الشيخ الناصح الحنبلي المتقدم ذكره في المدرسة

التي قبل هذه (وهي المدرسة الشيخية بانيها الشيخ ابو عمر الكبير) وكانت فاضلة لها تصانيف وهي التي ارشدت ربيعة خاتون بنت نجم الدين ايوب اخت الملك صلاح الدين الى وقف المدرسة الصاحبية بقاسيون على الحنابلة الخ ...

ومن امثله عمل العبدان

﴿ المدرسة الصارمية ﴾

الصارمية داخل باب النصر والجابية قبلي العذراوية بشرق ، قال القاضي عز الدين بانيها صارم الدين از بك مملوك قايماز النجمي ورأيت مرسوما بعتبتها ماصورته

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

« هذا المكان المبارك انشاء الطواشي الاجل صارم الدين جوهر بن عبدالله المرحيق الست الكبيرة الجليلة عصمة الدين عذرى ابنة شاهنشاه رحمها الله تعالى الخ ... »

ارأيتم ايها السادة بماذا قامت هذه المدارس وبمن وكيف ان الافراد من اسلافكم كانوا يعملون مالا يعمله الجماعات منكم اليوم؟ ان الافراد هم الذين ينهضون بالامم وان المدنية الاسلامية التي تلوت عليكم حلقة من سلسلتها العظيمة كان للافراد شأن عظيم في وضع دعامتها وتشييد بنيانها

تعلمون ايها السادة ما كان لترجمة كتب أهل التمدن القديم كاليونان والفرس الى العربية من الأثر الكبير في تأسيس المدنية الاسلامية في بغداد على عهد الخلفاء العباسيين وقد يتوهم البعض ان الذي عني بترجمة هذه الكتب انما هم الخلفاء وحدهم واخصهم امير المؤمنين المأمون ، والحال ان الكثير من الافراد ورجال الفضل والنبل من الامة يدا لاتنكر في هذا السبيل

وهذا يدلكم على ان عمل الاشخاص منفردين لايقل تأثيرا في الهيئة الاجتماعية عن عملهم مجتمعين . ولذا لاأبالغ ان قلت ان نوابغ الامة الذين خدموا بذكائهم وعلمهم المدنية وشيدوا اركانها الرفيعة انما قاموا بهذه الخدمة وقامت تلك المدنية بفضل أهل السخاء والجود من محبي العلم والترقي وانصار النجاح الذين كانوا ينفقون من مالهم على المترجمين للكتب العلمية الى اللغة العربية . ومن هؤلاء الافاضل الاجواد

الذين رصدوا جزأ كبيراً من اموالهم على المترجمين لكتب العلمية في تلك العصور علي بن عيسى العباسي ومحمد بن موسى بن شاكر الرياضي الشهير وعلي بن يحيى الكاتب وابن المدبر الكاتب وثاوري الاسقف ومحمد بن عبد الملك الزيات وبختشوع الطبيب والعدد الكثير من امثالهم المولعين بالترقي والعلم الذين كان ينفق كل واحد منهم اموالا طائلة على نقلة العلوم الى اللغة العربية حتى لقد نقل ابن أبي اصيبعة عن محمد بن عبد الملك الزيات انه كان ينفق في الشهر الواحد على المترجمين الف دينار قال هذا فضلا عما كان ينفقه الخلفاء من بني العباس لهذا القصد

وإنا والله لنتمنى ان تجمع هذه الالف دينار في كل شهر من الف غني من اغنيائنا اليوم لتنفق في سبيل نشر العلم وترقية الناشئة من ابناء الاوطان ولو فعلوا ذلك اليوم لعوضها عليهم ابناؤهم اضعافا مضاعفة في الغد بل لو فعل ذلك اهل كل ولاية عثمانية لاصبحت المملكة العثمانية بعد عشرين سنة جنة قطوفها العلم وسياجها القوة والحياة

ولنعد الى ما كنا بصدده فنقول:

بمثل هذا البذل على ترجمة كتب العلم ونشرها بين الكافة والاستفادة منها ظهر اركان النهضة في الشرق الذين ارتفع بهم شأن التمدن الاسلامي وذلك مثل بني موسى بن شاكر المهندسين الرياضيين في عصرهم وبني بختشوع وبني سهل وبني ماسويه وبني حنين وبني ثابت بن قرة وبني زهرون وابو عثمان الدمشقي وابن كرنيب ويحيى بن عدي المنطقي وابي الفرج الطبيب وابي الريحان البيروني والشيخ الرئيس ابن سينا وابي نصر الفارابي والفخر الرازي واضرابهم من العلماء الذين ظهروا في الشرق في عصور متفاوتة إبان التمدن الاسلامي

ومثل بني زهر ويحيى بن السمينة وابي القاسم المرحيطي امام الرياضيين والفلكيين في عصره وابن السمح الغرناطي المهندس وسعيد ابن عبد ربه وابي جعفر الترجالي وابي الوليد بن رشد وابنه محمد واضرابهم ممن ظهروا كذلك في الغرب

ومثل بن الهيثم البصري صاحب التآليف الغزيرة في الرياضيات والفلك والمبشر بن فاتك وعلي بن رضوان وتلميذه افرائم ابن الزفات والشيخ السديد رئيس

الاطباء شمس الرئاسة بن جميع الاسرائيلي ورشيد الدين أبي خليقة وأمثالهم ممن ظهروا في مصر

كل هؤلاء من علماء الفلسفة والطب والرياضيات والحكمة الطبيعية وغيرها من العلوم ونسبتهم كنسبة واحد في المئة ممن ظهروا في عصرهم وبعده في الشام وبغداد ومصر وفارس والمغرب والروم أي آسيا الصغرى وغيرها من الامصار الاسلامية في الشرق والغرب وانما وضع لهم الاساس افراد من الامة قدروا قدر العلم فشيدوا معاهده وترجموا كتبه واكرموا أهله فتكون من عمل أولئك وهؤلاء وتعاونهم جيلا بعد جيل بناء تلك المدنية العظيمة التي فقدناها بعدُ ولم نستطع اللحاق بأبناء التمدن الحديث لاعراضنا عن العلم وغفلتنا عن تحدي الامم الراقية وقبض اكفنا عن امداد معاهد العلوم وتشييد دورها مع انا قد يطلب منا الآن ونحن جماعات فلا نجيب ما كان يعمله الافراد من اسلافنا من تلقاء أنفسهم وبمحض رغبتهم بالعلم والمعارف وحبهم للارتقاء فما هذا الفرق العظيم

و بالجملة أيها السادة إننا أمة ذات ماض مجيد وتاريخ جميل وقد ترك لنا أسلافنا دروسا لا يمحوه الزمان، وقد نقش في كل زاوية من المشرق ومكان، فلا يبلغ بنا ضعف النظر أو ضعف القلوب والهمم وفساد الاخلاق واستحالة الدم إلى أن نتناساه ولا نقرأ صحفه الزاهية التي يدعونا كل سطر منها الى التذكر والتفكر والسعي الحثيث الى الترقي الذي مناطه العلم . والعلم يحتاج الى المال . فالمال المال ! الكرم الكرم ! الانتباه الانتباه ! والا نقضي علينا بالدمار ويلحق بنا العار وتبرأ منا أسلافنا الطاهرون ولا يكون ذلك ان شاء الله ما دام فينا الكرام الغيورون والرجال المفكرون والسلام عليكم .

حياة الزيتونيين

كتبت مقالة في المجلد الثاني عشر من المنار (ص ٦٥) عن اضراب الأزهريين عن حضورهم دروسهم الا أن يجابوا الى مطالب لهم طلبوها وحبذت صنعهم ذلك وعددته نهضة لهم وكان الكتاب يسمون عملهم اعتصابا ولكن تلك النهضة أو ذلك الاعتصاب كانت نتيجته الفشل لأن مقدماته ألفت من التنازع ولأن أولي الأمر هنا رابهم أمر الأزهريين وأكبروا مطالبتهم لهم بأن يتوفروا على اصلاح حالهم فخذلوهم وذلك شأن أرباب السلطة يزدرون طلاب تغيير الحال ويعدونهم من المجترمين المذنبين !

اعتصب الأزهريون في العام الماضي وليست حالهم دون حال اخوانهم الزيتونيين بل ربما كانوا أرق منهم فكان من المنتظر أن ترن اصداء خطب الأزهريين في جامع الزيتونة فتزلزل قواعد الجمود وتتداعى لها أركان الخمول وشاء الله أن يحذو طلاب جامع الزيتونة حذو طلاب الجامع الأزهر في طلب تغيير الحال الى ما هو أصلح للمآل وأنجح للأعمال وانما المدرستان أو الكليتان تسيران على نمط واحد هو ذلك الطراز القديم طراز الافتراضات وكثرة التمحل والتأويل فيها حتى صارت العلوم في هذين المعهدين مناقشات نظرية عقيمة توخّر عن طلاب الدنيا ولا تلحق بأهل الدين

صاح صائح التونسيين واعتلى خطيبهم المنبر طالبا حياة جديدة تبعثه من قبر الخمول والجمود فأجفلت لصيحته قلوب واغتبطت أفئدة وانما أجفل أولئك الذين يستطيبون انقباضه ولكنهم لا يرضون منه الا أن يبقى سادرا لاهيا ويحسبونه عاقا مارقا اذا تطال الى المجد وطمح الى العلو والسمو

لقد تفتحت مغالق قلوبنا اذ حملت الينا ريح الغرب اريج اخواننا الزيتونيين الذين اعتصموا في مطالبهم بالأناة والصبر وجنحوا السكينة والحلم واستمسكوا بالعروة

الوثقى التي لا انفصام لها ولا خذلان لمن استمسك بها . تمثلنا لهم غادين رائحين ولهم من آداب الدين الحنيف وعظاته روادع من الادب وزواجر من الحياء ومن سيرة اعلام قرطبة وأئمة بغداد وأدباء غرناطة درس حكيم يهديهم الى الطريقة المثلى فكنا نشعر بسرور لا يدانيه سرور ونقول في أنفسنا تالله لو أعطيت لهم العلوم الصحيحة النافعة لفاق الخلف السلف والله يؤتي فضله من يشاء فهو لا يختص بجيل ولا قبيل

طال الأمد على سكون المسلمين وركونهم الى مخلفات قرون الظلمات التي ضعف فيها شأن العلم وجمدوا على التقاليد الخلقة التي لا تنهض بها حجة ولا يقام عليها دليل ولم تكن حالهم اذ أخذوها قضية مسلمة الا كحال أولئك الذين نزل فيهم قوله تعالى « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » ولو نظروا الى تاريخ أسلافهم في عصور السعادة لاحتذوا حذو أولئك ونبذوا طريقة هؤلاء ظهريا وبا بعد ما بينهما

لم يكن للمسلمين وقد احاطت بهم العظات وطافت بهم النذر أن يرتضوا لانفسهم بقاء التسكع في دياجير الجهل والترطل في حياض الخمول وهم الذين أرشدهم دينهم الى الضرب في مناكب الارض والنظر في اسرار الكون والاعتبار بتاريخ الامم التي بادت وانقرضت لكفرها بأنعم الله وجعل العزة وصفا لاهل دينه لاتنفك عنهم ماداموا مؤمنين

ليس بعجيب أن ينهض المسلمون في مشارق الارض ومغاربها مادام القرآن الحكيم محفوظا في صدورهم متناولا بين أيديهم وهو الذي ينعي على التقليد واهله ويستفز الهمم ويحدو العزائم الى طلب الآخرة بالعمل الصالح وطلب الدنيا بالسير في مناكبها وعلومها انما هي وسيلة موصلة اليهما ليس بعجيب ان ينهضوا وانما العجيب أن يلبثوا في عماية عن أمره ونهيه معرضين عن نذره وعظاته ولذلك قلنا ولا نزال نقول ان اصلاح المسلمين لايأتي الا من ناحية دينهم وعلمائه حملة القرآن فنحن اليوم نغبط عمل الزيتونيين ونعده مبدأ حياة جديدة ستكون زاخرة بالعلوم النافعة حافلة بالاعمال الرافعة ان شاء الله تعالى ونثني على أولئك الزعماء الفضلاء الذين نظموا الاعتصاب وساروا بهم على نهج التؤدة والرزانة ونحمد للحكومة جنوحها الى

واجابتها المطالب التونسيين بعد تلك الذبذبة والتغشم والانذار والوعيد واحر اجها صابر العدل بسجن فئة من زعماء الطلاب وانا نقول الآن عفا الله عما سلف ونوصي اخواننا الطلاب المجتهدين بحزمهم وفلجهم ونرجو أن تبقى نفوسهم دائما ظمأى الى مالم يأتوا من العلوم ونعيذهم ان يخدعوا بأماديح المادحين ويركنوا الى الناشئين المتفيقين فليس ما أحرزوه هو كل الاصلاح والنماء وشل من بحر وعلى الله قصد السبيل ولعلنا نوفق لكتابة مقال مطول في هذا الموضوع

حسين وصفي رضا

الشيخ جمال الدين الافغاني

(والشيخ محمد عبده) (*)

كنت كتبت رسالة بينت فيها فساد زعم الذين يتهمون الشيخ جمال الدين الافغاني بالمروق وأوضحت بطلان هذا البهتان بأجلى بيان وطبعت تلك الرسالة ونشرتها فتداولتها الايدي واشتهرت بين الناس و بعد ذلك سمعنا ببهتان جديد وهو أن الاستاذ لم يكن مارقا ولكنه كان وهابيا

عجبا هل يعرف هؤلاء الذين يهرفون بما لا يعرفون معنى رميهم الناس بالمروق تارة و بالوهابية تارة أخرى ؟ أم هل درى أولئك الخراصون الافاكون ناشرو الافك والبهتان أنهم بعملهم هذا يدخلون تحت طائلة قوله تعالى « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب في الدنيا والآخرة » الخ ؟

وأما الوهابية فهي بالحقيقة اسم للذين اعتنقوا هذا المذهب وهم معظم سكان بلاد العرب ومذهبهم ليس بينه و بين مذهب الحنبلية فرق كبير

عجبا أصار من الدين عندنا أن نثق بكل كلام يراد به ايذاء أي شخص

(*) كتب محمد عاكف افندي الكاتب المعروف هذه المقالة ونشرها بجريدة شورى التي تصدر في اورنبورغ في الروسية تحت هذا العنوان فنقلناها عنها

والطعن عليه ؟ وكيف يجوز أن نعمد الى رجل صحيح العقيدة صالح الاعمال ونقول إنه رجل صالح لكنه مارق من الدين ، ثم يتلقى الناس هذا القول وينتشر من دون ترو ولا نظر في أعمال وأحوال من نسب ذلك اليه فلا يمضي قليل زمن حتى يشيع بين الناس بأن فلانا مارق وان فلانا زنديق

ثم كيف يجوز لنا الحكم بمجرد نقل قوم لا يعرفون من أحوال من يحكمون عليه بهذه الافتراآت ولا من كلامه شيئا يصحح حكمهم ؟

اننا نعلم أن اكبر جرم في الاسلام هو أن يحكم الانسان على عقيدة انسان آخر ويتحكم فيها وينسبه الى الزندقة تارة والى الوهابية تارة أخرى بمجرد اختلاف في المشرب أو لأقل سبب مع أن الواجب الاسلامي يأمرنا باحترام عقيده مطلق إنسان ما دام يوجد دليل واحد على اسلاميته ضد تسعة وتسعين دليلا على الكفر وانه لا يجوز الحكم بالكفر مع وجود ذلك الدليل

ان اتهام كبار المصلحين بالوهابية في بلاد العرب وبالفرماسونية في بلاد الترك وبالبابية في بلاد العجم وبالدهرية والمروق في بلاد الهند وسيا صار امرا معروفا ومشهورا جدا . وان تعجب فعجب نعت غيرة رجال الاسلام بتلك النعوت مثل جمال الدين الافغاني مع انهم هم وحدهم المعروفون بالمدافعة عن الدين الاسلامي وهم انفسهم المجتهدون في ترقية بنيه بتربيتهم تربية صحيحة وهم الذين افنوا عمرهم الثمين بانشاء المدارس ليجعلوا لابناء أمتهم حظا من العلوم التي تنهض بهم من حضيض الذل الى اوج العز وتؤهلهم للجهاد في معترك هذه الحياة ليخرجوا من اسر المغلوبية

اذا اعترض علينا معترض من أهل الملل الاخرى قائلا : انكم تتهمون أفضل رجالكم واعلمهم واعقلهم واعلاهم قدرا واشدهم غيرة على ملتكم بالمروق والدهرية والفرماسونية والوهابية مع انهم لا يريدون لكم الا الخير والرقي والسعادة فلماذا ؟ ألأن دينكم لا يجتمع مع العقل والعلم والفضل والادب والحمية وحسن الخلق ؟؟ فماذا يكون جوابنا ترى ؟

اذا بحثنا في تاريخ الرجال الغيورين في القطر المصري الذين يدأبون على منفعة

الاسلام ويخدمون المسلمين خدمة صادقة نجد انهم تلامذة جمال الدين الافغاني وانهم انما نبغوا بفضل تربيته القويمة

لو كان الرجل مارقا من الدين كما يقولون لما قدر ان يوجد رجالا ممتلئين غيرة على الدين وأهله يخدمونه أجل الخدم (لان فاقد الشيء لا يعطيه) ولانهم لم سوى ترقي الانسانية بكل همة ونشاط

ان جمال الدين الافغاني رحمه الله تعالى ضاقت عليه الارض بما رحبت سواء كان في الافغان أو العجم أو تركيا أو أوربا ولم يسمح له ان يقيم في احدى هذه البلاد ناعم البال منشرح الصدر . ولو كان من محبي المال والجاه والمناصب العالية لترك ما اضطهد لاجله وهو خدمة الاسلام الجليلة والقاء الدروس النافعة للعالم الاسلامي ولما حاول ايقاظ المسلمين من نومهم العميق المؤدي الى النوم الابدي ان لم يسعف بالمنبهات من مثل ارشاد جمال الدين

ثم لو ان جمال الدين ترك خدمة الاسلام واشتغل ببث افكاره في العالم ولم يعمد الى ايقاظهم لانهالت عليه سحب الدنانير ولكان موضع الاحترام وصاحب المقام الذي لا يرام في جميع البلاد

ولكن تلك الروح العالية والارادة القوية والنفس السامية لم تنزل به في هذا الحضيض حضيض المجد الزائل فما زال مشمرا عن ساعد الجد مجتهدا بترويج مقاصده الخيرية يصارع الايام ويكافح النوائب غير هياب ولا وجل وثبت في موقف يتعذر على غيره الوقوف فيه حتى صح ان يقال عنه انه كان شهيدا في حياته وصدقت عليه عبارة كمال بك التركي « احسن شيء وافضله في هذه الدنيا ان يكون الانسان شهيدا في حياته »

هذا وان الذين يفترون على جمال الدين الافغاني بالمروق والوهابية تراهم لا يألون جهدا برمي الشيخ محمد عبده با كثر مما رموه به (كأن الكفر والمروق على نسبة النفع للامة) ثم ان هؤلاء الافاكين مصنع كفر لا يفتأ يصوغ من حلى الكفر اجودها لهؤلاء الرجال العظام فانا ارجو منهم بعد النظر في مؤلفات الشيخ محمد عبده ان يثبتوا لي علامات الوهابية التي ينكرونها عليه ولو بأي صفة كانت ويظهروها للملا

ان بعض الناس يقول « انه لا موازنة بين زهد الشيخ محمد عبده وبين علمه » (١) وربما كان كذلك وهل اذا امضى الشيخ محمد عبده عمره معتكفا بالمساجد مواظبا على صلاة النافلة أكان يفيد الاسلام اكثر مما افاده ؟ اننا لا نظن ذلك بل ان رده على عالم افرنجي مثل هانوتو ومدافعته عن حقوق الملايين من المسلمين هي في نظرنا أحسن عملا وأكثر ثوابا من الاعتكاف وصلاة النافلة

انظروا الى قول عمر رضي الله عنه لأبي قلابة التابعي « ان اكتسابك الرزق لعيالك أحسن عندنا من اقامتك في المسجد » وهل يعجز أبو قلابة عن تربية عياله وأولاده في زمن يعيش فيه الناس بقليل من النفقة عيشة الرفاهية من غير تجشم مشاق الكسب ؟ ومع ذلك فقد أمره عمر رضي الله عنه بالكسب ونهاه عن الاقامة في المسجد

اما محمد عبده فانه لم يكن مثل ابي قلابة ولا هو في زمن مثل زمنه بل هو في زمن يحتاج فيه ان يشمر عن ساعد الجد لاجل تربية عائلة تبلغ الملايين من الاشخاص

هانحن اليوم معشر المسلمين ليس لنا مثل جمال الدين ومحمد عبده وقد مضيا الى خالقهما وتركانا كالماشية بلا راع بل اننا اصبحنا واقفين موقف الحيرة لا ندري ماذا نعمل ولا نهتدي طريق النجاة

فالواجب علينا ان نذكر مثل هذين الاستاذين بالخير لانهما خدما الدين وكانا من حماته وأن نسأل لهما من الله الرحمة والغفران لكي ينالا جزاء عملهما الصالح

نعم ويجب أن نعترف بفضلهما وارشادهما لتلاميذهما الاجيال المقبلة وتعيينا حيث اننا لا نعرف لاهل الفضل فضلهم ولأجل أن يعلم القوم الآخرون اننا أناس نعرف فضل المصلحين واننا لسنا من يكفرون النعم ، ويحسن ان أوردهنا حكاية صغيرة وأجعلها ختاما لهذا الموضوع وهو أنه قابلني قبل خمس سنوات رجل افرنجي وقال لي « انكم قوم محرومون من معرفة الصناعة وانتم معذورون في هذا أما في عدم تفكركم في معرفة قدر الرجال فلستم بمعذورين بل ان هذا ذنب لكم لا يغتفر وهو من أشنع الذنوب » فاعتبروا يا أولي الابصار .

---

(١) عبارة الاصل مشوشة

الخلافة الاسلامية
(والجامعة العثمانية)(*)

١

« أفحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون »
« قرآن كريم »

ان الدين أعظم مهذب للنفوس وآثاره تظهر في الناس بقدر استعدادهم للخير أو الشر وبهذا كان التباين الذي لولاه لما ثبت دين اذ لو توحدت الفكرة الدينية لزالت الصعوبات لان كل فريق مضطر ان يناضل الآخرين ليثبت لهم انه على حق . وما هي البراهين التي تحملنا على تصديق فريق وتكذيب آخر ؟ لماذا نعتبر والد ابراهيم مخطئا في عبادة الاصنام ولماذا نحبذ فعل ابراهيم عليه السلام لتحطيمه تلك الاصنام وعبادته الحي القيوم الذي لا يغفل ولا ينام ؟ «ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم» الآية

يتأمل الانسان فيما حوله من الكائنات فيجدها سائرة بنظام واحد ميسرة لما خلقت له «ماترى في خلق السموات من تفاوت». وما الطبيعة الا ذلك الناموس الذي يخضع له كل شيء في الوجود واني بقدر ما وصل اليه بحثي اعتقد اعتقادا راسخا أن الاسلام هو الدين الطبيعي أو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها ذلك هو الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون وان جميع مبادئه موافقة

(*) لعلي افندي فهمي الكاتب المعروف

للنواميس الطبيعية واني أؤمل ان كل محب للحقيقة يسلم معي بهذا الاعتبار ويعترف بما للاسلام من المزايا النافعة والمبادئ الشريفة

طرق كثير من كتاب الغرب باب الكلام في الاسلام، ونبيه عليه الصلاة والسلام، ومن سوء حظي اني لم أتمكن من الوقوف على آراء السابقين وان فزت ببعض آراء اللاحقين مثل دانيل ولوثر وملانشون وهوبولت . ولكني أرى هؤلاء الناس يتطاولون على ماليس لهم به خبر شأن كثير من بني الانسان في كل زمان ومكان . ليست دهشتي من الذين يذمون الاسلام مثل هانوتو ولورد كرومر باكثر من دهشتي للوثيين لوثر وهو ذلك الحر الابي المفكر الذي كون المذهب البروتستاني بالرغم عن سلاسل واغلال الفاتيكان في العصور الوسطى . ولكن الاغراض السياسية تسربت الى نفوس هؤلاء الكتاب فاعمت بصيرتهم فلم يخطوا الا ماتوحيه اليهم اغراضهم . الا ان الحق لايعدم انصارا وانا لهذا كرون هنا في مقدمة هذه الرسالة بعض آراء المنصفين من كتاب الغرب في الاسلام والنبي صلى الله عليه وسلم ليرى كل منصف ان الاسلام لا يعدم من الاعداء ظهيرا وكفى بالله وليا ونصيرا .

كتب مستر جون ويغنبورت الرحالة الشهير في كتابه (تاريخ محمد) : « هل في الامكان انكار فضل رجل (يعني النبي صلعم) قام باصلاحات عظيمة خالدة لبلاده بان جعل جميع أهلها يعبدون الله الواحد القهار ويهجرون عبادة الاصنام ذلك الذي منع قتل الموؤدة وحرم شرب الخمر ولعب الميسر؟ » وكتب ادوارد جيبون : « ان دين محمد خال من الشكوك والظنون والقرآن أكبر دليل على وحدانية الله بعد ان نهى النبي عن عبادة الاصنام والكواكب

وهذا الدين أكبر وأجل من ان ندرك اسراره المويصة عقولنا الحالية »

وكتب مستر ديفونوبت في كتابه (اعتذار الى محمد والاسلام) : « انه لمن الحماقة ان نظن ان الاسلام قام بحد السيف وحده لان هذا الدين الذي يهدي للتي هي أقوم يحرم سفك الدماء ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. ويجب ان نعترف هنا بان علوم الطبيعة والفلك والفلسفة والرياضيات التي أنعشت أوربا منذ القرن العاشر مقتبسة ومقتطفة من القرآن (؟) بل ان أوربا مدينة للاسلام بأكثر من ذلك لانه الدين الذي أمر بالدستور والديموقراطية ونهى عن الاستبداد في قوله (تعالى) «وأمرهم شورى بينهم» «وشاورهم في الامر » . منح الاسلام الانسان جميع حقوقه المدنية ولتتذكر أوربا انها مدينة للمسلمين انفسهم بحفظ آداب الغرب القديمة حينما كانت هي في ظلام دامس فحفظوا آثار فلاسفة اليونان وانشأوا علوم الطب والهندسة وغيرها . وبعبارة أخرى ان المسلمين هم اساتذة أوربا أثناء همجيتها من القرن التاسع الى القرن الثالث عشر »

وكتب كاتب مقالة تحت عنوان (الشرق والغرب) جاء فيها : « لقد ساوى الاسلام بين جميع الناس في الحقوق السياسية ورفع عن كواهلهم الضرائب الفادحة في قديم الزمان وحفظ لهم جميع حقوقهم وذم استعباد الانسان الانسان » ومع ذلك فان ساسة أوربا وخصوصا الانجليز منهم لا يدخرون وسعا في التطاول على الاسلام ورميه بكل نقيصة وانه داعية التأخر بمناسبة وبغير مناسبة ، من ذلك انه عندما حصل اعتصاب طلبة الازهر قالت التيمس والجرائد التي على شاكلتها ان الازهريين ميالون للتأخر وهذه الافتراآت تنافي ميل علماء الاسلام وتعاليمه على خط مستقيم . قال أحد فضلاء الانجليز

في احدى الجرائد بهذه المناسبة: «اننا نعتقد انه اذا كان ثمة دين خال من مبادئ التقهقر فما هو الا الدين الاسلامي الحنيف» وهل يقدر انسان على نسيان ماقام به علماء الازهر وشيخ الاسلام نفسه في اثناء تلك الحركة الدستورية التي قامت سنة ١٨٨٢؟ من غير العلماء اصدر قرارا ضد توفيق باشا؟ ألم يكن شيخ الاسلام في الآستانة هو الذي قال للسلطان: ان الشورى ليست من روح الاسلام فقط بل انه يأمر بها أمرا؟ ومن قام في مجلس المبعوثان وخطب الخطب العصماء بوجوب مساواة جميع العناصر العثمانية بصرف النظر عن الملل والنحل في مصالح الوطن غير العلماء؟

ولقد قام العلماء بمثل هذا العمل في روسيا فانه لما كان الارمن والتتر يفتك بعضهم ببعض سنة ١٩٠٥ على مرأى من البوليس الروسي في باكو كان رجال الدين المسلمون أول من نهض لحسم النزاع بين الطوائف والعشائر. وها هم رجال الدين الاسلامي يبذلون جهدهم في سائر البلاد ويحثون التتر على تشييد المدارس لنشر العلوم الحديثة لترقية ابنائهم والقاء المحاضرات التي تعصمهم عن ارتكاب الآثام

ولكن الحكومة لسوء الحظ تحاول ايقافهم عن مساعيهم الحميدة خوفا من أن يستنير الاهالي فيسعوا الاستقلالها ويتوسعوا بطلب حقوقهم منها. ومن عجيب ما يلاحظ ان سكان تلك الجهة ومعظمهم من الفلاحين قد تأثروا بارشاد رجال الدين الاسلامي وسعيهم وراء العلوم والمعارف فدخل الكثيرون منهم في دين الله أفواجا واضطرت الحكومة ان ترسل الى تلك النواحي مرسلين خصوصيين لمقاومة تلك الحركة الضارة في نظرها. هذا هو الاسلام وهؤلاء هم رجاله ومع ذلك فان سواس الانجليز

لا يخجلون من أن يصموه ويصموا رجاله بالتأخر والتقهقر .

ولا شك في أن آراء أولئك المنصفين من رجال الغرب اكبر حجة عليهم اذ أقروا بأن هذا الدين القويم لا يترك صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فتم بذلك قوله تعالى « اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » .

ولا عجب أن يقر أولئك الناس بفضل النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أقروا بعجزهم عن معارضة فحوى آيات الذكر الحكيم القائل « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » « وانك لعلى خلق عظيم » « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » وهذه الآيات مصداق للحديث الشريف « أدبني ربي فأحسن تأديبي » أو كما قال

يدعون ان الاسلام خال من الوطنية فهل يحتج أولئك المفترون بما جاء في الذكر الحكيم : « رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام » ألا يخجلون من حكاية أبي رغال الذي دل صاحب الفيل على طريق وطنه وخان بلاده فأمر النبي صلى الله عليه وسلم برجم قبره كما فعل هو ذلك بيده الشريفة ؟ ألم يأتهم نبأ الحديث المتداول « حب الوطن من الايمان »

يدعون ان الاسلام دين تواكل وتقاعد لا عمل ولا نشاط فيه . وهذا قول مردود ودعوى كاذبة بنص الذكر الحكيم « وان ليس للانسان الا ما سعى » والحديث المتداول على الالسنة ايضا « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » والحديث الشريف « ليس بخيركم من أخذ من هذه وترك هذه انما خيركم من أخذ من هذه وهذه »

يدعون ان الاسلام لا يلائم بعض العلوم الحديثة مع انها في الحقيقة ونفس الامر فرية يدحضها ما حواه القرآن الشريف أصل هذا الدين الحنيف من الحث على العلم والسعي واكتشاف اسرار الطبيعية قال تعالى : « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » « قل انظروا في السموات والارض » « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » « أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض ومما خلق الله من شيء » « وفي أنفسكم أفلا تبصرون »

يزعمون ان الاسلام استعبد المرأة ويستدلون على ذلك بالحجاب أو النقاب ولا يفقهون ان ذلك يعزى الى العوائد التقليدية اكثر مما يعزى الى الاصول الدينية . ولقد ساوى الاسلام بين الرجل والمرأة فلم يجعلها متاعا له كما يزعمون نظرا لاباحة الطلاق وتعدد الزوجات ولا يدرون ان هذه التصرفات تكون لاسباب غير عادية وانه اذا افرط فيها المسلمون فذلك راجع لأخلاقهم الشخصية وليس افراطهم هذا من الدين في شيء . وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى « فاذا خفتم الا تعدلوا فواحدة الى قوله تعالى «ذلك أدنى الا تعولوا » ثم جاء بعد ذلك « ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » . وفي حديث شريف « ابغض الحلال الى الله الطلاق » . وفي قوله تعالى : « ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان ذلك لآيات لقوم يتفكرون » فمن ذلك يرى المنصف ان تعدد الزوجات والطلاق أمران يكادان يكونان محرمين في الاسلام .

لقد اباح الاسلام للمرأة حتى القضا فاذا نصاهيره من الاديان من هذه الجهة؟

ينكر هؤلاء القوم على المرأة مطالبتها بحقوقها بصفتها حقوقا لاهبة كما هو الحاصل الآن في أمريكا وأوربا ثم يظنون باستعباد المرأة في الاسلام، وهي تطالبهم ببعض مامنحه الاسلام لها فيسخرون منها! جاء في الذكر الحكيم: « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » وهي ميزة لا تكاد تذكر والسبب فيها أن الرجل بناء على النظامات الكونية هو الذي يسعى ويكد وهي اكثر منه راحة في خدرها بوجه العموم وهي معرضة للتأثيرات القلبية والنفسانية التي قد تتغلب على العقل، فكان الرجل في هذا المعنى كشكيمة لتطرف النفس والعقل.

يدعون ان الاسلام دين حرب وعداء لاسلام وصفاء، ويقيمون على ذلك دليلا معكوسا من الفتوحات التي تمت في صدر الاسلام ولو أبصر هؤلاء المدعون لعلموا ان تلك الفتوحات لو تمت على أيدي غير المسلمين لاذيقت تلك الامم التي غلبت على أمرها أنواع الذل والمسكنة بناء على قواعد الاستعمار الاوربية التي لا يسع المقام شرحها. جاء في القرآن: « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به، ان الله كان سميعا بصيرا » هذا ما كان يعمل به الفاتحون من أمراء الاسلام أفلا تخجل أوربا اذا قارنت به عملها اليوم في الشعوب التي أخنى عليها الدهر فوقعت تحت سلطانها؟ جاء في القرآن الكريم « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » . « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام

لها » ولم يكن القتال في الاسلام الا لتأييد الدعوة وللدفاع عنها قال تعالى « وقاتلوا في سبيل الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا » هذه بعض آيات من الذكر الحكيم فأين أمرها مما قاله المستر موط المرسل الامريكي في خطاب القاه على جمهور من المرسلين في الشرق الادنى : « بواسطة مئة رجل نظيركم يحتملون الصعاب وعشرين الف جنيه يقدر الله ان يلاشي الاسلام وينتاش بلاد العرب من قبضة الشيطان !!! » ؟

ان نصارى الشرق لم يأمنوا الاكراه على ترك دينهم بفضل شجاعة افرادهم ولا بمحاسن كنيستهم ولكن الذي وقاهم ذلك انما هو ما أوردناه من الآيات القرآنية فانها ضمنت لهم سلامة استقلالهم الديني وصانت عقيدتهم من كل اعتداء ولو كان المسلمون الآن كما كانوا في صدر الاسلام لما أمكن أولئك المرسلين ان يأتوا بعشار ما يفعلونه في الشرق الآن بل لانتشر الاسلام في سائر أنحاء العالم لانه دين مساوق للطبيعة ملائم للنوع الانساني في جميع اطواره يقبله كل عقل فطري لم تدنسه التقاليد ،

بل لو كان المسلمون الآن كما كانوا عليه في صدر الاسلام لما قدرت أوربا بأن تستعمر شبرا واحدا من بلادهم أو بلاد الشرق أو تستعبد قبيلة واحدة فيها. قال الاستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده « ان الازهر كالاسد محبوس في قفص والحكومة المصرية كالحارس على بابه فاذا فتح ذلك الباب كان أول فريسة لذلك الاسد ذلك الحارس » [1] ونحن نزيد على ذلك انه لو فتح ذلك الباب وتنسم ذلك الاسد نسيم الحرية لاعاد الشرق الى الشرق والغرب الى الغرب

(لها بقية)

---

(١) المنار : تفتقر هذه العبارة الى اثبات ورودها عن الاستاذ الامام

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

﴿ الاربعاء ٣٠ شوال ١٣٢٨ — ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٢٨٦ ه ١٩١٠ م ﴾

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

« أسئلة من باريس »

ارسلها منها محمد مختار افندي الى اخيه محمد سليم افندي المسلمي أحد قراء المنار بمصر

(س ٣٧ — ٤٨)

(س ١) ما هو الرق (٢) كلمة عمومية على الحقوق التي يفضل الحر فيها العبد (مقارنه) وتكفي الاشارة للفروق ولو البعض

(٣) كيف ان الشريعة الاسلامية اباحت الرق مع انها شريعة العدل والمساواة

(٤ — ٦) كيف يحل استمتاع السيد بمملوكته — وكيف يتزوج المسلم أربع حرائر ويتمتع بالاماء بلا حصر (لان ذلك توحشا)

(٧) ما سبب زيادة أزواج النبي (ص) على أربع اللاتي أباحتهم (كذا) الشريعة

(٨) لم لا يحكم القاضي بمذهب المتخاصمين (بمصر) ولو فعل ماذا يكون الحكم

(٩) كيف كان الزواج في الجاهلية عند العرب وهل تعدد الزوجات كان الغالب أم الغالب (واحدة)

(١٠ و ١١) ما هي الكفاءة المشروطة للزوجة في الجاهلية - وما هي حقوق المرأة في الجاهلية

سيدي الاستاذ الجليل السيد رشيد رضا

ارجو ان تقتطع من وقتك الثمين برهة ترد فيها على هاته الاسئلة بطريق الاختصار أو مشيرا الى الكتب التي ينبغي الاطلاع عليها للاستعانة بها على درء هاته الشبه درءا فلسفيا لان أوروبا هي التي تطلب ذلك وليس لها غيركم والرديكون بالعنوان الموضح ادناه وفي الختام تفضلوا بقبول احترام وتسليمات المخلص

محمد سليم المسلمي

« أجوبة المنار »

١ — ما هو الرق

الرق والاسترقاق هو ملك الانسان ويسمى المملوك رقيقا وكان ذلك مشروعا عند الامم قبل الاسلام فأقر الاسلام الناس عليه مع الاصلاح الذي يذكر في جواب السؤال الثالث

٢ — ما يفضل الحر به العبد

يفضل الحر العبد في الولاية والقضاء فالرقيق لا يكون إماما ولا سلطانا للمسلمين ولا قاضيا عليهم والعلة ظاهرة ، ويفضله بأنه يملك ويتصرف بملكه ، والعبد لا يملك ولذلك لا يرث أهله . وخففت الشريعة عن العبيد بعض الاحكام فلا تجب عليهم صلاة الجمعة وعليهم نصف ما على الاحرار من عقوبات الحدود فالحر يجلد على قذف المحصنات ثمانين جلدة والعبد يجلد أربعين ، ويجلد الحر على الزنا مئة جلدة والعبد خمسين جلدة . وهنالك أحكام أخرى في عدد الازواج وعدد الطلاق والقود من السيد وغيره من الاحرار وليست كلها متفقا عليها في حديث سمرة عند احمد وأصحاب السنن الأربعة ان النبي (ص) قال « من قتل عبده قتلناه ومن جدع عبده جدعناه » حسنه الترمذي وفي رواية لأبي داود والنسائي « ومن خصى عبده خصيناه »

٣ — اباحة الرق

انما اقرت الشريعة الاسلامية الناس من المشركين وأهل الكتاب على الرق لانه كان من الامور الاجتماعية الراسخة التي لا يمكن تركها بمجرد تحريمها ولا يكون تركها فجأة خيرا للسادة ولا للارقاء أيضا لان الاولين قد ناطوا بالآخرين كثيرا من أعمالهم الزراعية والتجارية والصناعية والمنزلية حتى صاروا عاجزين عن القيام بها بانفسهم وجرى العمل على ذلك قرونا كثيرة حتى ضعف استعداد السادة لهذه الاعمال وصار من المحقق ان العتق العام دفعة واحدة يفضي الى فساد اجتماعي كبير . واما كونه لاخير فيه للعبيد انفسهم اذا هو حصل دفعة واحدة بتكليف شرعي فهو ان هؤلاء صاروا بطبيعة الاجتماع عالة على سادتهم حتى انهم اذا تركوهم لايعرفون كيف يعيشون ، ولا كيف يعملون ؛ فكان من حكمة هذه الشريعة الفطرية الاجتماعية ان تقر الناس على ماجروا عليه في أصل الرق وتضع لهم أحكاما تكون تمهيدا لالغاء الرق بالتدريج فأمرت السادة ان يساووا العبيد في الطعام واللباس وان لايكلفوهم مالايطيقون وان يعينوهم على أعمالهم ويساعدوهم فيها ، وأوجبت عليهم العتق بأسباب متعددة فجعلته كفارة لبعض الخطايا كالظهار وملامسة النساء في نهار رمضان للصائمين والحنث باليمين ، وجعلت للعتق أسبابا كثيرة منها انه اذا مثل بعبده عتق عليه وصار حرا وورد هذا في الاحاديث المرفوعة وكذلك التعذيب الخفي كالذي اقعد أمته في مقلى حار فأحرق عجزها فاعتقها عمر بذلك وعاقبه بل قال صلى الله عليه وسلم « من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته ان يعتقه » رواه مسلم في صحيحه وأبو داود في سننه من حديث ابن عمر . وعن سويد بن مقرن قال كنا بني مقرن على عهد رسول الله (ص) ليس لنا الا خادمة واحدة فلطمها أحدنا فبلغ ذلك النبي (ص) فقال « أعتقوها » رواه مسلم وأبو داود والترمذي وفي رواية انه قيل للنبي (ص) انه لاخادم لبني مقرن غيرها ؛ قال « فليستخدموها فاذا استغنوا عنها فليخلوا سبيلها » وروى مسلم وغيره عن ابي مسعود البدري من حديث قال فيه كنت اضرب غلاما بالسوط فسمعت صوتا من خلفي - الى ان قال - فاذا رسول الله (ص) يقول « ان الله أقدر عليك منك على هذا الغلام » وفيه قلت يارسول الله

هو حر لوجه الله فقال « لو لم تفعل لفحتك النار ـ أو لمستك النار » ولو اتبع المسلمون هذا الارشاد وحده أو لو كان حكامهم بعد الخلفاء الراشدين نفذوا أحكام الشريعة كما كان ينفذها الراشدون لبطل الرق من القرن الاول في بلاد الاسلام على ان الفقهاء الذين اختلفوا فيما تدل عليه هذه الاحاديث من وجوب عتق العبد الذي يضرب ويهان قد صرحوا بأن العتق ينفذ ولو كان المعتق هازلا أو سكران وان حكم القاضي به ينفذ مطلقا ولو كان ظالما في حكمه ، وان الاقرار بالرق لا يمنع دعوى الحرية بعده وان الرقيق اذا ادعى انه حر يصدق ويحكم بحريته الا اذا اثبت سيده ملكه له وان من اعتق جزءا من عبد عتق كله . ثم ان الشريعة قد جعلت جزءا من مال الزكاة المفروضة لأجل فك الرقاب من الرق . ومع هذا كله رغبت المسلمين في العتق ترغيبا عظيما والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جدا . فهذه عدة طرق عملية لابطال الرق بالتدريج بحيث لا يشق ذلك على المالكين ولا يبطل مصالحهم ومنافعهم ولا يجعل أمر المعتوقين فوضى ويوقعهم في مهمه الحيرة في أمر معاشهم ، ومن قرأ أخبار تحرير العبيد في أمريكة ظهرت له حكمة الاسلام فيما شرعه للناس في هذه المسألة ولكن المسلمين لم يقيموا دينهم كما أمروا ولا سيما في المسائل التي هي من شأن الحكام . ولذلك قال بعض حكماء الافرنج ان لمعاوية الفضل الاكبر على أوربا اذ هو الذي حفظ لها استقلالها بجعل الحكومة الاسلامية حكومة شخصية موروثة ولو سار هو ومن بعده سيرة الراشدين لملك المسلمون أوربا كلها وسائر العالم القديم

وقد سبق لنا بحث في هذه المسألة من قبل فلا نطيل فيها الآن

٤ ـ ٦ — التسري وتعدد الزوجات وعدم حصر السراري

بينا غير مرة ان إباحة التسري قد كان رحمة من الله بالاماء المملوكات فقد كانوا في الجاهلية يرون ان الاماء يباح لهن الزنا ولا يباح للحرائر وكانوا يتخذونهن للبغاء لأجل الكسب بأعراضهن فحرم الاسلام الزنا تحريما باتا وأباح للناس أن يستمتعوا بما ملكت أيمانهم ليصونوا عرضهن وليكون ذلك وسيلة لتحريرهن فان الامة اذا صارت أم ولد بطل رقها وصارت حرة كالزوجة فما أعدل هذا الحكم وما أحكمه . ولو لم يبح التسري بالمملوكة في أمة حربية كالامة الاسلامية يكثر فيها النساء

ويقل الرجال لثقل على النساء المملوكات الرق بمنعه إياهن من أعظم وظائف الفطرة ولاغراهن ذلك بالفسق الذي لا يبيحه الاسلام بحال من الاحوال

وأما حكمة تعدد الزوجات وما يشترط فيها فقد بيناها بيانا كافيا في نحو من ٣٠ صفحة من تفسير الجزء الرابع فتراجع فيه من ص ٣٤٤ – ٣٧٤ أو في المنار

وأما كون التمتع بالاماء لا يشترط فيه العدد فقد علله بكون الأمة ليس لها حقوق على السيد كالقسم والمساواة فلا يضر الاستكثار منهن لذلك . والأصل الصحيح فيه ان الحروب يقل أو يفنى فيها الرجال ويبقى النساء لا كافل لهن فيكون من المصلحة العامة وكذا من مصلحتهن الخاصة في بعض الأحوال ولا سيما في القرون الأولى للاسلام أن يوزعن على الرجال الغالبين لكفالتهن وكفايتهن أمر معيشتهن والخير لهن حينئذ ان تكون معاملتهن كمعاملة الأزواج لما تقدم آنفا ولا ضرر في الصحة ولا في الهيئة الاجتماعية أن يكون للرجل الواحد نسل من نساء كثيرات يعوض على الامة ما خسرته في الحرب وانما الضرر ما عليه أوربا الآن من إباحة الزنا واختلاف الرجال الكثيرين على المرأة الواحدة فان ذلك يقلل النسل كما هي الحال في فرنسة ويحدث أمراضا كثيرة ولولا ارتقاء فن الطب في أوربة لأفنتها الأمراض الزهرية وغيرها ، ولم يكن في التسري وتعدد الزوجات مفاسد منزلية كثيرة في أول الاسلام لما كانوا عليه من العدل ومكارم الاخلاق وسلامة الفطرة وقلة الحاجات واما مسلمو هذا الزمان فان لتعدد الزوجات فيهم مفاسد كثيرة كما بينا ذلك في تفسير آية التعدد . وجملة القول أن منع الزنا ووجوب كفالة النساء وإحصانهن والحاجة الى كثرة النسل ، والتوسل الى عتق المملوكات بصيرورتهن أمهات أولاد هو الذي كان سبب إباحة الاستمتاع بهن وعدم التقيد بعدد فيهن ولا سيما في حال كثرتهن . وذهب الاستاذ الامام الى انه لا يجوز للرجل أن يستمتع بأكثر من أربع منهن قياسا على زواج الحرائر بل قال أن آية إباحة تعدد الزوجات بشرطه تدل على ذلك . والاسترقاق غير واجب في الاسلام وانما ابيح للضرورة ولأولي الامر من المسلمين منعه اذا رأوا المصلحة في ذلك

٧ – حكمة تعدد ازواج النبي (ص)

ان النبي صلى الله عليه لم يتزوج في سن الشباب والفراغ الا بخديجة وكانت رضي الله عنها ثيبا ، و بعد الكهولة والقيام بأعباء النبوة ومكافحة المشركين وغيرهم من أعداء النبوة تزوج عدة زوجات ثيبات ومنهن أمهات الاولاد وكبيرات السن ولم يتزوج فتاة بكرا الا عائشة بنت الصديق (رض) وأسباب ذلك بعضه سياسي كتوثيق الروابط بينه و بين القبائل كتزوجه بجورية وهي برة بنت الحارث سيد بني المصطلق فقد كان المسلمون اسروا من قومها مئتي بيت بالنساء والذراري فأراد (ص) ان يعتقوهم وكره ان يكرههم على ذلك اكراها فتزوج سيدتهم فقال المسلمون أصهار رسول الله (ص) لا ينبغي اسرهم فأعتقوهم ، ومنها ما كان لاجل كفالة بعض المؤمنات السابقات الى الايمان المهاجرات بعد قتل أزواجهن أو وفاتهم كتزوجه أم سلمة (هند) على كبر سنها وما عندها من الاولاد ، ومنها ما كان لاجل الاصلاح وحمل الناس على الشريعة بالقدوة كزواجه بزينب بنت جحش لإبطال التبني وأحكامه الضارة الفاسدة . ومنها مكافأة صاحبيه ووزيريه ابي بكر وعمر وتشريفهما بمصاهرته إياهما . وهنالك مصلحة عامة وهو ان يوجد في بيت النبوة عدة من النسوة يتعلمن الاحكام الشرعية الخاصة بالنساء و يعلمنها المسلمات ، وقد كان (ص) لشدة حيائه يستحي ان يخاطب النساء بكل الاحكام المتعلقة بهن اذا لم يسألن عنها فكان أزواجه الطاهرات خير واسطة لذلك وهذه حكمة ما كانت تحصل لو اكتفى بزوج واحدة لا يدري أتعيش بعده فتبثها كثيرا أم لا . وان شئت مزيد بيان وتفصيل فارجع الى ما كتبناه في ذلك في المجلد الخامس من مجلة المنار وجزء التفسير الرابع ، لا تنس مراجعة ما كتبه الاستاذ الامام وما كتبناه في مسألة زيد وزينب فان شبهة الاوربيين فيها اكبر وهي منشورة في المجلد الرابع من مجلة المنار وفي ملحق تفسير الفاتحة

٨ – حكم القاضي بمذهب الخصم

السؤال في هذه المسألة مبهم والظاهر ان السائل يريد القاضي الشرعي الذي يحكم في المسائل الشخصية على الحنفي والشافعي والمالكي وغيرهم ولا يعقل ان يشترط

في القاضي معرفة مذاهب الناس والحكم لكل خصم أو عليه بمذهبه لأن ذلك على نصره أو تعذره مفسدة ويتعارض في الخصمين المختلفي المذهب على ان المذاهب الفقهية متفقة على ان حكم الحاكم يرفع الخلاف ويجب الاذعان له

٩ — الزواج في الجاهلية

كان الزواج عندهم أربعة أنواع كما روي عن عائشة في صحيح البخاري (الأول الاستبضاع) وهو ان الرجل كان يرسل امرأته الى الآخر ولا يقربها حتى يظهر حملها من الآخر يفعلون هذا ابتغاء نجابة الولد (الثاني) ان ما دون عشرة رجال كانوا يصيبون المرأة فاذا حملت ووضعت اجتمعوا عندها حسب طلبها وقالت لمن أحبت ان هذا ابنك يا فلان فلا يستطيع أن يمتنع الرجل (الثالث) ان من الزواني (وهن البغايا من الاماء) من اذا حملت ووضعت اجتمع الناس ودعوا القافة فألحقوا ولدها بالذي يرون فينسب اليه الولد لا يمتنع الرجل منه (الرابع) النكاح الذي بين المسلمين اليوم . فلما بعث النبي (ص) هدم نكاح الجاهلية كله الا نكاح المسلمين اليوم . ومنها نكاح البدل وهو ان يستبدل كل امرأته بامرأة الآخر ، ونكاح الشغار وهو ان يزوج احدهم من له الولاية عليها لآخر على أن يزوجه الآخر من له الولاية عليها وتكون كل منهما مهرا للأخرى لا تأخذ شيئا . ولهم في الزواج مفاسد أخرى بينا بعضها في تفسير الآيات التي تشير اليها . ومنها انهم يرثون المرأة كما يرثون الرقيق والحيوان

واما تعدد الزوجات فكان فاشيا فيهم غير مقيد بعدد وقد أسلم بعضهم وعنده خمس أو ثمان أو عشر نسوة كما بينا ذلك في تفسير آية التعدد

١٠ و ١١ — الكفاءة وحقوق المرأة في الجاهلية

كانت الكفاءة عندهم تعتبر بالجنس والنسب والحسب أي الشرف فكانوا لا يرون العجم اكفاء لهم ولا الموالي من العرب وهم لا يزالون على ذلك في عقر جزيرتهم لا يزوجون عجميا عربية صريحة النسب فاذا ارتضوه زوجوه من الموالي . وكان الشرفاء يترفعون أن يزوجوا بناتهم للأخساء

وأما حقوق النساء في الجاهلية فلم تكن شيئا مذكورا وكانوا يستحلون أكل أموالهن ويعضلونهن أي يمنعونهن الزواج لذلك حتى جاء الاسلام فجعل النساء مساويات للرجال في كل شيء الا الولاية العامة والخاصة وذلك قوله تعالى (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة)

رحلة القسطنطينية

﴿ أو اقامة عام ، في عاصمة الاسلام ﴾

علم قراء المنار كافة سبب رحلتنا في أواخر رمضان من العام الماضي الى هذه العاصمة وشيئا من خبر عملنا وسعينا فيها ، اما وقد عدنا منها الى مصر ، في أوائل هذا الشهر ، فاننا نذكر لهم ملخص ما بلغ اليه السعي ،

مسألة العرب والترك

اشرنا في أول مقالة كتبناها عن الانقلاب العثماني عند حدوثه الى العقبات التي يخشى أن تعوق سير الدستور ومنها تعصب العناصر العثمانية لجنسياتها وقد وقع ما توقعنا فقد قام كل عنصر يسعى لتقوية عنصره . فأما اليونان والبلغار والارمن فلا تسأل عما قالوا أو فعلوا ، ولا تعجب عما اقترحوا وطلبوا ، على أن الارمن أعطوا حتى رضوا ، ولا سبيل الى مرضاة قوم لهم دولة تنازع الدولة العلية في أملاكها ، وتطمع حتى في عاصمة ملكها ، واما الارنؤد والكرد والجركس فقد قاموا يسعون لتدوين لغاتهم ، وترقية أجناسهم ، ولكل منهم في العاصمة أندية وجمعيات ، وأما العرب فأسسوا عقب الانقلاب جمعية سموها جمعية الاخاء العربي فكنت أنا وكل من اعرف من العرب العثمانيين في مصر وسورية كارهين لتأسيسها ولما زرت سورية كنت أنفر الناس منها . ثم ألفيت لأن الرأي العام العربي لم يأخذ بيدها لأنه لم يكن يحب ان يعمل عملا ما في الدولة باسم العرب ، ذلك بأن رأينا أن بقاء الدولة يتوقف على اتحاد

الترك بالعرب فيها ولكن قام بعض أصحاب الجرائد التركية في الآستانة بالدعوة الى الجنسية التركية وحفظ السيادة للعنصر التركي والتنفير من العرب ودعوة الترك الى الاستغناء عن اللغة العربية حتى عن القرآن العربي بترجمته الى اللغة التركية وبتطهير التركية من الالفاظ العربية ، فتألم العرب من هذه الأقوال وزادهم تألما أفعال أخطأت فيها الحكومة بيناها في مقالات (العرب والترك) التي نشرناها في جرائد الاستانة التركية والعربية فلا نحب إعادتها

رأينا الحديث قد كثر في هذه المسألة وتناولتها أقلام الكتاب والشعراء فخفنا ان تتم وتصير مقررة عند العامة فيصعب نزع سوء التفاهم ويتعسر ما نحب من الاتحاد والاعتصام فكان أول سعينا في الآستانة موجها الى إزالة سوء التفاهم بين العنصرين فكتبنا تلك المقالات الست واخترنا لنشر ترجمتها بالتركية جريدة إقدام لأنها كانت من الجرائد التي آذت العرب بعصبيتها الجنسية عسى أن يزول ذلك بما تنشر فيها ، ثم كان أول من كلمناه في ذلك هو الصدر الأعظم فاعترف لنا بأن الحكومة والجمعية اخطأتا في بعض تلك الامور قال ولكن ليس هنالك سوء نية وانه سيتدارك ذلك بالفعل . وكلمت في ذلك أيضا محمود شوكت باشا وناظر الداخلية وغيرهما من الكبراء ، وقد اتهمني بعض النابتة العربية في أول الأمر بمصانعة الترك أو الحكومة ثم بلوني وخبروني وعلموا اني مخلص فيما أوافقهم وفيما أخالفهم فيه وبذلك تيسر لي أن اقنعهم بما اقتنعت به بعد طول اختبار الآستانة ورجالها وهو ان العرب والترك عنصران يكونان حقيقة واحدة كالعنصرين المكونين لحقيقة الماء أو الهواء وان الاسلام قد ألف بينهما هذا التأليف وزادته قوة مصلحة بقاء هذه الدولة بهما والخطر عليها من تفرقهما ، وان الذين تحاملوا على العرب واللغة العربية من المتفرنجين مختلفو الأصول فمنهم من أصله تركي ومنهم من أصله عربي ولعلنا لو بحثنا عن انسابهم لوجدنا أكثر آبائهم من الروم والارمن واليهود والنور وانه لا يجوز لأحد من العرب أن يجعل ذنبهم ذنبا للعنصر التركي ولا أن يجعل سعي الترك لترقية شعبهم منافيا لأخوة العرب ما دام خاليا من العصبية الجنسية كما لا يجوز لطلاب ترقية العرب ان يقصدوا بذلك الا التمهيد للاتحاد بالترك والقيام معهم بتأييد الدولة

واعزازها هذا هو رأيي الذي وافقني عليه العقلاء من الترك والعرب في العاصمة وان كان يوجد فيها من المتعصبين المبغضين للعرب الذين يستترون ببغضهم بأماديح النفاق من يحرف كلامنا في التوفيق والتأليف عن مواضعه لينفروا اخواننا الترك منا والله من ورائهم محيط . وقد تداركت الحكومة بعض خطأها بإلغاء ما كانت امرت به من وجوب جعل المرافعات في محاكم البلاد العربية باللغة التركية وعدم قبول مايقدم الى الحكومة من شكوى وغيرها باللغة العربية ، كانت شرعت في هذا وذاك ثم علمت بتعذره وبسوء أثره فنعته ، ثم انها عينت في مدارسها الاعدادية عشر معلمين للغة العربية وذلك فاتحة خير ان شاء الله تعالى

مشروع العلم والارشاد

هذا هو المشروع الاعظم الذي هو المقصد الاول لي من الرحلة بل من الحياة كلها وهو اذا نفذ يقوي الرابطة والاخوة بين العرب والترك وبين غيرهم من المسلمين كالارنؤد والكرد بل يؤلف بين المسلمين وغيرهم من الملل كما يقتضي الاسلام ـ لان كل ما اتصوره وادركه من إصلاح حال المسلمين محصور فيه ولذلك كان جل السعي أوكله في هذه السنة لهذا المشروع وبعد العناء الطويل والمراجعات الكثيرة واللجان المتعددة التي عقدت المناقشات فيه وفقنا لتأسيس جمعية العلم والارشاد كما عرف القراء وقد وافقت الحكومة على تأسيسها رسميا وعرف القراء مما نشر في الجزء السادس أن من أعضائها المؤسسين موسى كاظم افندي الذي صار بعد التأسيس شيخ الاسلام المملكة ورئيس الشرف للجمعية ومنهم مستشار المشيخة ، والرئيس الثاني لمجلس المبعوثين ، ورئيس كتاب مجلس الشورى وغيرهم من خيار رجال العاصمة فليراجع من شاء اسماء وقانون الجمعية في ذلك الجزء من منار هذه السنة

بعد التصديق الرسمي على نظام الجمعية توسلنا بمولانا شيخ الاسلام الى الحكومة لتقرر لنا ما وعدتنا به من المساعدة المالية لتأسيس مدرسة « دار العلم والارشاد » فكتب أحسن الله جزاءه مذكرة للصدر الاعظم بعد مذاكرته في ذلك والاتفاق معه طلب فيها ان تعطى جمعية العلم والارشاد ثلاثة آلاف ليرة لاجل تأسيس المدرسة المذكورة في نظامها الاساسي وان يقرر مجلس الوكلاء جعل نفقات هذه المدرسة بالغة ما بلغت في ميزانية نظارة الاوقاف من ابتداء السنة المالية القابلة . فوضعت مذكرة الشيخ

موضع المذاكرة في مجلس الوكلاء الخاص فقرر المجلس قبول المذكرة والموافقة على المبلغ المطلوب واستحسان نظام الجمعية الا انه ذكر في صورة القرار الذي بلغ من مقام الصدارة الى المشيخة ونظارتي الاوقاف والمعارف ان المجلس استحسن ان يعبر عنها « بانجمن علم وارشاد » بدل (جمعية العلم والارشاد) وأن تكون المدرسة تحت ادارة ومسؤلية شيخ الاسلام

بلغنا شيخ الاسلام قرار مجلس الوكلاء فاجتمع مجلس ادارة الجمعية يوم الجمعة (١٩ رمضان - ٢٣ سبتمبر) للمذاكرة فيه فقرر الاعتراض على جعل المدرسة تحت مسئولية شيخ الاسلام لأنها تكون بذلك رسمية وقد بلغ الكاتب العام للجمعية شيخ الاسلام ذلك كتابة وتكلم معه في وجوب جعل المدرسة خاصة بالجمعية خالية من الصفة الرسمية فوافق الشيخ على ذلك ووعد وعدا مؤكدا بالكتابة الى الباب العالي بوجوب تعديل قرار مجلس الوكلاء وجعل المدرسة مما يطلقون عليه اسم « المكاتب الخصوصية » وكذلك قال ناظر المعارف ووعد بعض اعضاء الجمعية بالكتابة الى الباب الى العالي بذلك وصرح بأن جعل المكتب ذا علاقة بالحكومة ضار وانه خلاف ما كان اتفق عليه ، ولماذا يكون ضارا ؟

صرحنا في المادة الثالثة من نظام الجمعية الاساسي بأن هذه الجمعية لا تشتغل بسياسة الدولة العلية الداخلية ولا الخارجية ولا سياسة غيرها من الدول ولكنها تراعي القانون الاساسي وتؤيده ، ونص المادة الثانية المبينة مقصدها هو

« المادة الثانية - مقصد هذه الجمعية الجمع بين التربية الاسلامية وتعلم العلوم الدينية والدنيوية والتصنيف فيها وتتوسل الى ذلك بانشاء مدرسة كلية في دار السعادة باسم « دار العلم والارشاد » لتخريج العلماء والمرشدين »

فالمراد من الجمعية ومدرستها الكلية هو الاصلاح الديني الاجتماعي اي إنارة عقول المسلمين بالعلوم النافعة وتربية نفوسهم تربية صالحة ليعلموا كيف يعمروا دنياهم مع حفظ دينهم ذي الاداب العالية أن ينال منه الخراب ، ويدخل في ذلك اقتباسهم لما لا بد لهم منه من المدنية العصرية وفنونها وأعمالها . فاذا دخلت السياسة في مثل هذا العمل أفسدته . ولا شك أن الدول الاوربية تعد جعله تحت ادارة شيخ

الاسلام عين السياسة وتتهم الدولة بأنها تريد به تهييج التعصب الاسلامي لان شيخ الاسلام هو العضو الأول في مجلس وزراء الدولة وإذا قاومت أوربا هذا المشروع لا يثمر الثمرة المطلوبة ولا تتقي مقاومة أوربا الا بجعله في معزل على السياسة والحكومة ظاهرا و باطنا لأن الذين اكتشفوا الاشعة التي تخترق الكثائف حتى يرى ما وراءها ووضعوا المناظير المكبرة التي يرى بها ما لم تكن ترى مثله زرقاء اليمامة لا يسهل على أمثالنا في ضعفنا وجهلنا ان نخدعهم ، واذا كان هذا العمل في أيدي جمعية مخلصة ليس لها صفة رسمية لا يمكنهم أن يعترضوا عليها اعتراضا رسمياً، واذا اتهموها بالسياسة باطلا سهل عليها مع الصدق والاخلاص اقناعهم ببراءتها كما وقع للجمعية الخيرية الاسلامية بمصر، اتهمت بالسياسة ومساعدة مهدي السودان على الحرب ولكن لم تلبث أن ظهرت براءتها باخلاص رجالها

هذا هو رأيي ورأي محمود شوكت باشا ذكره لي قبل ان أذكره له و وافق عليه شيخ الاسلام وناظر المعارف وهو رأي أعضاء الجمعية المؤسسين أيضا ولاجل هذا يسعون في تعديل قرار مجلس الوكلاء . ولولا هذا لوافقت ناظر الداخلية أولا وشيخ الاسلام أخيرًا على جعل نفقات المدرسة من المالية دون الاوقاف ولكنني ما زلت اراجع في ذلك من أول السعي الى آخره اذ قال لي شيخ الاسلام في يوم الاثنين ١٦ أو ١٧ شعبان (٢٢ اغسطس غ) ان الوكلاء الفخام يرون من المناسب ان تكون نفقات المكتب السنوية في ميزانية العلمية (التابعة للمشيخة الاسلامية) وأنا أرى ذلك لان هذه خدمة دينية من جنس خدمة المشيخة فيحسن ان تكون نفقتها تابعة لها فأقول انت يا عزيزي (قلت) ما ترونه حسنا فهو حسن ولكني لا أزال أرى ان تجعل نفقات مكتبنا في ميزانية الاوقاف حتى لا يكون للمشيخة وجه للتداخل في امره إذ الاولى أن يكون مستقلا تمام الاستقلال دونها الخ ماقلته ووافقني عليه بل قلت لغيره من العظماء لولا انني خشيت ان تسيء الدولة الظن بالمشروع لاقترحت ان يكون في الحجاز أو في مصر وأقول الآن اذا لم يعدل مجلس الوكلاء القرار كما وعد شيخ الاسلام وناظر المعارف فالمسلمون لا يستغنون عن جمعية اخرى كهذه الجمعية يكون مركزها مصر لان جمعية الاستانة لا تأتي بالفائدة المطلوبة اذا كانت رسمية أو شبه رسمية

* * *

الجمعية العلمية

﴿ في الآستانة ﴾

كان تأليف الجمعيات ممنوعا من البلاد العثمانية في العصر الحميدي المظلم بل كان لفظها ممنوعا أيضا حتى كاد يمنع الاجتماع للعبادة بغير مراقبة كما منع لغيرها ألبتة، وقد بينا ذلك في المجلد الثاني عشر . ولهذا اندفع العثمانيون بعد الانقلاب الى تأليف الجمعيات كما هو شأن الناس في الممنوع اذا أبيح بعد التشديد في منعه فألفوا جمعيات كثيرة بأسماء مختلفة لمقاصد مختلفة ، ولبعض تلك المقاصد أصل ثابت ، وبعضها نشأ عن وهم عارض ، ولما زرت سورية بعد الانقلاب رأيت في كل من بيروت وطرابلس ودمشق جمعية تسمى « الجمعية العلمية » ألفها افراد من صنف العلماء المسلمين ولم يكن بينها صلة وربما كان بعضها تقليدا وقد سمعت يومئذ عن جمعية دمشق ان الغرض منها حفظ جاه مؤسسيها ومقاومة رجال الدستور ولذلك لم يدخلوا فيها خيار العلماء الاحرار العاملين ، ومهما قيل فيها وفي غيرها وسواء صح أولم يصح فلا يمكن أن يدعي أحد انها عملت شيئا لخدمة العلم أو الدين

ولما زرت الآستانة في العام الماضي سمعت أخبارا متعارضة عن الجمعية العلمية التي أسست فيها وكنت قد سمعت قبل ذلك انها جمعية جمود تعارض كل إصلاح ديني أو غير ديني اذا لم يقم عندها دليل من فقه الحنفية عليه ، وان مجلتها (بيان الحق) أنشئت لهذا الغرض فهي ترد على المجلة التركية الاصلاحية (اصراط مستقيم) التي يكتب فيها محبو الاصلاح كموسى كاظم افندي (شيخ الاسلام الآن) واسماعيل حقي افندي المناستيرلي واضرابهما من شيوخ الآستانة وشبانها المحبين للاصلاح ، وبلغني أيضا أنها ردت على المنار في مسألة الاستقلال والتقليد . بل كان شاع ان علماء الآستانة هم الذين أوقدوا نار فتنة ٣١ مارت (أو ١٣ ابريل) المشهورة وأن الحكومة الدستورية قتلت كثيرين منهم

لهذه الاخبار والاشاعات كانت صورة الجمعية العلمية في ذهني غير جميلة عند ما جئت الآستانة واتفق ان سمعت من بعض اكابر رجال السياسة هناك شكوى من جمود العلماء وتعصبهم حتى قال لي من لا اسمي منهم ان مشروعك الذي جئت لتأسيسه هنا لا يخشى عليه الا من العلماء فانهم هم العقبة في طريق الاصلاح ولهم نفوذ عظيم لاتباع العامة لهم . ثم انني علمت بعد طول الاختبار ان كثيرا مما كنت أسمعه عنهم باطل و بعضه مبالغ فيه وانهم لم يكن لهم يد ولا أصبع في الفتنة بل كان لهم الأثر الصالح في إطفاء نارها وحمل الناس من العسكر وغيرهم على طاعة الحكومة الدستورية ولكن بعض رجال الفتنة قد لبسوا لها لباس العلماء حتى قيل انهم اشتروا نسيج العمائم الأبيض من خارج الآستانة

لما عرضت مشروعي على الصدر الأعظم أول مرة عقد له بالاتفاق مع عميد جمعية الاتحاد والترقي لجنة علمية مؤلفة من أمين الفتوى أسعد افندي ومستشار المشيخة مصطفى افندي أوده مشلي واسماعيل حقي أفندي المناسترلي وموسى كاظم افندي من الاعيان وكلهم من كبار شيوخ العاصمة فلما اتفقوا على استحسان المشروع كما ذكرت ذلك في وقته في رسائلي من الاستانة حمدت الله على وجود أمثالهم واعتقدت انه لا بد ان يوجد كثير من العلماء على رأيهم ومشربهم ولا سيما من الشبان والكهول وصرت أمدح علماء الآستانة فيقول لي بعض أهلها لا تقس على هؤلاء فالاكثرون متعصبون غلاة في مقاومة كل إصلاح والجمعية العلمية هي بؤرة التعصب

ثم اسعدني التوفيق بلقاء بعض رجال العلمية في مجلس المبعوثين وغيره فرأيت فيهم من آيات الغيرة والاخلاص والميل الى الاصلاح ما حمدت الله عليه واعتقدت أنه لا خوف على مشروعي منهم بل رجوت أن يكونوا من خير المساعدين عليه اذا هو تم بمساعدة جمعية الاتحاد والترقي وان يقوموا هم به اذا لم تساعدني تلك الجمعية من جهة الحكومة ولكنني لم أطالبهم بذلك لانني لم أكن اسمع من الحكومة الا الوعود الجميلة حتى تم المشروع على الوجه الذي بيناه

ولما عزمت على السفر من الاستانة الى مصر كتبت في جريدة الحضارة ذلك الخطاب الى علماء الاسلام في الاستانة وسائر البلاد الاسلامية (وهو ما ستراه قريبا في هذا الجزء)

وأحببت ان أجعله تمهيداً لزيارة الجمعية العلمية في ناديها وابداء شيء من التفصيل في الاصلاح الاسلامي لجمهور رجالها ؛ فرأيت للخطاب من التأثير فيهم فوق ما كنت احسب حتى كنت القى الواحد منهم في الطريق أو في بعض الدور أو المعاهد العامة كالمساجد والمدارس فأجده حافظاً لبعض جملها يتلوها عليّ معجباً مثنياً وقال لي بعضهم ان رجال الجمعية العلمية قد أعجبوا بهذه المقالة واقترح بعضهم ترجمتها بالتركية ونشر الترجمة في مجلة الجمعية (بيان الحق) فعلمت ان ما كنت اسمعه من أبناء الدنيا في علماء الآستانة من التعصب والجمود ناشئ عن سوء فهم أو سوء قصد كما يقال ورغبت في زيارة الجمعية في ناديها وذكرت ذلك لبعض أعضائها فأخبرني انه قد تقرر أن لا يجتمعوا فيما بقي من ليالي رمضان القليلة (قال) فلابد ان نرسل الى من يوجد منهم في الآستانة دعوة خاصة ولا شك انهم يسرون بذلك وموعدنا ليلة الاثنين ٢٩ رمضان . ولما جئت النادي للقائهم ألفيته حافلاً بجمهور عظيم منهم غص به النادي وبعد التحية واستراحة قليلة ألقيت عليهم خطاباً ارتجالياً طويلاً لا تقل مدته عن ساعتين فتلقوه بالقبول والارتياح التام وسألتهم هل انتقدوا منه شيئاً فلم أجد عندهم انتقاداً بل إجماعاً على جميع مسائله وثناء

لا أتذكر جميع ما قلته في ذلك الخطاب من المسائل والدلائل ولكن لم أنس مقاصد الكلام وأقطابه وهي ثلاثة (١) وجوب تعارف العلماء وتعاونهم على خدمة الامة والدولة فان هذا العصر عصر الجمعيات لا يستطيع أحد ان يعمل عملاً لامته الا ويتوقف نجاحه التام على قوة جمعية تظاهره وتعاونه عليه (٢) تساهل العلماء في خلاف المذاهب في الاصول والفروع والاكتفاء في عقد الاخوة الاسلامية بين جميع المسلمين بالمسائل المجمع عليها (٣) إحياء هداية الكتاب والسنة في المسلمين وبث دعوتهما والذب عنهما

فما قلته في المقصد الاول ان علماء الاسلام في عهد نهضتهم العلمية الاولى في بلاد العراق والفرس والشام ومصر وافريقية والاندلس كانوا يتعارفون بالسياحة وبنقل الكتب من قطر الى قطر حتى كان المعاصرون في الشرق والغرب ينقل بعضهم عن بعض كما ترى في كلام ابن خلدون عن كتب سعد الدين التفتازاني وابن هشام . ثم ذكرت ما بين علماء المسلمين من التقاطع بين المسلمين في هذه العصور الاخيرة على سهولة المواصلات وكثرة المطابع . وبينت ان علماء الآستانة من أجدر العلماء

بخدمة الأمم والتعارف بين سائر علماء الاقطار ولكنهم على كثرتهم وجدهم واجتهادهم في العلوم الاسلامية لا يكاد يسمع لهم صوت في قطر من الاقطار كمصر والمغرب والهند وقد كان لذلك سببان (احدهما) سياسي وهو ظلم السلطان عبد الحميد ومنعه لمثل ذلك وقد زال (وثانيهما) عدم التكلم والكتابة باللغة العربية وكان من غلطهم قراءة كتب الفنون العربية والعلوم الشرعية بالترجمة ولا سيما التفسير والحديث والاصول فان هذا يضيع عليهم زمنا طويلا في التحصيل ولو كانوا يتقنون اللغة العربية نفسها قراءة وتكلما وكتابة ثم يدرسون فنونها وعلومها لكان يكون تحصيلهم اسرع وأكمل وتعبهم فيه أقل ، ولكان لهم آثار كثيرة يعرفهم بها علماء الاقطار الاسلامية كلها وهذا السبب يسهل عليهم تداركه في زمن قليل وينبغي ان يكون في مجلتهم (بيان الحق) قسم عربي لتكون وسيلة لاتصالهم بسائر علماء المسلمين الذين يعرفون هذه اللغة مهما كان جنسهم ولغتهم

وبينت في المقصد الثاني مادل عليه العلم بأخلاق البشر وطباعهم وما أفادته التجارب من اقتضاء رد الفرق بعضهم على بعض ثبات كل على رأيه ومذهبه وحرصه عليه وإغرائه بعداوة المخالف والنظر الى كلامه بعين السخط لا بعين الروية والانصاف ، ومن اقتضاء التساهل التناصف والموادة والنظر الى الاشياء بقصد استبانة الحقيقة وعاقبة ذلك ظهور الحق على الباطل ، واستشهدت على هذا ما كانت عليه الأمم الأوربية من التنازع والتعادي في الدين والسياسة لاختلاف المذاهب والمطامع وما آل اليه أمرها من عقد الدول المحالفات والموالاة السياسية بعضها مع بعض ، ومن حذو الجمعيات الدينية حذو الدول في الاتفاق على المخالفين ووضع الحدود للدعوة الدينية كحدود النفوذ السياسي ، وكان بين فرقهم الثلاث ـ الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت ـ نزاع شديد ومعارضات قوية بعد تلك الحروب المعروفة ، فضعف ذلك واتفقت جمعياتهم كما اتفقت دولهم على اقتسام البلاد الاسلامية والوثنية كاقتسام روسية وانكلترة لبلاد الفرس فعلينا أن نعتبر بأحوال الأمم ، ونجتهد في إدالة الوفاق من الخلاف والحب والائتلاف من العداوة والبغضاء ، والخلاف بين الفرق الاسلامية الكبرى ـ السنية ، والشيعة الامامية والزيدية ، والاباضية ، أهون من الخلاف بين المذاهب النصرانية التي يحكم كل فريق منها بكفر الفريق الآخر

وذكرت أيضا ما اتفق عليه أئمة أهل السنة من عدم تكفير أحد من أهل القبلة ومن افتاء الفقهاء بترجيح القول الضعيف بعدم التكفير على مئة قول قوي بالتكفير ، ومقابلة ذلك بما عليه الجامدون من أدعياء العلم المتأخرين اذ يكفرون من يخالفهم حتى في الفروع الظنية بل في الامور العادية التي ليست من الدين في شيء ، وبذلك شققوا شمل الاسلام ومزقوا نسيجه . وذكرت لهم جمعية ندوة العلماء في الهند وان من مقاصدها التأليف بين أهل المذاهب الاسلامية والدعوة الى الاسلام والحكومة الانكليزية مساعدة لهم على ذلك ، وما ذكره لي بعض علماء الشيعة من ميل علماء النجف وايران الى الوفاق وترك بعضهم تدريس الكتب التي تشتمل على الرد على أهل السنة ، وما أعلمه من ميل علماء الاباضية الى مثل ذلك ، وان حوادث الزمان وعبره قد اعدت المسلمين للاتفاق والاتحاد الديني فعلى العلماء أن يغتنموا هذه الفرصة في كل البلاد ولا سيما في الآستانة فاذا قصروا فاتتهم الفرصة وخرج الامر من أيديهم . . . . واشرت الى ما قاله الغزالي في القسطاس المستقيم من كفاية المتفق عليه في الدين للهداية وقلة من يعمل به فان المذاهب كلها متفقة على توحيد الله وتنزيهه وسائر أصول الايمان وعلى تحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وعلى أركان العبادات وأصول جميع الخيرات ، فأين من يعمل بما اتفقوا عليه ؟

وذكرت في بيان المقصد الثالث ان الدعوة الى الاصلاح الاسلامي وترقية المسلمين في دينهم ودنياهم لا يمكن ان تكون الا بهداية الكتاب والسنة لما لها من التأثير في النفوس باسنادها الى الله عز وجل ورسوله (ص) ولما فيهما من الحكم والعبر التي لا توجد في كتب الكلام والفقه ولأنها الأساس المتفق عليه عند كل المذاهب . وقلت قد علمت ان بعض الناس هنا كانوا يظنون ان « المنار » قد سلك هذه الطريقة لأجل أن يدون مذهبا جديدا ويحمل الناس على ترك مذاهبهم اليه وقد صرحت بنفي هذه الشبهة غير مرة فأنا لا أريد ان احدث مذهبا جديدا ولا أجيز لنفسي ذلك وإنما سلكتها لاسباب (١) ان المنار عام لجميع المسلمين لا لأهل مذهب واحد منهم فوجب أن يكون هديه بما هو الأصل المتفق عليه بينهم (٢) الكتاب والسنة من التأثير في النفس والسلطان على القلب ما ليس لكلام أحد كما تقدم آنفا

فالدعوة الى الاصلاح بهما اسرع قبولا ، وأقرب حصولا (٣) انهما مشتملان على كل ما نحتاج اليه لاجل الهداية والنهضة الاجتماعية التي هي أصل كل ارتقاء (٤) ان ما يذكر في المنار من الاحكام الشرعية يقصد به إما بيان حكمة الشارع فيه وكونه موافقا لمصلحة الناس في كل زمان ومكان وإما الدفاع عن الاسلام ورد شبهات المعترضين عليه من الافرنج وغيرهم وهم لا يحفلون بالرد على أقوال الفقهاء وآرائهم الاجتهادية وانما يصوبون سهامهم الى أصل الدين وهو الكتاب والسنة وحسبنا ان ندافع عن أصل ديننا ونبين حقيته وحكم أحكامه وموافقتها للعقل والفطرة ومصالح البشر . واني قد نشأت على مذهب الشافعي في الفروع والاشعري في العقائد (رح) ولست استطيع إقناع الناس بما ذكرت اذا انا التزمت هذين المذهبين اللذين قرأت كتبهما وحاولت ان ارد الشبه عن العقائد وأبين حكمة الشريعة منهما أو بهما ، وكذلك يقال في سائر المذاهب

(قلت) مثال ذلك ما جرى لاحد إخواننا الذين على طريقتنا في مصر: كان مدرسا في مدرسة الحقوق الشرعية على مذهب الحنفية وكان بعض الطلبة من المسلمين وغيرهم يوردون الشبه على بعض المسائل الفقهية ويرون ان حكم القانون أقرب الى العدل واضمن للمصلحة من الحكم الشرعي فكان ذلك المدرس يراجع قبل الدرس مايتعلق بمسائله من الآيات والاحاديث ان كانت ومن أقوال سائر أئمة الفقه فاذا أورد طالب شبهة على حكم وظهر له جواب مقنع اجاب به والا قال للطالب ان ماذكرته لا يرد على أصل الشريعة وانما يرد على رأي الامام ابي حنيفة أو الامام ابي يوسف (مثلا) في هذه المسألة وهو رأي اجتهادي ظني عنده وقد خالفه فيه الامام مالك أو الشافعي (مثلا) واحتج بحديث كذا (مثلا) فان كان هنالك آية أو حديث صحيح التزم الدفاع عنه والا ذكر من أقوال الأئمة الاجتهادية ما يراه أقرب الى إقناع السائل وامثاله بعدل الشريعة

هذا أهم ماذكرته وأحببت نشره ، وبعد ان عدت الى مصر جاءني العدد ٨٠ من مجلة (بيان الحق) فرأيت فيها كلاما عن هذا الخطاب فيه اشارة الى غير ما تقدم من المسائل وهذه ترجمته بالعربية :

﴿ حول خطبة رشيد رضا افندي ﴾

خطب رشيد افندي رضا احد علماء طرابلس الشام وصاحب مجلة (المنار) التي تصدر في مصر خطبة شائقة في مركز الجمعية العلمية الاسلامية ليلة ٢٩ رمضان بحضور جم غفير من العلماء . ألقى هذه الخطبة التي نحن بصددها باللغة العربية وقد فصل القول فيها تفصيلا استمر ساعتين من الزمن

ابان في موقفه هذا مارمى اليه في مقالته التي وجهها الى جميع علماء المسلمين المنشورة في جريدة الحضارة بعددها ٢٤ الصادر في ٨ ايلول سنة ١٣٢٦ (مالية) واثبت بالادلة والبراهين القاطعة ان جمود علماء الاسلام الآن باعث على تأخر الامة الاسلامية وعدم سعادتها وبعد ان اقنع جميع الحاضرين بأنه اذا ظل العلماء على ماهم عليه ولم يحافظوا على علو مركزهم تظهر فيهم اذ ذاك اعراض الانقراض والملاشاة ؛ ثم ذكر ما تصادفه الجمعية العلمية من الموانع والمشاكل اذا بقيت منحصرة في لجان محدودة . وانه يجب ان يؤسس لها فروع في جميع اطراف المملكة العثمانية ثم تؤسس لها ايضا فروع ولجان عمومية في كافة اقطار الارض المعمورة بالامم الاسلامية. وبين فائدة ارتباط شعب هذه الجمعية بعضها ببعض وما ينجم عنها من الفوائد العظيمة اذا سارت هذه اللجان بطريقة جدية في الاتصال بمركز الجمعية العمومي في الامور الدينية المهمة والمباحثات المعضلة الدقيقة فهي تساعد على خدمة الاسلام خدمة حقيقية وتوسع دائرة نظامه في العالم المعمور

ثم ذكر ما كان بين علماء الاسلام في المشرق والمغرب من الارتباط في زمن سعد الدين التفتازاني يوم كانت وسائط النقل والسفر صعبة شاقة فقد كان حينئذ علماء الاسلام يتبادلون المخابرات والمباحثات في دقائق الامور وان آثارهم الموجودة الان لأعظم شاهد على إلمام كل فريق منهم بمؤلفات الفريق الآخر

وأما اليوم فانه من المعلوم عند الجميع ان وسائط النقل تقدمت تقدما عظيما ولكن من المحزن ان علماء المسلمين لم يوجد بينهم أقل اتفاق ولا تعارف وقال انه مع الفخر في هذه الخدمة الجليلة يسعى بتأسيس وتشكيل جمعية علمية إسلامية في مصر وسائر البلاد العربية

ثم تكلم عن شكل الجريدة التي ستكون ناشرة لافكار الجمعية العلمية فقال : ان من المتعسر نشر هذه الجريدة بلغات مختلفة ولكن من الامور المقررة ان علماء الاسلام مهما اختلفت لغاتهم والى أي عنصر نسبوا وبأي لسان تكلموا فلا بد ان يكونوا متضلعين في اللغة العربية ولذلك استصوب ان تنشر الجريدة باللسان العربي وتعم بين علماء الصين والهند وجاوا والترك والافغان والعجم وجميع البلاد الاسلامية وبهذه الطريقة المثلى يحصل التعارف بين كافة علماء هذه البلاد وتدور المباحثات في المسائل المهمة وعندها تظهر هذه الجريدة حافلة بالمقالات العظيمة التي تكون سببا لخدمة الدين والامة الاسلامية بما يورد فيها من الاسئلة والاجوبة التي تمحص الحقائق للمسلمين

ثم انتقل مؤخرا في خطابه الى الكلام عن اختلافات المذاهب وتعدد الفرق وبين ان هذه المجادلات والمناقشات التي تحصل بين الفرق المتخالفة عقيمة لا فائدة فيها بل انها كانت سببا لتفريق كلمة المسلمين فقد ظهر بالاختبار ان هذه الاختلافات لم تولد الا الضرر العام وأوضح في عرض حديثه ضرورة الاحتراس من المجادلات والمباحثات التي تحصل من بعض الفرق باسم الدين الاسلامي لأن كل فريق من هؤلاء المخالفين يكفر ويضلل الفريق الآخر لمخالفته له في أمور ليست من الاهمية بمكان فيجب على من يكون صحيح الرأي في هذه المسائل ان يؤيد آراءه وأفكاره بالادلة والبراهين الناصعة ثم انتقل أيضا الى البحث في أحواله الخصوصية فذكر انه شافعي المذهب ومقلد وما ينسبه اليه بعض الناس من الدعوة الى الاجتهاد (كذا) هو ناشيء عن سوء التفاهم فقط وتكلم أيضا عن المذاهب الاربعة فقال ان ظهور مجتهد بعدهم متعسر ولا ينكر احد ان الاحوال تغيرت تغيرا محسوسا بعد زمانهم فيجب اذا ان تتغير بعض الاحكام

وذكر لنا انه يرد في مجلته على المقالات التي تنشر في جرائد أوروبا اعتراضا على الاسلام مستدلا بالآيات والأحاديث ولذلك حلت كتاباته واستدلالاته محل الدقة والاعتبار وقال انه يجب لاقناع الخصم الاستدلال من الكتاب والسنة وختم كلامه بأن ما ينشره في مجلة المنار يؤيد كل ما ذكر (١)

(١) العمدة في هذه المسألة ما بيناه في ص ٧٥٧ و ٧٥٨

الى علماء الاسلام الاعلام (*)

« في الاستانة وسائر الولايات العثمانية ومصر وتونس والمغرب والنجف »
« وفارس والقوقاس وقزان والهند وسائر البلاد المشرقية »

كنتم وكانت الامة الاسلامية بكم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فيخضع لكم الملوك والامراء ، وتهتدي بكم الدهماء ، كنتم فبنتم أو كدتم ، وبعدتم عن الامة وبعدت الامة عنكم ، فسرى الإلحاد الى خواصها لانكم لستم أنتم الذين تتولون تعليمهم ، واستشرى الفسق والفساد في عوامها لانكم تركتم وعظهم وارشادهم ، فأنتم مسئولون في الدنيا والآخرة عن أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فبم تجيبون ، وماذا تقولون

اذا أضعتم الامة أضعتم أنفسكم ، ولا تغرنكم هذه البقية الضئيلة من احترام الحكام لكم ، واعلموا ان كل ما لكم الآن من بقايا الشرف والرزق يكون حينئذ على شرف الزوال ، وإن منكم من حمله الشعور بذلك على تعليم أولاده في مدارس الحكومة أو مدارس الجمعيات النصرانية ليكون آمنا مطمئنا على رزقهم وكرامتهم في مستقبل أيامهم ، وان أحدكم ليصوم وأولاده في الدار مفطرون ، ويصلي وهم لا يصلون ولا يتطهرون ، أرضيتم لكم ولهم بالحياة الدنيا من الآخرة أم تزعموا انكم قمتم بما يجب عليكم في هذه التربية الخاسرة ؟ ؟

إنكم حرمتم في بعض البلاد من جميع أعمال الحكومة الا القضاء في بعض الامور الشخصية ، والقاضي منكم بالشريعة الاحمدية ، أقل قيمة وراتبا من القاضي بالقوانين الوضعية ، وحرمتم في بعض البلاد من اكثرها ، وستحرمون فيها اذا

(*) نشرنا هذه المقالة بجريدة الحضارة في الآستانة

بقيتم على حالكم من باقيها ، بل سلبتم ما هو خير من ذلك وهو التعليم العام في مدارس الحكومة ومدارس الامة فلم يبق لكم الا قليل منها في بعض البلاد التي التعليم الديني فيها بقية رسمية هي كالعضو الأثري الذي لا عمل له ولا تأثير في المصلحة العامة

ما ظلمكم أحد ولكنكم ظلمتم أنفسكم أولا فأغريتم الناس بأن يظلموكم فان كانوا لما يفعلوا في بعض البلاد فسيفعلون وسيفعلون ، وان كانوا قد فعلوا فما فعلوا لا يذكر في جنب ما سيفعلون ، وفي أيديكم الآن أن تمنعوا أنفسكم ، وتحفظوا كرامتكم ، وتستحيوا الزعامة الروحية الاجتماعية لكم في أمتكم ، وان لكم الآن في عهد حكم الشورى في الدولتين العثمانية والفارسية لفرصة إن اغتنمتموها كانت القاضية لكم ، والا فهي القاضية عليكم ، وعلى الأمانة التي في أيديكم ، فكونوا ركن هذا الحكم الركين ، وحصنه الحصين ، تستعيدوا في ظله مجدكم ومجد ملتكم وأمتكم

ظلمتم أنفسكم أنكم لم تنظروا فيما تجدد للامة والدولة من الحاجات في هذا العصر ، وما ساقتها الضرورة الى اقتباسه من العلوم والفنون ، وما يجب عليكم من حفظ مرتبة التعليم والتربية لانفسكم ، فانكم لو نظرتم في ذلك لسارعتم الى تعلم جميع العلوم والفنون التي لا بد للامة والدولة منها لتحفظ نفسها في هذا العصر ، ثم لاحتكرتم تعليمها اياه مع التربية الدينية التي تحفظ عليها آدابها وأموالها وصحتها وجامعتها الملية ، انكم لم تفعلوا ذلك ولو فعلتموه لكان خيرا لكم ولامتكم ودولتكم ، ولماذا لم تفعلوا ؟

رأيت منكم من يعتذر عن إهمال العلماء لمثل هذا الأمر الجليل باستبداد الحكام ، ورأيت منكم من يعتذر بجهالة العوام ، وعدم معرفتهم لقيمة العلماء الاعلام ، ورأيت منكم من يدعي ان العلماء لم يقصروا في شيء وأنهم قائمون بما يجب عليهم ولكن الزمان قد فسد خلافا لقول الشاعر

يقولون الزمان به فساد وهم فسدوا وما فسد الزمان

ورأيت منكم الحائر الذي لا يدري كيف يعتذر ، ورأيت وسمعت ما لا يتسع هذا المقال لشرحه واني أذكر السبب الذي أراه أبا لجميع الاسباب ، والعلة التي أراها هي أم جميع العلل

ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم ، ولا وقع فساد في أمتكم أو حكوماتكم ، الا وسببه تفرقكم واختلافكم ، وعلته تخاذلكم وشقاقكم ، وما شدد دينكم في شيء كما شدد في حظر التفرق والخلاف ، ولا اكد شيئا كما أكده وجوب الاجتماع والاتفاق ، فان كان الشيطان قد سوّل لكثير من المختلفين منا ان في الخلاف قوام عصبيتهم ، وحفظ رياستهم ، فقد آن لعقلائنا اليوم ان يعلموا ان هذا التفرق سينتهي بالانقراض والزوال ، اذا لم تتداركه بالاعتصام والالتئام ، فاعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وكونوا أنتم الامة التي تدعو الى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وأعدوا أنفسكم لزعامة هذه الامة بحق ، واهدوها الى مصالح الدين والدنيا بالحكمة والرفق ، كما هو شأن الاسلام في الجمع بين مصالح الدارين

ألم تروا ان أهل الملل الذين لم يؤمروا بمثل أمرتم به من الاجتماع والتعاون ، ولم ينهوا مثلما نهيتم عن التخاذل والتباين ، قد الفوا جمعيات دينية ، تضاهي ثروتها ثروة الدول الغنية ، فجعلوا أزمة التربية والتعليم في أيديهم ، فحفظوا جامعة دينهم في أقوامهم ، ثم جذبوا اليه كثيرا من أهل الاديان الاخرى حتى في غير بلادهم ، ألستم أولى منهم باحتكار تعليم أبناء دينكم ، وبتعميم الدعوة اليه في غير قومكم ، فما لكم لا تنشطون الى ما فيه عزكم وشرفكم ، وفي تركه ذلكم وضعتكم ، حماكم الله تعالى ووقاكم

يخطر في بال ضعفاء العزيمة منكم ان المسلمين لا يبذلون من المال للجمعيات الدينية مثل ما يبذله النصارى في الغرب ، والوثنيون في الهند ، وهذا خطأ عظيم سببه عدم التجربة ، فلو أنشأتم جمعية اسلامية وأريتم الناس ثمرتها ، واقنعتموهم بفائدتها ، وجئتموهم في ذلك من أبواب مصالحهم ، وأشرفتم عليهم من فجاج منافعهم ، لرأيتم انهم أسبق من غيرهم الى الخير ، والتعاون على عمل البر ، فما المسلمون الحاضرون ، الا سلائل أولئك السلف الصالحين ، الذين وقفوا تلك الأوقاف الكثيرة على المدارس والملاجئ والمستشفيات ، وجميع ما كان يخطر في البال من أنواع البر والاحسان ، حتى ان بعضهم وقف على الكلاب ، و بعضهم وقف على ضمان المتلفات والضائعات ، الخ

هذا وان لكم من الأوقاف الخيرية التي ضبطتها الحكومة كنزا عظيما ، وان في أيديكم رفع يدها عنها وجعل ادارتها اليكم بمساعدة مجلس الامة ، فان أوقاف جميع الملل في تصرف رجال الدين فهل تبقى حقوق المسلمين مسلوبة في عصر الشورى كما كانت في عصور الاستبداد ، اننا اذًا لنحن المغبونون ، واننا اذا لنحن الخاسرون ، كلا ان لنا في نجدتكم أيها العلماء ما يجعلنا أسعد الناس في هذا العصر ، وآمنهم في بلادنا من الغبن والخسر ،

سارعوا الى تأليف الجمعيات في كل قطر ولتكن جمعياتكم متعارفة متآلفة لا يصدنكم عن ذلك اختلاف المذاهب ولا اختلاف الالسنة ولا اختلاف الحكومات ، ولا وجود بعض المنافقين فيكم ، الذين يوضعون خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم ، فيد الله على الجماعة فاجتمعوا ، والاتحاد قوة فاتحدوا ، واجعلوا أساس الارتباط والاعتصام بينكم الاصول المتفق عليها ، والتسامح (والتعاذر) في مسائل الخلاف ، وقد فتح لكم هذا الباب المبارك اخوانكم علماء الهند بتأسيس جمعية ندوة العلماء وساعدتهم الحكومة الانكليزية على عملهم ومنه التأليف بين أهل المذاهب الاسلامية وتخريج الدعاة الى الاسلام ، فهل يليق بكم ان تتكاسلوا في ظل الحكومة الاسلامية ، عن مثل ما فعله اخوانكم في ظل الحكومة الانكليزية ؟ ؟

يجب أن تستعينوا على خدمة ملتكم وأمتكم في دولتي الاسلام ــ العثمانية والايرانية ــ بالنواب المبعوثين وان لكم في الاجتماع قوة لا يرد معها طلب عادل ، ولا يخيب معها قصد نافع ، بل يجب أن تجتهدوا في جعل المبعوثين في الانتخاب الآتي منكم ، وممن يساعدكم على خدمة ملتكم ، وان الحكومة النيابية لا تكون اسلامية حقيقة الا اذا كانت الغلبة في مجلسها النيابي لعلماء الاسلام أعني العارفين بسياسته العالية ، وعدالته العامة ، ومساواته بين الناس في الحقوق ، واعلائه لشأن الاجتماع ، ومحافظته على الفضائل والآداب ، وتحقيق هذه المقاصد كلها سهل عليكم في هذه الحكومة فاحمدوا الله أن أنقذكم من الاستبداد وجعل الدولة للأمة التي أنتم زعماؤها واشكروا له ذلك بالقيام بحقوق هذه الزعامة لعلكم تفلحون

رمضان في عاصمة السلطنة (*)

لهذا الشهر في هذه العاصمة مظهر غريب لا نعرف له نظيرا في غيرها من بلاد الاسلام وهو يرى على أكمله وأتمه في قسم استانبول منها ، أما في النهار فترى أكثر المطاعم والمشارب والملاهي والمجامع العامة مقفلة لا يختلف اليها أحد ، وترى أمارات الصيام ظاهرة على أكثر الناس فلا تكاد ترى أحدا يدخن ، وترى المساجد الشهيرة عامرة بالمصلين والواعظين والمستمعين والمتفرجين الطوافين ولهذا كله نظير في البلاد الاسلامية الاخرى وانما رونقه هنا بجمال المساجد وزينتها واختلاف الناس من جميع الطبقات إلى المشهور منها ولا سيما جامع اياصوفيا العظيم ، ويبتدئ هذا من وقت صلاة العصر الى قرب المغرب فمن الناس من يسمع الوعاظ ، ومنهم من يسمع الحفاظ ، وفي الأستانة كثير من حفاظ القرآن بعضهم من حملة العلم وبعضهم من حملة الطرابيش ومنهم المرتلون المجيدون الذين يخشع المستمع لتلاوتهم ما لا يخشع لتلاوة الحفاظ أمثالهم في مصر لخشوع جوارحهم واجتنابهم التطريب والتكلف والحركات التي اعتادها أكثر قراء المصريين . نعم ان أئمة المساجد هنا يقرأون القرآن في الصلاة ولا سيما صلاة الجمعة كما يلقون خطبتها بالنغم الموسيقي الذي يشبه نغم القسيسين في الكنائس ومنهم المسرفون في ذلك والمقتصدون

وبينا يكون الخلق الكثير من الناس في المساجد بين العصر والمغرب يكون شارع « شهزاده » مكتظا بالرجال والنساء الذين يؤمونه من جميع ارجاء المدينة فيكون كالمعرض العام لهم حتى ان كثيرا من أفراد الاسرة السلطانية يجيئونه كل يوم في هذا الوقت . وفي الخامس عشر من الشهر وهو يوم زيارة البردة النبوية الشريفة التي يسمونها « خرقه سعادت » رأينا نساء القصر السلطاني ذاهبات في مركباتهن الكثيرة الى جهة شارع « شهزاده » وليس لهذا الشارع مزية في السعة أو الجمال على غيره

(*) كتبناها في الآستانة لتنشر في جزء رمضان فلم تدرك

الآن ولعله كان في وقت ما اوسم الشوارع وأجلها على أن السكان في تلك الجهة جلهم او كلهم من المسلمين وكان يكون فيه في هذا الوقت من تبرج النساء بزينتهن ومغازلة الرجال لهن مالا يكون في مكان آخر في وقت آخر الا في معاهد النزهة في أزمنتها الخاصة كالكاغدخانه ومروج (قاضي كوي) و«سعيدر باشا» و«بكقوز» وغيرها من المروج والوديان والغدران وموارد المياه والشواطئ والغابات وكل ذلك كثير في ضواحي هذه العاصمة التي لا نظير لموقعها في الدنيا ولكل معهد من معاهد نزهتها موسم من أيام الربيع والصيف والخريف يؤمه فيها الرجال والنساء بحللهن الزاهية الالوان متبرجات بزينتهن الخاطفة للابصار، حاسرات عن وجوههن المميلة للأعناق، ولا تسل عما يكون هنالك من المغازلة ولكن مع الوقوف عند حدود الادب قلما يتعدونها الا في المجامع الكبيرة التي يجتمع فيها عشرات الالوف من النساء والرجال كمجمع عيد الخضر في الكاغدخانة

في هذه السنة عنيت الحكومة بالمحافظة على الآداب الاسلامية في شهر رمضان ومنها منع الخلاعة والتهتك في معرض شارع الشاهزاده في أصيل النهار كمنع إظهار الفطر وسبب ذلك انها علمت ان من تدبير الجمعية الخفية التي شاع امرها، وانكشف سرها، أنها كانت تريد ان تكيد للحكومة الاتحادية الحاضرة باغراء بعض الفواجر من النساء بالاسراف في التهتك في رمضان بصفة لم يسبق لها نظير ليهيج على الحكومة أهل الدين والغيرة على العرض، ولولا هذا لتركت الحكومة الامر على حاله ولو تركته لما وقف عند الحدود المعتادة من قبل لان الناس قد شعروا بما لم يكونوا يشعرون به من الحرية والاطلاق في شؤنهم الشخصية ودليل ذلك ماجرى من المنكرات والفواحش في كثير من البلاد التي لم يكن يجري فيها ذلك وعدم سماع الحكومة لشكوى أهل الدين والادب والغيرة على العرض بل قبضت الحكومة على بعض أهل العلم والفضل لمناهضتهم نساء الافرنج اللاتي جئن بلدهم للرقص والفحش وأرسلتهم الى ديوان الحرب العرفي لمحاكمتهم على ذلك العمل الذي سمته حكومتهم الخفية ارتجاعا ولكن قيل إن شيخ الاسلام لما بلغه ذلك كتب الى ديوان الحرب العرفي بوجوب اطلاقهم لانهم عملوا ماهو الواجب عليهم وقد أمسكهم ديوان الحرب

أياما للتحقيق ثم سرحهم الى بلادهم ، وجملة القول ان الحكومة المركزية عنيت بحفظ آداب الدين الظاهرة في العاصمة وحكومة بعض الولايات باضاعتها

طال بنا الاستطراد فنعود الى بيان مايتعلق برمضان خاصة فنقول ان وعظ بعض وعاظ الترك هنا يشبه وعظ بعض الشيوخ الدجالين بمصر في خلط المسائل الدينية بالخرافات والاباطيل وقد وقفنا على واحد منهم في جامع أياصوفيا فاذا هو يقول في وعظه ان الدين يأمرنا بالذل والمسكنة والانكسار ورأينا بعض الواقفين للاستماع من الشبان المتعلمين يتبرم ويتأفف منه فقلت له: الواعظ يقول هذا والله تعالى يقول (٦٣: ٨ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون) ولعله لو راجعه أحد في قوله وذكره بالآية الكريمة اذ كر له أنه أخذ هذا القول من بعض كتب الفقهاء او الصوفية كالشيخ احمد الرفاعي رحمه الله تعالى ، وقال انما الواجب علينا ان نهتدي بأقوال العلماء والصلحاء لا بالقرآن لانهم اعلم منا بالقرآن ، ويجعل الاحتجاج بالآية ضلالا مبينا لانه يتضمن دعوى الاجتهاد وتخطئة العلماء ، فهذا ماتعودناه من مثلهم وما أجدر أمة تروج فيها هذه التعاليم الباطلة ، وهذه الحجج الداحضة ، بأن تضرب عليها الذلة والمسكنة ، وتكون بها راضية مغتبطة ، لا تسعى الى العز سعيه ، أو ترفض امر الله ونهيه ، وهذا ماحل بالمسلمين ، من جراء تعليم هؤلاء الجاهلين المقلدين ، فقد أعرض المستعدون لادارة أمور الامة عن تعاليمهم الى تعاليم مبنية على أساس الكفر والالحاد ، وقالوا انا اذا بقينا على هذا الدين فنحن سائرون الى العدم والانقراض ، لان الامة الذليلة المسكينة ، لايمكن أن تحفظ استقلالها بين الامم العزيزة الغنية ، فهكذا يوجد فينا من يهدم الدنيا والدين ، وحجته على المصلحين تحريم الاجتهاد ووجوب تقليد جميع المؤلفين الميتين ،

هذا وان هنا وعاظا لايوجد لهم نظير في مصر ولا في سورية وامثالها من الاقطار الاسلامية وهم وعاظ السياسة وا كثر وعاظ هذا العام يخوضون في السياسة بايعاز الحكومة الاتحادية وقد سهل عليها هذا الايعاز بأن شيخ الاسلام نهى أن يتصدى احد للوعظ الا من يأذنه مقام المشيخة به وهو لا يأذن الا لمن يعلم انه يتبع رغبة الحكومة في تأييد سياستها حتى ان الجمعية العلمية عينت واعظين من قبلها واذنت شيخ الاسلام بذلك فأمر شيخ الاسلام بمنعهما من الوعظ فهاج ذلك سخط الجمعية

وجماهير العلماء واظهروا ذلك في مجلتهم « بيان الحق » وما يقولونه اكثر مما كتبوه ومنه ان شيخ الاسلام ليس له حق في منع العلماء من الوعظ والارشاد وهو فرض عليهم الا اذا كان له حق في منعهم ومنع غيرهم من سائر فروض الكفاية كصلاة الجنازة مثلا ، وزادهم سخطا وحنقا ما نقل اليهم من كتابته الى نظارة الداخلية بوجوب منع هذين العالمين من الوعظ بالقوة اذا هما تصديا له ونحمد الله انهما لم يفعلا لأنهما لو فعلا ومنعتهما الحكومة بالقوة لكان لذلك من سوء التأثير في الامة ما لا خير فيه

من هؤلاء الوعاظ السياسيين المعممون ومنهم غير المعممين ولعله لا يوجد في المعممين القدر الكافي للقيام بالوعظ و بلغني ان بعض الضباط وعظ الناس في أول جمعة من رمضان في « بكي جامع » ـ الكاف هنا تركية تقرأ نونا ـ فقال في وعظه ان من الأمور المنافية للحكومة الدستورية وجود إمارة مكة المكرمة لأنها عبارة عن حكومة مستبدة في ضمن الحكومة « المشروطية » فيجب إلغاؤها وان لا يكون في الحجاز أمر ولا نهي لغير الوالي ومن تحت ادارته من المأمورين ، ومن هؤلاء الوعاظ من حث الناس على أن يدفعوا ماعليهم من الزكاة لخزينة الحكومة مع علمه بأن مال الزكاة خاص بالمسلمين وله مصارف متفق عليها لا تصرفها الحكومة فيها بل تضعها مع سائر أموالها وربما تنفق منها على بناء الكنائس التي قررت بناءها للروم والبلغار ـ ومنهم من استنبط من إكرام النبي (ص) لكعب بن زهير (رض) ببردته الشريفة وجوب تعظيم العسكر وطاعتهم لأن سبب إكرامه هذا بعد أن كان أهدر دمه هو قوله في قصيدته

ان الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

قال والمراد بالسيف العسكر ، فهذا هو وجه الدلالة على ما استنبطه ، ومنهم الذين يدور وعظهم على طلب الاعانة للاسطول فهم يفسرون الآيات الآمرة بالبذل يستوكفون بها الأكف ومنهم من يجمع الدراهم والدنانير في درسه رأينا اسماعيل باشا مبعوث طوقات يفعل ذلك وهو الذي قال في درسه ان الاسلام عبارة عن الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس ، أي فساعدة الاسطول أحد شطري

الاسلام ، وقد وقفنا على درسه فأعجبنا منه حثه على الاهتداء بالقرآن وتصريحه بأنه لا حياة لنا الا به ، ومما قاله ان هذا القرآن أنزل علينا لأجل أن نكون به سادات العالم ومالكي الممالك كلها ، وبلغنا عنه كلام غريب في تأييد جمعية الاتحاد والترقي وكذا عن غيره ولا نخوض في ذلك وان قال بعضهم ان كلمة التوحيد معناها الاتحاد والترقي فالجمعية عين الاسلام وواضعها هو الله تعالى وكل مسلم هو من افرادها ، وعلى هذه القاعدة يكون من فيها من اليهود والنصارى مسلمين ولكنهم لم يعلموا بذلك

ووقفنا في مجلس أحد العلماء في جامع أياصوفيا فاذا هو احسن من رأينا في هذه المدينة وعظا وهو يدافع عن الاسلام وعن علمائه بعقل ويعرض بالشبان المتفرنجين المارقين يقول يظن بعض شباننا ان الاسلام يحول دون الترقي وان العلماء هم الذين يمنعون المسلمين من وسائله وهؤلاء يهرفون بما لا يعرفون فان الاسلام هو دين الترقي والمدنية والعمران وحملته من العلماء هم الادلاء على ذلك وما اصاب المسلمين من خير وسعادة فمنهم (قال) أرأيتم هذه المدينة ان فاتحها السلطان محمد هو « خوجه » من اصحاب العمائم وهكذا كان جميع الفاتحين الذين اسسوا ملك الاسلام

يمتاز علماء الآستانة على علماء مصر بالالمام بالسياسة علما وعملا وسبب ذلك أن الكثير من ابواب أعمال الحكومة مفتحة لهم ويكون منهم الوزراء ورؤساء المحاكم وغير المحاكم وناهيك بمنصب القضاء الشرعي في الدولة فان القاضي الشرعي يكون رئيس محكمة الحقوق والعضو الاول في مجلس الادارة وله وظائف أخرى في الحكومة ولو كان العلماء مستعدين كما يجب لكان زمام القضاء كله والادارة بأيديهم وسيسلب القضاة الشرعيون بعض ما كان لهم في هذا الدور من الحكومة والحق ان ما كان لهم هو كثير جدا

ليالي رمضان في استانبول

ذلك ما احببنا بيانه في أيام رمضان وأما لياليه فهي ليالي سرور ولهو وعزف

وقصف ، ومتسمع المعازف الوترية - كالعود والقانون والكمنجا - وغير الوترية في اكثر الملاهي التي تدعى في البلاد العربية بالقهاوي وفي البلاد التركية ببيوت القراءة (قرائتخانه لر) وفي غير هذه الاماكن ايضا فيتعجب الانسان من كثرة المعازف في هذه العاصمة وسبب ذلك ان لاهلها نساء ورجالا عناية بالعزف والموسيقى ويتعلمون ذلك في مدارس خاصة ، وترى اصحاب الطبول الكبيرة يجولون في الشوارع من أول الليل الى وقت الامساك قبيل الفجر ، وناهيك بدور التمثيل والرقص ولعل اكثر الناس يسهرون الليل في اللهو والسرور الا قليلا ، والتزاور في الليل معتاد أيضا كما نعهد في مصر وسورية ولكن لا يوجد في البيوت حفاظ يرتلون القرآن كما يوجد في مصر

وقد ظهر لي ان لصلاة الجماعة وصلاة التراويح من الاقبال والعناية في الاستانة فوق ما لها في مصر فالمصلون فيها أظن أكثر ، ومكثهم في الصلاة يكون أطول ، ولكنك ترى أكثر المصلين في بعض المساجد من العسكر وتجد عددا كثيرا من الصبيان ولا يخفى أن العسكر كله كان يكون من خارج الاستانة و بعد الدستور صار يؤخذ منها أيضا

نساء الاستانة في رمضان

يمتاز نساء الآستانة على نساء البلاد العربية بالصلاة في المساجد يقل ذلك منهن في غير رمضان و يكثر فيه حتى ان من المساجد الصغيرة ما هو خاص بهن لا يدخله من الرجال الا الامام الذي يصلي بهن والواعظ الذي يعظهن بعد الظهر وقد يكون الامام هو الواعظ ومنهن من يصلين في الجوامع الكبيرة وقد اتخذ لهن في هذه السنة حظائر في مؤخر المساجد تحجبهن عن الرجال فيها و يدخلن من باب خاص بهن ، وإنك لتراهن قبل العشاء بنصف ساعة أو اكثر ذاهبات الى المساجد افرادا واسرابا الأم وبناتها والجارة وجاراتها منهن المتلفعات بالملاآت والحبر ، ومنهن لابسات الأردية والجبب ، وأكثرهن سافرات ، ومنهن من تصلي التراويح في بيتها وهذا مما يفضلن به نساء مصر وسورية ، اني أرى أن اختلاف النساء الى المساجد يعلي نفوسهن ويرفع قيمتها في نظر صواحبها وقد كن يصلين في المسجد

على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما حمل المسلمين على منعهن منها في اكثر البلاد الا شدة الغيرة وكراهة تبرج بعضهن في غدوهن ورواحهن ولنساء الآستانة من هذا التبرج حظ عظيم وناهيك بالمتبخترات في الشوارع والسبح في أيديهن يعبثن بها فتكون أشد جذبا لأبصار الرجال اليهن من سائر حليهن وزينتهن ، وكأني بهن يجبن من يعترض عليهن في ذلك بقول تلك الشاعرة العربية

ولله مني جانب لا أضيعه　　وللهو مني والخلاعة جانب

ومن زينة الاستانة في ليالي رمضان قناديل منارات المساجد ولكل مسجد من المساجد الكبيرة هنا منارتان على الأقل ولبعضها أربع منارات وللجامع السلطان احمد ست منارات فهم يمدون حبالا بين المنارات ويكتبون بالقناديل فيها كلمات : بسم الله ، الله محمد ، حسن حسين ، نور على نور ، يا حنان ، يا رمضان ، خوش كلدي ، وأمثال ذلك وما يكتب بين منارات هذا المسجد الليلة يكتب غيره في الليلة الأخرى ، وما يكتبونه يقرأ من الاماكن البعيدة لوضوحه وسعته ، فهذا نبأ تاريخي عن حال أهل الآستانة في رمضان لا يخلو من الفوائد وربما يتغير بعضه في السنين الآتية فيكون مما يعرف به الفرق بين الماضي والآتي

حجاب المرأة في الاسلام (*)

أما ما ورد في القرآن والسنة في هذه المسألة من الآداب فهو قاصر على ما يأتي :

(١) الأمر للرجال بغض النظر عن النساء بعض الغض وكذلك للنساء فقال تعالى (يغضوا من أبصارهم) و (يغضضن من أبصارهن) فان الواجب ان لا يطيل الانسان النظر الى وجه جميل يخشى منه الفتنة فان له النظرة الاولى وليس له الثانية . وقد سوى الله تعالى في أمر الغض الرجال بالنساء وهو يشعر بأن كلا الطرفين مكشوف للآخر

(*) تابع لما نشر في (ص ٦٨٩) بقلم الدكتور محمد افندي توفيق صدقي

(٢) نهى الله سبحانه وتعالى النساء عن كثرة الخروج من بيوتهن فان طبيعتهن تقتضي ذلك بسبب ما يصيبهن من حيض وحمل وولادة ونفاس ورضاعة وتربية الاولاد وادارة المنازل وملاحظة خدمها وجميع شؤونها وأعمالها . فالطبيعة في الحقيقة تلزمهن بالقرار في البيوت في أغلب الاوقات لان أعمالهن وشؤونهن لا تسمح لهن بكثرة الخروج ولذلك قال الله تعالى مخاطبا نساء النبي صلى الله عليه وسلم (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) فان كثرة خروج النساء مذموم ومضيعة لاعمالهن وشرفهن فلا يجوز لهن الخروج الا لضرورة (والضرورات تبيح المحظورات) فان كان ثم موجب للخروج جاز ذلك والا فلا . فمن موجبات الخروج قضاء بعض المصالح أو الحاجات اذا لم يوجد من يفعل ذلك لهن والسعي وراء العيش كذلك والسفر للحج والرياضة البدنية والعقلية في الاماكن الخلوية والتمتع برؤية المناظر الطبيعية والصناعية المباحة (قل انظروا ماذا في السموات والارض) وذلك في بعض الاحيان لا في أكثر الاوقات كما تفعل نساء الافرنج في الملاهي (والتياترات) فان ذلك من الافراط المذموم في الاسلام

قال بعض أهل النظر ان الامر بالقرار في البيوت هو خاص بنساء النبي لعدم حاجتهن للخروج في تلك الازمنة ولوجودهن في بيوت خاوية اذ ذاك قليلة السكان مستشهدا على صحة رأيه بسياق الآيات في سورة الاحزاب وبافرادهن بالخطاب في هذه الآية مع اشراكهن بغيرهن في آية (قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين) حينما أراد أن يكون الامر فيها عاما للجميع وهو قول وجيه ولكننا نحن لا نرى مانعا يمنع من كون المراد بأمر القرار جميع نساء الامة وانما اختصاص نساء النبي (ص) بالخطاب هو لانهن أولى الناس بذلك كما سبق بيانه ولشدة الرغبة في حسن سمعتهن وتطهير أعراضهن من كل شائنة كما قال تعالى في آخر الآية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) فالامر بالقرار في البيوت هو لنساء المسلمين واجب عندنا ولكنه لنساء النبي أوجب . ويصح أن يقال أيضا ان هذا الامر للجميع هو للارشاد والندب لا للوجوب ونساء النبي بهذا الارشاد أولى من غيرهن ولذلك قال في أول هذه الآية (يانساء النبي لستن كاحد من النساء إن اتقيتن)

(٣) حرم الاسلام الخلوة بالاجنبية تحريما باتا لاهوادة فيه ونهى القرآن الشريف عن الدخول على النساء في خدورهن ومخاطبتهن في منازلهن الا من وراء حجاب لأن استباحة حرم النساء والدخول عليهن في بيوتهن ومخاطبتهن من غير حائل يؤدي الى الخلوة بهن أو مغازلتهن أو رؤية شيء من زينتهن أو عوراتهن لانهن في البيوت يكشفن منهن ما لا يكشفنه في الخارج ويبدين فيها الازواجهن من زينتهن ما لا يبدينه لغيرهن ولا يجوز الاطلاع على شيء من ذلك قال الله تعالى (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) وقال (ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات — الى قوله — ثلاث عورات لكم) الآية وقال أيضا في آداب البيوت (لاتدخلوا بيوت النبي الاأن يؤذن لكم — الى قوله — واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب) أي فخاطبوهن من وراء ستار ولا تدخلوا عليهن فأين هذا المعنى المفهوم من السياق من دعواهم انها تدل على تبرقع النساء وانتقابهن في الطرقات فشتان ما بين هذا وذاك ، واذا وجد داع للدخول عليهن في خدورهن وجب الاستئذان وتنبيههن لذلك حتى يخفين زينتهن وعوراتهن واصطحاب أحد محارمهن قال عليه الصلاة والسلام في حق المرأة (لا يدخل عليها رجل الا ومعها محرم) فهذه الآداب هي خاصة بالبيوت . وللطرقات آداب أخرى غيرها والآية السابقة هي الآية الوحيدة التي ذكر فيها لفظ الحجاب كما قلنا وهي مع ذلك لا تدل على شيء مما زعموا

(٤) ومن آداب الاسلام اصطحاب المحارم في الخروج وعدم السفر الا معهم والخروج الا باذنهم وعلمهم فلا يجوز لامرأة أن تخرج إلا باذن زوجها أو تسافر الا مع ذي محرم وقد جرى عمل المسلمين على ذلك من عهد الرسول وورد في ذلك كله أحاديث كثيرة منها قوله عليه الصلاة والسلام (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة الا مع ذي محرم) وقال (لا تسافر المرأة الا مع ذي محرم ولا يدخل عليها رجل الا ومعها محرم) وقال (لا تسافر المرأة بريدا الا ومعها محرم يحرم عليها)

(٥) نهى القرآن الشريف عن التبرج بقوله (ولا تبرجن تبرج الجاهلية

الاولى) وعن ابداء أي شيء من زينتهن في الطرقات سوى الوجه والكفين (ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها) وأمر بضرب الخمر (وهي أغطية الرأس) على الجيوب وهي الشقوق التي تكون في ملابس المرأة فوق صدرها ومنها تظهر النهود فقال (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) وألزمهن إطالة أثوابهن من جميع أطرافها حتى لا يظهر منها العنق ولا الذراعان ولا الساقان فقال (يدنين عليهن من جلابيبهن) وهي الثياب التي تسمى الآن بالجلاليب أي انه يجب على المرأة أن تطيل أطرافها وتمدها عليها حتى لا يظهر منها سوى الوجه والكفين أما الرأس فانه عندهن مغطى بالخمار لعدم جواز كشف الشعر . وهذه الملابس المذكورة في القرآن هي أشبه شيء بملابس نساء الفلاحين في مصر الآن ويمكن عملها بطرق أخرى كثيرة (مودات) بحيث لا يظهر من المرأة الا ما أباح الدين ظهوره وهو الوجه والكفان . فهذه هي آداب الطرقات .

ومما تقدم تعلم أن البرقع أو النقاب ليس له في الاسلام أثر ولا عين ولا ندري من اين أتوا به في الدين ان هو الاعادة ورثوها عن الامم الاخرى وهي لاخير فيها بل فيها كل الضرر كما بينا ذلك ولذلك لم يرد لها ذكر في الاسلام . فلو التزمت نساء المسلمين ما أتى به دينهم القويم من الآداب المذكورة هنا لفقن نساء العالم في العفة والفضيلة والكمال والاحتشام بدون أدنى احتياج للحجاب والا فقل لي بأبيك أي ضرر يلحق بنا اذا تركنا الحجاب واكتفت نساؤنا بما أمرن به في الدين فأظهرت المرأة وجهها وكفيها فقط وغضت من نظرها (وكذلك الرجال كما أمر القرآن) وسارت في طريقها غير متبخترة ولا متبرجة ولا مزينة . وأقلت من الخروج من بيتها الا لموجب واذا خرجت اصطحبت أحد محارمها ولا تخرج الا باذن زوجها وبعلمه ولا تسافر الا مع ذي محرم ولا تخلو بأجنبي عنها ولا يخاطبها رجل في بيتها الا من وراء حجاب . فقل لي بأبيك اذا عمل المسلمون بهذه الآداب الشريفة فأي ضرر يحصل لنا ؟ وأي حاجة لنا بالبرقع والنقاب وهما قد جرا علينا من المصائب ما قد جرا ؟ فهل اذا التزمت نساؤنا آداب هذا الدين أفلا يفقن نساء العالمين ؟

على هذه الآداب الاسلامية جرى نساء سلفنا الصالح فكن يأتين المساجد ويحججن ويغشين الاسواق ويسعفن الجرحى في ميادين القتال ويخرجن في الفلوات للرياضة ولاستنشاق الهواء ويخطبن على الرجال ويحضرن مجتمعاتهم ويناقشن الامراء وهن في كل هذه الاحوال مكشوفات الوجوه وكن يفقن نساء العالمين في العفة والفضيلة ولم يكن هذا الحجاب معروفا بينهن وانما هن أخذنه بعد طول اختلاطهن بالامم الاخرى وتقليدهن في جميع أمورهن . وقد كثر بحث الفقهاء في الحجاب بعد القرن الثاني حينما امتدت الحضارة بين المسلمين وتلقت الامراء به لبعضهم أن يرى نساءهم وجواريهم أحد من عامة المسلمين وقد قلدهم في ذلك أهل الطبقة الوسطى والعليا من سكان المدن ووجدوا من الفقهاء من يفتيهم بأنه من الدين (وهو ليس منه في شيء). أما نساء المسلمين الآخرين البعيدات عن المدن وعن قصور الملوك والامراء فبقين على ماورثنه عن أسلافهن من السفور الى يومنا هذا . ولو كان الدين الاسلامي هو الآمر بالحجاب لوجدته بين جميع الامم الاسلامية في سائر الطبقات وفي سكان المدن والفلوات وفي سائر الاوقات ولما وجدته عند الامم الاخرى غير الاسلامية قبل الاسلام وبعده كقدماء اليونانيين (الروم) والحق يقال ان الاسلام بريء منه براءة الذئب من دم ابن يعقوب . وجميع ماقيل فيه ليس له أصل في الكتاب والسنة وانما هو من اجتهادات الفقهاء المحدثين بعد القرن الثاني وفتاويهم ولسنا ملزمين باتباع آرائهم وأفكارهم الزائدة عن الدين بل يجب رفضها رفضا باتا وخصوصا اذا أدت الى ما أدى اليه الحجاب الآن بين المسلمين مما سبق بيانه . فالعاقل من اكتفى بأوامر الدين ولم يعبأ بهوس المخرفين ولا بآراء الجاهلين وترك الابتداع في الدين أو تحريفه عن معناه القويم . (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)

(المنار)

البرقع معروف عند العرب قبل الاسلام وفي كتب اللغة انه كان خاصا بالدواب ونساء الاعراب كأنهن لكثرة بروزهن في الشمس كن يقين به وجوههن منها ثم صار من آيات الحياء والحشمة ، قال توبة بن الحمير

وكنت اذا ماجئت ليلى تبرقعت وقد رابني منها الغداة سفورها

وينسب الى ذي الرمة

اذا بارك الله في ملبس فلا بارك الله في البرقع

يريك عيون الدمى غرة ويسفر عن منظر اشنع

وقد بينا في المجلد الثاني من المنار ان الخلاف في هذه المسألة في مصر انما سببه العادات لا المحافظة على الشرع وعدم المحافظة عليه فلا يوجد أحد ممن شم رائحة الشرع يقول ان مايشكو منه اعداء الحجاب من الملاآت والبراقع هو شرعي ، وما كنت أحب ان تشن الغارة على هذه العادات باسم الحجاب الشرعي . والآية التي ذكر فيها الحجاب خاصة بنساء النبي (ص) حتما كما بينه المحدثون ولا سيما الطحاوي في شرح الآثار ولكن أطلق على عادات نساء المدن المسلمات في الستر اسم الحجاب فلأجل هذا ينتقدها الكتاب في هذا العصر بهذا الاسم

كثر خوض الكاتبين والكاتبات بمصر في هذه المسألة في هاتين السنتين وكذلك يفعل الكاتبون والكاتبات في الآستانة وقزان والقريم والهند أي في البلاد التي سرت اليها عادات المدنية الحديثة فأكثر المهاجمين للحجاب أو العادات التي تسمى حجابا من المتفرنجين الذين يرون تقليد الاوربيين في عاداتهم وأكثر الذين يردون عليهم من الذين يكرهون هذا التقليد ويرونه ضارا والدكتور توفيق صدقي من المعتدلين المستقلين في رأيه ولكن تغيير العادات في الأمة لا يمكن أن يكون بمجرد اقامة الحجة على كونها مخالفة للشرع أو للمصلحة أو موافقة لها وانما يكون بالتغيير التدريجي في التربية والتعليم الذي تتغير به الآراء والافكار والميول والرغبات ففي كثر الذين يرون تغيير العادة يتجرأ بعضهم على التغيير بالفعل فيتبعه من يوافقه في الرأي ويتبعهم المقلدون الذين لا رأي لهم ومحبو الجديد كيفما كان . وربما كان الانتقال السريع من العادة القومية الضارة الى ضدها ضارا ، وقد بدأ نساء الآستانة في تغيير العادات بما هو أمثل من التغيير الذي نراه بمصر

بينا غير مرة أن حكم الشرع في المسألة التي يسمونها مسألة الحجاب هي أن لا تخلو المرأة برجل من غير محارمها وأن لا تبدي زينتها للرجال بابداء ما لا ضرورة

الى إبدائه من بدنها وهو ما عدا الوجه والكفين ، ومن المشاهد ان لابسات الملاآت والحبر والبراقع التي يشكو منها اعداء الحجاب يبدين من زينتهن ما لا حاجة الى إظهاره فاذا كان هذا هو الحجاب فالشرع بريء منه وإنما يريد أعداء الحجاب شيئا آخر غير ترك هذا النوع من زينة النساء يريدون أن يباح اختلاط الرجال بالنساء في البيوت والمجامع العامة والخاصة وان يشارك النساء الرجال في جميع أعمالهم أو اكثرها ، يريدون أن يكون هذا فجأة لا أن يكون أثرا طبيعيا لتربية جديدة وتعليم جديد كما كان يطلب زعيمهم قاسم أمين ، والاّ لما كثروا من طالب النتيجة قبل المقدمات والمسبب بدون اتخاذ ماله من الاسباب بل يريدون أن يكون سبب ذلك اقناع الجمهور به في الجرائد ولا يتدبرون ما يكون وراء ذلك من الفساد وفوضى الآداب

وقد جاء اسماعيل بك غصبرنسكي صاحب جريدة ترجمان التي تصدر في بغجة سراي (القريم) بأسلوب جديد للاقناع فكتب ان امرأة من سروات النمسة غنية لها أملاك ومعامل تدير نظامها بنفسها قد كتبت اليه تقول انها اطلعت على حقيقة الدين الاسلامي فأعجبها واعتقدت انه الحق واحبت الدخول فيه ولكن صدها عنه شيء واحد هو الحجاب فانها لا تستطيع ان تستر وجهها وتحول بينه و بين الهواء والنور ولا أن تكل أمر معملها في ادارته ونفقاته ودخله الى أحد سواها فهل يقبل إسلامها مع بقائها على ما كانت عليه من كشف الوجه ومزاولة الأعمال مع الرجال مع ثقتها بعفة نفسها أم الاسلام يجعلها متهمة في عفتها ويحرم عليها كشف وجهها والنظر في مصالحها ؟ وكيف يسمح للمسلم أن يتزوج نصرانية ويأمره أن يأذن لها في البقاء على عاداتها من السفور والذهاب الى الكنيسة ولا يرى ذلك حدثا لعفتها

أورد اسماعيل بك هذا السؤال الذي ذكرناه بالمعنى الذي بقي في ذهننا وقال انه لا يمكنه الافتاء به بل يعرضه على علماء الاسلام في روسية والآستانة ومصر والهند وبخارى وغيرها من البلاد الاسلامية ويطلب منهم بيان الحكم الشرعي ليكون هو القول الفصل في هذه المسألة ، كأنه يطلب اتفاق العلماء أو إجماعهم لتقطع جهيزة قول كل خطيب ، وقد نقل ذلك عنه بعض جرائد الآستانة ولما نطلع على جواب لأحد

الخطب سهل فلا يمكن ان يقول أحد من العلماء ان صحة إسلام تلك المرأة تتوقف على ستر وجهها وترك أعمالها المالية فأما الاعمال المالية في نفسها فهي مباحة للنساء كالرجال بالاجماع وأما ستر الوجه فقد قال بعض العلماء بوجوبه لسد ذريعة الفتنة لالأنه مما تتوقف عليه العفة وماوجب لسد الذريعة يباح للحاجة فضلا عن الضرورة وهي أعلم بحاجتها وبثقتها بنفسها على ان اكثر نساء المسلمات في البدو والقرى وبعض المدن كالآستانة يكشفن وجوههن ولعل اللواتي يسترن وجوههن فلا يراها غير محارمهن لاتبلغ نسبتهن الى الحاسرات نسبة الواحد الى الالف ، ومن العلماء من يرى ان وجوب ستر الوجه ليس من أصل الشرع ولم يكن في اول الاسلام لا لذاته ولا لسد الذريعة وانما قال به العلماء بعد مادب دبيب الفسق في المدن الاسلامية ويرى جميع علماء الاسلام ان اسماعيل بك قد أخطأ في ارجاء إفتاء تلك المرأة بصحة إسلامها ان صح ان للواقعة أصلا لان من يطلب الدخول في الاسلام لايجوز إرجاء قبوله ساعة ولا دقيقة

واذا صح هذا فلا يقاس عليه إباحة مثله للنساء اللواتي نشأن على عادة ستر الوجه وعدم معاملة الرجال لما يترتب على الانتقال الفجائي من ذلك الى ضده من المفاسد التي لا تقابلها مصلحة حقيقية ناجزة وان وقفن فيه عند حد ما يبيحه الشرع فكيف وهن يتعدينه حتما حتى الى العشق وطلب الزواج بغير المسلمين !!! وقد سمعوا بخبر التركية مع الرومي بعد الدستور الذي قطعه الترك في الآستانة إربا إربا

وصفوة القول ان هذه المناظرات في الجرائد لاتأتي بما يبغيه المتناظرون ، واذا ظلت مصر والاستانة وما ماثلهما من بلاد المسلمين على مانراه من التفرنج التدريجي فسيكون نساؤنا كنساء الافرنج في شر ماهن عليه ينتهين الى ذلك بالتدريج السريع او البطيء كما سبق رجالنا المتفرنجون في الغالب الى شر ماعليه الافرنج من السكر والزنا والقمار ، واما اذا وجدت جمعيات اسلامية تتولى التربية والتعليم للبنات مراعية حاجة العصر مع حفظ آداب الدين وأحكامه فيمكن أن تكون المرأة المسلمة خير نساء العالمين أدبا وعلما وفضيلة مع القدرة على النظر في مصالحها ومصالح بيتها واتقاء كل مايعد من ضرر العادات التي تنسب الآن الى الحجاب واهمها الخطبة والنظر الى المخطوبة وحفظ المرأة لاموالها وحقوقها فالعبرة بالاعمال وإنما العمل في مثل هذا للجمعيات الخيرية

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ هيأة الناسك ﴾

(في ان القبض في الصلاة هو مذهب الامام مالك)

العبادات العملية الظاهرة لامجال للخلاف في اركانها وواجباتها لانها نقلت بالعمل الذي لايحتمل التأويل ولذلك ترى صلاة السنيين على اختلاف مذاهبهم والشيعة الامامية والزيدية والخوارج الاباضية وغير الاباضية كلها واحدة وانما وقع خلاف بينهم في بعض الاعمال غير المفروضة كرفع اليدين عند الركوع والقيام والقنوت في صلاة الفجر وسبب هذا الخلاف أن النبي (ص) فعل ذلك في بعض الاوقات وتركه في بعضها لسبب أو لغير سبب يعرف فأخذ بعضهم دائما برواية الفعل وبعضهم برواية الترك أو عدم الفعل وكان الاظهر فيما عرف سببه ان يناط به ومالم يعرف سببه ان يفعل تارة ويترك أخرى ولا يختلف طوائف المسلمين فيه فان الاختلاف في الاعمال من اسباب اختلاف القلوب كما يعلم من احاديث الامر باستواء الصفوف في الصلاة ومن التجربة الدالة على كون ذلك من سنن الله تعالى في خلقه وقد اهتدى الى هذه السنة الامم العليمة بطبائع النفوس واخلاقها وسنن الاجتماع فاجتهدوا في جعل أفرادهم متفقين في الاخلاق والآداب المنزلية والاجتماعية والعادات في اللباس والطعام والشراب وغير ذلك وكان هذا من اسباب اتحادهم وقوتهم واستيلائهم على البلاد الاسلامية وغيرها . وهذه هي الحكمة في تشديد النبي (ص) في تسوية الصفوف بقوله «لتسوُنّ صفوفكم أو ليخالفنّ الله بين قلوبكم» أو قال بين وجوهكم رواه الشيخان في صحيحيهما واصحاب السنن من حديث النعمان بن بشير (رض) والوجوه يراد بها القلوب ، فهل قدرنا هذا القسم حق قدره وبحثنا

وبحثنا عن حكمته وسره ؟ انما حكمته وسره ماذكرنا وفي معناه التشديد في رفع الرأس قبل الامام ولكن وجد في خلف المسلمين أقوام فتنوا بحب الخلاف فصاروا يتعلقون بأوهى الروايات وأضعفها ليخالفوا سائر اخوانهم في عمل ما ولا سيما اذا كان دينيا .
وكنا نرى ان أغرب خلاف بين المسلمين في صلاتهم هو إرسال اليدين في الصلاة الذي جرى عليه اخواننا المالكية لا لانهم خالفوا سائر المسلمين فيه بل لاننا لم نعرف له اصلا في كتب السنة لافي موطإ الامام مالك ولا في غيره فكنا نقول كيف قال بذلك عالم دار الهجرة ولم يرو هو ولا غيره فيه شيئا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا عن أحد من اصحابه (رض)

وقد كشف الغمة في هذه المسألة صديقنا الشيخ محمد المكي بن عزوز في رسالة له سماها (هيأة الناسك في ان القبض في الصلاة هو مذهب الامام مالك) فبين بالنقول الكثيرة عن اشهر علماء هذا المذهب انه لاخلاف بين المسلمين في هذه المسألة فمذهب المالكية كسائر المذاهب فيها وأن سبب ماجرى عليه المالكية منذ قرون هو رواية لابن قاسم في المدونة عن مالك معناها الذي اوضحه المحققون انه يكره القبض بوضع اليمنى على اليسرى اذا قصد المصلي الاعتماد والاستناد لاجل الاستراحة وخص ذلك بصلاة الفريضة والمراد انه يكره لمصلي الفريضة ان يقصد الاعتماد والاستناد بقبض يديه وانما ينبغي أن يقصد بذلك السنة ، ونقل عن كثير من فقهائهم التصريح بأنه لو فعل ذلك لاللاعتماد بل تسننا لايكره وانه لايكره في النفل ولو قصد به الاعتماد ، وان في هذه المسألة لعبرة يتبين بها الفرق بين المقلدين العميان الذين لا بصيرة لهم في دينهم وبين أهل البصيرة من المستقلين والمتبعين للائمة والفقهاء

قلنا مرارا إنه يجب على جميع المسلمين أن يهتدوا بالكتاب والسنة وان ذلك لا يمنعهم من اتباع أئمة العلم والانتفاع بكتبهم فالمتبع لهم حقيقة لا تنقطع صلته بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأما المقلد الأعمى الذي يتبع آباءه ومشايخه من حيث لا يعلم وجه صلتهم بالكتاب والسنة فهو منقطع عن تلك الهداية غير معتصم بحبل الله كما أمر عز وجل فهو يأخذ عنهم الحكم الموافق لا من حيث انه موافق ويأخذ عنهم الحكم المخالف وقد يدري انه مخالف وشبهته وشبهة من

قلدهم ان أولئك الائمة أعلم منا بالكتاب والسنة فيجب أن نعتمد على فهومهم لهما دون فهمنا ونحن على تقدير تسليم ان الله يكلف كل إنسان بما يفهمه من يظن هو أنه أجود منه فهما نقول أولا ان معنى اتباعنا لهذا الجيد الفهم هو أن نتلقى عنه الكتاب والسنة ونعمل بما يلقيه الينا من فهمه لهما وما عليه جماهير المقلدين من الخلف الجاهلين ليس كذلك فان أحدا منهم لم يتلق شيئا عن إمام مجتهد وانما يتلقى دينه من آبائه ومشايخه المقلدين كما فهموا من مشايخهم المقلدين ومن كتب أمثالهم عصرا بعد عصر وقد يكون مشايخنا مخطئين فيما فهموا من مشايخهم ومن كتبهم وقد يكون من قبلهم كذلك مخطئين وهكذا كما أخطأ الملايين من المالكية قرنا بعد قرن في ترك سنة قبض اليدين وعزوا ذلك الى مالك خطأ في فهم رواية ابن قاسم عنه : فما جاز في هذه المسألة عليهم ووقع منهم يجوز مثله على غيرهم ويقع منهم بل هو واقع لا محالة فان المسائل الخلافية الكثيرة لا يعقل أن يكون المصيب فيها دائما واحد وانما يكون كل منهم مصيبا في بعضها ومخطئا في البعض الآخر وحكم الله في مثلها ان ترد الى الكتاب والسنة فانها هي المسائل المتنازع فيها وقد قال عز وجل « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » أي ردوه الى كتاب الله ورسوله في عصره والى سنته بعد وفاته

فلو جرى الخلف منا على سنة سلفنا الصالح في جعل علم الدين بيانا للكتاب والسنة دائما لما استمر الجمهور منا على الخطأ في شيء زمنا طويلا ولما تفرقت كلمتنا ، ولو جعلنا الواسطة بيننا وبين الكتاب والسنة كلام الائمة المجتهدين الاولين وحدهم لما بعدنا عنهما هذا البعد الشاسع لا سيما اذا اتبعناهم فيما أمروا به من رد كلامهم الى كلام الله وسنة رسوله دون العكس ولكن الوسائط كثرت بيننا وبينهم جدا فنحن مخدوعون بدعوى اتباع الائمة ولم نتلق عنهم ولم نقرأ ما كتبوه بأيديهم وليس لأكثر ما نعزوه اليهم أسانيد متصلة كأسانيد السنة نميز بين صحيحها وضعيفها وموضوعها بالرجوع الى تاريخ رجالها

وجملة القول إن هذه الرسالة (هيأة الناسك) قد جاءت حجة ناصعة على المقلدين

العميان الذين يزعمون انهم باتباع آبائهم ومشايخهم آخذون بما فهمه الائمة المجتهدون عليهم الرحمة والرضوان من الكتاب والسنة ومستغنون به عن دراستهما وفهمها والاهتداء بهما مباشرة أو بواسطة ما فسرهما به الائمة فقط

هذا وان اكثر الناس يؤثرون ما اعتادوه على ما يصح عن الائمة كما يؤثرونه على الكتاب والسنة وسترى هؤلاء يصرون على سدل أيديهم في الصلاة ولا يرجعون عنه بعد ما بين لهم هذا العالم الواسع الاطلاع ان مذهب مالك واساطين علماء مذهبه هو مذهب سائر المسلمين الثابت بالسنة الصحيحة قولا وعملا وانما يرجع الى ذلك بعض الاحياء الذين يؤثرون الحق على العادات والتقاليد الموروثة وههنا يظهر فضل علماء المالكية فان رجعوا بالعامة الى العمل بهذه السنة وموافقة المتبعين الى سائر الائمة فذلك مما يحمد لهم ويحمد الله على توفيقهم للحق والانصاف

وانا نذكر عناوين أبواب الرسالة ترغيبا للناس في مطالعتها والاعتبار بها وهي عشرة (١) في نصوص الفقهاء على مشروعية القبض وكراهة السدل (٢) في تأويل رواية ابن القاسم كراهة القبض (٣) في احتجاج الفقهاء المحققين لسنة وضع اليد على اليد في الصلاة (٤) في اتفاق جميع شرائع الانبياء على سنية ذلك (٥) في ان القول المشهور لا ينحصر في المدونة (٦) في الفرق بين المشهور والراجح (٧) في محل اليدين عند الوضع (٨) في تكميل مهم قاطع للنزاع في المسألة (٩) في عذر الافاضل الذين كانوا قائلين بالسدل (١٠) في جواز الاقتداء بالسدل لمن علم كراهته وكونه بدعة . فجزى الله المؤلف الجزاء الاوفى فانه لم يؤيد السنة على البدعة فقط بل أيد الاصلاح الاسلامي بتأييد هذه السنة وكشف شبهة البدعة عن وجهها وهكذا يكون نفع العلماء المستقلين الذين لا يكتفون بما ورثوه عن الآباء والمعاشرين بل يطلبون بأنفسهم الحق اليقين

***

﴿ حسن الصحابة . في شرح أشعار الصحابة ﴾

الشعر ديوان العرب ، ومادة الادب ، وخير اشعار العرب وأنفعها شعر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فان فيه ما في شعر الجاهلية من الفوائد وزيادة فانه يشارك شعر الجاهلية في ضبط متن اللغة وجواز الاستشهاد به في بيان فنونها من النحو والصرف والبلاغة والاستعانة به على فهم القرآن والحديث وغير ذلك من الفوائد كتاريخ العرب وأنسابهم ومآثر شؤونهم ويزيد عليه بما فيه من النزاهة والآداب وبيان نشأة الاسلام ومبدإ تاريخه وشيء من فضائله وآدابه ، فالرغبة في تحصيله يجب أن تكون أقوى والعناية به ينبغي أن تكون أتم ، وقد كان متفرقا في كتب السير والتاريخ والادب فوفق الله له من عني بجمعه وشرحه ليسهل تحصيله ودرسه وحفظه وفهمه ، ذلك الذي ادخر الله له هذه المنقبة هو الشيخ علي فهمي بن شاكر الموستاري المعروف بلقب « جابي زاده » الذي كان مفتيا في هرسك ثم هاجر الى القسطنطينية وصار معلما للادبيات العربية في دار الفنون أعلى مدارسها وأرقاها

لقيت هذا الرجل الصالح فألفيت عنده من العناية بأشعار العرب وأنسابها ما لم أجده أو مثله عند أحد في دار السلطنة الا ان يكون الشيخ محمد خالص (افندي) وكيل الدرس في المشيخة الاسلامية على ما عند علماء هذه الديار من الضعف في هذه اللغة لتلقيهم علومها الآلية والشرعية بالترجمة لان السياسة قضت بأن لا تقوى اللغة العربية في العنصر التركي ، بل أقول قلما يوجد في مصر وسورية من له عناية بأنساب العرب واشعارهم وآدابهم كهذا العالم الموستاري الهرسكي الذي نشأ في ظل حكومة النمسا نشوءه العلمي

رتب المؤلف ما جمعه من أشعار الصحابة على حروف المعجم وقد طبع الجزء الأول من شرحه لها فبلغت صفحاته ٣٦٢ وهو من قافية الهمزة الى قافية الدال . ومن طريقته في هذا الشرح أنه يترجم كل صحابي له شعر عند ذكر أول شعر له ، وهو يعزو كل شعر الى الكتب التي نقله منها وما كان مختلفا في عزوه الى صاحبه ذكر

الخلاف في ذلك ، ومن طريقته في الشرح انه يفسر المفردات ويبين معاني الجمل ويشرح الوقائع التاريخية التي تشير اليها الأبيات ويأتي عليها بالشواهد والأمثلة أحيانا ويبين إعراب بعض الجمل عند ما يرى حاجة الى ذلك .

والكتاب يباع في مكتبة المنار وثمن النسخة منه اثنى عشر قرشا ماعدا أجرة البريد فنحث طلاب الادب على مطالعته فانه من خير الكتب التي تطبع ملكة اللغة في النفس وتعين مطالعها على اجادة النظم والنثر وعسى ان يقرر في مدارس الحكومة فانه من افضل كتب الادب التي ترغب في مثلها نظارة المعارف

* * *

﴿ طلبة الطالب في شرح لامية ابي طالب ﴾

هي رسالة لطيفة شرح بها صاحب هذا الكتاب قصيدة ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم وكافله وناصره اللامية الشهيرة وقد سبق لنا نشر هذه القصيدة البليغة في المنار ويا ليت كل طالب للأدب يحفظ هذه القصيدة ويستفيد من بلاغتها . وهي تباع أيضا في مكتبة المنار وثمن النسخة منها قرشان

* * *

﴿ تحرير المرأة — ترجمته ﴾

ترجم « الاصمعي » كتاب تحرير المرأة المشهور بالتركية والاصمعي هذا معروف عند الادباء بما ترجمه من الآثار العربية بالتركية ككتاب السياسة الشرعية وغيره . وقد طبعت الترجمة التركية بعد الانقلاب العثماني وكان يظن انها تروج في الآستانة ولكن لم تكد نسخها تعرف فيها حتى قرر مجلس الوكلاء (النظار) منعه فكان ذلك غريبا جدا مع كثرة خوض كتاب الترك في مسألة النساء والحجاب وتقبيح بعضهم الحجاب وتنفيرهم منه حتى بعد منع هذا الكتاب وربما نذكر شيئا من ذلك في جزء آخر . وأغرب من هذا ان الحكومة العثمانية تمنع القول في شيء تساعد عليه بالعمل فانها كما قيل مساعدة لاحمد رضا بك رئيس مجلس المبعوثين على المدرسة التي يريد أن يعلم فيها بنات المسلمين مع بنات الافرنج وغيرهم من غير تربية دينية ولا تعليم إسلامي

باب الأخبار والآراء

حفلة وداع البستاني

وصلت الى القاهرة ظهر يوم الاثنين لست أو سبع خلون من شوال فأخبرني من لقيني من أصدقائي السوريين أنهم سيجتمعون بعد المغرب في فندق كونتنتال للاحتفال بوداع صديقنا سليمان افندي البستاني مبعوث بيروت وانه يحسن أن أحضر الاحتفال ان لم يمنعني مانع فأجبت وجئت المكان متأخرا وكان رفيق بك العظم واقفا يتكلم في مسألة سوء التفاهم بين العرب والترك ويعهد الى البستاني بتلافي ذلك عسى أن يرتق الفتق قبل اتساعه

لم أسمع كلام الخطيب كله ولكني أعرف رأيه وحرصه على الاتحاد العثماني فقد قضينا السنين الطوال في العمل لذلك سرا وجهرا والبستاني يعرف لنا ذلك حتى قال لي في الآستانة وكنا نتكلم في هذه المسألة انني لا أعرف أحدا من إخواننا السوريين أو قال العرب موافقا لرأيي مثلك ومثل رفيق بك أو قال غيركما

ثم قام يعقوب افندي صروف فرد على رفيق بك بعد الاعتراف له بما اشتهر به من الغيرة على الدولة والاخلاص لها وقال انه لا يوجد شيء من سوء الظن بين الترك والعرب وأن الترك يفضلون العرب على أنفسهم وان القابضين على زمام الاحكام يعملون بالاخلاص التام لتوحيد العناصر ومتى وجد الاخلاص لا يضر الخطأ ان وجد وان سبب عدم نيل العرب لنصيبهم من الوظائف هو عدم تمرنهم وتدربهم على اعمال الحكومة وادارتها كالترك !!

ثم قام البستاني فأثنى على رفيق بك وغيرته واخلاصه وذكر ان سوء التفاهم

الواقع بين العنصرين سببه عدم الاطلاع على حقيقة الحال في الدولة فأكثر المناصب العسكرية في أيدي العرب وذكر منهم محمود شوكت باشا ناظر الحربية ومحمد هادي باشا قائد الفيلق الثالث وسامي باشا قائد حملة حوران قال والعسكرية هي كل شيء الآن ، ثم ذكر الشريف حيدر بك ناظر الاوقاف ووالي البصرة الجديد ، وان عمال الحكومة من الترك ببيروت لا يزيدون على سبعة في المئة وأن الترك يشتغلون لخدمة لغتنا أكثر منا والحكومة تعد مشروعا لجعل تعلم العربية اجباريا في المملكة ، ومن البراهين على ترقيتها للغة العربية مساعدتها لمشروع السيد رشيد رضا صاحب المنار فانه اقترح إنشاء مدرسة كلية عربية في العاصمة فتلقت الحكومة مشروعه بالقبول وقررت مساعدته عليه بالمال .

قال البستاني هذا كما قال هو وغيره من المبعوثين مثله في بيروت والشام ولم يكن عالما بأني جئت من الآستانة واني في المجلس اسمع لاني جئت في اثناء الخطابة فلم يرني الا من جلست بالقرب منهم ، فقيل له ها هو ذا السيد رشيد فحياني واستشهدني فأرجأت شهادتي الى ان يتم كلامه وبعد ان أتمه قامت فتاة سورية عذراء فوقفت تحت العلم العثماني المحبوب وحيته بخطاب منثور مؤثر صفقت له أيدي الحاضرين ورقصت له قلوبهم

ثم قمت فقلت كلاما حاصله ان العثمانيين الحاضرين في هذه الحفلة هم من ارقى العثمانيين ان لم يكونوا ارقاهم في علومهم وأفكارهم وانهم مستمسكون بعثمانيتهم متحدون تحت علمهم الذي تهتف له ألسنتهم وقلوبهم وتحييه حتى العذارى منهم (قلت) فقد سمعتم ما فاهت به هذه العذراء العربية العثمانية في تحية العلم العثماني بالكلام الفصيح البليغ الصادر عن وجدان يتدفق غيرة وحمية واخلاصا لا يوجد ارقى منه في نساء الاستانة نفسها على ان نساء الاستانة أرقى من نساء سائر الولايات العثمانية تربية وتعليما ، ولكن لدينا في النساء السوريات من هن في الذروة التي لا تعلوها ذروة أخرى في الاستانة ولا في غيرها من هذه المملكة

ان المرتقين من الأمة يجب أن يعرفوا كل شيء من أحوالها فاذا يجب أن يعرف هذا الجمع ان ما نعبر عنه بسوء التفاهم بين العرب والترك واقع حتما وان رفيق بك مصيب فيما خاطب به مبعوثنا العاقل المتروي من وجوب السعي

في تدارك ذلك وتلافيه ، وكيف نكابر أنفسنا وننكر أمراً لهجت به الجرائد في العاصمة والولايات ومصر وتناوله خيال الشعراء وعرفه العامة والخاصة وشكا منه العقلاء حتى قال أحد كبراء الحكومة في العاصمة لأحد مبعوثي العرب اننا وصلنا بسياسة الأطفال الى درجة من سوء التفاهم صار يخيل الي فيها اذا رأيتك مقبلا لملاقتي انك واثب علي لتفتك بي وانت يخيل اليك مثل هذا

المسألة وصلت الى العامة فاذا تغلغلت فيها صعب نزعها لذلك كان من حرص رفيق بك مخاطبة سليمان افندي بما خاطبه به لعلمه بأنه على رأيه في ذلك . وانني قد بذلت جهدي في الآستانة لتلافي خطر هذه المسألة وكلمت فيها أولياء الامور الصدر الأعظم وغيره (وأشرت الى ذلك أيضاً في نبذة الرحلة من هذا الجزء)والبستاني كان يسعى مثل هذا السعي وجرى الحديث بيننا فيه في ذلك غير مرة فاذا كان يقول لكم ههنا كما كان يقول في سورية انه لا خلاف ولا تغاير ، وما ثم الا الاتحاد والتآزر فما ذاك الا انه يجري على ما تعود من الدعوة الى الوفاق فهو يريد أن يسكب الماء البارد على هذه القلوب الحرى ليبرد حرارتها ، ولكنه كان يخاطب اخوتنا الترك في العاصمة بغير ما خاطبكم به ، كان ينكر عليهم كل ما يبلغه من الأمور التي تحرك العصبية الجنسية والتنافر بين العنصرين فهو يقول في كل مكان ما ينبغي أن يقوله مثله من دعاة الوفاق والائتلاف فأنا اشكر له ذلك وأفاخر به أنه عربي سوري

ثم بينت لهم رأيي وما وصل اليه سعيي في هذه المسألة وهو ما تقدم في نبذة الرحلة من هذا الجزء وما بينته من قبل في مقالات (العرب والترك) وغيرها من من المقالات التي نشرتها في الآستانة ، وملخصها ان الترك والعرب اخوة في الاسلام وفي المصلحة العثمانية لا يستطيع ان يفرق بينهما أحد فهما كالعنصرين المكونين للماء أو الهواء وان ما كان من سوء التفاهم فسببه افراد من المتفرنجين في العاصمة فهناك ولدت هذه المسألة ومن هناك دبت ودرجت وهناك تتلافى

ثم ذكرت أيضاً ما وصل اليه مشروع العلم والارشاد (وتقدم بيانه في نبذة الرحلة فلا نعيده) ولكن زدت ان نظام المدرسة (دار العلم والارشاد) مبني على ان التعليم كله بالعربية وان التركية إلزامية فيها وان بعض أعضاء الجمعية يقترحون

ان تعلم بعض الفنون بالتركية ، والنظام الداخلي لها لما تصدق عليه الجمعية

بعد هذا قام البستاني فتكلم كلاما وجيزا لم ينقض فيه شيئا من كلامي ولكنه صرح بأن أحسن ما قلته هو ان سوء التفاهم جاء من بعض الأفراد فلا يجوز أن ينسب الى الترك أنفسهم وانه يعلم ان رفيق بك مخلص فيما اقترحه وانه هو أعلم الناس بخبرته وإخلاصه (قال) الا السيد رشيد فلا ادعي اني أعلم منه بذلك

ثم تكلم خليل افندي مطران فأيد رفيق بك وذكر فضل العرب ومكانتهم وحقوقهم وقال ولي الدين بك يكن كلمة وجيزة في وجوب مزج العنصرين وجعل العرب تركا والترك عربا ، وهذا ما كان صرح به حقي باشا الصدر الاعظم . ثم انفضت الحفلة والجميع متفقون على وجوب إزالة الخلاف فلله در العرب ما أشد إخلاصهم

وقد بلغني بعد أيام أنه نشر في جريدة العلم مقالة لكاتب مجهول في تخطئة رفيق بك وتخطئتي فيما قلناه وان من ضرره انه يحرك سائر العناصر العثمانية على المطالبة بحقوقهم اذا رأوا العرب يطالبون بحقوقهم وان الذي حمل رفيق بك على هذا الكلام هو طمعه في الوظائف بل زعم الكاتب انه طلب لنفسه وظيفة فلم ينلها فقام ينتقم لنفسه ويخدم الانكليز بمقاومة الدولة وتهديدها واستدل بكلام البستاني على خطائه

لم أر ما كتبه هذا الأرعن المفتات ولكن رأيت لرفيق بك ردا عليه وعلى العلم في الاهرام ومثله لا يرد عليه لانه سيء النية بدليل كذبه في دعواه ان رفيقا طلب وظيفة والبستاني يعلم كما نعلم ان رفيقا لو عرضت عليه الصدارة لما قبلها لأن صحته تمنعه من العمل حتى انه لم يقبل ان يكون مبعوثا ، ولأنه (أي الكاتب) جاهل بحال الدولة لا يدري ماذا طلبت العناصر الأخرى من الدولة بحق الدستور وبغير حقه أيضا ، ولا يدري أن هذه العناصر لا تنتظر الكلام الذي دار في حفلة وداع البستاني لتبني مطالبها عليه بل لا تعلم به وان نشر في الجرائد المصرية وان كلامه هو لا يصل اليها أيضا ولا الى أولي الامر في الآستانة فهو تملق ضائع ونحن لم نطالب بحقوق العرب في الاحتفال وانما طالبنا بوجوب الاتفاق ولذلك لم نتعرض لبيان الحقائق فيما قاله البستاني وغيره بل كتبنا في المنار من قبل انه لا يضرنا ان تكون أكثر الوظائف في الترك وانما يضر ان تكون في غير الأكفاء

* * *

﴿ عباس أفندي البابي البهائي ﴾

البهائية فرقة من البابية رئيسها الآن عباس افندي بن ميرزا حسين علي الملقب بالبهاء أو بهاء الله دفين عكاء وهم آخر طوائف الباطنية يعبدون البهاء عبادة حقيقية ويدينون بألوهيته وربوبيته ولهم شريعة خاصة بهم ، وكان عباس افندي محجورا عليه في عكاء فلما صارت الحكومة العثمانية دستورية تسنى له أن يخرج من عكاء وقد جاء الاسكندرية في هذا الشهر وكتب مدير المؤيد نبذة عنه وصفه فيها بالعالم المجتهد و بالتضلع من العلوم الشرعية والاحاطة بتاريخ الاسلام وقال ان أتباعه يعدون بالملايين وانهم « يحترمونه الى حد العبادة والتقديس حتى أشاع عنه خصومه ما أشاعوا » ثم قال مدير المؤيد « ولكن كل من جلس اليه يرى رجلا عظيم الاطلاع حلو الحديث جذابا للنفوس والأرواح يميل بكليته الى مذهب (وحدة الانسان) وهو مذهب في السياسة يقابل مذهب (وحدة الوجود) في الاعتقاد الديني تدور تعاليمه وارشاداته حول محور إزالة فروق التعصب للدين أو الجنس أو الوطن أو لمرفق آخر من مرافق الحياة الدنيوية »

أقول ان عباس أفندي رجل عظيم سياسي جذاب الحديث يخاطب كل أحد بما يرى انه يرضيه ويعجبه وكان منذ ثلاثين سنة يجيء بيروت فيصلي الصلوات الخمس مع المسلمين وكذلك كان يعامل المسلمين في عكاء ، يجتمع بالعالم السني فيوهمه ان فرقتهم لم يكن همها من الاصلاح الا إزالة تعصب الشيعة وتقريبهم من أهل السنة والتوفيق بين الطائفتين كما سمعت ذلك عنه من شيخنا الشيخ حسين الجسر (رح) وهو في الحقيقة زعيم دين جديد في بعض تعاليمه ومسائله وان كان مبنيا على أصول الباطنية الذين منهم الاسماعيلية والقرامطة والدروز والنصيرية ، وهم يدعون المسلمين الى دينهم بدعوى أنهم منهم ويريدون ان يجعلوهم على بصيرة في دينهم اي وثنيين يعبدون البشر فيالله من هذا الارتقاء، والتقدم بالرجوع الى الوراء، وكذلك يدعون النصارى بتسليم الوهية المسيح وادعاء انه هو البهاء وقد جعل قدماؤهم للدعوة أصولا

وأساليب حكيمة بينها المقريزي وغيره من المؤرخين كالتشكيك في آيات القرآن وتأويلها بما تتبرأ منه اللغة والدين كتأويل البهائية السموات السبع بالأديان واختصام الملأ الأعلى باختصام أولاد البهاء عباس واخوته ، وتفسير « هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة » بظهور البهاء وأتباعه فهو إلههم وأتباعه ملائكتهم ! ! وعندهم ان القيامة قد قامت بظهور الباب والبهاء

ولما كان ما ذكره المؤيد عن عظيم القوم يوهم انه من علماء الاسلام المجتهدين في الدين كالأئمة الاربعة (مثلا) وان سياسته كسياسة الماسون وكان هذا مما يسهل عليه نشر دعوته في مصر ويحمل من يغتر بظاهر كلام المؤيد على الثقة به رأيت انه يجب عليّ ان أنبه الناس الى الحق الذي أعتقده بعد الاختبار الطويل وما قرأته وسمعته عن هؤلاء القوم وما قرأته في كتبهم وما جرى لي من المناظرة والمحاورة مع داعيتهم بمصر ميرزا أبي الفضل

أقول ان عباس افندي ليس إماما من أئمة المسلمين المجتهدين وللمؤيد ان يقول انه عنى بالمجتهد معناه اللغوي لا الأصولي بل لا يعد من علماء المسلمين لان قومه ليسوا منهم ولكن لا ننكر انه مطلع على تاريخ المسلمين وعلومهم ، واجتماع مدير المؤيد به مرتين لا يكفي للحكم باحاطته بالتاريخ وتضلعه من العلوم الشرعية ، وقوله إن أتباعه يعدون بالملايين غير مسلم أيضا وطالما سمعناهم يدعون ذلك لانه مما يجذب الناس اليهم بل يجعلون هذا دليلا على حقية دينهم وقد سبق لي كلام معهم في ذلك . والمؤيد أخذ ذلك عنهم بالتسليم

واما مسألة وحدة الانسان فانما يعنون بها دعوة الناس الى دينهم المبني على عبادة البشر وتقديسهم حتى قال داعيتهم أبو الفضل في أحد الملاهي العامة بمصر في البهاء « هو الله الذي لا إله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر » فتلونا نحن فاصلة الآية (سبحان الله عما يشركون) والمسلمون يدعون الى اتحاد البشر واتفاقهم على عبادة الله وتقديسه وحده وجعلهم أخوة في الاسلام لا يفرق بينهم تعصب لدين ولا جنس ولا وطن ولا غير ذلك ، والنصارى يدعون أيضا الى وحدة الانسان في النصرانية وعبادة المسيح عبد الله ورسوله (عليه السلام) فبماذا امتاز البهائية

ألا فليعلم الناس ان هؤلاء الباطنية قد قصدوا في وضع تعاليمهم الاولى محو الاسلام وازالة سلطانه من الارض ، وضعها بعض مجوس الفرس لما فتح المسلمون بلادهم وازالوا ملكهم واستعانوا عليها بالشيعة وهم حزب سياسي يرى ان الحكومة يجب ان تكون (أرستقراطية) للاشراف من آل بيت النبي (ص) فصاروا يبثون دعوتهم في هذا الحزب بحمله على الغلو في بغض عمر بن الخطاب (الذي فتح بلادهم) وابي بكر وجمهور الصحابة الذين كانوا أقرب الى القول بحكومة الشعب (الديمقراطية) وقد وجد هذان الحزبان في الاسلام ووجد فيهم حزب الفوضوية ايضا وهم الخوارج كما وجد ذلك عند غيرهم لان وجود هذه الاحزاب السياسية طبيعي في البشر ، وكذلك خلق الغلو طبيعي في البشر ولذلك نجح الباطنية في دعوة غلاة الشيعة الى تكفير جماهير الصحابة ورميهم بكتمان بعض القرآن ولم يدروا ان ذلك يعد طعنا في أئمة آل البيت الذين يتعصبون لهم لان رئيسهم عليا كرم الله وجهه كان يحفظ القرآن كله فلماذا لم يظهر المكتوم ؟ انهم يجيبون عن هذا بما لا يقبله ذو عقل مستقل كالتقية وما كان علي بالجبان فيخاف في اظهار أساس دينه أحدا . على انه كان يمكنه ان يبث ذلك سرا في آل بيته وشيعته وغرض الباطنية إخراج الشيعة من الاسلام كما كانوا يريدون إخراج غيرهم ولكنهم خابوا ولايزالون خائبين والمسلمين من الشيعة وغيرهم السلطان والبرهان الغالب عليهم . ولما ظهر غلاة المتصوفة توسل الباطنية بهم الى مقصدهم أيضا فأضلوا كثيرا من الناس ولكن الاسلام ظل غالبا على أمره في الصوفية أيضا الا من كان أو صار من الباطنية وسنزيد هذه المسألة بيانا . وعسى أن ينشر مدير المؤيد هذا في جريدته ليزيل الايهام الذي علق بالأذهان من كلامه ولا يعقل ان يكون مقصودا له لأن آحاد العامة المتهاونين في الدين لا يمهدون السبيل لدعوة دين وضع لمحو دينهم فكيف يفعل ذلك مثل مدير المؤيد وهو من يعد من خواص المسلمين في علمه وسياسته

ومن أراد أن يعرف تاريخ هؤلاء البابية وشيئا من التفصيل في دينهم فيطالع كتاب مفتاح الأبواب تأليف الدكتور محمد مهدي خان وثمنه خمسة عشر قرشا صحيحا ويوجد في مكتبة المنار وغيرها

* * *

﴿ أمير مكة المكرمة الشريف حسين ﴾

« سعيه المشكور في نجد »

علمت منذ أشهر وانا في الآستانة ان الامير سافر من الطائف الى نجد في عسكر لجب من العرب الخاضعين له وان قصده من ذلك منع أمير نجد عبد العزيز بن سعود من أخذ الزكاة من قبائل عتيبة التابعة للشريف والاعتداء عليهم لان أمير مكة هو الذي كان يأخذ زكاتهم، ثم عقد الصلح بين ابن سعود وابن الرشيد، و بلغنا ان والي الحجاز عرض يومئذ على الشريف أن يأخذ معه ماشاء من العسكر فأبى، وكان ذلك حكمة منه تدل على بعد نظره وسعة علمه بأخلاق العرب وطباعهم، وقد ظهر أثر ذلك فانه أدرك ماأراد ولم يسفك دما ولا زاد القبائل خلافا وعدوانا فيا بينها و بعدا عن الدولة وتنكرا منها وسوء ظن بها كما كانت تفعل بعثات الدولة العسكرية بل أصلح إصلاحا لم يسبق الى مثله فدل عمله على فساد رأي الذين يريدون إلغاء إمارة مكة دفعة واحدة ورأي الذين يرون أن تلغى سلطة الشريف أولا ثم تلغى وظيفته ، ولا خير في هذا الرأي للدولة ولا في ذلك بالأولى، وان محاولة سياسة عرب الجزيرة ولا سيا الحجاز وادارتهم بالقوانين التي تنفذ في أوربة العثمانية تعد ضربا من الجنون والاعتماد في إخضاعهم لها بالقوة فن آخر من الجنون أشد مما قبله خطأ وخطرا

قرأنا في الجرائد ان الشريف فاز وأفلح فيما أراد ونحن نعلم أن عبد العزيز بن سعود كان قد استعد للقتال لما سمع بزحف الشريف على نجد ظنا منه انه زحف بعسكر نظامي للقتال و إخضاعه بالقوة القاهرة حتى انه كتب في أواخر شعبان الى سليمان بن جبري وجماعته أهل القوعية يأمرهم بالنفير العام قال في كتابه « ولا يتربصن منكم أحد وترى أعرفكم عرفكم رطب لمل فزع لكن والله مايذكر أحد متخلف تكون عقوبة الله عليه » الله الله في العجلة لغاية مايكون» ولكنه لم يذكر السبب ولا اسم الشريف، ثم علم ابن سعود أن نية الشريف صالحة ومطلبه حق وأن القبائل الموالية له تحارب معه كل أحد الا الشريف» وانه قد انضم الى عسكر الشريف الفاخيال عربي من

القبائل التي مر بها في طريقه الى نجد فعلم ان الخبر له في السمع والطاعة ، ثم ان الشريف أسر أخاه (سعدا) فعظم عليه ذلك ولولا ثقته بوفاء الشريف لتهور وأقدم على الحرب بمن معه فانه ماتنكر عرب الجزيرة من رجال الدولة وقواد عسكرها الاعدم الوفاء والوفاء هو الخلق الذي كانت تدين به في جاهليتها وزاده الاسلام تأكيدا عندها

لو شاء الشريف لدخل نجدا وأسر أميرها عبد العزيز بن سعود آل فيصل أو قتله ان لم يفر هاربا ولكنه لحكمته وسياسته العالية لم يفعل وقد خضع ابن سعود له وأجابه الى كل ماطلبه وأرسل اليه أخاه عبد العزيز عبد الله آل سعود بهديته النفيسة وهي «الصقلاوية والحمداني وكحيلان » وهي أكرم الخيل العربية في نجد وجاءنا من أخبار الحجاز ونجد انه قد تم الاتفاق بينهما على الامور الآتية كتب بها ابن سعود (تعهدا) امضاه وختمه وأرسله الى الشريف وهي

(١) عدم التعرض لعتيبة كافة بحال من الاحوال من تنزيل أو ترحيل أو كل ما يحسب ويعد من التعرض عليهم من زكاة أو خلافه

(٢) عدم أخذ الباج (المكس) منهم بأي صورة كانت من أي قرية أمدوها واذا وقع منهم مايخالف يخبر عنه

(٣) طاعة أمير مكة في كل مايأمر به حسبما تقتضيه حقوق ومنافع الدولة العلية

(٤) القصيم وهو بريدة وتوابعها على خيرة أهله إن جاءت مضبطة منهم بأنهم يختارون امارة الامير عبد العزيز بن سعود صاحب هذا التعهد يبقون تحت يده ويدفعون ثلاثة آلاف مجيدي سنويا باسم الخزينة العامرة السلطانية بمكة المكرمة وان لم يجئ منهم مضبطة يعين أميرهم برضاهم ويدفعون المبلغ المذكور على كل حال . وموعد المضبطة يمتد الى آخر شوال

هذا ماتقرر وتعهد بانفاذه ابن سعود وكتب وأمضاه وختمه وأشهد على نفسه فيه كبار قومه وهم محمد بن عبد الرحمن السعود وسعد بن عبد الرحمن السعود وسعيد بن عبد الرحمن السعود . والشيخ عبد الله عبد اللطيف ومحمد بن سعود بن عيسى

وعبدالله بن ابراهيم العسكر · وامضاه ابن سعود هكذا (خادم الدولة والملة والوطن أمير نجد ورئيس عشائرها عبد العزيز السعود)

وقد اطلق الشريف سراح أخيه سعد فعاد معززا مكرما يثني اطيب الثناء على عناية الامير الشريف به · ووضع الشريف محمد بن هندي شيخ قبائل عتيبة وكيلا له في نجد · وكذلك خضع ابن الرشيد وأرسل الهدايا الى الشريف ودان لأمره في عدم التعرض لعتيبة وفي الكف عن محاربة ابن سعود ، ويقال ان ابن السعود وابن الرشيد كليهما عزما على التشرف بزيارة الشريف وانهما ربما حضرا في الموسم

أليس هذا الاتفاق والسلام خيرا مما كان في عهد الاستبداد المشئوم من إغراء ابن الرشيد بابن سعود وايقاع العداوة والبغضاء بين القبائل ؟ أليس من العجب ان يوجد في الدولة الآن من يظن أن اتباع خطوات عبد الحميد في هذه السياسة السوءى هو الذي يحفظ سلطة الدولة ، أليس أعجب منه ان يتوهم آخرون أن السياسة والادارة يجب ان تكون بالقهر والشدة والبأس والقوة · لا بالعدل والحكمة ؟؟ ألا يعتبر رجالنا بادارة الانكليز في السودان وكيف استمالوا اليهم العرب والزنوج ؟ حتى ان فرنسة ارسلت وفدا الى السودان ليتعلم كيفية الادارة فيه لعل فرنسة تتبعها في افريقية · ألا يعتبرون بسياسة انكلترا فيما جاور عدن من بلاد اليمن ؟ لو عرف هذا ذلك الضابط الذي خطب في «يكي جامع» بعد صلاة أول جمعة من رمضان خطبة استحسن فيها إلغاء امارة مكة لما فاه بكلمة في ذلك فعسى ان يترك هو وأمثاله السياسة فالأمة محتاجة اليهم فيما تعلموه من فن الحرب والدفاع وحسبها سياسة طلعت بك واخوانه

فعلى كل عثماني ان يشكر للشريف الحكيم أمير مكة المكرمة عمله السلمي وادارته المثلى وعسى ان تشكره له الحكومة الدستورية باناطة إصلاح جميع عرب الجزيرة بحكمته وتفويضها الى رأيه ، فقد عمل لها بغير اهراق دم ولا انفاق درهم ما عجزت عن مثله حكومة الاستبداد بسفك الدماء وخسارة الاموال ، في السنين الطوال ،

ومن أخبار الحجاز أن قبائل غامد وزهران (في حدود اليمن) الذين كانوا قد

انحرفوا عن الشريف ووالوا الادريسي قد ندموا على ما كان منهم وطردوا وكيل الادريسي الذي كان عندهم وتبرءوا منه وارسلوا (مرايطهم) الى الشريف بالطاعة والانقياد . وأما قبائل حرب فهم في خوف ووجل ويتنظر ان يلقوا الى الامير الشريف السلم لئلا ينكل بهم تنكيلا ، فنسأل الله تعالى أن يوفقهم لما فيه حقن الدماء وسعادة البلاد المقدسة في ظل الدولة الدستورية ايدها الله تعالى

* * *

﴿ الاصلاح في حكومتنا الدستورية ﴾

يسائلني الناس مشافهة ومكاتبة عما عملته الحكومة الدستورية من الاصلاح والفرق بينها وبين الحكومة الاستبدادية الغابرة ، فأما الفرق فهو مثل الصبح ظاهر ، وهل يماري في الصبح الا الأعمى أو المكابر ، كنا في آخر عهد الاستبداد على شفا جرف من الخطر ، يتربص بنا الهلاك نفسا بعد نفس ، وقد قال لي صديق لي من ضباط أركان الحرب في الآستانة : لو أن البلغار حاربتنا عقب الانقلاب ، لدخلت علينا العاصمة من الطاق والباب ، والآن نقدر أن نحارب البلغار واليونان والصرب والجبل الاسود في وقت واحد ونرجو بحسب ماتفيده قواعد فن الحرب أن نكون الغالبين . فأبشر قراء المنار بأن الاصلاح الذي وفقنا له في جيشنا عظيم ويليه الاصلاح في البحرية فالهمة المبذولة فيه عالية ولكن فتك عبد الحميد في البحرية كان أشد من فتكه في سائر النظارات فنحتاج الى زمن طويل لاصلاحها كما يجب . على أن المدرعتين اللتين اشتريناهما من ألمانية قد جعلتا لنا قيمة بحرية عظيمة عند جارتينا في البحرين الابيض والاسود (اليونان وروسية) وان سائر النظارات موجهة وجوهها الى الاصلاح ولكن ليس عندنا من رجال الادارة مثلما عندنا من رجال الحرب فلابد من الانتظار والأمل . وعندي أن مجلس الأمة لم يأت بأقل مما كان ينتظر منه وهو في بدايته والرجاء في الانتخاب الآتي أكبر ، ولعلنا نشرح ما سمعناه واستفدناه في الآستانة من آراء الوزراء والكبراء والعلماء والاعيان ورجال جمعية الاتحاد والترقي وغيرهم من أصحاب الرأي في اصلاح الدولة ومستقبلها ، ونجعل ذلك محاورة خيالية في

صورتها حقيقية في معناها ، اذ لا يجوز لنا أن نصرح بأسماء أصحاب تلك الآراء المختلفة

ومما علمته في الآستانة انا كنا مخطئين في اعتقادنا أن فتنة ٣١ مارت (أو ١٣ ابريل) كانت لاسقاط الدستور واعادة الاستبداد فالصواب انها كانت لاسقاط جمعية الاتحاد والترقي ومنع سيطرتها على الحكومة وسمعت هذا من بعض رجال الجمعية المستقلين . وأما كون محمود شوكت باشا ليس عربيا فاروقيا في نسبه لأبيه فقد علمناه قبل رحلتنا الى الآستانة فوالدته عربية ووالده من (الفلمن) ولكن أسرتهم صارت عربية وهو يصرح بأنه عربي

* * *

﴿ الرد على أعداء الاصلاح الاسلامي ﴾

تركنا عملنا ورحلنا الى عاصمة دولتنا لاجل السعي العملي النافع لدولتنا وأمتنا وديننا وكنا ونحن مجدون ليلنا ونهارنا في هذا السعي تأخذ المرة بعد المرة مكتوبات من الشرق والغرب والجنوب يطالبنا فيها أصحابها بالرد على الدجالين والمفرقين من أعداء الاصلاح كالنبهاني والشيخ احمد جمال التونسي وصاحب جريدة جديدة في سنغافوره والشيخ محسن العاملي ، ويرسلون الينا رسائل وقصائد وجرائد لهؤلاء المفرقين طلاب المال والجاه عند العامة ، فما كنا نسمح بأن نضيع شيئا من وقتنا لمطالعة ما يرسلونه الينا من رسائل وجرائد هؤلاء المفسدين لأن الوقت والمال قد صُرفا الى ضد سعيهم ، فنحن نشكر للذين طالبونا بالرد غيرتهم ونذكرهم بقوله تعالى (خذ العفو وأْمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) ولكنني رأيت بعض اخواننا مغرورين بالنبهاني لما كتبه من الاوراد والصلوات ونحوها فأقول لهؤلاء المغرورين ان هذه الكتب كمسجد الضرار صورتها خدمة للدين وهي في معناها مفسدة ضارة

لم يكن يوجد شيء من هذه الكتب وأمثالها في القرون الثلاثة الاولى وهي بشهادة النبي (ص) خير القرون أيام كان الاسلام في كماله الديني ، ولا انتشرت في القرون الثلاثة التي بعدها أيام كان الاسلام في كماله المدني ، وانما راج أمثال هذه الكتب في أيام ضعف المسلمين في الدين والعلم والمدنية وكانت هذه الكتب من أسباب ضعفهم إذ صرفتهم عما آتاهم الله من المواهب والقوى التي فاز بها سلفهم

وعلقت آمالهم بالأموات ، وصرفتهم عن تدبر القرآن والتعبد به وبما ورد في السنة من الأدعية والأذكار الى أوراد من وضع الناس الذين لا حق لهم في التشريع فيضعوا للناس عبادات جديدة ما أنزل الله بها من سلطان ، وان خلطوها بشيء من المأثور" رويجها لها " وكتب النبهاني مملوءة بالروايات الموضوعة المكذوبة والمنكرة والضعيفة الشديدة الضعف ولذلك قلنا من قبل انه لا يوثق بعلمه ولا بنقله

كان لهذا الرجل جاه في حكومة الاستبداد الماضية بتملقه لأعوان عبد الحميد الذين كانوا يقضون معه على هذه الدولة وكانوا يستعينون بقصائد النبهاني في مدحهم ومدح سلطانهم على غش الامة به من طريق الدين ، وناهيك بأكاذيب الشعراء المتملقين وتأثيرها الذي يستتبعون به الغاوين ، (والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون) كان النبهاني يمدح أبا الهدى لما كانت كلمته عند عبد الحميد هي الكلمة العليا ، فكان يرفعه الى الدرجات العلى ، ويجعله من أئمة الدين ، وأقطاب الأولياء العارفين ، فلما غلبه وبزه عزت العابد في الزلفى قلب له النبهاني ظهر المجن وصار يتقرب الى عزت العابد بذمه ، ويدعي ان عزت هو ركن الدولة والاسلام بعد عبد الحميد الذي يربو غلوه في مدحه على كل غلو

في ظل هذا الجاه الباطل والمدح الكاذب والغش للمسلمين والعثمانيين كان يروج النبهاني كتبه الملفقة وناهيك بنفوذه في المحكمة النظامية ببيروت وكان يمهد بذلك السبيل لادعاء المهدية لنفسه كما نقل الينا بعض المطلعين على خفاياه ، ومن تمهيداته ومقدماته لذلك ما كان يدعيه من الرؤى والمنامات ،

اين المسلمون الذين تركوا الفواحش والمنكرات ، وقاموا بما ورد في الكتاب والسنة من الفرائض والمندوبات ، والأدعية والذكر والفكر ، وسائر أعمال البر ، ثم وجدوا فراغا لقراءة أوراد النبهاني وصلواته . وأين من قرأ التفسير والحديث الصحيح والتوحيد والفقه ثم وجد فراغا لقراءة ما لفقه من الكتب ، وخلط فيه بين الحق والباطل ، ألا ان أمثال هذه الكتب هي التي خدرت أعصاب المسلمين حتى غفلوا عن أنفسهم فملكت الاجانب عليهم أمرهم فليتهم كانوا كذلك الاعرابي الذي حلف انه لا يزيد على ما فرض الله عليه ولا ينقص منه فقال النبي (ص)

« أفلح الأعرابي إن صدق » رواه الشيخان وفي رواية دخل الجنة ان صدق ، فان الاسلام ما جاء ليجعل أتباعه كعباد بني اسرائيل في الصوامع ، ولا كرهبان النصارى في الاديار ، بل جاء ليجعلهم سادة الارض ووارثيها لتكون لهم مزرعة للآخرة

ياحسرة على المسلمين كيف سلبوا استقلال عقولهم و بعدوا عن هداية ربهم وسنة نبيهم وسيرة سلفهم وساروا وراء الدجالين الذين استهووهم وسلبوا منهم قلوبهم وأموالهم ومهدوا بذلك السبيل للأجانب فسلبوا ملكهم وأزالوا من بلادهم حكم شريعتهم ، فأضاعوا دينهم ودنياهم ، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ،

كان النبهاني يشغل جمهور المسلمين بكتبه وقصائده عن الأخطار المحيطة بهم من كل جانب وعن كل ما يجب عليهم للدفاع عن دينهم وأنفسهم بالخضوع والعبودية الظاهرة للسلطان عبد الحميد ورجاله ، والخضوع والعبودية الباطنة له ولأمثاله ، وما كان انتصارهم لعبادة أصحاب القبور وتأويل عبادتهم بتسميتها توسلا واستشفاعا الا تمهيدا لانفسهم . وقد فضح الزمان كيدهم الاول ، وكلما استيقظ المسلمون من غفلتهم افتضح كيدهم الآخر (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) والعاقبة للمتقين

ومن أراد الاطلاع على جهل النبهاني وخلطه في كتبه فليقرأ كتاب (غاية الاماني في الرد على النبهاني) وهو مجلدان لاحد العلماء المحققين وقد طبع في مصر

* * *

﴿ الطبيب الشيخ حامد والي ﴾

قرأنا في جرائد الآستانة ونحن فيها أن صديقنا الحميم الشيخ حامد والي قد فاز بالقدح المعلى في الامتحان الاخير لمدرسة الطب العليا في برلين (عاصمة ألمانية) فكان صاحب الشهادة الاولى من متخرجي المدرسة في هذا العام فسررنا سرورا خاصا أن كان هذا الفوز لمن نعده من أخص أصدقائنا الاوفياء وسررنا سرورا عاما أن كان السبق في أعلى المدارس الاوربية لشيخ عربي شرقي نشأ في المدارس الدينية العربية وهي الازهر ودار العلوم المصرية فنهنئه ونهنئ انفسنا وامتنا به

* * *

﴿ وفاة امير الآلاي صادق بك المؤيد العظمي ﴾

فجعت الحكومة العثمانية والامة العربية بوفاة هذا الرجل الكريم في وقت نرى الدولة فيه في أشد الحاجة الى مثله ، ومثل كثير في الانام قليل ، في معارفه العسكرية والادارية وغيرته وصدقه واستقامته واخلاصه فهو من الافراد الذين خدموا الدولة في العهد الماضي خدما كثيرة ولم يلوثوا من ادرانه بشيء ، فقد كانت ايامه كلها عملا نافعا وقد ولته الحكومة الدستورية فاتقامية (او متصرفية) جبل في العلم الماضي فظهر من كفاءته وحسن ادارته مالم يظهر من أحد غيره من رجال الادارة بعد الدستور فظهر انه من اعظم رجال الادارة كفاءة في حكومتنا . وقد سمعنا أن العسكرية كانت عازمة على رفع رتبته لتعود الى ما كانت (رتبة الفريق) ولكن أراد الله أن يرفعه الى دار كرامته (ان شاء الله تعالى) فتوفاه اليه ولو كان المنار صحيفة تاريخ لاطلنا في ترجمته ولكن ذكرنا هذه الكلمات عبرة بأقدار الرجال فرحمه الله وعزى أسرته وقومه عنه

(اغلاط في الاجزاء الاخيرة : السابع والثامن والتاسع يجب اصلاحها بالقلم)

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٨٣	١١	عن سنته	من سنته
٤٨٥	١٧	الوالدين	سلطة الوالدين
٤٨٩	٨	يقضيان	يتقضيان
٤٩٤	١٦	الاجتهاد	أهل الاجتهاد
٤٩٦	٢٠	تطرس	تطرز
»	٢٤	استخفافا	استخفافا
٤٩٦	٢٥	تطرس الرجل لم يتعطر ولم يشرب الاهليا	تطرس الرجل لم يقبس الالاخر والتطرز
٤٩٧	١٥ و ١٦	بدلا من النمش والزهو عليهم بالقول والعمل	×
٤٩٧	١٦	وذلك منتهى الكبر	×
٤٩٩	٦	وهو	هو
٥٠٧	٢٢	قال	قاله
»	١٣	في اتفاق	في عدم الاتفاق
٥٢٨	٢٣	علم	عليهم
٥٣٠	٢٣	واحد (؟)	واحدا
٥٣١	١٧	التي	أن التي
٥٣٢	١٧	بوجوه	بوجود
٥٣٨	١٣	بأسرة	بأثرة
٥٤٠	١٢	أقل	أقل
٥٤٩	٢١	ولا أثر	ولا أثره

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥٤٦	١٤	،في	في
٥٥١	١٩	من استقلال	في استقلال
٥٥٩	٦	باستنجادهم النبي	باستنجادهم
»	١٠	المبين	النبي
٥٦١	٥	(٥٦:٤١)	(٤٦:٤١)
٥٦٣	١٤	من	في
٥٦٥	٤	عليه	عنه
٥٧١	١٠	ويعلمون	وهم يعلمون
»	١٥	أصوله	أحد له
٥٧٣	٢١	قبله	قبل
٥٧٤	١١	فرقان فريق	فريقين فريقا
»	١٢	وفريق	وفريقا
٥٩٢	٥	الجهل	الجهل بالجهل
٥٩٣	١٣	وأجله	وآجله
٥٩٦	٩	سوء	سوءا
»	٢١	عجب	أعجب
٥٩٨	١٩	واكتساب	دع اكتساب
٥٩٩	١٩	تقضي	تفضي
٦١٢	١٧	التمهيد	تمهد
٦٢٦	٨	الفرج	الفرح
٦٢٨	١٤	ساروا	ساووا
٦٢٨	٢٠	ذلك	وذلك
٦٢٩	٢١	والعجوزات	والتجوزات
٦٣٩	٢٣	لاحبط	لايحبط

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٦٣٩	٢٤	المصون	المصون
٦٤١	٣	(٥٧:٤٣)	(٤٦:٤٣)
٦٤٦	١٠	أن هنا	أن «لا» هنا
»	١٨	بالرور	الرور.
٦٤٧	١٦	مشروعية	حكمة مشروعية
٦٤٨	١٤	الحضر	السفر
٦٥١	٢٣	أعمى	امحى
٦٥٢	١٦	بربط	يربط
٦٥٣	٨	عبدالرحمن ابن ابزي	سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى
٦٥٥	٣	الدقاق	قليلون أشهرهم الدقاق
»	٢١	عبدالرحمن	سعيد بن عبدالرحمن
٦٥٧	١٤	حلها	وحلها
٦٦١	١١	ناقد	نافذ
»	٢٠	الفساولين	الفسولين
٦٦٣	١٦	أو إنما	وإنما
»	١٨	بشر	بشرة
٦٦٥	٥	معائب	معايب
»	٦	معائبه	معايبه
٦٨٠	٥	يكن	تكن
٦٨٥	٢١	يتحسن	فيتحسن
٦٨٦	٢٠	لانشاء	لانتشار
»	٢٣	كافي	كما وقع في
٦٨٧	٨	انتهاك	لهتك
٦٩٦	٢١	ص ٦٨١	ص ٦٩٧
»	»	٢٢ وقد قال الخ	×

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

(الجمعة ٣٠ ذي القعدة ١٣٢٨ — ٢ دسمبر (كانون أول) ١٢٨٩ ه ١٩١٠ م)

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

(س ٤٩ - ٥١) من صاحب الامضاء

حضرة أستاذنا العالم الفضال السيد محمد رشيد رضا الحسيني حفظه الله وادامه
نرجوكم الاجابة على الاسئلة الآتية بلسان منار الاسلام ولكم الفضل ، وهي :
١ ماهو تفسير قوله تعالى « حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة »
٢ احقيقي ماقاله ابن خلدون من ان حملة العلم في الاسلام أكثرهم من العجم
٣ هل يجوز لعربي الجنس ان يتزوج بشريفة أو قرشية وهل يجوز لاعجمي الجنس ان يتزوج بأعرابية . افتونا مأجورين ولكم الشكر   محمد الانور قريط
من قبيلة أولاد علي
بناحية قراشة

(غروب الشمس في عين حمئة)

(ج ١) المعنى ان ذا القرنين لما وصل الى نهاية بلاد المغرب المعروفة في عصره بالنسبة الى بلاده وجد الشمس تغرب في ماء كدر لكثرة مافيه من الحمأة أو الحمأ ومعناها الطين الاسود . وقد ذكر الراغب في مادة « وجد » من مفرداته ان الوجود أنواع فيطلق على مايدرك باحدى الحواس الخمس و بالعقل و بالوجدان الباطن

كالغضب والشهوة فيقال وجدت الشيء أو الشخص ووجدت طعمه حلوا ووجدت رائحته طيبة ووجدت صوته حسنا ووجدت خشونته شديدة ، ووجدت الشبع والسرور ، ووجدت برهانه صحيحا . وقال في تفسيره « حيث وجدتموهم » حيث رأيتموهم وفي تفسيره « وجدت امرأة تملكهم » وقوله « وجدتها وقومها يسجدون للشمس » انه وجود بالبصر والبصيرة فقد كان منه مشاهدة بالبصر واعتبار بالبصيرة

فقوله تعالى « وجدها تغرب » بمعنى رآها وذلك كما نراها ونحن مسافرون في البحر تطلع منه وتغرب فيه وكذلك نراها في السواحل ويرى بعض الناس أن المراد بهذه العين الحمئة البحر المحيط الغربي المعروف بالأتلانتيك وكانت العرب تسميه بحر الظلمات ، ويجوز أن يراد بها بعض البحيرات التي جفت أو الباقية فان ذا القرنين قديم لا يعرف في أي عصر كان وليس هو الاسكندر المكدوني المشارك له في اللقب وقد كانت الارض مغمورة بالمياه وظهرت اليابسة منها بالتدريج البطيء وكثيرا ما حصل في الاقاليم الاستوائية ان توجد البحيرة ثم تجف في مدة قصيرة

(زعم ابن خلدون ان اكثر حملة العلم في الاسلام من العجم)

(ج ٢) أخطأ ابن خلدون في هذه المسألة فقد كان العلم في الاسلام دول أو مناطق متعددة واحدة في الشام والحجاز وثانية في العراق وبلاد فارس وثالثة في مصر وما وليها من افريقية ورابعة في الأندلس وما جاورها . وكان في كل منطقة من هذه المناطق العلمية ألوف من العلماء برعوا في العلوم والفنون الدينية واللغوية والادبية والعقلية النظرية والعملية ولم يكن العجم كثيرين الافي واحدة منها وهي منطقة البلاد الفارسية وما جاورها . على أن الذين نبغوا في العلوم هنالك لم يكونوا كلهم من العجم ولا يمكن الحكم على أكثرهم أيضا لان الاسلام بمؤاخاته بين العرب والعجم وتزوج بعضهم ببعض صار يتعذر التمييز بينهم إذ صار علماء العرب ينسبون الى البلاد التي يقيمون فيها من بلاد العجم وهي بلادهم منذ صارت دار إسلام فيقال في صاحب القاموس المحيط هو (مجد الدين الفيروزبادي الشيرازي) فيظن الجاهل بنسبه أنه عجمي النسب وهو عربي صديقي كان يرفع نسبه الى أبي

بكر الصديق (رض) قال الحافظ ابن حجر ولم يكن مدفوعا فيما قاله ، ويقال في صاحب الاغاني (أبو الفرج الاصبهاني) فيظن انه عجمي النسب وهو عربي أموي . ومن الناس من يحكم في النسب بدلالة الاسم واللقب فاذا وجد اسم الرجل أو اسم أبيه عجميا قال انه من العجم وليس هذا بدليل ولو صح دليلا لحكمنا بأن أكثر العجم المسلمين من العرب لاطلاق الاسماء والالقاب العربية عليهم ولا يمكن أن يتصل قوم بقوم الا ويأخذ بعضهم الاسماء والعادات من بعض ولكن الادنى يكون أكثر أخذا عن الاعلى فهذا عبد القادر الجيلي لم يخرجه تلقيب أبيه أو جده بجنكي دوست عن كونه عربي النسب علويه وانا نعرف الآن عدة أعلام فارسية وتركية قد استعملها العرب كلفظ أرسلان وناذلي بل نرى العرب حرفوا كثيرا من الاعلام وغير الاعلام من لغتهم اتباعا للترك . ولعلنا نوفي هذا الموضوع حقه في مقال خاص خدمة للتاريخ والا فالعرب والعجم في الاسلام سواء .

(المصاهرة بين العرب والعجم)

(ج ٣) يجوز للعربي أن يتزوج القرشية والشريفة العلوية الفاطمية وللعجمي أن يتزوج الاعرابية (البدوية) والعربية وان كانت شريفة اذا هي رضيت ورضي أولياؤها . وانما ترد مسألة الكفاءة اذا لم يتفق الاولياء والزوجات على ذلك فليس للولي وان كان أبا أوجدا أن يزوج بنته بدون رضاها لرجل ليس كفؤا لها حتى عند من يرى ان الاب ولي مجبر كالشافعية وليس للمرأة ان تزوج نفسها من غير كفوء اذا لم يرضه أولياؤها حتى عند من يقول ان أمرها في الزواج لنفسها كالحنفية ـ على ما للفريقين من الشروط في ذلك ـ والكفاءة تعتبر في النسب عند بعض الفقهاء وصرح بعضهم بأن غير الشرفاء ليسوا اكفاء الشرفاء وان العجم ليسوا أكفاء العرب ولا نص على ذلك في الكتاب ولا في الاحاديث التي يحتج بها وانما العبرة في ذلك بالعرف فكل من يعد تزويجه في عرف قوم عارا عليهم لا يكون كفؤا لمن يلحقهم العار بين قومهم بمصاهرته ، ولكن العادات الضارة والعرف الضار ينبغي للعقلاء أن يقاوموها . وقد حررنا هذه المسألة في المجلدين السابع والثامن فراجع

في الاول لفظ الزواج حرف الزاي من الفهرس وفي الآخر لفظ كفاءة الزواج من حرف الكاف في فهرسه

* * *

﴿ حديث ان شريعتي جاءت على ٣٦٠ طريقة ﴾

(س ٥٢) من م م الجاوي في بتاوى

ما قولكم دام فضلكم في حديث رواه الطبراني مرفوعا وهو قوله صلى الله عليه وسلم « إن شريعتي جاءت على ثلاثمئة وستين طريقة فمن سلك طريقة منها نجا » فما معنى الطريقة التي ميزت بها الشريعة الى ذلك العدد وكلها على هدى وصواب بدليل قوله صلى الله عليه وسلم « فمن سلك طريقة منها نجا » وكل واحدة منها على خلاف الاخرى بدليل قوله « منها » الذي يشير الى التبعيضية ذكر ذلك الحديث الولي الرباني الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتابه ميزان الخضرية وقال قبيل ذلك الحديث وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول اياكم والانكار على كلام أحد من العلماء الا بعد الاحاطة بجميع طرق الشريعة ولم تجدوا ذلك الكلام فيها ثم عقب واستنبط بهذا الحديث بقوله « فقد روى الطبراني مرفوعا » فتفضلوا يا سادات الكرام بالجواب بهذا وقد سألنا عنه مشايخ الجاوه مرارا ولم يكشف أحد على ذلك فبقينا متألمين

(ج) هذا الحديث لا يصح بل يمكن الجزم بوضعه لما يأتي من الدليل ولم يذكر في أي كتب الطبراني هو وسليمان الطبراني قد أورد في معجمه الاوسط عن كل شيخ من شيوخه ماله من الغرائب والعجائب في روايته قال الحافظ ابن حجر « وفيه كل نفيس وعزيز ومنكر » والظاهر أن هذا من منكراته وصنف المعجم الصغير وهو عن كل شيخ له حديث واحد . ومتى اطلق المحدثون ما انفرد به الطبراني عنوا انه ضعيف ، ونقل الشعراني للحديث واحتجاجه به لا يدل على صحته ولا على كونه صالحا للاحتجاج به وهذا الحديث مخالف لما ورد في الكتاب والسنة من كون سبيل الحق وطريقه واحدة كقوله تعالى « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » وما فسره به النبي (ص) فيما رواه ابن مسعود قال : خط رسول

الله (ص) خطا ثم قال « هذا سبيل الله » ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال « وهذه السبل ليس منها سبيل الا عليه شيطان يدعو اليه » ثم قرأ هذه الآية . رواه احمد وابن حميد والبزار والنسائي وابن المنذر وابن ابي حاتم وابو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه . والآية والحديث المفسر لها موافقان للآيات والاحاديث الكثيرة الناهية عن تفرق المسلمين في دينهم الى الشيع والطرائق ، وحديث الطبراني هذا يخالفها ومنها قوله تعالى « وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا » ثم قال في هذه السورة (سورة الجن) « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا » فعلم من ذلك ان الطريقة المعرّفة هي طريقة الحق التي كان عليها الصالحون وان الذين كانوا على سائر الطرائق القدد ليسوا على الحق . ويخالف حديث تفرق الامة على ٧٣ فرقة كلها في النار الا واحدة ، وهو مع ذلك لا ينطبق على حديث شعب الايمان كما ظن بعض أصحابنا لان تلك الشعب تجمعها طريقة واحدة هي طريقة الكتاب والسنة على الوجه الذي كان عليه النبي (ص) واصحابه فان أعلاها شهادة التوحيد وأدناها اماطة الاذى عن الطريق ، ولا يمكن ان يكون التوحيد طريقة والصلاة طريقة أخرى وإماطة الاذى عن الطريق شعبة أخرى . فالحديث موضوع قطعا

* * *

﴿ مسافة القصر ﴾

(س ٥٣) من م . ب . ع . في سمبس برنيو (جاوه)

حضرة فخر الانام ، سعد الملة وشيخ الاسلام ، سيدي الاستاذ العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء أدام الله بعزيز وجوده النفع آمين

وبعد اهداء أشرف التحية وأزكى السلام فيا سيدي وعمدتي أرجو منكم الالتفات الى ما ألقيه اليكم من الاسئلة لتجيبوني عنها وهي : —

هل تحد مسافة القصر بحديث « يا أهل مكة لا تقصروا في أدنى من أربعة برد من مكة الى عسفان والى الطائف » أم لا ؟ وهل أربعة البرد هي ثمانية وأربعون ميلا هاشمية ؟ وعليه فكم يكون قدر المسافة المعتبرة شرعا بحساب كيلومتر ؟ أفتونا

فتوى لا نعمل الا بها ولا نعول الا عليها فلا زلتم مشكورين وكنا لكم ذاكرين . —

(ج) الحديث الذي ذكره السائل رواه الطبراني عن ابن عباس وفي اسناده عبد الوهاب بن مجاهد بن جبير قال الامام أحمد ليس بشيء ضعيف ، وقد نسبه الثوري الى الكذب وقال الازدي لا تحل الرواية عنه ، ولكن مالكا والشافعي روياه موقوفا على ابن عباس واذ لم يصح رفعه فلا يحتج به . وفي الباب حديث أنس انه قال حين سئل عن قصر الصلاة قال « كان رسول الله (ص) اذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ صلى ركعتين » رواه أحمد ومسلم وأبو داود من طريق شعبة وشعبة هو الشاك في الفراسخ والاميال . قال بعض الفقهاء الثلاثة الاميال داخلة في الثلاثة الفراسخ فيؤخذ بالاكثر . وقد يقال الاقل هو المتيقن ، وفيه ان هذه حكاية حال لا تحديد فيها والعدد لا مفهوم له في الاقوال فهل يعد حجة في وقائع الاحوال؟ وهناك وقائع أخرى فيما دون ذلك من المسافة فقد روى سعيد بن منصور من حديث أبي سعيد قال « كان رسول الله (ص) اذا سافر فرسخا يقصر الصلاة » وأقره الحافظ في التلخيص بسكوته عنه وعليه الظاهرية وأقل ما ورد في المسافة ميل واحد رواه ابن أبي شيبة عن ابن عمر باسناد صحيح وبه أخذ ابن حزم وظاهر إطلاق القرآن عدم التحديد وقد فصلنا ذلك في (ص ٤١٦ و ٦٤٩ من المجلد السابع من المنار)

والمشهور أن البريد أربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة أميال وأصل الميل مد البصر لأن ما بعده يميل عنه فلا يرى وحددوه بالقياس فقالوا هو ستة آلاف ذراع والذراع ٢٤ أصبعا معترضة معتدلة والاصبع ست حبات من الشعير معترضة معتدلة . وقال بعضهم هو اثنى عشر ألف قدم بقدم الانسان . وهو أي الفرسخ ٥٥٤١ مترا

* * *

(صلاة الظهر بعد الجمعة احتياطا)

(س ٥٤) من صاحب الامضاء في (اكراجي من ولاية ويانتا — روسية)

حضرة الأستاذ الجليل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فأرجوك ان تفيدنا عن الفتوى الآتية :

ماقولكم دام فضلكم في قول رجل يدعي ان الصلاة المسماة باحتياط الظهر بدعة والنبي (ص) ماصلاها وليس فيها رواية من الصحابة والتابعين ، والعلماء المجتهدين (أول من بين في القرآن بدعية هذه الصلاة الشيخ شهاب الدين الجرجاني) ومذهب ابي حنيفة والباقي من الائمة فرضية الجمعة فقط ماعندهم شيء مخفي عنا فمن ادعى مشروعية احتياط الظهر فليثبت لنا بالكتاب أو السنة والا فما يقنعنا مجرد كتابة الالفاظ العربية

ان كان من ترك الجمعة بالعذر جزاؤه من الشارع صدقة ربع دينار أو صاع ونصف من الحنطة وليس مأمورا بأداء الظهر بدلا عن الجمعة فان كان الامر كذلك فادعاء بدعية الظهر عن الجمعة ليس بصحيح والقول بوجوب الاحتياط المصلي بعيد جدا .

عسو بكم بعد مافهمت بدعية الاحتياط ماأصليها منذ عشرين سنة وأنبه أيضا سامعي كلامي وبعد مايسلم الامام أخرج من المسجد وأرجع الى بيتي وأصلي فيه ركعتين وهذا فعلي موافق لقوله تعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا) ومطابق أيضا لسنة رسول الله (بخاري ٢ جزء ١٤٠ ص) وسب الجهال لفعلي هذا بالاعتزال وغيره ليس بشيء عندي ولا أبالي به وفتاوى التاشكندان نظرنا بمقتضى الوجدان والانصاف ليست بشيء وقولهم رد الفتوى كفر أيضا كذلك . الحاصل عندي القول بوجوب الاحتياط شيء كبير لا اجرأ أقول عليه لان الشارع صلى الله عليه وسلم ماصلى هذه الصلاة في عمره ولا مرة انتهى   المترجم من مجلة الشورى عدد ٣٣

السياح الحجازي أبو اديب حافظ حلمي

(ج) تراجع ص ٧٢٩ و ٩٣٨ من مجلد المنار السابع فهنالك بيان نافع ، ثم انا نعلم ان نية السائل في تركه لما جرى عليه بعض الناس في وطنه من صلاة الظهر بعد الجمعة ونية اولئك المصلين لها كلتاهما حسنة والمسألة متنازع فيها وقد قال الله تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) أي وأحسن عاقبة ومآلا في الدنيا لانه يزيل النزاع والتفرق ويجمع الكلمة وفي الآخرة لانه المرضي عند الله تعالى . واذا رددنا المسألة الى الله تعالى بعرضها على كتابه والى رسوله (ص) بعرضها على سنته لانجد

فيهما دليلا على مشروعية صلاتين مفروضتين في وقت واحد . بل على عدمه وهو الاصل فمن كان يعتقد ان صلاة الجمعة لاتصح منه حرم عليه ان يصليها ووجب عليه الظهر وحده ومن صلاها معتقدا صحتها منه اجزأته ولم يجب عليه غيرها في وقتها الى العصر ، ومن اعتقد ان صلاته للجمعة صحيحة ولكنها ناقصة نقصا لايقتضي بطلانها فله ان يجبرها بالنوافل الرواتب وغير الرواتب وقد صح في حديث ابن عمر المتفق عليه ان النبي (ص) كان يصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته . وفي حديث أبي هريرة عند مسلم وأصحاب السنن الامر بصلاة أربع ركعات بعدها وورد بلفظ « من كان منكم مصليا بعد الجمعة فليصل أربعا » أي ان شاء والافضل أن تكون في البيت كسائر النوافل

ولا يتوهمن الذين يصلون الظهر بعد الجمعة ان الخطب في ذلك سهل لانه زيادة من الخير الذي هو الصلاة فان فيه خطرا عظيما من حيث انه شرع عبادة لم يأذن بها الله والشارع هو الله وحده فمن أحدث في الشرع شيئا فقد جعل نفسه شريكا لله في ألوهيته أو ربوبيته ومن واقفه فقد اتخذه شريكا كما قال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقد بينا مرارا تفسير النبي (ص) لاتخاذ أهل الكتاب أحبارهم ورهبانهم أربابا بأنهم كانوا يضعون لهم أحكام الحلال والحرام فيتبعونهم فيها وهم ما كانوا يضعون تلك الأحكام الا بمثل الشبهات التي حدثت بها البدع الدينية في الاسلام من حيث انها زيادة في الخير أو العبادة أو احتياط في ترك ما لا يرضي الله تعالى كما هو معروف في تاريخهم

فيا أيها المسلمون لاتغلوا في دينكم وان لكم في الفرائض والمندوبات الثابتة في الكتاب والسنة بالنص الصريح غنية عن سواها وقد قال النبي (ص) في الاعرابي الذي حلف انه لايزيد على المكتوبات الخمس وسائر الفرائض من أركان الاسلام ولاينقص « أفلح ان صدق » ودخل الجنة إن صدق ، ويا ليت السواد الاعظم من المسلمين يأتون جميع الفرائض القطعية ويتركون جميع المحرمات القطعية وفي النوافل المشروعة ما يستغرق العمر

وما قاله السائل في رد الفتوى صحيح وانما عنى أولئك المتشددون المكفرون من يرد الفتوى محتقرا وهو يعتقد انها من دين الله تعالى ويقصد بذلك احتقار الدين لا من اعتقد خطأ المفتي

الباطنية

« وآخر فرقهم البابية البهائية »

قلنا في الجزء الماضي إن البابية البهائية فرقة من الباطنية وان الباطنية قد وضعوا تعاليمهم السرية منذ القرن الاول لافساد دين الاسلام وإزالة ملكه فهم ماوضعوا شيئا يعتقدون حقيته وهداية الناس بدعوتهم اليه ، ونقول الآن انهم لما انتشرت دعوتهم وكثر عددهم وصار لهم قدرة على الحرب اضرموا نيران الفتن والحروب بخروجهم على الدول الاسلامية مرارا ، وقد خابوا ولم ينالوا ماطلبوا بالمكيدة ولا بالقوة ثم صار لبعض رؤسائهم قناعة بسيادة اتباعهم لهم وبذلهم أموالهم في سبيلهم كأئمة الاسماعيلية المتأخرين ، وضعفت دعوتهم حتى جددها البابية في هذا العصر واننا ننقل للقراء الآن شيئا مما حفظه التاريخ من أخبارهم وطرق دعوتهم وتأويلهم للقرآن ثم نبين حقيقة دعوة فرقة البابية منهم

قال أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي في كتابه (الفرق بين الفرق) وهو من علماء القرن الخامس توفي سنة ٤٢٩ أي منذ تسعة قرون مانصه

(الفصل السابع عشر من فصول هذا الباب ــ أي الخامس)

« في ذكر الباطنية وبيان خروجهم عن جميع فرق الاسلام »

اعلموا أسعدكم الله أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان . لان الذين ضلوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم الى يومنا هذا أكثر من الذين يضلون في وقت ظهوره لان فتنة الدجال لاتزيد مدتها على اربعين يوما ، وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر . وقد حكى اصحاب المقالات ان الذين أسسوا دعوة

الباطنية جماعة منهم ميمون بن ديصان المعروف بالقداح وكان مولى لجعفر بن محمد الصادق وكان من الاهواز. ومنهم محمد بن الحسين الملقب بذيذان وميمون بن ديصان في سجن والي العراق أسسوا في ذلك السجن مذاهب الباطنية.

ثم ظهرت دعوتهم بعد خلاصهم من السجن من جهة المعروف بذيذان وابتدأ بالدعوة من ناحيته فدخل في دينه جماعة من اكراد الجبل مع أهل الجبل المعروف بالبدين ثم رحل ميمون بن ديصان الى ناحية المغرب وانتسب في تلك الناحية الى عقيل بن ابي طالب وزعم انه من نسله. فلما دخل في دعوته قوم من غلاة الرفض والحلولية منهم ادعى انه من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق فقبل الاغبياء ذلك منه على (أن) اصحاب الانساب (صرحوا) بأن محمد بن اسماعيل بن جعفر مات ولم يعقب

ثم ظهر في دعوته الى دين الباطنية رجل يقال له حمدان قرمط لقب بذلك لقرمطة في خطه أو في خطوه وكان في ابتداء أمره أكارا من أكرة سواد الكوفة واليه تنسب القرامطة

ثم ظهر بعده في الدعوة الى البدعة ابو سعيد الجنابي وكان من مستجيبة حمدان وتغلب على ناحية البحرين ودخل في دعوته بنو سنبر

ثم لما تمادت الايام بهم ظهر المعروف منهم بسعيد بن الحسين احمد بن عبد الله بن ميمون بن ديصان القداح فغير اسم نفسه ونسبه. وقال لاتباعه انا عبيد الله بن الحسن بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق. ثم ظهرت فتنته وأولاده اليوم مستولون على أعمال مصر.

وظهر منهم المعروف بابن كرويه بن مهرويه الدنداني من تلامذة حمدان قرمط وظهر مأمون اخو حمدان قرمط بأرض فارس. وقرامطة فارس يقال لهم المأمونية لاجل ذلك.

ودخل أرض الديلم رجل من الباطنية يعرف بأبي حاتم فاستجاب له جماعة من الديلم منهم اسفار بن شرويه.

وظهر بنيسابور داعية لهم يعرف بالشعراني فقتل بها في ولاية ابي بكر بن محتاج

عليها . وكان الشعراني قد دعا الحسين بن علي المروروذي قام بدعوته بعده محمد بن احمد النسفي داعية أهل ما وراء النهر وابو يعقوب السجزلي المعروف ببندانه وصنف النسفي لهم كتاب المحصول وصنف لهم ابو يعقوب كتاب اساس الدعوة وكتاب تأويل الشرائع وكتاب كشف الاسرار وقتل النسفي والمعروف ببندانه على ضلالتهما

وذكر أصحاب التواريخ ان دعوة الباطنية ظهرت أولا في زمان المأمون وانتشرت في زمان المعتصم . وذكروا انه دخل في دعوتهم الافشين صاحب جيش المعتصم وكان مراهنا لبابك الخرّمي وكان الخرمي مستعصيا بناحية البدين وكان أهل جبله خرمية (١) على طريقة المزدكية فصارت الخرمية مع الباطنية يدا واحدة . واجتمع مع بابك من أهل البدين وممن انضم اليهم من الديلم مقدار ثلاث مئة الف رجل . واخرج الخليفة لقتالهم الافشين فظنه ناصحا للمسلمين وكان في سره مع بابك وتوانى في القتال معه ودله على عورات عساكر المسلمين وقتل الكثير منهم . ثم لحقت الامداد بالافشين ولحق به محمد بن يوسف الثغري وأبو دلف القاسم بن عيسى العجلي ولحق به بعد ذلك قواد عبد الله بن طاهر واشتدت شوكة البابكية والقرامطة على عسكر المسلمين حتى بنوا لانفسهم البلدة المعروفة ببرزند خوفا من بيان (كذا) البابكية ودامت الحرب بين الفريقين سنين كثيرة الى أن أظفر الله المسلمين بالبابكية فأسر بابك وصلب بسر من رأى (٢) سنة ثلاث وعشرين ومئتين ثم أخذ أخوه اسحاق وصلب ببغداد مع المازيار صاحب المحمرة بطبرستان وجرجان . ولما قتل بابك ظهر للخليفة غدر الافشين وخيانته المسلمين في حروبه مع بابك فأمر بقتله وصلبه فصلب لذلك .

وذكر أصحاب التواريخ ان الذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس وكانوا مائلين الى دين أسلافهم ولم يجسروا على إظهاره خوفا من سيوف المسلمين فوضع الاغمار منهم اساسا من قبلها منهم صار في الباطن الى تفضيل أديان المجوس وتأولوا آيات القرآن وسنن النبي عليه السلام على موافقة أساسهم . وبيان ذلك

(١) المنار : الخرمية بضم الخاء وتشديد الراء معناه الاباحية وأصل الكلمة فارسي قيل معناه السرور (٢) هو البلد الذي يقال له الآن سامرا

أن الثنوية زعمت ان النور والظلمة صانعان قديمان والنور منهما فاعل الخيرات والمنافع ، والظلام فاعل الشرور والمضار ، وان الاجسام ممتزجة من النور والظلمة وكل واحد منهما مشتمل على أربع طبائع وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والاصلان الاولان من الطبائع الاربع مدبرات هذا العالم . وشاركهم المجوس في اعتقاد صانعين غير انهم زعموا أن أحد الصانعين قديم وهو الاله الفاعل للخيرات والآخر شيطان محدث فاعل للشرور . وذكر زعماء الباطنية في كتبهم ان الاله خالق النفس فالاله هو الاول والنفس هو الثاني وهما مدبرا هذا العالم . وسموهما الاول والثاني وربما سموهما العقل والنفس . ثم قالوا إنهما يدبران هذا العالم بتدبير الكواكب السبعة والطبائع الاول .

وقولهم ان الاول والثاني يدبران العالم هو بعينه قول المجوس باضافة الحوادث الى صانعين أحدهما قديم والآخر محدث الا ان الباطنية عبرت عن الصانعين بالاول والثاني وعبر المجوس عنهما بيزدان وأهرمن فهذا هو الذي يدور في قلوب الباطنية ووضعوا أساسا يؤدي اليه ولم يمكنهم إظهار عبادة النيران فاحتالوا بأن قالوا للمسلمين ينبغي أن تجمر المساجد كلها وان يكون في كل مسجد مجمرة يوضع عليها الند والعود في كل حال . وكانت البرامكة قد زينوا للرشيد أن يتخذ في جوف الكعبة مجمرة يتبخر عليها العود ابدا فعلم الرشيد انهم أرادوا من ذلك عبادة النار في الكعبة وان تصير الكعبة بيت نار فكان ذلك أحد أسباب قبض الرشيد على البرامكة

ثم ان الباطنية لما تأولت أصول الدين على الشرك احتالت أيضا لتأويل أحكام الشريعة على وجوه تؤدي الى رفع الشريعة أو الى مثل أحكام المجوس . والذي يدل على أن هذا مرادهم بتأويل الشريعة انهم قد أباحوا لاتباعهم نكاح البنات والاخوات وشرب الخمر وجميع اللذات . ويؤكد ذلك ان الغلام الذي ظهر منهم بالبحرين والاحساء بعد سليمان بن الحسين القرمطي سن لاتباعه اللواط وأوجب قتل الغلام الذي يمتنع على من يريد الفجور به وأمر بقطع يد من اطفأ نارا بيده وبقطع لسان من أطفأها بنفخة . وهذا الغلام هو المعروف بابن أبي زكريا الطامي

وكان ظهوره في سنة تسع عشرة وثلاث مئة وطالت فتنته الى ان سلط الله تعالى عليه من ذبحه على فراشه

ويؤكد ما قلناه من ميل الباطنية الى دين المجوس أنا لا نجد على ظهر الارض مجوسيا إلا وهو موادٌّ لهم منتظر لظهورهم في الديار يظنون أن الملك يعود اليهم بذلك. وربما استدل اغمارهم على ذلك بما يرويه المجوس عن زرادشت انه قال لكشتاسب ان الملك يزول عن الفرس الى الروم واليونانية ثم يعود الى الفرس ثم يزول عن الفرس الى العرب ثم يعود الى الفرس . وساعده جاماسب المنجم على ذلك . وزعم ان الملك يعود الى العجم لتمام الف وخمس مئة سنة من وقت ظهور زرادشت.

وكان في الباطنية رجل يعرف بأبي عبد الله العردي يدعي علم النجوم ويتعصب للمجوس وصنف كتابا ذكر فيه ان القران الثالث عشر من مولد محمد صلى الله عليه وسلم يوافق الالف العاشر وهو نوبة المشتري والقوس . وقال عند ذلك يخرج إنسان يعيد الدولة المجوسية ويستولي على الارض كلها . وزعم انه يملك مدة سبع قرانات . وقالوا قد تحقق حكم زرادشت وجاماسب في زوال ملك العجم الى الروم واليونانية في أيام الاسكندر ثم عاد الى العجم بعد ثلاث مئة سنة ثم زال بعد ذلك ملك العجم الى العرب وسيعود الى العجم لتمام المدة التي ذكرها جاماسب . وقد وافق الوقت الذي ذكره أيام المكتفي والمقتدر وأخلف موعدهم وما رجع الملك فيه الى المجوس .

وكانت القرامطة قبل هذا الميقات يتواعدون فيما بينهم ظهور المنتظر في القران السابع في المثلثة النارية . وخرج منهم سليمان بن الحسين من الاحساء على هذه الدعوى وتعرض للحجيج وأسرف في القتل فيهم . ثم دخل مكة وقتل من كان في الطواف وأغار على أستار الكعبة وطرح القتلى في بئر زمزم وكسر عساكر كثيرة من عساكر المسلمين وانهزم في بعض حروبه الى هجر فكتب الى المسلمين قصيدة يقول فيها

أغركم مني رجوعي الى هجر ؟ فعما قليل سوف يأتيكم الخبر
اذا طلع المريخ في أرض بابل وقارنه النجمان فالحذر الحذر
ألست أنا المذكور في الكتب كلها ؟ ألست أنا المبعوث في سورة الزمر ؟

سأملك أهل الارض شرقا ومغربا   الى قيروان الروم والترك والخزر

وأراد بالنجمين زحل والمشتري . وقد وجد هذا القران في سني ظهوره ولم يملك من الارض شيئا غير بلدته التي خرج منها . وطمع في أن يملك سبع قرانات وما ملك سبع سنين بل قتل بهيت رمته امرأة من سطحها بلبنة على رأسه فدمغته وقتيل النساء أخس قتيل وأهون فقيد .

وفي آخر سنة ألف ومئتين وأربعين للاسكندر ثم من تاريخ زرادشت ألف وخمس مئة سنة وما عاد فيها ملك الارض الى المجوس بل اتسع بعدها نطاق الاسلام وفتح الله تعالى المسلمين بعدها بلاد بلاساغون(١) وارض التبت وأكثر نواحي الصين ثم فتح لهم بعدها جميع أرض الهند من لمغان الى قنوج وصارت أرض الهند الى سيتوسيقا بحرها من رقعة الاسلام في أيام امين الدولة أمين الملة محمود بن سبكتكين رحمه الله .
وفي هذا رغم أنوف الباطنية والمجوس الخاماسبية الذين حكموا بعود الملك اليهم فذاقوا وبال أمرهم وكان عاقبة امانيهم بورا بحمد الله ومنه

ثم ان الباطنية خرج منهم عبيدالله ابن الحسين بناحية القيروان وخدع قوما من كتامة وقوما من المصامدة وشرذمة من اغتام بربر بحيل ونيرنجات اظهرها لهم كرؤية الخيالات بالليل من خلف الرداء والازار وظن الاغمار انها معجزة له فتبعوه لاجلها على بدعته فاستولى بهم على بلاد المغرب ثم خرج المعروف منهم بأبي سعيد الحسين بن بهرام على أهل الاحساء والقطيف والبحرين فأتى بأتباعه على أعدائه وسبي نساءهم وذراريهم واحرق المصاحف والمساجد ثم استولى على هجر وقتل رجالها واستعبد ذراريهم ونساءهم .

ثم ظهر المعروف منهم بالصناديقي باليمن وقتل الكثير من أهلها حتى قتل الاطفال والنساء وانضم اليه المعروف منهم بابن الفضل في أتباعه ثم ان الله تعالى سلط عليهما وعلى أتباعهما الأكلة والطاعون فماتوا بهما

ثم خرج بالشام حفيد لميمون بن ديصان يقال له أبو القاسم بن مهرويه وقالا لمن اتبعهما هذا وقت ملكنا . وكان ذلك سنة تسع وثمانين ومئتين فقصدهم سبك صاحب المعتضد فقتلوا سبكا في الحرب ودخلوا مدينة الرصافة واحرقوا مسجدها الجامع

---

(١) بلاساغون بالغين المعجمة بلد عظيم في ثغور الترك وراء نهر سيحون قريب من كاشغر

وقصدوا بعد ذلك دمشق فاستقبلهم الحامي غلام بن طيلون وهزمهم الى الرقة فخرج اليهم محمد بن سليمان كاتب المكتفي في جند من أجناد المكتفي فهزمهم وقتل منهم الالوف فانهزم الحسن بن زكريا بن مهرويه الى الرملة فقبض عليه والي الرملة فبعث به وبجماعة من أتباعه الى المكتفي فقتلهم ببغداد في الشارع بأشد عذاب . ثم انقطعت بقتلهم شوكة القرامطة الى سنة عشر وثلاث مئة

وظهرت بعدها فتنة سليمان بن الحسن في سنة احدى عشرة وثلاث مئة فانه كبس فيها البصرة وقتل أميرها الفلحي ونقل أموال البصرة الى البحرين . وفي سنة اثني عشرة وثلاث مئة وقع على الحجيج في الهبير لسبع بقيت من المحرم وقتل اكثر الحجيج وسبي الحرم والذراري . ثم دخل الكوفة في سنة ثلاث عشرة وثلاث مئة فقتل الناس وانتهب الاموال   وفي سنة خمس عشرة وثلاث مئة حارب ابن أبي الساج وأسره وهزم أصحابه وفي سنة سبع عشرة وثلاث مئة دخل مكة وقتل من وجده في الطواف . وقيل انه كان بها ثلاثة آلاف وأخرج منها سبع مئة بكر واقتلع الحجر الاسود وحمله الى البحرين ثم رد منها الى الكوفة ورد بعد ذلك من الكوفة الى مكة على يد أبي اسحاق بن ابراهيم محمد ابن أبي يحيى مزكي نيسابور في سنة تسع وعشرين وثلاث مئة

وقصد سليمان بن الحسن بغداد في سنة ثماني عشرة وثلاث مئة فلما ورد هيت رمته امرأة من سطحها بلبنة فقتلته وانقطعت شوكة القرامطة وصاروا بعد قتل سليمان بن الحسن مبذرقين (١) للحجيج من الكوفة والبصرة الى مكة بخفاءة ومال مضمون لهم الى ان غلبهم الاصفر العقيلي على بعض ديارهم .

وكانت ولاية مصر وأعمالها للاخشيدية وانضم بعضهم الى عبيد الله الباطني الذي كان قد استولى على قيروان ودخلوا مصر في سنة ثلاث وستين وثلاث مئة وابتنوا فيها مدينة سموها القاهرة يسكنها أهل بدعته وأهل مصر ثابتون على السنة الى يومنا وان اطاعوا صاحب القاهرة في اداء خراجهم اليه .

وكان أبو شجاع فناخسرو بن بويه قد تأهب لقصد مصر وانتزاعها من أيدي

---

(١) المنار : أي خفراء والبذرقة بالدال المهملة والمعجمة الخفارة

الباطنية وكتب على اعلامه بالسواد : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ، ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ، وقال قصيدة أولها

اما ترى الاقدار لي طوائعا قواضبا لي بالعيان كالنظر
ويشهد الانام لي بأنني ذاك الذي يرجى وذاك المنتظر
لنصرة الاسلام والداعي الى خليفة الله الامام المفتخر

فلما أخرج مضاربه للخروج الى مصر غافصه (١) الاجل فقضى لسبيله فلما قضى قابوس وصحبه طمع زعيم مصر في ملوك نواحي الشرق فكاتبهم يدعوهم الى البيعة له فأجاب قابوس بن وشمكير عن كتابه بقوله : اني لا أذكرك الا على المستراح . وأجابه ناصر الدولة ابو الحسين محمد بن ابراهيم بن سيمجور بأن كتب على ظهر كتابه اليه (قل يا أيها الكافرون لا اعبد ما تعبدون) الى آخر السورة . وأجابه نوح بن منصور والي خراسان بقتل دعاته الى بدعته .

ودخل في دعوته بعض ولاة الجرجانية من أرض خوارزم فكان دخوله في دينه شوما عليه في ذهاب ملكه وقتله أصحابه ثم استولى يمين الدولة وأمين الملة محمود ابن سبكتكين على أرضهم وقتل من كان بها من دعاة الباطنية .

وكان أبو علي بن سيمجور قد وافقهم في السر فدانوه بالأمر في ذلك وقبض عليه والي خراسان نوح بن منصور وبعث به الى سبكتكين فقتل بناحية غزنة وكان ابو القاسم الحسن بن علي الملقب بن الشمشد داعية أبي علي بن سيمجور الى مذهب الباطنية وظفر به بكتوزون صاحب جيش السامانية بنيسابور فقتله ودفن في مكان لا يعرف وكان اميرك الطوسي والي ناحية ناروبه قد دخل في دعوة الباطنية فأسر وحمل الى غزنة وقتل بها في القلعة التي قتل فيها أبو علي بن سيمجور . وباد بذلك نصراء الباطنية من تلك البلاد ومن هذا بيان شوم الباطنية على منتحلها فليعتبر بذلك المعتبرون (لها بقية)

---

(١) المنار : كذا في الاصل ولعل الصواب غافصه أي فاجأه واخذه على غرة

﴿ جميل صدقي افندي الزهاوي ﴾

« مهاجمته بشعرياته للشريعة الاسلامية في حقوق النساء »

نشرت جريدة المؤيد في شهر شعبان من هذه السنة مقالة لجميل صدقي افندي الزهاوي الشاعر البغدادي المشهور ينتصر فيها بتخيلاته الشعرية للنساء على الشريعة الاسلامية الحكيمة ، ومقالة أخرى يدعو فيها العرب الى ترك اللغة العربية الفصيحة واستعمال اللغات العامية التي يتخاطبون بها على سخفها وعسر ضبطها وما تحتاج من العناء والزمن الطويل لتدوينها ووضع الفنون لها لتحفظها وتجعل لتعلمها طريقة فنية وعلى ما في ذلك من تمزيق شمل العرب وجعلهم أمما مختلفة في اللغة فرد عليه الكتاب المسلمون في مصر وسورية والعراق ويقال ان أهل العلم والدين هاجوا عليه في بغداد ورفعوا أمره الى الحكومة فعزلته من عمله في نظارة المعارف وكان معلما للشريعة في مدرسة الحقوق

كنت علمت بما كتبه جميل افندي وانا في الآستانة فلم أر كتابته هذه أهلا لان تقرأ أو يرد عليها ولكنني رأيت نصير الحرية الفيلسوف شبلي شميل قام ينتصر له في هذه الايام ويدعو الكتاب الى ذلك فكتب في المقطم يستفتي الرأي العام العثماني والمصري في حادثته وقد بنى استفتاءه هذا على رسالة جاءته من بغداد يستنكر فيها كاتبها (ولعله جميل افندي نفسه) عزله في عهد الدستور بواسطة مبعوث دستوري (هو مصطفى افندي مبعوث الحلة) وحاكم دستوري (هو ناظم باشا والي بغداد) ويقول ان فريقا من الثائرين يريدون ان تفصل الحكومة بين الرجل وزوجته لانه كفر وفريقا يطلب إبعاده عن البلاد الاسلامية وفريقا يريدون قتله .

وقد عقب المقطم على استفتاء شبلي شميل بكلام في منتهى الشدة والانكار مع اعتراف المعقب بأنه لم يقرأ مقالة الزهاوي ولكن الظلم الفظيع الذي اصاب الزهاوي اضرم نار السخط في صدره وجعل دمه يغلي في عروقه

⁂ني الدكتور شميل بأن اكتب رأيي في المسألة فرجعت الى مقالة الزهاوي في المؤيد لاثبت وأتبين حقيقة الذنب الذي ترتبت عليه العقوبة فرأيته يعترض فيها على ما ثبت في القرآن العزيز وينسبه الى خطأ المسلمين وجهلهم يشير بذلك الى ان القرآن من أوضاعهم بل هو يصرح بذلك بقوله في الجنة « التي وصفوها بقولهم (فيها ما تشتهي الانفس) » وهاك جملة من تلك المقالة بنصها

« وليست المرأة مهضومة من جهة واحدة بل هي مهضومة من جهات عديدة:

ولو كان رمحا واحدا لاتقيته ولكنه رمح وثان وثالث

« فهي مهضومة لان عقدة الطلاق بيد الرجل يحلها وحده ولا أدري لماذا يجب رضاء المرأة في الاقتران ولا يجب رضاها بالفراق الذي تعود تبعته عليها وحدها

« وهي مهضومة لانها لا ترث من أبويها الا نصف ما يرثه أخوها الرجل

« وهي مهضومة لانها تعد نصف إنسان وشهادتها نصف شهادة

« وهي مهضومة لان الرجل يتزوج عليها بثلاث أخر وهي لا تتزوج الا به وحده

« وهي مهضومة لانها وهي في الحياة مقبورة بحجاب كثيف يمنعها من شم الهواء ويمنعها من الاختلاط ببني نوعها والاستئناس بهم والتعلم منهم في مدرسة الحياة الكبرى

« وليست المرأة المسلمة مهضومة في الدنيا فقط بل هي مهضومة كذلك في الاخرى لان الرجل المصلي يعطى من الحور العين من سبعين الى سبعين ألفا وأما المرأة المصلية فلا تعطى الا زوجها وربما اشتهته(١) في الجنة التي وصفوها قائلين (فيها ما تشتهي الانفس) على حين يشتهي هو غيرها من الحور العين اللاء أعطينه » اه

فهذه الجملة الوجيزة من تلك المقالة كلها تهكم بالشريعة واعتراض على القرآن العزيز ولا يمكن أن يصدر مثلها من مسلم يؤمن بالله ورسوله (ص) وسمعت من كثير من الذين عرفوا جميل صدقي افندي في الآستانة انه ملحد لايدين بدين وما كان يجوز لي ان اكتب ذلك جازما به اعتمادا على شهادتهم وان لم أتهمهم بالكذب لانني عهدت من الناس تكفير من أعلم بالاختبار قوة دينهم ولكن هذه

(١) الظاهر ان الاصل اشتهت غيره بدليل مقابله

العبارة كافية للجزم بأن قائلها ليس مسلما ومن يقولها لايختلف احد من فقهاء المسلمين في ردته ، لان جميع هذه المسائل التي ذكرها ثابتة بنص القرآن الا الحجاب على الوجه الذي ذكره . والا مسألة عدد الحور العين لكل مصل فانه عزاها الى الشريعة بجهله بالكتاب والسنة فلا أصل لها في القرآن ولا في الاحاديث الصحيحة وانما ورد في الحديث الصحيح انه يكون للرجل في الجنة زوجتان اثنتان وما ورد من السبعين واثنين وسبعين حوراء فمن روايات الضعفاء والمتهمين بالمنكرات والموضوعات

هذه الاحكام التي اعترض عليها الكاتب اعتراض تهكم وازدراء هي من القوانين الشرعية التي يُحكم بها في محاكم الدولة الدستورية وهي من دين الاسلام الذي هو الدين الرسمي للدولة العثمانية بمقتضى قانونها الاساسي ، وقانون المطبوعات الذي وضعه وأقره مجلس الامة لايبيح الاعتراض والتهكم بدين الحكومة الذي تجب عليها حمايته بل ولا بغيره من الاديان التي أقرتها الحكومة الدستورية في بلادها . فالدستور العثماني لايبيح اذا نشر مثل تلك المقالة التي نشرت باسم الزهاوي فالذي يتعصر له بعد العلم بحقيقة ذنبه في نشرها يكون جانيا على الدستور خارجا عن محيط الحرية التي يشترط عند جميع الامم ان لاتتعدى بها حدود القوانين التي عليها العمل

لو أن الزهاوي اتبع سبيل الحكمة والعقل ، في اعتقاده حدود القانون والشرع ، لقال كثير من العقلاء انه يستحق الرأفة في الحكم ، وأين الحكمة والعقل ممن يزعم انه يريد إصلاح قوم فينكر عليهم ماهو ثابت في أصل دينهم وكتاب ربهم لانه هو لايفقهه ولا يدري حكمته ؟

كان من مقتضى الحكمة والعقل أن يفكر في عاقبة نشر هذا القول ويعلم أن عدم قبوله - وهو الارجح ان لم يكن القطعي المحتم - يهيج عليه الناس فيتأذى هو ولا ينتفعون هم على فرض ان ما دعاهم اليه نافع وان قبوله لا يكون الا ببطلان الثقة بالدين من أصله واذا يقعون في فوضى تستباح فيها الاعراض والاموال فيكون اثمه اكبر من نفعه

ان كان الزهاوي يرى انه لا يمكن إصلاح حال المسلمين ماداموا متمسكين بدينهم وكان حريصا على اصلاحهم فالذي كان يعقل منه أن يسعه هو أن يهدم

الى ترك هذا الدين إما تركه الى إلحاد وكفر مطلق وإما الى دين آخر يراه يتفق مع الاصلاح . وان كان يرى انه يمكن إصلاح حالهم مع محافظتهم على دينهم فالذي يعقل منه أن يدعوهم الى ترك ما لا يحصى من المفاسد التي فعلوها والمصالح الكثيرة التي تركوها مخالفين للاسلام في فعلهم وتركهم وأما هذه الذبذبة وقوله تارة قال الله تعالى ويذكر آية من القرآن واشارته تارة أخرى الى بعض الآيات بقوله « وصفوها قائلين » فليست من العقل ولا من الحكمة في شيء

بعد هذا كله أقول فيما ذكر من عزله واضطهاد الناس له انه كان ينبغي أن يسئل أولاً عن هذه المقالة فان اعترف بأنه هو الكاتب لها فللحكومة أن تعزله قائلة انه لا ينبغي أن يدرس الشريعة من ينكر أصلها الأحكم وسراجها الأنور ، وللناس ان ينكروا عليه ذلك اذ لا يأمن آباء التلاميذ على أولادهم من يشككهم في عدل شريعتهم وحقيتها ويجب عليهم شرعا أن يطالبوا الحكومة بمنعه من التدريس ويجب على الحكومة ان تجيبهم الى ذلك . واذا رفع أمره الى القاضي الشرعي وثبت عنده انه هو الذي تهكم بالشريعة ونسبها الى الجور والظلم في أحكام الارث والطلاق وتعدد الزوجات بشرطه فعليه أن يحكم بردته ويفرق بينه وبين امرأته ان كانت مسلمة

هذه هي شريعة الدولة ليس لعاقل أن ينكر عليها تنفيذها ما دامت هي شريعتها وان كان هو لا يدين الله بها ولا يرى انها عادلة كما ان بعض رجال القانون بمصر يرون ان في القانون المصري اموراً منتقدة ضارة يجب تنقيحها أو تغييرها ولكنهم لا يجيزون تقصير الحكومة في تنفيذها ما دامت مقررة في القانون

نعم اننا لا نفتي الناس بجواز الاعتداء عليه بقتل ولا ضرب ولا سب ولا على ماله بغصب ولا سلب فان اجازة اعتداء الناس على من يرونه مذنبا بالكفر أو المعصية يوقع البلاد في الفوضى والفتن ويسلب منها الامن على الأنفس والأموال والأعراض ويبطل سلطة الحكومة ، ولكن لهم أو عليهم أن يظهروا له السخط والانكار فان انكار المنكر فرض محتم وهو الركن الاقوى لحفظ الآداب العامة والفضيلة فكل أمة تكرم أهل المنكر تهبط وتفسد وكل أمة تحترم تعلو وتصلح ، وقد علمنا ان بعض

سراة الانكليز ارتكب فاحشة اللواط فلما عرف ذلك عنه فضل بخع نفسه (الانتحار) على الظهور بين قومه مهينا محقرا ، ومن يعظم ويكرم من يعتقد انه لا يستحق التكريم فهو منافق ويستحيل ان ترتقي أمة يفشو فيها النفاق ما لم تتركه

نعم ان احترام استقلال الفكر من أعظم أسباب ارتقاء العقل والعلم ولكن مسألة الزهاوي لاتدخل في هذا الباب لانه لم يبد رأيا دينيا في ضمن دائرة الدين مخالفا لبعض المذاهب بالدليل ، ولا رأيا علميا في ضمن دائرة العلم بعيدا عن مس كرامة الدين ، بل أهان الامة بالتهكم بدينها ، والحكومة بالخروج على شريعتها وقوانينها ، ويعتقد كل من الامة والحكومة ان ما كتبه يضر لانه يبطل ثقة العامة بدينها ، وما رأينا الدكتور شميلا استباح لنفسه مثل هذا وهو اشهر كتاب العرب استقلالا في رأيه وعلمه ولذلك يحترم استقلاله المسلمون كغيرهم ويكرمونه تكريما ، وما أراه يرضيه ما كتبه الزهاوي - وقد علمه - بل يرضيه منه إما ان يكون مسلما يذعن لكل مايعتقد انه من دينه وإما أن يصرح بأنه ليس مسلما ويظهر رأيه المخالف للاسلام على انه رأي له مع التزام الادب واجتناب جرح قلوب القوم الذين يخالفهم ، وما أراه يستحسن منه في هذه الحال ان يكون مدرسا يقرر شريعة يعتقد انها ظالمة بل لعله يحتم عليه ان يرفض هذا الدرس من نفسه كما رفض الفيلسوف سبنسر الوسام الذي أهداه اليه عاهل الالمان لانه هو يرى وجوب ترك الحرب وذلك الملك اشد الملوك استعدادا لها

وأما الحكومة فيجب عليها أن تحمي الزهاوي من اعتداء الناس عليه ومن اهانته بما يعاقب عليه القانون وان لاتعاقبه هي الا بعد المحاكمة وثبوت الجرم والحكم به . ولتعلم ان اتباعها الاهواء العامة أو الخاصة في معاقبة الناس هو قلب لمعنى السلطة وإضاعة للحكومة فان اهواء الناس لاتقف عند حد الشرع والقانون ولا العقل والمصلحة فاذا لم تعن الحكومة في كل مكان بحفظ الحرية الشخصية اشد العناية فان الدستور لاتقوم له قائمة وتظل البلاد هاوية في الشقاء والخراب ، وقد قصرت حكومتنا الدستورية بهذه المسألة في كل الولايات حتى ان الناس يشعرون أن النفوذ الاعلى لايزال لاصحاب العصبية ولعصاباتهم من الاشقياء ، ويلي هذا تأمين عمالها الموظفين

على وظائفهم وعدم عزل أحد منهم بغير محاكمة والمطالب بهذا عاصمة البلاد في هيئتيها النيابية والتنفيذية فليس الامر خاصا بالعراق ، بل مصدره عاصمة المملكة فيجب على الاحرار المحبين للاصلاح أن يطلبوه من هناك

وليس هذا المقام مقام الرد على شبهات الزهاوي ومن راجع مجلدات المنار والتفسير يجد فيها الرد الكافي

بعد هذا ننصح لجميل صدقي افندي فنقول ان ماحصل هو نتيجة طبيعية لتلك المقالة تكاد تكون بديهية وان أهل بلادنا العثمانية لايطيقون الجهر بمخالفة عاداتهم فيشغبون على صاحبه باسم الدين وانك رجل مستعد وميال للفلسفة والعلوم الطبيعية والادبية فدع البحث في الدين لاهله المستعدين له واشتغل بخدمة الامة من الطريق الذي يرجى ان تنفعها به ، وقد قال الاستاذ الامام ان من اسباب عقم الامة ان من يتقن فيها علما أو عملا أو من هو مستعد لاتقانه ذلك يشتغل بغيره مما لم يتقنه ولم يخلق مستعدا له فلو صرفت ذكاءك الى وضع كتب صغيرة حسنة الترتيب سهلة الاسلوب لمطالعة العوام والتلاميذ وتعليمهم مايطبع ألسنتهم على اللغة الصحيحة ويقوي ملكة الآداب والفضائل في انفسهم او رسائل لتعليم بعض الفنون التي تحسنها لافدت واستفدت وكنت من المصلحين ، ولعلك تفعل ذلك بعد ان تنجلي هذه الثمرة عن قريب

* * *

﴿ حجة جديدة لبراءة الزهاوي من المقالة ﴾

بعد كتابة المقالة جاءنا المؤيد يقول إنهم قابلوا خط رسالة مقالة الدفاع عن المرأة بخط بعض القصائد التي كان أرسلها الزهاوي للمؤيد من قبل فوجدوا الخط مختلفا غير متشابه فاذا انكر الزهاوي تلك المقالة وتبرأ مما فيها من الاعتراض على الشريعة تبرؤا جليا واضحا لا كما كتب في جريدة الرقيب فان ما كتبه المؤيد الآن يصلح حجة على تأييد إنكاره وحينئذ نطالب الحكومة والاهالي بجعل الحادثة كان لم تكن شيئا مذكورا

النظام الجديد

(للجامعة الازهرية)

فتح الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في الازهر روح الاصلاح وشوق طلابه الى النظام والعلوم والفنون ، وقال يستحيل أن يبقى الازهر على حاله بعد فاما أن يصلح وإما أن يسقط ويزول ، وقد ظهر صدق رأيه بعده فقام طلاب الازهر وكثير من شيوخه يطالبون باصلاح التعليم وادخال العلوم والفنون الطبيعية والرياضية التي تدرس في مدرسة القضاء الشرعي في الازهر ، وهاج الازهريون في العامين السابقين واعتصبوا لاجل ذلك حتى انفضت حلق الدروس كلها من الازهر ، ووضعت لهم الحكومة في أثناء ذلك نظاما جديداً لم يقبلوه بل طلبوا أمورا أخرى لم تجبهم اليها الحكومة وسنبين ذلك في مقال آخر . بعد ذلك عهدت الحكومة الى احمد فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحقانية أن يضع نظاما جديدا للازهر بمساعدة اسماعيل صدقي باشا وكيل نظارة الداخلية وعبد الخالق ثروت باشا النائب العمومي ، وقد عني رئيس هذه اللجنة احمد فتحي باشا بالامر واشتغل به مدة صيف هذه السنة وراجع لاجله جميع القوانين والنظامات التي وضعت للازهر من ١٢٨٨ الى الآن اي منذ اربعين سنة وبعد وضع النظام الجديد طبعته اللجنة وطبعت معه القوانين والنظامات التي أشرنا اليها في دفتر خاص فكان سفرا كبيرا قدمته للحكومة وانا ننشر في هذا الجزء من المنار المذكرة التي بين فيها ما يشتمل عليه النظام الجديد بالاجمال وسننشر بعدها قانون هذا النظام كله

مذكرة

(بيان مشتملات المشروع)

لما كانت المعاهد الدينية الاسلامية آخذة في النمو وكان من الواجب أن يكون

نظامها وحالة التعليم فيها موافقا لرقي الامة وحاجاتها وجب الاهتمام بأمر هذه المعاهد وتوحيد بروغراماتها وتنظيم ادارتها بما يكفل الحصول على الفائدة المطلوبة منها

ولذلك وضع مشروع القانون المرفق بهذه المذكرة شاملا للقواعد والاحكام التي تناسب حالة المعاهد المذكورة وخلاصته ما يأتي

(١) اعتبرت المعاهد الدينية الاسلامية الموجودة الآن بالقطر المصري مجموعا تتكون منه جامعة واحدة سميت (الجامعة الازهرية) نسبة الى الجامع الازهر الذي هو أكبرها وأقدمها وذكرت المعاهد الاخرى وهي الموجودة في الاسكندرية وطنطا ودسوق ودمياط وذكر على وجه الاجمال الغرض من هذه الجامعة وهو نشر العلوم الدينية وتعليمها على وجه يفيد الامة

ويدخل في الجامعة كل معهد يؤسس في القطر المصري بارادة سنية ثم لوحظ أن هناك معاهد أهلية يطلب منشئوها الحاقها بالجامع الازهر وقد يوجد مثل ذلك في المستقبل فتقرر أن مجلس الازهر الاعلى يضع لائحة ببيان الشروط التي يجوز بمقتضاها الحاق المعاهد التي من هذا القبيل بالجامعة الازهرية وأن يصدق على اللائحة المذكورة بارادة سنية (راجع المادتين ١ و ٢)

أما الرئاسة الدينية بالنسبة لاهل العلم ومن ينتمي الى الجامعة فقد جعلت لشيخ الجامع الازهر جريا على ما كان معروفا من قبل كما صار بصفته رئيسا لمجلس الازهر الاعلى المنفذ العام لجميع القوانين واللوائح والقرارات المختصة بالجامعة الازهرية (المادتين ٣ و ٤)

(٢) وضعت الادارة العليا في الجامعة الازهرية الى مجلس أعلى يتألف تحت رئاسة شيخ الجامع الازهر من مفتي الديار المصرية ورؤساء المذاهب ومدير عموم الاوقاف المصرية وثلاثة يختارون من ذوي المكانة والدراية ممن تستفيد منهم ادارة هذه الجامعة نظرا لخبرتهم ومعارفهم في المسائل النظامية والادارية

وجعل لكل معهد شيخ تناط به ادارته ويشكل تحت رئاسته مجلس ادارة في الجامع الازهر ومعهدي الاسكندرية وطنطا للنظر في المسائل التي تقتضي المشورة

وليكون ذلك ضامنا لحسن سير المعاهد وكفيلا لاهلها قيامهم من الحقوق وقيامها على أداء ماهو مطلوب منهم من الواجبات

وأباح القانون تعيين وكلاء المشايخ في المعاهد اذا اقتضت حالة الادارة ذلك

وأما بقية المعاهد فجعل أمر ايجاد مجالس الادارة فيها موكولا الى أحوالها المخصوصة فاذا ارتقت وأصبح ذلك لازما لها فللمجلس الاعلى أن يقرره بقيود وشروط مخصوصة

وحددت اختصاصات كل ركن من أركان هذه الادارة بما يناسبه على وجه يضمن حسن سير النظام ورقي التعليم

ولما كان التعليم في الجامع الازهر يحتاج الى مراقبة كبيرة نظرا لكثرة طلابه أنشئت فيه ثلاث ادارات للتعليم لكل قسم من أقسامه الثلاثة ادارة خاصة بهتحت رئاسة شيخ مخصوص ومعه مايلزمه في ذلك من المراقبين والعمال (راجع المواد ٥ الى ٢٠)

(٣) تقرر أن يكون تعيين شيخ الجامع الازهر ومشايخ المعاهد والوكلاء ومشايخ المذاهب وأعضاء المجالس بارادة سنية

وأن يختار شيخ الجامع الازهر ومشايخ المذاهب من هيئة كبار العلماء وأن يختار الباقون ماعدا اعضاء المجلس الاعلى ممن أمضوا سنين معدودة في التدريس وكانوا من أرباب كساوى التشريف (راجع المواد ٢١ الى ٢٣)

(٤) أما العلوم التي تدرس بالجامعة فهي العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية يضاف اليها مايلزم من العلوم والفنون الاخرى التي تلزم لمثل هذه الجامعة مما يكون فيه لطلابها عون على التضلع من علومهم الاصلية التي هي المقصد الاول من وجودها

وقسم التعليم الى ثلاثة أقسام أولى وثانوي وعال وخصصت مواد كل قسم كما حددت مدة التعليم فيه

ووضعت البروغرامات بحيث ينتهي تعلم العلوم التي من النوع الاخير في نهاية القسم الثانوي حتى بذلك يتفرغ الطلبة الى العلوم الاساسية في الجامعة (راجع المواد ٢٤ الى ٣١)

(٥) تكفلت (المواد ٣٢ الى ٣٦) ببيان مبدإ الدراسة السنوية ونهايتها وأيام العطلة في المواسم المخصوصة لكل معهد بحسب أحوال المدينة التي هو موجود فيها

(٦) وضعت في الباب الثالث قواعد الامتحان والشهادات وتقرر أن الامتحانات تكون نصف سنوية وسنوية والامتحان الاولي والامتحان الثانوي والامتحان العالي وفصلت طريقة اجرائه وحددت الدرجات التي يعتبر الطالب التي يحوزها ناجحا في الامتحان (راجع المواد ٣٨ الى ٥٣)

واعتبرت الشهادات ثلاثا شهادة القسم الاولي وشهادة القسم الثانوي وشهادة القسم العالي وحددت الامتيازات التي تكون لحامل كل واحدة منها بحسب العلوم التي يكون قد تلقاها

وأهم ما في هذا القسم هو إلغاء درجات العالمية الثلاث واعتبار الحاملين لشهادة العالمية الجديدة متساوين في الامتيازات المترتبة عليها مع ترتيبهم بحسب متوسط درجات الامتحان « راجع المواد ٥٤ الى ٥٥ »

(٧) وفي الباب الرابع بيان شروط الانتساب في الجامعة الازهرية بالنسبة للمصريين والغرباء والشروط التي يمكن قبول الطلبة بها في غير السنة الاولى

وذكرت واجبات الطلبة والمدرسين على وجه الاجمال مما تكمل اللائحة الداخلية بتفصيله (راجع المواد ٦١ الى ٧٥)

(٨) واشتمل الباب الخامس على بيان الاجازات الاعتيادية والاستثنائية والمرضية التي يجوز الترخيص بها للطلبة والمدرسين و بقية الموظفين (المواد ٧٦ الى ٨٦)

(٩) وذكر في الباب السادس الاحكام المختصة بتأديب الطلبة والمدرسين والموظفين وخولت السلطة فيها للمجالس الادارة بصفة ابتدائية بالنسبة لغير الطلبة والمجلس الاعلى بصفة مجلس استئناف

وحددت العقوبات وكلها مما هو معروف عند الازهريين وفي بقية المصالح

واختصت هيئة كبار العلماء بالنظر في أمر من يأتي من العلماء بما لا يناسب وصف العالمية وأجيز الحكم عليه من ثلثي الهيئة بابطال شهادة عالميته راجع (المواد ٨٧ الى ١١١)

(١٠) ونص في الباب السابع على ايجاد هيئة من كبار العلماء يكونون من الاخصائيين في الفنون الازهرية بشروط وقيود مخصوصة (المواد ١٠٣ الى ١١٥)

(١١) وفي الباب الثامن بيان الاحكام المختصة بميزانية الجامعة الازهرية واستقلالها وفيه ابطال توزيع النقود المعبر عنها ببدل الكساوي وكذلك ثمن الغلال القابل للانحلال ومرتبات أولاد العلماء على النحو الذي كان معروفا من قبل

وتقرر ايجاد لائحة خاصة بالتقاعد وما يعود من ذلك على أولاد العلماء المشار اليهم (المواد ١١٦ الى ١٢٠)

وشكلت لجنة للحث على تأليف الكتب النافعة لاهل الجامعة وجعلت لمؤلفيها مكافآت مخصوصة وكذلك جعلت مراقبة الاوقاف التي للجامعة الازهرية نصيب فيها حالا أو مآلا لشيخ الجامع الازهر ومجالس الادارة ومجلس الازهر الاعلى مع المحافظة على ما لديوان الاوقاف من الحقوق والاختصاصات في ذلك

وشكلت لجنة لحصر الاوقاف المذكورة والنظر في توحيد المرتبات المأخوذة من ريعها والنظر في ابدال الجرايات بنقود (المواد ١٢١ الى ١٣٣)

وبينت الأحكام المختصة بمنح كساوي التشريف العلمية والمظهرية (المواد ١٣٤ الى ١٣٧)

(١٢) واشتمل الباب التاسع على الاحكام العمومية وهي ترجع الى بيان من هو العالم والى وجوب مراعاة شروط الواقفين والى ما يجب على مجلس الازهر الأعلى أن يضعه من اللوائح المختصة بالمكاتب التحضيرية واللائحة الداخلية للجامعة الازهرية ونظام الاروقة والحارات وترتيب درجات المدرسين والموظفين والتقرير السنوي العام (المواد ١٣٨ الى ١٤٦)

(١٣) أما الباب العاشر فيشتمل على الاحكام الوقتية وهي نوعان عامة وخاصة

فالاولى تختص بأرباب المرتبات الحاليين وبما للازهر من المرتبات التي كانت خرجت من الازهر بأحكام سابقة وبأولاد العلماء من ذوي المرتبات وبابطال التمييز بين المال الذي يأتي للجامعة الازهرية من ديوان الاوقاف العمومية وبين المال الذي يأتيها من قبل الحكومة وبالعلماء الغير المخصصين بالجامعة الازهرية

وأما الاحكام الوقتية الخاصة فانها تتعلق بكيفية سريان هذا النظام وانه خاص بالمنتسبين للجامعة الازهرية ما عدا طلبة الجامع الازهر الذين انتسبوا فيه قبل وجوب العمل بذلك النظام

أما هؤلاء فوضعت لهم أحكام مخصوصة تلائم أحوالهم وتناسب التعليم الذي كان متبعا في الجامع الازهر قبل ذلك

المنار

إننا لم نكن نظن ان ينال الازهر هذه المنح الجليلة ، في هذه المدة القصيرة ومن السنن الالهية المطردة في الاجتماع والعمران ان الاصلاح والترقي لا ينجح ويثبت الا اذا تدرج أهله فيه تدرجا ، وقد قلنا في مقدمة العدد الاول من سنة المنار الاولى فيما بيناه من مذهبه وخطته « ونرشد (اي الصحيفة) العاملين الى إن محاولة الطفور غرور ، وان طلب الغاية في البداية عجز وحرمان ، وان مراعاة السنن الالهية ، ومسايرة النواميس الطبيعية ، كافية بفضل الله تعالى لبلوغ كل مقصد ونيل كل مرام » فعملا بهذه القاعدة ننصح لاخواننا الازهريين أن يتلقوا هذا النظام بالقبول والشكر ، والعناية بتنفيذه فاني أخشى وأنا لا أراه منتهى الكمال أن نعجز عن تنفيذه وان يكون ما روعي فيه من سنة التدرج تدرجا سريعا

ان المنار عني بالحث على إصلاح التعليم وتوسيع دائرته في الازهر منذ أنشئ (منذ ١٣ سنة) وكنا ننكر تلك الحالة فيغضب منا الكثيرون اذ يسمون الشكوى من تعليم الازهر إهانة لعلمائه ثم اتفق سوادهم الاعظم على الشكوى مثلنا فاتفقنا ولله الحمد وعسى أن يكون مااتفق فيه قبول هذا النظام والعناية بتنفيذه فقد أعطاهم من السلطة الدينية الرسمية مالم يكن لهم ووسع عليهم الرزق الذي يعينهم على ان يتفرغوا للعلم وأباح لهم تنقيح النظام والتصرف فيه عند الحاجة الى ذلك وما أظن انهم يغلون فيطلبون الطفرة ويدعون ان ما نراه كثيرا قليل

وقد كان مما طلبه الازهريون إلغاء مدرسة القضاء الشرعي وكان هذا أشد ما أنكرته عليهم فهذه المدرسة ستكون أم الاصلاح للجامعة الازهرية بتخريجها

المعلمين القادرين على تدريس العلوم والفنون التي يسمونها الجديدة وقد جعلها النظام الجديد تابعة للازهر دون نظارة المعارف فكأن الازهر ربح بها ما تنفقه الحكومة عليها وهو يزيد على عشرين الف جنيه ، وسيعطى الازهر ثلاثين الف جنيه لاجل تنفيذ النظام الجديد، فهل يعذر من لا يشكر الله على هذا النظام ثم الامير وحكومته ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » رواه احمد وابو داود وابن حبان من حديث ابي هريرة واحمد والترمذي والضياء بلفظ « من لم يشكر الناس لا يشكر الله » وبهذا اللفظ أخرجه السيوطي في الجامع الصغير وعلم عليه بالصحة

باب المراسلة والمناظرة

« جمعية المبشرين في روسية »

أنشأت مجلة الشورى التي تصدر في أرينبوغ من روسية في عددها السابع عشر الصادر في سنة ١٩١٠ مقالة عنوانها « نحن والمبشرون » بقلم هادي أفندي أطلاسف الذي كان عضوا في مجلس « الدوما » الأول فاستحسنا نقلها لقراء مجلة المنار الاغر ، وتصرفنا فيها تصرفا قليلا

بعد ما بين حضرته في مقالته معنى التبشير لابناء جنسه قال ما يأتي بعد ·

إننا نعرف من الجمعيات جمعية تدعى « جمعية مبشري الكاثوليك » المقصد الاساسي لها هو التبشير بالنصرانية والاجتهاد في تنصير المجوس والوثنيين وغيرهم من أصحاب الاديان · وهذه الجمعية المذكورة تجتهد في ذلك الصدد وتجد فيه منذ أمد غير قريب ، فهي قصدت بعطلها هذا ممالك الهند والصين من القرن الخامس عشر بل الثالث عشر ، وأخذت تنصر من أهالي تينك المملكتين بقدر ما تستطيع فتيسر لها أن تنصر من المجوس ما بلغ عددهم الآلاف بل الملايين · وكما بينا عدد هؤلاء الذين تنصروا باجتهاد تلك الجمعية يلزم علينا أيضا أن نبين ماصرفته في هذا الصدد

أي في تنصيرهم . ولا نكون مخطئين اذا قلنا : إن هذه الجمعية لم تحظ بذلك الحظ الموفور ، إلا باتعاب نفسها القوية وصرف جهدها و بصرف المبالغ الكثيرة التي تعد بالملايين من الاصفر الرنان في سبيل ذلك

وهؤلاء الضيوف الذين جاءونا من غير دعوة (أي المبشرون) ما اقتصرت دعوتهم الى النصرانية على البلاد التي أهلها من المجوس ، بل تصرف جهدها الجهيد الآن باتخاذ الوسائل لنشر دعوتها في الممالك الاسلامية مثل سورية ومصر وتركية وإيران .

كان عيسى عليه السلام رؤوفا رحيما بجميع الناس ووعظ أمته بقوله هذا : « لا تقتلوا نفسا وأحبوا أعداءكم » ولكن كيف كانت سيرة هؤلاء الذين يدعون انهم ناشرو دينه عليه السلام ؟ هل سلكوا مسلكه تماما ؟ أم خالفوه مخالفة لا يرضى عنها عليه السلام لو كان حيا ؟ الحق ان هؤلاء الذين يدعون أنهم ناشرو دين عيسى عليه السلام قد سلكوا مسلكا يخالف تعليمه وهديه أشد المخالفة . منذ أمد بعيد أسست في روسية جمعيات كثيرة لأجل التبشير بالنصرانية وتنصير من لم يتنصر في هذه البلاد الى الآن . وكثرت في الاماكن التي يكثر فيها المسلمون « بل يصح لنا أن نقول في بلاد المسلمين كقزان وقوقاز وقرغيز وغيرها » أسسوا تلك الجمعيات بين المسلمين . ولكن كيف كان حظهم منهم ؟ هل نالوا الحظ الموفور مثل ما نالوا من المجوس ؟ لا لا انهم ما نالوا ذلك قط بل كان حظهم منهم الاقل في الاقل . مثلا في سنة ١٨٩٣ صرفت جمعية اكتاي جهدها المستطاع في هذا الصدد فنصرت ثلاث مئة واثنين وخمسين نسمة ولكن لم يتيسر لها أن تنصر في هذا العدد الكبير غير ثمانية أشخاص فقط من المسلمين . وفي سنة ١٩٠٦ لم يقع أحد في شركهم وأما في سنة ١٩٠٧ فنصروا مئة وأربعاً وستين نسمة منهم ثلاث من المسلمين لا غير .

قلنا كثرت تلك الجمعيات في الاماكن التي يكثر فيها المسلمون ، فنذكر الآن من جملة تلك الجمعيات « جمعية مبشري القرغيز » وكم تنصر من القرغيز بهمة تلك الجمعية ؟ انه تيسر لها في سنة ١٩٠٦ أن تنصر ١٩ منهم . ولكنها لم يتيسر لها تنصير أحد في سنة ١٩٠٧ من أبناء القرغيز غير اثنين من أرذال الناس « كان أحد هذين الاثنين مسلما قبل تنصره »

ولو جعلنا نفقات تلك الجمعية من الدنانير في هذه المدة من أجل ذلك أمام أعيننا لوجدناها تبلغ أربعة عشر الفا من الروابل « كل روبل عشرة قروش مصرية » ووجدنا أيضا هذين الشخصين من رغام القرغيز وأرذالها قد بلغت قيمة كل واحد منهما على الجمعية « سبعة آلاف روبل » ولوجدنا ربح هذه الجمعية أقصى من ربح تلك التي تصدت لتنصير المجوس بكثير

أسست في غضون هذه الاسابيع فقط في « اركوتسكي » جمعية تدعى أيضا جمعية المبشرين فأصرحت جريدة « الربيع » « جريدة روسية تصدر في بطرسبورج » باللوم عليها في مقالتها التي نشرتها في عددها الموفي مئتين ، قالت فيها : إن مبشرينا لا يعرفون ما يجب عليهم لانهم كسالى من جهة وجهلاء من أخرى ، ولا يقدرون أن يؤدوا وظيفتهم التي أخذوها على عاتقهم حق التأدية ، ولكني لا أوافق فكرة جريدة « الربيع » بل أريد أن أخالفها أريد أن أمدح هؤلاء المبشرين ولا أعيبهم ، ولكن مدحي لهم يكون كأضحوكة كما أنهم كذلك ، واني وان لم استحسن أن أمدحهم من حيث انهم يحاولون دائما أن ينصروا المسلمين ويجتهدون في ذلك بالتشمير عن ساعد جدهم لا أرى بأسا بمدحهم من جهة أخرى ، فاني أفهم من محاولتهم هذه انهم بذلك ينبهون أمة التتر التي طال مكثها في سباتها العميق وانغماسها في بحر الغفلة سنين طويلة . وكأني بهم أي بالمبشرين يعنون بعملهم هذا أمة التتر اعانة تذكر ، ويوقظونها إيقاظا لا يطرأ عليها النوم بعده أبدا ، والذي لا شك فيه عندي : ان الذين بثوا روح الملة وحسها وغيرة الدين في روسية الوسطى أي « في أطراف قزان وسمبر وساراتوف وأرينبورغ الى آخره » ليسوا الا أولئك المبشرين

والحمية الدينية وغيرتها التي يستفيدها الذي يقرأ ويطالع مؤلفات المبشرين مطالعة جيدة مما لا يمكن تحصيلها من مؤلفات « الايشان » وهم « رؤساء طرق الصوفية » هذا معلوم لكل انسان . والذي لا أشك فيه في نفسه في بث روح الملة وحسها وغيرة الدين الا مفعول المكاتيب المشهورة « لأيلمنسكي » الذي كان من أكبر المبشرين في زمانه وأعظمهم وأكثرهم دهاء « وليو بيتوفسف » وهذا ايضا كان كذلك حتى اني أعد تلك المكاتيب أنفع وأفيد من مكاتيب الامام الرباني كرات عديدة

الآن تصدر في مدينة مسكوف مجلة تدعى مجلة « فيرنوست » من قبل المبشر « واسترغوف » المشهور في مجلس « السناتو » ويكتب في هذه المجلة أشياء كثيرة في شأن المسلمين ، وعلى الخصوص المقالات التي تكتب بقلم « واسترغوف » نفسه وقلم كاتب آخر يدعى « ميدفيدسكي » تكون عائدة للملل غير ملة الروس ، وفي هذه المجلة مجلة « فيرنوست » من تنبيه الافكار واحياء الشعور الاسلامي لمن يعتني بقراءتها ومطالعتها مطالعة جيدة ما ليس في قراءة مجلة « دين ومعيشت » التي من شأنها أن تكون داعاً عقبة كأداء أمام العلوم والمعارف ولا أثر لها في المحافظة على الدين ولا المعيشة وإن ادعت ذلك بل لا يمكن لاحد تحصيل تلك التيقظات والتنبيهات من مجلة دينية محضة أيضاً .

ولو كان الامر لي في قراءة المجلات المنبهة للانسان من سباته العميق كما أريد لأمرت كل مشايخ التتر بقراءة مجلة « فيرنوست » لكي يعتبروا بما فيها ويكونوا بعد ذلك اثبت قدماً في الدين الاسلامي المبين

نرى في بادئ النظر أن المبشرين أشد الناس ضرراً للمسلمين ، واذا أمعنا النظر لانجدهم كذلك بل نجدهم عكس ما نعتقد فيهم ، نجدهم مما لا بد منهم في تزييد محبة ابناء التتر لملتهم وتثبيت جرثومة الاتفاق والاتحاد فيما بينهم . ثم إنهم ينصرون منا عدة اشخاص ، فلينصروا ؟ وهم لا يضروننا بذلك شيئاً بل العكس يفيدوننا لان الذين يعتنقون النصرانية بسببهم لا يكونون الا من الذين لا يعرفون من الدين والشريعة شيئاً بل يكونون من الفسقة والجهلة وشياطين الناس . لا من المسلمين حقيقة ماذا يحصل علينا إن طهروا ملتنا النجيبة التترية وشذبوها من مثل هؤلاء الرعاع الارذل ؟ : وإني لا أرى من تنصر مثل هؤلاء أقل ضرر للاسلام بل أرى إنه ليست فيهم اهمية للاسلام . إن الضرر الذي يطرأ على الاسلام من اجتثاث تلك الاعضاء الفاسدة فيه وتشذيبه وتنقيته منها ليس شيئاً يذكر بالنسبة الى ما يحصل في الاسلام من المتانة وفي المسلمين من القوة والغيرة على الدين . وهذه الفائدة التي تحصل من ذلك مما لا تقاس بشيء ، ومن أجل ذلك نحن نعد أنفسنا مجبورين على مدح هؤلاء المبشرين ونقول فيهم أنهم منبهو التتر من سباتهم العميق ، بنداء لطيف جداً يعادل نداء المؤذن « حي على الفلاح »

احد قراء المنار

الخلافة الاسلامية

(والجامعة العثمانية)(*)

٣

تنبأ المستر غلادستون مرة على ما يقال فقال « ان الاسلام لا يطول عمره اكثر من ٢٠٠ سنة ثم يتلاشى » فقال خليل بك خالد ردا عليه في كتاب « الهلال والصليب » : « ان ذلك المتنبئ يريد بنبوءته أحد أمرين — اما ان تفني الدول المسيحية بالقوة القاهرة كل مسلم على وجه الارض كما تفعل روسيا أو يتنصر جميع المسلمين بعد مائتي سنة . ولكننا نقول ولا نخشى لومة لائم انه اذا تلاشى الاسلام في ذلك الزمن فلن تكون النصرانية اطول منه عمرا »

وبالرغم من هذه التخرصات لايزال الاسلام على مكانته وسعة انتشاره وتمسك اهله به مع ما بيد النصارى من قوة المال والرجال التي ليس للاسلام شيء منها ولكي يقف القارئ على ماعند المبشرين المسيحيين من معدات التبشير بدينهم ننقل له هنا شيئا عن دعاة النصرانية من الانسكلو بيديا البريطانية « ان عدد جمعيات التبشير ٧٨ جمعية وعدد عمالها ٥٤٤٠ مرسلا ومجموع دخلها السنوي ٣٩٩ ر ١٧٧٩ جنيها »

يدعون مع هذا ان الاسلام دين اعتداء مذموم وتعصب وهجوم تمهيدا لاعمالهم وامالة للرأي العام في العالم المدني . وهل يجحد أولئك القوم ماجاء في القرآن : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله

(*) تابع لما نشر في الجزء التاسع (ص ٧١٣) بقلم علي افندي فهمي محمد .

يصب الفلسطين » فمن ذلك يرى المنصف ان محكمة التحكيم الدولي أو مؤتمر الهاي الذي بذلت أوربا بمجهوداتها في تكبير شأنه وتأثيره دون ان تبلغ بعد الذي بلغته من الرقي المدني لم يأت بما قد جاء به الاسلام منذ ثلاثة عشر قرنا . وفي حديث شريف: « احب الناس الى الله اكثرهم تحببا الى الناس » والتحبب الى الناس أول وسائل السلم والمصافاة . وفي حديث شريف : « لا يضيق سم الخياط عن متحابين ولا تتسع الدنيا بمتباغضين » وفي حديث آخر « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنون حتى تحابوا »

(ثم أورد الكاتب آيات من القرآن على تسامح الاسلام واعتباره لأديان الانبياء السابقين وعدها مع الاسلام دينا واحدا وذكر حرية الاسلام وعدله ثم قال)

اذا وجدت حرية دينية أو سياسية أو اجتماعية أو مساواة أو اخاء فكل ذلك مقتبس بل مقتضب من القرآن والاسلام قال بوسرت سميث المؤلف الانجليزي الشهير في كتابه (محمد والاسلام) : « ان مسيحيا في العصور الماضية اعتنق الاسلام وجعل يقذف المسيح عليه السلام ظنا منه ان ذلك يسر المسلمين فساقه الذين كانوا معه منهم الى القاضي فحكم عليه بالقتل » . وقد حصل مثل ذلك في تركيا منذ ٤٠٠ سنة كما هو مدون في سجلات محاكمها فان يهوديا أهان مسيحيا بمنه كرامة السيدة مريم العذراء فساقه الذين سمعوه من المسلمين الى القاضي فحكم عليه بالقتل كما ورد في كتاب (فتاوى علي أفندي) ومع ذلك لا ينفر ساسة أوربا وسعا ورجال الدين أيضا في رمي الاسلام بالتعصب والاعتداء . جاء في انسكلوبيديا شمبرس : لا شيء اغرب من ذم قسوس من النصارى وتطاولهم على الدين الاسلامي واتهامهم اياه بالقسوة : من هم الذين طردوا المغاربة من اسبانيا لانهم لم يقبلوا دين النصرانية؟ ومن هم الذين فتكوا بالملايين في بلاد المكسيك وبيرو لعدم اعتناقهم المسيحية ؟ وما الذي فعله المسلمون في اليونان من هذا القبيل ؟ لقد عاش المسيحيون قرونا عديدة بجانب المسلمين غير مضغوط عليهم ولم يجبروا في يوم من الايام على ترك عقيدتهم أو التخلي عن قسوسهم أو كنائسهم

ولكننا لا ننكر ان بعض المسلمين اتوا افعالا شائنة ولا يعزى عملهم هذا الى

عقيدتهم الدينية بل لاخلاقهم الشخصية والا وجب علينا ان نبحث هل الدين يأمرهم بتلك الاعمال أم ينهاهم عنها فيتضح لنا جليا ان الاسلام يذم كل معتدائهم غير اننا اذا قارنا ما ارتكبه امثال هؤلاء (الافراد) بما كانت تأتيه (حكومات) أوربا المسيحية البروتستانية وغيرها ضد مذاهبها المخالفة لهان علينا كل شيء وهاهي انجلترا البروتستانتية كانت منذ ٣٠٠ عام فقط تذيق الكاثوليك انواع العذاب والذل لحملهم على ترك مذهبهم القديم واعتناق المذهب الجديد

ولكي يقف القارىء على مقدار توحش أوربا في تعصبها الديني — ذلك التعصب الذي كان يصدر رسميا من الحكومات لامن الافراد — ننقل هنا ما كتبه الاسقف (جودمان) عن معاملة البرتستان وهم الغالبية للكاثوليك وهم الاقلية في انجلترا

دانهم (أي الكاثوليك) ظنوا أنفسهم اتعس حظا مما كانوا في زمن الصابات لانهم كانوا يؤملون خيرا بعد وفاتها كما ان الذين اضطهدوهم لم يفرطوا في ظلمهم خوفا من ان تدور عليهم الدوائر وكانوا يتحملون أشد عقوبات القانون بكل نفس ذائقة الموت فلم تحفظ أرواحهم قوانين البلاد وكان احضار قسيس كاثوليكي الى انجلترا خيانة كبرى عقابها الاعدام فقد شنق رجل ذو وجاهة لاستقباله قسيسا واعدم غيره لمجاهرته بالانتماء لكنيسة رومية وكانت العقوبات تنفذ على الفور والبروتستان يسلبون مايباع ويشترى في السوق من أيدي الكاثوليك وقد أكد لي أحدهم ان الثلث الذي بقي له من املاكه لم يقم بحاجته الابشق النفس حتى عجز عن دفع المظالم عن نفسه بالرشوة . وكان أولاد الكاثوليك يؤخذون صغارا لينشؤا على المذهب الآخر وكانوا لايعاملون بالقانون الاساسي ولايوظفون ولا يربون أولادهم ولا يزوجون بناتهم اللاتي لم يكن لهن أديرة وراهبات يلجأن اليها . اما من كانوا خارج انجلترا فلم يصرح لهم بالعودة الا بعد دفع مبلغ يعجزون عن ادائه لتغرمهم الدقم ولم تقف الحاكم عند هذا الحد بل كانت تسجن كل من وصل اليها ولم تصرح لاحد بالدفاع عن نفسه . كانت حالة الكاثوليك في بدء حكم جيمس الاول وكان قد سن قانونا في عهد اليصابات خلاصته تغريم من لم يكن من المذهب الجديد

٢٠ جنيها كل شهر قري وذلك هو الذي حزب الكاثوليك على خلعها واجلاس غيرها على العرش • وفي زمن الملك الذي خلفها اعيد ذلك القانون وانت ترى ان هذا القانون يشتمل على جملة عقوبات أخرى منها ان من حرض أو سعى في تحريض أحد من أهل المذهب الجديد على تركه عد جانيا وعوقب على ذلك بغرامة قدرها ١٠٠ ملوك وسجن سنة كاملة • ومنها ان من قابل قسيسا متنكرا تحت اسم معلم عوقب القسيس بالسجن سنة والآخر بغرامة عشرة جنيهات في الشهر »

وقال ايفسورث مؤلف « جاي فوكيس » عن الثورة الانجليزية الدينية :

« كان اذا صاح أحد الناس بأحد المارة (كاثوليكي) فلا يكاد يلفظ الكلمة حتى يكون هذا التعس تمزق اربا اربا وكانت الحكومة تقبض على كل من تشتبه في أمره وتذيقه أنواع العذاب يستوي في ذلك الرجال والنساء ليدلوها على أسماء الكاثوليك ولو زورا فكانت درجات التعذيب أولا سحق اصابع اليدين بوضعها بين مخالب حديدية • وثانيا تعليق الشخص من رجليه في السقف و بتراصابعها • وثالثا شد وثاقه وربطه في بلاطة تشوي ظهره حيا كالسمكة • ورابعا وضعه في حفرة أرضية مملوءة ماء فتخرج اليه الجرذ وتنهش لحمه حتى لا تبقي الا العظام • ومن العجيب انهم كانوا يطببون المسكين بعد كل نوبة حتى يشفى ثم يجيء دور العذاب التالي وهكذا »

ومهما تقول المتقولون وادعى المدعون فان الاسلام على سمو مكانته يسابق الاديان الاخرى عند ذويها وهي المزية التي خلت منها جميع المذاهب المسيحية ويخشون منها نجاح دعوته ولذلك يجيزون كل واسطة توصلهم الى عرقلة مساعيه والفوز عليه عملا بأمر دينهم « ان يذهبوا ويبشروا جميع الامم » ولما كان هذا الامر الزامياً تراهم متى فشلوا بالطرق السلمية عمدوا الى نشر عقيدتهم اعتمادا على قوات الدول المسيحية ومدافعها التي تعلي شأن مدنيتها المسيحية بهذه الوسائل المقوتة ولكن الاسلام بالرغم مما يحيط به من الظروف السيئة لايزال أهله يعتقدون حقيته اعتقادا راسخا لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وله تأثير في نفوس أهله وغيرهم على السواء• ومما يدحض فرية كل هماز مشاء بنميم ما كتبه (دينالي) في وصف

عبادة المسلمين في كتابه « الاسلام والعلم » قال : « مادخلت مسجداً الا واعتراني تأثير شديد بل كنت آسف اني لم أخلق مسلما » وما كتبه (كومت) الذي قام بخدمات جليلة للنصرانية في الشرق الاقصى في كتابه (تنصير غير النصارى)قال: « لايدخل الانسان الى مسجد اسلامي الاوتدهشه مظاهر الاخلاص والولاء والوقار والتشبع والجلال البادية على وجوه المصلين »

ذلك مجمل القول على الدين الاسلامي الحنيف فمن يلومنا بعد ذلك اذا صحنا بملء افواهنا « ان الدين عند الله الاسلام » ؟

ولا يحسبن اخواننا غير المسلمين اننا نحتقر الاديان الاخرى كلا بل نحن على رسوخنا في ديننا نعرف لاهل كل دين حقهم ولكنا نقول لمن يريد منا نبذ ديننا : « وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين . قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » . ويعجبني قول بعض كتاب الافرنج : « ان الاسلام مسيحية هرطوقية أو ان المسيحية اسلام هرطوقي » على ان دين الله واحد في كل زمان ومكان ولكنها الاهواء والسلطة فرقت بين الناس . هذا مجمل القول من الوجهتين الدينية والاجتماعية ولنبحث الآن عما نرمي اليه من الوجهة السياسية .

ان أول من استعمل لفظ الجامعة الاسلامية (بانسلاموزم) بمعناه المقصود الآن أعني لازالة سوء التفاهم واستبدال الامور السياسية والاجتماعية ونحوها به وان يكون المسلمون بعضهم لبعض ظهيراً في الحق لا في التعصب المقوت ـ أول من استعمل هذا الاسم هو عبد الله كويلم عند ما أسس جمعية الاسلام في لندن (*) وهي التي يطلق عليها الآن اسم جمعية الجامعة الاسلامية . ففي سنة ١٩٠٣ ظهرت هذه الجمعية الى عالم الوجود فقابلها انصار الاسلام وأعداؤه هاشين باشين . واما

(*) المنار : الصواب ان أول من نبه المسلمين في هذا العصر الى ما بينهم من التقاطع والتناكر ، ونبههم الى ما يجب عليهم من التعارف والتعاون ، هو السيد جمال الدين الافغاني وقد بدأ عمله بمصر على عهد اسماعيل باشا سراً وأظهره في أوربا

ليوردون هنا المبادئ التي ترمي اليها هذه الجمعية ليرى اخواننا المسلمون وغيرهم انه ليس القصد من هذه الحركة الايقاع أو التنكيل بالغير وانما هو تحسين أحوال المسلمين الاجتماعية والادبية وتنبيها السياسية وذلك نقلا عن كتاب أصدره بالانجليزية المشير حسين قدواي سكرتير شرف جمعية الجامعة الاسلامية »

« سلام قولا من رب رحيم »

١ — ترقية العالم الاسلامي في شؤونه الدينية والاجتماعية والادبية والعقلية .

٢ — ايجاد حسن تفاهم بين جميع مسلمي العالم في المسائل الاجتماعية .

٣ — تنمية شعور الاخاء بين المسلمين (وغيرهم) وتبادل مصالحهم

٤ — ازالة سوء التفاهم الحاصل الآن بين المسلمين وغير المسلمين .

٥ — مساعدة المسلمين بقدر المستطاع في سائر أنحاء العالم .

٦ — ايجاد معاهد علمية اسلامية في غير الاقطار الاسلامية

٧ — ايجاد فروع لجمعية الجامعة الاسلامية في أنحاء العالم وانشاء مناظرات ومحاضرات وطبع ونشر الصحف التي يمكن أن تفيد الاسلام .

٨ — جمع الاكتتابات من جميع أنحاء العالم الاسلامي لتشييد جامع في لندن

ونحن نرى ان من مصالح العالم الاسلامي ان يزاد على هذه المبادئ ما يأتي :(*)

٩ — تعضيد الخلافة في آل عثمان

١٠ — العمل لهذه الغاية حتى يعترف بذلك ويخضع له جميع امراء الاسلام وسلاطينه

١١ — ان تساعد الخلافة العظمى مقابل ذلك الامم الاسلامية وتتوسط لدى الدول الاوربية المسيطرة على بعض ممالك الاسلام في دفع ظلاماتها

١٢ — ان تلفت الجمعية أو الجمعيات حكومات العالم الاسلامي الى تصرفاتها التي تنافي أصول الدين الحنيف اذا كانت تؤثر في مجموع الامة وتسيء سمعة الاسلام.

فأي انسان في قلبه ذرة من الانسانية وفي عقله ذرة من المدنية لا يعطف على مثل هذه المبادئ ان لم يشجعها بكل قواه ؟ ليس في هذه المبادئ كما هي ظاهرة

(*) المنار : ان ما زاده الكاتب تعارض فيه جميع الدول القوية ومن يقف في وجهها انما تقاومت الاولى ان لا يكون في العمل سياسة لا كل مطالب عمل

جلبة ضرر ألبتة بغير المسلمين وانما تخاف الدول الاوربية الكبرى المسيطرة على الشرق وأكثر أهله من المسلمين ان يهبوا من رقادهم متآزرين متكاتفين فيكون لهم بذلك قوة تقف في وجوه الطامعين المسيطرين لذلك يزعجها كل عمل يقومون به أو يحاولون اتمامه ونحن نوجس خيفة من كل حركة تبدو من جانب هذه الدول وهكذا نبقى من خوف الضر في الضرر . لقد قام الكثيرون من الافرنج يحاربون جمع كلمة المسلمين مااستطاعوا الى ذلك سبيلا حتى قام مثل ارنزان يقول في ملأ من الافرنج : « اعلموا أيها السادة ان هذه النهضة اذا تمت بالرغم منا فستنقلب علينا وتتم على مالا نرضاه وما لا يتفق مع مصالحنا » فهم بذلك « يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره »

قال الاستاذ المرحوم عبد الله براون المستشرق الشهير في كتابه (بونابرت في مصر) : « انه حيث يوجد الاسلام توجد نهضته للجامعة الاسلامية وهي صغيرة بوجه عام ولكنها كبيرة بزعمائها المفكرين . وهذه الحركة تسير بزعامة أولئك الابطال بقصد الدفاع لا بقصد الهجوم فهي والحالة هذه حركة عقلية سلمية لا حربية ولا عدائية يحاربها الانجليز لانهم يخشون ان تتحقق في يوم من الايام فتكون القاضية على سلطانهم في الشرق . ان هذه الجامعة الاسلامية تكون أشبه بالمحالفات المنعقدة الآن بين الدول المسيحية التي هي كما قال السلطان عبد الحميد « تحارب باحر و باصليبية بشكل سياسي » . وليس عجبي من محاربة اوربا للجامعة أو الخلافة الاسلامية اذ من الواجب عليها ان تنظر لمصلحتها السياسية والاقتصادية وانما عجبي انها تستعين ببعضنا على محاربة البعض الآخر عملا بقاعدة (فرق تسد) فنسي ذلك البعض الخارج على قومه « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » (لها بقية)

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ كتاب الاربعين في أصول الدين ﴾

هذا الكتاب قسم من كتاب جواهر القرآن لحجة الاسلام الغزالي وقد اجاز أن يكتب مستقلا كما قال في كشف الظنون فكتب وطبع في هذه الايام الشيخ محيي الدين صبري الكردي في قطع كقطع كتاب الاسلام والنصرانية فكانت صفحاته زهاء ٣٦٠ ويباع النسخة منه بخمسة قروش

وانما سماه الاربعين لانه جعلها أربعين أصلا عشرة في العقائد و١٠ في الاعمال الظاهرة وهي العبادات وكسب الحلال وآداب الصحبة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واتباع السنة و١٠ في تزكية النفس من الاخلاق المذمومة و١٠ في تحليتها بالاخلاق المحمودة . فهو ملخص من كتابه الاحياء وفيه من التحقيق لبعض المسائل ما لا نظير له في الاحياء وهاك نموذجا منه:

(تحقيق مسألة القضاء والقدر)

« وفيه وصف الساعة الدقاقة في زمنه »

(قال) والقضاء هو الوضع الكلي للاسباب الكلية الدائمة والقدر هو توجيه الاسباب الكلية بحركاتها المقدرة المحسوبة الى مسبباتها المعدودة بقدر معلوم لا يزيد ولا ينقص ـ ولذلك لا يخرج شيء عن قضائه وقدره .

ولا تفهم ذلك إلا بمثال ولعلك شاهدت صندوق الساعات التي بها تعرف أوقات الصلوات وان لم تشاهده فجملة ذلك انه لا بد فيه من آلة على شكل اسطوانة تحوي مقدارا من الماء معلوما وآلة أخرى مجوفة موضوعة فيها فوق الماء وخيط مشدود أحد طرفيه في هذه الآلة المجوفة . وطرفه الآخر في أسفل ظرف صغير

موضوع فوق الآلة المجوفة وفيه كرة وتحته طاس بحيث لو سقطت الكرة وقعت في الطاس وسمع طنينها ثم تثقب أسفل الآلة الاسطوانية ثقبا بقدر معلوم ينزل الماء منه قليلا قليلا . فاذا انخفض الماء انخفضت الآلة المجوفة الموضوعة على وجه الماء فامتد الخيط المشدود بها فحرك الطرف الذي فيه الكرة تحريكا يقربه من الانتكاس الى أن ينتكس فتدحرج منه الكرة وتقع في الطاس وتطن وعند انقضاء كل ساعة تقع واحدة . وانما يتقدر الفصل بين الوقتين بتقدير خروج الماء وانخفاضه وذلك بتقدير سعة الثقب الذي يخرج منه الماء ويعرف ذلك بطريق الحساب . فيكون نزول الماء بمقدار مقدر معلوم بسبب تقدير سعة الثقبة بقدر معلوم . ويكون أعلى الماء بذلك المقدار به و يتقدر ، وانخفاض الآلة المجوفة وانجرار الخيط بها المشدود . وتولد الحركة في الطرف الذي فيه الكرة . وكل ذلك يتقدر بتقدر سببه لا يزيد ولا ينقص ويمكن أن يجعل وقوع الكرة في الطاس سببا لحركة أخرى . وتكون الحركة الاخرى سببا لحركة ثالثة — وهكذا الى درجات كثيرة حتى يتولد منها حركات عجيبة مقدرة بمقادير محدودة وسببها الاول نزول الماء بقدر معلوم . فاذا تصورت هذه الصورة فاعلم ان واضعها يحتاج الى ثلاثة أمور

أولها التدبير وهو الحكم بأنه ما الذي ينبغي أن يكون من الآلات والاسباب والحركات حتى يؤدي الى حصول ما ينبغي أن يحصل وذلك هو الحكم

والثاني ايجاد هذه الآلات التي هي الاصول وهي الآلة الاسطوانية لتحوي الماء . والآلة المجوفة لتوضع على وجه الماء . والخيط المشدود بها والطرف الذي فيه الكرة والطاس الذي تقع فيه الكرة — وذلك هو القضاء

الثالث نصب سبب يوجب حركة مقدرة محسوبة محدودة وهو ثقب اسفل الآلة ثقبة مقدرة السعة ليحدث بنزول الماء منها حركة في الماء تؤدي الى حركة وجه الماء بنزوله ، ثم الى حركة الآلة المجوفة الموضوعة على وجه الماء بنزوله ، ثم الى حركة الخيط ثم الى حركة الطرف الذي فيه الكرة ، ثم الى حركة الكرة ، ثم الى الصدمة بالطاس اذا وقع ، ثم الى الطنين الحاصل منها ، ثم الى تنبيه الحاضرين

واستماعهم ، ثم الى حركاتهم الى الاشتغال بالصلوات والاعمال عند معرفتهم بانقضاء الساعة ، وكل ذلك بقدر معلوم ومقدار مقدر بسبب تقدر جميعها بقدر الحركة الأولى ـ وهي حركة الماء ،

فاذا فهمت ان هذه الآلات أصول لا بد منها للحركة ، وان الحركة لا بد من تقديرها لتقدر ما يتولد منها فكذلك فافهم حصول الحوادث المقدرة التي لا يتقدم منها شيء ولا يتأخر إذا جاء أجلها أي حضر سببها ، وكل ذلك بمقدار المعلوم ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا ،

ـ فالسموات والافلاك والكواكب والارض والبحر والهواء وهذه الاجسام العظام في العالم كتلك الآلات ، والسبب المحرك للافلاك والكواكب والشمس والقمر بحساب معلوم كتلك الثقبة الموجبة لنزول الماء بقدر معلوم ، وافضاء حركة الشمس والقمر والكواكب الى حصول الحوادث في الارض كافضاء حركة الماء الى حصول تلك الحركات المفضية الى سقوط الكرة المعرفة لانقضاء الساعة ، ومثال تداعي حركات السماء الى تغير الارض هو ان الشمس بحركتها اذا بلغت الى المشرق فاستضاء العالم تيسر على العالم الابصار ، فيتيسر عليهم الانتشار في الاشغال ، فاذا بلغت المغرب تعذر عليهم ذلك فيرجعون الى المساكن ، واذا قربت من وسط السماء وسامتت رؤوس أهل الاقاليم حمي الهواء واشتد القيظ وحصل نضج الفواكه ، واذا بعدت حصل الشتاء واشتد البرد ، واذا توسطت حصل الاعتدال فظهر الربيع وانبتت الارض وظهرت الخضرة ، وقس بهذه المشهورات التي تعرفها الغرائب التي لا تعرفها

فاختلاف هذه الفصول كلها مقدرة بقدر معلوم لانها منوطة بحركات الشمس والقمر و (الشمس والقمر بحسبان) أي حركتهما بحساب معلوم ـ فهذا هو التقدير ، ووضع الاسباب الكلية هو القضاء والتدبير الاول الذي هو كلمح البصر هو الحكم ، وكما أن حركة الآلة والخيط والكرة ليست خارجة عن مشيئة واضع الآلة ، بل ذلك هو الذي أراد بوضع الآلة ـ فكذلك كل ما يحدث في العالم من الحوادث شرها وخيرها نفعها وضرها غير خارج عن مشيئة الله تعالى ، بل ذلك مراد الله

تعالى ولاسيما دبر أسبابه ، وتفهيم الامور الالهية بالامثلة العرفية عسير ، ولكن المقصود من الامثلة التنبيه ، فدع المثال وتنبه للغرض ، واحذر من التمثيل والتشبيه اه

* *

(المنار) يرى القارئ ان هذا التحقيق لمسألة القدر هو عين ماذهبنا اليه وحققناه في المنار غير مرة ولم نكن قد اطلعنا عليه لاحد ولكننا رأيناه صريحا من آيات القرآن الكثيرة عند تتبعها وتدبرها ومنه يعلم ان الجمهور يفهمون القدر الآن بضد معناه وقصد الله أن وفق أبا حامد وهداه اليه من قبل وآخر ما كتبناه في ذلك نشرناه في المجلد الثاني عشر (راجع ص ١٨٩ — ٢٠٠ منه)

وما كتبه في الساعة الدقاقة التي كانت مستعملة الى زمنه مما كان يشوق الناس الى معرفته بهذا التفصيل وقد ارتاب الشيخ احمد فارس في تسمية هذه الآلة «ساعة» ان يكون تسميته عربية قال في ص ٢١٨ من كتابه (كشف المخبا عن فنون أوربا) « قال مؤلف كتاب (المخترعات العجيبة) ذكر المؤرخون من الفرنسيس ان أول ساعة عرفت في بلادهم كانت الساعة التي أهداها الخليفة هارون الرشيد الى شارلمان ملك فرنسة وذلك في سنة ٨٠٧ م وكانت بدعا في ذلك العصر حتى انها أورثت رجال الديوان حيرة وذهولا ، والظاهر انها كانت من الآلات التي يديرها الماء المنحدر ، وكان لها اثني عشر بابا صغيرا تنقسم بها الساعات فكلما مضت ساعة انفتح باب وخرج منه كرات من نحاس صغيرة تقع على جرس فيطن بعدد الساعات وتبقى الابواب مفتوحة وحينئذ تخرج صورة اثني عشر فارسا على خيل وتدور على صفحة الساعة . (قلت) بودي لو أعرف اسم الساعة في ذلك العصر فاني انكر هذه اللفظة ، وأهل الغرب يقولون « منكانة » وهي انكر اه

وقد عرفت من كلام الغزالي انهم استعملوا لفظ الساعة وفي الكتاب فوائد كثيرة ومعظمه من الاحياء له وفيه من التساهل في ايراد مالا يصح من الاحاديث مثل مافي الاحياء ، وكان يرى ان العمل بكل ماورد من الاحاديث أولى من تركه

﴿ ميزان العمل ﴾

للشيخ ابي حامد الغزالي أيضا وهو مختصر في علم النفس والاخلاق على طريقة

الفلاسفة والصوفية والمتكلمين جميعا وهو مختصر لطيف حسن الترتيب والتمثيل وفيه فوائد كثيرة وتحقيقات مفيدة وانفع مافيه خاتمته وهي في اختلاف الناس في المذاهب وهذا نصها :

(بيان معنى المذهب واختلاف الناس فيه)

لعلك تقول كلامك في هذا الكتاب انقسم الى مايطابق مذهب الصوفية والى ما يطابق مذهب الاشعرية و بعض المتكلمين ولا يفهم الكلام الا على مذهب واحد فما الحق من هذه المذاهب ؟ فان كان الكل حقا فكيف يتصور هذا ؟وان كان بعضه حقا فما ذلك الحق ؟

فيقال لك اذا عرفت حقيقة المذهب لا تنفعك قط اذ الناس فيه فريقان ، فريق يقول المذهب اسم مشترك لثلاث مراتب (احداها)مايتعصب له في المباهاة والمناظرات (والاخرى) مايسارّ به في التعليمات والارشادات (والثالثة) مايعتقده الانسان في نفسه مما انكشف له من النظريات . ولكل كامل ثلاثة مذاهب بهذا الاعتبار فاما المذهب بالاعتبار الاول فهو نمط الآباء والاجداد ومذهب المعلم ومذهب أهل البلد الذي فيه النشوء ـ وذلك يختلف بالبلاد والاقطار و يختلف بالمعلمين . فمن ولد في بلد المعتزلة أو الاشعرية أو الشفعوية أو الحنفية انغرس في نفسه منذ صباه التعصب له والذب دونه والذم لما سواه . فيقال هو أشعري المذهب أو معتزلي أو شفعوي أو حنفي . ومعناه انه يتعصب أي ينصر عصابة المتظاهرين بالموالاة و يجري ذلك مجرى تناصر القبيلة بعضهم لبعض .

ومبدأ هذا التعصب حرص جماعة على طلب الرياسة باستتباع العوام ولا تنبعث دواعي العوام إلا بجامع يحمل على التظاهر فجعلت المذاهب في تفصيل الاديان جامعا فانقسم الناس فرقا وتحركت غوائل الحسد والمنافسة فاشتد تعصبهم واستحكم به تناصرهم

وفي بعض البلاد لما اتحد المذهب وعجز طلاب الرياسة عن الاستتباع وضعوا أمورا وخيلوا وجوب المخالفة فيها والتعصب لها كالعلم الاسود والعلم الاحمر فقال قوم الحق هو الاسود وقال آخرون لا بل الاحمر وانتظم مقصود الرؤساء في استتباع العوام بذلك القدر من المخالفة وظن العوام ان ذلك مهم وعرف الرؤساء الواضعون غرضهم في الوضع

(المذهب الثاني) ما ينطلق في الارشاد والتعليم على من جاءه مستفيدا مسترشدا — وهذا لا يتعين على وجه واحد بل يختلف بحسب المسترشد فيناظر كل مسترشد بما يحتمله فهمه فان وقع له مسترشد تركي أو هندي أو رجل جلف بليد الطبع وعلم انه لو ذكر له أن الله تعالى ليس ذاته في مكان وانه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا متصلا بالعالم ولا منفصلا عنه لم يلبث أن ينكر وجود الله تعالى ويكذب به فينبغي أن يقرر عنده أن الله تعالى (مستو) على العرش وانه يرضيه عبادة خلقه ويفرح بها فيثيبهم ويدخلهم الجنة عوضا وجزاء . وان احتمل أن يذكر له ما هو الحق المبين يكشف له فالمذهب بهذا الاعتبار يتغير ويختلف ويكون مع كل واحد على حسب ما يحتمله فهمه

(المذهب الثالث) ما يعتقده الرجل سرا بينه وبين الله عز وجل لا يطلع عليه غير الله تعالى ولا يذكره الامع من هو شريكه في الاطلاع على ما اطلع أو بلغ رتبة (من) يقبل الاطلاع عليه ويفهمه — وذلك بأن يكون المسترشد ذكيا ولم يكن قد رسخ في نفسه اعتقاد موروث نشأ عليه وعلى التعصب له ولم يكن قد انصبغ به قلبه انصباغا لا يمكن محوه منه ويكون (*) مثاله ككاغد كتب عليه ما غاص فيه ولم يمكن إزالته الا بحرق الكاغد وخرقه — فهذا رجل فسد مزاجه ويئس من صلاحه فان كل ما يذكر له على خلاف ما سمعه لا يقنعه بل يحرص على أن لا يقنع بما يذكر له ويحتال في دفعه . ولو أصغى غاية الاصغاء وانصرفت همته الى الفهم لكان يشك في فهمه فكيف اذا كان غرضه أن يدفعه ولا يفهمه ؟ — فالسبيل مع مثل هذا أن يسكت عنه ويترك على ما هو عليه فليس هو بأول أعمى هلك بضلالته — فهذا فريق من الناس .

وأما الفريق الثاني وهم الاكثرون فيقولون المذهب واحد هو المعتقد وهو الذي ينطق به تعليما وارشادا مع كل آدمي كيفما اختلفت حاله وهو الذي يتعصب له وهو إما مذهب الاشعري أو المعتزلي أو الكرامي أو أي مذهب من المذاهب والاولون يوافقون هؤلاء على انهم لو سئلوا عن المذهب أنه واحد أو ثلاثة لم يجز أن يذكر

(*) المنار : الظاهر انها فيكون بفتح النون

أنه ثلاثة بل يجب أن يقال أنه واحد - وهذا يطلل تعبك بالسؤال عن المذهب ان كنت عاقلا فان الناس متفقون على النطق بأن المذهب واحد . ثم يتفقون على التعصب لمذهب أبيهم أو معلمهم أو أهل بلدهم ولو ذكر ذاكر مذهبه فما منفعتك فيه ومذهب غيره يخالفه وليس مع واحد منهم معجزة يترجح بها جانبه ؟

فجانب الالتفات الى المذاهب واطلب الحق بطريق النظر لتكون صاحب مذهب ولا تكن في صورة أعمى تقلد قائدا يرشدك الى طريق وحواليك ألف مثل قائدك ينادون عليك بأنه أهلكك وأضلك عن سواء السبيل . وستعلم في عاقبة أمرك ظلم قائدك فلا خلاص إلا في الاستقلال

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به ... في طالع الشمس ما يغنيك عن زحل

ولو لم يكن في مجاري هذه الكلمات الا ما يشككك في اعتقادك الموروث لتنتدب لطلب فناهيك به نفعا اذ الشكوك هي الموصلة الى الحق فمن لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال نعوذ بالله من ذلك وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم اه

(المنار) ليعتبر بهذا من تزعمد فرائصهم من ذكر الدعوة الى الكتاب والسنة والنعي على التقليد الاعمى الذي يصرف صاحبه عن الاهتداء بهما وليعلموا انه ما نبغ عالم في الاسلام الا وكان منتهى شوطه وجوب الرجوع الى الكتاب والسنة والاهتداء بهما استقلالا وللغزالي في ذلك كلام كثير بين تصريح وتلويح دارى فيه دولة المتعصبين وناهيك بما تقدم لنا نقله عنه من كتابه القسطاس المستقيم

وثمن هذا الكتاب أربعة قروش صحيحة

* * *

﴿ الرسالة اللدنية ورسالة ما لا بد منه للمريد ﴾

الاولى لابي حامد الغزالي يتكلم فيها عن العلم اللدني والالهام والوحي والنفس والروح والقلب والثانية للشيخ محيي الدين بن عربي في آداب سالك طريق التصوف وقد طبعهما الشيخ محيي الدين الكردي معا وثمنهما قرشان صحيحان

باب الأخبار والآراء

الاسلام والمسلمون

﴿ رأي المسيو مونتيه ناظر المدرسة الجامعة بجنيف فيها ﴾

بدأ المسيو ادموند مونتيه ناظر مدرسة جنيف الجامعة بالقاء محاضرات ست في مدرسة فرانسا (كوليج دي فرانس) عن حالة الاسلام الحاضرة والمستقبلة، وذلك في كل يوم اثنين وخميس في الساعة الثانية ونصف مساء ابتداء من يوم ٧ الجاري وينتهي منها يوم ٢٤ الجاري . أما مسائل بحثه فهي :

« صالح المسائل الاسلامية . احصائيات الاسلام . انتشار الديانة الاسلامية، التمسك الشديد بالدين الاسلامي . التغييرات التي طرأت عليه . الانشقاق والاختلافات والمذاهب . عبادة الاولياء المسلمين . أرباب الطرق الاسلامية . تصوفهم ومحافظتهم على الاصول . تأثيرهم الاجتماعي والسياسي . محاولة اصلاح الاسلام . البابية والبهائية . مستقبل الامم الاسلامية . الاميال نحو الحرية والمجهودات التي تبذل في سبيل التخلص من الاجانب في الاسلام »

ولما كان المسيو ايدموند مونتيه كاهنا بروتستانتيا حر الافكار كانت أفكاره وآراؤه في هذا الشأن من الاهمية بحيث لا يستهان بها

لذلك أرسلت جريدة « السييكل » الى جنابه من يسأله عن آرائه في شأن الموضوعات التي سيجعلها موضوع بحثه فصرح له بالتصريحات الآتية :

« أما آرائي فيها فهي كثيرة جدا وان السؤال الذي ألقيته علي سؤال مركب

كثير الفروع . فاسمح لي أن أجيبك عليه بعدة أجوبة لان الاسلام يظهر امامنا في مظاهر شتى »

« وأول ما يبدو أمام نظر الذي يرقب حركات الاسلام ويهمه شأنه حاله الحاضرة فالعالم الاسلامي الذي يشاع عنه خطأ انه في سبات عميق لا يتحرك هو في الحقيقة اليوم في حركة شديدة فهو عالم يسير ويتقدم . فالترك . ومصر . وفارس من جهة يظهر فيها الشوق الى الرقي ونور العلم ظهورا جليا . ومن جهة أخرى ترى في المستعمرات الانجليزية والفرنسية والمستعمرات الاوروبية الاخرى تلك الحاجة بعينها تدفع جمهور المؤمنين الى طلب الزيادة في التربية والحرية »

« ولكن رب قائل يقول لي ألا تظن أن تركيا التي كانت الثورة فيها على النسق اللاتيني سببا في وجود مذهب سياسي جديد . ليست كسائر الجهات التي ليس فيها الا مجرد آمال مبهمة في الوصول الى حالة خير من الحالة الحاضرة من الوجهة الاجتماعية أو السياسية ؟ »

« واني لاأذهب هذا المذهب . وفي رأيي أن العالم الاسلامي كان كأنه محقون بسم ناقع يفتك به وينتشر في جميع أعضائه . أما هذا السم فهو سم المدنية الحديثة . سم (مدنيتنا) التي يتحتم على كل أمة أن تعتنقها مهما يكن ماضيها ومهما تكن مدنيتها الخاصة بها قديمة كانت أو حديثة . وبمجرد سريان هذا السم في أي جسم يكون من المستحيل اخراجه منه . فان فتكه يستمر فيه ولا مناص . ويقتاد هذا الجسم مع مرور الزمن الى الانقلاب التام »

« أما الموقف الذي سيقف فيه الاسلام حيال مدنيتنا فينبغي أن ينظر الى الاسلام من وجهتين مختلفتين الاولى أن ينظر اليه من حيث هو مجموع الامم الاسلامية وسكان البلاد منهم والاجناس المختلفة التي تعتنق دين محمد صلى الله عليه وسلم والثانية أن ينظر اليه من حيث هو دين الاسلام نفسه »

« وانه ليخيل لي أن الامم الاسلامية يزداد دخولها في حظيرة المدنية الحديثة شيئا فشيئا . وذلك مايفعله أكثر الامم الاسلامية . بعضها بقصد والبعض الآخر بلا قصد لان الامر في نظرهم ينحصر في مسألة اما الحياة واما الممات لان تيار المدنية

الحديثة لا يستطاع مقاومته والذي يريد أن يهرب من وجهه لابد أن يكتسحه ، والذي يريد أن يقاومه لابد أن يسحقه . ذلك ما يعتقده كثير من المتنورين منهم اليوم وكثير من أبناء وطنهم يتبعون أثرهم بحكم التقليد في سبيل التقدم الحديث »

« أما من الوجهة الدينية فان الموقف يختلف عن ذلك كل الاختلاف . فان الاسلام بصفته دينا كانت له غايات شبيهة بغايات النصرانية وقد وجد فيه التصوف والمذاهب والميل الى المحافظة على القديم والى التخلص من ربقة القيود ولا يزال كل ذلك موجودا فيه الى الآن واذا كانت المسيحية قد ضمنت لها مستقبلا في الرقي وفي البقاء غير محدود فان شأن الاسلام في ذلك شأن النصرانية تماما . فان الاسلام احدى ديانات التوحيد الكبرى وان التوحيد في الديانة لايمكن أن يزول بل تبقى مبادئه بقاء أبديا ولو تغير في اعراضه »

« اني شديد اعتقاد الخير في الاسلام نفسه بصفته دين توحيد اعتنقته على الخصوص أمم آسيا وأفريقية والمسلمون على وجه العموم »

« ولطالما كانت لي علاقات شخصية مع المسلمين وأكثرهم من أصل عربي أو بربري (مغربي) واني لأحفظ لهذه العلاقات جميل الذكرى . واني شديد الاحترام للاتراك والمصريين المتنورين الذين لقيتهم بل ان لي من بينهم بعض الاصدقاء المخلصين اخلاصا تاما . ولكني أتمسك على الخصوص بالصداقة التي نشأت بيني و بين المتواضعين الخاشعين من المسلمين وهم على الخصوص في مراكش فان هؤلاء المسلمين الذين يعيشون عيشة في غاية البساطة والغرابة في نظرنا بالنسبة لطرائق تفكيرنا قد حافظوا على أجل الفضائل التي نحترمها نحن ولا شك ولكننا نهمل العمل بها واني أريد بذلك فضيلة حسن الضيافة والكرم ، وفضيلة الوفاء التام في الصداقة والاخلاص . وهم يصح انه يقال عنهم انهم الامثلة الصالحة في هذه الفضائل . ولقد كان في خدمتي بعض المراكشيين فأظهروا لي في كثير من الظروف الحرجة دليلا على اخلاصهم المتناهي . ولعمري اني مانسيتهم قط واني على يقين

من انهم لم ينسوني أيضا . وماذا كنت أنا بالنسبة لهم ؟ كنت رجلا غريبا بل مسيحيا ولكنني كنت مسيحيا غريبا وأصبحت صديقا لهم »

« ولي كلمة قبل أن أختم معك هذا الحديث لا يسعني الا أن أقولها وهي ان روح الاسلام (وأريد روح الديانة الاسلامية) صعب على الغريب عنها أن يقف على سرها . ولكن الذي يقف على كنهها ويقتبها يرى أن هذه الروح بجملة جذابة . ومتى فقهها المرء فليس في قدرة أي شيء أن يمحو من فؤاده التأثير الذي تحدثه فيه وليس في استطاعة المرء أن ينفصل عنها » اه من ترجمة المؤيد بتصحيح قليل

الترك والعرب

(دليل على ما سميناه سوء التفاهم وشهادة كاتب تركي للعرب)

كان يجب على جرائد الآستانة أن تحمد سعي الشريف أمير مكة المكرمة في نجد ولا سيما إخضاع اكبر أمرائها ورئيس عشائرها الامير عبد العزيز آل سعود للدولة العلية وحمله على الثقة بها ولكنه لم يسلم من اللوم والمؤاخذة حتى قالت بعض تلك الجرائد ان سعيه كان حسنا ولكنه كان مخطئا فيه لأنه ليس له صفة ولا سلطة تجيزله أن يحل ويعقد!!! وقد كانت جريدة « ينكي تصوير أفكار » خاضت في مثل هذا الانكار والتجاهل ثم اقترحت على سليمان بك نظيف الذي كان الى عهد قريب واليا البصرة أن يكتب اليها شيئا مما وصل اليه اختباره عن عرب الجزيرة فكتب اليها مقالا ترجمته جريدة المفيد فنقلناه عنها لما فيه من الانصاف واستقلال الرأي (١) وهو : قال الكاتب

« ان السلطة العثمانية في جنوب العراق وجزيرة العراق لا تتأيد ما لم تتأيد (العدالة وحسن الادارة) ففي كل وقعة من الوقائع خطر يتطاير شرره

« ان هذه البقاع المباركة بقاع بائسة وقضت عصورا متطاولة في زوايا الاهمال من قبل الحكومة الا في عهد مدحت باشا

« ارتكز فيلقنا السادس ودق وتاده حيث كانت تجوس جيوش بابل وآشور

---

(١) بعد هذا رأينا في جريدة أخرى ان الكاتب ذكر ان نجدا مدة كان أعداها مدحت باشا للدولة وان الشريف اعتدى على حقوق الدولة في اخضاعه ابن سعود لها !!!

بسطوتها وهيبتها فرايناه اليوم يندحر امام بعض القبائل البدوية ايما اندحار . كانت (الجزيرة) في الغابر بمثابة اكبر مستغل يستمد منه العالم بأسره مؤنته ونراه اليوم يموت أهله جوعاً على حين ان الارض لم تفقد قوة النمو ولا الخصب

و بعد فليس ثمت من سبب لهذه المصائب الاسوء ادارتنا التي اشترك بها هذا العاجز مدة احد عشر شهرا

« كنت اعتقد قبل قدومي البصرة اعتقادا ولدته في نفسي الاقوال المتضاربة ان الامة العربية عنصر ينقبض من الجامعة العثمانية ولكن اقامتي بينها ومحاولتي كشف النقاب عن الحقائق اثبتت لي ان هذا الاعتقاد وهم محض فسررت ما شاءت حميتي العثمانية . اذا صرفنا النظر عن عائلة واحدة في البصرة مكروهة منفور منها لا يتجاوز افرادها عدد الاربعة فانا نشعر بحس واحد راسخ في نفوس عرب الولاية كافة من بدويهم الى حضريهم الا وهو حب الجامعة العثمانية

« ولكن ينبغي لنا أن نعترف ونقر بأنا أسأنا المعاملة بجانب عرب البصرة في جميع الاحايين وقسمنا أراضيهم الى مقاطعات تحت اسم أميرية وسنية ودعونا المتغلبين الى أن يعدوا اليها أيديهم الجائرة الظالمة وعززناهم بقوة من الحكومة ووقارها حتى بلغنا الى درجة التحكم بالقوت اليومي الذي كان يتناوله كل عربي بجده وسعيه

« كل ذلك كان وكان هذا الشعب الصادق الجليد يتلقى من الحكومة تلكم الصدمات بصبر وثبات كأنما هي من الاقدار ولم يلك ينبس ببنت شفة

« حادثة « شطرة المنتفك » بسيطة جدا أي انها فاجعة بسيطة سببها ان فريقا عسكريا مأمورا بالاصلاح ظن ان سلطته تخوله فسخ احالة (ابطال عقد التزام اعشار) مقاطعة برمتها . فان عشيرة « عبوده » التي هزمت الفريق يوسف باشا قائد أربعة عشر تابورا وحاصرته والتي تركت قوة أمير اللواء محيي الدين باشا جامدة لا حراك فيها كانت حتى في أوقات ظفرها تبرق البرقيات الى الولاية تعرض اطاعتها للحكومة وتبين انها مضطرة لمحاربة الفريق المسوق بسائق المطامع الشخصية دفاعا عن نفسها وذودا عن شرفها . ولقد اثبت رجال هذه العشيرة صدق دعواهم بالفعل فان القوة العسكرية البالغة واحدا وعشرين تابورا تخلصت من ربقة الحصار الشديد بأمر واحد تلقاه

المتذمرون من الحكومة وليس ثمت دليل اكبر من هذا الدليل على صدق عثمانية هؤلاء واطاعتهم للحكومة

« اهداني قنصل روسيا في البصرة الموسيو (طوخولقا) كتابا افرنسيا عنوانه (الثورة العربية والدول) انشاء (سيري) الى المنتفك فوجدت صاحبه يملأ الكتاب بحوادث المنتفك ويتحرى في جميع انحائه ان يعثر على امارات الانفصال والاستقلال فعظم الوهم لدي ولكن حينما شهدت عائلات المنتفك أيقنت اليقين التام ان ذلك الكتاب مجموعة نفاق وبهتان وانا اليوم على ثقة تامة انه ليس في البصرة أزمة سياسية ما، ليست تلك الاصوات التي تمتد أحيانا الى العاصمة فتنبها من غفلتها الا صعقات متصاعدة من أفئدة عضها الجوع بأنيابه ولو كنا مكان هؤلاء العرب لأتينا أشد مما يأتونه . واذا تدبرنا وعقلنا الامر وانقلبت تلكم الصرخات الى سكوت ينم الى الابد عن شكره»

(المنار) بينا في المقالات التي نشرناها في جرائد الآستانة ونحن فيها ان العرب كلهم مخلصون للدولة لايخطر في بال أحد منهم ان بينهم وبين اخوانهم الترك أدنى فرق ، وان اتهام بعض رجال السياسة فيها إياهم وما تكتبه الجرائد التركية عنهم وفي العصبية الجنسية وما يسمعه أبناؤهم في مكاتب الدولة يخشى أن يفرقوا بهم ووعظنا رجال حكومتنا بالحديث الشريف « اذا ابتغى الامير الريبة بالناس أفسدهم » فلم يغن النصح شيئا فعسى أن يقبلوا شهادة هذا الشاهد منهم ويزيلوا أسباب التفرق وسوء الظن ويعلموا انا كنا لهم ولا نزال من اخلص الناصحين

﴿ الاحتلال الاجنبي في إيران ﴾

هذا الاسلوب الاوربي من أساليب الفتح صار معروفا عند الباحثين والمستبصرين من أهل الشرق ومعناه فتح البلاد بدون ان يخسر الفاتح شيئا يذكر من الرجال والمال فان طريقه أن يضرب بعض البلاد ببعض ويحدث فيها الفتن ثم يدخل جيشه بحجة إطفاء الفتنة وتأمين تجارته وحفظ رعيته في البلاد ثم يحكم بعضها ببعض كما ضرب بعضها ببعض . ولا يعاب الفاتحون بهذا الضرب من ضروب الفتح والاستعمار ، بل يحمدون بتخفيف الضرر والضرار ، وإنما تعاب الامم التي تفتح بلادها بجهلها وتفرقها

وما فيها من الخلل والضعف الذي مكن الاجنبي من سلب استقلالها

كانت روسية وانجلترة تتنازعان النفوذ في فارس لمجاورة الاولى لها من جهة الشمال والثانية من جهة الجنوب كما تتنازعان النفوذ في البلاد العثمانية وقد اتفقتا بعد طول التنازع والعداء ولكن أعقب اتفاقهما نهوض المملكتين الاسلاميتين بالدستور فأما العثمانية فانها نهضت بجيش قوي منظم فكان ذلك مانعا من التعرض لها بالقوة العسكرية والاحتلال الذي كان ينوى البدء به في مكدونية وأما الفارسية فمن سوء الحظ انه ليس لها جيش قوي منظم فبادرت روسية الى احتلال منطقة نفوذها وهددتها انكلترة باحتلال منطقة نفوذها أيضا، بادرتا بذلك صلاح حالها، وأخذها بأسباب القوة التي تحول بينهما و بينها ،

قد علم المستبصرون من الايرانيين وغيرهم ان المراد بهذا الاحتلال الامتلاك فاضطربت له قلوب المسلمين في المملكة العثمانية والبلاد الهندية و بلاد التتار الروسية ومصر وتونس وزادهم ميلا إلى الاتفاق والاتحاد ، وظهر هذا الاضطراب بأشد مظاهره في الآستانة وفي بعض بلاد الهند ولم يظهر في مصر لان المشتغلين فيها بالسياسة شغلهم حليهم أو شغلوه ان يعار ؟ ويتحامون الاتهام بالميل إلى الجامعة الاسلامية

يقال ان الايرانيين يفضلون أن يقاوموا محتلي بلادهم بالاعراض عن تجارتهم وقد أمرهم علماؤهم بذلك جهرا فان لم يفد فبتأليف عصابات كالعصابات المكدونية المؤلفة من البلغاريين واليونانيين لمقاومة حكومتهم العثمانية وانهم يفضلون تخريب البلاد على سلب الاجانب لاستقلالهم . فأما غيرتهم وحميتهم الملية وشجاعتهم الشخصية فمالا ينكر بعد ظهوره للعيان في مقاومة حكومتهم الماضية المستبدة الملعونة ، وأما آفتهم فوجود المنافقين من البابية والمتفرنجين الذين فسد اعتقادهم بالوساوس الاجنبية يوضعون خلالهم يبغونهم الفتنة وفيهم سماعون لهم ، وجهل العامة يمهد للمنافقين سبيل التضليل

وعندي أن ما يصلح هذه البلاد في هذه الحال لا يدركه الا الافذاذ من العقلاء العارفين بالسياسة العامة و بأحوال الامة الروحية والاجتماعية ، وان العارف لايقدر أن ينفعها بمعرفته الا اذا اقنع أصحاب النفوذ فيها من العلماء ، والزعماء فهل يسهل تأليف جمعية من العارفين وأصحاب النفوذ تقرر ما يجب أن يعمل وتنفذه ؟ ؟

﴿ المشيخة الاسلامية ، والقضاء الشرعي في الدولة العلية ﴾

خطاب من جماعة المسلمين العثمانيين الى شيخ الاسلام ومجلس المبعوثين في عاصمة الدولة أيدها الله تعالى بهم وأيدهم بها :

الى متى يكون حظ القضاء الشرعي دون حظ سائر مصالح الدولة من عنايتكم والى متى تظل المحاكم الشرعية استبدادية لا يقيد القضاة فيها بأحكام معينة معروفة يطالب بها الخصماء ووكلاء الدعاوي (كمجلة الاحكام العدلية) ولا بأعضاء يستشارون في الاحكام كالمحاكم النظامية ، ولا يرسل اليهم مفتشون يطلعون على أحكامهم ويتعرفون سيرتهم وأعمالهم في ادارة تلك المحاكم ، ولا ينشأ لاجلهم قلم مراقبة تحفظ فيه سيرتهم الرسمية ، ولا مجلس تأديب يحاكمون فيه إذا جاروا وظلموا ؟ ألا إن هذا الاهمال لهذه المحاكم يفسد نظام البيوت التي تتألف منها الامة ويضيع الاوقاف ويخرب المساجد التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه بل يؤدي الى الاشتباه في حقية الشريعة السمحة الحكيمة

من أمثلة الخلل في هذه المحاكم الذي عرفناه بالرؤية والنظر والخبر والخبر ان عبد المجيد افندي هاشم الجعفري كان عين نائبا لمحكمة نابلس (بلده) فهاجت سيرته الاهالي عليه على شرف بيته ويقال أن بعض الوجهاء أمر بضربه فضرب ولم يتحملوه الى آخر مدته ثم عين نائبا لصيدا فأحدث الفتن بين الاهالي حتى هاجوا عليه وهموا به فهرب الى بيروت ليلا ، ثم عين في بلاد الترك فكانت عاقبته النفي ، وبعد الدستور عين نائبا لطرابلس الشام فهاجت سيرته الناس عليه حتى هجم الالوف منهم على المحكمة الشرعية لاجل الفتك به كما رأينا في الجرائد السورية وقتئذ وأرسلت الشكاوى البرقية عليه الى المشيخة فأمرت بمحاكمته في بيروت ولكن المحاكمة انتهت بالصلح رحمة من مفتي بيروت به ، ثم ان لجنة التنسيقات حكمت بأنه لا يجوز توليته في البلاد السورية وعزلته المشيخة عزلا

بعد عزله ذهب الى الآستانة وطلب من المشيخة توليته القضاء فسأله مجلس

الانتخاب عن السبب في الامتناع من ختم إعلام الحكم ببعض الدعاوى فأنكر الدعوى ألبتة وزعم انه لم ينظر فيها ولا رفعت اليه فطلب شيخ الاسلام حسني افندي من خلفه في طرابلس الشام صورة ضبط تلك الدعوى مصدقا عليها فأرسلت الى المشيخة ففاجه بها مجلس الانتخاب فاعترف بالدعوى واعتذر عن ختم الاعلام بكلام جمجم فيه ولم يبين وفر من الآستانة بأنا ومجلس الانتخاب يحفظ هذا عليه قولا وكتابة

بعد هذا كله كتب الينا من يافا وغيرها انه عين نائبا لبنغازي وانه لا يقبلها بل يرجو ان يرتقي الى نيابة (قضاء) ولاية بيروت لما ورثه من المال الكثير من أخيه ...

فنعيد الذكرى للمشيخة الاسلامية ولمجلس الامة ونكرر طلب إصلاح هذه المحاكم وعسى أن يوجد في مجلس المبعوثين من تحملهم الغيرة وحب الاصلاح على الاستيضاح من شيخ الاسلام عن هذا النائب الباقعة ان صح أنه تقلد القضاء في عهده الآن

﴿ لجنة ترقية الوعظ الديني والخطابة في المساجد ﴾

ألفت لجنة في الازهر بهذا الاسم رئيسها الشيخ محمد شاكر وكيل المشيخة ولما بلغني خبرها وأنا في الآستانة سررت سرورا عظيما ثم بلغني أن عمل هذه اللجنة محصورا في اقتراح إنشاء خطب في بعض المسائل الدينية كالحث على العبادات والنهي عن المحرمات لاجل أن تنشر في مجلة الملاجئ العباسية وتصل الى خطباء المساجد ، واطلعت على بعض تلك الخطب التي قبلتها اللجنة وأجازت مفتشيها فاذا هي ليست خيرا من خطب خطيب جامع الست الشامية وخطيب جامع عزبان ولا مثلها نعم أنها أمثل من خطب خطيب جامع الحين ومن في طبقته من العوام ، وليس هذا هو الاصلاح الذي ننشده من زمن طويل ولا العمل الذي يحتاج الى لجان وانما يكون الاصلاح بتعليم طائفة من طلاب الازهر وغيرهم الخطابة الدينية على نحو ما شرحناه في كتاب (الحكمة الشرعية) منذ ٢٠ سنة أي تعليمهم ليكونوا أصحاب ملكة يقتدرون بها على الخطابة ارتجالا في جميع مهمات الدين وما يصلح به حال الناس في الدنيا

﴿ باب الانتقاد على المنار وصاحبه ﴾

انتقد صاحب جريدة البريد التي تصدر في (ريودي جانيرو) ما كتبناه في خطاب علماء الاسلام الذي نشرناه في جريدة الحضارة ونحن في الآستانة وفي المنار انتقد منه حثنا العلماء على الاستعانة بالمبعوثين لاجل الوصول الى حقوقهم في التعليم والمناصب الشرعية وعلى الاجتهاد في جعل المبعوثين في الانتخاب الآتي منهم ومن يرجى ان يساعدهم على خدمة ملتهم

انتقد هذا لانه فهم منه اني أريد جعل اكثر النواب من صنف العلماء الذين يجهل اكثرهم حاجات الامة واني لا أريد ان يكون في المجلس نواب من غير المسلمين وجعل هذا منافيا للدستور القاضي بالمساواة قال « وكأنه استكثر وجود مسيحي واحد بين نواب العرب فقام يدعو الامة المسلمة الى حرمان المسيحيين حتى كرسيا واحدا في مجلس المبعوثين العثمانيين »

« أساء سمعا فأساء جابة » ويحك أيها الوصيف الكريم اني كنت أول مساعد لانتخاب المسيحي العربي الذي تشير اليه فقد كنت أيام الانتخاب في بيروت ورأيت جماعة من المسلمين أصحاب النفوذ يعارضون في انتخابه لا لانه مسيحي بل لانهم لا يعرفونه معرفة تفيدهم الثقة به فقلت لهم اني عرفته بمصر وعاشرته واثنيت عليه بما أقنعهم وحملهم على انتخابه ومساعدته

اني عندما كتبت ما كتبت في تلك المقالة لم يخطر في بالي المسيحيون ولا نوابهم وانما خطر في بالي وملأ قلبي عند الكتابة ما علمته من محاولة بعض الملاحدة من المسلمين الجغرافيين (أي الذين يعدون مسلمين في كتب الجغرافية) دون خدمة رجال الدين الاسلامي لدينهم وما علمت أحدا من النصارى يعارضهم ولا يقاومهم في ذلك، وان المبعوثين من النصارى يدافعون عن امتياز طوائفهم وكنائسهم افليس للمسلمين حقوق دينية في الدولة يجب ان يدافع عنها العلماء ؟ وسأبين رأيي في المبعوثين من غير المسلمين واذكر ما أقنعت به المسلمين وأزلت به شبهتهم على منافاة وجودهم في مجلس المبعوثين ومجلس الوكلاء لكون الحكومة اسلامية فقد ضاق عنه هذا الجزء

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه * أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

(الاحد ٣٠ ذي الحجة ١٣٢٨ — ١ يناير (كانون الثاني) ١٢٨٩ هـ ١٩١١ م)

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ افتراق الامة الاسلامية والفرقة الناجية ﴾

(س ٥٥) من صاحب الامضاء الرمزي في (شانكين — سومطرا)

سلام الله عليكم . والرجاء من سيادتكم إيضاح ما ابهم ولكم من الله الاجر يزعم بعضهم ان افتراق الامة الى شيع أمر لازب اخبر به النبي صلى الله

عليه وآله وسلم . في حديث « ستفترق امتي الى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا فرقة » رواه الطبراني ،،

وبناء عليه فلا مطمع في توحيد كلمتهم واصلاحهم بل لا يزالون مختلفين . وقد سألناهم عن الفرقة الناجية فقالوا هي المتبعة لمذاهب الأئمة الاربعة المشهورة . فمن حاد عن أحد هذه المذاهب فهو ولا شك (بزعمهم) في الدنيا من المغبونين وفي الآخرة من المخذولين . (هذا ما تقوله حماة التقليد والاقرب انه آخر سهم في الكنانة)

فما قولكم سيدي في الحديث . هل هو صحيح متواتر أم مطعون في الزيادة الاخيرة كما اشار اليها الاستاذ الحكيم السيد أبو بكر بن شهاب من أبيات نشرت في الـم ٧ - ص٤٢٦ من المنار وهي .

وحديث تفترق النصارى واليهو د وأمتي فرقا روى الطبراني
لكن زيادة كلها في النار الا فرقة لم تخل عن طعان

فتفضلوا علينا بالبيان الشافي المعهود من حضرتكم لازلتم خير خلف لخير سلف

ح . م . في - شانكين - (سمترا)

(ج) أما افتراق الامة الاسلامية فهو واقع بالفعل ولكن لا يوجد دليل من القرآن ولا من الحديث يدل على اليأس من اتفاقهم في الامور العامة والاخوة الاسلامية والتعاون على مقاومة من يعاديهم كلهم وعلى ما ينفعهم كلهم وان ظلوا مختلفين في كثير من المسائل بأن يكونوا في اختلافهم على هدي السلف الصالح في عذر بعضهم لبعض واتقاء التكفير والعدوان

وأما الحديث الوارد في الافتراق فقد رواه غير واحد من الحفاظ منهم أحمد وابو داود والترمذي وهو في الجامع الصغير بلفظ « افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين » رواه احمد عن ابي هريرة . أقول ورواه الترمذي عنه بلفظ « تفرقت » ثم قال : في الباب عن سعيد وعبدالله بن عمرو وعوف بن مالك حديث حسن صحيح . حدثنا محمود بن غيلان حدثنا أبو داود الحفري عن سفيان عن عبد الرحمن بن زياد

الافريقي عن عبد الله بن يزيد عن عبدالله بن عمر قال قال رسول الله (ص) ليأتين على أمتي ماأتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل - الى أن قال (ص) - وان بني اسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة كلهم في النار الا ملة واحدة » قالوا من هي يارسول الله ؟ قال « ماأنا عليه وأصحابي » هذا حديث حسن غريب مفسر لانعرفه مثل هذا الا من هذا الوجه اه كلام الترمذي فهذه الرواية التي تعين الفرقة الناجية بشيء من القوة في إسنادها عبد الرحمن بن زياد الافريقي رواها وهو قاضي افريقية قال فيه الامام احمد ليس بشيء نحن لا نروي عنه شيئا وقال النسائي ضعيف في الثقات . وقال بعضهم لابأس به وقال ابن حبان انه يروي الموضوعات عن الثقات ولما نقل الذهبي عنه هذا القول قرنه بقوله «فاسرف» . وروي بأسانيد أضعف من هذه وأوهى فالرواية اذا لم تخل من طعن فيها

ورواه الحاكم في صحيحه وما انفرد الحاكم بتصحيحه لايسلم من مقال أيضا ولكن قال في المقاصد ان الحديث حسن صحيح يعني بزيادة كلهم في النار الا فرقة واحدة وروي بلفظ كلهم في الجنة الا فرقة واحدة . فسئل عنها فقال الزنادقة والقدرية . رواه العقيلي والدارقطني وهو موضوع وضعه ابن الاشرس وفي شرح عقيدة السفاريني مانصه : ذكر أبو حامد الغزالي في كتاب التفرقة بين الاسلام والزندقة ان النبي (ص) قال « ستفترق أمتي نيفا وسبعين فرقة كلهم في الجنة الا الزنادقة وهي فرقة (؟) » هذا لفظ الحديث في بعض الروايات قال وظاهر الحديث يدل على انه أراد الزنادقة من أمته إذ قال « ستفترق أمتي » ومن لم يعترف بنبوته فليس من أمته » والذين ينكرون المعاد والصانع فليسوا معترفين بنبوته إذ يزعمون ان الموت عدم محض وان العالم كذلك لم يزل موجودا بنفسه من غير صانع ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وينسبون الانبياء الى التلبيس فلا يمكن نسبتهم الى الامة انتهى

« قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الاسكندرية اما هذا الحديث فلا أصل له بل هو موضوع كذب باتفاق أهل الحديث المعروفين بهذا اللفظ بل الذي في كتب السنن والمسانيد عن النبي (ص) من وجوه إنه قال « ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار » وروي عنه انه قال

« هي الجماعة » وفي حديث آخر « هي من كان على مثل ما أنا اليوم عليه وأصحابي» وضعفه ابن حزم لكن رواه الحاكم في صحيحه وقد رواه ابو داود والترمذي وغيرهم » قال : وأيضا لفظ الزندقة لا يوجد في كلام النبي صلى الله عليه وسلم كما لا يوجد في القرآن . وأما الزنديق الذي تكلم الفقهاء في توبته قبولا وردا فالمراد به عندهم المنافق الذي يظهر الايمان ويبطن الكفر اه

« (قلت) وقد ذكر الحديث الذي ذكره الغزالي الحافظ ابن الجوزي في الموضوعات وذكر انه روي من حديث أنس ولفظه « تفترق أمتي على سبعين أو احدى وسبعين فرقة كلهم في الجنة الا فرقة واحدة » قالوا يا رسول الله من هم ؟ قال « الزنادقة وهم القدرية » أخرجه العقيلي وابن عدي ورواه الطبراني أيضا . قال أنس كنا نرام القدرية . قال ابن الجوزي وضعه برد بن اشرس وكان وضاعا كذابا واخذه عنه ياسين الزيات فقلب اسناده وخلطه وسرقه عثمان بن عفان القرشي وهؤلاء كذابون متروكون

« وأما الحديث الذي أخبر النبي (ص) ان أمته ستفترق الى ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار فروي من حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وابن عمر وأبي الدرداء ومعاوية وابن عباس وجابر وأبي امامة وواثلة وعوف بن مالك وعمرو بن عوف المزني فكل هؤلاء قالوا واحدة في الجنة وهي الجماعة . ولفظ حديث معاوية ما تقدم فهو الذي ينبغي أن يعول عليه دون الحديث المكذوب على النبي صلى الله عليه وسلم والله اعلم اه ما أورده السفاريني

أقول حديث معاوية الذي أشار اليه رواه عنه احمد والطبراني والحاكم بلفظ « ان أهل الكتاب افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة وان هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار الا واحدة وهي الجماعة » وفيه زيادة عزاها السفاريني الى أبي داود فقط وهي « وانه ستخرج في أمتي أقوام تجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه فلا يبقى منهم عرق ولا مفصل الا دخله » وهذا أمثل ما رواه الحاكم من ألفاظ هذا الحديث وسنده لا يسلم من مقال ورواه بغير

هذا اللفظ عن كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف عن ابيه عن جده . وكثير هذا طعنوا فيه حتى قال الشافعي وابو داود انه ركن من أركان الكذب وقال ابن حبان له عن أبيه عن جده نسخة موضوعة وذكر الذهبي ان العلماء لا يعتمدون على تصحيح الترمذي لأنه روى عنه حديث « الصلح جائز بين المسلمين » وصححه

وجملة القول ان تعدد طرق هذا الحديث يقوي بعضها بعضا على طريقتهم المتبعة في ذلك وأظن انه لاتسلم رواية منها عن طعان أومقال كما قال ابن شهاب خلافا لمن اعتمد تصحيح الحاكم لبعضها وكلها مشكلة مخالفة للاحاديث الصحيحة كما يأتي

وأما معنى الحديث بصرف النظر عن سنده فهو ان الفرقة الناجية هي الفرقة التي تتبع السنة التي كان عليها النبي (ص) وأصحابه أي سنة السلف الصالح قبل ظهور البدع وهؤلاء هم الجماعة قلوا أم كثروا وهم لا ينحصرون في هذا الزمان بأهل مذهب معين من المذاهب المعروفة على ان أهل الاثر والحنابلة أقرب من غيرهم الى السنة وابعد عن البدعة وذلك ان المسائل التي اختلف فيها أهل المذاهب لا ينحصر الحق فيها في مذهب دون غيره فتارة يكون الصواب مع الاشعرية وتارة مع الماتريدية فيما يختلفان فيه وقل مثل هذا في خلاف المعتزلة والشيعة وغيرهم وفي الفروع وسائر المذاهب . ثم ان المنتسبين الى هذه المذاهب ليسوا متبعين لائمتها حق الاتباع فيكون أتباع المصيب هم الفرقة الناجية . فالظاهر ان الناجين في كل زمان هم أهل الاتباع الذين يتقون الابتداع ولا يخلو المنتسبون الى مذهب من المذاهب المعتد بها في الاسلام عن طائفة أو افراد منهم يؤثرون السنة على كل بدعة ومجموعهم طائفة واحدة يجمعهم الاعتصام بالكتاب والسنة (ثلة من الاولين وقليل من الآخرين)

وقد عد بعضهم هذا الحديث مشكلا وتوسع الشيخ صالح المقبلي في بيان هذا الاشكال وحله في كتابه العلم الشامخ وانا نلخص منه ما يأتي

قال « والاشكال في قوله كلها في النار الا ملة فمن المعلوم انهم خير الامم وان المرجو أن يكونوا نصف أهل الجنة مع أنهم في سائر الامم كالشعرة البيضاء في الثور الاسود أو كالشعرة السوداء في الثور الابيض حسبما صرحت به الأحاديث فكيف يتمشى هذا ؟ فبعض الناس تكلم في ضعف هذه الجملة وقال هي زيادة غير ثابتة و بعضهم تأول

الكلام بأن الفرقة الناجية ما هو كل فرقة وهو كلام متنقض لان الصلاح ان رجع الى محل الافتراق فهم فرقة واحدة لأفراد من الفرق وان رجع الى غير ذلك فلا دخل له لان الكلام انهم في النار لأجل الافتراق وما صاروا به فرقا

« ثم ان الناس صنفوا في هذا المطلب وأخذوا في تعداد الفرق ليبلغوا بها الى ثلاث وسبعين ثم يحكم كل منهم لنفسه ومن وافقه بأنه الفرقة الناجية وانما يصنعون ذلك لادعاء كل منهم انه على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ثم صرح بالملك صلى الله عليه وآله وسلم ثم اتفق عليه جميع الفرق الاسلامية انما ينحصر النظر فيمن الباقي على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ومن المعلوم ان ليس المراد ان لا يقع منها أدنى اختلاف فان ذلك قد كان في فضلاء الصحابة انما الكلام في مخالفة تصير صاحبها فرقة مستقلة ابتدعها

« واذا حققت ذلك فهذه البدع الواقعة في مهمات المسائل وفيما يترتب عليه عظائم المفاسد لا تكاد تنحصر ولكنها لم تخص معينا من هذه الفرق التي قد تحزبت والتأم بعضهم الى قوم وخالف آخرون بحسب مسائل عديدة حتى ادخلوا نوادر المسائل وما لا ضرر في مخالفته فربما لم يكن من مهمات الدين أولم يكن من الدين في شيء ولكن كلٌّ تسمى باسم مدح اخترعه لنفسه وصاروا يجعلون المسائل شعارا لهم من دون نظر في مكانة تلك المسألة في الدين والخوارج يسمون نفوسهم الشراة والاشاعرة يسمون نفوسهم أهل السنة والمعتزلة يسمون نفوسهم العدلية أو أهل العدل والتوحيد لان خصمهم يثبت الصفات أمورا مستقلة فليسوا بموحدين أو لانهم مشبهة اما صريحا أو إلزاما ونحو ذلك مما تخبرك به كتب المقالات والكلام . والانصاف ان كلا منهم قد اخترع مالم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة رضي الله عنهم واختلفت البدع فمن كبير وأكبر وصغير وأصغر وما بينهما اعني الكبر والصغر اللغويين لا الاصطلاحيين فذلك مما لا سبيل اليه الا بالتوقيف والمفروض ان هذه أشياء مخترعة فكيف التوقيف على مالم يذكر بنفي ولا إثبات انما غايته ان يكون دخل في عموم نهي أو نحو ذلك فتعين الفرق وتعدادها فرقة فرقة وانها هي التي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا سبيل اليه ألبتة انما تكلموا فيها خبطا

وجزاقًا سوا. هم ذلك وجرأهم عليه البدعة الاولى التي خالفوا بها السنة

« فان قلت ومن ذا الذي بقي على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ولم يشارك الناس في تحزبهم وابتداعهم (قلت) اما في العصور المتقدمة فكان ذلك هو الغالب ومازالوا من عام الى عام يرذلون وأما الآن في زمن الغربة فأما من يرجع اليه في مسائل الدين وهم المتفقهة فهي غاية القلة وبذلك تصدق الغربة لان العلماء هم المقتدى بهم وبهم يصير الدين غريبا وأهيلا على انهم قد قلوا في أنفسهم لا تكاد تجد اليوم مدعيا عنده بينة » وأما الاعصار المتوسطة من المئتين الى سبع مئة تقريبا ففيها ثورة العلماء وسيلة الجهابذة الحكماء وما شئت ان تأخذ منهم من خير وشر وجدته أما الخير فبتحقيق فنون العلم وبثها وأما الشر فبتأييد الفرقة »

ثم انه قسم الناس الى عامة وخاصة وقال ان العامة ومنهم النساء والعبيد براء من البدعة ولا يسمون أهل السنة أيضا بل يسمون مسلمين

قال « وأما الخاصة فمنهم مبتدع اخترع البدعة وجعلها نصب عينيه وبلغ في تقويتها كل مبلغ وجعلها أصلا يرد اليها صرائح الكتاب والسنة ثم تبعه أقوام من نمطه في التفقه والتعصب وربما جددوا بدعته وفرعوا عليها وحملوه ما لم يتحمله ولكنه امامهم المقدم وهؤلاء هم المبتدعة حقا لكن تختلف تلك البدعة في كونها ذات مكانة في الدين أم لا »

ثم ذكر ان من الناس من تبع هؤلاء ونصرهم وقوى سوادهم بالتدريس والتصنيف ولكنه عند نفسه راجع الى الحق وقد دس في تلك الابحاث نقوضها لكن على وجه خفي لغرض . ومنهم من تدرب في كلام الناس وعرف أوائل الابحاث وحفظ كثيرا من غثاء ما حصلوه ولكن أرواح البحث بينه وبينها حائل لقصور الهمة والرضا من الاوائل قال « وهؤلاء هم الاكثرون عددا والارذلون قدرا فانهم لم يحظوا بخصيصة الخاصة ولا أدركوا سلامة العامة » وقال ان هؤلاء لهم حكم الابتداع والذين قبلهم ظاهرهم الابتداع ورأيه أن تعامل هذه الاقسام الثلاثة معاملة المبتدعة وحسابهم على الله تعالى

قال « ومن الخاصة قسم رابع ثلة من الأولين وقليل من الآخرين أقبلوا

على الكتاب والسنة وساروا بسيرهما وسكتوا عما سكتا عنه وأقدموا وأحجموا بهما وتركوا تكلف ما لا يعنيهم وكان تهمهم السلامة وحياة السنة آثر عندهم من حياة نفوسهم وقرة عين أحدهم تلاوة كتاب الله تعالى وفهم معانيه على السليقة العربية والتفسيرات المروية ومعرفة ثبوت حديث نبوي لفظا وحكما فهؤلاء هم السنية حقا وهم الفرقة الناجية واليهم العامة بأسرهم ومن يشاء ربك من أقسام الخاصة الثلاثة المذكورين بحسب علمه بقدر بدعتهم ونياتهم »

ثم بين ان هذا هو المخرج من الاشكال ومناقضة هذا الحديث لأحاديث فضائل الامة المرحومة واحتج لذلك بحديث حذيفة في الصحيحين وسنن أبي داود قال كان الناس يسألون رسول الله (ص) عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله انا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال « نعم » قلت فهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال « نعم وفيه دخن » قلت وما دخنه قال « قوم يستنون بغير سنتي ويهتدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر » قلت فهل بعد هذا الخير من شر قال « نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم اليها قذفوه فيها » قلت يا رسول الله فما تأمرني إن أدركني ذلك قال « تلزم جماعة المسلمين وامامهم » قلت وان لم يكن جماعة والا إمام قال « فاعتزل تلك الفرق كلها ولو ان تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك » ثم شرح المصنف هذا الحديث وطبقه على أحوال المسلمين الى عصره في القرن الحادي عشر وأكبر العبرة فيه الامر باعتزال جميع فرق المسلمين اذا لم تكن كلمتهم مجتمعة على الامام الحق الذي يقيم الدين وينشر دعوته في العالمين

الاسلام دين التوحيد وما أمر المسلمون الا ليعبدوا إلها واحدا ويتبعوا دينا واحدا ويتبعوا لهم إماما واحدا ويكونوا أمة واحدة لايفرقهم نسب ولا لغة ولا وطن وقد نهوا عن التفرق كما نهوا عن الكفر ولكن ظهر الاسلام في الاميين فلم تكن الامم والشعوب تفين بعض معارفه حتى دخلوا فيه أفواجا من غير دعوة منتظمة ولا مدارس مشيدة لانهم فضلوا بعض ماعرفوا منه على كل ما كانوا يعرفون من

أديانهم فكان هذا الاقبال السريع على الدخول فيه من أسباب تفرق أهله شيعا ومذاهب ودولا وأنما كل حزب بما لديهم فرحون «ثم صار أحزاب السياسة أحزاب الدين وأحزاب الدين أحزاب السياسة على حزب التوحيد وتفريق الموحدين حتى جنوا على التوحيد نفسه توحيد الألوهية بالتوجه الى غير الله ودعاء سواه ، وتوحيد الربوبية بشرع مالم يأذن به الله ، وحتى سلط الله تعالى على جميع هذه الاحزاب أعداء خضدوا شوكتها ، وزلزلوا دولتها ، فضعف الغرور بها ، وعلى قدر ضعفهم وضعفها صار بعض المسلمين يشعرون بحاجتهم الى الاتحاد بسائر اخوانهم ، وكان أول من دعاهم في هذا العصر الى وجوب التعارف والاتحاد المصلح الحكيم الشهير السيد جمال الدين الافغاني رحمه الله تعالى ورضي عنه ، وقد صار المقتنعون بوجوب ذلك كثيرون

ان تفرق المسلمين في السياسة والدولة قد خرج أمر تلافيه من أيدي المسلمين لانهم صاروا كلهم عالة على دول أوربا القوية حتى ان أقوى دولهم تعيش بمال أوربا ويعمل فيها نفوذ أوربا مالا يستطيع أحد ان يمنعه فلا نبحث في هذا فان له اجلا لا بد ان يبلغه وانما نستفيد من حوادث الزمان في ضغط أوربا مانستعين به على تلافي ضرر التفرق في المذهب والجنس واللغة فقد رأينا ميل الفرس وإحساسهم بأخوة سائر المسلمين قد قوي بعد احتلال روسية لبعض بلادهم وتهديد انكلترة إيام باحتلال البعض الآخر

أما التفرق في المذاهب فقد ضعف بقلة المذاهب وجهل المنتسبين اليها بحقيقة المذاهب بعصبيتها وتوجه كثيرين منهم الى علوم وآداب أخرى غريبة عنها فطريق أمامنا فرق كثيرة يذكرون بلقب مذهبي الامامية والزيدية من الشيعة والاباضية من فرق الخوارج والوهابية من فرق أهل السنة وكانوا يسمون الحنابلة ومعظم النزاع بينهم وبين الأشعرية وقد تلاشى لقب أشعري وماتريدي من غير الكتب وأما الخلاف في الفروع فألقاب المذاهب فيه محفوظة ولا يعرف الجماهير من المذاهب التي ينتسبون اليها الا قليلا من المسائل التي يخالفون فيها غيرهم كقنوت الشافعية في الصبح وسدل المالكية أيديهم في الصلاة ، وقد بقي لكل مذهب في الاصول والفروع طائفة من المتعلمين الى تعلمها وتعليمها يتعصبون لها لانها مورد معيشتهم ومصدر جاههم

فهم الآن دعاة التفريق وأنصاره ولكن حوادث الزمان ستمحق هؤلاء باظهار دواعي الالفة والوحدة ومضرات التفرق فيكون المؤمنون اخوة متحابين لايمنعهم من ذلك الاختلاف في بعض المسائل الدينية ، بل يكون كالخلاف في المسائل العلمية والعادية

وأما التفرق باختلاف اللغة والجنس والوطن فله في العصر دعاة من المتفرنجين هم أشد آفة وفتنة من دعاة التفرق بالمذاهب لانهم يتغلبون على المناصب وأعمال الحكومة ومصالحها بميل الحكومات الى تقليد الافرنج في كل شيء حتى صار في مسلمي مصر من يفتخر بالفراعنة وإن كان فيهم من لعنه الله وكلهم في الوثنية واستعباد البشر سواء ، ومن الفرس من يفتخر بسلفه من المجوس ، بل نرى بعض الشعوب التي لا يعرف لها سلف مدني له آثار في العلوم والفنون قبل الاسلام أشد عصبية للصنف واللغة من الشعوب التي لها سلف في ذلك ، فيجب على علماء الاسلام الاعلام ان يتحدوا ويتعاونوا في جميع البلاد الاسلامية لكبح شر هؤلاء وتحقيق الوحدة الاسلامية التي جعلت المسلمين كلهم أخوة حتى تسنى بها لعتيق حبشي أسود ان يعتقل أميرا قرشيا فاتحا بعمامته في مكان سلطانه وسؤدده امام الناس ويقوده بها الى المحاسبة على ما أنفق من مال الامة ، ذلك العتيق الحبشي هو بلال رضي الله عنه وذلك الامير هو سيد بني مخزوم سيف الله ورسوله خالد بن الوليد رضي الله عنه

ان الوحدة الاسلامية الدينية الادبية التي ينشدها المصلحون تتوقف على تعميم لغة الاسلام بين جميع الشعوب الاسلامية اذ لا تآلف بغير تعارف، ولا تعارف بغير تفاهم ، ولا يسهل التفاهم بين المسلمين الا بلغة دينهم المشتركة بينهم وهي العربية التي لم تعد خاصة بالعنصر العربي بالنسب كما ان الاسلام ليس خاصا به — وعلى تعارف علماء المسلمين وتعاونهم بالجمعيات العلمية الادبية والجرائد على توحيد طريقة التعليم الديني والاجتماعي وقد أنشأوا يشعرون بهذه الحاجة لحياتهم وسيكون العمل قريبا ان شاء الله تعالى

* * *

﴿ القرآن في الفونغراف ﴾

(س ٥٦) من صاحب الامضاء في روسية

أرجو ياحضرة الاستاذ أن تفيدنا عن السؤال الآتي :

قد افتتح البحث بطرفنا في جواز استعمال القرآن في صندوق الفونوغراف

الذي حدث في هذ الزمان وهل يعد قرآنا وهل اذا كان قرآنا يجوز استعمال الصندوق للقراءة ويجوز سماعها منه .

وعندنا في هذه المسألة فريقان يختصمان فريق يحرمونه بالكلية ويقولون انه استعمال القراءة في محل اللهو واللعب وإن الصندوق لا يستعمل للعبادة . وفريق يجوزونه والمحسوب من جملتهم . لان أهل بلاد القزان محتاجون لاصلاح قراءة القرآن الكريم بالانغام العربية ولا يتيسر لكل أحد منهم أن يذهب الى مصر أو الحجاز حتى يتلقى من أفواه المشايخ وان قلنا بجواز استعماله كنا نتعلم ونأخذ ما في الصندوق من الانغام العربية المطربة والاصوات المدهشة وكنا كأبي سلامة الحجازي وغيره من القراء .

ولا شك ان استعماله بهذا القصد يكون عبادة أفيدونا ولكم الاجر والثواب

أبو أديب حافظ حلمي

(ج) اذا كانت علة تحريم استعمال هذا الصندوق في القراءة هي أنه استعمال له في محل اللهو فالتحريم غير ذاتي عندهم ولا هو تحريم لإيداع القرآن في ألواح هذه الآلة أو اسطواناتها ولا لادارتها لأجل أدائها للتلاوة وانما تحريم لأجل هذا الأداء في محل اللهو واللعب الذي ينافي احترام القرآن واذا كان الحكم يدور مع العلة فيمكن أن يقال بانتفاء الحرمة عند انتفاء تلك العلة والسماع من الصندوق لأجل العظة أو ضبط القراءة أو غير ذلك من المقاصد الصحيحة فان قيل انه ينبغي القول باطراد الحرمة لأجل سد ذريعة إهانة القرآن يمكن أن يجاب بمنع كون هذه الاهانة محققة أو غالبة في استعمال المسلمين لهذه الآلة في التلاوة ؛ وعلى تقدير التسليم يقال أن ما حرم لسد الذريعة يباح للحاجة كاباحة رؤية المرأة الاجنبية عند القائلين بتحريم رؤية وجهها لسد ذريعة الفتنة اذا احتيج الى ذلك لأجل توكيل أو شهادة وجواز رؤية الطبيب لأي جزء من بدنها المحرم ابداؤه بالاجماع لأجل المداواة فالصواب ان استعمال هذه الآلة في التلاوة لا يحرم الا اذا كان فيه إخلال بالأدب الواجب في الاستعمال والسماع والعمدة في ذلك النية والعرف وقد يكون مستحبا اذا كان فيه عظة أو ضبط للقراءة وربما كان واجبا كأن يتوقف عليه ضبط وحفظ ما تجب تلاوته في الصلاة كالفاتحة . وقد انتقدنا على السائل تعبيره عن الاداء

الصحيح والتجويد لتلاوة القرآن بلفظ الانغام المطربة فالتطريب الذي يكون من بعض القراء بمصر محظور لأنه ينافي الخشوع . واذا كان يعني بأبي سلامة الحجازي الشيخ سلامه حجازي المصري المشهور فليعلم انه ليس من القراء ولكنه من المطربين . والحاصل أن الاقدام على التحريم ليس بالأمر السهل لأنه تشريع جديد بخلاف القول بالحل فانه الاصل في الاشياء ، والنيات في القلوب ، والعرف العام ليس مما يخفى فيختلف فيه الناس ، ولا أنكر أن في مصر من لا يراعي الادب الواجب في هذا الاستعمال فالحذر الحذر

(باب المقالات)

مشروع احياء الآداب العربية (*)

﴿ تقاومه جريدة قبطية ﴾

عزمت الحكومة المصرية على طبع بعض الآثار العربية من المصنفات النافعة النادرة بالمال الخاص بدار الكتب المصرية (الكتبخانة الخديوية) وكان لديها في الميزانية ألف جنيه لتنشيط الآداب العربية فقررت اضافته الى المحبوس على دار الكتب والاستعانة به على طبع تلك الآثار

عزم شريف على عمل صالح يحمده كل أديب عربي ولا ينتقده عاقل أعجمي لان هذه الحكومة عربية والامة الذي تحكمها عربية وهي حكومة غنية تعد الالف الجنيه قليلة منها على مثل هذا العمل التي تنفق حكومات أوربة وشعوبها في سبيله ألوفا كثيرة من الجنيهات حتى صارت دور الكتب في بلادهم (كباريس ولندن وليدن وبرلين) أغنى من دار الكتب المصرية بمصنفات سلفنا العرب من المصريين وغيرهم وصاروا يطبعون من نفائسها ما نضطر الى ابتياعه منهم بل صرنا نرسل أولادنا ليتعلموا الآداب العربية في أوربا وهذا عار علينا عظيم

لم تكن العناية ببذل المال على جمع الكتب العربية ونشرها قاصرا على الحكومات

(*) ترى الكلام على هذا المشروع مفصلا في موضع آخر من هذا الجزء

ورجال العلم من الاوروبيين بل رأينا بعض الجمعيات الدينية النصرانية تفعل ذلك كجمعية اليسوعيين فقد رأينا مكتبتها في بيروت جامعة لنفائس الكتب العربية التي يعز نظيرها في مكتبتنا المصرية وقد طبعت لنا كثيرًا من هذه النفائس

لا ريب في أن العمل الذي شرعت فيه الحكومة المصرية العربية جليل ، ولا ريب في أن المال الذي خصصته له في هذا العام من ميزانيتها قليل ، فهي تنفق أكثر منه في ضيافة أحد ضيوف الامير يوما واحدا ، وتنفق أكثر منه في مساعدة التمثيل الافرنجي الذي يرى جمهور الامة أن إثمه أكبر من نفعه . وتنفق أكثر منه في البحث عن أسماك النيل والوقوف على أنواعها وهو عمل قلما يوجد مصري ينتفع به وإنما يعد مثله من كماليات فروع العلوم في أوربا وأين نحن من مبادي أصول هذا الفرع الآن

على هذا كله حمد العقلاء والادباء مشروع الحكومة الجديد ، وهم يرجون منها المزيد ، ولم يكن يخطر في البال أن يلقى هذا المشروع اعتراضا ، ولا أن يصادف انتقاضا ، حتى سمعنا نعاب صاحب جريدة الوطن القبطية يدعو بالويل والثبور وينعي على الحكومة المصرية عملها ويندب الشعب المصري مدعيا أن الحكومة تريد بهذا العمل افساد آدابه ومنعه من العلوم والمعارف والآداب الصحيحة التي ترقيه وتجعله من الشعوب العزيزة الراقية ، وزجه في ظلمات « الخرافات والسفاهات والسخافات والجهالات العربية » ! ! وزعم الكاتب انه لا يوجد في الكتب العربية غير تلك المضار التي استفرغ كل ما في جوفه وجهله وصفا لها وكل اناء ينضح بما فيه

رأيت في بعض الجرائد بعض عبارات جريدة الوطن البذيئة في هذه المسألة وأطلعني بعض الناس على عدد منها رأيت الكاتب فيه لم يكتف بتحقير جميع العرب والقدح في كل ما كتبوا وصنفوا حتى صرح بذم دينهم في ضمن ذلك فقال في سياقه البذيء ، « وهل أصبح كل ما في مصر آداب العرب وتاريخ العرب وحضارة العرب ودين العرب وكتب العرب وخرافات العرب وغلاظات العرب وحرم علينا أن نلم بالمفيد وأن ينفق مالنا فيما يرقى الآداب والمعيشة ويرفعنا من هذا الحضيض القذر الى مقام الذين ظهروا من سخافات الأجداد » الخ

يعني الكاتب بدين العرب دين الاسلام وهو يريد أن يمحي الاسلام ولغته

وآدابها من مصر وتحل محلها القبطية وهذا هو السبب الذي جعل مشروع طبع الكتب العربية "ينقض عليه انقضاض الصاعقة" كما قال في مقالة يوم السبت (٨ ذي الحجة) التي نقلنا هذه الجملة منها آنفا وهي أهون ما كتب وأقله بذاءة ، وماهو بالمصاب الكبير في نفسه الذي يصعق له الناس فيصرعون فيقومون كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس لا يدرون ماذا يقولون

صاحب الوطن جاهل بلغة العرب وآداب العرب وحضارة العرب ، وتاريخ العرب ودين العرب لا يعرف من ذلك مايجيز له الحكم في نفعها وضررها . ولكن الجهل وحده لا يستطيع أن يهبط بصاحبه الى الدرك الاسفل الذي وقع فيه صاحب الوطن ومن عاونه على تلك الكتابة "وانما ذلك الغلو في التعصب الديني و بغضه لمسلمي وطنه جعله يصعق من كل شيء يستفيدون منه في دينهم وان كان نافعا للبلاد المصرية"

لو كانت علته هي الجهل وحده لأمكن مداواتها في هذه المسألة باعلامه ان اللغة العربية ليست خاصة بالمسلمين وإنما هي مشتركة بينهم و بين غيرهم في نفس جزيرة العرب لا في مصر وحدها وقد كانت لغة لليهود والنصارى فيها قبل ظهور الاسلام وقد صارت بعده اللغة الطبيعية لجميع العراقيين والسوريين والمصريين وسائر القسم الشمالي من أفريقية وانه ليس في استطاعة صاحب جريدة الوطن وصاحب جريدة مصر القبطيتين ومن على رأيهما من المتعصبين نسخها واستبدال القبطية بها و إذا كان الامر كذلك وكان من البديهيات ان ارتقاء أمة بدون ارتقاء لغتها وآداب لغتها من المحال وكان يحب ارتقاء المصريين عامة في العلوم والفنون والمدنية كما يدعي فالواجب عليه أن يشكر للحكومة عملها في خدمة آداب لغتها ولغة أمثالها لا أن يصعق عند علمه بذلك

لو كانت علته هي الجهل وحده لأمكن مداواتها باعلامه بما قال منصفو علماء الافرنج في بيان فضل لغة العرب وآدابهم وحضارتهم كغوستاف لوبون صاحب كتاب مدنية العرب وسديو صاحب تاريخ العرب ودراپر وغيرهم ، وقد سئل أحد علماء الانكليز : اذا أراد البشر أن يوحدوا لغتهم فأي اللغات تختار أن تكون لغة جميع البشر ؟ قال اللغة العربية . وقد قال لي مرة مستر (متشل أنس) الانكليزي الذي كان وكيلا لنظارة المالية ماأظن انه يوجد في العربية شعر راق كالشعر الانكليزي

فقلت وأنا أظن العكس ولا عبرة برأيي ولا برأيك في ذلك فيجب أن نرجع الى العارف بالفنين، صاحب الذوق في الشعرين ، ثم لقيت مستر (بلنت) الكاتب الشاعر الانكليزي المشهور الذي نظم المعلقات السبع العربية بالانكليزية فذكرت له ذلك فقال قل (لمتشل أنس) ان العرب كانوا ينطقون بالحكمة في شعرهم عند ما كان الانكليز مثل الوحوش يطوفون في الغابات عراة الاجسام

لو كانت علته هي الجهل وحده لامكن مداواتها باعلامه ان الامم الحية تبحث عن الكتب القديمة في لغتها وكذا في لغة غيرها لاجل الوقوف على سير العلوم والفنون والآداب فيها توسعا في التاريخ وتحقيقا لمسائله ولا سيما اذا كانت كتب تلك اللغات من حلقات سلسلة المدنية والحضارة كاللغة العربية التي هي الحلقة الموصلة بين المدنية الاوربية الحاضرة والمدنيات القديمة باجماع العارفين

لو كانت علته هي الجهل وحده لأمكن مداواتها باعلامه بما في الكتب العربية من الآداب والفضائل ولو بالاجمال ، وبوجه حاجة الامة التي تسير في طريق الارتقاء من معرفة تاريخ لغتها وآثار سلفها فيه ، وبأن تكوّنها من شعوب كثيرة لهم سلف آخرون في النسب والدين أو المدنية لاينافي حاجتها الى احياء آثار سلفها في اللغة لان رابطة اللغة هي التي تربط هذه الشعوب بعضهم ببعض وتجعل ارتقاءهم بها وحياتهم العامة بحياتها

لو كانت علته هي الجهل وحده لامكن مداواتها باعلامه أن البشر متشابهون في الصفات والاعراض البشرية وان ذلك خيره وشره يظهر في لغاتهم فاذا كانت عين التعصب أرته في بعض الكتب العربية طعنا من مسلم في دين النصارى فليعلم أن في الكتب العربية القديمة والحديثة طعنا من النصارى في الاسلام مثل ذلك أو أشد اذا كان قد عمي عما يكتبه هو وغيره من قومه في هذا العصر من الطعن في الاسلام وحسبه منه العبارة التي نقلناها آنفا التي جعل فيها دين العرب وآدابهم من الاقذار التي قاءها في جريدته ، ويوجد في كتب الافرنج من الطعن في الدين الاسلامي والمسلمين ماهو أشد من ذلك وأقبح وكله بهتان لم يخطر على بال أحد من أجهل جهلاء المسلمين بالاسلام . واذا كان قد رأى أو سمع أن في بعض الكتب العربية مجونا فليسأل المطلعين على اللغات الاوربية يخبروه أن في بعضها من فنون المجون ما لم يكن

يخطر على بال أحد من العرب ولا يجري على لسانه ولا على قلمه ، وهل امتلأت الدنيا بفواحش بقايا أوربة وبقيت لغاتهم منزهة عن التعبير عن ذلك ؟؟

لو كانت علته هي الجهل وحده لامكن مداواتها باعلامه أن طبع الحكومة لبعض الكتب العربية لاتقصد أن تستغني به عما تستفيده من الافرنج مما لابدلنا منه من الفنون الصناعية والزراعية والاقتصادية ولا أن تبطل به نظام التعليم في المدارس فتعلم تلاميذها الجغرافية القديمة بدلا من الجغرافية الحديثة (مثلا) بل لا نظن أن هذا مما يخفى عليه

لو كانت علته هي الجهل وحده لأمكن مداواتها باطلاعه على نظام التعليم في مدارس الحكومة التي يدعي أنها تريد قتل الامة بجهالات العرب ... وإخباره بأن نظارة المعارف قد أنشأت قلما جديدا لترجمة الكتب المفيدة فهي اذا التفتت الى ترقية لغتنا بأحياء تاريخها الماضي لغة واحدة فقد نظرت الى ترقيتها بادخال العلوم الاوربية فيها قبل ذلك وكل مدارسها شاهدة على ذلك ، وانما قلم الترجمة الجديد حسنة من حسنات الناظر الجديد أحمد حشمت باشا

ليست علة صاحب جريدة الوطن هي الجهل فنداويها بما ذكرنا وما لم نذكر من العلم الصحيح فان الجهل وحده لا يستطيع الى أن يهبط به الى هذه الدركة من الخذلان وانما علته هي الغلو في التعصب القبطي وكراهة كل شيء ينفع الاسلام والمسلمين وان نفع غيرهم ولم يضرهم وقد بلغني وأنا في الاستانة ان التعصب قد دلج به وبزميله صاحب جريدة مصر في هذا العام حتى أنكر ذلك عليهما قومهما وهذه العلة لا علاج لها ولا دواء ولكن يمكن تخفيف أعراضها بحكمة الحكومة وعدلها أو باظهار جمهور القبط السخط عليها إن كانوا يعقلون

* * *

نشرنا هذه المقالة في المؤيد ثم ان الحكومة أنذرت صاحب جريدة الوطن بهذا الذنب وكان قد أنذر من قبل فاذا أتى بعد هذا بأي ذنب يعاقب عليه القانون تقفل جريدته . وأما القبط فقد ظهر من جمهور كبير منهم انهم راضون من وقاحة جريدة الوطن وتهجمها ولذلك ساعدتها جريدتهم الثانية (مصر) على ذلك ، وأيدتهما جريدة (الاخبار) أيضا ، والظاهر ان القوم يريدون بهذا التهجم الذي لا يعقل له سبب احداث فتنة بين المسلمين والقبط ويظنون ان ذلك يكون سبب البطشة الكبرى من انكلترا فلا تبقي للمسلمين في هذه الحكومة باقية

الدين والالحاد والاشتراكية

﴿ نصر المقتطف الايمان على التعطيل ﴾

يظن الكثيرون ان صاحبي مجلة المقتطف من الملاحدة المعطلين وكنت أنا أظن ذلك حتى اتفق من بضع سنين ان جرت بيننا مناظرة خاصة جر اليها الكلام العادي وكنت أنا الموجب المثبت بالطبع وكان آخر قولي المقبول فيها وصفوته أن هذه الكائنات في جملتها حادثة لم يكن شيء منها كما نعرفه الآن وفيها من الابداع والنظام ما يستحيل ان يكون حصل بالمصادفة أو يكون مصدره العدم المحض بل يجب عقلا ان يكون لهذا الابداع والنظام العجيب في العوالم العلوية والارضية مصدر وجودي ولكن حقيقة هذا المبدع الموجد للنظام والحافظ له مجهولة فنحن نسميه (الله) فاذا اعترف الماديون بما قلناه وسموا ذلك المبدع (المادة) فالاختلاف انما يكون بالتسمية والالفاظ الخ

مادار بيننا يومئذ ووافقني فيه مناظري أو محدثي على اثبات وجود الباري عز وجل، وان من كفر من علماء أوربا بآله الكنيسة لايمكنه ان يكفر بآله الطبيعة واعني بآله الكنيسة الموصوف بما تصفه به من الاقانيم والصفات ، وكنت أقول في نفسي بعد ذلك هل الدكتور يعقوب صروف مادي حقيقة وهل كانت مناظرته لي استرسالا في هذا البحث العلمي أم انتصارا لاعتقاده أم اختبارا لي ؟

ذكرت في كتابي (الحكمة الشرعية) الذي كان أول شيء ألفته أو كتبته في المسائل العلمية الدينية والاجتماعية ان أجدر الناس بقوة الايمان بالله تعالى علماء الطبيعة الواقفون على مالا يعرفه غيرهم من علماء الدين بنظام الكون وآيات الله تعالى فيه وهم العلماء المشار اليهم في قوله تعالى (٣٥ : ٢٦ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ٢٧ ومن الناس

والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك، انما يخشى الله من عباده العلماء، ان الله عزيز غفور)
فلا ريب ان المراد بالعلماء هنا العلماء بآياته تعالى وحكمه في نظام هذه الكائنات
المذكورة في الآيات

ثم رأيت في فاتحة جزء المقتطف الذي صدر في هذا الشهر مقالة علمية لمحرر
المقتطف يرد فيها على أحد المعطلين الاشتراكيين ويستدل على وجوده تعالى بآياته في
خلقه على طريقة القرآن لا على طريقة المتكلمين النظرية ويشرح هذه الآيات شرحا
علميا على طريقة علماء الكون في هذا العصر ، وقد أشار في هذه المقالة الى سبب
كتابتها وهو مانشره بعض المعطلين في باب المراسلة والمناظرة منه

راجعنا باب المناظرة فرأينا فيه رسالة بامضاء (سلامه موسى) يرتأي فيها أن
الحكومة المصرية لا يصلح حالها الا بالسير على مذهب الاشتراكيين الذي عنوانه
(لا رب ولا سيد) أي لا دين ولا سلطة ، وقال الكاتب في رسالته ما نصه
« ما هي اعتراضاتكم على الاشتراكية وعلى الالحاد ؟ ماتت بالأمس زوجة لصديق
اشتراكي لي فشيعناها الى القبر بلا صلاة وكان على عربة المائتة علم كبير مكتوب
عليه بحروف واضحة يكاد يقرأها الأعمى « لا رب ولا سيد » ولم أر العالم اختل
بذلك ولا الطريق تغيرت ولا الله ظهر ليثبت وجوده »

وقد علق المقتطف على هذه الرسالة تعليقا وجيزا ثم أيده بتلك المقالة فرأينا
أن ننقل في المنار كل ما كتبه تذكيرا للعالم وعبرة للمقلدين في الكفر الذين يقولون
لو كان أصل الدين حقا لما انكر وجود الله تعالى العلماء العارفون بنظام الكائنات ،
وقد كثر عندنا هؤلاء المقلدون الذين قال في مثلهم الشاعر العربي

عمي القلوب عموا عن كل فائدة لأنهم كفروا بالله تقليدا

وقد رأينا أن ننقل ما كتبه المقتطف في التعليق على رسالة ذلك الملحد أولا
ثم ننقل مقالته التي أيد فيها الايمان ، ثم نعقب ببعض ما كنا كتبناه في العام الماضي
في مسألة من المسائل التي ألم بها المقتطف وهي حال المتدينين في الفضيلة وكون العمران
مبنيا على أساس الدين والكفر داعية الفساد والخراب وهذا نص تعليقه على الرسالة

(المقتطف) نشرنا هذه الرسالة على جاري عادتنا من نشر رسائل المراسلين

ومناظرات المناظرين ولو كانت على غير رأينا . والغرض من نشرها إطلاع القراء على كيفية نظر الاشتراكيين في المسائل الاجتماعية ولا شبهة ان في الاجتماع البشري مساوئ كثيرة يجب نزعها وأمراضاً مزمنة يجب علاجها وان الاشتراكية أفادت فائدة كبيرة في التنبيه الى هذه المساوئ وهذه الامراض ولكن سير العمران لم يتوقف على الاشتراكية والمصلحون الذين لهم اليد الطولى في اصلاح حال المجتمع لم يتبعوا خطة واحدة وطريقة مقررة فبعضهم أفاد المجتمع بنشر المبادئ الادبية وبعضهم أفاده بنشر المبادئ الدينية وبعضهم بالثورة على المستبدين . ولا تفلح طريقة من الطرق ما لم تتهيأ وسائلها وتستعد الامم لها والا كانت كالضرب في الحديد البارد . وعلمنا واختبارنا يدلاننا على أن الامة المصرية سائرة في الطريق الذي يمكن سيره في هذا القطر للبلوغ الى نزع المساوئ القديمة . قلنا الامة المصرية ولم نقل الحكومة المصرية لأن الحكومة جزء من الامة والموظفون الاجانب الذين فيها من الانكليز وغيرهم لا يقلون عن الوطنيين اهتماماً باصلاح البلاد . والاصلاح المالي مقدم على الاصلاح العلمي دائماً كما يشهد تاريخ الاجتماع فلم يخطئ اللورد كرومر في سياسته المالية أي تقديم الاصلاح المالي على الاصلاح العلمي لان الانسان اذا أصلح ماله سهل عليه بعد ذلك تعليم أولاده والافلا . والحكومة الغنية يسهل عليها انشاء المدارس ونشر التعليم وأما الحكومة الفقيرة فيصعب عليها ذلك أو يتعذر

والتعطيل أي انكار وجود الله ونسبة الانسان اليه من مقوضات دعائم العمران ولا عبرة بثبوت العمران الآن بين الاقوام الذين شاع التعطيل عندهم لانهم تربوا تربية دينية فرسخ في نفوسهم عمل الواجب وكراهة الكذب والاعتداء على الغير ونحو ذلك من الشرور ولكن اذا نزع مبدأ الحلال والحرام الديني تعذر وضع مبدإ آخر يقوم مقامه ويرسخ رسوخه ولذلك يوجس المفكرون شراً مما ستصير اليه حال أوربا وأميركا في أواخر هذا القرن اذا انتشر التعطيل فيها . هذا فضلاً عن ان التعطيل غير معقول لذاته فرفضه خطأ علمياً كما هو ضرر اجتماعياً والمجاهرة به تفضي الى اكبر المضار على نوع الانسان » اه

وهذه مقالته الافتتاحية :

آياته في خلقه

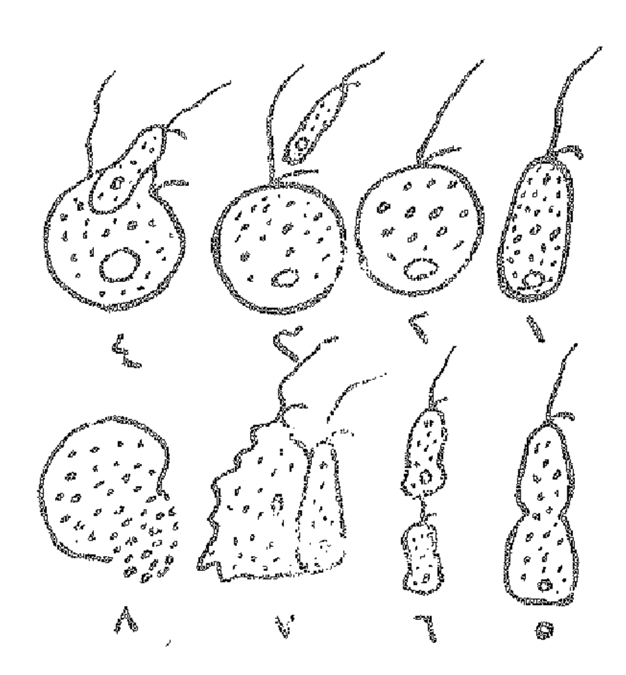
في باب المراسلة في هذا الجزء رسالة لكاتب يرى ان التعطيل أي انكار وجود الخالق لايضر أحدا . ونحن نرى انه يأتي بأكبر المضار ولكن هب انه لايضر فهل هو معقول ؟

في إدارة المقتطف مطبعة أو آلة طباعة يديرها سير من الجلد تحركه الكهربائية فتسحب الورق من لفتين كبيرتين وتمره فوق حروف الطباعة بعد ان تحبرها وتطبعه من وجهيه وتقص منه صفحتين بعد صفحتين وتضم إحداهما داخل الاخرى وتلصقها بها وتطويهما طولا وعرضا أربع طيات فيخرج المقطم منهما مطبوعا مقصوصا ملصوقا مطويا . وهي تطبع كذلك اثني عشر الف نسخة في الساعة وتقصها وتلصقها وتطويها وتعدها تفعل ذلك كله من غير ان تساعدها يد أو يرشدها عقل . ولكن لقد اشتغلت عقول مئات من العلماء وعملت أيادي الوف من العمال مدة سنين كثيرة الى ان صارت هذه الآلة تعمل هذا العمل . وحتى الآن لايخرج منها عدد واحد من المقطم مطبوعا الا بعد ان تشتغل العقول وتعمل الايادي في بلدان كثيرة في عمل الورق والحبر واستخراج الفحم الحجري وتوليد الكهربائية ناهيك بما يلزم للآلات الكهربائية من المواد والعمال وبما لزم لسبك الحديد والنحاس والرصاص والنيكل ونحو ذلك من المعادن التي دخلت في عمل آلة الطباعة وعمل الحروف وعمل الآلات الكهربائية . ولو احصينا جميع الذين اشتغلوا في عمل كل ما يلزم لطبع جزء واحد من المقطم لبلغ عددهم ألوفا وعشرات الالوف . فمن يقول ان المطبعة تطبع الجريدة لذاتها وينكر كل ماوراءها من العقول يخالف كل معقول .

يزرع القمح في هذا القطر في نحو مليون وربع مليون من الافدنة ومساحة الفدان أربعة آلاف ومئتي متر مربع ولا يقل عدد السنابل في المتر المربع من مئتي سنبلة . فعدد السنابل كلها التي تنبت كل سنة في القطر المصري وحده لايقل عن مليون مليون سنبلة أي أكثر من عدد كل سكان الارض ست مئة ضعف . وفي

كل سنبلة بل في كل حبة من حبوبها من الدقة في التركيب والحكمة في الوضع والصفات الموروثة والمكتسبة والاستعداد للنمو والتوليد مالا يوجد عشر معشاره في آلة الطباعة المشار اليها آنفا . فمن يستطيع ان ينكر وجود العقل الموجد لها والمتولي شئونها ولو بايجاد القوى التي تحرك كل دقيقة من دقائقها وكل ذرة من ذراتها

واذا استنرت بنور الكيمياء وحللت دقائق حبة القمح ورأيت ان كل دقيقة منها مؤلفة من ملايين وملايين الملايين من الذرات الصغيرة وكلها متحركة ولا تحرك اجزاء آلة الطباعة وفيها من الصفات والخواص مايميز القمح الصعيدي عن البحيري والهندي عن البلدي . ثم اذا علمت ان مايزرع من القمح في هذا القطر ليس جزءا من مئة مما يزرع في الارض كلها ولا جزءا من مئة الف جزء مما ينمو من سائر الحبوب والبزور رأيت ان عالم النبات وحده يذهل العقول حتى لاترى لها مندوحة عن الاعتراف بالقوة الخالقة المدبرة



وعالم الحيوان لايقل عن عالم النبات في غرائبه . ترى في هذا الرسم حيوانا من اصغر الحيوانات الدنيا السابحة في الماء طوله جزء من ثلاثة آلاف جزء من العقدة أي لو جمع ثلاثة آلاف حيوان منه ونظمت طولا في سطر واحد مابلغ طولها أكثر من عقدة (بوصه) فلايرى الا بالميكرسكوب (المجهر) راقب بعضهم هذا الحيوان في العام الماضي ودرس طبائعه وكتب عنه يقول :- رأيته أولا كما في الشكل الاول مستطيلا وله ذنب دقيق طويل وعند مغرز هذا الذنب في بدنه ذنب آخر غليظ قصير فيسبح في الماء بتحريك هذين الذنبين وبعد ان يسبح مدة تختلف من بضع دقائق الى بضع ساعات يسكن و يصير كرويا كما ترى في الشكل الثاني ويبقى ذنبه الطويل متحركا متمعجا كالافعي وحركته تجعل أمواجا في الماء تندفع

اليه بما فيها من الميكروبات . وحينما تدنو هذه الميكروبات منه ينحني عليها ذنبه الطويل وتنفتح لها فتحة بين الذنبين فتبتلعها . على هذه الصورة يلتقم هذا الحيوان غذاءه وقد يلتقم حيوانات صغيرة من نوعه كما ترى في الشكل الثالث والرابع فهو من الحيوانات المفترسة على صغر جسمه وحقارة قدره . وقد التقم واحد امامي خمس حيوانات صغيرة من نوعه في تسع ساعات وقبض على ثلاثة أخرى ليبتلعها لكنها تملصت منه وهربت بعد ان كاد يفترسها ، وفي باطنه سائل حامض يهضم مايفترسه كما تهضم معدتنا الطعام ثم يسكن مدة بعد مايغتذي الغذاء الكافي ويعود جسمه مستطيلا كما كان اولا وتكثر المادة الحبيبية فيه ويحدث له حينئذ امر من امرين إما ان يستدق من وسطه كما ترى في الشكل الخامس ثم ينقسم الى حيوانين مستقلين كما ترى في الشكل السادس كل منهما مثل الحيوان الاول وإما أن يتغير شكله وتضعف حركته ويأتي حيوان آخر يشبهه وهو في شكله الاول ويلتصق به كما ترى في الشكل السابع فيمتزج الحيوانان امتزاج التزاوج الحقيقي ويصيران حيوانا واحدا كرويا فيزول ذنباه ويسكن مدة طويلة ست ساعات أو اكثر ثم ينفجر من احد جوانبه وتخرج البزور منه كما ترى في الشكل الثامن وكل منها جزء من ثلاثين ألف جزء من العقدة . وهذه البزور تعوم في الماء وتنمو رويدا رويدا وبعد نحو ساعتين يتولد لكل منها ذنبان ويصير حيوانا كاملا . أي ان هذا الحيوان الذي لايرى بالعين لصغره يولد ويتحرك ويتغذى ويتزوج ويلد حيوانات كثيرة من نوعه إما بالانقسام وإما بالولادة

وكم في مياه الارض من الملايين وملايين الملايين من مثله ؟ وكم في هوائها وترابها من مثل ذلك ؟ وكل حيوان منها يولد وينمو ويأكل ويتغذى ويتزوج ويلد وفي بنيته من الاعضاء والآلات ما يفوق آلة الطباعة المشار اليها آنفا إتقانا واحكاما عدا ما فيها من ذرات العقل المدبر والاعصاب التي تشعر وتدبر حركات الحيوانات وتكيفها حسب الاحوال التي تعرض لها حتى تهاجم وتدافع وتفترس وتهضم وتتغذى وتتزاوج وتتوالد

وماهي هذه الحيوانات الميكروسكوبية بالنسبة الى الحيوانات الكبيرة بالنسبة الى الاسماك والطيور والزحافات والى الحيوانات العليا كالهر والاسد والفرس والفيل

بل بالنسبة الى الانسان سيد المخلوقات في هذه الارض؟ فهل يعقل ان ليس في الكون قوة خالقة مدبرة أوجدت هذه الكائنات أو أوجدت القوى التي توجدها وقدرها وقدر حركاتها؟؟

هذه هي بعض الآيات البينات التي لا ينبغي عقل الانسان عنها وعن ماتدل عليه الا اذا تكلف الاغضاء تكلفا أو كان خاملا لا يفكر ولا يقيس ولا يستنتج اه

**

(المنار) وأينا ان نعيد هنا ما كنا كتبناه في قوله تعالى «تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار» في معنى ماجاء في تعليق المقتطف عن ضرر الكفر وافساده للعمران، وبيان ان الايمان بالله تعالى لا يكفي لحفظ العمران من افساد الكفر حتى ينضم اليه الايمان بالوحي والرسل عليهم الصلاة والسلام وهو

الاستاذ الامام: طاعة الرسول هي طاعة الله بعينها لانه انما يأمرنا بما يوحيه اليه الله من مصالحنا التي فيها سعادتنا في الدنيا والآخرة وانما يذكر الرسول مع طاعة الله لان من الناس من كانوا يعتقدون قبل اليهودية و بعدها وكذلك بعد الاسلام الى اليوم ان الانسان يمكن أن يستغني بعقله وعلمه عن الوحي، يقول أحدهم انني أعتقد أن للعالم صانعا عليما حكيما وأعمل بعد ذلك بما يصل اليه عقلي من الخير واجتناب الشر وهذا خطأ من الانسان ولو صح ذلك لما كان في حاجة الى الرسل وقد تقدم في تفسير سورة الفاتحة ان الانسان محتاج بطبيعته النوعية الى هداية الدين وانها هي الهداية الرابعة التي وهبها الله للانسان بعد هداية الحواس والوجدان والعقل فلم يكن العقل في عصر من عصوره كافيا لهداية أمة من أممه ومرقيا له بدون معونة الدين

أقول يرد على هذا من جانب المرتابين والملاحدة: انا نرى كثيرا من أفراد الناس لا يدينون بدين وهم في درجة عالية من الافكار والآداب وحسن الاعمال التي تنفعهم وتنفع الناس حتى ان العاقل المجرد عن التعصب الديني يتمنى لو كان الناس كلهم مثله بل يسعى كثير من الفلاسفة لجعل الامم مثل هؤلاء الافراد في آدابهم وارتقائهم. وأجيب عن هذا (أولا) بأن الكلام في هداية الجماعات من البشر كالشعوب والقبائل والامم الذين يتحقق بارتقائهم معنى الانسانية في الحياة الاجتماعية سواء كانت بدوية أومدنية وقد علمنا التاريخ انه لم تقم مدنية في الارض من المدنيات

التي وعاها وعرفها إلا على أساس الدين حتى مدنيات الامم الوثنية كقدماء المصريين والكلدانيين واليونانيين ، وعلمنا القرآن انه مامن أمة إلا وقد خلا فيها نذير مرسل من الله عز وجل لهدايتها فنحن بهذا نرى ان تلك الديانات الوثنية كان لها أصل الهي ثم سرت الوثنية الى أهلها حتى غلبت على أصلها كما سرت الى من بعدهم من أهل الديانات التي بقي أصلها كله أو بعضه على سبيل القطع أو على سبيل الظن . وليس للبشر ديانة يحفظ التاريخ أصلها حفظا تاما الا الديانة الاسلامية وهو مع ذلك قد دون في أسفاره كيفية سريان الوثنية الجلية أو الخفية الى كثير من المنتسبين اليها كالنصيرية وسائر الباطنية وغيرهم ممن غلب عليهم التأويل أو الجهل حتى أنه يوجد في هذا العصر من المنتمين الى الاسلام من لايعرفون من أحكامه الظاهرة غير قليل مما يخالفون به جيرانهم كجواز أكل لحم البقر في الاطراف الشاسعة من الهند وكيفية الزواج ودفن الموتى في بعض بلاد روسيا وغيرها !! فمن علم هذا لا يستبعد تحول الديانات الالهية القديمة الى الوثنية

فاتباع الرسل وهداية الدين أساس كل مدنية لان الارتقاء المعنوي هو الذي يبعث على الارتقاء المادي وها نحن أولاء نقرأ في كلام شيخ الفلاسفة الاجتماعيين في هذا العصر (هربرت سبنسر) ان آداب الامم وفضائلها التي هي قوام مدنيتها مستندة كلها الى الدين وقائمة على أساسه وان بعض العلماء يحاولون تحويلها عن أساس الدين و بناءها على أساس العلم والعقل وان الامم التي يجري فيها هذا التحويل لا بد ان تقع في طور التحويل في فوضى أدبية لا تعرف عاقبتها ولا يحدد ضررها . هذا معنى كلامه في بعض كتبه وقد قال هو للاستاذ الامام في حديث له معه: ان الفضيلة قد اعتلت في الامة الانكليزية وضعفت في هذه السنين الاخيرة من حيث قوي فيها الطمع المادي . ونحن نعلم أن الامة الانكليزية من أشد أمم أوربا تمسكا بالدين مع كون مدنيتها أثبت وتقدمها أعم لأن الدين قوام المدنية بما فيه من روح الفضائل والآداب على أن المدنية الاوربية بعيدة عن روح الديانة المسيحية وهو الزهد في المال والسلطان وزينة الدنيا ، فلولا غلبة بعض آداب الانجيل على تلك الامم لاسرفوا في مدنيتهم المادية اسرافا غير مقترن بشيء من البر وعمل الخير واذا لبادت

مدنيتهم . ربما . ومن يقل انه سيكون أبعدها عن الدين أقربها الى السقوط والهلاك لايكون مفتاتا في الحكم ولا بعيدا عن قواعد علم الاجتماع فيه - فحاصل هذا الجواب الاول عن ذلك الايراد أن وجود أفراد من الفضلاء غير المتدينين لاينقض ماقاله الاستاذ الامام من كون الدين هو الهداية الرابعة لنوع الانسان التي تسوقه الى كماله المدني في الدنيا كما تسوقه الى سعادة الآخرة

وثانيا انه لايمكن الجزم بأن فلانا الملحد الذي تراه عالي الافكار والآداب قد نشأ على الالحاد وتربى عليه من صغره حتى يقال انه قد استغنى في ذلك عن الدين لاننا لانعرف أمة من الامم تربي أولادها على الالحاد واننا نعرف بعض هؤلاء الملحدين الذين يعدون في مقدمة المرتقين بين قومهم ونعلم أنهم كانوا في نشأتهم الاولى من أشد الناس تدينا واتباعا لآداب دينهم وفضائله ثم طرأ عليهم الالحاد في الكبر بعد الخوض في الفلسفة التي تناقض بعض أصول ذلك الدين الذي نشأوا عليه ، والفلسفة قد تغير بعض عقائد الانسان وآرائه ولكن لايوجد فيها مايقبح له الفضائل والآداب الدينية ، أو يذهب بملكاته واخلاقه الراسخة كلها ، وانما يسطو الالحاد على بعض آداب الدين كالقناعة بالمال الحلال فيزين لصاحبه ان يستكثر من المال ولو من الحرام كأكل حقوق الناس والقمار بشرط ان يتقي مايجعله حقيرا بين من يعيش معهم أو يلقيه في السجن وكالعفة في الشهوات فيبيح له من الفواحش مالايخل بالشرط المذكور آنفا هذا اذا كان راقيا في أفكاره وآدابه ، وأما غير الراقين منهم فهم الذين لايصدهم عن الفساد في الارض واهلاك الحرث والنسل الا القوة القاهرة ولولا أن دول أوربا قد نظمت فرق المحافظين على الحقوق من الشحنة والشرطة (البوليس والضابطة) أتم تنظيم وجعلت الجيوش المنظمة عونا لها عند الحاجة لما حفظ لأحد عندها عرض ولا مال ، ولعمت بلادها الفوضى والاختلال ، ولقد كانت الحقوق والاعراض محفوظة في الامم من غير وجود هذه القوى المنظمة أيام كان الدين مرعيا في الآداب والاحكام - فتبين بهذا ان طاعة الله ورسله لابد منها لسعادة الدنيا ، على ان السياق هنا قد جاء لما يتعلق بالسعادة الدائمة في الحياة الاخرى

الباطنية (*

﴿ وآخر فرقهم البابية البهائية ﴾

وقد اختلف المتكلمون في بيان اغراض الباطنية في دعوتها الى بدعتها فذهب اكثرهم الى ان غرض الباطنية الدعوة الى دين المجوس بالتأويلات التي يتأولون عليها القرآن والسنة واستدلوا على ذلك بأن زعيمهم الاول ميمون بن ديصان كان مجوسيا من سبي الاهواز . ودعا ابنه عبد الله بن ميمون الناس الى دين أبيه واستدلوا أيضا بأن داعيهم المعروف بالبزدهي قال في كتابه المعروف بالمحصول ان المبدع الاول أبدع النفس . ثم ان الاول مدبر العالم بتدبير الكواكب السبعة والطبائع الاربع وهذا في التحقيق معنى قول المجوس ان أليزدان خلق اهرمن وانه مع اهرمن مدبران للعالم غير ان أليزدان فاعل الخيرات وأهرمن فاعل الشرور . ومنهم من نسب الباطنية الى الصابئين الذين هم بحران واستدل على ذلك بأن حمدان قرمط داعية الباطنية بعد ميمون بن ديصان كان من الصابئة الحرانية واستدل أيضا بأن صابئة حران يكتمون أديانهم ولا يظهرونها الا لمن كان منهم . والباطنية أيضا لايظهرون دينهم الالمن كان منهم بعد احلافهم اياه على أن لايذكر اسرارهم لغيرهم .

قال عبدالقاهر : الذي يصح عندي من دين الباطنية انهم دهرية زنادقة يقولون بقدم العالم وينكرون الرسل والشرائع كلها لميلها الى استباحة كل ما يميل اليه الطبع . والدليل على انهم كما ذكرناه ما قرأته في كتابهم المترجم بالسياسة والبلاغ الاكيد والناموس الاعظم وهي رسالة عبد الله بن الحسن القيرواني الى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي أوصاه فيها بأن قال له : ادع الناس بأن تتقرب اليهم بما يميلون

(*) تابع لما نشر في الجزء السابق (ص ٨٤٠) نقلا عن كتاب الفرق بين الفرق

اليه وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم فمن انست منه رشدا فاكشف له الغطاء
واذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به فعلى الفلاسفة معولنا وانا وإياهم مجمعون على ان
نواميس الانبياء (كذا) وعلى القول بقدم العالم لو مايخالفنا فيه بعضهم من ان للعالم
مدبرا لا يعرفه . وذكر في هذا الكتاب القول بالميعاد والعقاب وذكر فيه أن الجنة
نعيم الدنيا وان العذاب انما هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج
والجهاد وقال أيضا في هذه الرسالة : ان أهل الشرائع يعبدون إلها لا يعرفونه ولا
يحصلون منه إلا على اسم بلا جسم . وقال فيها أيضا : اكرم الدهرية فانهم منا ونحن
منهم . وفي هذا تحقيق نسبة الباطنية الى الدهرية

والذي يؤكد هذا ان المجوس يدعون نبوة زرادشت ونزول الوحي عليه
من عند الله تعالى والصابئين يدعون نبوة هرمس وواليس ودورو وتيوس وافلاطون
وجماعة من الفلاسفة : وسائر أصحاب الشرائع كل صنف منهم مقرون بنزول
الوحي من السماء على الذين أقروا بنبوتهم ويقولون ان ذلك الوحي شامل للامر
والنهي والخبر عن عاقبة الموت وعن ثواب وعقاب وجنة ونار يكون فيهما الجزاء
عن الاعمال السالفة : والباطنية يرفضون المعجزات وينكرون نزول الملائكة من
السماء بالوحي والامر بالنهي بل ينكرون أن يكون في السماء ملك وانما يتأولون
الملائكة من دعاتهم الى بدعتهم ويتأولون الشياطين على مخالفيهم والابالسة على
مخالفيهم . ويزعمون أن الانبياء قوم أحبوا الزعامة فساسوا العامة بالنواميس والحيل
طلبا للزعامة بدعوى النبوة والامامة . وكل واحد منهم صاحب دور مسبع اذا انقضى
دوره سبعة تبعه في دور آخر واذا ذكروا النبي والوحي قالوا النبي هو الناطق والوحي
أساسه الفاتق والى الفاتق تأويل نطق الناطق على ما تراه يميل اليه هواه فمن صار
تأويله الباطن فهو من الملائكة البررة ، ومن عمل بالظاهر فهو من الشياطين
الكفرة ، ثم تأولوا لكل ركن من أركان الشريعة تأويلا يورث تضليلا فزعموا
ان معنى الصلاة موالاة امامهم والحج زيارته وادمان خدمته . والمراد بالصوم
الامساك عن افشاء سر الامام دون الامساك عن الطعام ، والزنا عندهم افشاء سرهم
بغير عهد وميثاق . وزعموا أن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها وتأولوا في ذلك

قوله تعالى «واعبد ربك حتى يأتيك اليقين» وجعلوا اليقين على معرفة التأويل.
وقد قال القيرواني في رسالته الى سليمان بن الحسن : اني أوصيك بتشكيك الناس في القرآن والتوراة والزبور والانجيل وبدعوتهم الى إبطال الشرائع والى إبطال المعاد والنشور من القبور وإبطال الملائكة في السماء وإبطال الجن في الارض وأوصيك بأن تدعوهم الى القول بأنه قد كان قبل آدم بشر كثير فان ذلك عون لك على القول بقدم العالم

وفي هذا تحقيق دعوانا على الباطنية انهم دهرية يقولون بقدم العالم ويجحدون الصانع • ويدل على دعوانا عليهم بالقول بابطال الشرائع وأن القيرواني قال ايضا في رسالته الى سليمان بن الحسن : وينبغي أن تحيط علما بمخاريق الانبياء ومناقضاتهم في قولهم كعيسى بن مريم قال لليهود : لا أرفع شريعة موسى ثم رفعها بتحريم الاحد بدلا من السبت وأباح العمل في السبت وأبدل قبلة موسى بخلاف جهتها ولهذا قتلته اليهود لما اختلفت كلمته • ثم قال له : ولا تكن كصاحب الامة المنكوسة حين سألوه عن الروح فقال : «الروح من أمر ربي» (١) لما لم يحضره جواب المسألة • ولا تكن كموسى في دعواه التي لم يكن له عليها برهان سوى المخرقة بحسن الحيلة والشعبذة ولما لم يجد المحق في زمانه عنده برهانا قال له : «لئن اتخذت إلها غيري» • وقال لقومه : «أنا ربكم الاعلى» لانه كان صاحب الزمان في وقته • ثم قال في آخر رسالته :

وما العجب من شيء كالعجب من رجل يدعي العقل ثم يكون له أخت أو بنت حسناء وليست له زوجة في حسنها فيحرمها على نفسه وينكحها من اجنبي • ولو عقل الجاهل لعلم انه أحق باخته وبنته من الاجنبي ما وجه ذلك الا أن صاحبهم حرم عليهم الطيبات وخوفهم بغائب لا يعقل وهو الإله الذي يزعمونه وأخبرهم بكون ما لا يرونه أبدا من البعث من القبور والحساب والجنة والنار حتى استعبدهم بذلك عاجلا وجعلهم له في حياته ولذريته بعد وفاته خولا واستباح بذلك أموالهم بقوله «لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى» (٢) فكان أمره معهم

---

(١) الروح هنا ماك ذكر في القرآن أو الوحي ولايمكن الجواب عنه بغير هذا

(٢) مطالبهم بالمودة في القربى أي الاقربين من أولي ارحامه (ص) لا يقضي جعلهم عبيداً وخولا لهم فكيف والظاهر انه اراد اقاربهم وارحامهم والاستثناء منقطع قطعاً

فقد وأمرهم معه نسيئة . وقد استعجل منهم بدل أرواحهم وأموالهم على انتظار موعود لا يكون . وهل الجنة إلا هذه الدنيا ونعيمها ؟ وهل النار وعذابها الا ما فيه أصحاب الشرائع من التعب والنصب في الصلاة والصيام والجهاد والحج ؟ ثم قال لسليمان بن الحسن في هذه الرسالة : وأنت واخوانك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس وفي هذه الدنيا ورثتم نعيمها ولذاتها المحرمة على الجاهلين المتمسكين بشرائع أصحاب النواميس فهنيئا لكم مانلتم من الراحة عن أمرهم . وفي هذا الذي ذكرناه دلالة على أن غرض الباطنية القول بمذاهب الدهرية واستباحة المحرمات وترك العبادات

ثم أن الباطنية لهم في اصطياد الاغنام ودعوتهم الى بدعتهم حيل على مراتب يسمونها التفرس والتأنيس والتشكيك والتعليق والربط والتدليس والتأسيس والمواثيق بالايمان والعهود وآخرها الخلع والسلخ . فأما التفرس فانهم قالوا : من شرط الداعي الى بدعتهم أن يكون قويا على التلبيس وعارفا بوجوه تأويل الظواهر ليردها الى الباطن ويكون مع ذلك مميزا بين من يجوز أن يطمع فيه وفي اغوائه وبين من لا مطمع فيه . ولهذا قالوا في وصاياهم للدعاة الى بدعتهم لا تتكلموا في بيت فيه سراج يعنون بالسراج من يعرف علم الكلام ووجوه النظر والمقاييس . وقالوا أيضا لدعاتهم : لا تطرحوا بزركم في أرض سبخة : وأرادوا بذلك منع دعاتهم عن اظهار بدعتهم عند من لا تؤثر فيهم بدعتهم كما لا يؤثر البذر في الارض السبخة شيئا . وسموا قلوب أتباعهم الاغنام أرضا زاكية لانها تقبل بدعتهم . وهذا المثل بالعكس أولى وذلك أن القلوب الزاكية هي القابلة للدين القويم والصراط المستقيم وهي التي لا تصدأ بشبه أهل الضلال كالذهب الابريز الذي لا يصدأ في الماء ولا يبلى في التراب ولا ينقص في النار . والارض السبخة كقلوب الباطنية وسائر الزنادقة الذين لا يزجرهم عقل، ولا يردعهم شرع ، فهم أرجاس أنجاس « أموات غير أحياء » « ان هم كالانعام بل هم أضل سبيلا » وأقل حوبلا قد قسم لهم الحظ من الرزق من قسم رزق الخنازير في مراعيها ، وأباح طعمة العنب في براريها ، « لا يسئل عما يفعل وهم يسألون »

وقالوا أيضا: من شرط الداعي إلى مذهبهم أن يكون عارفا بالوجوه التي تدعى الاصناف.

فليست دعوة الانصاف من وجه واحد بل لكل صنف من الناس وجه يدعى منه الى مذهب الباطن . فمن رآه الداعي مائلا الى العبادات حمله على الزهد والعبادة ثم سأله عن معاني العبادات وعلل الفرائض وشككه فيها . ومن رآه ذا مجون وخلاعة قال له : العبادة بله وحماقة وان الفطنة في نيل اللذات وتمثل له بقول الشاعر

من راقب الناس مات هما وفاز باللذة الجسور

ومن رآه شاكا في دينه أو في المعاد والثواب والعقاب صرح له بنفي ذلك وحمله على استباحة المحرمات واستروح معه الى قول الشاعر الماجن

أأترك لذة الصهباء صرفا لما وعدوه من لبن وخمر
حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا أم عمرو

ومن رآه من غلاة الرافضة كالسبائية والبيانية والمغيرية والمنصورية والخطابية لم يحتج معه الى تأويل الآيات والاخبار لانهم يتأولونها معهم على وفق ضلالتهم . ومن رآه من الرافضة زيديا أو إماميا مائلا الى الطعن في أخيار الصحابة دخل عليه من جهة شتم الصحابة وزين له بغض بني تيم لان أبا بكر منهم وبغض بني عدي لان عمر بن الخطاب كان منهم وحثه على بغض بني أمية لانه كان منهم عثمان ومعاوية وربما استروح الباطني في عصرنا هذا الى قول اسماعيل بن عباد

دخول النار في حب الوصي وفي تفضيل أولاد النبي
أحب الي من جنات عدن أخلدها بتيم أو عدي

قال عبد القاهر قد أجبنا هذا القائل بقولنا فيه :

اتطمع في دخول جنان عدن وأنت عدو تيم أو عدي
وهم تركوك أشقى من ثمود وكم تركوك أفضح من دعي
وفي نار الجحيم غدا ستصلى اذا عاداك صديق النبي

ومن رآه الداعي مائلا الى أبي بكر وعمر مدحهما عنده وقال لهما حظ في تأويل الشريعة ولهذا استصحب النبي أبا بكر الى الغار ثم الى المدينة وأفضى اليه في الغار تأويل شريعته . فاذا سأله الموالي لابي بكر وعمر عن التأويل المذكور لابي بكر وعمر أخذ عليه العهود والمواثيق في كتمان ما يظهره له . ثم ذكر له على التدريج بعض

التأويلات فان قبلها منه اظهر له الباقي وان لم يقبل منه التأويل الاول ربطه في الباقي وكتمه عنه وشك الغر من أجل ذلك في أركان الشريعة ٠

والذي يروج مذهب الباطنية أصناف ٠ أحدها العامة الذين قلت بصائرهم بأصول العلم والنظر كالنبط والاكراد وأولاد المجوس ٠ والصنف الثاني الشعوبية الذين يرون تفضيل العجم على العرب ويتمنون عود الملك الى العجم ٠ والصنف الثالث اغثام بني ربيعة من أجل غضبهم على مضر لخروج النبي منهم ٠ ولهذا قال عبد الله بن حازم السلمي في خطبته بخراسان : ان ربيعة لم تزل غضابا على الله مذ بعث نبيه من مضر ٠ ومن أجل حسد ربيعة لمضر بايعت بنو حنيفة مسيلمة الكذاب طمعا في أن يكون في بني ربيعة نبي كما كان من بني مضر ٠ فاذا استأنس الاعجمي الغر أو الربيعي الحاسد المغلن يقول الباطني قومك أحق بالملك من مضر سأله عن السبب في عود الملك الى قومه فاذا سأله عن ذلك قال له ان الشريعة المضرية [illegible] أية وقددنا انقضاؤها وبعد انقضائها يعود الملك اليكم ٠ ثم ذكر له تأويل إنكار شريعة الاسلام على التدريج ٠ فاذا قبل منه ذلك صار ملحدا خرميا واستثقل العبادات واستطاب استحلال المحرمات ٠ فهذا بيان التفرس منهم

ودرجة (التأنيس) قريبة من درجة التفرس عندهم وهي تزيين ماعليه الانسان من مذهبه في عينه ثم سؤاله بعد ذلك عن تأويل ماهو عليه وتشكيكه إياه في أصول دينه فاذا سأله المدعو عن ذلك قال : علم ذلك عند الامام ووصل بذلك منه الى درجة التشكيك حتى صار المدعو الى اعتقاده ان المراد بالظواهر والسنن غير مقتضاها في اللغة وهان عليه بذلك ارتكاب المحظورات وترك العبادات

(والربط) عندهم تعليق نفس المدعو بطلب تأويل أركان الشريعة . فاما ان يقبل منهم تأويلها على وجه يؤول الى رفعها وإما أن يبقى على الشك والحيرة فيها .

ودرجة (التدليس) منهم قولهم للغر الجاهل بأصول النظر والاستدلال : ان الظواهر عذاب وباطنها فيه الرحمة وذكر لهقوله في القرآن (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) فاذا سألهم الغر عن تأويل باطن الباب قالوا : جرت سنة الله تعالى في أخذ العهد والميثاق على رسله ٠ ولذلك قال « وإذ أخذنا من النبيين

ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا » وذكر له قوله « ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا » فاذا حلف الغر لهم بالايمان المغلظة و بالطلاق والعتق و بتسبيل الاموال فقد ربطوه بها وذكروا له من تأويل الظواهر مايؤدي الى رفعها بزعمهم . فان قبل الاحمق ذلك منهم دخل في دين الزنادقة باطنا واستتر بالاسلام ظاهرا . وإن نفر الحالف عن اعتقاد تأويلات الباطنية الزنادقة كتمها عليهم لانه قد حلف لهم على كتمان ما أظهروه له من أسرارهم . واذا قبلها فقد حلفوه وسلخوه عن دين الاسلام وقالوا له حينئذ : ان الظاهر كالقشر والباطن كاللب واللب خير من القشر . قال عبدالقاهر:

حكى لي بعض من كان دخل في دعوة الباطنية ثم وفقه الله تعالى لرشده وهداه الى حل ايمانهم انهم لما وثقوا منه بايمانه قالوا له: ان المسمين بالانبياء كنوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وكل من ادعى النبوة كانوا أصحاب نواميس ومخاريق أحبوا الزعامة على العامة فخدعوهم بنيرنجات واستعبدوهم بشرائعهم . قال هذا الحاكي لي ثم ناقض الذي كشف لي هذا السر بأن قال له : ينبغي ان تعلم ان محمد بن اسماعيل بن جعفر هو الذي نادى موسى بن عمران من الشجرة فقال له « اني أنا ربك فاخلع نعليك » قال فقلت سخنت عينك تدعوني الى الكفر برب قديم خالق للعالم ؟ ثم تدعوني مع ذلك الى الاقرار بربوبية انسان مخلوق وتزعم انه كان قبل ولادته إلها مرسلا لموسى ؟ فان كان موسى كذابا فالذي زعمت انه أرسله أكذب . فقال لي انك لا تفلح أبدا وندم على افشاء أسراره الي وتبت من بدعتهم . فهذا بيان وجه حيلهم على اتباعهم

وأما أيمانهم فان داعيهم يقول للحالف : جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسله وما أخذ الله على النبيين من عهد وميثاق انك تستر ما تسمعه مني وما تعلمه من أمري ومن امر الامام الذي هو صاحب زمانك وامر أشياعه وأتباعه في هذا البلد وفي سائر البلدان وأمر المطيعين له من الذكور والاناث فلا تظهر من ذلك قليلا ولا كثيرا ولا تظهر شيئا يدل عليه من كتابة أو اشارة إلا ما أذن لك فيه الامام صاحب الزمان أو أذن لك في اظهاره المأذون له في دعوته فتعمل في ذلك حينئذ بمقدار ما يؤذن لك فيه . وقد جعلت على نفسك الوفاء بذلك وألزمته نفسك في

حالتي الرضا والغضب والرغبة والرهبة قال نعم . فاذا قال نعم قال له : وجعلت على نفسك أن تعفني وجميع من أسميه لك مما تمنع منه نفسك بعهد الله تعالى وميثاقه عليك وذمته وذمة رسله وتنصحهم انصحا ظاهرا و باطنا ، وأن لا تخون الامام وأولياءه وأهل دعوته في انفسهم ولا في أموالهم . وانك لا تتأول في هذه الايمان تأويلا ولا تعتقد ما يحلها . وانك ان فعلت شيئا من ذلك فأنت بريء من الله ورسله وملائكته ومن جميع ما أنزل الله تعالى في كتبه . وانك ان خالفت شيئا مما ذكرناه لك فلله عليك ان تحج الى بيته مئة حجة ماشيا نذرا واجبا ، وكل ماتملكه في الوقت الذي انت فيه صدقة على الفقراء والمساكين ، وكل مملوك يكون في ملكك يوم تخالف فيه أو بعده يكون حرا ، وكل امرأة لك الآن أو يوم تخالفك أو تتزوجها بعد ذلك تكون طالقا منك ثلاث طلقات والله تعالى الشاهد على نيتك وعقد ضميرك فيما حلفت به . فاذا قال نعم قال له : كفى الله شهيدا بيننا و بينك

فاذا حلف الغر بهذه الايمان ظن انه لا يمكن حلها ، ولن يعلم الغر انه ليس لايمانهم عندهم مقدار ولا حرمة وانهم لا يرون فيها ولا في حلها اثما ولا كفارة ولا عارا ولا عقابا في الآخرة . وكيف يكون لليمين بالله و بكتبه ورسله عندهم حرمة وهم لا يقرون بالقديم بل لا يقرون بحدوث العالم ولا يثبتون كتابا منزلا من السماء ولا رسولا ينزل عليه الوحي من السماء . وكيف يكون لايمان المسلمين عندهم حرمة ومن دينهم أن الله الرحمن الرحيم انما هو زعيمهم الذي يدعون اليه ؟ . ومن مال منهم الى دين المجوس زعم ان الاله نور بازائه شيطان قد غلبه ونازعه في ملكه . وكيف يكون لنذر الحج والعمرة عندهم مقدار وهم لا يرون للكعبة مقدارا و يسخرون بمن يحج و يعتمر ؟ . وكيف يكون للطلاق عندهم حرمة وهم يستحلون كل امرأة من غير عقد ؟ فهذا بيان الايمان عندهم

فأما حكم الايمان عند المسلمين فانا نقول : كل يمين يحلف بها الحالف ابتداء بطوع نفسه فهو على نيته وكل يمين يحلف بها عند قاض أو سلطان بحلفه ينظر فيها فان كانت يمينا في دعوى لمدع شيئا على الحالف المنكر وكان المدعي

فظالما المدعى عليه فيمين الحالف على نيته ، وان كان المدعي محقا والمنكر ظالما المدعي فيمين المنكر على نية القاضي أو السلطان الذي أحلفه . ويكون الحالف حانثا في يمينه .

واذا صحت هذه المقدمة فالبحث عن دين الباطنية اذا قصد اظهار بدعتهم للناس أو أراد النقض عليهم معذور في يمينه ويكون يمينه على نيته . فاذا استثنى بقلبه مشيئة الله تعالى فيها لم تنعقد عليه أيمانه ولم يحنث فيها باظهاره أسرار الباطنية للناس ولم تطلق نساؤه ولا تعتق مماليكه ولا تلزمه صدقة بذلك . وليس زعيم الباطنية عند المسلمين إماما ، ومن أظهر سره لم يظهر سر إمام وانما أظهر سر كافر زنديق . وقد جاء في الحديث المأثور « اذكروا الفاسق بما فيه يحذره الناس » فهذا بيان حيلتهم على الاغمار بالايمان

فأما احتيالهم على الاغمار بالتشكيك فمن جهة أنهم يسألونهم عن مسائل من أحكام الشريعة يوهمونهم فيها خلاف معانيها الظاهرة . وربما سألوهم عن مسائل في المحسوسات يوهمون ان فيها علوما لا يحيط بها الا زعيمهم . فمن مسائلهم قول الداعي منهم للغمر : لمَ صار للانسان أذنان ولسان واحد ؟ ولم صار للرجل ذكر واحد وخصيتان ؟ ولم صارت الاعصاب متصلة بالكبد والشرايين متصلة بالقلب ؟ ولم صار الانسان مخصوصا بنبات الشعر على جفنه الأعلى والأسفل وسائر الحيوان ينبت الشعر على جفنه الأعلى دون الأسفل ؟ ولم صار ثدي الانسان على صدره . وثدي البهائم على بطونها ؟ ولماذا لم يكن للفرس غدد (١) ولا كرش ولا كعب ؟ وما الفرق بين الحيوان الذي يبيض ولا يلد ولا يبيض ؟ وبماذا يميز بين السمكة النهرية والسمكة البحرية ؟ ونحو هذا كثير يوهمون ان العلم بذلك عند زعيمهم .

ومن مسائلهم في القرآن سؤالهم عن معاني حروف الهجاء في أوائل السور كقوله « الم » و « حم » و « طس » و « يس » و « طه » و « كهيعص » وربما قالوا ما معنى كل حرف من حروف الهجاء ؟ ولم صارت حروف الهجاء تسعة وعشرين حرفا ولم عجم بعضها بالنقط وخلا بعضها من النقط ؟ ولم جاز وصل بعضها بما بعدها بحرف ؟؟ وربما قالوا للغمر : ما معنى قوله « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية : » ولم

(١) الغدد جمع غدة وهي كل عقدة في الجسد أطاف بها شحم ، وكل قطعة صلبة بين العصب

جعل الله أبواب الجنة ثمانية ، وأبواب النار سبعة ؟ وما معنى « عليها تسعة عشر » ؟ وما فائدة هذا العدد ؟

وربما سألوا عن آيات وأوهموا فيها التناقض وزعموا انه لا يعرف تأويلها الا زعيمهم كقوله « فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان » مع قوله في موضع آخر « فوربك لنسألنهم أجمعين »

ومنها مسائلهم في أحكام الفقه كقولهم : لم صارت صلاة الصبح ركعتين والظهر أربعا والمغرب ثلاثا ؟ ولم صار في كل ركعة ركوع واحد وسجدتان ، ولم كان الوضوء على أربعة أعضاء والتيمم على عضوين ، ولم وجب الغسل من المني وهو عند اكثر المسلمين طاهر ولم يجب الغسل من البول مع نجاسته عند الجميع ، ولم أعادت الحائض ما تركت من الصيام ولم تعد ما تركت من الصلاة ، ولم كانت العقوبة في السرقة بقطع اليد وفي الزنا بالجلد ، وهلا قطع الفرج الذي به زنى في الزنا كما قطعت اليد التي بها سرق في السرقة ؛

فاذا سمع الغر هذه الاسئلة ورجع اليهم في تأويلها قالوا له : علمها عند إمامنا وعند المأذون في كشف أسرارنا . فاذا تقرر عند الغر أن امامهم أو مأذونه هو العالم بتأويله اعتقد أن المراد بظواهر القرآن والسنة غير ظاهرها فأخرجوه بهذه الحيلة عن العمل بأحكام الشريعة . فاذا اعتاد ترك العبادة واستحل المحرمات كشفوا له القناع وقالوا له : لو كان لنا إله قديم غني عن كل شيء لم يكن له فائدة في ركوع العباد وسجودهم ولا في طوافهم حول بيت من حجر ولا في سعي بين جبلين . فاذا قبل منهم ذلك فقد انسلخ عن توحيد ربه وصار جاحدا له وزنديقا

قال عبد القاهر : والكلام عليهم في مسائلهم التي يسألون عنها عند قصدهم الى تشكيك الاغمار في أصول الدين من وجهين (احدهما) ان يقال لهم : إنكم لا تخلون من أحد أمرين إما أن تقروا بحدوث العالم وتثبتوا له صانعا قديما عالما حكيما يكون له تكليف عباده ماشاء كيف شاء وإما أن تنكروا ذلك وتقولوا بقدم العالم ونفي الصانع . فان اعتقدتم قدم العالم ونفي الصانع فلا معنى لقولكم : لم فرض الله كذا ولم حرم كذا ولم خلق كذا ولم جعل كذا على مقدار كذا اذ لم تقروا بأنه فرض شيئا

أو حرّمه أو خلق شيئا أو قدره · ويصير الكلام بيننا وبينكم كالكلام بيننا وبين الدهرية في حدوث العالم وان أقررتم بحدوث العالم وتوحيد صانعه وأجزتم له تكليف عباده ماشاء من الاعمال كان جواز ذلك جوابا لكم عن قولكم : لم فرض ولم حرم كذا لاقراركم بجواز ذلك منه إن أقررتم به وبجواز تكليفه · وكذلك سؤالهم عن خاصية المحسوسات يبطل إن أقروا بصانع أحدثها وان أنكروا الصانع فلا معنى لقولهم : لم خلق الله ذلك ؟ مع انكارهم ان يكون لذلك صانع قديم ·

والوجه الثاني من الكلام عليهم فيما سألوا عنه من عجائب خلق الحيوان ان يقال لهم : كيف يكون زعماء الباطنية مخصوصين بمعرفة علل ذلك وقد ذكرته الاطباء والفلاسفة في كتبهم وصنف ارسطاطاليس في طبائع الحيوان كتابا · وماذكرت الفلاسفة من هذا النوع شيئا الا مسروقا من حكماء العرب الذين كانوا قبل زمان الفلاسفة ، من العرب القحطانية والجرهمية والطسمية وسائر الاصناف الحميرية ، وقد ذكرت العرب في أشعارها وأمثالها جميع طبائع الحيوان ولم يكن في زمانها باطني ولا زعيم للباطنية · وانما أخذ ارسطاطاليس الفرق بين مايلد وما يبيض من قول العرب في أمثالها كل شرقاء ولود وكل صكاء بيوض ، ولهذا كان الخفاش من الطير ولودا لا بيوضا لان لها اذنا شرقاء وكل ذات اذن صكاء بيوض كالحية والضب والطيور البائضة

(ثم ذكر هنا كلاما طويلا في طبائع الحيوان والنبات الذي عرفته العرب ثم ختم الكلام بقوله) :

فهذا وما جرى مجراه من خواص الحيوانات وغيرها قد عرفته العرب في جاهليتها بالتجارب من غير رجوع منها الى زعماء الباطنية · بل عرفوه قبل وجود الباطنية في الدنيا باحقاب كثيرة · وفي هذا بيان كذب الباطنية في دعواها ان زعماءها مخصوصون بمعرفة أسرار الاشياء وخواصها وقد بينا خروجهم عن جميع فرق الاسلام بما فيه كفاية والحمد لله على ذلك · انتهى

باب المراسلة والمناظرة

(الخلافة الاسلامية والجامعة العثمانية)(*)

٣

« لتفتحن القسطنطينية ولنعم الامير
أميرها ولنعم الجيش جيشها »
حديث شريف

كان المرحوم عبد الرحمن الكواكبي وهو ذلك العالم الحر والمفكر الابي يشكو من حالة الدولة السابقة فارتاح الانجليز الى مطالبته بالخلافة العربية هو عن حسن نية وبدون إنعام النظر السياسي وهم عن خبث طوية لأن تقهقر الدولة لم يكن قاصرا عليها فقط بل كان ماسا بمصالحهم . الف المرحوم كتابه « أم القرى » ولو أنعم نظره السياسي لرأى الضرر الذي يلحق العالم الاسلامي بوجه عام والشرق الادنى بوجه خاص من جراء هذا المسعى . ولم يقتصر الانجليز عند حد استغواء هذا العالم من الذين لايلمون كثيرا بالاعتبارات السياسية والظروف الخصوصية بل ان جرأتهم فاقت حد التصور والاباقة اذ كانوا لايعترفون بالقاضي الشرعي في الصومال الا اذا أقره شريف مكة . وبمثل هذا التغرير كادوا يضعون غشاوة على بصيرة بعض أمراء الشرق لايقدر أحكام وضعها الا السياسة الانجليزية .

واني آتي هنا على مثالين اثبت بهما جليا كيف ان الانجليز يحاربون الخلافة الاسلامية ثم يستفيدون بادعائهم صداقة (أمير المؤمنين) وشيخ الاسلام سياسيا ولو بالتزوير والتزييف

يعلم الكثيرون بالحركة الوطنية المتأججة نارها في الهند . ولما كان الانجليز في حسن تفاهم مع العثمانيين زوروا كتابات باسم الخليفة وسماحة شيخ الاسلام وادعوا فيها انهما يوصيان مسلمي الهند بالولاء والاخلاص للدولة الانجليزية . واقرب هذه

(*) تابع لما نشر في الجزء العاشر (ص ٧٥٨) بقلم علي افندي فهمي محمد

الكتابات ذلك الحديث الذي عزاه مكاتب التيمس الى سماحة شيخ الاسلام في الآستانة الذي نفى مغزاه وسيما وفي ذلك الوقت نفسه كانوا يهربون الاسلحة الى بلاد العرب فضبطت أخيرا عند الشواطئ ، واتضح من التحقيق انها من صنع بلاد الانجليز وكان لسان حالهم يقول انه ذلك ينافي صداقتهم للدولة العلية صاحبة الخلافة الاسلامية

هذه القوة الاسلامية السياسية التي يحللها الانجليز لانفسهم ويحرمونها على غيرهم ترتعد فرائصهم منها حتى ان كثيرا من جرائدهم الاستعمارية كالديلي تلغراف وغيرها لما هنأت جمعية الاتحاد والترقي جلالة السلطان بقولها « الى صاحب الخلافة والجلالة أمير المؤمنين وسلطان العثمانيين » زأرت وزمجرت وجردت قول العدوان وشهرت وقالت ان مرسلي التلغراف متشبعون بمبدإ الجامعة الاسلامية الشديدة المقوتة! وهكذا السياسة الانجليزية تلتوي علينا وتتشفع حين ترتوي منا وتتقمع !

نحن نود ابقاء الخلافة الاسلامية في آل عثمان ونعمل لذلك بعامل المصلحة وذلك لان الدولة العثمانية هي أقوى ممالك الاسلام في الحال وستبقى كذلك في الاستقبال وهي التي بيدها الحرمان الشريفان فينبغي أن تكون الخلافة في أيدي العثمانيين حقنا للدماء ومراعاة للمصلحة العامة . وليس لها من منازع قوي يؤمل أو يخشى نجاحه وانما الدول الاجنبية تفرق بيننا وتغري بعضنا ببعض حتى تنهك قوانا الفرعية وتضعف السلطة المركزية والواجب على كل عاقل مخلص ان يجعل هذا السبب نصب عينيه .

قال حضرة الكاتب الاسلامي الكبير محمود بك سالم : « جاء اسماعيل باشا فقبع سعيدا في سياسته الفرنسوية فبالغ في مجاملة نابليون الثالث الذي افهمه انه سيساعده على الوصول الى كرسي الملكية المستقلة فأكثر من الترف والبذخ ليعلو على الاكاسرة والقياصرة وجبابرة الفراعنة ووزع الهدايا الفاخرة على ملوك أوربا وملكاتها وعلمائها وكتابها ووزرائها وأغنيائها وصعاليكها بطريقة أبكت العقلاء وأضحكت الجهلاء . وما زال كذلك حتى انكسر نابليون الثالث سنة ١٨٧٠ فنبذ فرنسا وتعلق بانجلترا فافهم أنه لا يكون ملكا مستقلا الا اذا قارب عدد رعاياه عدد رعايا السلطان نفسه ومن هنا ابتدأت حروب السودان والصومال والحبش ودارفور وأوغنده وزنجبار على غير جدوى للمصريين بل لفائدة الانجليز الذين أرسلوا صموئيل بيكر

باشا وغردون باشا والمرسلين لينشروا المدنية على شواطئ النيل الابيض والنيل الازرق تمهيدا لسياستهم الكبرى . وكل عاقل نظر الى قوة الجيش المصري وسعة تلك الاقطار والى النفقات الباهظة التي أنفقت جزافا والى الرجال الذين ماتوا هدرا ويعدون بمئات الالوف علم مقدار ما لحكامنا من قصر النظر وسوء التدبير »

هذا شيء قليل جدا من كثير جدا مما يبثه الاجانب فينا من عوامل الشقاق والخلاف فعسى أن تزول هذه البواعث النفسانية التي أدت بنا جميعا الى التهلكة .

واني أتذكر انه لما زار المرحوم مظفر الدين شاه إيران الآستانة في أواخر أيامه ذكرت جرائدها انه لما قابل السلطان قبل يده فلما انتهى اليه هذا الخبر قال « انها نيابتي الى واجب فاتني أداؤه لان السلطان هو أمير المؤمنين شرعا » فأين هذه الروح العالية والنفس الكبيرة من محمد علي شاه ايران السابق الذي كان يحتج بشدة على التجاء الاحرار الى السفارة العثمانية ويتغافل عن سفارتي روسيا وانكلترا اللتين سلبتاه بلاده ولم تنفعاه يوم ان ثل عرشه وقد كان يقول : إن روسيا أحب الممالك الى قلبه . اللهم انك على كل شيء قدير تخرج الظلمات من النور .

ولا أدري ما الذي ينفر العثمانيين غير المسلمين من الخلافة الاسلامية وهي كما شرحناها لا تنافي معنى الجامعة العثمانية الوطنية ولا تضر بهم في شيء ما بل بالعكس تجعل لهم منزلة خصوصية في سائر أنحاء العالم لكونهم عثمانيين من رعايا صاحب الخلافة ان العثماني غير المسلم الذي يأنف من الخلافة الاسلامية اما ان يكون غير صادق في عثمانيته واما أن يكون قصير النظر السياسي . قال كاتب رسائل الاسلام والمدنية لم يـ[illegible] الارتباط العجيب تلك الفتوحات السريعة التي قام بها المسلمون على عهد الدول العربية والتركية بيد أن الدول الاسلامية الاولى حاولت أن تفصل بين تينك الصفتين المدنية والدينية فكان عصر الانفصال مبدأ انحطاط . ولا تزال الى اليوم خلافة السلطان الاعظم رابطة تربط الشعوب الاسلامية من غير الاتراك بالدولة العلية فتكون بهم قوتها واذا جردت السلطان من هذا اللقب لا تلبث ان ترى الدولة العلية تنحل وتصبح دولة ثانوية .

لذلك اكرر القول بأن أنصح لجميع العثمانيين بالتآزر والتماسك فان يد الله مع

الجامعة ولا يهولنهم القول بالخلافة الاسلامية التي مع احترامها لشعائرهم الدينية تكسبهم كثيرا من المزايا السياسية والاقتصادية وافي أوصيهم بما أوصاهم به شاعر مصر حافظ ابراهيم في تهنئته إياهم بالدستور :

فتفيأوا ظل الهلال فانه جم المبرة واسع الغفران
يرعى لموسى والمسيح وأحمد حق الولاء وحرمة الأديان
فخذوا المواثق والعهود على هدى التوراة والانجيل والفرقان

وما قاله شوقي بك شاعر الامير :

أما الخلافة فهي حائط بيتكم حتى يبين الحشر عن أهواله
اخذت بجد المشرقي وانما لحكم القنا بقصاره وطواله
طمع القريب أو البعيد بنيلها طمع الفتى من دهره بمحاله
ما الذئب مرتداعلى ليث الشرى في الغاب معتديا على اشباله
بأقل عقلا وهي في أيمانكم ممن يحاول أخذها بشماله

واني بما قدمته من الحجج التاريخية والنظريات السياسية أؤمل الا يكون لمساعي أولئك الاعداء السياسيين المتلبسين بجرمهم بوشاح الصداقة الكاذبة ادنى نصيب من الالتفات فلا تهنوا ولا تحزنوا ولا يغتب بعضكم بعضا واعملوا بنص الحديث الشريف :
« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » اه

(المنار) نشرنا هذه الرسالة كما هي ولم نتعرض لتخريج ما ذكر من الاحاديث فيها ولا للبحث في مسائلها ولكننا نقول ان أفكار الكواكبي السياسية كانت مبنية على قواعد منها اليأس من الدولة العلية ولم يكن يريد أن يكون الخليفة القرشي الذي يخلف الخليفة التركي سلطانا حاكما سائسا للعرب أو لغيرهم وانما كان رأيه أن يكون رئيسا دينيا ينظر في مصالح المسلمين الروحية الادبية ويرقيها ، واكثر الذين يتكلمون عن سياسته لا يعرفون منها شيئا ولم يكن للانكليز ولا لغيرهم من الاجانب رأي ولا علم بتأليفه لسجل جمعية أم القرى فانه كتبه في حلب وزاد فيه بمصر ولم يكن يعلم بذلك أحد الا افراد من العثمانيين كصالح أفندي جمال من حزب تركيا الفتاة . وقد ذكرنا في ترجمته في المجلد الخامس انا لم نكن موافقين له في جميع آرائه السياسية

احياء اللغة العربية

﴿ وطبع نوادر مصنفاتها ﴾

كانت العلوم العربية والآداب العربية في عهد الدول العربية في الشرق والغرب والجنوب والشمال زينة الدنيا وأساس عمرانها ومدنيتها وعنها أخذت أوربا مدنيتها وعلومها وفنونها وارتقت فيها بعد ان تدلى العرب وضعفوا بذهاب دولهم وتغلب الاعاجم عليها ، وانما ترتقي العلوم والفنون بتأييد الدول القوية لها ٠

لم يقم في الشرق الاسلامي بعد الدول العربية الاصلية والمستعربة دولة قوية الا الدولة العثمانية ، ومن سوء حظ الشرق والاسلام ان كان الترك المؤسسون لها من أهل البداوة ولم يجعلوا عاصمتهم في مدينة من مدن الحضارة العربية كبغداد والشام ومصر فيتعربوا ولو فعلوا لتجددت الحضارة العربية الاسلامية واستمرتوها وكنا نحن السابقين لاوربا ٠ لكنهم لم يفعلوا ذلك جهلا منهم لارغبة في جعل لغتهم هي لغة العلم والحضارة لان لغتهم بقيت على بداوتها لم تدون ولم يوضع لها نحو ولا صرف ولا بيان في عهد قوتهم وعظمتهم وانما حاولوا ذلك في هذا العصر فالدولة العثمانية كانت سبب ضعف اللغة العربية بجهلها لاتعمدا منها اذ لم تكن دولة علم ولاحضارة بل دولة حرب وقوة

ويحاول كثير من ساستها اليوم ان يحيوا لغتهم ويجعلوها اللغة الطبيعية للشعوب العثمانية كلها ولو كان ذلك ممكنا لكانوا معذورين في عرف السياسة الجنسية ، ومعذولين في حكم الديانة الاسلامية ، ويرى كثير منهم أن اللغة العربية هي العقبة الكؤد في طريق مقصدهم هذا فهم يحاولون إماتة هذه اللغة وان كان موتها موتا للدين الاسلامي (وحاش لله أن يميته) وهذه السياسة المبنية على العصبية الجنسية

الجاهلية يمنع بعض حكام الترك العرب من إنشاء المدارس في بلادهم كما فعل متصرف نابلس في منع فضلاء وجهائها من إنشاء مدرسة فيها وحجته في ذلك انهم يحيون اللغة العربية فتضعف اللغة التركية عندهم . ولا نذكر هنا ما فعلوه في المحاكم وغيرها من مصالح الحكومة في الولايات العربية فأوجب الشكوى والغط

وأيت كثيرا من العرب العثمانيين خائفين على اللغة العربية أن تموت بمقاومة بعض حكامهم لها ويجهل هؤلاء أن الله تعالى قد سخر لهذه اللغة أمم الافرنجة يتدارسون ويحيون موات علومها وآدابها ، وان لها دولة هي أقوى من الدولة العلية حضارة - وان كانت دونها جندية وهي تحت سيادتها دون سياستها وادارتها - ألا وهي الحكومة المصرية العربية

التعليم في الازهر وملحقاته من المدارس الدينية في هذه البلاد كله باللغة العربية ، وجميع مدارس الحكومة والمدارس الاهلية فيها تدرس اللغة العربية وتعلم بعض الفنون بها و بعضها باحدى لغتي العلم في الغرب الانكليزية والفرنسية وقد شرعت الحكومة تستعد لجعل تدريس جميع الفنون بالعربية

وقد شرعت في هذا العام باحياء المصنفات العربية القديمة في الفنون المختلفة بطبعها في مطبعتها المشهورة ، واسترشدت في ذلك بصديقنا أحمد زكي بك الكاتب الثاني لمجلس النظار لما له من الخبرة الواسعة في هذا الباب ، وقد جاءنا منها الرسالة الآتية في بيان هذا المشروع وها هي ذي بنصها :

الحكومة الخديوية المصرية

« مجلس النظار »

﴿ إحياء الآداب العربية ﴾

اجتمع مجلس النظار بسراي رأس التين بالاسكندرية في يوم الاثنين ٢١ شوال سنة ١٣٢٨ (٢٤ اكتوبر سنة ١٩١٠)

تحت رئاسة الجناب الخديوي المعظم عباس حلمي الثاني

بحضور صاحب العطوفة محمد سعيد باشا رئيس المجلس وناظر الداخلية
واصحاب السعادة سعد زغلول باشا ناظر الحقانية
وحسين رشدي باشا ناظر الخارجية
واسماعيل سري باشا ناظر الاشغال العمومية والحربية
واحمد حشمت باشا ناظر المعارف العمومية
ويوسف سابا باشا ناظر المالية
وحضر الجلسة جناب المستر هنري بول هرفي المستشار المالي
كاتب السر الثاني احمد زكي بك

اطلع المجلس على المذكرة المقدمة من صاحب العطوفة محمد سعيد باشا رئيس المجلس وعلى التقرير الذي كتبه صاحب السعادة احمد حشمت باشا ناظر المعارف العمومية عن الوسائل المقتضى اتخاذها لاحياء الآداب العربية بالديار المصرية

وبعد المفاوضة قرر المجلس الموافقة على جميع الاقتراحات التي تضمنتها تلك المذكرة وتكليف نظارتي المعارف العمومية والمالية بتنفيذها

رئيس المجلس (محمد سعيد) — كاتب السر (احمد زكي)

مذكرة

﴿ مرفوعة الى مجلس النظار ﴾

كان من دأب الحكومات التي تناوبت الحكم على وادي النيل منذ الزمان القديم طلب المباراة في ميادين السبق لرفع منار العلوم ونشر رايات العرفان سعيا وراء الفخر الخالد والمجد المؤبد وكان من همها على الاخص توجيه عنايتها الى اعلاء شأن اللغة العربية وآدابها بما كانت تبذله من الرغائب لانبعاث الهمم من رقدتها وانعقاد العزائم على خدمتها وتعضيد أهل العلم وذوي الفضل على دوام البحث والاستنباط

غير أن نوب الزمان وطوارئ الحدثان تناولت هذه العناية فما تناولته فاخمدت نارها وحجبت أنوارها فانحلت العزائم وتلاشت الهمم وكادت محنة الدهر تقضي

على ملكة الاختراع والابتكار بين أهل هذه الديار وتقدم ميل النفس الى التصنيف والتأليف ثم تفرع على ذلك اندثار دور الكتب واندراس آثارها بيننا بعد ان كانت قائمة على الدهر تشهد للأمة المصرية بعلو كعبها وجميل أثرها في هذا الباب

وما زالت يد الزمن تعبث وتدمر حتى سخر الله لهذه البلاد محيي مواتها وباعث رفاتها ذلك الرجل العظيم محمد علي الكبير رأس هذه الاسرة المالكة فزاوج بين ترقية الامة المصرية ماديا وأدبيا ومزج بين اصلاحها معاشا ومعادا حتى منحه التاريخ لقبا ينطبق عليه بكل حق وعدل وهو « محيي مصر »

ثم كانت سيرة خلفائه الفخام من بعده على نحو مارسم وقدر فكان من حسنات المغفور له اسماعيل باشا ان جمع من هنا وهناك ما أبقته عوادي الايام من حطام تلك الدور النفيسة دور الكتب القيمة فالتقف شواردها وضم اشتاتها وأسس دار الكتب الخديوية القائمة الآن وأفاض عليها هو وابنه الخديو توفيق على الاخص مايضمن طول بقائها ودوام الانتفاع بها ثم كانت غلة العقار المحبوس عليها كفيلة بتقدم هذا المعهد وارتقائه .

ولكننا لانزال نرى الى اليوم ان دار الكتب هذه لم تتجاوز في مهمتها المطلوبة منها وهي نشر العلوم والمعارف حد الاستعداد والتأهب للعمل . وقد آن الوقت الذي يجب ان تخطو فيه خطوتها الواسعة في هذا السبيل وتبرز للملأ من جليل الاعمال ماقيه سرعة ارتقاء الآداب والعلوم

وأمامنا اليوم فرصة حاضرة حانت لنا بالنظر في المذكرة التي وضعها حضرة احمد بك زكي الكاتب الثاني لاسرار مجلس النظار وضمنها ماعن له من وجوه الاصلاح وضروب الوسائل التي من شأنها احياء الآداب العربية بديار مصر . وقد ذيلها بنبذ قصيرة عن عدة كتب ومصنفات بخط اليد توصل الى نقل صورها بطريقة التصوير الشمسي في القسطنطينية والبلاد الاجنبية .

وقد مضى على واضع هذه المذكرة زهاء عشرين سنة وهو يوالي البحث والتنقيب عن انواع الطرق الموصلة الى تعميم المعارف واستنهاض الهمم لاجتياز باب العمل في فنون الاصلاح المطلوب لاحياء العلوم والآداب العربية . ولذلك

قابل اصحاب الحل والعقد ما شرحه من سديد الآراء وحكم الوسائل بعين الرضا والقبول . وعهدت الحكومة الخديوية الى صاحب السعادة احمد حشمت باشا ناظر المعارف العمومية ان ينظر في الامر ويقرر فيه ما يرشدها الى الطريق القويم في هذا الباب

ولست أرى وسيلة لشرح ما رآه سعادته في هذا الموضوع افضل من إلفات مجلس النظار الى نص التقرير الجليل الذي يشير فيه الى وجوب العمل على حسب الخطة التي رسمها صاحب المذكرة مع بيان الوسائل الفعالة لابراز هذا المشروع الى حيز الوجود ولقد بادرت بابلاغ هذا التقرير الى نظارة المالية مشفوعا برأيي في الموافقة عليه من جميع الوجوه مع تأييد كل ما أشار به سعادته من الاقتراحات النافعة لتجديد الآداب العربية

ولما درس سعادة صاحب الدولة ناظر المالية هذا المشروع كتب الي كتابا تاريخه ١٨ اكتوبر سنة ١٩١٠ قال فيه « ان نظارة المالية تشاهد بمزيد الرضا ونهاية الامتنان تلك المجهودات التي مازال يبذلها احمد بك زكي وانها توافق بتمام الارتياح على الغاية التي يسعى وراءها في سبيل تجديد الآداب العربية »

وختم سعادته كتابه بأن نظارة المالية مستعدة لان تخصص لهذا الغرض مبلغ الالف جنيه مصري المربوط في الميزانية لتشجيع الاعمال الادبية

فهذه الاريحية الكريمة تدعونا الى تدقيق البحث في الاسباب التي يكون من شأنها استمرار هذه الحركة المباركة بما يضمن ظهور آثارها بدون انقطاع

وبما انه من الضروري النظر في تدبير الوسائل التي تكفل لهذا العمل ما يقتضيه من البقاء والاستمرار ، وبما أن المصنفات التي نقلها حضرة أحمد زكي بك بالفتوغرافية هي ذات قيمة عظيمة من الوجهة العلمية والتاريخية والادبية ، وبما أن معظم هذه المصنفات التي أشار اليها هي من وضع المؤلفين المصريين ولا نكاد نرى لها أثرا في البلاد التي تولدت فيها وظهرت بها

فلهذه الاسباب

اقترح على مجلس النظار تكليف نظارة المعارف العمومية بما يأتي :

أولا ـ المبادرة بدون تأخير في تدبير الوسائل التي تضمن إحياء الآداب العربية حسب البيانات التي أوضحها سعادة أحمد حشمت باشا في تقريره المؤرخ في ١١ رمضان سنة ١٣٢٨ (١٥ سبتمبر سنة ١٩١٠)

ثانيا ـ تخصيص المبلغ الاحتياطي المتكون بدار الكتب الخديوية لهذا الغرض

ثالثا ـ الابتداء في إحياء الآداب العربية بطبع ونشر الموسوعتين الكبيرتين المعروفتين باسم « نهاية الارب في فنون الادب » لشهاب الدين النويري و « مسالك الابصار في ممالك الامصار » لابن فضل الله العمري

رابعا ـ الاستمرار على موالاة هذه النهضة التجديدية بطبع ونشر بقية الكتب التي أشار اليها حضرة أحمد زكي بك حسب الكشف المرفق بهذه المذكرة ثم سائر المخطوطات العربية الاخرى الكثيرة الندرة العظيمة الفائدة

هذا واني أرى من جهة أخرى ان ضمان النجاح لهذه الحركة الخصيبة يوجب على مجلس النظار أن يسهل على نظارة المعارف العمومية القيام بمهمتها بالاصلاح الذي نبتغيه لهذا الاصلاح فلذلك يحسن بحكومة الجناب الخديوي المعظم أن تكلف نظارة المالية بأمرين اثنين أيضا وهما :

أولا ـ جعل مبلغ الالف جنيه تحت تصرف نظارة المعارف العمومية بصفة اعانة خصوصية لطبع الموسوعتين المذكورتين قبل

ثانيا ـ اصدار الاوامر اللازمة الى مطبعة بولاق الاهلية للاسراع في انجاز أعمال الطبع بكل ما في الامكان وأملي وطيد في أن المجلس يتكرم بالموافقة على ما أبديته من الاقتراحات ليجري العمل بانتظام وفق المرغوب فان انجاز هذا المشروع على أجمل حال مما يحول بحسنات هذا العصر ويكون غرة في جبين الدهر تشهد بارتقاء العلوم والآداب بيمن مولانا الخديو ناشر رايات العدل ورافع اعلام العلم والفضل

رئيس مجلس النظار

القاهرة في ١٧ شوال سنة ١٣٢٨ (٢٠ اكتوبر سنة ١٩١٠) محمد سعيد

*
* *

كشف

﴿ بأسماء الكتب المشار اليها في المذكرة السابقة ﴾

وهي التي ستتخذ أساساً لاحياء الآداب العربية بمصر

﴿ موسوعات ﴾

نهاية الارب في فنون الادب لشهاب الدين النويري

مسالك الابصار في ممالك الامصار لابن فضل الله العمري

جوامع العلوم لفريعون تلميذ أبي زيد أحمد بن سهل البلخي

﴿ أدب وبلاغة وانشاء ﴾

الفاخر للمفضل الضبي

ديوان الحماسة الصغرى المعروف بالوحشيات لابي تمام

سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي

التسهيل بالتمثيل وهو المعروف بتسهيل السبيل الى تعلم الترسيل الحميدي

رسائل وخطب وأشعار السلطان الملك الناصر يوسف صلاح الدين الايوبي
من جمع حفيده

مجموعة ترسل القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني

﴿ حديث ﴾

فنون العجائب

اكرام الضيف

﴿ آداب الملوك ﴾

كتاب التاج للجاحظ

محاسن الملوك

رسائل الملوك ومن يصلح للسفارة ومن أمر بارسال رسول ومن نهى عن ذلك وكيف ينبغي لمن أرسل الى ملك أن يعمل في الاحتياط لنفسه ولمن أرسله ومن ذم من الرسل ومن حمد لابي علي الحسن المعروف بابن الفراء

كتاب تنبيه الملوك (وسياساتهم في تدبير الامم والممالك)

﴿ التاريخ ﴾

كتاب المقاتلين من الاشراف في الجاهلية والاسلام لمحمد بن حبيب

ذيل تجارب الامم وتعاقب الهمم في وقائع العرب والعجم لابن مسكويه تأليف أبي شجاع أحد وزراء الدولة العباسية

درر التيجان وغرر تواريخ الزمان لابي بكر بن عبدالله بن أيبك الدواداري المصري

كنز الدرر وجامع الغرر له أيضا

﴿ التراجم ﴾

إنباه الرواة على أنباه النحاة للقاضي الاكرم الوزير القفطي

نزهة الالباب في الالقاب لابن حجر

التأليف الطاهر في شيم الملك الظاهر القائم بنصرة الحق أبي سعيد جقمق لابن عربشاه

هدية العبد القاصر الى الملك الناصر أبي السعادات محمد بن السلطان الملك الاشرف لعبد الصمد الصالحي

سبك النضار وكسب المفاخر ونثر الدر ونظم الجواهر من سيرة المقر الاشرف السيفي اقباي الاسد الظافر كافل المملكة الغزية (في أيام قايتباي) لعبد الله بن محمد بن عبد الله الزكي الغزي الحنبلي

﴿ النسب ﴾

شجرة النسب النبوي الشريف تأليف السلطان الملك الاشرف أبي النصر قانصوه الغوري

﴿ الجغرافيا ﴾

صور الاقاليم الاسلامية لابي زيد أحمد بن سهل البلخي (بالخرط)

صورة الارض وصفة أشكالها ومقدارها في الطول والعرض وأقاليم البلدان ومحل الغامر منها والعمران من جميع بلاد الاسلام بتفصيل مدنها وتقسيم ما تفرد بالاعمال المجموعة اليها (بالخرط)

هيئة أشكال الارض ومقدار صورها في الطول والعرض (بالخرط)

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق المعروف بكتاب رجار (Roger) للشريف الادريسي (بالخرط)

﴿ رحلة ﴾

تاريخ الامير يشبك الظاهري (وهو رحلة الجنود المصرية وفتوحاتهم في آسيا الصغرى في أيام السلطان الملك الاشرف قايتباي)

﴿ علم حفظ الصحة ﴾

كمال الفرحة في دفع السموم وحفظ الصحة للقوصوني الطبيب في عصر السلطان قانصوه الغوري

﴿ علوم طبيعية وميكانيكية ﴾

سرور النفس بمدارك الحواس الخمس لابن المكرم صاحب لسان العرب

الباهر في علم الحيل

الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل (بالاشكال والصور)

﴿ علم الحيوانات ﴾

الدر المطابق في علم السوابق (في طب الخيل وقد ظفر به ملك الارمن في خزائن العباسيين عند ما هاجمها مع التتر فنقله الى بلاده وأمر بترجمته ثم ضاعت النسخة العربية الاصلية وقد ظفر جنود مصر بالترجمة في بلاد الارمن حينما فتحوها فترجمه الى العربية ابن الخليفة العباسي بمصر بمساعدة بعض الاسرى من الارمن

طب الطيور (مستخرج من خزانة الرشيد)

﴿ علم المعادن ﴾

الجماهر في الجواهر لفيلسوف الاسلام بالهند ابي الريحان البيروني

ازهار الافكار في جواهر الاحجار للتيفاشي

﴿ علم الفلك ﴾

التفهيم لصناعة التنجيم لابي الريحان البيروني

علم الساعات والعمل بها لرضوان بن محمد الخراساني بخط بيلك بن عبد الله القبجاقي

﴿ علم الموسيقى ﴾

كتاب العود والملاهي للمفضل الضبي

كشف الغموم والكرب بشرح آلة الطرب (بالصور والاشكال)

﴿ علم الحرب ﴾

العز والمنافع للمجاهدين بآلات البارود والمدافع لابن غانم الاندلسي (بالاشكال)

الانيق في المناجيق (بالصور والاشكال)

التذكرة الهروية في الحيل الحربية للسائح الهروي

﴿ ديانات قديمة ﴾

فلسفة الوثنيين (وهو قطعة بقيت من كتاب نسطس الذي احرقه بعضهم

وترجمها أحد المسلمين مع شرح الاناشيد والالحان الموسيقية الخاصة بديانة الوثنيين وبديانة المجوس)

كتاب الاصنام لابن الكلبي

﴿ فنون متنوعة ﴾

لطائف المعارف للنيسابوري

عين السبع مختصر طرد السبع لصلاح الصفدي

الالمام بآداب دخول الحمام

الكوكب الدري في أجوبة السلطان الغوري

نفائس المجالس السلطانية في حقائق الاسرار القرآنية لجمعية من العلماء في عصر السلطان الغوري وهو في مجلسهم

الترفق في المطر للفيلسوف الكندي

كتاب الاطعمة المستعملة في مصر على عهد سلاطين المماليك

الوصلة الى الحبيب في وصف الطيبات والطيب

﴿ احياء الآداب العربية ﴾

مقتبس من التقرير المقدم الى صاحب العطوفة محمد سعيد باشا رئيس مجلس النظار

« من صاحب السعادة احمد حشمت باشا ناظر المعارف العمومية »

بتاريخ ١١ رمضان سنة ١٣٢٨ (١٥ سبتمبر سنة ١٩١٠)

رئيس مجلس النظار عطوفتلو افندم حضرتلري

تفضلتم عطوفتكم بدعوتي لدرس المذكرة المقدمة من حضرة احمد بك زكي « عن الاسباب والوسائل المؤدية لاحياء العلوم والآداب العربية بمصر » مع مجموعة الكتب التي استنسخها حضرته بالفوتغرافية واستحضرها من الآستانة وأوروبا وقد امعنت النظر في هاتين المسألتين وأبدي اليوم لعطوفتكم ماأراه في هذا الشأن

ان هذه المذكرة تشرح بأجلى بيان ما كان لقاهرة من التأثير في رفع منار العرفان وترقية الآداب العربية فانها بفضل مركزها وعناية أهلها أصبحت في أوائل العصور الحديثة محطا لرجال أهل العلم ومهبطا لطلاب الفضل

ولقد أشار صاحب المذكرة الى مبلغ الاريحية التي كان يجود بها ملوك مصر وسلاطينها والى مقدار المساعي المتواصلة التي بذلها رعاياهم لاعلاء شأن الحضارة الاسلامية وازدهاء رونقها في بلاد الشرق فكانت النتيجة من هذا العمل المزدوج ان ظهرت في سماء المعارف العربية كتب جليلة حافلة بالبحث في الموضوعات المفيدة في كل فن ومطلب ولكن سوء الحظ قضى بأن لا يصل الى أيدينا من تلك المصنفات الثمينة سوى النزر اليسير

ثم جاء دور الافول فكان من دواعي الانحطاط ان مصر أضاعت ذخائرها وكنوزها في أثناء التقلبات التي اصابتها والمحن التي توالت عليها مما لا فائدة من ترديد ذكراه الآن

فانطفأ ذلك السراج الوهاج وخبا ذلك الذكاء المصري بيد ان شعاعا ضئيلا من الامل تبدى في الافق فانبعث معه ذلك الذكاء من مرقده بعد ان كان الناس يظنونه قد دخل في خبر كان ولكنه في الحقيقة انما كان في سبات لا في ممات. والفضل في تجدد هذه الحياة الادبية راجع الى محمد علي الكبير والى حفيده اسماعيل

لذلك توخى صاحب المذكرة ان يستفيد من هذه اليقظة الادبية فأخذ يعمل على ايجاد الوسائل اللازمة لتجديد عهد الآداب العربية في ظل خديوينا المحبوب عباس الثاني الذي تعود ان يقفو آثار اسلافه الفخام في سلوك المكارم وتجديد مفاخر المآثر

وللوصول الى هذه الغاية التي ما زال ينشدها واضع المشروع قد اقترح حضرته تنظيم دار الكتب الخديوية تنظيما يشمل جميع فروع الاصلاح التي تستوجبها مكانتها لتأتي بالثمرة المطلوبة وتقوم بالخدمة الواجبة عليها

واني أوافق حضرته من هذه الوجهة موافقة تامة ولذلك شرعت فعلا في درس هذا الاصلاح درسا دقيقا لاتمكن في وقت قريب من جعل خزانة كتبنا النفيسة كفيلة بالقيام بجميع الاغراض التي انشئت لاجلها أو التي يحق لنا انتظارها

منها حتى تكون من أقوى العوامل في نشر أنوار العلوم العربية

ثم أشار صاحب المفكرة الى انه يجب ارجاع المطبعة الاهلية الى مجيد عملها السابق وذلك بطبع التآليف التي تفتخر بها علماء مصر حتى يتسنى لأهل الجيل الحاضر ان يشمروا عن ساعد الجد ويواصلوا سلسلة الابتكار في العلوم والآداب التي بدأ بها أجداده الامجاد

وقد رأى صاحب المشروع من الواجب عليه ان لا يقف عند الاشارة الى نظريات مبهمة أو ابداء رغائب مجردة عن وسائل التنفيذ مالا يكون كفيلا باستكمال وسائل النجاح فلذلك افرغ وسعه وبذل جهده ولم يضن بشيء من ماله ووقته وراحته حتى تيسرت له كل الاسباب المؤدية لتحقيق الخطة التي رسمها لنفسه وذلك انه قرن العلم بالعمل وأتبع القول بالفعل فانتهز فرصة الانقلاب الذي حصل في الدولة العلية وشخص الى الآستانة وتمكن هناك من استخدام الفتوغراف في نقل جلائل المؤلفات التي تزدهي بها الآداب العربية خصوصا تلك التي كانت فيما مضى من أجل الذخائر في الخزائن المصرية

ولم تقف همة هذا العلامة عند حد التنقيب وتلمس تلك الآثار من كنوزها في القسطنطينية بل واصل سعيه أيضا في ربوع العلم بأوربا لاستيفاء كل المعدات ولاتمام عمله على احسن حال

هذا وقد ألم في مفكرته بايضاح وجيز الى كل واحد من هذه المصنفات النادرة فكتب نبذة قصيرة تكشف عنها اللثام وتبين الفوائد التي تعود على اللسان العربي والامة المصرية من العناية بطبعها وتعميم نشرها

وقد رأيت من الواجب أن استعلم عما اذا كان لهذه المصنفات أو لبعضها أثر ما في دار الكتب الخديوية أو في احدى مكتبتي الازهر الشريف والمجلس البلدي بالاسكندرية فوافتني هذه المعاهد الثلاثة ببيانات تسمح لي بالتصريح بأن المؤلفات التي نقلها حضرة أحمد بك زكي واستحضرها لا توجد أصلا ضمن مكاتبنا ومجامعنا الاهلية وانها لم تطبع حتى الآن وان في طبعها نفعا عظيما للمتنورين من أبناء مصر وسائر أهل العلم على الاطلاق

ولا ريب في أن حكومة الجناب العالي الخديوي الآخذة بناصر الآداب العربية العاملة على ترويجها وتعميم الانتفاع منها ستقدر هذه الكنوز حق قدرها وتعمل على اقتنائها واضافتها الى خزانة كتبها النفيسة خصوصا وان معظمها مما جادت به قرائح البارعين من المصريين

وليس من الصواب أن يقف عمل الحكومة الخديوية عند هذا الحد من الاغتباط بالحصول على هذه المجموعة واضافتها الى دار الكتب الخديوية بل يتحتم علينا أن نبادر الى السعي في طبعها بحيث لا يمضي قليل من الزمن حتى تصبح منهلا سائغا للقاصد وموردا عذبا لكل طالب .

ونحن اذا نظرنا الى أهل الشرق والى العلماء المستشرقين في هذه الايام نراهم جميعا يتهافتون الى الوقوف على كل ما له ارتباط بالحضارة الاسلامية ولا شك عندي في أن الحظ الاوفر في هذه النهضة المباركة ينبغي أن يكون لمصر ان لم تكن هي القائدة لحركتها والمديرة لشؤونها وذلك نظرا لمركزها الطبيعي ولما كان لها من الايادي البيضاء على العلوم والآداب وبهذه المناسبة أرى من الواجب علينا أن نشكر المعاهد العلمية الغربية لما تبذله من المساعي في تأييد هذه الحركة والاخذ بناصرها . ولا غرو فان المستشرقين الذين تفتخر بهم المدارس الجامعة في بريطانيا العظمى وسائر أوربا وأمريكا لا يألون جهدا في العمل على نشر الكتب التي صنفها جهابذة العرب وبحثوا فيها عن شتى الموضوعات وأبعدها عن مجال الخواطر والاوهام . فهؤلاء المستشرقون لا يزالون يدأبون على العمل مع الصبر في التحصيل والدرس والبراعة في التنقيب والبحث . وبذلك تيسر لهم أن ينشروا طائفة كبيرة من أمهات الكتب العربية النفيسة وقد يترجمونها في بعض الاحايين الى لغاتهم أو يتخذونها موضوعا لمباحثهم كيما يشاركهم قومهم في الاستفادة منها وهم بهذا المسعى يبثون فينا روح الامل باسترجاع كنوز آدابنا الشرقية رويدا رويدا ومن المؤكد أن هذا الامل لا يلبث أن يدخل في حيز الامكان ويتحقق في عالم الوجود اذا ما قامت مصر بالقسط الواجب عليها من المساعدة والمعاونة على إحياء العلوم والآداب العربية

وقد آن للحكومة الخديوية أن تعضد العلماء المصريين وتفتح لهم مجال البحث

ليتمكنوا من الاستمرار على التنقيب والتأليف فيجدوا في مصر عصر آبائهم و يصنعوا مثل ما صنعوا واني لعلى يقين من أنهم سيجدون في المجموعة التي توفر حضرة أحمد بك زكي على تكوينها وايجادها جميع الوسائل التي تبعث فيهم روح العمل فيتضل عود الدرس ويثمر بما يعود بالنفع العام على مصر وغيرها من أقطار الشرق

وأرى لاطراد هذه الحركة أن نبدأ منذ اليوم بطبع الموسوعتين اللتين تفتخر بهما مصر والعرب على الاطلاق وأعني بهما « نهاية الارب في فنون الادب » للنويري و « مسالك الابصار في ممالك الامصار » لابن فضل الله العمري لأن هذين الأثرين الجليلين قد انعدما من بلادنا في جملة ما أضاعته من الكنوز الغوالي على أثر ما انتابها من الطوارق والطوارئ

ولقد أعيي العلماء الغربيين استكمال هذين الأثرين النفيسين فلم يوفقوا الى جمع أشتات هذه الضالة المنشودة مع ما بذلوه من الجهد في كثير من الأزمان حتى أتاح الله (ذلك) لاحد مواطنينا فتيسر له بعد متاعب احتملها مدة عشرين عاما واهتدى لجمع المواد والاجزاء التي يتألف منها هذان السفران وأثبتها كلها بالفتوغراف فحق لنا بعد ذلك أن نهنئ أنفسنا على هذا النجاح الباهر

واذا أخذنا في طبع هاتين الموسوعتين بسعد الجناب الخديوي العالي الذي تفضل فأظهر عنايته العالية بأمرهما فلا شك أن الاقبال على اقتنائهما سيكون عاما عند جميع الطبقات وخصوصا عند الفئة المولعة بالدرس وأرباب العقول المستنيرة بمصر والشرق بل يتعداها الى الجامعات ودور الكتب في البلاد الاجنبية والمستشرقين الذين يقدرونهما حق قدرهما لانهم طالما استفادوا منهما

وعلى ذلك فاني أشير بتشكيل لجنة من أهل الدراية تختارها نظارة المعارف العمومية لتهيئة هذين السفرين للطبع ويكون من خصائصها النظر في الاصول وضبطها بالدقة قبل تسليمها للمطبعة الاميرية لان الطبع اذا ما باشرته الحكومة الخديوية بنفسها وأشرفت عليه رعايتها يجب أن يكون مستوفيا لكل أسباب الكمال ليجيء مناسبا لحاجات العلم والنقد في العصر الحاضر

وبهذه المناسبة أقول إن الضرورة والعدل يقضيان بأن تكون ادارة هذا المشروع من الوجهة الفنية موكولة الى حضرة أحمد زكي بك لواسع علمه وعظيم شهرته خصوصا وانه هو البادئ بالتفكير في هذا المشروع الخطير والمهتدي الى جمع شوارده بعد ان كانت مبعثرة هنا وهناك

ولا جرم أن طبع هاتين الموسوعتين في مطبعة بولاق سيكون جامعا لما ينبغي من الدقة والجمال خصوصا بعد أن دخل التحسين الجديد على حروفها ونظرا لما هي عليه الآن من كمال الاستعداد وبذلك تعود هذه المطبعة الى ما كان لها من المكانة السامية والأثر النافع في نشر نور العرفان العربي

وأرى أيضا مخابرة نظارة المالية لتأمر المطبعة الاهلية بتوسيع نطاق القسم الادبي حتى يتسنى له طبع ثلاث ملازم أو أربع في اليوم الواحد فذلك أمر يتحتم علينا الوصول اليه بقدر رغبتنا في تسهيل أمر الطبع حتى لا يمضي زمن طويل على ظهور هذا العمل الجسيم في حيز الوجود

ولعل سعادة ناظر المالية يسمح بتخفيض شيء من مصاريف الطبع المعاونة على ترويج هذا العمل الادبي العميم الفائدة الذي من شأنه المساعدة على ترقية الافكار وتعميم المعارف اذ بفضل هذه المنحة يمكننا ان نزيد في عدد النسخ بغير زيادة في النفقات والاكلاف وبذلك يتسنى لنا أيضا تخفيض قيمة الاشتراكات واثمان البيع تخفيضا محسوسا يساعد على زيادة الاقبال وتسهيل اسباب الانتفاع

بقي علينا ان ننظر في تدبير المال اللازم للمشروع في هذا العمل الخطير وهو متوفر لدينا لوجود المبلغ الاحتياطي في دار الكتب الخديوية فان هذا الاحتياطي مخصص بطبيعة الحال لاحراز واستنساخ وطبع المخطوطات العربية وقد بلغ في آخر اغسطس الماضي ٩٢٩٢ جنيها مصريا ويجب الاشارة الى ان استخدام ذلك المبلغ الاحتياطي في هذا السبيل النافع ستنتج عنه ثمرة مفيدة لدار الكتب الخديوية من الوجهة المادية المحضة فضلا عما يترتب عليه من المزايا الادبية الكثيرة

وعلى كل حال فلو فرضنا أن هذا المشروع لا يكون من ورائه مغنم مادي فان الحكومة الخديوية ينبغي لها أن تغتبط بهذا المسعى الذي يفضي الى إفاضة نور

الادب العربي في بلاد الشرق وذلك لان الجامعات في بلاد الانكليز والمطابع الاهلية في ديار أوروبا هي التي تأخذ دائما على عاتقها طبع المؤلفات الاهلية الكبيرة القيمة الواسعة الحجم ولو أدى الى ذلك خسارة مالية فادحة وذلك لقصور يد الافراد عن القيام بما تقتضيه من النفقات الجسيمة أما مشروعنا هذا فانه بعيد عن ذلك بالمرة لما فيه من المكاسب التي تدعو الى الاقدام عليه والاهتمام بشأنه

فاذا صادفت هذه الآراء والاقتراحات ما ابتغيه لها من حسن القبول لدى عطوفة الرئيس رجوته أن يسمح لي باتخاذ الوسائل اللازمة لانجاز هذا المشروع على أحسن حال لكي يزيد في شرف هذا العصر الاسعد ، المشمول بيمن خديوينا المحبوب الامجد ، الحامي لواء العلم والادب ، الراغب في تقدم لسان العرب

ناظر المعارف العمومية

(أحمد حشمت)

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ الهيئة والاسلام ﴾

كتاب جديد في استخراج مسائل علم الهيئة الفلكية التي وصل اليه علماء هذا العصر من ظواهر الكتاب والسنة وأقوال أئمة آل البيت الكرام ، وعلماء الصحابة الاعلام عليهم السلام والرضوان ، يشتغل بتصنيفه أحد علماء النجف الاعلام (السيد هبة الله الشهرستاني) وقد صدر جزآن منه في اكثر من ثلاث مئة صفحة كصفحات رسالة التوحيد وتفضل المؤلف باهدائه الينا ونحن في القسطنطينية مع كتاب مودة وتنبيه الى وجه الحاجة الى مثل هذا الكتاب في هذا العصر الذي كثر فيه المشككون في الدين بشبهات منتزعة من علم الهيئة وغيره من العلوم . وقد حالت الشواغل الكثيرة هناك وهنا دون مطالعة الكتاب التي تمكننا من بيان مزيته وتلخيص شيء من فوائده

فرأينا ان نكتفي الآن بذكر بعض مسائله المهمة من الفهرس ونفقل في جزء آخر نموذجا منه للقراء ان شاء الله تعالى

المسألة الاولى حقيقة الفلك توافق النصوص فيها ما عليه المتأخرون وتخالف ما كان عليه اليونانيون ، (المسألة ٢) شكل الارض وحاماها ، (٣) حركة الارض ، (٤) تعدد الارضين . (٥) في أن السيارات تسع فكيف تكون الارضون سبعا ، (٦ و ٧) في حقيقة السموات السبع والارضين وترتيبها ، (٨) مركزية الشمس لحركة السيارات . المسألة التاسعة الصفات الخمس لجرم الشمس ، (١٠) في أوصاف القمر (١١) عدد السيارات (١٢) في سكنى السيارات (١٣) المذنبات والشهب (١٤) في تعدد العوالم . يذكر المؤلف في كل مسألة أقوال علماء الهيئة وما ورد بمعناها في الكتاب أو السنة أو كلام الائمة أو الصحابة رضي الله عنهم

﴿ منطق المشرقين ﴾

هو آخر ما ألفه الشيخ الرئيس ابو علي بن سينا في فن المنطق فهو زبدة التحقيق عنده لهذا العلم وقد قال فيه «وما جمعنا هذا الكتاب لنظهره الا لانفسنا اعني الذين يقومون منا مقام انفسنا ، وأما العامة من مزاولي هذا الشأن فقد أعطيناهم في منطق الشفاء ما هو كثير لهم وفوق حاجتهم » وقد طبعه في هذا العام صاحبا المكتبة السلفية بمصر وطبعا معه القصيدة المزدوجة في المنطق للشيخ الرئيس أيضا . وطبعا في مقدمته ترجمة طريفة للمؤلف وهو يطلب من مكتبتها ومن مكتبة المنار بمصر وثمنه أربعة قروش صحيحة

﴿ منتخبات البارودي ﴾

ان قوى النفس ، كقوى الحس ، تضعف وتقوى ، وتمرض وتشفى ، وتهبط وترق بل تموت وتحيا ، وانما حياتها وارتقاؤها برقة الشعور والوجدان ، ودقة التوسم والادراك

يدرك حديد البصر من معارف وجه محدثه ولو على بعد ، ما لا يدركه الكليل على القرب ، ويستشف من توسم ما يعرض لها من التأثير ، ما تنقطع دونه اشعة بصر الحسير ، فهذا يعيا عن ادراك دقائق معارف الوجه ، وحركات الطرف ، فلا يعرف

امامه الا شبحا ماثلا ، وهيكلا شاخصا ، وذلك يدرك ماوراء هذه المعارف من آثار الخطاب في نفس المخاطب ، فيميز بين ماعرف منه وما أنكر ، وما أحب وما كره ، يتوسم فيه فيوحي اليه ذلك انبساط الاسارير وانقباضها ، ولمانها واقتامها ، واحمرار البشرة واصفرارها ، وتخاوص العينين وجحوظهما ، وترنيقهما ورنوهما ، وحركتهما وسجوهما ، وتصويبهما وتصعيدهما ، وسائر ضروب النظرة كالخدج والشزر ، والشخوص والشفن ، فلكل نظر أثر باعث من نفس الناظر ، وأثر حادث في نفس المنظور اليه ، فمن لايؤثر بنظر عينيه ، ولا تؤثر فيه نظرات العيون ، فجدير بان يعد من الاموات لا من الاحياء ، أو من مرضى النفوس لا الاصحاء ،

في القرآن العزيز آيات كثيرة في تأثير النظر ، وأحوال البصر ، كقوله تعالى « وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم » وقوله « فاذا برق البصر » وقوله « تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت » وللشعراء في ذلك رقائق هي المظهر الأعلى لدقائق صناعتهم كقول الكيواني

وانظر اليّ مرنّقا　　حتى أغيب عن الشعور

وقول علية بنت المهدي

ورابني منه اني لا أزال أرى　　في طرفه قصرا عني اذا نظرا

وقول أبي نواس حكاية

ويعمل الطرف نحوي ان مررت به　　حتى ليخجلني من حدة النظر

والشعر في هذا المعنى كثير يدخل في فنون شتى

وان من كان سميعا خبيرا بأنواع الاصوات ، وضروب اللهجات ، ودلالة كل جرس ، على كيفية خاصة في النفس ، وما في لحن القول وفحواه ، من إيماء الى غير ما يدل عليه مبناه ، ليسمع مع الكلام ما كان باعثا عليه من نفس المتكلم ، وما ينثني عليه صدره ، وينطوي عليه قلبه ، من حب و بغض ، ووفاء وغدر ، وأمن وخوف ، ورضى وكره ، قال تعالى « ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول » أي فحواه ومعاريضه ، ومن أعجب الكلام الي في استخراج خبايا السرائر من كيفية أداء القول ، وجرس اللفظ ، قول امرأة كعب ابن الاشرف

له عند ما دعاه في الليل الذين يريدون قتله ، متظاهرين الالتجاء الى حصنه ، وقد نهته عن الخروج اليهم « اني اسمع صوتاً يقطر منه الدم »

ان دقة الادراك ، ودقة الشعور والاحساس ، مما آيتا ارتقاء النفس في درجات الكمال الانساني ، ويرى الحكماء ان مظهر هذا الارتقاء ، يكون في ثلاثة أشياء ، الشعر والتصوير والموسيقي ، وهي التي يعبرون عنها بالفنون الجميلة فالتصوير هو الاشعار بالاشياء برسمها في الالواح والصحف ، والشعر هو تصوير الاشياء بالقول ، ومنتهى الكمال فيهما ان لا يفوت صاحبهما شيء ، من دقائق الصورة الظاهرة ، ولا من دقائق أنواع الشعور الباطنة ،

ولولا أن كانت العرب على حظ عظيم من الارتقاء في الشعر لما انتشر فيهم الاصلاح الاسلامي بتلك السرعة ثم رقى بهم في معارج المدنية حتى صاروا الاساتذة المصلحين لجميع الامم ، ذلك بأن الابداع في الشعر قد أعلى مداركهم ، وأودع في طباعهم الرقة ، وقبول التأثير بالمؤثرات الشريفة ، فالشعر هو ديوان حكمتهم ، وكتاب تاريخهم ، ودفتر آدابهم ، وقد ارتقى بلغتهم الواسعة وارتقت هي به ، حتى انك لتجد فيها من الدقائق ما يسلس لك زمام التعبير عن كل محسوس ومعقول ، فتربية الخيال الشعري فيها أكبر معين على ترقيتها ، وما مرضت آدابنا ، الا بما طرأ علينا من الجهل بلغتنا وآدابها وأشعارها ، حتى صار يعسر على أخطب الخطباء وأشعر الشعراء أن يحفز هم الجمهور منا الى دفع خطر نحذره ، أو المبادرة الى خير عام نرجوه ،

أفسدنا لغتنا فأفسدنا نفوسنا ، فضعف ذوقها واختل وجدانها ، وضعف تأثيرها وتأثرها ، ولم نستعض عما فقدناه من رقائق الشعر بالبراعة في الموسيقى ولا التصوير ، وان أقرب الوسائل الى اصلاح ذوق أخرناه ، هي الوسيلة التي صلح بها ذوق أولناه ألا وهي الشعر الذي لا ترتقي آداب الامة وذوق أهلها الا بارتقائه ، أعني ان يكون كل عربي شاعراً ، وان لم يكن ناظماً ، وإنما الشاعر من يشعر بدقائق المعاني ، في صورها من المباني ، ويبلغ بالكلام ما يبلغه الكلام منه ، اذا أصاب موقع الوجدان من النفس ، والاقناع من العقل ،

جعل الادباء شعراءنا أزواجاً ثلاثة الجاهليين والمخضرمين الذين أدركوا الاسلام منهم والمولدين ، ولكل منهم أساليب وفنون من المعاني تختلف باختلاف

الحال الاجتماعية التي عاشوا فيها ، وقد جمعت الدواوين للمشهورين الذين منهم حفظت أشعارهم فوصل الينا بعضها دون بعض ، وأتى علينا حين من الدهر لا يبالي جماهير المتعلمين منا بالموجود ، ولا يبحثون عن المفقود ، حتى كانت النهضة الادبية العلمية الحاضرة وطفق الناس ينشرون آثار السلف ، كما ينشدون ماجدده الخلف ، حتى أزروا بما لديهم من كسب وميراث ، فتكاثرت المطبوعات على غواش ، وضاقت الاوقات عن النظر في كل ما ينشر ، واشتدت الحاجة الى اختيار أحسن ما يروى منه ويؤثر ،

عندنا شيء من مختار أشعار الجاهليين (كديوان الحماسة لابي تمام) وقد وفق الله تعالى نابغة هذا العصر ، وامام أهله في الأدب والشعر ، محمود سامي باشا البارودي الشهير ، لجمع ما اختاره من اشعار ثلاثين شاعرا من فحول المولدين ، في الادب والمديح والرثاء والصفات والنسيب والهجاء والزهد ، ورتبها في كل باب على حروف المعجم ، ووضع لها هوامش في تفسير بعض الغريب والمبهم ، فكان ذلك أربعة أسفار كبار ، جديرة بأن تكون ندامى الكبار وأساتذة الصغار ،

فأما الشعراء الذين اختار أحاسن أشعارهم ، ومثل لنا بدائع خيالاتهم وأفكارهم ، فهم فرسان البلاغة السابقون ، وفحول الشعر المقرمون ، وأساتذته المقدمون ، كبشار وأبي نواس وأبي العتاهية ومسلم بن الوليد وأبي تمام والبحتري وابن الرومي وابن المعتز والمتنبي والشريف الرضي والمعري والديلمي والتهامي والخفاجي والطغرائي الخ

وأما ذلك المنتخب فهو صاحب الأدب الرائع ، والذوق السليم ، والنقد الصحيح ، الذي جرى مع أولئك الفرسان في كل حلبة ، وضرب معهم بكل سهم ، وعارضهم في كل ضرب من ضروب الشعر ، وقد طبعت بمطبعة الجريدة بحرف جديد على ورق جيد ، فكان حسن طبعها ، لائقا بحسن وضعها ، كما تجلى غواني العرائس بمعارضها ، اوكما تجلى الشجعان بسابغاتها وأسلحتها ، فكان ذلك مما يبعث النشاط في قرائها ، وصححها كاتب يد منتخبها (الشيخ ياقوت المرسي) أحد علماء الأزهر ،

فأجدر بهذه المختارات أن تكون ذكرى حبيب ، ومدد أديب ، ودرسا لطالب البلاغة والأدب ، وعونا على إحياء آداب لغة العرب

﴿ حل مشكلة اليمن وسائر جزيرة العرب ﴾

إن أقصى أمانينا أن تكون الدولة العلية أقوى دول الأرض بأسا ، ومملكتها أوسع الممالك عمرانا ، وشعوبها أشد الشعوب اتحادا ، ولا شيء أعز علينا من دولتنا الا ديننا ، ولا قوام لديننا الا بلغته ، فلهذا كثر الكلام في مثل سورية من بلاد الحضارة العربية بالمسألة العربية وقد صدق ذلك الكاتب التركي الذي كتب الى جريدة طنين انه ليس في سورية مسألة ترك وعرب انما فيها مسألة عربية وتركية ، فأهم ما يطلبه العرب أهل الحضارة من الدولة هو المحافظة على اللغة العربية وترقيتها بجعلها اجبارية في جميع مدارسها الرسمية وتسهيل طريق تعليمها في المدارس الدينية والأهلية

وأما من تغلب عليهم البداوة من العرب كأهل اليمن ونجد وخليج فارس وبوادي العراق وما بين النهرين فتمني ان يدخلوا في الاتحاد العثماني كافة وترتقي بلادهم في ظل الدولة ، ولكننا نعتقد أن هذا الاتحاد يستحيل ان يكون بالقوة العسكرية القاهرة ، كما يرتأي المغرورون بالعاصمة ، وان إبادتهم أسهل من اخضاعهم بالقوة لشعب لا يعدونه منهم ولا يحترم حاكم الروحية والاجتماعية ، وانما يسهل اخضاعهم بالاسلام والحكمة ، فلهذا اقترحت على الحكومة الدستورية مساعدة جمعية من فضلاء الامة على تأسيس مدرسة لتخريج المرشدين الذين يسهلون لها هذه السبيل في جزيرة العرب وبلاد الاكراد والارنؤد

ان جزيرة العرب لم تر الدولة العلية حاكمة فيها الا في بعض البلاد الساحلية وليس لها عند القوم هنالك أثر حسن ولا ذكر صالح في شيء من الاشياء وانما يوجد في اليمن والعراق آثار الخراب والدمار وتواريخ الغدر وسفك الدماء ونهب الاموال ويعرف ذلك منهم هذا جيرانهم ، وهم لا يفرقون بين نوع الحكم الاستبدادي الماضي والحكم الدستوري الذي وقفت الدولة ببابه الآن فلا ينتظرون منها الامثل الايام التي خلت من قبل ومع هذا كله فاني أعتقد انه يمكن وضع قانون لاصلاح جزيرة العرب يكون من أوائل مواده ان هذه البلاد كلها تابعة للدولة العلية وليس لأحد من أمرائها ولا زعمائها حق في معاملة دولة من الدول الأجنبية معاملة ما لا تأذن لها بها قوانين الدولة ، وأن تدفع للدولة أموالا أميرية ، وأن تقر الدولة إمام اليمن على إمامته

في طاعته ، وكذا كل أمير وزعيم على إمارته ، بأن يكون هو المنفذ للنظام الداخلي فيها . وأن يترك لهم سلاحهم ويحتم عليهم حفظ الأمن في هذه البلاد وتكافل الأمراء والزعماء على منع الغزو ومساعدة الدولة على نشر التعليم وتحضير الأعراب وتتبع ذلك الجندية

اذا وفقت الدولة لمثل هذا العمل فانها تملك جزيرة العرب ملكا حقيقيا من غير سفك دماء أبنائها ، ولا إضاعة الملايين من الليرات التي تأخذها من أوربا بالربا الفاحش والذل ، وتفتح لنفسها بابا واسعا من الثروة ، وان أبت الا التعجيل بازالة نفوذ كل ذي نفوذ بالقوة العسكرية فاني أخشى ان يكون الخطر عليها من هذه السياسة من أشد الأخطار لانها تكون سياسة سفك دماء وتدمير بلاد وتمزيق القوة العسكرية في بلاد لا يمكنها البقاء فيها ، وما وراء ذلك الا العذاب الواصب ، أو استيلاء الأجانب

﴿ جمعية ندوة العلماء في الهند ﴾

كنا فرحين مغبوطين بفضل الله على المسلمين بتأليف هذه الجمعية وخدمتها العالية للاسلام والمسلمين حتى جاءتنا جرائد الهند الاخيرة بما أحزن قلوبنا وأبكى عيوننا من وقوع الشقاق بين العلماء المؤلفين لهذه الجمعية ، فأواه ، الى متى يفتك في هذه الامة الحسد والخلاف

الفضل الاكبر في تأليف الجمعية ونجاحها للشيخ شبلي النعماني فهو العالم المصلح الذي تشهد له تصانيفه وآثاره ، فبسعيه وجهده ، وبهمته ثبتت واستقرت ، ووثقت بها الأمة فأمدتها ، والحكومة فساعدتها ، وقد حسده على ما آتاه الله من فضله بعض العلماء الذين أعوزهم مثل علمه وعقله ، وأعياهم مثل عمله وسعيه ، فلجأوا الى السلاح الذي أهلك هذه الامة وهو الخلاف الذي يكبره ويمده الحسد والبغي «وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءهم البينات بغيا بينهم» فاتهموه بالاعتزال وترك الصلاة ، كما اتهم من قبل المصلحان العظيمان في هذه البلاد ، وقاوموه فيما يتوخاه من تسهيل أساليب التعليم الاسلامي كما قاوم امثالهم امثاله من المصلحين ، متعصبين للكتب المعقدة التي ألفوها ،

هذا مجمل ما بلغنا من أمر هذه الجمعية فنسأل الله تعالى أن ينزع ما في قلوب الحاسدين من غل ، ويطهرهم من الحسد والبغي ، فيتذكروا أن في الخلاف والتفرق الهلاك ، وفي التآلف والتعاون النجاة والسعادة ، وحسب هذه الامة ما فعل فيها الخلاف من إضعافها وتمزيقها وإزالة عزها وسلطانها الحسي والمعنوي ، انما يتذكر أولو الالباب

﴿ خاتمة السنة الثالثة عشرة ﴾

تمت السنة الثالثة عشرة للمنار بحمد الله وتوفيقه وقد كتبنا ثلاثة أرباع هذا المجلد في القسطنطينية تارة في فنادقها وتارة في المراكب البخارية التي تجول في زقاقها (البوسفور) ولم يتيسر لنا تصحيح أكثر ما كتبناه فكان الغلط فيه كثيرا وقد وضعنا جداول المهم مما عثرنا عليه منه ونشرناه في الاجزاء الماضية، ولشقيقينا السيد صالح والسيد حسين ما في الاجزاء الثمانية الاولى من التقاريظ وقد ذيل كل منهما ما كتبه بامضائه . وهما اللذان اختارا بعض الرسائل التي جاءت المنار أو وردت في بعض الصحف . ولهما بعض الهوامش كالتعريف بأصحاب الرسائل أو القصائد التي نشرت في تلك الاجزاء وكتفسير بعض الالفاظ وخبران في آخر ص ٣٩٢ كتب هذا باسم المنار، وتنبيه في آخر ص ٦٩٦ نشر خطأ ولا حاجة اليه

أما الانتقاد على المنار فلم يرد الينا شيء منه على شرطنا في هذا العام الا ذكرناه وبينا ما عندنا فيه فمن أرسل شيئا من ذلك ولم يره فليذكرنا به أو ليعده الينا لعله فقد أو أهملت ادارة المجلة إرساله الينا ونحن في سفرنا . وندعو أهل العلم والاخلاص الى تعاهدنا بالانتقاد والنصيحة عندما يجدون ما يوجب ذلك، ونحن على وعدنا بنشر نقدهم، فمن عاب المنار أو خطأه ولم يكتب ذلك اليه فهو فاسق مغتاب، لا قاصد لبيان الحق والصواب،

وأما المشتركون فالماطلون منهم كانوا أشد مطلا وأقل وفاء في هذه السنة التي غبنا أكثر شهورها وقد انتدب أحد الأنجاد الامجاد في تونس لتحصيل حقوق المنار من المشتركين والحق ان الكثيرين منهم ومن غيرهم بعض العذر بما ألفوا وتعودوا من عدم دفع المال، الا بالالحاح في السؤال، ونحن قد اكرمناهم ان نلح عليهم، ووكلنا الامر الى مروءتهم، وما كل أحد يخطر بباله هذا فالتقصير منا أكثر، واللوم علينا أكبر،

وفي الختام نسأل الله تعالى دوام التوفيق والاخلاص وله الامر من قبل ومن بعد، وصلاة وسلام على المرسلين، وتحية ورضوان على المصلحين، والحمد لله رب العالمين

منشئ المنار ومحرره
محمد رشيد رضا